مباحث لغوية ٢٥

المعجم التاريخي للغة العربية
رؤى وتطلعات

د. أحمد العلويّ
د. أحمد عارف حجازيّ
د. أمين عبد الكريم باربو
د. حسن درير
د. خالد اليعبوديّ
د. عبد الرّحمن بودرع
د. عبد الرّحمن السّليمان
د. عبد العلي الودغيريّ
د. عبد المنعم السّيد جداميّ
د. علي القاسميّ
د. عمر مهديويّ
د. محمد حلمي هليّل
د. منتصر أمين عبد الرّحيم
د. نواري سعوديّ أبو زيد

إعداد وتنسيق
د. منتصر أمين عبدالرحيم
د. خالد اليعبودي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

المعجم التاريخي للغة العربية

رؤى وتطلعات

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م
جميع الحقوق محفوظة
المملكة العربية السعودية.. الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠، الرياض ١١٤٧٣
هاتف (٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ – ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢)
البريد الإلكتروني (nashr@kaica,org.sa)

ح مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
عبدالرحيم ، منتصر أمين
المعجم التاريخي للغة العربية رؤى وملامح./ منتصر أمين
عبدالرحيم.- الرياض، ١٤٣٧هـ
(٥٨٩) ص (سلسلة مباحث لغوية؛ ٢٥)
ردمك: ٩-٠-٩٠٨٤٧-٦٠٣-٩٧٨
١–اللغة العربية- معاجم ٢- التاريخ- معاجم أ- العنوان
ب – السلسلة.
ديوي ٤١٣ ١٤٣٧/١٠٤٦١
رقم الإيداع ١٤٣٧/١٠٤٦١
ردمك: ٩-٠-٩٠٨٤٧-٦٠٣-٩٧٨

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواءاً كانت إلكترونية أم يدوية أم ميكانيكية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المركز بذلك.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

كلمة المركز

تتنافس الأمم في المحافظة على هويتها، والبناء على ماضيها، ومزاحمة سائر الأمم في التاريخ والمستقبل.

وتعد اللغات مكوّناً رئيساً من مكوّنات الهوية، وإذا تنافست الأمم في ما حُفِظ من تراثها اللغوي برزت العربية بينهن؛ لضخامة الموروث، وضخامة الدرس اللساني القديم فيه، وتقدّمه على عصره مقارنةً بموروث اللغات الأخرى.

ولكن هذا الموروث الضخم – معجميا ومعرفيا – لم يحظَ بما يوازيه من البناء والبحث العلمي في عصرنا هذا؛ وذلك لأسباب حضارية شتى. ومما يكاد يغيب عن المشهد العلمي والثقافي إصدار معجم تاريخي محكَم، يتجدّد دوريّاً ويتطوّر، ويُعدّ مَعيناً مهمّاً لدارسي الدلالة، وآليات التطوّر اللغوي، كما يعدّ حاكماً على العربية وتطوّر ألفاظها وتوسّعها؛ وبهذا فإنه ليس ترفاً علمياً، أو رصداً تاريخياً للألفاظ وتطوراتها، بل ضرورة حضارية ذات أهمية لمستقبل الأمة اللغوية، وتطوّر لغتها وتشكّلها بما يحفظ هويتها، كما لا يمنعها من التقدم.

والمركز ـ من خلال ما يوجه به معالي المشرف العام وأعضاء مجلس الأمناء ـ يسعد بتقديم هذا الكتاب، ويعدّه جزءاً من النقاش العلمي الذي يساعد على تحريك الراكد، وتحفيز المختصين والمؤسسات العلمية للنهوض بمثل هذا المعجم، وبناء المدوّنات اللغوية اللازمة لإنجازه؛ مدركين أننا كلما تأخرنا اتّسع المدى الفائت الذي يجب أن ندركه ونضيّقه، وصعُبت المهمة، وبخاصة في هذا العصر الذي تتوسع فيه اللغات بسرعة، بحكم شبكات الاتصال، وتقارب العالم، والانفتاح على اللغات الأخرى.

ويتابع المركز - عن كثب - محاولات بناء (المعجم التاريخي) أو التخطيط لبنائها، ويشدّ على أيدي العاملين عليها، والداعمين لها، ويسعد دائماً بالتكامل معهم، وتنسيق الجهود في سبيل تحقيق هذا المنجز الضروري، وإخراجه بالشكل المأمول، مع تطلّعه إلى التنافس والتكامل المحمود دون تكرار الجهود، والبناء على الموجود، دون إعادة بنائه مرةً تلو مرة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

إن أملنا، وأمل المختصين في العربية، والمهتمين بالهُوية كبيرٌ جدّاً في نجاح تلك الجهود، وإثمارها، ودعم العربية بها، ثم الاستمرار في تطويرها تطويرا متجاوباً مع تطوّرات المدوّنة اللغوية، ومنضبطاً بالأحكام اللغوية العربية.

ويأتي هذا الكتاب ضمن سلاسل الإصدارات في المركز، وفي سياق مشروعاته البحثية التي ينهض بها العلماء والباحثون وأساتذة اللغة لتغطية مجالات متنوعة في قضايا اللغة العربية، متطلعين إلى مواصلة البحث في موضوعه بمجموعة أخرى من الأبحاث والدراسات القادمة بإذن الله.

أخيراً أوجّه خالص الشكر للسادة محرري هذا الكتاب (د. منتصر أمين عبدالرحيم ود.خالد اليعبودي) ونخبة الباحثين فيه، على ما قاموا به في سبيل إخراجه على هذا النحو، والشكر ممتد لزملائي في المركز وأخص فريق النشر وعلى رأسهم: الدكتور: إبراهيم أبانمي الذي تولى مهمة ذلك، وأدعوهم إلى مواصلة هذا العمل العلمي الجاد.

سدّد الله الجهود، وأعان على قضاء حق العربية.

الأمين العام

د. عبدالله بن صالح الوشمي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

المقدمة

إذا كان التَّصنيف المعجميّ عريقًا نشأ بنشوء الحضارات الإنسانيّة فإنَّ الدِّراسة النَّظريّة لقضايا المعجميّة والقاموسيّة حديثة النَّشأة على غرار ما هو واقع في التَّرجمة والمصطلحيّة والتَّواصل، فمازالت الحاجة ماسَّة إلى مزيد من الاهتمام بقضايا معجميّة عديدة وإلى تقييس المنهجيّات الواجب العمل بمبادئها في مثل هذا التَّصنيف. ولا شك في أنَّ تطوُّر الدِّراسات اللِّسانيّة الحديثة وازدهار الصِّناعة المعجميّة في العقود الأخيرة قد أسهم في الإحساس بهذه الفجوة المُعاينة في الثَّقافة العربيّة الإسلاميّة، إذ يشكِّل النُّزوع نحو تصنيف المعجم التَّاريخيّ بلُغات العالم المتقدم شكلًا من أشكال الرُّقي الحضاريّ وترجمةً لتطوُّر المعجميّة بضوابطها العلميّة وتقدُّم إجراءاتها المنهجيّة والتّقنية؛ ومن ثمَّ فإنَّ الحرص على تنمية اللُّغة العربيّة المهددة في كيانها بشعارات العولمة والأنموذج الثَّقافيّ الأوحد رهين برقيّ معاجمها وقواميسها لتبزّ نظيراتها الأجنبيّة في مستوى الشُّموليّة ودقة التَّصنيف جمعًا ووضعًا وتقييسًا.

من قبل اعتنى نُظَّار الفكر العربيّ الإسلاميّ باللُّغة العربيّة منذ القرن الأوّل للهجرة بما كانت تمثِّل العربيّة للعرب والمسلمين من أهمية من حيث تعبيرها عن الهوية والانتماء لحضارة تستند إلى مضامين الكتاب العزيز والأثر الشَّريف، من هذا المنطلق حرص اللُّغويّون على تدوين رصيد العربيّة منذ ذلك العصر بالاستناد إلى منهجيّات متعددة، فتعددت المتون اللُّغويّة ومن ضمنها المعاجم والقواميس وكتب الاصطلاح وتباينت مناهج تصنيفها وتبويبها. فأوّل مظاهر تطوُّر التَّأليف المعجميّ العربيّ: التَّصنيف في تفسير غريب مفردات القرآن الكريم والحديث النَّبويّ الشَّريف والشِّعر القديم، ثمَّ الحرص على جمع

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

رصيد هائل من مفردات العربيّة من أَفواه الأَعراب الخُلَّص غير المختلطين بالأَجانب إلى تدوين هذا الرَّصيد في رسائل موضوعات ثمَّ في تآليف تهتم بمجمل الرَّصيد اللُّغوي الفصيح المستعمل (بل المستعمل والمهمل كما يتبين من مجهود الخليل في «كتاب العين»)، مع ضرورة الإشارة إلى الحركة المعجميّة الَّتي اهتمت بالاصطلاحات المتداولة لدى طوائف الفقهاء والعلماء واللُّغويّين والصيادلة والمتصوفة، وقد شكَّلت هاته التَّآليف تراثًا ضخمًا قبل اهتمام المستشرقين في القرن التَّاسع عشر وبداية القرن العشرين بالتَّصنيف المعجميّ (من أمثال «دوزي» (Dozy) الهولنديّ (١٨٢٠-١٨٨٣) و«فيشر» (Fischer) الأَلمانيّ (١٨٦٥-١٩٤٨) و«لين» (Lane) البريطانيّ (١٨٠١-١٨٧٦))، وهي أَعمال أَسهمت في تطوير المعجميّة العربيّة بما تميزت به من براعة في التَّحقيق والفهرسة وجودة التَّرتيب، فشكّلت حافزًا لرواد عصر النَّهضة العربيّة (من أَمثال «البستانيّ» (ت١٨٨٣م) و«الشَّدياق» (ت١٨٨٧م) و«الشَّرتونيّ» (ت ١٩١٢م) و«المعلوف» (ت ١٩٤٦م)) للاستمرار في تحقيق المعاجم والقواميس التُّراثيّة والإسهام في تصنيف معاجم حديثة حاولت جاهدة أَنْ تنبذ أَجواء المضارب والخيام السَّائدة بالمعاجم القديمة -الَّتي لم تعد سائدة- وأَنْ تفتح المجال لولوج رصيد من أَلفاظ الحضارة إلى متن المعجم الحديث.

وقد يستغرب المرء إذا بحث عن أَثر المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة ضمن أَلف وخمسمائة معجم عربيّ صُنِف إلى حدود القرن العشرين (بحسب إحصاء الباحث أحمد الشَّرقاويّ إقبال، معجم المعاجم، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت ١٩٩٧)، فيعود خائبًا من دون الظَّفر بما يأمل، إنَّ أَسباب هذا الغياب متعددة لا يسع المقام للتفصيل فيها غير أَنْ تطوُّر الصِّناعة المعجميّة بالقرن الماضيّ وتوافر الكثير من المعاجم التَّاريخيّة بالعديد من اللُّغات الحضاريّة يشكِّل الحافز الأَكبر لسدّ هذا الخلل بلُغتنا العريقة. وحريٌّ بنا مع ذلك أَلَّا ننساق وراء ما وُجِّه من نقد في موضوع قصور اللُّغويّين العرب الأَقدمين في الاهتمام بالمناحيّ التَّاريخيّة لدلالات الأَلفاظ ورصد الفترات الزَّمنية لكل استعمال من استعمالاتها، لنعتبر «كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة» لأَبي حاتم الرَّازيّ (ت ٣٢٢ هـ) مدخلًا بسيطًا وجزئيًّا للمعجم التَّاريخيّ الَّذي يحلم به كل غيور على لُغة الضَّاد، لاسيما أَنَّ المؤلف استعان في تتبع التَّحوُّلات الدِّلاليّة لقائمة من الأَلفاظ العربيّة بشواهد قرآنيّة وشعريّة من

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

عصور الاحتجاج مما يؤكد أنَّ الاستشهاد في العمل المعجميّ سُنَّة عربيّة موروثة عن الأَسلاف قبل أَنْ تنتقل إلى الصِّناعة المعجميّة باللُّغات الغربيّة.

لقد بات إنجاز المعجم التَّاريخي للُّغة العربيّة ضرورة حضاريّة لاسيما أَنَّ الدَّواعي الَّتي دعت «ابن منظور» (ت ٧١١ هـ/١٣١١م) إلى تصنيف قاموسه الكبير «لسان العرب» ما زالت هي نفس الدَّواعي، بل تأكّد أَنَّ الوضع ازداد استفحالًا وخطورة. وقد ذكر «ابن منظور» في هذا الصَّدد ما عاينه «من اختلاف الأَلسنة والأَلوان، حتى لقد أَصبح اللَّحنُ في الكلام يُعدُّ لحنًا مردودًا، وصار النُّطق بالعربيّة من المعايب معدودًا، وتنافس الناسُ في تصانيف التُّرجُمانات في اللُّغة الأَعجميّة، وتفاصحوا في غير اللُّغة العربيّة». (لسان العرب، القاهرة (د. ت)، المقدمة، ص: ١٢-١٣). والواقع أَنَّ إحساس العرب بضرورة تصنيف ذلك الدِّيوان الكبير لم يأت متأخرًا إذا علمنا أَنَّ الإنجليز وضعوا أُسس هذا المشروع عام ١٨٥٧م، وأَنَّ الأَلمان - من خلال جهود الأَخوين «غريم» - شرعوا في تصنيف هذا الدِّيوان منذ سنة ١٨٣٨م بغرض توحيد اللَّهجات الجرمانيّة في لُغة موحدة، غير أَنَّ تردّي واقع اللُّغة العربيّة أو بالأَحرى قصور أَهلها عن رعايتها كان سببًا رئيسًا في تأخر هذا المشروع العربيّ، فقد تمكَّن الإنجليز من الانتهاء من تصنيف ديوان لُغتهم الكبير سنة ١٩٢٨م، ونجح الأَخوان «غريم» في أَلمانيا في إصدار الصِّيغة الأُولى من المعجم سنة ١٨٥٤ إلى أَنْ انتهى العمل منه سنة ١٩٦١ (في اثنين وثلاثين مجلدًا) بفضل تكملة الأَخلاف الغيورين على مشروعهم، بينما مازال العرب يقدمون خطوة ويؤخرون أُخرى في مسلسل التَّخطيط لإنجاز هذا المشروع الكبير وتحقيقه ووضعه رهن إشارة الجمهور. ولما كانت الحاجة هي الَّتي تدفع علماء أُمة إلى بناء المعجم التَّاريخيّ للغتهم عاينا إنجاز اليهود لمعجمين تاريخيّين منذ بداية القرن العشرين نظرًا لما يشكِّله هذا الإنجاز من دعم للمشروع الصُّهيونيّ في إثبات كيانه وتبرير احتلاله.

يكفي الغيورين على لُغة الضَّاد حافزًا - إذا لم يكن ما ذكرناه سلفًا مقنعًا بما فيه الكفاية للتشمير عن السَّواعد وتوفير الطَّاقات البشريّة والماديّة للإسراع بتحقيق هذا الحلم الكبير - أَنْ نذكّرهم بأَنَّ المستشرق الهولنديّ «دوزي» (Dozy) (١٨٢٠-١٨٨٣م) تنبّه إلى أَهمية هذا المشروع في اللُّغة العربيّة قبل وضع الإنجليز اللَّبنات الأَساسيّة لمعجم أُكسفورد بأَزيد من عقد من الزَّمن، إذ قدّم أَواسط القرن التَّاسع عشر (بين ١٨٤٣ و١٨٤٥) تحديدًا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لمواصفات هذا المشروع وغاياته، فهو معجم يكشف عن المعاني الدَّقيقة لأَي لفظ من ألفاظ العربيّة في أَصل استعماله ويعرض مختلف الدِّلالات الَّتي ترتبط به بالاستناد إلى الشَّواهد والنُّصوص، ويوضح مقاصد مصطلحات العلوم والفنون أينما استعملت بمناطق الإمبراطورية الشَّاسعة الَّتي امتدّت إلى ما بين بلاد الهند وتخوم بلاد الفرنجة(١). إنَّه مشروع ضخم يحتاج إلى تجنيد حشد من المتطوعين وتوفير دعم ماديّ لا ينضب الأَمر الذي استعصى تحقيقه من لدن العرب في القرنين الماضيّين ما دفع المستشرق الأَلمانيّ «فيشر» (Fischer) (١٨٦٥-١٩٤٨) إلى تحقيق مرحلة من مراحله تتوقف عند عصور الاحتجاج بالكلام الفصيح لولم تحل ظروف الحرب العالميّة الثَّانية دون إتمام عمله، ودفع أيضًا المستشرق الفرنسيّ «لوي ماسينيون» (Louis Massignon) (١٨٨٣-١٩٦٢م) إلى محاولة تحقيق الجزء المتعلق منه بالاصطلاحات الصوفيّة.

مهمة التَّأريخ للكلمات العربيّة ولمشتقاتها بمختلف استعمالاتها ولتعابيرها الاصطلاحيّة منذ ظهورها إلى وقتنا الرَّاهن ليس بالأَمر الهيّن الَّذي يتحقق بمجرّد جرّة قلم وإنَّما هو عمل يتطلّب الكثير من الجهد والمثابرة والتَّضحية والدَّعم، لاسيما حينما يتعلق الأَمر بالتَّأريخ لعناصر لُغة تمتدّ جذورها لأَزيد من ثمانية عشر قرنًا ما يفسر تباطؤ المشاريع الَّتي اعتزم الغيورون على العربيّة تنفيذها في هذا الإطار، بالنَّظر إلى الفروق الزَّمنيّة القائمة بين الاستعمال وعملية تدوين المستعمل ثم المهمل، وبالنَّظر كذلك إلى اختلاف الدَّارسين في تحديد الاستعمالات الأَولى للُغة، أَهي المعاني الحقيقيّة تتلوها المجازيّة أم أَنَّ العكس يتمّ في سياق تحول الاستعمال من الحقيقيّ إلى المجازيّ بحسب العامل الزَّمنيّ، وتحوُّل المعاني العامّة إلى خاصّة ثمَّ قلب هذه المعادلة بعودة المعاني الخاصّة إلى معاني عامّة كما يتوضح في ولوج الكثير من المصطلحات نطاق اللُّغة العامّة.

إنَّ الإحاطة بمجموع مفردات اللُّغة العربيّة والتَّأريخ لاستعمالاتها أوّلًا بأَول عمل يحتاج إلى جهود مكثفة، فلا «محيط» الصَّاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، ولا «محكم» ابن سيده (٣٩٨ هـ)، ولا «عُباب» الصَّاغاني (ت ٦٥٠ هـ) بلغ هاته الغاية الَّتي يرمي إلى تحقيقها بُناة

---

(١) Dozy (Reinhart): Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes. Amster dans ١٨٤٣-١٨٤٥, pp : V- VI.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة. كما بذل المحدثون جهودًا لا يُستهان بها في مجال الصِّناعة المعجميّة، غير أنَّ هذه الجهود لم تُكلّل ببناء مشروع الأُمة، فلم تستطع معاجم المجامع اللُّغويّة ومكتب تنسيق التَّعريب ولا تلك القواميس الَّتي صنفها الأَفراد بلبنان والعراق والشام وأرض الكنانة والغرب الإسلاميّ من تدارك هذا الخلل.

ولا شك أنَّ أهم رهانات تصنيف المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة: موضوع استثمار مضامين المخطوطات العربيّة غير المحققة وغير المنشورة الَّتي لا زالت أسيرة بسائر المكتبات العربيّة والغربيّة، ولا يمكن الادعاء بحصر شامل لنصوص وشواهد عصر من العصور دون استقراء ما يتواجد بمتون هاته المخطوطات، وقد بذل الدَّارسون العرب جهدًا لا يستهان به في مجال حصر عناوين هذا المورد المعين من خلال تأسيس مشروع «الفهرس الموحد»، ولا زال الحلم مستمرًا في إمكانيّة نشر هذه النَّفائس بعد تحقيقها تحقيقًا علميًّا منضبطًا، ذلك أنَّ الأَهمية الَّتي أصبحت تحظى بها المدوَّنة في الصِّناعة المعجميّة الحديثة تستوجب إيلاء العناية اللَّازمة لبناء مدوَّنة شاملة للُّغة العربيّة تنزّل المعاجم اللُّغويّة والاصطلاحيّة المتوفرة منزلة المصادر الثَّانويّة ضمن مصادر المعجم التَّاريخيّ.

ولعل اشتراط المعجم التَّاريخيّ الشَّامل للُّغة العربيّة الاستناد إلى مدوَّنة لُغويّة شاملة لا يحتاج إلى برهان فمن شأن تصنيف مدوَّنة من هذا النَّوع –وهو العمل المندرج ضمن مرحلة الجمع عند ابن منظور- أنْ تكون أصدق تمثيليّة لأَلفاظ اللُّغة وتراكيبها ومختلف تقلباتها في مجاري الكلام المستعمل. وإذا كان «الخليل بن أحمد الفراهيديّ» قد جمع مادة معجمه الكبير من بوادي الحجاز ونجد وتهامة وهي مدونة كتاب العين فإنَّ بناة المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة ملزمون بجمع مدوَّنة هذا التَّصنيف من عربيّة نجد والحجاز قديمًا وحديثًا ومن عربيّة العراق والشَّام وبلاد الكنانة وبلاد المغرب والأَندلس دون إغفال عربيّة المهجر مع عدم الاقتصار على المصادر الشَّفهيّة كنهج «الخليل» وإنَّما تتجوزها إلى مصادر مكتوبة تنتمي إلى عصور مختلفة مستمدّة من مجالات متعددة تنهل من الوثائق والمستندات ومن المنشور بالأَعمال الإبداعيّة (قصة، رواية، مسرح) والأَبحاث العلميّة والمعاجم، وهي مدوَّنة على الرُّغم من إمكانيّة توفرها على بلايين الأَلفاظ والتَّراكيب وإمكانيّة جمعها من مناطق شاسعة حيث تنتشر العربيّة فإنَّ عمليّة تدوينها وتصنيفها لا تستلزم أربعة عقود زمنيّة: المدة الَّتي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

قضاها «النَّضر بن شميل» (ت ٢٠٤ هـ) في مشافهة الأَعراب وتدوين كلامهم، وذلك لسببين: أولهما إمكانيّة تَضافر جهود عدة متخصصين للقيام بهذا العمل، ثانيًا: انتشار التِّقنيّات المعلوماتيّة وتوظيفها في عمليات التَّدوين والجرد والتَّصنيف، فقد أَصبح في العصر الرَّاهن من المتعذر الحديث عن المدوّنة باستبعاد الحاسوب والقراءة الآليّة للنصوص المدوّنة.

برأينا أَنَّ مشروع المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة جاء ليمتحن حال الدَّرس اللِّسانيّ العربيّ وقدرته على تقديم تصورات واضحة بشأن إنجاز هذا المشروع، ولا مفر لهذا الدَّرس الآن من العودة إِلى بحث قضايا اللِّسانيّات التَّاريخيّة والمقارِنة كي يتم تأكيد البعد الحقيقيّ لهذا المعجم ومن أَجل إثراء السِّجل التَّاريخيّ للأَلفاظ العربيّة، ونزعم أَنَّ الدَّرس اللِّسانيّ العربيّ لم يكن إِلى فترة بعيدة مشغولًا بنتائج اللِّسانيّات التَّاريخيّة أَو المقارِنة أَو بحث قضايا اللُّغة العربيّة ذات الصِّلة بهذين التَّخصصين. فبناة المعجم التَّاريخيّ لأَي لُغة من اللُّغات الطبيعيّة يسترشدون بمبادئ اللِّسانيّات التَّاريخيّة لتتبع تاريخ ظهور الأَلفاظ وبمبادئ اللِّسانيّات المقارِنة لاهتمامهم بكيفية ظهور الأَلفاظ في لُغات تنتمي إِلى أُسرة واحدة أَو في لُغات من أُسر مختلفة في حال الاقتراض كما يستثمرون مبادئ علم التَّأثيل (الإِيتيمولوجيا) لرصد مختلف التَّغيُّرات الصُّوريّة والدِّلاليّة الَّتي تعرفها سائر وحدات اللُّغة من ظهورها إِلى وقتنا الرَّاهن أَو إِلى حين انقراضها إذا كانت جزءًا من الرَّصيد اللُّغويّ المضمحلّ. لقد دفعت أَهمية التَّأثيل اللُّغويّ بعض العلماء إِلى وضع معاجم تأثيليّة تهتم بالبحث عن الأُصول الأُولى لظهور الأَلفاظ بلغة محددة أَو بمجموعة من اللُّغات بينما يهتم المعجم التَّاريخيّ إضافة إِلى ما سبق بتحديد مجمل التَّحوُّلات الصُّوريّة والدِّلاليّة والاستعماليّة الَّتي يعرفها كل لفظ مع ذكر شاهد أَو شواهد عن كل استعمال وتحديد تاريخه بحسب المعطيات المتوفرة.

ومما يستوجب مراعاته في كل مشروع يهدف إِلى سدّ هذا الخلل بالشُّروع في بناء معجم تاريخيّ شامل لهذه اللُّغة: اعتبار تميّز العربيّة بخاصيتين متقابلتين: الثَّبات النِّسبيّ لأَنساقها النَّحويّة والصَّرفيّة، وقابليتها لتطوير أَرصدتها المعجميّة والمصطلحيّة بما تتوفر عليه من آليّات التَّوليد الصَّرفيّ والاشتقاقيّ والدِّلاليّ والقدرة على تطويع الدَّخيل ليتلاءم مع خصائص العربيّة. إنَّ من مميزات اللُّغة الاشتقاقيّة تولُّد مفرداتها من جذور (أَو أُصول)، ما جعل معظم معاجم الأَسلاف وقواميسهم تستند إِلى هاته المسلمة، باستثناء معاجم المعرّب

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والدَّخيل الَّتي يؤمن مصنفوها بمبدأ حظر الاشتقاق من الأَلفاظ الأَعجميّة مع أَنَّ اللُّغة (أَو بالأَحرى مستعمليها) اخترقت هذا القانون أكثر من مرّة (كما يتجلى في لفظ «مُدرهَم» (أَي مستدير الشَّكل، و«مُزرّج» أي الَّذي شرب «الزَّرجون» وهي الخمر بلون الذَّهب في الفارسيّة). أَمَّا عن اختلاف المعجميّين في تحديد جذور بعض الكلمات، فراجع حتمًا إلى حدوث «الإبدال» في حرف من حروفها (كـ «بخس» و«بخص») أَو «القلب» (كـ «جذب» و«جبذ»)، وإلى دخول الأَلفاظ الأَعجميّة إلى حظيرة اللُّغة العربيّة مع أَنَّ لها أكثر من صيغة (كـ «طبرزد» و«طبرزذ» و«طبرزل» و«طبرزن» بمعنى السّكر وهي ذات أَصل فارسيّ).

لقد مضى زمن إدراج تناسل الدِّلالات بعضها عن بعض ضمن الاستعمال المجازيّ للُّغة والانزياح والعدول، وحان اعتبار هذا التَّناسل شكلًا من أَشكال التَّطوُّر اللُّغويّ، إنَّ متطلبات اللُّغة في وقتنا الرَّاهن وحاجتها إلى تفعيل آليَّات التَّوليد لمواجهة المستقبل يستلزم إقصاء النَّظرة المحافظة الَّتي تنبذ المولدات بما فيها تلك الواردة بكتب اللَّحن.

إنَّ النَّجاح في تصنيف المعجم التَّاريخيّ بأَداء فنيّ ومعلوماتيّ ملائم سيعدّ مكسبًا للثَّقافة العربيّة الإسلاميّة في توفير مرجع تثقيفيّ يمثِّل ذخيرة واقعيّة غير متخيلة بإمكان كل قارئ أَنْ يتصفحها ويستثمر معطياتها، وستكون أداة مُثلى لمواجهة رهانات المستقبل. فمن الثِّمار الَّتي يمكن جنيها بالانتهاء من تصنيف المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة: أَنْ نحصل على معاجم تاريخيّة متخصصة متعددة بتعدد العلوم والفنون والتِّقنيات، يصحّ أَنْ ننعتها معاجم تاريخيّة خاصّة خرجت من صلب المعجم التَّاريخيّ العامّ للُّغة العربيّة يلزم تطويرها لتستقل عن مهدها الأَول.

ومن بين المعاجم الَّتي يمكن أَنْ تتولَّد كذلك عن المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة: معجم (المترادفات - المشتركات اللَّفظيّة – الأَضداد - المعرب والدَّخيل - الأَلفاظ المتداولة - الرَّصيد اللُّغويّ للناشئين - معجم غير النَّاطقين بالعربيّة – الأَوزان – القوافي - الأَمثال والحكم - المتلازمات اللَّفظيّة – الأَماكن – الأَعلام - المختصرات والرُّموز -......). ولكنَّ نشدان بناء المعجم التَّاريخيّ الشَّامل للُّغة العربيّة لا يجب في حال عدم توفر لبناته الأَساسيّة أَنْ يمنع محاولات تصنيف معاجم تاريخيّة للُّغة تشكِّل مرحلةً نحو بلوغ هذا الهدف، ذلك أَنَّ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الإحاطة هدف مثالي لا يتحقق سوى بتراكم المحاولات الَّتي يجب أنْ تخضع لتحيين مستمر بغية نوال هذا المبتغى.

لا شك في أنَّ اكتمال بناء المعجم التَّاريخيّ لِلُّغة العربيّة ستكون له آثار قيمة على واقع العربيّة ومستقبل علومها المختلفة وعلى مكانتها بين اللُّغات، ولكنَّ هذا البناء يتوقف - من وجهة نظرنا- على قدرة أهل الاختصاص على تقديم إجابة وافية ومقاربة دقيقة بشأن التَّساؤلات المتعلقة بالموضوعات والرُّؤى الَّتي تتحدّد على أَساسها بعض ملامح الصُّورة المناسبة لذلك البناء، إنَّ المسألة تتعلق هنا بمدى المناسبة بين الخصوصيّة والرُّؤية؛ بين خصوصيّة العربيّة وتاريخها الممتد وتلك الرُّؤى الَّتي تبرز هذه الخصوصيّة وتبرهن تمثيلاتها المعجميّة ضمن الدِّيوان الجديد، ونزعم أَنَّ كتابنا هذا بما يتضمنه من رؤى ومراجعات واقتراحات يعدُّ استئنافًا للنظر في عدة قضايا مهمة في بعدها التَّنظيريّ والتَّطبيقيّ في تحقيق جانبٍ من جوانب تلك المناسبة.

يبدأ الكتاب بدراسة الدُّكتور مُحمَّد حِلمي هليّل، وهي بعنوان «التَّنوع اللُّغوي الزَّمانيّ: حول الإعداد للمعجم العربيّ التَّاريخيّ»، وتتضمَّن سلسلة من القضايا المهمة الَّتي يجب الانتباه إليها في صناعة المعجم المنشود وهي قضايا تناسب في رأينا أية محاولة أساسية تنشد هذا المسار، فمرورًا بالتَّعريف بالمعجم التَّاريخيّ لِلُّغة العربيّة وبالتَّجارب الرَّائدة السَّابقة وصولًا إلى تحليل مخطط لمدخل من مداخل هذا المعجم ترسم الدِّراسة بعض الأُسس والاستراتيجيات المهمة في وضع المعجم التَّاريخي لِلُّغة العربيّة؛ فتعالج كيفيات التُّوثيق والتَّأصيل والتَّعريف وتعرض لمكانة المصطلح والمتلازمات والتَّعابير الاصطلاحيّة والمشترك وغيرها من الصِّيغ العربيّة ذات الطَّبيعة الخاصَّة وموضعها الطبيعيّ في مثل هذا المعجم، ولعل دراسة بهذه الصُّورة هي أَشبه بخطة موجزة تحاول الإفادة من النَّماذج الغربيّة السَّابقة للمعاجم اللُّغويّة التَّاريخيّة. أضف إلى هذا وعي الدِّراسة بالمشكلات الَّتي تواجه مشروعنا وقدرتها على طرح حلول مناسبة لمواجهة ذاكم الكمّ الهائل من المواد الَّتي تشكّل بنيته.

وإمعانًا في التَّعريف بالمعجم التَّاريخي ومتطلبات إنجازه النَّظريّة بصورة خاصَّة عمدت دراسة الدُّكتور أحمد العلويّ «المعجم التَّاريخيّ لِلُّغة العربيّة وشروط قيامه» إلى تحديد

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

معنى المعجم التَّاريخي ومدى سريانه على واقع اللُّغة العربيّة وأثر ذلك في تعيّين النُّصوص الَّتي يعتمدها، وانطلقت الدِّراسة لتؤكد فرضية مفادها أَنَّ العربيّة حالة ثابتة كيانيًّا ومقوليًّا وصرفيًّا وليست نتاج تطور تناسليّ عن لُغات سابقة؛ ولقد وسَّعت الدِّراسة -بناء على هذه الفرضيّة- دائرة المصادر الَّتي يجب على المعجم إقرارها لتشمل النُّقوش والعربيّات الدَّارجة باعتبار قِدمها ومجاورتها الفصحى، وأَكدت من ثمَّ على وظائف محددة يمكن أَنْ يؤديها هذا المعجم منها: تمييز العربيّات المتتابعة في الزَّمن، والتَّمييز بين الكلمات المختفية والجديدة، وتمكين المختص من ترجمة نص من عربيّة إلى أُخرى وفق أَهداف معينة، واقترحت الدِّراسة ضرورة تجريد المعاجم العربيّة التُّراثيّة والمعاصرة والبحث عن تاريخ كلماتها ومداخلها خطوة أُولى في مسار بناء معجمنا المنشود.

إنَّ واحدة من الدِّراستين السَّابقتين لم تغفل أَهمية المعاجم التُّراثيّة والمعاصرة وإمكانية الإفادة منها في بناء المعجم التَّاريخيّ بصفتها مصدرًا مهمًا من مصادر هذا المعجم، لكنْ الاستثمار الحقيقيّ لها يمكن تحقيقه –برأينا- من خلال تقييم مبني على أُسس لِسانيّة تاريخيّة مواءمة لطبيعة اللُّغة العربيّة، أَو تجريد جميع ما اشتملت عليه من مواد وتوثيقها على ضوء مبادئ معجميّة دقيقة تستوعب كامل الإجراءات المنهجيّة الَّتي استندت إليها المعاجم التَّاريخيّة السَّابقة، وفي هذا السِّياق تؤكد دراسة الدُّكتور عبد الرَّحمن بودرع «المعجم التَّاريخيّ واستثمار المصادر» أَنَّه رغم الجوامع المشتركة بين المعجم التَّاريخيّ والمعاجم المؤلَّفة فإنَّ هناك ضرورة منهجيّة لحصر مواد هذا المعجم واستقصائها في المؤلَّفات اللُّغويّة الَّتي تدخل في صميم الصِّناعة المعجميّة العربيّة - وإنْ لم يتخذ بعضها من لفظ "المعجم" عنوانًا صريحًا له- وذلك باعتبار الامتداد الزَّمنيّ الكبير لمواد المعجم التَّاريخيّ والإطار المكانيّ الممتد الَّذي يحمل هذه المواد؛ ومن ثمَّ تشرع الدِّراسة في سرد نماذج من فنون التَّأليف الَّتي تساعد في جمع هذه المادة، من هذه الفنون: معجم القلة والبقايا، ومعاجم الفروق، ومعاجم الأَبنية ودلالاتها، ومعاجم الأَساليب المخصوصة ومصادرها، والأَشباه والنَّظائر، ومعاجم التَّغليب، ومعاجم التَّضمين، ومعاجم الإضافات، ومعاجم المتداخِل، ومعاجم الملاحن مؤكدة أَنَّ إعداد هذه الفنون الإعداد المنهجيّ الجيد يساهم في تحقيق فكرة المعجم التَّاريخيّ الشَّامل للُّغة العربيّة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

لا شك في أنَّ مسألة التَّأريخ لمفردات اللُّغة العربيّة في جميع مراحل تطوُّرها تشكّل محورًا أصيلًا من المحاور الَّتي تقوم عليها الفكرة الأَساسيّة في بناء المعجم التَّاريخيّ المنشود، وحول أهمية التَّأريخ الشَّامل لمفردات العربيّة تأتي دراسة الدُّكتور عبد العلي الودغيريّ «التَّأريخ المعجميّ والتَّطوُّر اللُّغويّ» مؤكدة على أنَّ سمة الشُّموليّة المنشودة في عمليّة التَّأريخ المعجميّ لا تتأتى لنا من خلال تتبع السِّير الذَّاتيّة لمجموعة المفردات العربيّة داخل حدودها الجغرافيّة المعهودة فقط، بل لابد من أنْ يصاحب هذا تأريخ لأَطوار تلك المفردات الَّتي انتقلت إلى جغرافيّة لُغات أُخرى ضربت عليها سمات لُغويّة معينة نتيجة تطوُّرها داخل تلك البيئات، وأَشارت الدِّراسة إلى فاعليّة الإفادة مما كُتب عن هذه الأَلفاظ في معاجم اللُّغات الحاضنة دعمًا للتَّعاون والتَّكافل والتَّنوع في مقاربة تأريخ مثل هذه الأَلفاظ، وقد أَفادت الدِّراسة من ذالكم الجهد الكبير الَّذي بذله الدُّكتور الودغيريّ في كتابه «قاموس الأَلفاظ الفرنسيّة ذات الأَصل العربيّ أو المعرب» فجاءت غنية بالأَمثلة الدَّاعمة وبالمناقشة القيمة لكيفيات تفاعل هذه الأَلفاظ مع بيئتها اللُّغويّة الجديدة والتَّطوُّرات الدِّلالية الَّتي أَصابتها، وكانت الدِّراسة قد أَكدت على فاعليّة آليّات التَّأصيل والتَّأثيل والتَّرسيس في عملية التَّأريخ، ولكنَّها في الوقت نفسه قاربت بعض المحاذير الَّتي قد تُصاحب التَّأثيل المؤسَّس -في ردّ هذه الأَلفاظ إلى أُصولها- على تجاهل المرحلة العربيّة، وانتهت إلى ضرورة استقصاء كامل الدَّورة التَّاريخيّة لهذه الأَلفاظ كي تتجنب معاجمنا ذلك التَّأثيل المُضلِّل.

إنَّ التَّأثيل آليّة مهمة من آليّات الكشف عن التَّغيُّرات الشَّكليّة والدِّلاليّة الَّتي تمرّ بها أَلفاظ أي لُغة منذ نشأتها وحتى انقراضها؛ لذا يعدُّ التأثيل أَداة فاعلة في بناء المعجم التَّاريخيّ لاسيما إذا صادف رصد هذه التَّغيُّرات في مرحلة تاليّة تأريخًا زمنيًّا لصوَّرها، وفي هذا الصَّدد تحاول دراسة الدُّكتور عبد الرَّحمن السُّليمان «في ضرورة توظيف علم التَّأثيل في تأليف المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة» أَنْ تبرهن على أَهمية البعد التَّأثيليّ في هذا المعجم، وتبدأ ببيان أُصول القرابة اللُّغوية بين لُغات الأُسرة الواحدة، ثمَّ تعرض للفرق بين التَّأريخ التَّأثيليّ للكلمة والتَّأريخ الزَّمني لها مشيرة بأَمثلة عربيّة متعددة إلى فاعليّة توظيف اللِّسانيّات المقارنة في المعجم التَّاريخيّ ونتائجه المتعلقة بتأثيل المفردات، وإثبات أَصالة الكلمة في اللُّغة، وإثبات العُجْمة وشرح المعاني الأَصليّة، وتصويب المفاهيم الخاطئة، وتفادي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أخطاء التَّرجمة والتَّعريب، وأثر هذا كله في ضبط المعرب والدَّخيل ضبطًا موثقًا بعيدًا عن شطط الشُّعوبيّين وأوهامهم.

ولعل التَّأريخ لأَلفاظ اللُّغة العربيّة مسألة لا تنفصل عن متابعة التَّغيُّر اللُّغويّ الَّذي يصيب هذه الألفاظ، ولما كان مفهوم التَّأريخ لا يشير إلى مجرد السَّرد بل التَّفسير والتَّبرير فإنَّ دراسة الدُّكتور علي القاسميّ «معالجة قوانين التَّغيُّر اللُّغويّ في المعجم التَّاريخيّ» -وقد تبنَّت هذا المنحى- ترى أنَّ التَّاريخيّة الشَّاملة لا يكفي في تحقيقها أنْ يؤرخ المعجم مظاهر التَّغيُّر الطَّارئ على مبنى اللَّفظ ومعناه واستعماله، بل إنَّ تمام تلك السِّمة تفسير هذا التَّغيُّر أو ذاك وفق قوانين علميّة دقيقة مشيرةً إلى أنَّ تفسير التَّغيُّر اللُّغويّ لم ينل من دراسات المعجم التَّاريخيّ العربيّة موفَى حقِّه من بحث في طرق معالجته وكيفيّة تحقيقها رغم تأكيد التَّجربة الفرنسيّة -ممثلة في مقدمة معجم «هاتسفيلد» و«دارمستيتر»- والتَّجربة الأَلمانيّة - في قوانين «غريم» الصَّوتيّة ومعجم الأَخوين- على أَهمية تفسير التَّغيُّر اللُّغويّ وتعليله؛ ومن ثمَّ عرضت الدِّراسة لعلل التَّغيُّر وأَسبابه وأَنواعه ولمست مظاهره في المعاجم التُّراثيّة العربيّة، أَمَّا عن كيفيّة معالجة محرري المعجم التَّاريخيّ لهذه الأَنواع وتفسيرها فقد اقترحت الدِّراسة عدة خطوات تخصّ ضرورة اشتمال مقدمة المعجم على دراسات تنظر في تاريخ العربيّة وأهم التَّغيُّرات الَّتي لحقت بنياتها، وتبرز أَهمية حصر علل التَّغيُّر من خلال الاستعانة بالمدوّنة، وتكشف عن فائدة التَّرميز في المقدمة لكل نوع من أَنواع التَّغيُّر بحيث يوضع داخل متن المعجم وأَمام المواد الَّتي أَصابها التَّغيُّر الرَّمز الخاصّ به. وإلى جانب تلك القضية المهمة عرضت الدِّراسة أَيضًا لسمات المعجم التَّاريخيّ وعلاقاته بغيره من المعاجم الأُخرى كما تناولت مكانة أَسماء الأَعلام في المعجم المنشود.

إنَّ تأريخ التَّغيُّر اللُّغويّ للمفردات العربيّة ركن أَساسي من أَركان بناء المعجم التَّاريخيّ، ولعل «الإنحاء» أي تحوُّل المفردة من المعجميّة إلى النَّحويّة أَو تحوُّل المفردة النَّحويّة إلى درجة نحويّة أَكبر يمثِّل ظاهرة مميزة من ظواهر التَّغيُّر اللُّغويّ، فهو بمثابة عمليّة تغيُّر مركبة إذ ينطوي على مجموعة متنوعة من الآليَّات من بينها: التَّآكل الصَّوتي وفقد الانتماء المقوليّ والخفوت الدِّلاليّ وغيرها؛ ومن ثمَّ فإنَّ دراسة الدُّكتور منتصر أَمين عبد الرَّحيم «الإنحاء ومكانة التَّغيُّر اللُّغويّ في المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة» تأتي في سياق التَّنويه بمثل هذه

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الظَّاهرة؛ فرضياتها وأُسسها النَّظريّة وشواهدها العربيّة وأهميتها بالنِّسبة إلى المعجم التَّاريخيّ وكيفية معالجتها، كذا أكدت الدِّراسة على أهمية مقاربة هذه الظَّاهرة وتتبع صوّرها العربيّة من خلال عرضها لـ«معجم الإنحاء الشَّامِل» الَّذي تضمَّن أكثر من ٥٠٠ لُغة ولَهجة من لُغات العالم ولَهجاته داعية من خلال هذا إلى بِناء معجم عربيّ للإنحاء يراعى خصوصيّة مسارات التَّغيُّر اللُّغويّ في العربيّة.

إنَّ وثاقة الصِّلة الآن بين الكلمة والمصطلح وولوج عددٍ كبيرٍ من المصطلحات متن اللُّغة العامَّة مسألة تستدعي البحث والاستقصاء، وفي هذا الإطار تأتي دراسة الدُّكتور خالد اليعبوديّ «مكانة المصطلح بالمعجم التَّاريخيّ للُغة العربيّة، ودور المدوَّنة في انتقاء المصطلحات وتعريفها» لتبحث طبيعة المصطلحات الواجب إدراجها بمتن المعجم التَّاريخيّ، من حيث درجات اصطلاحيّتها، وأنماط تعريفها، وطبيعة المدوَّنة الَّتي تُستخلص منها. هذا بالإضافة إلى بحث واقع المصطلح بالمعجم الوسيط ومعجم اللُّغة العربيّة المعاصرة، ومقاربة الموضوع على أساس أمثلة من تعريف بعض المصطلحات اللُّغويّة بالمعاجم العامَّة والاصطلاحيّة والموسوعيّة في أُفق تحديد نموذج لتعريف المدخل المصطلحيّ بمتن المعجم التَّاريخيّ المنشود تعريفًا يتوفر على الكفاية الوصفيّة والتَّمثيليّة.

أما دراسة الدُّكتور نواريّ سعوديّ أبو زيد «نحو قاموس تاريخيّ للمصطلحات اللِّسانيّة العربيّة التُّراثيّة» فقدّمت خطة لبناء قاموس تاريخيّ للمصطلحات اللِّسانيّة التُّراثيّة، أي: جملة المصطلحات اللِّسانيّة الَّتي تأسست وشاعت في التُّراث المعرفيّ اللِّسانيّ، واستندت إلى منهج مركب يجمع بين الاستقصاء والوصف والتَّحليل والمقارنة، فبيَّنت أهداف هذه الخطة ومراحل إنجازها، وأشارت كذلك إلى جملة من العوارض الَّتي قد تحد من جديّة وجدوى التَّطبيق. وقد استهدفت الدِّراسة من خلال رسم هذه الخطة: استنهاض همم الباحثين لمشروع الأُمة، والإسهام بالمتاح في رسم ملامح المعجم التَّاريخيّ، وإبراز أهمية بناء بنك مصطلحيّ لسانيّ عربيّ من خلال تتبع المصطلحات التُّراثية المنجزة عبر قرون منذ بداية التَّأسيس؛ ليكون معينًا في تعريب اللِّسانيّات وتوحيد مصطلحاتها.

يعدُّ تعيين عصور العربيّة المختلفة فكرة أساسيّة في بناء المعجم التَّاريخيّ، والحقيقة أنَّه لا يمكن لنا المضي قُدمًا في اعتماد تصنيف ما لمراحل تطوُّر اللُّغة العربيّة وعصورها

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

دون غيره إلا إذا أمكننا مناقشة جميع ما كتب حول هذا الموضوع من دراسات ومقاربات وبخاصّة الدِّراسات الاستشراقيّة الّتي أثمر انشغالها بالبحث في العربيّة وأنواعها وعلاقاتها باللَّهجات والعاميَّات قديمًا وحديثًا عن عددٍ غير قليل من الرُّؤى والنَّتائج؛ ذلك أنَّ مثل هذه المناقشة لها أثرها على تصورنا للعربيّة الّتي سيُبنى عليها المعجم التَّاريخيّ انطلاقًا من ضرورة تعيين حدوده وأبعاده الّتي يتأسس بِناء عليها تعيين ما يجب أنْ يتضمنه هذا المعجم وما يجب أنْ يستثنيه.

وفي هذا السِّياق تأتي دراسة الدُّكتور عبد المنعم السَّيد جدامي «مراحل اللُّغة العربيّة وتنوعاتها والمعجم التَّاريخيّ» لتقدّم لنا لمحات من الإطار العلميّ الّذي نشأت فيه فكرة المعجم التَّاريخيّ في أُوروبا، ثمَّ تعرض لمراحل تطوُّر اللُّغة العربيّة في تصوُّر المستعربين وللمآخذ الّتي واجهتها هذه التَّصورات على ضوء مقاربات بديلة حاولت تعيين الأَطوار المتزامنة والمتعاقبة للعربيّة في عصورها المختلفة. أَمَّا قضية الازدواجيّة اللُّغويّة والمكانة التَّاريخيّة للعربيّة الوسيطة والعربيّة الفصحى فقد شكَّلت محورًا مهمًا من محاور الدِّراسة في تحليل تلك التَّصوُّرات، وتُختتَم الدِّراسة بمناقشة الفرق بين لُغة الشِّعر ولُغة الاستعمال الواقعيّ في سبيل تفنيدها لطرحٍ سابقٍ يقضي بإمكان الاستغناء عن لُغة الشِّعر الجاهليّ والفترة الأولى من عصر صدر الإسلام في التَّأريخ لمفردات العربيّة وبناء المدوَّنة المناسبة.

وتماشيًا مع أهداف المعجم التَّاريخيّ المتمثل أحدها في رصد ألفاظ اللُّغة وتعقب تغيُّراتها (الصَّوتيّة والصَّرفيّة والتَّركيبيّة والدِّلاليّة) عبر المراحل الزَّمنيّة المختلفة في حياة اللُّغة العربيّة تأتي دراسة الدُّكتور أحمد عارف حجازيّ «لفظ الأرض، دراسة لُغويّة تاريخيّة» كي تتتبع لفظة (الأَرض) في العربيّة منذ العصر الجاهليّ وحتى العصر الحديث وترصد لنا عبر رحلة هذه اللَّفظة ما أَصابها من تغيُّر وتبدّل في نطقها وتركيبها ودلالتها ومعانيها داخل التَّعبيرات السِّياقيّة الّتي تضمَّنتها، كل هذا في إطار التَّأكيد على أَهمية البحث اللِّسانيّ التَّاريخيّ في صناعة المعجم المنشود.

وفي أُفق استثمار المنجز التِّكنولوجيّ في حوسبة المعاجم العربيّة عامَّة والمعجم التَّاريخيّ خاصَّة نبدأ هذا القسم من الكتاب بدراسة الدُّكتور أمين عبد الكريم (ميشال) باربو «آليّات تكثيف الدِّلالة الذَّاتيّة والتَّنسيق للإيحاء وأثرها في تكوين شبكة المعجم التُّراثيّ الأَصيل،

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

طريقة مستقبليّة لتلقين المعنى والإمساس والإيحاءات اللُّغوية في دوائر الدِّماغ الاصطناعيّ» حيث تؤكد أنّ إنجاز مشروع المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة ضرورةٌ ماسّة تتعدّى حدودَ اللِّسانيّات بأضيق المعنى، مشيرة إلى جوهريّة العمادين الإنسانيّ والثَّقافيّ في تاريخ معاجم اللُّغات الكبرى. وقصدت الدِّراسة إلى الكشف عن مزايا اللَّغة العربيّة المعجميّة من خلال توظيف المؤلف نظريته الخاصَّة «نظريّة النَّحت الأكبر» تلك الَّتي لا تقتصر على معالجة المادة المعجميّة من خلال التَّصنيفات الصَّرفية واستعراض القواعد النَّمطيّة. وقدّمت الدِّراسة في هذا السِّياق تمثيلات شكلانيّة رأت أنَّها تستوعب حقائقَ النِّظام المعجميّ الأَصيل بتدريب الدِّماغَ الاصطناعيّ على تفهُّم آليّات بناء المعنى المعجميّ في دوائر الدِّماغ البشريّ انطلاقًا من بعض المبادئ والمسلمات الَّتي تتعلق بقوانين استخلاص الدِّلالة المفهوميّة من الصَّوامت الجذريّة.

أمَّا دراسة الدُّكتور عمر مهديويّ «العتاد اللِّسانيّ الحاسوبيّ لرقمنة المعجم التَّاريخي للُّغة العربيّة» فقد عالجتْ تحديات اللِّسانيّات الحاسوبيّة العربيّة، ورصدت أهم المحطات الَّتي يلزم عبورها لتقليص الفجوة الرَّقميّة بين اللُّغة العربيّة واللُّغات المتقدمة تقانيًّا، بالتَّركيز على أهمية الهندسة اللُّغويّة وتقنيّات المعلومات (بما تشمله من أتمتة وقواعد المعطيات، وقواعد المعارف، وتخزين المعلومات واسترجاعها) في بناء المعاجم الإلكترونيّة العربيّة عامّة، والمعجم التَّاريخيّ خاصّة، من خلال توصيف الأَدوات اللِّسانيّة والحاسوبيّة الَّتي تعتبرها شرطًا من شروط المعالجة الآليّة للُّغة العربيّة.

ويُختتَم هذا القسم بدراسة الدُّكتور حسن درير «المعاجم العربيّة في ضوء تكنولوجيا المعلومات الجديدة، إمكانيّات استثمار البرامج الآليّة في بناء قاموس تاريخيّ للُّغة العربيّة» حيث بحثت بصورة مفصَّلة مجموعات المعاجم العربيّة الَّتي استثمرت برامج آليّة، وهي جوامع المعاجم الاليكترونيّة أو «عارضات المعاجم» مثل: Lingoes, Babylon, Everest, Golden Dict وغيرها. وعمدت إلى تقييم منهجياتها وعرض أهم مشاكل المعجميّة العربيّة في سياق التَّحوُّل من الورقيّ إلى الرَّقميّ من خلال تجربة معجم «لسان العرب» ومعاجم أُخرى ثنائيّة اللُّغة، كما تطرَّقت إلى إمكانيّات تطبيق البرامج الآليّة بغرض حوسبة المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة بالاستفادة من مستجدات اللِّسانيّات الحاسوبيّة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وأخيرًا تتضمَّن قراءة الدُّكتور خَالد اليعبوديّ «القضايا اللُّغويّة النَّظريّة والتَّطبيقيّة لمشروع بناء المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة من خلال كتاب "نحو معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة"» عرضًا للموجبات العلميّة والقوميّة والحضاريّة الَّتي تستلزم تدارك هذا النَّقص المخل برصيد الثَّقافة العربيَّة ببناء المعجم التَّاريخيّ، وكشفًا عن منهجيّة لجنة بناء هذا المعجم (التَّابعة للمركز العربيّ للأبحاث ودراسة السِّياسات بالدَّوحة) في بناء مشروع الأُمة، كما تشمل القراءة استقراء لأُفق استثمار إجراءات التَّرسيس والتَّلازم الدِّلاليّ، وتحديدًا لخصائص الجُذاذة وسُبل تدوين الشَّواهد والأَمثلة المرتبطة بمداخل المعجم التَّاريخيّ ونظام ترتيبها ودور المعلوميَّات في صياغة برامج حاسوبيّة تراعي خصوصية ترميز الكتابة العربيّة وطبيعة أَنساقها الصَّرفيّة والتَّركيبيّة، مع محاولة تقييم هذه البرامج لتحديد مدى كفايتها في عرض خصائص مداخل المعجم المنشود.

وفي الختام نودُّ أَنْ نتقدَّم بجزيل الشُّكر إلى مركز الملك عبد الله الدُّوليّ لخدمة اللُّغة العربيّة وجميع القيمين عليه، وإلى سعادة الدُّكتور إبراهيم أبانمي مستشار المركز لمتابعته تسيير إجراءات نشر هذا العمل. كذا لا يفوتنا أَنْ نتقدَّم بخالص الشُّكر وجميل العرفان إلى جميع الأَساتذة الفضلاء الَّذين شاركوا معنا، وإلى الأَساتذة الَّذين تحمَّسوا لهذا العمل وحالت دون مشاركتهم مشروعاتهم والتزاماتهم العلميّة.

والله من وراء القصد..

د. منتصر أَمين عبد الرَّحيم

د. خالد اليعبوديّ

الطَّائِف/فَاس

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

التّنوع اللُّغويّ الزّمانيّ: حول الإعداد للمعجم العربيّ التّاريخيّ[(١)]

د. محمد حلميّ هليّل
أستاذ اللسانيات – جامعة الإسكندرية

يدور البحث حول المشاكل التي تكتنف الإعداد لتنفيذ المشروع الطموح: "المعجم العربي التاريخي" فيبدأ بإلقاء الضوء على فكرة المعجم التاريخي متخذًا من معجم أكسفورد التاريخي الإنجليزي نقطة انطلاق محاولًا الإفادة من هذه التجربة الرائدة، ثم يعرج على المعاجم العربية القديمة والحديثة ليحدد نقائصها ويقترح حلولًا لها، ثم يبرز أهمية المعجم التاريخي ودواعي وضعه ويلمس تجربة فيشر الرائدة في هذا المضمار. كما يرسم البحث الأسس اللازمة لوضع المعجم العربي التاريخي، فيعالج التوثيق والتأصيل والبيانات والتعريف وطرائقه والمصطلح الفني ومظاهر أخرى جديرة بأن تُختصّ بالعناية مثل المركبات والمتلازمات اللفظية والتعابير الاصطلاحية والاشتراك والتجنيس، وينتهي بعرض مخطط لمدخل في المعجم المقترح مهتديًا في ذلك بمعجم أكسفورد الإنجليزي في طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٨٩.

فكرة المعجم التاريخي:

بدأت فكرة المعجم التاريخي الإنجليزي The Oxford English Dictionary بقرار من الجمعية الفيلولوجية سنة ١٨٥٧ بناء على اقتراح من كبير الأساقفة ريتشارد ترنش Richard Trench ضمنه في بحث ألقاه أمام الجمعية وعنوانه "من مثالب معاجمنا الإنجليزية" "On Some Deficiencies in Our English Dictionaries" وفيه وضّح ترنش المبدأ التاريخي باعتباره الأساس الوحيد الصحيح لفن المعجمية وحدد ما يجب أن يحتويه المعجم، وقرَّ عَزْم الجمعية على أن تجمع المادة لمعجم يمكن بكمال مفرداته وإتباع الطريقة التاريخية في دراسة حياة الكلمات واستعمالها أن يكون جديرًا باللغة الإنجليزية وعلمائها، وانطلاقًا من هذا المفهوم تقرر البدء من البداية وذلك باستخلاص الشواهد المثلة

---

(١) ألقي ملخص هذا البحث في المؤتمر الدولي للسانيات العربية – بوخارست- سنة ١٩٩٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لاستعمال الكلمات من جديد وجمعها من أعمال عظام الأدباء الإنجليز وكل الكتاب في الحقول المعرفية الخاصة التي قد تمثل أعمالهم تاريخ الكلمات المستعملة في معانيها الخاصة ومن كل الكتاب قبل القرن السادس عشر ومن أكبر عدد ممكن من الكتاب للأزمنة اللاحقة.

وشرع مئات من القراء في العمل من اختيار وإعداد للشواهد وبدأ كثير من مشاهير العلماء في ترتيب المادة. وقد استغرقت قراءة المصادر وتجميع الشواهد لهذه المرحلة التحضيرية من العمل الجبار وقتًا طويلًا حتى تجمّع حوالي ٢ مليون شاهد تم ترتيب أجزاء منها ترتيبًا مؤقتًا وأصبحت مُعدّة للاستعمال.

ومضت عدة سنوات دون اتخاذ أي خطوات جديدة حتى حلّ عام ١٨٧٨ فقدمت عينات من العمل للمحرر وفي عام ١٨٧٩ بدأ العمل الفعلي، وبعد فحص الشواهد فحصًا دقيقًا بعد جمعها لأول مرة في مكان واحد وبعد ترتيبها ألفبائيًا تبين أنه لابد من انقضاء وقت طويل حتى تصبح المادة التي تفي بغرض المعجم جاهزة. وعلى ذلك تم إصدار نداء للمتطوعين من القراء لتجميع شواهد إضافية من كل الكتب التي تم تحديدها والتي كان يتم نشر قوائم لها من وقت لآخر، وقد استجاب أكثر من ٨٠٠ قارئ لهذا النداء أغلبهم من بريطانيا وعدد كبير منهم من الولايات المتحدة الأمريكية والمستعمرات البريطانية وبلاد أخرى أجنبية.

وفي بحر ثلاثة أعوام انتهى إعداد مليون شاهد إضافي فأصبح العدد الكلي ينيف على ثلاثة ونصف مليون قام باختيارها ١٣٠٠ قارئ من حوالي ٥٠٠٠ مؤلف لكل العصور، وقد قدم حوالي ٣٠ من مساعدي التحرير خدماتهم المجانية لترتيب الشواهد وإعداد التعريفات بل والإسهام في عملية التنفيذ، بدون هذا العون السخي من المساهمين في هذا السفر لم يكن بالإمكان تحقيق هذا الحلم.

كان هدف المعجم إعداد وصف شامل ضاف لمعنى الكلمات الإنجليزية المستعملة حتى الوقت الحاضر وأصلها وتاريخها أو الكلمات التي عرف أنها كانت مستعملة في أي وقت خلال السنوات السبعمائة الأخيرة، وقد حاول المعجم:

١- أن يبين فيما يختص بكل كلمة مفردة متى وكيف وبأيّ شكل وبأيّ معنى أصبحت كلمة إنجليزية وأيّ تطور في الشكل أو المعنى طرأ عليها وأيّ استعمالات جديدة اكتسبتها وأيّ من هذه الاستعمالات أصبح مهجورًا وأيّها بقي مستعملًا.

٢- أن يصور هذه الحقائق بسلسلة من الشواهد تتراوح بين أول ظهور معروف للكلمة إلى

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

آخر ظهور لها أو حتى الوقت الحاضر، وبذا يتمّ عرض تاريخ الكلمة ومعناها.

٣- أن يعالج تأصيل كل كلمة على أساس صارمٍ من الحقائق التاريخية ووفقًا لطرائق ونتائج البحث العلمي الفيلولوجي.

من الملحوظ أن المعجم نشر ما بين ١٨٨٤ – ١٩٢٨ في ١٢٨ جزءًا وقد بدأت الجمعية الفيلولوجية العمل في المعجم عام ١٨٦١ وظهر آخر جزء منه في بداية عام ١٩٢٨ أي بعد ٤٤ سنة من وقت البدء في المشروع، وكان قد قدر للانتهاء منه مدة عشر سنوات.

يحوي المعجم ١٥٤٨٧ صفحة، و٤١٤٨٢٥ مدخلًا، و١٠٧٥٥٥تجمعًا، و١٨٢٧٣٠٦ من الشواهد تم اختيارها من ٢ مليون جذاذة استشهاد، هذا وقد ظهرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٨٩ وبها تعريفات لحوالي نصف مليون كلمة وتمثيل للتعريفات لحوالي ٢.٤ مليون شاهد، وقد أدمج في هذه الطبعة المعجم الأصلي مع أربعة ملاحق لنفس المعجم في نظام ألفبائي واحد وحُدِّث المعجم ليشمل لغة النصف الثاني من القرن العشرين وقد أضيفت له حوالي ٥٠٠٠ كلمة ومعنى جديد، أي أن المعجم استغرق ١٣٢ عامًا تم فيها إنتاج ٢٠ مجلدًا رائعًا تضم ٢٢٠٠٠ صفحة (انظر نشرة الإعلان عن المعجم ١٩٨٩).

أما معجم أكسفورد القصير The Shorter Oxford فقد احتفظ بكل صفات العمل الرئيسي في صورة مصغرة، وقد صمم لا ليضم اللغة الإنجليزية المعاصرة الأدبية والعامية والمصطلحات العلمية والتقنية المتداولة بل أيضا جزءًا لا يستهان به من الكلمات البائدة والمماتة واللهجية واستعمالاتها. وقد حوى معجم أكسفورد القصير ٢٥٠٠ صفحة وهو معجم تاريخي يضم اللغة الإنجليزية من عهد الملك "ألفريد" حتى الوقت الحاضر. وتشمل مقدمته قائمة طويلة للمؤلفين والكتب التي استقيت منها المادة (٧ صفحات كل منها مقسم إلى ثلاثة أعمدة).

ومن الأمثلة الأخرى للمعاجم التاريخية معجم جريم Grimm ويعرف بالمُعجم الألماني Deutsches Worterbuch ونشر ما بين مايو ١٨٥٢ ويناير ١٩٦١ في ٣٨٠ جزءًا و٣٢ مجلدًا كبيرًا ويحوي ٦٧٤٨٦ عمودًا (انظر Merkin ١٩٨٣: ١٢٥) أي أنه استغرق أكثر من مائة عام.

ومن المعاجم التاريخية التي لم تكتمل بعد نذكر معجم Woordenboek der Nederlandsche Taal الهولندي الذي بدأ العمل فيه عام ١٨٤٤ بمبادرة من Matthias de Vries في المؤتمر الهولندي الأول للغة والأدب الذي عقد في غنت Ghent وظهر الجزء الأول منه سنة ١٨٦٤ والمجلد الكامل في ١٨٨٢ وظهر منه حتى الآن ٤٦٨ جزءًا (٢٥ مجلدًا).

أما بالنسبة إلى المعاجم الجاري العمل فيها الآن فهي كثيرة ومنها ما هو إسباني وفرنسي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وسويدي وكلها استغرقت آمادًا طويلة منذ بداية العمل فيها. كما يذكر Singh ١٩٨٢ أن معجم الملايلام Malayalam الذي بدأ العمل فيه عام ١٩٥٣ لم يظهر منه حتى الآن إلا أربعة مجلدات وأما المعجم السنسكريتي Sanskrit Dictionary الذي بدأ العمل فيه سنة ١٩٥٢ فقد ظهر منه حتى الآن مجلدان فحسب.

وجديرٌ بالذكر أنّ المعاجم التي بدأ العمل فيها بعد الخمسينات تعتمد اعتمادًا متزايدًا على الحاسب الآلي أو ما يعرف بـ Computer-generated lexical archives (السجلات المعجمية المولدة آليًا). ومن أمثلتها معجم Trésor de la langue Française وقد بدأ العمل فيه سنة ١٩٦٠ ويستعمل الحاسب الآلي في سجلاته ويشمل ٩٠ مليون من الشواهد تم استخلاصها من ألف نص ٨٠% منها أدبي و٢٠% منها غير أدبي، أي من حقول مختلفة، ويقول (Zgusta١٩٧١: ٣٥٥-٣٥٤) عن هذه المعاجم: "إن المعاجم الأكاديمية لن تنشر بعد اليوم وحتى المعاجم التي تشمل عشرة أو عشرين من المجلدات لا يمكنها تمثيل كل المادة التي يحتويها السجل"؛ لذا يتساءل "لماذا ننشر شكلًا مختزلًا من ٢٠ مجلدًا مثلًا للمواد إذا كان اختزالها في واحد أو اثنين أو أربعة مجلدات كاف للتعريف بالمادة لأول مرة التي لابد وأن يتبعها على أي حال البحث في السجل". كما يقول (Aitken ١٩٧١: ١٦): "يبدو أن وجود السجل الحاسوبي سوف يعفينا غالبًا من الحاجة إلى تحميل رفوف المكتبة بمعاجم لا تزال كبيرة حجمها وزاخرة بمعلومات لا تزال تفصيلية ولا تهم غير القلة من الناس".

فإذا ربطنا كل ما تقدم بالخطة الطموحة لوضع معجم عربي تاريخي يتضح ما يلي:

- لابد أن نأخذ في الحسبان المدة الزمنية التي يحتاجها معجمنا العربي بالمقارنة بالمعاجم الأخرى وأن اللغة العربية ليست كغيرها من اللغات فهي من أقدم اللغات الحية عهدًا وأطولها حياة فيمتد شعرها في التاريخ خمسة عشر قرنًا ونثرها ما لا يقل عن ثلاثة عشر قرنًا. كل هذا يستدعي وضع خطة دقيقة محسوبة للعمل في هذا المعجم وتكلفته ولابد من الالتزام بالقرارات الأولى الدقيقة لهذه الخطة حتى لا نضطر إلى إحداث تغييرات كبيرة في مراحل لاحقة أي الاحتفاظ بالشكل الأساسي على أن تكون الإرشادات كاملة وموضحة بأدق تفاصيلها.
- إن قيام جيش من المتطوعين بالعمل في معجم أكسفورد وإعدادهم جذاذات لثلاثة عشر مجلدًا مع ترتيبها ألفبائيًا بعد ذلك ثم قيام المحررين بدراستها واستخراجهم لمعاني الكلمات وتغيراتها يجعلنا نتساءل عن مرحلة الجمع لمعجمنا العربي المقترح هل يمكننا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تجنيد جيش من المتطوعين والمحبين للغة العربية في كل الأقطار العربية مع مكافأتهم ماديًا؟ فقد ظلت مطبعة جامعة أكسفورد OUP تجمع الجذاذات بالطريقة التقليدية حتى لملاحق المعجم.

- يثار التساؤل عن استخدام الحاسب الآلي في كثير من مراحل معجمنا المقترح (انظر OED الطبعة الثانية ١٩٨٩) يقول علي نبيل (١٩٨٨: ٤٥٩) " إن المعجم منظومة معقدة بل غاية في التعقيد لدرجة يتعذر معها فهم أدائها ومحاصرة ظواهرها في ظل القيود التي تفرضها الوسائل اليدوية التقليدية لبناء المعاجم وتحديثها واستخدامها، ولم تعد ميكنة المعجم باستخدام الحاسوب أمرًا من قبيل الرفاهية الفنية، بل مطلبًا أساسيًا تفرضه طبيعة العمل". وإن صح هذا عن المعاجم الصغيرة (انظر في استخدام الحاسوب مشروع معجم COBUILD ووصفًا للحوسبة المعجمية في١٩٨٧ Sinclair وكذلك ١٩٩٠ Benbow) فما بالنا بمعجم ضخم كالمعجم التاريخي. ثم إن عملية التحديث لمعجم أكسفورد بعد اتساع مدى المفردات في اللغة الإنجليزية اتساعًا كبيرًا بسبب التطور العلمي والتقني وأثره على اللغة استدعى وضع ملاحق للمعجم، وقد سهّل أمر إنجاز هذا العمل أن ملفات المعجم تم معالجتها آليًا وبذا أصبحت عملية التحديث ممكن أداؤها.

إن عظم المسئولية الملقاة على عواتقنا والفترة الزمنية التي استغرقتها المعاجم التاريخية في التجارب التي ذكرناها تجعلنا نتساءل:

- ألا يمكننا أن نأخذ اقتراح Zgusta (١٩٧١) في الحسبان أي الاعتماد على الحاسب الآلي واختزال المجلدات الكثيرة إلى عدد قليل كما هو الحال في معجم أكسفورد القصير على أن تبقى الذخيرة اللغوية الكاملة مخزونة في الحاسب الآلي.
- أيمكننا لتحقيق طموحاتنا أن نلجأ إلى الحل العملي وهو اللجوء إلى معاجم الفترات الزمنية Period Dictionaries وقد كان Craigie (انظر Ali-Kasimi ١٩٧٧) أول من اقترح أن تكون هناك سلسلة من المعجمات يختص كل واحد منها بفترة تاريخية معينة مثل معجم الإنجليزية القديمة، ومعجم الإنجليزية الوسطى ومعجم الإنجليزية الحديثة مثال ذلك معجم Hans Kurath ١٩٥٢، أي أنه يجب القيام بتصنيف واسع لفترة برمتها على أن يبنى هذا التصنيف على معايير محددة ثم نقوم بتحليل أعمالها تحليلًا كاملًا بدلًا من أن نأخذ اللغة في كل تاريخها دفعة واحدة أي هل يمكننا كخطوة أولى وضع معاجم للفترات الزمنية وذلك بتفريغ عدد من الباحثين للشعر أو النثر ليضعوا له معجمًا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مقصورًا عليه، وعدد آخر لدراسة المصطلحات التراثية والحديثة في حقولها المختلفة ومن نتائج هذه الجهود يأتلف المعجم التاريخي للغة.

معاجمنا القديمة والحديثة

إن معاجمنا القديمة، إذا نظرنا إليها بمقاييس اليوم نجدها تعاني من علل كثيرة نوجزها فيما يلي ونقترح لها حلولًا:

- تعاني المعاجم القديمة من التحريف والتصحيف.
- المعجميون العرب الأوائل يقتصرون على الاستشهاد من الأدب الجاهلي والقرآن الكريم وكان الاحتجاج بالحديث الشريف موضع نظر، وقد اعتبر فيشر (١٩٦٧) من عيوب هذه المعاجم أنها أغفلت كثيرًا من الآداب النثرية مثل "قصص البطولة وأيام العرب وكتاب السيرة لابن هشام... وغيرها من كتب الأدب القديمة وقد حوى هذا الأدب المنثور كلمات وتراكيب كثيرة لا أثر لها في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر القديم، وهو من بعض النواحي يقدم لنا صورة من اللغة العربية القديمة أحسن مما يقدمه الشعر".
- وقوف هذه المعاجم عند فترة زمنية لم تتجاوزها وهي القرن الثاني بالنسبة لعرب الحواضر والرابع بالنسبة لعرب البوادي فأصاب ذلك اللغة بالجمود ولم يتح تتبع التطور الذي لحق بدلالات الكلمة.
- إن هذه المعاجم لم تجمع كل كلمات اللغة العربية بل جمعت الفصيح منها فقط، يقول فيشر في مقدمة معجمه التاريخي: "إن منتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجمًا تاريخيًا، ويجب أن يحتوي المعجم التاريخي على كل كلمة تدوولت في اللغة، فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها. ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه، إذ أنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة".
- إن عمليات التدوين سواء من حيث الجمع أو النقل تميزت لمدة طويلة من حياة اللغة العربية بالتمسك بصفائية اللغة وفصاحتها فاعتمد المعجميون أساسين لذلك أحدهما زماني وهو تدوين ما قيل أو سمع من أدب الجاهلية وصدر الإسلام وثانيهما مكاني وقد اعتمد الجمع فيها على ما نطقت به البدو دون الحضر بل ما نطقت به قبائل معينة ظنوا أنها كانت بعيدة عن التأثر بالأعاجم. فيسمي الجوهري مثلًا معجمه بالصحاح لأنه "ألزم نفسه بما صح عنده رواية وسماعًا ومشافهة من أصحاب اللغة الأصلاء".

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- تجاهلت هذه المعاجم الكثير من ألفاظ الحضارة العربية وجل مصطلحات العلوم من طب ونبات وكيمياء ورياضيات وفلسفة وتاريخ وفلك وغيرها، لذا يتساءل الخطيب (١٩٨٧: ٥٩٩) : ترى لو مسحنا الشوامخ والأمهات من كتب التراث العربي من أعمال الجاحظ والأصفهاني والمسعود وابن عبد ربه والبيروني والإدريسي والقالي وابن حوقل وابن عمران والطوسي وابن سينا والرازي وابن الهيثم وابن البيطار والإنطاكي وابن الأثير والطبري وابن خلدون وعشرات غيرهم – كم من آلاف الشوارد في تراثنا نجد مما لا ذكر له في المعاجم؟".

أشار الحمزاوي (١٩٨٥: ١٧٢-١٧٣) إلى قضية هامة وهي أن المعجم العربي قديمًا وحديثًا لا يصف اللغة لأنه يعتمد ألفاظًا وظائفيًا متنافرة سواء في مستوى النوعية (الألفاظ العامة والمهنية، والفنية، والعادية، والمعربة، والدخيلة، والعامية، والسردية، والبذيئة، والحوشية والملاحنات... إلخ) أو في مستوى الزمان لأنه يخلط بين النظرة التاريخية التطورية (الديكرونية) والنظرة الآنية المستقرة (السنكرونية)، وأن قضية اختيار المداخل من حيث المحافظة والحداثة قضية اعتباطية لا تخضع إلى حد الآن إلى قانون معين.

كما يشير الحمزاوي (١٩٨٧: ٣٦٣) إلى وظيفة المعاجم التي درسها وهي (محيط المحيط، وتكملة المعاجم العربية، ومعجم إلياس العصري، والمنجد، والسبيل، والمعجم الوسيط) من حيث ضبط منزلة الاستيعاب أي المحافظة والحداثة ومن حيث الآنية والزمانية اللسانيين أي استيعاب ما استقر من اللغة أو ما طرأ عليها من حديث متطور، وقد توصّل الحمزاوي في بحثه إلى أن قضية الاستيعاب "مشوشة لانعدام تطبيق مبادئ معجمية تطبيقًا واضحًا فكان لابد أساسًا من ضبط مفهوم الجمع وميادينه أو ضبط الحقل المعجمي سواء في المستوى الآني أو في المستوى الزماني".

نستنتج من هذا:

أنه كما بدأ القائمون على معجم أكسفورد التاريخي بالنظر إلى اللغة نظرة جديدة حين قررت الجمعية الفيلولوجية عام ١٨٥٧ أن المعاجم الإنجليزية غير كاملة وقاصرة وأن اللغة بأكملها بدءًا من العهود الأنجلوسكسونية وما بعدها تحتاج إلى الدراسة من جديد، فعلى القائمين على المعجم العربي التاريخي:

- استقصاء المصادر العربية على ألا يقتصر التحري على المعاجم والقواميس القديمة وحدها بل يشمل مجموع التراث من علم وأدب وفن وتقنيات وعلوم قرآنية وحديثية وأصولية وفقهية وغيرها.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- إعادة استقراء النصوص القديمة نفسها من جديد لتخلص معاجمنا القديمة مما فيها من تحريف أو تصحيف.
- استقراء المعاجم اللغوية القديمة ومعاجم المصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي، تعريفات الجرجاني، كليات أبي البقاء وغيرها من المعاجم المتخصصة لاستخراج المصطلحات المولدة ليسهل بعد ذلك وضعها في المعجم التاريخي مع تعريفاتها وتحديد حقولها.
- في المعجم العربي التاريخي علينا أن نختار شواهدنا من جميع عصور اللغة العربية كالعصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر العباسي وعصور الانحطاط والعصر الحديث على أن يُشار إلى زمن استعمال الكلمة في المعجم.
- لابد من إزالة الحدود الزمانية التي أقيمت خطأ بين عصر العرب الفصحاء وعصر المولدين وكذلك هدم الحدود المكانية التي أقيمت بين عرب شبه الجزيرة العربية الذين صفت لغتهم وبعُدت عن مواطن التأثر بالأعاجم (انظر مطر ١٩٨٧: ٥١٠).
- الحاجة إلى ضبط الحقل المعجمي من حيث:
  - المداخل الواردة أو الألفاظ الأصول.
  - مستوى السياق.

وقد لاحظ الحمزاوي ١٩٨٧ أنه من حيث مستوى السياق ثمة مزج بين القديم والحديث بنسب متفاوتة لا تعتمد على مبدأ معين لا من الآنية ولا من الزمانية. وضرب لذلك مثلا بالمعجم الوسيط كما يذكر (ص ٣٧١) أن "أغلب المساقات لا تخضع لمقاييس لسانية معجمية معينة فهي مسرودة حسب اعتبارات كمية وكيفية أقل ما يقال عنها أنها اعتباطية"، أي أن هناك فوضى على مستوى الجمع والوضع ولا حل لذلك إلا بوضع المعجم التاريخي الذي يتضمن مدلول الكلمات تاريخيًا ويُدوِّن كل الاشتقاقات ومعانيها الجديدة ويُسجِّل الاستعمالات المعاصرة التي استدعاها التطور الحضاري وحاجاته بما في ذلك الفيض الوافر من المصطلحات في الحقول المعرفية المختلفة.

ما الداعي إلى هذا المعجم؟

لابد قبل البدء في وضع المعجم التاريخي أن نعالج قضية مستعمل المعجم واحتياجاته، وقد قال Johnson في عام ١٧٤٧ إن "قيمة العمل يمكن أن تُقَيَّم باستعماله"، من ثم فلابد لنا من تحديد الاحتياجات الواضحة لهذا النوع من المعاجم تحديدًا دقيقًا لارتباط ذلك ارتباطًا وثيقًا بطريقة التنفيذ من ناحية المعالجة المعجمية. ولابد لنا أيضًا من أن نأخذ بعين

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الاعتبار الوظائف التي يقوم هذا المعجم بالإيفاء بها.

ماهية المعجم:

يهدف المعجم التاريخي أساسًا إلى تتبع كل كلمة في اللغة منذ أول وقت لظهورها عن طريق مجموعة من الشواهد والمراجع المختارة من المصادر الأدبية وغير الأدبية المرتبة حسب التسلسل التاريخي لإثبات التالي: (انظر Merkin ١٩٨٣: ١٢٣)

أ- وجود الكلمة في فترات تاريخية مختلفة وأماكن مختلفة وأجناس مختلفة من اللغة (Genres).

ب- التغيرات التي طرأت على معنى الكلمة واستعمالها وشكلها وهجائها ونطقها.

ج- التعابير الاصطلاحية المرتبطة بها وكذلك المتلازمات المتكررة الحدوث Collocations.

د- مظاهر الكلمة المورفولوجية والتركيبية.

هـ- صفات الكلمة الأسلوبية.

فوائد المعجم التاريخي:

١- هو سجل دقيق للحفاظ على اللغة القومية ذات التاريخ الطويل المسجل، وهو مصدر للدراسات اللغوية ومرجع لا غنى عنه (نحو، تلفظ، تراكيب، اللغة والمجتمع... وغيرها).

٢- يمكن استخدام المعجم باستشارة المجال الدلالي الخاص بالمصطلح الذي يقوم المستعمل بالبحث عنه ليحصل على ما يريد سواء بالنسبة إلى المصطلح القديم أو الحديث وعلى تعريفه.

٣- المساعدة في استخراج الجذور والصيغ والتحديد الدقيق لمعاني كل صيغة باستقراء كل الكلمات المصوغة عليها (انظر صالح ١٩٨٦) وهذا سيُمكّننا من وضع مقاييس دقيقة لتوليد المصطلح العربي وتخصيص كل بناء لمفهوم علمي أو تقني معين على غرار ما يفعله الواضعون للمصطلح الغربي باستعمال السوابق واللواحق.

٤- حصر المتلازمات اللفظية والتعابير الاصطلاحية قديمها وحديثها وهذا ما تعاني من النقص فيه معاجمنا العربية.

٥- غربلة مفردات العربية وإعادة دراسة ظاهرتي الترادف والاشتراك اللفظي على أسس صحيحة مما سيكون له أثر طيب في وضع المعاجم العامة ومعاجم المترادفات.

٦- سيلقي هذا المعجم أضواء على العربية الحديثة التي يكتب بها العرب المعاصرون في الأدب والصحافة والتأليف العلمي والتي بدأت تأخذ صورتها الأولى مع مطلع عصر النهضة الحديثة في العالم العربي ومازالت حتى اليوم تواصل تطورها لتواجه حاجات

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الحياة الفكرية والحضارية.

المعجم العربي التاريخي: تجربة فيشر الرائدة

كان من بين أهداف مجمع اللغة العربية بالقاهرة وضع معجم تاريخي للغة العربية وقد عهد بإنجاز هذا العمل إلى المستشرق الألماني أوجست فيشر (اجتماع لجنة المعجم في ٧ مارس ١٩٣٥) وكان حجة في اللغات الشرقية عربية وعبرية وسريانية وحبشية وفارسية وغيرها، وقد امتاز بعلمه الواسع في أصول اللغة وفن المعاجم واللهجات. قضى فيشر أربعين سنة في جمع معجمه وتنسيقه ولكنه توفي قبل إنجازه فأخذ المجمع على عاتقه إتمام هذه المهمة وحاول جاهدًا الحصول على ما كتبه فيشر لكنه لم يعثر إلا على جزء صغير واكتفى بطبع الجزء الذي حصل عليه.

يهمنا هنا منهج فيشر الذي شعر بالحاجة الماسة إلى هذا المعجم التاريخي لأن معاجم العربية مع غناها لم تعن بهذا الجانب فأكد على:

١- ضرورة معالجة الكلمات من النواحي السبع التالية: التاريخية والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية.

٢- ضرورة معرفة الأطوار التاريخية للكلمة واستعمالاتها في الأزمنة المتعاقبة فلابد أن يعرف اشتقاقها وأصلها ونسبها ولابد أن تعرف تصاريف الأفعال والأسماء، ومن الناحية التعبيرية لابد أن يقدم المعنى العام على الخاص والمعنى الحسي على المعنى العقلي، ومن الناحية النحوية لابد أن يعرف الفعل أمتعد أم لازم؟ ومن الناحية البيانية لابد أن تدرس صيغ الإتباع والمزاوجة وما جرى مجرى الأمثال، ومن الناحية الأسلوبية لابد أن يعرف المحيط اللغوي للكلمة.

أما من حيث جمع المواد فقد ارتأى وضع جذاذات تسجل عليها الكلمات المختلفة ومعها المشتقات وجذاذات أخرى لكل صيغة يذكر فيها معناها واستعمالها وأول من استعملها بذلك المعنى كما يذكر بدقة اسم الكتاب ورقم الصفحة التي يوجد بها الشاهد. أما من ناحية الاشتقاق فتناول بحث أصل الكلمة، وأما المعربات فترد إلى أصولها على قدر الإمكان، ولتحقيق هذه الغاية "لابد لمؤلف المعجم أن يكون متمكنًا من اللغات السامية وكذلك الفارسية والتركية واليونانية".

لقد كان منهج فيشر نقطة بداية على الطريق الصحيح إلا أن المجمع لم يستطع أن ينهض بهذه المهمة بل انصرف عن فكرة تأريخ الكلمات مع الأخذ بفكرة أن "العربية قديمة وحديثة معًا فهي تضرب بجذورها في أعماق الزمن منذ الجاهلية، ولا تزال كلماتها تخفق

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بالحياة من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر حتى اليوم" (ضيف ١٩٨٤: ١٥٦)، وأكبَّ المجمع منذ عام ١٩٤٦ على إخراج معجمه الكبير الشامل لألفاظ اللغة العربية قديمها وحديثها وقد ظهر منه في ٤٠ سنة جزءان تضمن أحدهما حرف الهمزة والثاني حرف الباء وهما يغطيان ما لا يزيد على ١٥ % من المعجم المقترح، وقد عاب درويش (١٩٦٥: ١٥٢) على هذا المعجم:

١- نقل كثير من الآراء عن الكسائي والخليل والليث دون الرجوع إلى مؤلفات هؤلاء العلماء وترديد ما ذكرته كتب اللغة والمعاجم السابقة.
٢- الافتقار إلى المصدر الكامل وتحديده للشاهد.
٣- التعبيرات التي وردت في شرح المفردات لا تختلف كثيرًا عما ورد في الكتب اللغوية السابقة وفي المعاجم التقليدية.

نحو خطة لوضع المعجم العربي التاريخي:

١- التوثيق:

إن عملية التوثيق هي أهم الخطوات التي ينبغي إعدادها بعناية في هذا المشروع الكبير، ويجب أن ننوه هنا بمشروعين عربيين يمكن الإفادة من تجميع مادتيهما، وهما:

١- الذخيرة اللغوية العربية/ الجزائر

وهو مشروع تقدم به معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر (صالح ١٩٨٦) ويتجه المشروع إلى التدوين المنتظم لكل ما ورد في النصوص القديمة (العلمية والتقنية خاصة) واستعمل بالفعل بمعنى من المعاني، وأن يستعان مع هذا بأجهزة الحاسب الآلي، ويوزع العمل على الأقطار العربية، وقد شرع المعهد بتخزين عدد كبير من النصوص في ذاكرة الحاسب الآلي وعلاجها آليًا لاستخراج شتى المعلومات (انظر صالح ١٩٨٦: ٤٥).

والذخيرة اللغوية عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية:

١- يحصر جميع الألفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط، بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة والحديثة والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر مع الإشارة إلى انتماء الكلمة إلى الفصيح أو المولد.
٢- يعرض كل السياقات الحقيقية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المصدر بدقة.
٣- ترتب فيه المادة أساسًا إلى:
أ- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ب- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).
ج- ترتيب بحسب درجة تواتر الكلمة أو المصطلح (عدد مرات ظهورها في النصوص).
د- ترتيب حسب العلوم والفنون.

وتنقسم الذخيرة إلى قسمين:

أ- رصيد لغوي ضخم جمعت فيه ورتبت المادة الخام. (بنك معلومات لغوية).
ب- موسوعة أو معجم محرر يحتوي كل مدخل فيه على ما يلي:
تحليل دلالي للفظة انطلاقًا من السياقات وحدها لتوضيح:
- معنى المادة الأصلية (الجذر).
- معاني المشتقات من تلك المادة (معاني فنية وغير فنية).
معلومات نحوية وصرفية وصوتية بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة قديمًا وحديثًا (ذكر المراجع).
معلومات تاريخية عن:
- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل.
- ذكر تاريخ أول ظهور للكلمة في النصوص المجمعة.
- ذكر تاريخ أول تحول دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة).
- ذكر تاريخ آخر ظهور للكلمة إن اختفت من الاستعمال.
- وصف إجمالي تفسيري للتطور الدلالي للكلمة.
- بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية.

ويذكر صالح (١٩٨٦: ٥٢) أن المعهد قام بتخزين وعلاج أكبر قسط من الشعر الجاهلي وعلاج الرصيد اللغوي المغربي والرصيد العربي.

٢- مكتب تنسيق التعريب

قام المكتب (١٩٨١: ٣٣١) بجرد معجم لسان العرب لابن منظور ونسق محتواه في جذاذات بلغت نصف مليون بطاقة وجعلها منطلقًا تضاف إليه كل ما يتجمع كل يوم من جذاذات رتبت في البداية ألفبائيًا ثم صنفت بعد ذلك حسب الموضوع.

٣- مراجع أخرى:

- المعاجم أحادية اللغة
أ-المعاجم العربية التراثية:

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أمثلة: لسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط للفيروز آبادي، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

ب- معاجم المعاني:

أمثلة: الألفاظ الكتابية للهمذاني، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي، وبها قدر كبير من المتلازمات اللفظية.

-المعاجم الحديثة (أحادية/ثنائية اللغة)

أمثلة: المرجع للعلايلي، الرائد لجبران مسعود، المعجم الكبير، ونخص هنا بالذكر:

١- معجم لين: وقد جمع لأول مرة المفردات من أمهات كتب الأدب مما لم يرد في المعاجم القديمة.

٢- معجم دوزي: يعد ذيلًا على المعاجم العربية وقد طبع في مجلدين بالعربية والفرنسية (ليدن ١٨٧٧-١٨٨١، وليدن – باريس ١٩٢٩).

٣- معجم عبد النور "المفصل" (عربي – فرنسي): ويلاحظ فيه إغناء المفردات بالمزيدات والمشتقات التي لم ترد في المراجع العربية وتوسيع استعمالها الحديث فبلغت الزيادة فيه ما نيف على عشرين ألف مدلول جديد، ويحوي "المفصل" الأمثال والحكم والمترادفات والمتجانسات والأضداد الشائعة، كما يحفل بالمفردات التي أدرجت في الكتب والأبحاث منذ فجر النهضة إلى وقتنا الحاضر.

٤- القاموس الجديد للطلاب (عربي): وقد بلغ الحصاد فيه من الاستشهادات: ٣١٣٧ آية قرآنية، ٣٨٧ حديثًا نبويًا شريفًا، ٣٠٤ مثل عربي، ١٦٦٣ بيتًا من الشعر، ١٥٧٦ مصطلحًا علميًا وفنيًا مما أقرته مختلف المجامع اللغوية والمؤسسات التربوية في الوطن العربي.

٥- معجم اللغة العربية المعاصرة، لهانز فير وملتون كاوون (عربي – إنجليزي): هو المعجم الذي توافر لجمع مادته العربية دراسات علمية واستقصاءات دقيقة في مدى ربع القرن الماضي وشمل مختلف الكتب الأدبية والعلمية المتخصصة والمؤلفات المدرسية والصحف والمجلات في البلاد العربية بالإضافة إلى المعاجم المتوفرة (انظر مقدمة المعجم ص X-XI). وفي الطبعة الرابعة منه أضيف حوالي ثلاثة عشر ألف مدخل جديد شملت مصطلحات تكنولوجية ومأثورات كلاسيكية في معان مستحدثة وألفاظًا حديثة تم اشتقاقها ولم تكن معروفة من قبل.

٦- معجم السبيل (عربي/فرنسي): حذا حذو معجم هانز فير فاستمد مواده من الصحافة

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الصادرة من المحيط إلى الخليج (ص٩) وكذلك الكتب المدرسية والأدب الحديث سواء في مراحله الكلاسيكية الجديدة (١٨٥٠-١٩٠٠) أو مرحلة الازدهار (١٩٠٠-١٩٥٠) كما شمل الأدب المعاصر.

٧- المورد (عربي- إنجليزي): ويتميز بما يلي:

- نصّ على مجموعة كبيرة من المشتقات والمصادر التي أهمل المعجم العربي ذكرها، وأورد طائفة كبيرة من كلمات النسبة وما يشتق من كلمات النسبة من مصادر وهي ما أغفل المعجم العربي ذكرها.
- يميز تمييزًا صارمًا دقيقًا بين مختلف المعاني أو ظلال المعاني مع إدراج تعريفات قصيرة دقيقة لها.

٨- المعجم العربي الأساسي(عربي): غني بالشواهد من العبارات الاصطلاحية والمتلازمات اللفظية، ويشاركه في هذا المنجد العربي الفرنسي.

كما ننوه بأن يسعى المعجم التاريخي المقترح إلى تمثيل كل الحقول المعرفية بالتساوي في مادته Corpus وعلى ذلك فلابد من تحليل الأعمال الممثلة لكل حقول المعرفة البشرية المتاحة في اللغة قديمها وحديثها مع إيضاح التنوعات الإقليمية والأساليب ومواضيع التخصص وإدراجها في المعجم، فقد استعمل المعجم السانسكريتي Ponna ١٥٠٠ مرجع كمصدر لمادته واستعمل معجم الملايلام Malayalam حوالي ٧٠٠٠ عمل بالإضافة إلى المخطوطات (Singh ١٩٨٢) واستعمل معجم أكسفورد ٥٠٠٠ مرجع لكل الفترات التاريخية.

٢- التأصيل:

نعني به أصل الكلمة وتطورها أي تتبع الكلمة لأبعد مدى ممكن في لغتها ومصدرها في اللغة المعاصرة أو ما سبقها من لغات.

وعلى المعجم أن يحدد الحيز اللازم الذي يجب تخطيطه للتأصيل وإلى أي حدود في الزمن التاريخي يمكن أن يرجع إليه وما هي حدود التفصيل في المعالجة. وبالنسبة إلى المعجم التاريخي يجب أن تولى التأصيلات الكاملة كل عناية وهذه السمة غائبة عن كل معاجمنا العربية الحديثة. والتأصيل في كثير من الحالات لاسيما في المصطلح الفني قد يكون مفتاحًا لمعنى الكلمة أو للعلاقات القائمة بين مجموعة من الكلمات ذات الأساس المشترك.

وبسبب من الشكل المختزل أو الشفري في معجم أكسفورد يجد المستعمل صعوبة في قراءة وفهم الجزء الخاص بالتأصيل، لذا فلابد من وضع رموز يسهل تتبعها في هذا الجزء من المعجم التاريخي العربي.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ثمة عناصر ثلاثة مهمة للتأصيل الصحيح (انظر Hulbert, ١٩٦٨) هي:

أ) الفروق في الأصوات بين الكلمة وما نفترضه أصلًا لها لابد من شرحها حسب القانون الصوتي Phonetic Law.

ب) لابد من قيام علاقة معقولة بين المعاني المختلفة للكلمة عبر تاريخها كله.

ج) في حالة الاقتراض لابد من وجود التحام تاريخي بين الحضارات في الوقت الذي حدث فيه الاقتراض.

إن الحاجة ماسة إلى المتخصصين على مستوى الوطن العربي في اللسانيات التاريخية واللسانيات المقارنة بل إعداد جيل منهم قادر على الإسهام في هذا العمل.

٣- البيانات:

إن أهم خطوة في العملية المعجمية هو تجميع المادة الخام، فمن هذه المادة يتم الاختيار وبناء المداخل وترتيبها، كما أن تسجيل البيانات هو الذي يحدد الناتج النهائي، لذا يصبح من اللازم اتخاذ القرارات بالنسبة لشكل الشواهد والملاحظات التي على الباحث المعجمي أن يسجلها.

هدف الشواهد في المعجم التاريخي هو (انظر Merkin ١٩٨٤: ٣٧٧):

- توثيق وجود الكلمة في فترة زمنية معينة أو جنس من الأجناس الأدبية أو غير الأدبية.
- إثبات معناها والشكل النحوي والهجاء والتغيرات التي اعترتها بمرور الزمن.

ومن الأهمية بمكان أن نحسن اختيار الشواهد ونقلل ما أمكن من عددها ولا نكرر تجربة المعجم الكبير في الجنوح إلى التطويل حين يورد بيت شعر كشاهد أو للاستئناس على معنى من المعاني أن يذكر معه ثلاثة أبيات أخرى أو أربعة من القصيدة (انظر درويش ١٩٥٦، ١٥٣) فشاهد واحد يختار بدقة من العديد من الشواهد يشهد بنفس الاستعمال أو التلازم اللفظي في فترة زمنية معينة سيكون أكثر فائدة وأوفر للجهد من قائمة كاملة، كما يجب الرجوع في هذه الشواهد إلى المراجع الأصلية لا نقل ما دونه الأقدمون، وقد دقق فيشر في استخراج الشواهد من مراجعها أما المعجم الكبير فقد جنح نحو نقل المصادر دون تحقيق (درويش ١٩٥٦: ١٥٣). ولابد أن يكون في الشواهد دعم لفروق المعاني والتمثيل للتراكيب المختلفة وينطبق نفس الشيء على المتلازمات اللفظية المعروفة (انظر Burnett ١٩٨٨: ٢٣٢) فمن مجموع ٥ ملايين من المقتطفات التي أرسلت لمكتب تحرير معجم أكسفورد وهي التي قامت عليها مداخل المعجم أدرج منها بالفعل حوالي ١٨٠٠٠٠٠ استشهاد في المعجم المنشور.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ومن التوجيهات التي صدرت للقراء المتطوعين في مشروع معجم أكسفورد ومما يمكن أن نفيد منه نقتطف التالي: "اذكر شاهدًا لكل كلمة تبدو لك نادرة، مهجورة، قديمة، جديدة، غريبة، أو مستعملة استعمالًا غريبًا، وأعر اهتمامًا خاصًا بالفقرات التي تبين أو تدل على كون الكلمة إما جديدة وغير مستقرة بعد أو يعوزها الشرح لكنها مهجورة أو مماتة وبذا تساعدنا هذه الكلمة على تحديد تأريخ دخولها أو اندثارها. سجل أكبر عدد ممكن من الشواهد للكلمات العادية، وخاصة حين تكون هذه الكلمة مستعملة استعمالًا له مغزاه وتميل من خلال النص لشرح معانيها أو الإيحاء بها".

إن اتساع نطاق المدى الزمني للتطور المعجمي في اللغة العربية يتطلب كمًّا هائلًا من البيانات لدراسة تطور معاني الألفاظ وتأريخها ولابد من دراسة إمكانيات الحاسب الآلي في عملية التخزين والتحليل لهذا الكم الهائل من النصوص والحاجة إلى إنشاء قاعدة عينات للنصوص المختارة وهي التي تحفظ لنا الأمثلة الحقيقية من الاستخدام الفعلي للمفردات مع تنوع المجالات والأساليب وطبيعة مصادر هذه النصوص (وثائق، كتب، قصص، وغيرها).

كما يساعد الحاسب الآلي في:

١- استعماله كلوح يمكن أن نحرر عليه الشواهد مباشرة Citation On-line وكتابة المداخل نفسها.

٢- استعماله كخزانة آمنة لحفظ كمية هائلة من المادة كما يمكن أن يكون التركيب الألفبائي للشواهد آليًا حتى لا يفقد أي شاهد.

٣- إنتاج فهرس أبجدي وهذا يساعدنا على إيجاد الشواهد غير المناسبة حتى يمكن استبعادها.

ويصدق Abate (١٩٨٥: ٢٧٤) حين يقول: "يجب أن نتصور معجم المستقبل في الأساس مصدرًا اليكترونيًا مباشرًا قابلًا للاتساع ومعجمًا مصنفًا ومهيكلًا من البداية كقاعدة بيانات هائلة يمكن تحسينها على الدوام".

٤- التعريف: تعاني معاجمنا من فوضى لغة التعريف وقد كُتِب الكثير في نقدها وعدم التزامها بأنماط موحدة، فحين يقسم المعجمي المعنى إلى وحدات معنوية ويقوم بالنظر إلى جذاذات الشواهد ويقسمها إلى معاني منفصلة عليه أن يعالج هذه بالتعريف إما عن طريق التحليل Analysis أو التركيب Synthesis أو استخدام القواعد أو المترادفات (انظر Robinson, ١٩٦٢) أو عن طريق المجموعات (Landau ١٩٨٤, Kipfer, ١٩٨٤).

١- الطريقة التحليلية: وهي التي تستعمل مقاربة أرسطو في تحديد الجنس والنوع

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(Genus and Differentiae) ويتم ذلك بتحديد فئة كبيرة يقع في إطارها الشيء المراد تعريفه ثم يحدد ما يميزه عن غيره في هذه الفئة.

٢- الطريقة التركيبية: وتشير إلى العلاقة بين شيء وأشياء أخرى، مثال أصفر Yellow التي يمكن تعريفها كالتالي:

A colour like that of butter, gold or the yolk of an egg

لون مثل لون الزبدة أو الذهب أو صفار البيض

فهنا يشار إلى اللون بذكر الأشياء الذي نجده فيها ولا نستعمل المترادفات أو تحليل اللون.

فبينما تشير الطريقة التحليلية إلى الشيء المعني بإظهاره ككل مكون من أجزاء نجد الطريقة التركيبية تفعل ذلك بإظهاره كجزء من أجزاء تكون الكل.

٣- طريقة القواعد: ثمة كلمات لا يمكن وصفها بكلمة أو عبارة أو جملة لأنها لا تشير إلى أشياء أو أعمال أو حالات أو صفات محددة وهي ما يعرف بالكلمات الوظيفية Function Words كحروف الجر وأدوات الربط مثلًا، هذه الكلمات يمكن وصفها عن طريق قواعد الاستعمال التي تحكمها.

مثال (لم): [حرف جزم لنفي المضارع يقلبه إلى الزمن الماضي، لم يكتب الدرس].

٤- الترادف: يمكن استعمال المترادفات في المعاجم الكبرى لا كبديل للتعريف بل للمساعدة في فهم المعنى لأن طريق التعريف عن طريق المترادفات قد يؤدي إلى سوء الفهم والتكافؤ الخطأ.

٥- التعريف عن طريق المجموعات المرتبطة في المعنى: ليس من الكافي في كثير من الأحيان أن نعرف الكلمات بالتركيز على الخاصيات الفارقة دون إظهار مناطق التداخل بين الكلمات. وتعرف هذه المقاربة المعجمية بالتعريف عن طريق المجموعات المتصلة معنويا (Defining by groups related in meaning)، مثال: بيت/ قصر/ بناية/ مسكن، كما أن التعريف عن طريق المجموعات مرغوب فيه في حالة مفردات الحقول الخاصة كالموسيقى والفن والعلوم وغيرها.

٥- المصطلح (تراثي وحديث):

ثمة فرق بين الكلمة والمصطلح فالعناصر التي تتميز بالدلالة الخاصة (Special Reference) في حقل من الحقول هي مصطلحات هذا التخصص، وهي التي تكون في مجموعها مصطلحيته (Terminology). أما تلك التي توظف للدلالة العامة (General

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(Reference) فتعرف بالكلمات (Words) وتكون في مجموعها المفردات (Vocabulary) (انظر Sager ١٩٨٠). فالمصطلحات علامات مباشرة لكيان معين خارج حدود اللغة وبين هذه العلاقة والكيان المسمى ليس ثمة علاقة غير علاقة التخصيص أو التسمية العمدية (Sager ١٩٨٠: ٢٨٧). من ثم فالتعريف الدقيق المبني على دراسة المفاهيم والعلاقات القائمة بينها هو ما نصبو إلى تحقيقه في المعجم التاريخي بالإضافة إلى أصله الأجنبي وتأريخه الذي يلقي الضوء على معناه أما السياق فلن يساعد كثيرًا في تفهمه، ويضرب (Sager ١٩٨٠: ٧٥) مثالًا موضحًا بتعريف التالي للأسد:

A zoological lion is predetermined as quadruped, a vertebrate, a mammal etc.

"مقرر سلفًا أن الأسد حيوان من ذوات الأربع، فقاري، ثديي، وأن السياق لن يغير من أي من هذه الصفات". فالتعريف المصطلحي ينبثق من المفاهيم وليس من اللكسيم كما هو الحال في الكلمة. والمفاهيم تنبثق من السياق الموسوعي لا من السياق اللغوي (انظر Riggs ١٩٧٩: ٥٩٨; Knowles ١٩٨٨:٣٣١) من ثم نجد أن الحاجة ماسة إلى وصف أو تعريف المفاهيم سواء أكانت تراثية أم حديثة بكل دقة ووضوح.

٦- مظاهر جديرة بالعناية: يذكر علي نبيل (١٩٨٨:٤٧٤) أن من مظاهر تخلف المعجم العربي "جمود النظرة إلى تكوين الكلمات في العربية، فما زال التركيز منصبًا على الاشتقاق الصرفي على حساب غيره من الآليات الأخرى كالتركيب والمزج وسبك التعابير الاصطلاحية، هذه الآليات هي ما يعرف بـ"الوحدات المعجمية المتعددة الكلمات (Multiword Lexical Items) وتشمل:

أ- المركبات Compounds ومنها:

رأس – القائمة – الموضوع – الشهر أو السنة / الزاوية / الفتنة / الجسر / النبع/ الجبل / الثوم/ المال/ الغنم / الفساد... إلخ

وهذه تختلف اختلافًا شاسعًا من حيث العلاقات التي تربط بين عناصرها، ولابد أن يشملها المعجم التاريخي.

ب-المتلازمات اللفظية Lexical Collocations

ومنها معركة /ضارية، سيل /جارف، فقر/طاحن، حمل / وزرا، قضى /حاجة.

وتختلف المتلازمات اللفظية عن التعابير الاصطلاحية فمعنى الكل فيها يعكس معنى الأجزاء، ويتميز التلازم بقيود الإبدال الترادفي، فإمكانية إبدال عنصر من عناصر التلازم كالفعل الملازم للاسم (جرم) مثلًا بأفعال أخرى مقيد (مثال: ارتكب – اقترف / جرمًا) كما أن

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

صفات التلازم المتأصلة الحدوث المتكرر (انظر هليل ١٩٨٨). وليس هناك للأسف أي بحوث أو دراسات ولو تمهيدية أو دراسات نصية لظاهرة التلازم في العربية ولا محاولة واحدة لوضع معجم تجميعي للمتلازمات، ونأمل أن تكون لدينا مواد كافية لإدراجها في المعجم التاريخي. وخير مثال لذلك المادة التي أعدتها جامعة براون Brown الأمريكية (France ١٩٦٦, Kucera & Francis ١٩٦٧) وكذلك المادة التي أعدتها جامعة برمنجهام وتحتوي على ٢٠ مليون كلمة جمعت على مدى ٢٠ سنة، وقد ساعدت على حصر عدد كبير من المتلازمات مما ساعد على إعطاء أمثلة من واقع اللغة نفسها في معجم Collins COBUILD Dictionary (انظر في تفصيل ذلك Fox ١٩٨٧).

جـ- التعابير الاصطلاحية Idioms:

ومن أمثلتها: شبّ عن الطوق/ هام على وجهه/ عن بكرة أبيهم.

والتعابير الاصطلاحية هي التجمّعات المسكوكة التي لا تساوي معانيها عادة مجموع الأجزاء المكونة لها، وهي مُغْفَلة إلى حد كبير في معاجمنا العربية ودراستها، ونحن في حاجة إلى جمع التعابير الاصطلاحية القديمة والحديثة (انظر دراسة حسام الدين ١٩٨٥) عن التعابير الاصطلاحية في لسان العرب وغيره من مصادر تراثية، وقد اهتم معجم أكسفورد التاريخي وكذلك معجم أكسفورد القصير بهذا النوع من الوحدات المعجمية.

٦-الاشتراك والتجانس: نقصد بالاشتراك Polysemy الارتباط في المعنى الذي يصحب الأشكال المتماثلة والذي يمكن أن نعرفه بأنه الشكل الواحد (المكتوب أو المكتوب) الذي له عدة معان ترتبط ببعضها بعضًا.

مثال: رأس:

- أعلى الشيء: رأس الإنسان/ الجبل.
- الشيء المكور كرأس الإنسان/ رأس من الثوم.
- جزء البر ممتد في البحر / رأس سدر/ رأس البر.

أما التجانس Homonymy فنشير به إلى الشكل الواحد (المكتوب أو المنطوق) الذي له معنيان أو أكثر غير مرتبطين.

مثال: سكت (١) الرجل: سكن وقطع كلامه | مات | سكت (الغضب): سكن.

سكت (٢) (الحر): اشتد.

وتمثل المتجانسات في المعجم كمدخلين مستقلين. أما في حالة الاشتراك فتقع المعاني المرتبطة تحت مدخل واحد.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ويشير الحمزاوي (١٦٣-١٦٢ :١٩٨٦) إلى ما يسميه قضية الاشتراك والتجنيس وهي على جانب كبير من الأهمية في ترتيب المداخل وتوضيح معنى الكلمة المدخل. فيعتبر أصحابُ التجنيس الكلمةَ وحدةً كلامية مستقلة بحسب سياقها. أما أصحاب الاشتراك فيعتقدون أن الكلمة وحدةٌ لغوية لها أصل دلالي ثابت (Etymon) لا يتغير مع الزمن وله مدلولات ثانوية تستخرج من الاستعمال. فيدعو الاشتراك إلى الإيجاز في عدد المداخل ويقر التجنيس تعددها بحسب سياقاتها والمعاني المتولدة عنها. وقد أشار الحمزاوي إلى أن أغلب المعاجم العربية يعتمد على طريقة الاشتراك (انظر أمثلة الحمزاوي ص١٦٢، ١٦٣) ومن عيوب الاشتراك يذكر:

- غياب الربط بين المعاني المختلفة لأنها قد تكون مأخوذة من لغات مختلفة فخلطت طريقة الاشتراك بينها كأن معناها الأساسي واحد.
- الخلط بين فترات مختلفة من اللغة فلا يفهم متى استعملت هذه المعاني ولا كيف تطورت.
- الخلط بين سياقات لغوية مختلفة في المستوى الدلالي والنحوي مما لا يساعد على استخراج المعاني وتصنيفها.

إن معيار التفريق بين الاشتراك والتجانس هو أساسًا التأصيل وإيجاد العلاقة الوثيقة بين معاني الكلمات، وهذا بالتالي له أثر على ترتيب المداخل في المعجم التاريخي، ثم إن نجاح المعجم التاريخي في هذا الصدد سيكون له أطيب الأثر على معاجمنا مستقبلًا.

٧- شكل المدخل: وهنا نقتطف من معجم أكسفورد (١٩٨٩) أجزاء من المدخل في اللغة الإنجليزية وما نقترح أن يقابله في اللغة العربية:

١) أجزاء الكلام [حرف جر / مصدر / صناعي/ مذكر أو مؤنث].
٢) النطق بحروف الألفباء الصوتية الدولية [ضرورة تشكيل الكلمات العربية لضبط نطقها والاكتفاء بالحد الأدنى للتشكيل اللازم لإزالة اللبس].
٣) الهجاء وصوره المختلفة من أصوله في القرن السادس عشر وحتى وقتنا الحاضر [بدائل تهجئة الكلمات – إن وجدت مثل السموات، مسئول، الرحمن].
٤) أصل الاشتقاق وكل الافتراضات عن الأصل إن وجد.
٥) مجال الاستعمال (المسرح مثلًا).
٦) بدء المدخل بأول معنى مسجل في اللغة.
٧) أول استعمال للكلمة بهذا المعنى (انظر ٦).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

٨) المصطلح التقني الحديث.
٩) نص الاستشهاد بهجائه الأصلي.
١٠) المرجع الدقيق للاستشهاد.
١١) الاستشهادات بسياقاتها منذ أول ظهور لها حتى العصر الحاضر بناء على الدليل المستقى من الملفات الواسعة للمعجم والبحوث العلمية.
١٢) إشارة إلى الاستعمال الإقليمي [الاستعمال في البلاد العربية].
١٣) استشهادات للتلازمات اللفظية مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا.

٨-العلامات الإيضاحية (Labels): نقترح استعمال علامات أو رموز إيضاحية للإشارة إلى:

١-المساحة الزمنية: مدى جريان الكلمة أو شيوع استعمالها.

- بائدة، مماتة: استعملت الكلمة في الماضي ولا تستعمل الآن إلا في حدود استعمالها التاريخي.
- مهجورة: لا تستعمل الكلمة الآن بشكل عام لكنها مماتة تمامًا.
- معربة: الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية من لغات أخرى وغيرها العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب.
- دخيلة: الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية دون تغيير.

٢-المساحة المكانية: الاختلافات الإقليمية.

٣-مستوى الاستعمال: فصحى التراث، عامية، قرآن، حديث، أدبية، مجاملة، تحضير، مجازية، مستهجنة، بذيئة... إلخ.

٤-مجال الاستعمال: فنية/ علمية/ مهنية/ تقنية.

٥-سمات صرفية ونحوية: رموز للصيغ الصرفية، نوع الاشتقاق (اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر) – المفرد في حالة جموع التكسير – الجموع – اسم التفضيل – المصدر الصناعي – الفعل اللازم – الفعل المتعدي إلى مفعول/ مفعولين/ الفعل المتعدي بحرف... إلخ.

ويبقى الأمل معلقًا بجيل قادر على تنفيذ هذا المشروع الكبير ألا وهو الشباب العربي المتمرس بعلوم اللسانيات والمعجمية والمصطلحية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ثبت المراجع

أ) المراجع العربية:

- بنعبد الله، عبد العزيز (١٩٨١): الألسنية ودعم المعجمية العربية، في اللسانيات واللغة العربية، سلسلة اللسانيات ٤، الجامعة التونسية.
- حسام الدين، كريم ذكي (١٩٨٥): التعبير الاصطلاحي، القاهرة: الأنجلو المصرية.
- الحمزاوي، محمد رشاد (١٩٨٥): من مصطلحات المعجم: الأساس والأصل، مجلة المعجمية، العدد (٣): ٧ – ١٠.
- - - (١٩٨٦): من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، تونس: دار الغرب الإسلامي.
- - - (١٩٨٧): الاستيعاب في المعجم العربي الأوربي من حيث مناسبات التعويض ومناسبات السياق وأثره في المعرفة والتربية والترجمة، في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق، تونس: دار الغرب الإسلامي.
- الخطيب، أحمد شفيق (١٩٨٧): من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق، تونس: دار الغرب الإسلامي.
- درويش، عبد الله (١٩٥٦): المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد، القاهرة: الأنجلو المصرية.
- صالح، عبد الرحمن الحاج (١٩٨٦): الذخيرة اللغوية العربية، اللسان العربي (٢٧): ٤٥-٥٣.
- ضيف، شوقي (١٩٨٤): مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- علي، نبيل (١٩٨٨): اللغة العربية والحاسوب، دار تعريب.
- مطر، عبد العزيز (١٩٨٧): المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد، في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق، تونس: دار الغرب الإسلامي.
- هليل، محمد حلمي (١٩٨٨): معجم المتلازمات اللفظية: خطوة نحو النهوض بالترجمة، بحث قدم للمؤتمر العلمي الأول للترجمة، بغداد ٢٨- ٣٠ نوفمبر ١٩٨٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ب) المعاجم العربية:

- القاموس الجديد للطلاب، معجم عربي مدرسي ألفبائي، ١٩٨٨، تأليف ليلى بن هادية وآخرين، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- المعجم العربي الأساسي، ١٩٨٩، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس.
- المعجم الكبير، الهمزة، ١٩٧٠، المجلد الأول، القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- المعجم الكبير، الباء، ١٩٨٢، المجلد الثاني، القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- المعجم اللغوي التاريخي (١٩٦٧) لأوجست فيشر، القسم الأول، القاهرة: مجمع اللغة العربية.

ج) المعاجم العربية الإنجليزية:

- معجم اللغة العربية المعاصرة، (عربي – إنجليزي) ١٩٦٦، هانز فير وميلتون كاوون، لندن: جورج آلن وأنوين.
- المورد، قاموس عربي إنجليزي ١٩٨٨، روحي بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين.

د) المعاجم العربية الفرنسية:

- السبيل، ١٩٨٣، دانيال ريغ، باريس: لاروس
- معجم عبد النور المفصل، ١٩٨٣، بيروت: دار العلم للملايين.
- المنجد العربي الفرنسي للطلاب، ١٩٨٠، جوزيف حجار، بيروت: منشورات دار المشرق.

ه) المراجع الأجنبية:

- Abate, F, R (١٩٨٥) “Dictionaries: Past and Future: Issues and prospects”; Dictionaries ٧:٢٧٠-٢٨١.
- Atiken, A,J (١٩٧١) “Historical Dictionaries and the computer”, in: Wisbey, R.A (ed.)
- The Computer in Literary and Linguistic Research. Combridge: Cambridge University Press.
- Announcing the Second Edition of the most Authoritative and comprehensive Dictionary of English in the World (١٩٨٩). Oxford: Oxford University Press.
- Benbow, T (١٩٩٠) “Rhe Comuterization of the Oxford English Dictionary”, In: Actes de colloque: Le Dictionnaire Historique de la langue Arabe, Revue de la

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

lexicologie, N°٥-٦, ١٩٨٩/١٩٩٠.

- Burnett, L, S (١٩٨٨) "Making in Short: The Shorter Oxford English Dictionary", in: Snell-Hornby, M (ed). ZuriLEX ٨٦ Proceedings, Tubingen: Francke Verlag.
- Fox, G (١٩٨٧) "The Case for Examples" in: Sinclair, J,M (ed). Looking up: An Account of the COBUILD Project in Lexical Computing. London & Glasgow; Collins.
- Francis, W.N (١٩٦٦) "The Brown University Standard Corpus of English: Some Implications for TESOL", in: Robinett, BN. (ed), ON TESOL, Series III, Washington, D,C: TESOL
- Hulbert, J, R (١٩٨٦), Dictionaries: British and American. London: Andre Deutsch
- Al-Kasimi, A, M (١٩٧٧) Linguistics and Bilingual Dictionaries. Leiden: Brill.
- Kipfer, B,A (١٩٨٤) Workbook on Lexicography. Vol ٨ Exeter Linguistic Studies. Exeter: University Of Exeter.
- Knowles, F.E (١٩٨٨) "Lexicography and Terminography A Rapprochement?", in: Snell-Hornby M (ed) ZuriLEX ٨٦ Proceedings Tubingen: Francke Verlag.
- Kucera, H and Francis, W,N (١٩٦٧) Computational Analysis of Present- Day American English Providence: Brown University Press.
- Landau, S.I (١٩٨٤) Dictionaries: The Art and Craft of Lexicography. New York: Charles Scribner's Sons.
- Merkin, R (١٩٨٣) "The Historical/Academic Dictionary", in: Hartmann R.R.K (ed) Lexicography: Principles and Pratice. London: Academic Press.
- (١٩٨٤) "Historical Dictionaries and the Computer: Another View", in: Hartmann, R,R,K (ed) LEXEeter ٨٣/Proceedings. Tubingen: Niemeyer.
- Riggs, R,M (١٩٧٩) "Terminology for the Social Sciences "Infoterm Seriesn ٦ Munchen/New York/London/Paris: K.G;Saur.
- Robinson, R,M (١٩٦٢) Definition: Oxford: Clarendon Press.
- Sager, J?C et al (١٩٨٠) English Special Languages Wiesbaden: Brandstetter.
- Sinclair, J,M (١٩٨٧) Looking Up: An Account of the Cobuild Project in: Lexical

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

Computing. London& Glasgow: Collins

- Singh, R,A (١٩٨٢) An Introduction to lexicography, Central Institute of Indian Languages: Mysore.
- Trench; R, C (١٨٥٧); %on Some Deficiencies in our Englisch Dictionaries", Transactions of the Philological Society, pp:١-٦٠.
- Zgusta, L et al (١٩٧١) Manual of Lexicography, The Hague: Mouton.

و - معاجم أوربية:

- Deutsches Worterbuch (١٨٥٤-١٩٦١), Comp. Hans Kurath et al. Ann Arbor : University Of Michigan Press.
- The Oxford English Dictionary (The OED), A New English Dictionary on Historical Principles (١٨٨٤-١٩٢٨/١٩٣٣-) (Supplements from ١٩٧٢-) Comp.Murray, J et al./Craigie, W, A and Onions, R, W, Oxford : Clarendon Press.
- The Oxford English Dictionary, Second Edition (١٩٨٩) ; Prepared by Simpson, J,A, and Weiner, E,S,C Oxford :Clarendon Press.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المعجم التاريخي للغة العربية

وشروط قيامه

د. أحمد العلوي

رئيس اتحاد اللسانيين المغاربة

المعجم التاريخي للعربية وتاريخ العربية:

يجب أولاً أن نحدد معنى المعجم التاريخي وأن نبحث عن انطباق معناه على واقع اللغة العربية التاريخي. يقصد عادة بالمعجم التاريخي ما قصده مؤلفو معجم أكسفورد التاريخي للغة الإنجليزية والمعجم التاريخي للغة الفرنسية وكلاهما من نتاج التفكير اللغوي التاريخي للقرنين التاسع عشر والذي قبله. كانت حركة البحث عن الأسر اللغوية التي انتهت بالتقسيم المعروف ودراسة تطور أو اختلاف اللغات الأوربية من عصر إلى عصر وظهور نظرية التطور اللغوي الموازية لنظرية التطور البيولوجي في القرن التاسع عشر دافعًا دفع العرب بعد الإنجليز والفرنسيين إلى البحث في المعجم التاريخي للغاتهم. بالنسبة للعرب كان كتاب الأب انسطاس ماري الكرملي عن اللغة العربية ونشوءها وارتقائها أظهر كتاب وأوله في موضوع تاريخ اللغة العربية وكان المعجم التاريخي لفيشر عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة قبل الحرب الكبرى الثانية أول الأعمال في باب المعجم التاريخي. بيَّن ذلك اللغوي نظريته في أصول اللغات واستدل بأدلته على أصلية اللغة العربية وجعل اللغات الأخرى اشتقاقات لها. ثم توالت الأعمال في دراسة اللغة العربية من الناحية الوصفية الثبوتية أو في دراسة تاريخ لغوياتها ولكن لم يعد أحد إلى بسط القول في تاريخ اللغة العربية إلا في حالات نادرة سنذكر بعضها في الحاشية العامة وظل عمل الأب ماري انسطاس الكرملي وحيدًا فريدًا في الباب عند العرب. لكن لماذا نتحدث عن تاريخ اللغة العربية واللغويات التطورية في معرض الحديث عن معجم اللغة العربية؟ هل يحتاج الحديث عن ذلك إلى مقدمة في الحديث عن تاريخ اللغة العربية؟ هل هما مترابطان؟ الجواب بنعم. إن إقامة المعجم التاريخي للغة العربية يستوجب أولًا تحديد مجال هذه اللغة والانتباه إلى نصوصها كلها فلو كنا غافلين عن تاريخها غفلنا عن نصوصها وإن غفلنا عن نصوصها التي ينسبها إليها تاريخها كان اختيارنا للنصوص التي نستخرج منها جذاذات العناصر اللغوية التي هي موضوع المعجم التاريخي قائمًا على أسس عبثية غير معللة. لهذا فإن تحديد مجال اللغة العربية التاريخي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ضروري في باب إقامة ذلك المعجم. ما نصوص اللغة العربية التي ينبغي أن يقام عليها المعجم التاريخي؟ النصوص الجاهلية؟ أجل. النصوص التي بعد الجاهلية من أموية وغيرها؟ أجل مرة أخرى. لكن هل ينحصر الأمر في ذلك؟ لا. لابد من إضافة العربيات الدارجة والنصوص العربية الأخرى المنتسبة إلى غير العربية وهي حقيقة بالانتساب إلى العربية كالنقوش الفينيقية والشامية القديمة على العموم وكالنصوص التوراتية التي يغلب على الظن أن تكون ترجمت عن أصل عربي قديم. أما العربيات الدارجة فإن الاستفادة منها في إقامة المعجم التاريخي للعربية إنما يمنع منه الاعتقاد السائد الذي يجعل منها حالة فسادية للعربية الفصحى أي تطورية بالاصطلاح الحالي. إن كل الدلائل النحوية والصرفية والتاريخية تؤكد قدم هذه العربيات وأنها ليست فسادًا للغة متقدمة عليها وأنها لغات عربية لا تقل عروبية عن أختها الكبرى اللغة العربية القلمية. انظر مثلًا إلى النقوش الفينيقية والشامية وانظر إلى كتاب بروكلمان في الموضوع نفسه ولا تنظر إلى تأويل ولفنسون الفاسد في كتابه عن اللغات السامية، وانظر إلى المقال الطويل الذي كتبته قبل ثلاثين سنة في الرد عليه، وفي البرهان اللغوي على فساد تأويله وسوء نيته، وعنونته بالرد على ولفنسون، ونشرته بالمغرب في مجلة دراسات لسانية وأدبية التي كانت تصدر بفاس، تجد تلك النقوش مكتوبة بعربية دارجة لا ندعي أنها تطورت عن العربية الفصحى ففي ما كتبناه في فقرة مستقبلة من هذا الفصل بيان لقولنا في التطور اللغوي وأن العلاقات بين اللغات ليست علاقات تناسلية تاريخية متتابعة من الأقدم إلى الأحدث وإنما هي علاقات بنيوية تاريخية زمنية أو تجاورية مكانية. إذن إن كان برهاني هناك صادقًا وكان برهان غيري في ما يماثله صادقًا كذلك فيجب أن يترك الاعتقاد المشهور وأن يذهب إلى إدراج العربيات الدارجة في تاريخ اللغة العربية ويجب أن تعد مصدرًا من مصادر إقامة المعجم التاريخي للعربية باعتبارها حالات مستقلة من العربية لا باعتبارها فسادًا وتطورًا تناسليًا كما سنبين من بعد. إن العربية هي جملة الوسائل اللغوية الموصوفة بالعربية والتي بينها مداخل تفاهم وتقارب دلالي ونحوي وصرفي يمكن من الانتقال من بعضها إلى بعضها. هذه الوسائل اللغوية هي العربية القلمية أو الفصحى والعربيات الدارجة. أما النصوص التوراتية فمنذ أن كتب كمال الصليبي كتابه عن التوراة العبرية وأنها من جزيرة العرب كتبتُ ردودًا عليه آخرها مقال مطول بعنوان (الرد على الصليبي ونقض تأويله). في تلك الردود عكست استدلال الصليبي وبينت أن في التوراة العبرية دلائل كثيرة تثبت انتساب التوراة العبرية إلى الماضي اللغوي العربي وأنها في كثير من أجزائها مجرد ترجمة لأصل مفقود بل بينت القول بأن

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

التوراة العبرية يجوز أن تكون مجرد قراءة عبرية لنص قديم صوامتي أي مكتوب بغير حركات يحتمل القراءة العربية بصورة أيسر من احتماله القراءة العبرية وقدمت مثلًا لذلك. الحاصل أن هذه النصوص يمكن بعد اجراء القراءة العربية عليها أن تكون مصدرًا من مصادر المعجم التاريخي.

المصادر الاجماعية:

لكن لنكتف الآن بالنظر في المصادر الأخرى التي ينعقد عليها الاجماع ألا وهي المصادر الجاهلية المروية والمنقوشة والمصادر غير الجاهلية المكتوبة. من الطبعي أن يشتغل المعجم التاريخي بذكر التطور الدلالي الذي يصيب الكلمة الواحدة خلال حقبة طويلة أو قصيرة من الزمن أو أن يشتغل بميلاد الكلمات الجديدة. في هذا الخصوص نلاحظ أن اللغة العربية لم تشهد تغيرات نحوية كبيرة تذهب بهويتها، وسنبين من بعد أن نظرية اللغويين عن تطور الهوية التركيبية والمقولية والصرفية في اللغات أمر فيه إسراف، ولكنها شهدت تغيرات دلالية. شهدت أيضًا تغيرات اشتقاقية. التغيرات النحوية اللغوية. نلحظها في اختفاء بعض الصيغ الأمرية كصيغة (لا تقولن) وصيغة (أما ترين) وفي اختفاء بعض الفروق الأسلوبية في مثل الفرق بين (إن وإذا) والفرق بين (حتى وكي وفاء السببية) وزوال (واو المعية) من الاستعمال ونون التوكيد الشديدة وغير ذلك مما لا نطيل به هنا ومما لا يذهب بهوية اللغة ومما ينسب إلى ما سماه سوسور بالتطور عن طريق الأخطاء. لا يخفى أن مثل ما ذكرنا هنا من تغيرات طفيفة نحوية هي من اقتراف متكلمين جاهلين بالصواب النحوي. لكنهم يمتلكون سلطة لغوية. أعني هنا بالسلطة اللغوية سلطة الإعلام أو سلطة إدارية تعليمية أو ما شابه ذلك. يضاف إلى ذلك أن التغيرات النحوية بالمعنى العام للنحو ليست مما يشتغل به المعجم التاريخي. ومن العجيب أن الزائل النحوي من العربية الفصحى المعاصرة إن قورنت بالعربية الفصحى القديمة يشبه عكسيًا ما وقع في تاريخ اللغة الفرنسية. إن صيغ السوبجونكتيف الماضي بأنواعه مثلًا هي مما أضيف إلى اللغة الفرنسية من قبل المجامع اللغوية وفرض في اللغة الرسمية المعلمة في المدارس المفتقرة إلى حفظ الحفاظ من الفرنسيين أنفسهم. دليل ذلك أن تلك الصيغ لا يعرفها الناطق الطبيعي بالفرنسية إن لم يتعلمها في المدرسة.

على كل ذكر القضايا النحوية في المعجم التاريخي عرضي. تذكر عند التعرض لكلمة تمثل صيغة ولزوالها أو استبدال غيرها بها. إن ذلك المعجم حقيق عليه أن يهتم في المقابل بالتغيرات الدلالية. وهنا لابد أن نستبعد التغيرات ذات الأصل المصطلحي فالمعجم التاريخي ليس معجم مصطلحات كمعجم الكفوي أو معجم الجرجاني أو حدود الفاكهاني أو الألفاظ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الطبية لداود الأنطاكي أو ما ورد في كتب الفلاسفة الطبية والعلومية أو غير ذلك. إنه معجم اللغة الطبيعية التاريخي. اللغة الطبيعية نجد مثلًا لها في الكتابات الأدبية خصوصًا. يمكن أن نعرفها بأنها جملة الكلمات التي تصف المدركات الأساسية للإنسان المجرد من كل اختصاص علومي. هبها. نوع من التغيرات الدلالية التي أصابت كلمات اللغة العربية والتي شأنها أن تجد لنفسها محلًا في المعجم التاريخي نجده في الكتابات الأدبية كما قدمنا ويمكن أن يمثل مراحل في تاريخ العربية أيضًا. لكنه مهمل لأن المشتغلين باللغة العربية يتركون ذلك للنقاد والبلاغيين والحال أنه أقرب إلى المجال المعجمي التاريخي قبل اقترابه من أي مجال آخر كان. ويمكن أن نوجز النصوص الأساسية التي أثرت في تطور معاني الكلمات العربية في ما يلي:

الأول: الحديث النبوي. انتشر الحديث النبوي في القرن الأول ثم تطور البحث فيه إلى عهد ظهور الكتب الأساسية فيه بعد ذلك وامتد العمل فيه إلى عهدنا. لا يعنينا هنا الحديث في ذاته ولكن يعنينا منه أنه احتل المجال المعجمي للمتكلمين بالعربية والكاتبين بها. يكفي في هذا الخصوص أن نقارن بين الألفاظ الحديثية وبين الألفاظ الجاهلية لنكتشف في الحديث قسطًا كبيرًا من الألفاظ ذات المعاني الطبيعية التي ترد لأول مرة في الحديث والتي لا نجد لها مثيلًا في اللغة الجاهلية. أضف إلى ذلك أن ألفاظ الحديث طردت من دائرة الممارسة الكلامية الألفاظ الجاهلية المرادفة أو المتاخمة دلاليًا. إن الثورة اللغوية التي فرضها الحديث في القرن الأول مازالت مستمرة في العربية إلى عهدنا. وإن جزءًا من العسر الذي يعانيه القارئ للشعر الجاهلي مبعثه أحد أمرين هما:

- الأول: هو ابتعاد معجم الشعر الجاهلي عن معجم الحديث مجاليًا أي إن المجال الدلالي الاحالي الذي تشتغل فيه ألفاظ الشعر الجاهلي مختلف عن مجال الحديث
- والثاني: هو إلغاء كثير من معجمه اكتفاء بالمرادف الذي أقامه الحديث النبوي.

لم نذكر القرآن الكريم هنا قبل الحديث ولا بعده لخصوصيته الذاتية ولأن الاختلاف في معانيه ومعاني ألفاظه مازال قائمًا ولأن أقصى ما أدركه المفسرون هو تفسير ألفاظ آياته لا تفسير آياته وسوره. مع ذلك فإن ألفاظ القرآن الكريم مرت إلى معجم العربية وفعلت مثل ما فعلت ألفاظ الحديث من طرد للمرادف أو إضافة للجديد. أقول هذا بغض النظر عن الصواب والغلط في إدراك معاني ألفاظه للأسباب التي قدمتها من قبل.

الثاني: نصوص كتاب القرن الثاني إلى الرابع وشعرائها كابن المقفع وعبد الحميد الكاتب

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

والجاحظ والتوحيدي والمتنبي وأبي تمام. يمكن أن نوجز أبرز تغير أصاب العربية من هؤلاء في التوليد أي في تحقيق الكلمة في كل أوزانها الصرفية التي ليس عليها دليل نصي في الآثار العربية المتقدمة عليهم. المقصود أن هؤلاء الكتاب جددوا من جهة تمكين القياس من الدخول إلى أوزان مقصورة من قبل على السماع. نجد هذا عند هؤلاء ونسميه عادة بالاشتقاق أي كانوا يشتقون كلمات لم تشتق من قبل لمانع صرفي كتحريم القياس أو لمانع آخر. لو احصينا كلمات هؤلاء الكتاب لوقعنا على كثير من الكلمات التي نجد أصولها في العربية المتقدمة عليهم زمنًا ولكنهم جاؤوا بفروعها. يمكن لهذا أن نسمي مرحلة هؤلاء الكتاب بمرحلة التفريع المعجمي. مع كل ذلك فإن هؤلاء الكتاب كغيرهم ممن جاء بعدهم كانوا ماتحين من معجم الحديث النبوي.

الثالث : نصوص كتاب العصر العباسي الثاني ومن أكبرهم قدرًا العماد الأصفهاني والقاضي الفاضل وغيرهما في الشرق ولسان الدين بن الخطيب في الغرب. وأعظم مثال للتجدد اللغوي في هذا العصر كتاب العماد (الفتح القسي في الفتح القدسي) الذي اشتمل على جملة عظيمة من الألفاظ الخاصة بالبحر والسفن والحرب مما لا نجده في غيره. وكل ذلك ينتمي إلى اللغة العادية لا الاصطلاحية

الرابع: نصوص اللغة الإدارية التي ازدهرت خصوصًا في العهد المملوكي بمصر ونجد أمثلة عنها في كتب المقريزي كسير الملوك والطحاوي في كتابه عن أمراء عصره المماليك

الخامس: المعاجم العربية وخصوصًا لسان العرب لابن منظور فإن أحاديثه عن المداخل المعجمية تضم أخبارًا عن معانيها واختلافًا في ذلك لا يفسر إلا بكونه بيانًا لتطور معنى المدخل زمانيًا أو مكانيًا. بغير هذا التفسير لا ندرك معنى لاختلاف الكلمة الواحدة إلى أكثر من ثلاثة دلالات، وأحيانًا لا نجد بين الدلالات المختلفة رابطًا مجازيًا بينًا بل نجد اللفظ يدل على معان بينها روابط أخرى لا يفسرها إلا التطور والإضافات الدلالية المتراكمة لأسباب متجددة عند المستعملين. لذلك وجب تجريد تلك المداخل وتحديد زمن النصوص التي تشهد لها والبحث عن رابط تاريخي يصف الكلمة وتغير معانيها في الزمان والمكان.

السادس: النصوص المعاصرة والحديثة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكل القرن العشرين. إن من أهم فصول مداخل كل معجم تاريخي للعربية أن يبين أنواع الاختلاف بين العربية التي أكتب بها هذا المقال مثلًا وبين العربية الجاهلية أو الأموية أو العباسية. الألفاظ واحدة والخط واحد والاستعمال مختلف. كيف كانوا يستعملون العلاقة بين اللفظ ومعناه والعلاقة بين اللفظ وسياقه وكيف يستعمل ذلك من بعدهم؟ ذلك

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

السؤال الذي على المعجم التاريخي أن يبينه.

السابع: النصوص الفقهية والنصوص التفسيرية. هذه النصوص تضم قسطًا عظيمًا مما يدعى باللغة الطبيعية العادية التي تمثل الإدراك مجردًا عن كل اصطلاح علومي. وهي قائمة في حجم أعرض وأضخم من المصادر السالف ذكرها

بعض وظائف المعجم التاريخي للعربية:

من وظائف المعجم التاريخي أن يمكن المشتغل بالعربية من أمرين أساسيين:

الأول: التمييز بين العربيات المتتابعة في الزمن والتمييز بين الكلمات المختفية والكلمات الجديدة. بالنسبة للعربية الفصحى لن نجد كلمات مخترعة إلا ما كان من المعرب ككتاب الجواليقي عن (المعرب) وكتاب السيوطي (المهذب في ما وقع في القرآن من المعرب) ومن العامي العربي كالذي نجده من أسماء السفن والمراكب والألبسة عند العماد الأصفهاني في (الفتح القسي) أو في ما جمعه دوزي في معجمه المدعو بـ supplement au dictionnaires arabes- leyde. brill / ١٨٨١. وكل ما نجده كما قدمنا استعمالات جديدة لكلمات قديمة واشتقاقات جديدة وألفاظًا غفل عنها أصحاب المعاجم ونجدها في نصوص جاهلية أو غير جاهلية. ومن الملاحظ أنه يجب إعادة القول في ما ادعاه القدماء من معرب فإنهم كانوا في الغالب يتوكلون على ما يدعيه لهم أهل العبرية والسريانية وغيرها دون بحث مباشر منهم. لذلك تجدهم يردون كثيرًا من الكلام إلى الحبشية والسريانية وغيرهما دون دليل وهن من ذلك براء بل إن القدماء تجرأ بعضهم على القرآن الكريم فجعلوا كلمات معربة غير ممنوعة من الصرف، كإستبرق وسندس، من أصل أجنبي لسبب واه تافه هو أن وزنها لم تحط به أوزان الصرف عندهم. وأقرب شيء يمثل به السريانية فقد نشر بعض القدماء قولًا ذهب إلى أنها لغة إسماعيل وإبراهيم وعلى أنها أصل العربية وأن العرب أخذوا خطهم من السريان فلما نظرت شخصيًا في الخط السرياني وجدته بعيدًا عن الخط العربي إلا في الميم والفاء مع غياب التطابق التام فيهما ووجدت الخط السرياني بدائيًا إذا قورن بنظيره العربي. أما أصل ذلك القول فهو السريان أنفسهم الذين اخترعوا قصصًا وصلت إلى العرب والمسلمين ودخلت إلى وعيهم بغير وعي منهم. ولم يكن لهم من غرض في ذلك إلا التمكين لأنفسهم عند العرب الغالبين بنسبة سريانيتهم إلى أنبياء يحترمهم العرب ويجعلونهم أصلًا في إسلامهم.

الثاني تمكين المختص من ترجمة نص من عربية إلى أخرى. ويدخل في هذا تمكين القائمين على البرامج التعليمية من اختيار العربية الفصحى التي يريدون تدريسها لهذا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الفصل أو ذاك من رتب التعليم. ومن المعلوم أن العربية الآن تعني كيانًا غامضًا فإذا عرفت العربيات وحدد المعجم التاريخي الكلمات وتاريخها والتغيرات ونظامها أمكن تحديد الفروق بين العربيات المتتابعة خلال التاريخ العربي وأمكن اختيار النصوص المناسبة لرتب التعليم. وفي خصوص الغموض المتصل باسم العربية نشير إلى الدساتير في الدول العربية ومنها المغرب. في هذه الدول ينص الدستور على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد فلا يدرى المقصود أهو العربية الفصحى أم الدارجة أم الدوارج العربية كلها أم عربية الجرائد والصحف أم العربية الرشيدة الرصينة التي منها أصناف كثيرة متفرقة على بساط التاريخ اللغوي العربي كله.

أسطورة تطور الهوية البنائية للغة والمعجم التاريخي:

كل ما تقدم يتصل بحالة لغوية واحدة هي اللغة الثابتة أي اللغة العربية الكتابية أو الرسمية أو الفصحى. معجمها التاريخي لن يقص مراحل بنيوية مرت بها ولكنه سيصف التغير الحاصل في إطار الثبات القائم المستمر. معنى ذلك أنه لن يصف إلا التغيرات الدلالية المنفردة أو السياقية الواقعة في إطار ثابت هو ما يسمى باللغة العربية. نعم لا يستطيع العربي الجاهلي أو العباسي أو الأموي أن يفهم مقالي هذا لأول قراءة ولكنه يستطيع أن يفهمه مع التمرن في نصوص أخرى. الكلمات مختلفة سياقيًا في مقالي هذا عما كان عليه شأنها في الجاهلية والعهود الأموية والعباسية ولكنها مع ذلك تسبح في جو ثابت لا يستطيع الجاهلي أو العباسي أو الأموي أن ينكر عربيته أو عروبيته. هنا ينبغي أن نشير إلى أن هذه التغيرات لا تذهب بهوية اللغة بل تضيف إلى هويتها.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن بعض اللغويين الأوربيين بالغوا وأسرفوا في وصف التطور في اللغات حتى ظن بعض الأغرار أن اللغة تتطور وتفقد سحنتها وبناءها من قرن إلى قرن أو من عقد إلى عقد واستدلوا على ذلك باللغات اللاتينية وغيرها. أتذكر هنا أني كتبت مقالًا عن أساطير اللغويين نشر بمجلة اللسان العربي التابعة لمكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية والمستقر بالرباط. كتبت في ذلك المقال ما أعيده هنا بمعناه:

ما نبه إليه سوسور السويسري ومايي الفرنسي والتطوريون الألمان في القرن التاسع عشر ونقله عنهم العرب، ابتداء من السعران إلى غيره ممن نذكر بعضهم من بعد، عن التطور اللغوي وأن اللغات تتطور من حال إلى حال مقوليًا ودلاليًا وكيانيًا وما ضربوه من أمثلة ومقابلات صوتية بين اللغات ووصولهم أحيانًا إلى وضع أسر لغوية جعلوا لها جدًا واحدًا متخيلًا تفرعت عنه، كل ذلك ليس يقينيًا وإنما هو ظني متوهم. ما الدليل؟ الدليل أمران :

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الأول أن هؤلاء اللغويين كانوا يخلطون بين الوثائق اللغوية وبين الأوضاع اللغوية. مثلًا: يعتقدون أن الفرنسية المعاصرة تطورت تناسليًا عن الفرنسية القديمة التي تملك المكتبة الفرنسية أنواعًا ونصوصًا منها ويعتقدون أن اللغات الرومانية تفرعت تناسليًا عن اللغة اللاتينية ويعتقدون أن العاميات العربية تفرعت كذلك عن اللغة العربية الفصحى. وهذه الحالة شاركهم فيها العرب اللغويون الأقدمون. وذلك اعتقاد فاسد فإن اللغة الفرنسية القديمة، أو ما يدعى كذلك وكتبت به بعض التقارير التاريخية عن الحروب الصليبية كأنشودة رولان، لا يجوز منطقيًا أن تكون أصلًا تطوريًا تناسليًا للفرنسية المعاصرة لنا إلا إن ثبت يقينيًا رابط مادي بين الطرفين وهو غير ثابت ولا قائم. والمقصود بالرابط المادي التطور اللغوي الموازي للتطور الأسري من الأب إلى الجد إلى ما بعدهما أو بين الجماعة والجماعة. أما الوثائق القديمة إن كتبت بالفرنسية القديمة فليس فيها ولا في الفرنسية المعاصرة دليل على رابط مادي بين المتكلمين في عصريهما ولا دليل على التطور اللغوي التناسلي إن قورنت وثائق إحداهما بوثائق الأخرى. إنما فيهما وفي وثائقهما دليل على اختلاف نوع الفرنسية المتخذة في العهدين الفرنسيين القديم والحديث. إنه لا يترتب على اختلاف لغة الوثائق بين عصرين إلا اختلاف لغتي المتكلمين في العصرين لا تطور بين اللغتين في العصرين، ولا يترتب عليه غياب إحدى اللغتين من العصرين أو أحد العصرين ولا الحكم بقيام رابط مادي تطوري لغوي بين العصرين. ما الرابط المادي بين الأصل والفرع؟ هو أن يثبت لنا حال متكلمين من القرن الثاني عشر والثالث عشر يتكلمون بالفرنسية القديمة ويثبت لنا يقينيًا تبدل هذه الفرنسية القديمة جيلًا بعد جيل بتبدلات متراكمة تؤدي إلى الفرنسية كما نعرفها في نهاية القرن الثامن عشر إلى عهدنا. هذا لم يفعله اللغويون التطوريون ولا يستطيعون أن يفعلوه لموانع فوق الطاقة البشرية. إذن هل نقول إن اللغة الفرنسية المعاصرة لنا ليست تطورًا للفرنسية القديمة؟ وكيف نفسر العلاقات بين اللغات المتشابهة؟ والجواب هو أن القول بأن نوعًا لغويًا كالفرنسية المعاصرة تطور تناسلي عن نوع سابق بقرون لمجرد الشبه ممتنع بالأدلة التي ذكرنا من قبل. والصواب أن يقال إن وثائق الفرنسية القديمة تشبه من جهات اللغة الفرنسية المعاصرة ولكنها ليست أصلًا تناسليًا لها. أما عن تفسير العلاقات بين النوعين من الفرنسية فتنكشف بافتراض بسيط غفل عنه التطوريون هو أن اللغة الفرنسية بصورتها الحالية أو بصورتها يوم صارت لغة الفرنسيين الكتابية في القرن الثامن عشر لم تكن غائبة عن الكون في القرن ١٢ و١٣ وما قبلهما. كانت اللغة الفرنسية شيئًا متنوعًا في زمن لا مدارس فيه ولا مواصلات بالصورة

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

التي نعرفها اليوم وكان من أنواعها الفرنسية القديمة التي اتخذها الكتاب بسبب كونها في ذلك الوقت لغة الأغلبية ولغة الإدارة وكان من أنواعها أنواع أخرى من جملتها الفرنسية الماليربية أو الرونسارية من القرن الثامن عشر أي اللغة الفرنسية المعاصرة والتي يظن التطوريون أنها ولدت في لحظة من التاريخ دون أن يحددوا كيفيات ذلك ولا مراحل الولادة والحال أنها لم تكن غائبة كونًا وإنما كانت غائبة في العصور الوسطى عن ملاحظة الملاحظين. إذن ما يعده التطوريون مراحل للغة واحدة هو في الحقيقة تناوب في الاستعمال الأغلبي لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية وعددية للغات ذات أعمار واحدة. ما قيل هنا عن الفرنسيتين القديمة والحديثة يقال مثله بالضبط عن اللغات الرومانية واللغة اللاتينية التي يجعلها التطوريون أصلًا تناسليًا لها. من العسير المستحيل البرهنة على استمرار رابط تطوري أجيالي بين اللغة اللاتينية واللغات الرومانية من فرنسية واسبانية وغيرها. كل ما يقهر عليه الباحث ليظل في حدود اليقين هو إنكار التطور كما وصفه التطوريون والقول بأن اللغات الرومانية واللغة اللاتينية ذات عمر واحد وإن ليست إحداهما بأصل للأخرى. كل ما في الأمر أن التاريخ لم يسجل شأنها وفصلها حينما سجل أمر اللاتينية وظلت تلك اللغات تتوارث إلى أن صعد قومها منبر التاريخ وأنزل منه قوم اللاتينية.

ومثل ذلك أيضًا يقال عن العربية والدوارج فقد جعلها اللغويون العرب حالات فاسدة من العربية بسبب اتصال العرب بالأمم الأخرى أي إنها حالات تطورية تناسلية عن العربية الفصحى. وذلك ما عقد له السيوطي فصلًا في المزهر وعقد له غيره أقوالًا في كتبهم. لكن ذلك لا يستقيم أيضًا لعجز اللغويين العرب عن الإتيان بالرابط المادي الجيلي التراكمي الذي شأنه أن يربط بين العربية الفصحى والعاميات وليكون برهانًا على العلاقة البنيوية التطورية بينهن. لذلك من الواجب علميًا الاكتفاء بالبدهي من الإثباتات والقول بأن العاميات العربية ذات عمر مقارن ومصاقب للعربية الفصحى وأنهن لسن بنات للعربية الفصحى ولكنهن أخوات لها. يدل على ذلك من جهة أخرى غير الجهة التي ذكرنا أن من العاميات العربية عاميات قديمة ابتعدت عن العربية لأسباب كثيرة وهي العامية الفينيقية والعامية السريانية والعامية العبرية. وهي كلها ذات نصوص محددة زمنيًا قبل العصر الجاهلي ولكن بنيتها النحوية والمعجمية والمقطعية تجعلها عاميات قريبة من العاميات العربية فإن كنا لا نجعلها تطورًا فساديًا أو تناسليًا للفصحى فالأولى أن ندعي ذلك أيضًا في العاميات العربية.

الثاني مراقبة اللغات القائمة الآن وقياس تاريخها وحساب تطورها المدعى، يدل كل

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ذلك على تجاور اللغات الزمني وتنافسها في تحصيل الأغلبية والمكانة الكتابية لا على تطورها. هل يستطيع أحد أن ينكر أن جده الأول كان يتكلم بالعامية العربية التي يتكلم بها هو وأن جد جده الأول كان يتكلم بتلك العامية أيضًا وأن جد جد جده الأول كان كذلك على تلك العامية عاكفًا؟ لا يستطيع لأن حساب البداهة يؤدي إلى العجز عن إنكار ذلك. وهي البداهة التي أنكرها التطوريون وأقاموا علمًا باطلًا على إنكارها. هل يستطيع أحد أن ينكر أن العرب يتحدثون بعامياتهم الحالية منذ ألف سنة وأكثر؟ نجد في العصر الأموي إشارات إلى لحن فلان وفلان في العربية ولا يتصور أن يقصد بذلك إلا الذي يلحن في الفصحى المتعلمة ويتكلم في العادة بعاميته الأموية. من ذلك قول عبد الملك بن مروان المروي في العقد الفريد٢-٤٧٩ : "الإعراب جمال للوضيع واللحن هجنة على الشريف". هنا يعني اللحن بوضوح الغلط في لغة متعلمة، وقوله في المكان نفسه من العقد الفريد: "اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب والجدري في الوجه" وقوله: "شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن". لاشيء أوضح من هذه المقالة في الاستدلال على الازدواجية اللغوية في العهد الأموي بين عامية وفصيحة وفي تأييد القول بأن أهل العصر الأموي كانوا يتعلمون العربية كما نتعلمها الآن وكانوا يخطئون فيها ويسمون ذلك لحنًا. وهذا يخالف ما درجنا عليه إذ كنا نعتقد أخذًا من مؤرخينا أن العرب كانوا يتكلمون العربية الفصحى ثم فسدت لغتهم في نهاية العصر الأموي كما قال صاحب المزهر وتحولت إلى دوارج عاميات. كنا نظن أن أمثال هذه الأقوال المنسوبة إلى عبد الملك بن مروان بيان لذلك الفساد الحادث في العربية التي تكون تطورت على الألسنة. لكن بالتأمل في القضية نكتشف أنه ليس من المعقول أن يجوز المتكلم في لغته الأموية وقوع اللحن فيها منه. إن المتكلم بلغته الأموية لا يخاف فيها اللحن والغلط من نفسه فلو كان عبد الملك يعتقد في نفسه أنه يخطب بلغته الأموية لما شيبته المنابر ولما خاف رهقًا من ذلك. إنما شيبته المنابر لأن العادة في قومه الحديث في أوضاع معينة كالحديث مع الجمهور باللغة المتعلمة لا الأموية العامية فكانوا لذلك يتفاوتون في إتقانها ويلحنون فيها بين الوقت والوقت. وأدل من ذلك على قولنا هنا بقدم الازدواجية اللغوية بين العامية والفصيحة منذ العصر الأموي وما قبله غلط الحجاج في قراءته للقرآن الكريم فإنه يحكى أن يحيى بن يعمر نبهه إلى ذلك فنفاه إلى خراسان خوفًا من أن يفضحه بجهل العربية الفصيحة عند من حوله. لو كانت لغة القرآن الكريم أي العربية الفصحى لغة الحجاج الأموية أو الشفوية ولو كان ينطق بها مع الناس ومع أسرته في عهده لما أخطأ في قراءة القرآن الكريم فإن الإنسان لا يخطئ إلا في اللغات المتعلمة لا في لغة أمه وأبيه. ويبدو

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بالنظر إلى ما تقدم أن الفصحى كانت لغة تتعلم وأن العرب في العهد الأموي وما قبله كانوا يتكلمون بعامياتهم كحالهم اليوم وأن الازدواجية اللغوية ليست أمرًا تجدد عليهم بعد الفتوح والاتصال بالأجانب كما قال صاحب المزهر ولكنه قديم ضارب في تاريخهم القديم. ولعل هذا ما أوقع طه حسين في الغلط حين أنكر أن يكتب شعراء من أصل يمني بلغة عدنانية وظن أن ذلك دليل على انتحال القدماء الشعر الجاهلي. وما ظن ذلك الظن إلا لاعتقاده أن العرب لم تكن لهم فصحى تجمعهم وعاميات تفرقهم في العصر الجاهلي، وأنهم كانوا يكتبون الشعر بلغة كلامهم. ولم يكن الأمر كذلك فإنهم جميعًا من (عدنان وقحطان) كانوا يكتبون بالفصحى التي يتعلمونها وكانوا يهملون لهجاتهم أو عامياتهم في ذلك ويعينونها للاستعمال في المجال الشفوي. ولو انتبه طه حسين إلى ذلك لما وجد دليلًا في ما استدل به. انظر مثلًا إلى قول مالك بن أسماء الفزاري. سمط الآلئ لأبي عبيد البكري ١٦-١:

منطق صائب وتلحن أحيانًا   وخير الحديث ما كان لحنًا

إن هذا البيت من الشعر لا يستقيم معناه إلا إذا تبينا أن الشاعر يتحدث عن جارية ذات منطق صائب يعني به الفصحى وتتكلم أحيانًا بالعامية ثم علق على ذلك بأن خير الحديث ما كان بالعامية. ومثله قول الشاعر الأموي يحيى بن نوفل الحميري في والي العراق خالد بن عبد الله القسري:

وألحن الناس كل الناس قاطبة   وكان يولع بالتشديق في الخطب

هذا لا يقال إلا في من يخطب بلغة متعلمة فإن الإنسان كما تقدم لا يخطئ في لغة أمه وأبيه ولغته الجارية على لسانه فلو كانت الفصحى تجري على لسانه لما استحق هذا الهجو من الشاعر الحميري.

ومختصر الكلام أنه إن ثبت أن العامية كانت لغة الناس في العصر الأموي وجب أن يمد ذلك إلى العصور التي قبله فإن التطور البنائي للغة– إن ثبت جدلًا وهو غير ثابت لما قدمناه من أدلة تبلغ درجة البداهة - لا ينبغي له أن يستقر إلا في آلاف السنين لا في قرون. وهو غير ثابت كما قدمنا وإنما الثابت هلاك المتكلمين باللغة الغابرة أو انتقالهم لسبب من الأسباب إلى اللغة المشابهة. ويتصل بذلك القول بأن السبب في إبعاد اللغويين العرب قبائل الشام والحجاز واليمن وعمان والعراق من الأخذ اللغوي، واكتفاؤهم بالرواية عن عرب وسط الجزيرة أو ما سماه أبو زيد الأنصاري بأهل عالية السافلة وسافلة العالية، قد يكون سببه هو أن هذه القبائل لم يكن لها علم بالعربية الفصحى وأنها كانت ذات لغات عربية عامية وصفت بالفاسدة وأن علم العربية الفصحى المتعلمة كان شأن القبائل الضاربة في

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وسط الجزيرة (المزهر للسيوطي والرواية للشلقاني). ويؤكد ذلك الحديث المشهور الذي ينسب الفصاحة أي العربية الفصحى إلى بني سعد بن بكر الذين ربي فيهم رسول الله كما جاء في الخبر عند الطبراني وغيره. في هذه الحالة تطرح قضايا أخرى ليس هنا محل اقتحامها كأصل العربية الفصحى وسبب اختصاص وسط الجزيرة بها وبتعلمها وتعليمها إلخ.

لا فرق في كلام الأقدمين بين اللحن والغلط في اللغة المتعلمة. ومع ذلك فإنه يمكن تأويل كلامهم في الفساد بأن المقصود به العامية وأنهم حين تحدثوا عن فساد العربية إنما أرادوا أن يكتشفوا علاقة تطورية بين الفصحى وبين العاميات فسموها فسادًا بالنسبة إلى أصلها. والفساد كما نعلم من معانيه التغير والتطور وخصوصًا عند الفلاسفة والمتكلمين الذين لم تكن ساحتهم خالية من اللغويين. وهم هنا إن صح هذا التأويل قائلون بالتطور التناسلي بين اللغات وهو ما دفعناه من قبل. كل ذلك لا يخلو من تأييد القول بقيام الازدواجية عند العرب منذ الزمن الأول بل يؤكده. والحاصل أن الأخبار عن اللحن في لغة الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه في العقد الفريد وعيون الأخبار ومعجم الأدباء فسرت على غير محمل الصواب عند مؤرخي اللغويات العربية في عهدنا وظن بها أنها إخبار عن غلط المتحدثين في لغتهم الأمومية العربية الفصحى أو عن تطور بنائي مقولي مورفولوجي أصاب العربية الفصحى على ألسنة الناس وسمي عندهم لحنًا. وذلك ممتنع والصواب أنها إخبار عن العامية وتداخلها مع العربية المتعلمة أو الفصحى وغلط الأقدمين في الفصحى المتعلمة وأنها دليل على قيام الازدواجية اللغوية فصحى – عامية في كل عهود العربية منذ الجاهلية وقبل الجاهلية المعروفة. (من أولئك المؤرخين رمضان عبد التواب في كتابه لحن العامة والتطور اللغوي وكتابه التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله، وعبد الرحمن أيوب في كتابه التطور اللغوي).

أما في العصر العباسي فقد كانت العامية لغة الناس جميعًا. ونجد في كتاب الشريف الإدريسي وصفًا لعامية مصر بالعذوبة ونجد أيضًا وصفًا للعاميات في المغرب العربي والأندلس بقلم ابن خلدون في مقدمته. ونجد كتبًا في لحن العامة وإنما سميت لحن عامة لأنها لحون من أثر العامية في العربية التي يتعلمون. إن كتبًا مثل لحن العامة لأبي حاتم السجستاني وخير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام لابن بالي وإصلاح غلط المحدثين للخطابي ودفع الأصر عن كلام أهل مصر ليوسف المغربي وفائت الفصيح لأبي عمر الزاهد وتمام فصيح الكلام لابن فارس وغير ذلك لم تؤلف للحديث عن التطور اللغوي كما ظن بعض المؤرخين. إنما أُلفت لمنع التداخل بين العامية والعربية الفصيحة المتعلمة في العصور

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العباسية من أولها المتاخم للعصر الأموي إلى عهد مؤلفيها ولبيان تأثير العامية على العربية الفصحى في ألسنة المتحدثين. إن كلمة الفصاحة المعروفة عند القدماء والتي حصر البلاغيون معناها في جودة النطق تتسع لغير ما ذكره البلاغيون كصاحب سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي فإن الفصاحة في النصوص القديمة كالحديث النبوي لا تعني جودة النطق وإنما تعني الاقتدار على الإعراب بلغة خاصة هي هذه الفصحى. لم يكن النبي عليه السلام في قوله المروي في الخبر: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وربيت في بني سعد بن بكر" يقصد جودته في النطق وإنما كان يعني إحاطته بنوع من اللغة قل من يحيط بها بل لا يحيط بها أحد سواه هي هذه العربية القرآنية الفصحى. ومن ألطف الأوهام، التي يجر إليها القول السقيم بالغلط في لغة الأم الذي هو أساس كل أقوال الذين أرخوا للحن من المحدثين، ما انساق إليه رمضان عبد التواب رحمه الله وهو يستدل على شيوع العربية الفصحى عند الأعراب على عهد ابن جني. ذكر قصة أعرابي سأله ابن جني عن جمل وصوابها في العربية فلما أجاب الأعرابي بالصواب أراد أن يغلطه ابن جني فدعاه إلى قياس شيء على شيء فأبى الأعرابي. استدل بهذا رمضان عبد التواب رحمه الله على السليقة اللغوية أو ما ندعوه اليوم بلغة الأم وعلى امتناع أن يخالفها المتطبع بها. لكنه نسي من القصة أن الأعرابي أجاب ابن جني بالعامية وقال له: "ايش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام". إذن كان الأعرابي ذا لغة عامية هي سليقته اللغوية وذا لغة عربية تعلمها هو نفسه في قريته بالجزيرة أو غيرها.

ونريد أن نختم كلامنا هنا بالرد على من يستبعد قيام لغة متعلمة في وسط الجزيرة بجنب اللغة العامية ويستدل ببداوة الأعراب وابتعادهم عن أدوات التعليم والتعلم كما أشاع ذلك ابن خلدون. أولًا ابن خلدون لا علم له بالجزيرة العربية وكل علمه عن العرب والأعراب أصله أعراب الشمال الإفريقي وباديتهم فيه. ثانيًا ما نعرفه عن عرب الجزيرة مأخوذ من كتب كُتّاب من العراق والشام ومصر وإيران وشرقها وليس مأخوذًا عن أهلها ولذلك تجد تناقضًا بين صورة الجزيرة في تلك الكتب وصورتها على الطبيعة إن زرتها وأطلت النظر في أحوالها الجغرافية والمعيشية. وثالثًا إن الحاصل لمن عايش أهل الجزيرة اليوم أنه يعرف عنهم خلاف ما هو مذكور في الكتب التي لم يكتبها أجدادهم. إنهم أهل قرى لا أهل بواد وقفار لأنهم مجتمعون على منابع الماء ولا يسكنون الفيافي والقفار كما توهم عنهم جيرانهم، وقبائلهم مجرد أسر وليست قبائل منتشرة في الأرض فإن ذلك مستحيل في بلدهم لندرة مواقع الماء. وذلك مشهود حتى يومنا فإن ما نسميه قبيلة باسم كذا وكذا ليس

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

إلا أسرًا بقرية أو قرى وليس أرضًا محتلة بالقبيلة كالحال في المغرب والبلدان التي ينتشر فيها الماء. لذلك ليس مستبعدًا أن تكون قامت في القرى العربية بوسط الجزيرة حركة تعليمية تعلمية للغة العربية الفصحى بجنب العامية التي هي لغتهم الأمومية. ويبقى بعد ذلك سؤال ليس هنا مكان الإجابة عنه هو: من أين وصلتهم هذه اللغة الفصحى؟

إذن الحاصل أن العاميات قديمة وأن اللغات واللهجات كلهن متجاورات في الزمن والمكان وأن بعضها يغبر لغبور أهلها وبعضها يظهر لظهور أهلها أيضًا وأن التطور الكياني الماهوي للغة والتركيبي والمقولي أي البنائي إلخ توهم غرسه اللغويون التطوريون في الأذهان ولا يدل عليه دليل ولا يقين وأن كل ما يلحقه التطور والتبدل المعاني والسياقات المتصلة بها لا غير والاشتقاقات.

إن الذي جرنا إلى الحديث عن التطور وانتقاد القائلين به وعلمهم هو أننا إن وجدنا العربية الفصحى حالة ثابتة كيانيًا ومقوليًا وصرفيًا، وإن كان معجمها التاريخي سيسعى إلى وصف التغيرات الدلالية والاشتقاقية والتجاورية النحوية وحدها دون غيرها فليس ذلك بدعًا من القول أو فقرًا في معجمها التاريخي. وأيضًا فإن معرفة الأوضاع اللغوية الحقيقية للعاميات الرسمية للعربية - ونعني بها ما يدعى بالدوارج العربية– ومعرفة الأوضاع الخاصة بالعاميات القديمة المشابهة للعربيات معجمًا ومورفيمات واختيار القول في باب التطور اللغوي كما بيناه من قبل يؤثر على اختيارات واضع المعجم التاريخي للغة العربية. إن ذلك الواضع ينطلق من مسلمات في باب تاريخ العربية وأوضاع أنواعها كلها وليس واضعًا متحررًا من القيود التاريخية للغة العربية. غرضنا أن ندافع عن موقف يقول بالعلاقات البنيوية التاريخية بين اللغات أي أن كل اللغات حالات ثابتة كالعربية وليست نتاج تطور تناسلي عن لغات سابقة، وإنها متجاورة في الزمن، وأن المتأخر ظهورًا منها على مسرح التاريخ ليس متأخرًا كونًا وذاتًا ولكنه متأخر ظهورًا في وعي المؤرخين، وأن مسرح التاريخ اللغوي الذي تظهر فيه اللغات ليس هو مسرح الكون اللغوي الذي تتجاور فيه والذي قد لا يطلع عليه المؤرخون. إن غرضنا هنا أن نوجه انتقادًا لمن يظن أن المعجم التاريخي ينبغي أن يضم أشتات التطور الذي يكون أصاب اللغة التي ليست لغة واحدة وإنما هي لغات متشابهة ومتجاورة كالحال في معجم اكسفورد والمعجم التاريخي للغة الفرنسية. في تلك المعاجم رصدت اللغة الفرنسية القديمة وما بعدها إلى اللغة الفرنسية المعاصرة أي رصدت لغات لا لغة واحدة ورصدت الإنجليزية في لغات متتابعة في الظهور قبل قرابة عشرة قرون إلى بداية القرن العشرين ثم إلى عهدنا. رصدت لغات مختلفة يظن بها أن بعضها تطور عن بعض

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والحال أن كل ما في الأمر أن ما يظن أنه لغة متطورة بنائيًا عن أصل ليست متطورة عنه وإنما ظهر أهلها في لحظة من التاريخ واختفى أهل اللغة السابقة بعدما كانا كلاهما متجاورين زمنًا. بلغة بسيطة ندعي مثلًا إن اللغة الفرنسية التي نعرفها الآن تطورية تناسلية الإضافات والتشذيبات المجمعية - كانت قائمة في فرنسا في عهد الفرنسية القديمة بل كانت قائمة في فرنسا في عهد سيطرة اللاتينية. وإن كان بين هذه اللغات علاقة فهي علاقة بنيوية نحوية لا تطورية تناسلية. كلما سيطر جيل سيطرت لهجته وبقيت معه اللهجات المندحرة إلا في عهدنا فإن النظام التعليمي والعام يجعل من اللغة المسيطرة قوة تمحو كل اللغات الفاقدة للسلطان. وذلك ما كان ممتنعًا وقوعه في الماضي لاختلاف وسائل الدحر والسيطرة واختلاف أنواع القوة بين الماضي والحاضر. التوحيد اللغوي أمر حديث. أما في الماضي فإنك واجد في كل مائة كيلومتر لهجات متشابهة ومتباينة.اليوم نستطيع أن نحصي اللغات وخرائطها في الأرض والهالك منها والباقي. أما قبل زمننا فلم يكن ذلك ممكنًا لأحد من الناس: كانت وثائق اللغة من أدب وشعر ومعارف ودين وغير ذلك تظهر على مسرح التاريخ في وقت معين فيقضى بأن اللغة نشأت في ذلك الوقت. وبسبب هذا النوع من التناول المنحرف قضي للغة بالتقدم الزمني على غيرها أن تقدمت وثائقها زمنًا بل وقضي لهذه أن تكون أصلًا لغيرها إن كان بينهما وجه شبه أو كانا كلاهما ناشئتين في أرض واحدة أو متقاربة الأكناف. انظر في ذلك إلى العربية والعبرية والسريانية. كل الدلائل البنيوية تقضي بأصلية اللغة العربية بنيويًا لا تناسليًا وتطوريًا وكون العبرية والسريانية دارجتين قديمتين أو عاميتين كالعاميات العربية الأخرى. أقصد الدلائل المعجمية والإعرابية والمقطعية والصرفية المتقاربة بين العاميات العربية والسريانية والعبرية وانفراد العربية الفصحى بوضعية نحوية خاصة تجعل من الممكن ربط كل العاميات بها بنيويًا لا تناسليًا بما فيها من عامية عبرية وعامية سريانية. مثلًا نستطيع في السريانية أن نقول إن ضمائر الملكية تطورت بنيويًا لا تاريخيًا وتناسليًا من العربية الفصحى إلى السريانية والدارجة العربية المغربية بطريقة واحدة.

نكتفي للاختصار بضرب مثال واحد : في السريانية نجد ضمير الملكية التالي :

- ديلخ dilokh

إنه بالضبط ضمير الملكية في الدارجة العربية المغربية:

- ديالك dialk

وكلاهما ينحدران بنيويًا من العربية الفصحى أي من الموصول وصلته التاليان:

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الذي لك

(دي) في السريانية والعربية الدارجة المغربية هي بقية (الذي) ثم في السريانية نجد (لخ) المتحولة عن (لك) الجار والمجرور العربي مع الإشمام أي تحويل الفتح إلى ضم وتغيير صوتي بسيط هو تحويل الكاف إلى خاء. في العربية المغربية تحول (lak) العربي إلى(lk) أي إلى متتابعة صامتة مع تحول حركة الفتح إلى ما قبل اللام. ولكي لا يقال إن هذا خاص بهذا الضمير فإننا نذكر هنا الضمائر الأخرى التي ينطبق عليها ما ينطبق على ضمير المالك المخاطب المتقدم:

الضمائر السريانية على اليمين والمغربية العربية الدارجة على الشمال :

dili	diali

تنطق في السريانية: dil مع إبطال النطق بحركة الكسر الختامية وتثبت في الكتابة دلالة على نطقها عند بعض السريان

dilokh	dialk
dilékh (feminin)	dialk
diléh	dialou
diloh	dialha
dilan	dialna
dilkhon	dialkom
dilkhén (feminin)	dialkom
dilhoun	dialhom
dilhén (feminin)	dialhom

الأصل البنيوي لهذه الضمائر في العربية الفصحى بالترتيب : (الذي لي - الذي لك - الذي لك للمؤنث - الذي له - الذي لها - الذي لنا - الذي لكم - الذي لكن - الذي لهم - الذي لهن).

الحاصل أن معجم العربية التاريخي سيكون أصدق من غيره إن لاحظ التغيرات الدلالية والاشتقاقية في الحالة الثابتة الفصحى وغابت عنه التغيرات اللغاتية (نسبة إلى اللغات على القول بجواز النسبة إلى الجمع) كالحال في الفرنسية والإنجليزية بين لغات قديمة (إنجليزية وفرنسية) ولغة معاصرة، ونظر إلى العاميات كلها باعتقاد أنها حالات مجاورة مرتبطة بنيويًا لا تطوريًا وتناسليًا بالعربية الفصحى.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

اقتراحات:

كان فيشر الألماني أول من جمع جذاذات بقصد إنشاء معجم تاريخي للغة العربية في أول القرن العشرين ثم عرض ذلك على أعضاء مجمع القاهرة الذين امضوا وقتهم في مجادلته، وانتهى بهم الأمر إلى نشر مجلدين من معجمه مع الإبقاء على الجذاذات في مرابد المجمع. ولم يفعلوا هم شيئًا. ثم تولى أمر المجمع إبراهيم مدكور فأعرض عن خطة المعجم التاريخي واستبدل المعجم الكبير بها. كان فيشر قد أحصى كلمات مراجع من القرن الأول والثاني والثالث والجاهلية. لم يعد أحد بعده إلى خطة كخطته حتى سمعنا أن لجنة أسست بجامعة تونس لوضع معجم تاريخي (انظر كتاب محمد حسن عبد العزيز المقبل ذكره) ولم تفعل شيئًا ثم سمعنا عن لجنة أخرى في بلد خليجي (انظر اليوتوب). الحقيقة إن اللجنات غايتها إفناء الوقت في المجادلات ولا أظن أن أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة في سنوات الثلاثين من القرن العشرين كانوا أدنى رشدًا من غيرهم فإن العيب لم يكن في أشخاصهم ولكنه كان في الجماعة فإن الجماعة لا تحس بالتبعة كالفرد. المهم أن المستعرب فيشر أوضح سبيلًا وقدم نموذجًا لما ينبغي أن يتم عليه الأمر. وقصة ذلك كله يجدها الواجد في كتاب محمد حسن عبد العزيز (المعجم التاريخي للغة العربية. وثائق ونماذج. دار السلام. القاهرة. ٢٠٠٨).

لنا مع ذلك ملاحظات :

الأولى : يجب تقسيم العمل إلى مرحلتين. في المرحلة الأولى يكتفي واضعو المعجم التاريخي للغة العربية بتجريد المعجمات العربية القديمة والحديثة والبحث عن تاريخ كلماتها من كل الجوانب. بلغة أخرى: تكون المرحلة الأولى خاصة بتحويل المعاجم العربية الموروثة والمعاصرة إلى معجم تاريخي. ما فائدة البحث عن الكلمات كما فعل فيشر، الكلمات المتفرقة في مراجع القرون الأولى، إن كان جزء عظيم من هذه الكلمات مجموعًا موجودًا في المعجمات الموروثة والمعاصرة؟ أليس المضي إليها في هذه المعجمات ومتابعة هويتها التاريخية أجدى وأيسر من إعادة العمل مرة أخرى للبحث عنها في المراجع في وقت يطول ويعادل الوقت الذي أنفقه صناع هذه المعجمات في إنشائها أو يتعداه؟ أضف إلى ذلك أن بعض المعاجم وكتب اللغة ككتاب المنطق لابن السكيت وفقه اللغة للثعالبي وخصوصًا لسان العرب يقدمون مداخل لغوية تمتاز بالتنوع الدلالي الذي لا يحتاج إلا إلى التحقيب التاريخي. لو نظرنا مثلًا في مدخل من مداخل معجم لسان العرب لوجدناه يذكر للكلمة الواحدة معاني مختلفة مصحوبة باستشهادات وأسماء ولا يحتاج الأمر فيها إلا إلى فضل عناية

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بتحديد زمن الاستشهاد وعصر صاحب الشاهد لتحديد حقبة الكلمة. هذا أمر بدهي ولا أدري لم غفل عنه فيشر والمجمعيون بالقاهرة فإن المتجه إلى التراث بكتبه ومؤلفاته لجمع كلمات اللغة العربية، الذي يهمل ما جمعه قبله الجامعون وبينوه وأغنوه بالتعاليق والتعاقيب، يحرك في النفس الدهشة والاستغراب. إن كان معجم لسان العرب مثلًا معجمًا لا تجتمع فيه صفات المعجم التاريخي فإنه يمثل بما فيه من أخبار لغوية وثقافية وعرفية وبلاغية عن الكلمات جزءًا لا يستهان به من مهمة المعجم التاريخي. لا يصح إبعاد هذه الملاحظة من الحسبان إلا إن ظن بأن كلمات معجم كلسان العرب أو غيره ليست جزءًا من كلمات كل معجم تاريخي يوضع للعربية.

إن اعتماد هذه الملاحظة له فائدة أخرى لا تقل شأنًا عما ذكر من قبل: ليس من شأن المعجم التاريخي أن يصدر مرة واحدة حاملًا كل العربية في كل عهودها. لا. الشأن فيه أن يقدم جزءًا فجزءًا. الجزء الأول الحقيق بالتقديم هو الجزء الذي تمثله كلمات المعاجم العربية المرتبة من قبل. هذا الجزء إن قدم سهل صدور القسم الأول من المعجم التاريخي الذي سيكون مختصًا بترخنة (فعللة من التاريخ) المعاجم العربية أي باستغلال أخبارها المعجمية بالمعنى العام لإنتاج القسم الأول من المعجم التاريخي للغة العربية. بعد الانتهاء من ذلك القسم يصح أن نمضي إلى ما مضى إليه فيشر من قبل بالنظر في التراث كله قديمه وأقدمه.

الثانيــة : الإعراض عن خطة الاجتماعات واللجنات والمجالس العلمية فكل ذلك طقوس لا تقدم العمل إن سبقته، وينبغي تأخير إنشائها إلى وقت الحاجة إليها أي عند اكتمال العمل أو اقترابه من الاكتمال. الخطة المستحبة هي قيام لجنة واحدة إدارية تابعة لمنظمة أو لدولة أو لوزارة توزع الأعمال على المختصين في الجامعات والمراكز المشابهة من جمعيات وغيرها ويرصد لها ما يكفي من تمويل. هذا النوع من التصرف لا يقوم إلا إذا أدركت الدول العربية خطر اللغة العربية وقيمتها ودورها كما أدركته دول أخرى في خصوص لغاتها. وما أظنها تدرك ذلك في خضم الكوارث الجسام التي تصيب القلب منها في عهدنا هذا.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مراجع مساعدة أو مر ذكرها في المقال أو توسع مجال نظر القارئ:

- نشوء العربية ونموها واكتهالها للأب انسطاس ماري الكرملي
- معجم أكسفورد الشبكة
- المعجم التاريخي للغة الفرنسية الشبكة
- معجم فيشر.جزءان من نشر المجمع بالقاهرة
- تاريخ اللغات السامية لولفنسون
- الرد على ولفنسون. الطبيعة والتمثال. مجلة دراسات أدبية ولسانية بفاس. أحمد العلوي
- التوراة جاءت من جزيرة العرب. كمال الصليبي
- الرد على الصليبي ونقض تأويله. مجلة المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم بتونس (في طريق الصدور).
- دروس في اللغويات العامة. فردينان دو سوسور بالفرنسية
- الكليات للكفوي
- حدود النحو للفاكهاني أو الفاكهي
- تذكرة داود الأنطاكي
- التعريفات للجرجاني
- معجم الفاظ الحديث النبوي لمحمد فؤاد عبد الباقي
- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن لعلمي زادة فيض الله بن موسى الحسني المقدسي
- الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد الاصفهاني
- لسان العرب لابن منظور
- فقه اللغة للثعالبي
- المعرب للجواليقي
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي
- supplements aux dictionnaires arabes / DOZY
- أساطير اللغويين. أحمد العلوي. مقال منشور في مجلة اللسان العربي الصادرة عن مكتب التنسيق التابع للالكسو بالرباط
- علم اللغة لمحمود السعران. القاهرة

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- العقد الفريد لابن عبد ربه
- المزهر للسيوطي
- الشعر الجاهلي لطه حسين
- سمط اللآلئ لأبي عبيد البكري
- رواية اللغة لعبد الحميد الشلقاني
- المعجم للطبراني
- نزهة المشتاق للشريف الإدريسي
- مقدمة ابن خلدون
- لحن العامة للسجستاني
- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام
- لحن العامة والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب
- التطور اللغوي، مظاهره وقوانينه وعلله لرمضان عبد التواب
- التطور اللغوي لعبد الرحمن أيوب
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
- المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج. محمد حسن عبد العزيز
- المنطق لابن السكيت

- caracteres generaux des langues germaniques, Antoine meillet
- les grandes théories de la linguistique : de la grammaire comparée a la pragmatique, PAVEAU
- linguistique comparée et mythologie comparée indoeuropéenne, G. Dumezil
- Histoire des idées linguistiques :L'hégemonie du comparatisme, S AUROUX

- يوتوب
- كوكل

ملاحظة: لم نأت على تفاصيل الطبعة والتاريخ ودار النشر لأن هذه المسائل صارت معروضة بيسر لكل طالب في الشبكة العنكبوتية (الانترنيت). انتهي ولله الحمد.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المُعجَمُ التّاريخِيُّ واسْتِثْمارُ المَصادرِ

د. عبد الرحمن بودرع

أستاذ اللسانيات

جامعة عبد المالك السعدي

١- الكلمة العربية ذاكرة الثقافَة والمعرفَة:

عنـدَما نتحـدثُ عـن المُعجَـم التـاريخي وقـضية بنائـه فإنمـا نتحـدثُ عـن بنـاء الـذّاكرة العلميّة والثقافيّة للأمة، واللّغةُ العربيـة أكثر لُغات الأرض حاجةً إلى بناء المعجم التـاريخيّ ورعايتـه وتتبـع مَراحلـه الإنجازيـة المتتاليـة، لأنهـا مـن اللغـات القديمَـة عُمـراً، الغنيـة تراثـاً، الواسـعَة ألفاظاً وموادَّ لغويـةً وأدبيـةً، والمعجـمُ التـاريخي افتراضٌ وواقـعٌ، فهـو نسَق مفترَضٌ قيامُه في اللغة العَربية بالقُوّة قبلَ بنائه بالفعل، وهو واقعٌ يَنبغي تثبيتُه لأن موادَّه اللغويـة والتاريخية والمعرفيةَ متوافرَةٌ ولا يبقى إلا بناؤُه وفقَ منهجٍ دَقيق يتصفحُ الموادَّ ويُرتّبها تاريخيا ويوثقُ نسبَتَها ويُراعي اختلافَ الدلالات وتَطورَها من زمن إلى آخَر؛ لأن تطورَ الدلالات يَعْني التغيُّر الدّلالي في الأبنية اللغوية، ابتداءً من أول دلالةٍ طُبِعَت في قائمة الكلمةِ وذاكرتها. وهذا التصورُ يُفيدُ أنّ المعجَمَ التاريخيّ ذاكرةٌ كبرى للأمة، تتألَّفُ من أجزاء هي الكلماتُ والأبنيةُ والجذورُ، وكلُّ كلمة تُعَدُّ في ذاتها ذاكرةً دلاليةً تَنطوي في جَوفها على مَعانٍ وشَواهدَ وجهاتٍ استعماليّة سياقيّةٍ [(١)].

الذّاكرةُ الدّلاليّةُ للكلمة: الأصلُ في الكلِمَةِ أنّها وَحْدَةٌ لُغويّة مُؤَلَّفَةٌ من أصواتٍ مُتّصلةٍ، تدلُّ في تَركيبها الكلّيّ عَلى مَعْنىً في ذاتها. ويدورُ المُعْجَمُ حولَ الكلمةِ إيضاحًا وشرْحًا، ليجْلُو المعنى المعجميَّ؛ لأنّ مـدارَ المَعـاجِمِ على كَـشفِ مَعـاني الكَلِمـاتِ، التي تـدورُ مَعهـا في الاسْـتِعْمالاتِ المُخْتلِفـةِ. ولا شكَّ أنّ المَعْنى المُعْجميَّ معنى لُغويٌّ، لأنّه قابلٌ لأن يُعَرَّفَ بِه في

---

(١) يُنظرُ في تعريف المعجَم التاريخيّ ودلالاته ومكوّناته ومادته:

- د.محمد حسن عبد العزيز: نموذج جديد للمعجم التاريخي للغة العربية
- د.علي القاسمي: تاريخ المعجم التاريخي
- د.عبد العلي الودغيري: التأريخ لمعجم اللغة العربية، أسئلة وإشكالات
- د.محمد الينبعي: نحو تصور لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية
- د.عبد الرحمن بودرع: مادة المعجم التاريخي للغة العربية

أعمال نَدْوَة المُعجَم التّاريخي للغة العربيّة، قضاياه النَظريّة والمنهجيّة والتّطبيقيّة، نَشر مؤسّسة البُحوث والدّراسات العلميّة [مبدع-فاس] طبع دار السّلام للطّباعَة والنّشر والتّوزيع والتّرجَمَة، ط.١، ١٤٣٢-٢٠١١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المداخلِ المعجميّةِ، وخاضِعٌ لمقاييسِ الشّرحِ اللّغويّ، ولكنّه، قبلَ ذلكَ، مَعْنىً ذو طابعٍ اجتماعيٍّ تَداوُلِيٍّ؛ لأنّه المعنى الذي يفهمُه الفردُ في مُجْتمعِه من ألفاظِ لغتِه، ويُوافقُه عَلى ذلِكَ بَقيّةُ الأفْرادِ.

لكنَّ هذه الكَلِمَةَ تُعدُّ نواةَ المُعجَمِ ووحدتَه الأساسَ، وقد بُنِيَت مَعاجمُ الألفاظِ العربيّة منذُ القَديمِ، على مَنهجِ المَداخلِ المعْجميّةِ، وترتيبِ الموادّ على ترتيب الألفاظِ ترتيباً مَخصوصاً، واعتمَدَت طُرُقاً مُختلفةً في التّرتيب، تَفاوَتَت بين اعتمادِ الحَرف الأخيرِ أو الحَرفِ الأولِ أو مَخارجِ الحُروف، وظلَّ هذا المنهجُ المَبنيُّ على القيم الحَرفيّة المتغيِّرَة ثابتاً على أصلٍ واحدٍ هو اعْتمادُ الكلمةِ نواةً ومَدخلاً، ولا فَرقَ في منهج اعتمادِ الكلمةِ نواةً بين مَعاجم الألفاظ ومَعاجمِ المَعاني والمَواضيع؛ لأنّ معاجمَ المَواضيعِ نفسَها تعتمدُ الكلمةَ داخلَ الأبوابِ، مبدأً من مبادئ تَقديم المادّةِ المعجميّة.

٢- بينَ المُعجم التاريخيّ والمَعاجم المُؤَلَّفة:

والحقيقةُ أنّه لا يَنْبَغي أن يَنحصرَ المُعجَم التاريخيّ العربيّ في الصّناعَة المعجميّة المَعروفَة، وإنْ كانَ الذي يَجمعُ بين المُعجم التّاريخيّ ومَعاجم اللغة العربيّة التي أُلِّفَت في العُصور المختلفَة، جَوامعُ، منها اعتمادُ المدوَّناتِ اللغويّة التي تتّخذُ من الشّواهدِ مرجعاً، ومنها اعتمادُ منهجٍ مُعيّنٍ في التّرتيب، ومنها تَزويد كلّ مادّةٍ أو مدخلٍ مُعجميّ بتَعريفٍ مُعيّنٍ.

فالمُعجَمُ التّاريخيّ ليسَ بالضّرورة تصنيفاً مُدوَّناً[1] مُنتَهياً لا يقبلُ الزّيادَةَ أو التّعديلَ، ولكنّه نظامٌ أو نَسَقٌ قائمٌ في الذّهن أو الضّمير الجَمعيّ، وتَقْتَضي ضرورَةُ الحفاظ على ذاكرَةِ الأمّةِ وتراثِها وأدبياتِها تَدوينَ مَوادّ المُعجَم التاريخيّ ووضعَ هندسةٍ وتَخطيطٍ لبنائه. فهُو أولاً مُعجَمٌ لأنّه يَجمعُ المَداخلَ المعجميّةَ أي الكَلماتِ المُدوَّنةَ مُرتّبَةً على منهجٍ مَخصوص، ليسهُلَ الرُّجوعُ إليْها واستخراجُها عند البَحْثِ عَنها، وهو تاريخيٌّ لأنّه يُرتّبُ تَعريفاتِ الكلماتِ بحسبِ تَطوُّرِ دلالاتِها من أقدَم دلالةٍ إلى أحدثِها، بَل يَقْرِنُ المُعجمُ التّاريخيُّ دلالةَ الكلمَة بصيَغِها المُختلفَة التي استُعملَت بها أولَ مرّةٍ؛ لأنّ في مراعاةِ الاقترانِ بين الصّيغَة والدّلالَة تأريخاً

(١) أشار د. عبد العلي الودغيري إلى أنّ من خَصائص المُعجَم ألاّ يَكونَ بالضّرورَة مَكتوباً أو مُدَوَّناً؛ إذ التّدوينُ شرطٌ من شُروط القاموسِ لا من شُروط المُعجَم الذي قَد يَكونَ شفوياً في اللغاتِ الشفويّةِ، وألا يتضمَّنَ بالضّرورةِ قائمةً محدَّدةً من الألفاظِ، لأنّ من خَصائصه أنّه نظامٌ مَفتوحٌ، لا يُمكنُ حصرُه في عدد معيّنٍ من الألفاظِ أو الوحداتِ المعجميّةِ، وأنّه مُتغيّرٌ باستمرارٍ وليسَ كالقاموس ثابتاً على وضعٍ معيّنٍ في فترةٍ معيّنَةٍ، وأنّه لا يُشترَط فيه التّرتيبُ والتّعريفُ، أما القاموسُ فيَحتاجُ إلى الشرطَيْن، وأنّه أوسعُ في مَفْهومه وأشملُ من القاموس. انظُرْ: أعمال نَدْوَة المُعجَم التّاريخي للغة العربيّة، قَضاياه النّظريّة والمنهجيّة والتّطبيقيّة فاس ٢٠١٠، نَشر مؤسّسة البُحوث والدّراسات العلميّة [مبدع-فاس]، المجلد١، ص:١٢٧-١٧١. وكذلكَ كتاب: قَضايا المُعجَم العربي في كتابات ابن الطّيّب الشرقي، للمؤلف نفسِه.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لأوّل اسْتعمالٍ. ولعلَّ بعضَ موادِ لمُعجَم التاريخيّ المُفتَرَضِ المُتصَوَّرِ ذهناً، مُتناثرةٌ -في الواقع- في كتب اللغةِ والمَعاجمِ والرّسائلِ وعُموم المصنّفاتِ اللغويّةِ وكلِّ ما يُمكنُ أن يُعَدَّ أصنافاً مخصوصةً من المعاجم أو فُنوناً من فُنونِ صناعَةِ المَعاجِمِ التي تُلتَمَسُ فيها اللُّغَةُ؛ فإنّ هذه المُصنَّفاتِ اللغويةَ العامَّةَ منها ما الْتَزَمَ بعَرْضِ الكَلماتِ وفقَ تَرتيبٍ صوتيّ صرفيّ أو ترتيب هجائيّ أو أيّ ضربٍ من ضُروبِ التّرتيب، ومنها ما جاوَزَ ذلكَ إلى حَشدِ المادّةِ اللغويّة الفَصيحَةِ التي اتُّخِذَت فيما بعدُ أساساً للاستدلالِ على القَواعدِ النّحويّة والصّرفيّة ومُعتَمَداً في بناء المَعاجِمِ الصّناعيّةِ ومَصدراً للأقيسَة الأدبيّةِ والنّقديّة ومَرجعاً لأخبارِ العربِ وأيامهم وأنسابهم وأحوال الشعراءِ والفُصَحاء.

- لقَد مرَّ بنا في بَحثٍ سابقٍ أنْ تطرّقنا إلى مُقاربةٍ دلاليّةٍ مَعروفةٍ في ميدانِ رصدِ المَعاني، هي نظريّةُ الحُقول الدّلالية[1]، وهي نظريّةٌ تُفيدُ أنّ للكلمةِ علاقةً بكلماتٍ أخرى تُشاركُها جزءاً من الدّلالَةِ، وأنّ البحثَ عن معنى الكلمةِ يَعتمدُ على استقراءِ الكلماتِ التي تُشاطرُها المَعْنى أو جَوانبَ منه، ويقتضي شَرحُ الكلمةِ الوافي وتعريفُها الكافي الرّجوعَ إلى الحقلِ العامّ الذي يَفتَحُ أمامَ الباحثِ أحيازاً دلاليّةً أوسَعُ من تلك التي يُتيحُها التّعريفُ المفردُ المجرّدُ[2].
- أما هذا البحثُ فيتطرقُ إلى الإشارَة إلى أهميّةِ مصادرِ اللغة العربيّةِ عامةً[3] في مدّ المُعجَم التاريخيّ بالكلماتِ المُختلفَةِ ذاتِ الدّلالاتِ المتطوّرَة؛ فمِن بُطونِ النُّصوصِ والمَصادرِ تُلتمَسُ كلماتُ المُعجم التّاريخيّ قبلَ أن تُلتمَسَ في المَعاجم الصّناعيّة وحدَها.

٣- **اقْتِراحَ "اسْتِثْمارِ المَصادرِ اللّغويّة"، لبناءِ المُعجم التّاريخيّ اقْتراحٌ في صَميم المَنهَج.** موضوعُ المُعجم التّاريخيّ حَديثٌ في المَنهج Discourse on the method في المَقام الأوّل[4]، لأنّه لا يُتصوّرُ أن يُحيطَ بَحثٌ مَحدودٌ بتفاصيل المُعجم وموادّه ومَنهج ترتيبِ

---

(١) Edited by A. Lehrer, E.F. Kittay, Frames, fields and contrasts: New essays in semantic and lexical organization, Routledge; New York and London – ٢٠٠٩.

(٢) "من نَواة الكلمة المُعجمية إلى مبدأ الحَقل الدّلالي"، بحث في كتاب جماعي موضوعُه: المُعجميّةُ العربيّةُ قضايا وآفاق، إعداد وتنسيق: د.منتصر أمين عبد الرحيم، ود.حافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن، ط.١، ١٤٣٧-٢٠١٦، ج:٣، ص: ٤١-٧٠.

(٣) اللّغة وبِناء الذّات: د.عبد الرحمن بودرع وجَماعَة، ع:١٠١، السنة٢٤، جُمادى الأولى١٤٢٥- يونيو/يوليوز، ٢٠٠٤ م. ص:٩٣-٩٨.

(٤) يُعدُّ المَنْهَجُ في المُعْجَمِ العربيّ من أهمّ قضايا المُعْجَمِ العربيّ في القديمِ والحديث، وقد عدَّ الباحثونَ قضيةَ المنهجِ مُعْضِلَةَ الثّقافةِ العربيةِ المعاصرةِ، وأزمةَ المَنهجِ أزمةَ التّفكيرِ العربيّ المُعاصِر، فنتجَ عن أزمةِ المنهجِ اعْتِسافٌ وفوضى، =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

كلماتِه؛ ولكنّ البحثَ فيه ههنا إنّما هو حَديثٌ في المَنهجَ. واعتباراً للامتداد الزّمنيّ الكَبير لمادّةِ المُعجَم التاريخيّ الذي يَبلغُ قروناً مُتطاولةً، يتعذّرُ تصوّرُ مُصنَّفٍ بالمَعنى المألوف يضُمّ بين دَفّتيْه مئاتِ الآلافِ من الكلماتِ العربيّة، تتوزّعُ بين الجُذور والفُروع والمشتقّات والصّيغ المختلفَـة، ومـا يتخلـلُ كـلَّ كلمـة أو مـدخلٍ معجميّ مـن خـصائصَ أو سـماتٍ تركيبيّـة ودلالية[1] Syntactic and Semantic Features، تكونُ سبباً في تشكيل الفُروع، مَع ما يُرافقُ هـذه المـوادَّ مـن شـواهدَ وشُـروحٍ. فـإذا تعـذّر تـصوّرُ مـصنّفٍ ضخمٍ متسلـسل عبر التـاريخ متلاحـقِ الـدلالات المتطورة والألْفـاظ الدّالّـة عليْهـا، مَحـصوراً في كتـابٍ فـإنّ المكانَ الـذي سيَحْتَوي هـذا الزّمانَ الممتـدَّ لَـن يكونَ إلاّ مَكاناً افتراضياً هـو المعجَـم المنشورُ على الـشَّبكَة العالَميـة، فالمكانُ الافتراضيُّ أقـدرُ على إيـواءِ ذاكـرَة الأمّة برمَّتهـا. فـذلكَ تـصوُّر للإطـارِ الزّمانيّ لمادّة المعجَم التّاريخيّ، والإطار المكاني الذي يحملُ المادَّة الضّخمَة.

وإذا كان الأمـرُ كـذلكَ فـإنّ الـضّرورةَ المنهجيّـة لتـصوُّر الإطـارَيْن المـذكورَيْن آنفـاً تَقتـضي مُحاوَلَـة استقـصاءِ مَـصادر المـوادِّ اللُّغويّـة ومَظانّهـا المُتنوّعَـة، المَبثوثَـة على طـول الـشّريطِ الزَّمانيّ ابتـداءً من تَـدوين الكتابَة وما تُعبّر عنه الكتابةُ من رسـائلَ وكلمـاتٍ وأمثال وخُطب وأشعار أولى.

= وعـدمُ وُضـوحِ رُؤْيـةٍ في التّـأليفِ المُعجميّ وانْعِـدامُ التّخـصُّصِ في صِـناعةِ المعـاجِمِ. (انظُـرْ: دِراسـات في المُعْجَـم العربيّ، لإبراهيم بن مُراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.١ / ١٩٨٧). ويُمْكِنُ أن يَدخُلَ في الحَديثِ عنِ مَنْهَجِ التّأليفِ المُعْجَمِيّ المَنهَجُ الذي اسْتُحْدِثَ في الوقْتِ الرّاهِنِ، ويَعْتمِدُ على اتّخاذِ الوَسائلِ الإلكترونِيّةِ والإعْلامِيّةِ والتّقْنِيّاتِ الحَديثَةِ أدَواتٍ للعرْضِ المُعْجَمِيّ الحَديثِ، وفيه مُرورٌ مِنَ المعجَمِ الوَرَقِيّ إلى المعجَم الرقمي، وهذا الصِّنْفُ مِنَ المَعاجِمِ الإلكْترونِيّةِ يمكنُ أنْ يحلَّ مَشاكِلَ المعجَم العَربيّ مِنْ حَيْثُ التّرتيبُ والاشتقاقُ وتَيْسيرُ البَحثِ عن الكَلماتِ، ومِنْ حَيْثُ السّرعةُ في البَحثِ وإمكان النَّسْخِ المباشِرِ عن طريق الارتباطات المتشعبَة، بل يُمكنُ القولُ في هذا السّياقِ إنّ المُعجَم التّاريخيّ، بالنّظر إلى طول تاريخه وعُمقِه الزّمانيّ الممتدّ من العُصورِ الموغلَة في الجاهليّة إلى القرون المتأخرَة اليومَ، لا يُمكن تصوُّرُ بنائه وإقامَة أعمدَته وأركانه إلاّ على الشّبكَة العالَميّة، وقَدْ قَدَّمَ هذا الأسلوبُ في التّأليفِ خِدْمَةً كَبيرَةً للمَعاجِمِ العَربيّةِ القَديمةِ، وذلِكَ بالنّقلِ المباشِرِ لبَعضِ المعاجِمِ مِنْ مَعاجِمَ وَرقيةٍ إلى مَعاجمَ إلكترونية، كَمُعجَمِ "لسان العرب" لابْنِ مَنظورٍ، لِما له مِنْ قيمَةٍ في الثقافَةِ العَربيةِ. ثُمَّ ظهرت جَمْهَراتٌ مِنَ المعاجِمِ العَربيةِ الإلكترونيّة مِثْل "جامِع مَعاجِم اللغة" الذي يشْملُ مَعاجِمَ ضَخْمَةً "كَلِسانِ العَرَب" و"القاموس المُحيط" و"كِتاب العَين" و"الصِّحاح". ويُمثِّلُ هذا الاتّجاهَ كَثيرٌ مِنَ الباحِثينَ اللّغويّينَ مِثْل الدّكتور عَبْد الغَنِيّ أبو العَزْم، صاحِبِ إنْجازِ "مُعْجَم الغَنِيّ" في إصداره الأول الذي يحمل الرقم ١.٠١- وهُو بَرنامَجٌ مِنْ إنْتاجِ شَرِكَةِ "صَخْر" للبرامج ٢٠٠١م.

(١) Question Classification using Semantic Syntactic and Lexical Features, M. Mishra, V. K. Mishra and H. R. Sharma ; International Journal of Web & Semantic Technology, Vol.٤, N°.٣, July ٢٠١٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

نَماذجُ من التَّأليف في مَوادّ المُعجَم التّاريخيّ، نحو مَنهج لمحاولَة حصر المادّة واستقصائها:

١) مُعجم القلة والبَقايا، وما في مُعجَمه من ألفاظٍ:

من موادّ المُعجَم التاريخيّ فُنونٌ من التأليفِ تُعينُ على جَمع الكلماتِ وأبنيتها المُختلفَة؛ ومنها الكلماتُ الدّالّةُ على «الْبَقِيَّةِ والْقِلَّةِ» في الأَشْياء، ويُفيدُ هذا الفنُّ من التأليفِ دورانَ كلمات متعددة لا جامعَ لها إلاّ الدّلالةُ على فنٍّ واحدٍ أو محْورٍ واحِدٍ جامعٍ لَها كَمعاني القلّة والبقيّة، وهذا المَنهَجُ لِمّا يُيَسِّرُ للباحثِ والمتكلّمِ أمرَ الرجوعِ إلى مفرداتِ هذا الفنّ وإخْراجِها إلى حيّزِ الاستعمالِ والتّداوُلِ، لتسدَّ الفراغَ في ذلِك الفنّ أوذلك المجالِ الدّلاليّ.

لننظرْ مثلاً في كتابِ «المُعْجَم في بقيَّةِ الأَشْياءِ» لأَبي هلال العسكريّ[١] بعدَ اختصارِه والانْتقاءِ منه، ومُعْجَمِ «لِسانِ الْعَرَبِ» لابْنِ مَنْظورٍ[٢]، وكِتابِ «المُزْهِر في عُلومِ اللُّغَةِ وَأَنْواعِها»، لِجلالِ الدّين السّيوطيّ[٣]، نَماذجَ مَصدريَّةً يُمكنُ أن يُستخرَجَ منها أسماءُ «بَقايا الأَشْياءِ» ؛ لِفَرْطِ الحاجةِ إلى ما يدلُّ على الْبَقايا، وكَبيرِ الانْتِفاعِ بِها. وهو فَنٌّ من التَّأْليفِ نادرٌ لأنّه بابٌ من أبوابِ حَشرِ الألفاظِ وحَشْدِها. لَقد ذكرَ اللّغويّونَ لِلْقِلّةِ والبقِيَّةِ أَلْفاظًا كثيرةً يصحُّ أن توصَفَ بها الأسماءُ المختلِفَةُ، كَالقليلِ، والنَّزْرِ، والتّافِهِ، واليَسيرِ، والبَخيسِ، والخَسيسِ، والحَقيرِ، والطَّفيفِ... فمن بقايا الماء وقلّته أطلقوا ألفاظاً دالّةً فقالوا: الأُمْدَةُ والبُضاضَةُ والثَّمَدُ والضجُجْفَةُ والجَحْفَةُ والجَرْدُ والجَريدَةُ والجُزْعَةُ والجِزْعَةُ[٤] والحِقْلَةُ والخِبْطَةُ والفَرْسَةُ والفَراسَةُ والسُّحْبَةُ والسُّحابَةُ والدِّعْثُ والرَّشَفُ والرَّفْضُ والرَّفافُ والرَّوْضَةُ والسُّؤْرُ والشُّفافَةُ[٥] والصُّبابَةُ والطِّفْئِلُ والْكُثْبَةُ واللُّعاعَةُ والمُكْلَةُ والنُّشْفَةُ والنُّضاضَةُ والنّطفَةُ والنَّفَسُ والهِلالُ بَقِيّةُ الماءِ في الحَوضِ[٦].

---

(١) المعْجَمُ في بَقِيَّةِ الأَشْياءِ لأبي هلال العسْكَرِيّ، تَحْقيق: إبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شَلَبي، مَطْ. دار الكتب المصريّة بالقاهِرة، الطّبعة الأولى ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

(٢) لِسان العَرَب، لابْنِ مَنْظور أبي الفَضْلِ جَمالِ الدّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مكْرمٍ، دار صادِر، بَيْروت.

(٣) المُزْهِرُ في عُلومِ اللُّغَةِ وأَنواعِها، لِجَلالِ الدّينِ السّيوطِيّ، تَحْقيق: مُحَمَّد أَحْمَد جاد المُوْلى، مُحَمّد عَلِيّ البجاويّ، مُحَمّد أبوالفضْل إبراهيم، دار الفِكْر، بَيْروت.

(٤) اللِّسان: جزع.

(٥) المزهر: ٢/١٢٠.

(٦) شَجَرُ الدُّرّ في تَداخُلِ الكَلامِ بالمَعاني المُخْتَلِفَة: ١٣٣، صَنْعَة الإمام أبي الطَّيِّب عَبْدِ الواحِدِ بن عليّ اللّغويّ (ت.٣٥١)، تح. محمّد عبد الجَواد، سلسلة ذَخائِر العَرَب (٢١)، دار المَعارِف بِمِصْرَ، ط.٢/١٩٦٨م.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ومن بَقايا الأطعمَة الآسُ والآصِيَةُ والأُبُلَّةُ والأَزِيُ والثُّبْلَةُ[1] والثَّميلَةُ والجُرامَةُ والجَزْلَةُ والجَلْسُ والحُتامَةُ والحُتْفُلُ والحُثْفُلُ والحُذافةُ والحُرامَةُ والكُرابَةُ[2] والحُساف والخُصاصَةُ والحُفالَةُ والحَقيلَةُ والخُلاصَةُ والرُّكْحَةُ والرَّمَثُ والبَقَةُ والعِرْزالُ والعَرْمُ بقيّةُ القِدْرِ، والعُشانَةُ ما بقي في الكِباسَةِ من الرُّطَبِ إذا لُقِطَتِ النَّخلةُ أوما يبقى في أصولِ السّعَفِ من التّمْرِ والعُفافَةُ والعُلالة والغُبْرُ: بقيّةُ اللّبنِ في الضّرعِ، والقُداحَةُ: بقيّةٌ تبقى في القِدرِ من المرقِ. اَلْقُرارَةُ والقُرَرَةُ[3]: ما يبقى من المرقِ اليابسِ في القدرِ، والقُرَامَةُ ما يبقى من الخبزِ ملتزقًا بالتّنورِ، والقُشامُ: ما يبقى من كسارِ الخبزِ وغيرِه على المائدةِ والحُتامةُ ما سقطَ على المائدةِ من ذلكَ، وَالْكُدادَةُ: ما بقيَ في أسفلِ القِدرِ من المرقِ[4]، وَالْكُدَامَةُ: بقيّةُ كلِّ شيءٍ أُكِلَ، والكُوَّارَةُ بقيّةُ ما في الخليّةِ التي تُعسِّلُ فيها النّحلُ، واللُّعاقُ: ما بقِيَ في فيكَ من طعامٍ لَعِقْتَه، واللُّماظَةُ بقيّةُ الطّعامِ تبقى في الفمِ، والتّلمُّظُ تَتَبُّعُ ذلك باللّسان.

ومن بقايا النَّباتِ الحَطيمُ، وهوما بَقِيَ من نباتِ عامٍ أوّل لِيُبْسِهِ وتحطُّمه، والحُفافَةُ بقيّة التِّبْنِ والقَتِّ، والخُلَّةُ: ما يبقى في الشِّتاءِ من الشّجرِ، وما حَلا من النّبتِ، والشَّذَبُ بقيّةُ الكَلإِ وغيرِه، وهو المأكولُ، والشّمَلَةُ ما يَبقى في النّخْلَةِ من رُطَبِها، والعُصْمُ والْعُصُمُ بقيّةُ آثارِ الوَرْسِ (وهو نباتٌ أصفرُ يُتَّخَذُ لِلصَّبْغِ) والزّعْفرانِ، والقُشارَةُ: ما تَقْشِرُهُ عن شجَرَةٍ من شيْءٍ رَقيقٍ.

ومن البَقايا التي تتصلُ بِالإِنْسَانِ وأعْمَالِهِ اَلْجِفافُ، وهو ما بَقِيَ حولَ الصَّلَعَةِ من الشَّعرِ، والشَّذاةُ بَقيّةُ القُوّةِ والشِّدَّة، والشّفا بقيّةُ البَصَرِ، والشَّوايا بقيّةُ قومٍ هلكوا، واحدهُ شويَّةٌ، والعُنْصُوَةُ والجمعُ عَناصٍ قِطعٌ تبقى من شعَرِ الرَّأْسِ، والقَزَعُ: بقايا الشّعرِ المُنْتَتَفِ، والواحِدةُ قَزَعَةٌ. والقزعُ حَلْقُ الرَّأْسِ وتركُ الشَّعرِ متفرّقًا في مواضِعَ منه غيرَ مَحْلوقٍ تشبيهًا بقَزَعِ السّحابِ. وَالْمُشاطَةُ والمُراطَةُ والمُراقَةُ ما سَقَطَ مِنَ الشَّعَرِ، وَالْمُصِنَّةُ العَجوزُ التي فيها بَقِيَّةٌ، ومِثْلها الشَّهْبَرَةُ للعَجوزِ التي أسنَّت وفيها بقيّةٌ، والهُوادَةُ اَلْبقيّةُ من القومِ يُرجى صلاحُهُم وسَلامةُ بعضِهم من بَعضٍ، والذُّنانَةُ: بقيّةُ الشّيءِ الهالِك الضّعيفِ.

ومن بَقايا النفسِ الحُشاشَةُ والذّماءُ والرَّمَقُ والقَتالُ بَقيّةُ النّفسِ، والرَّسيسُ بقيّةُ الهَوى في القَلبِ والسّقمِ في البدَنِ، والطِّنْءُ والنَّسيسُ بقيّةُ الرّوحِ، والعَقابيلُ بَقايا المَرَضِ

---

(١) اَللِّسان: ثبل.
(٢) المزهر: ١١٩/٢.
(٣) المزهر: ١٥٣/٢.
(٤) المزهر: ١١٩/٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وبَقايا العِشْقِ، والغادِرُ مِنَ المَرَضِ بقيّةٌ منه، وبقيّةُ الدَّيْنِ التَّلِيَّةُ وكذلِكَ التُّلاوَةُ والذُّبابَةُ والرَّوِيَّةُ.

والبَقِيَّةُ مِنَ الرَّديءِ الحُثالَةُ والحُفالَةُ[1] والحُشاوَةُ. والخُمامَةُ والقُمامةُ والكُساحةُ والكُناسة والسُّباطة: ما بقِيَ من الكَنْسِ. والخُشارَةُ ما بقِيَ على المائدةِ ممّا لا خيرَ فيه وكذلك القُشامةُ.

ومن بَقايا ما يُلفَظُ القِصْمَةُ والنُّفاثَةُ من السِّواكِ، وهي الشَّظِيَّةُ منه تَبقى في فمِ المسْتاكِ فينْفُثُها، والنُّفاضَةُ والنُّفاضُ ما سقَطَ من الشّيْءِ إذا نُفِضَ، وكذلِك من الورَق، والنُّفايَةُ الرَّديءُ المْنْفِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

ومن عُموم ألفاظِ البقيّةِ الأَثارَةُ والأَثَرُ، والبُرايَةُ ما بَريتَ من العودِ وغيرِه[2] ، والثَّأْوَةُ بقيّةُ قليلٍ من كثيرٍ، والثُّمالَةُ بقيّةُ الماءِ وغيرِه[3] ، والحاصِلُ ما بقيَ من كلِّ شيْءٍ وثبتَ، وذهبَ ما سواهُ من الحِسابِ والأعمالِ ونحوِها، والذُّمامَةُ: البقيّةُ، والرّسْمُ الأثرُ أو بقيّتُه، والشَّدا البقيّةُ، والشِّلْو بقيّةُ الجسَدِ بَعْدَ البلى، وشِلْو الإنْسانِ باقي جَسَدِه بعدَ بِلاه، والجَمْعُ أَشْلاء، والشَّلِيَّةُ من كلِّ شيءٍ بقيّتُه، والفَضْلَةُ البقيّةُ من الشّيءِ كالفضْلِ والفُضالةِ. والفَضْلَةُ بقيّةُ الشّرابِ. والقَضَّةُ بقيّةُ الشّيءِ، واللَّفاءُ الشّيءُ القليلُ[4] ، واللُّفاظةُ بقيّةُ الشّيءِ؛ يُقالُ: ما بقيَ إلاّ نُضاضَةٌ ولُعاعةٌ ولُفاظةٌ، أي بقيّةٌ قليلةٌ، والنُّحاتَةُ ما بَريتَ من العودِ وغيرِه[5] ، والنَّضِيَّةُ البَقِيّةُ.

ومن ألفاظِ بَقِيَّةِ الوَقْتِ: عَقِبُ الشّهرِ وعَقْبُه: بقيّتُه، والعِنْكُ الثُّلُثُ الباقي من اللّيلِ، والجَمْعُ أعْناكٌ، وهو أيضًا سُدْفَةُ اللّيلِ من أوّلِه إلى ثلُثِه، أو قطْعةٌ منه مُظْلِمَةٌ. والغابرُ: الباقي على الأشهر، والغَبَشُ: بقيّةُ اللّيلِ، والجمعُ أغْباشٌ. والغبَشُ ظُلْمة، والغُطاط بقيّةٌ من سوادِ اللّيلِ، وقيلَ هو اخْتِلاطُ ظلامِ آخِرِ اللّيلِ بِضِياءِ أوّلِ النّهارِ، أو هو أوّلُ الصّبْحِ.

هذه نماذجُ مَعدودةٌ مَحدودةٌ من مُعجَم البقايا والقلّة؛ ويُسْتَخلَصُ من عرضِها أنّ موضوعَ «دلالَةِ القلّةِ والبقيّةِ في الأشياءِ» موضوعٌ مُعْجميٌّ يتّصِلُ بالحاجةِ إلى اتّخاذه مادّةً معجميّةً لبناءِ المُعجَم التّاريخيّ لأنّ فيها جزءاً من الذّاكرَةِ الدّلاليّة.

---

(١) المُزهر: ١١٩/٢.
(٢) المُزهر: ١١٩/٢.
(٣) المُزهر: ١١٩/٢.
(٤) لِسانُ العرب / لفأ.
(٥) المزهر: ١١٩/٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

٢) مَعاجم الفُروق:

مَعاجمُ الفُروق تَدورُ حَولَ الإبانةِ عَن الفُروقِ الدّقيقةِ بينَ مَعاني الألفاظِ التي تَنتسبُ إلى حَقلٍ دلاليٍّ واحدٍ. والغَرضُ منه وَضعُ يدِ القارِئ عَلى اخْتِلافِ المَعاني الذي يوجِبُه اخْتِلافُ الألفاظِ وإن تَقاربتِ الدّلالاتُ، وتَقويَةُ حاسّةِ التّمييزِ بينَ دلالاتِ الألفاظِ، وبَيانُ أنّ كلَّ لَفْظيْنِ يجْريانِ على مَعنًى من المَعاني فإنّ كلَّ واحدٍ منهما يقتضي خِلافَ ما يقتضيهِ الآخَرُ، وإلاّ لَكانَ حشْوًا لا حاجةَ إليهِ وتَكْثيرًا للّغةِ بِما لا فائِدَةَ فيه.

وأهميةُ هذه المعاجم في مُعالجَة ما يغلبُ على كثيرٍ من المُتكلّمينَ أوالكُتّابِ من اسْتعمالِ اللّفظِ في غيرِ موضعِه من المعْنى، ويُعْرَفُ هذا الضّربُ من اللّحن باللَّحن في الانْتِقاءِ[١]؛ لأنّها تشملُ كلماتٍ متقاربةً في المعنى، ومعْرِفةُ الفُروقِ بينَ المَعاني المُتَقاربَةِ أمرٌ لازمٌ تفرضُه الحاجةُ إلى الدّقّةِ في الدّلالةِ وإصابةِ كَبِدِ المعنى باللّفظِ العربيّ الفصيح، وتُعيدُ المَلَكَةَ اللُّغَويَّةَ إلى نصابِها في ميدانِ الدّلالةِ على الأشياءِ المحيطةِ بِها، فيعودُ المُتكلّمُ إلى مُراعاةِ الفُروقِ بينَ الأسماءِ لاخْتِلافِ المُسَمَّياتِ.

ولدلالةِ الفُروقِ المَعنويّةِ في العَربيّةِ، تراثٌ لغويٌّ ومعجميٌّ تَركَهُ عُلماءُ اللّغةِ، عندما تبيّنَ لهم جنوحُ المتكلّمِ إلى الخلْطِ بينَ الألفاظِ المتقاربةِ، وتجوُّزُه في ذلك. وممّا يُذكرُ هنا كتابُ "الفُروق" لأبي زيدٍ الكلابيّ[٢]، وكِتابُ "ما خالَفَ فيه الإنسانُ البهيمةَ في أسماءِ الوحوشِ وصِفاتِها" لقُطرب بنِ المُسْتَنير (ت.٢٠٦) وكتُبٌ في "الفروقِ" لأبي عُبيدةَ معمر بْنِ المُثنّى (ت.٢٠٩)، وأبي زيدٍ الأنصاريّ (ت.٢١٥)، وأبي سَعيدٍ الأصْمَعيّ (ت.٢١٦)[٣] وابْنِ السّكّيت أبي يوسُفَ يَعْقوب (ت.٢٤٤)، وكتاب "الفرْقِ" لأبي حاتمٍ السّجستانيّ (ت.٢٥٥)[٤]، وكتابُ "الفرقِ" لثابت بْنِ ثابتٍ[٥]، وكِتابٌ في "الفرقِ" لأبي إسْحاقَ الزّجّاج (ت.٣١١)، وكتبٌ أُخْرى في الفروقِ، وقد عقد أبو العبّاسِ ثعْلَب في كِتابِه "الفصيح"[٦] بابًا في "فنِّ الفرْقِ"،

---

(١) انظر الحديثَ عن الخطإِ في انتقاءِ الكلمات، وعلاقة ذلك بالمعجم الذّهني عند المتكلّمين، كتاب المُقارنة والتّخطيط في البحث اللّساني العربي: ١٦٤، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط.١/١٩٩٨.

(٢) انظر: [إنباه الرّواة: ١٢١/٤].

(٣) نَشَرَ الكتابَ أوّلَ مرّةٍ D.H.Muller في مجلّة SBYYA سنةَ ١٨٧٦م، ثمّ أعادَ تحقيقَه د. صبيح التّميميّ، ط.مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط.٢/١٤١٣-١٩٩٢.

(٤) تحقيق د. حاتم صالح الضّامن، عالم الكتب، بيروت، ط.١/١٤٠٧-١٩٨٧، تحت عنوان: كِتابان في الفرق.

(٥) نَشَرَه الأستاذُ محمّد الفاسي رحمه الله في الرّباط سنةَ ١٩٧٣. ثمّ حقّقه فيما بعد د. حاتم صالح الضّامن، عالم الكتب، بيروت، ط.١/١٤٠٧-١٩٨٧، تحت عنوان كتابان في الفرق.

(٦) حققَه الأستاذ عبد المنعِم خفاجي، القاهرة: ١٩٤٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وألّفَ أبو هلالٍ العسكريّ كتابَ "الفُروق في اللّغة"[١]، وابْنُ فارِس (ت.٣٩٥) كِتابَ "الفَرْق"[٢] ولابْنِ سِيدَه الأنْدلسيّ (ت.٤٥٨) كِتابُ "المُخصَّص"، وهو كِتابٌ نفيسٌ عظيمُ الفائِدَةِ، ألّفَه صاحبُه في المواضيعِ المختلِفةِ، كموضوعِ خَلْقِ الإنْسانِ، الذي تَدْخُلُ تحْتَه جُزْئيّاتٌ وأعراضٌ، لتتميّزَ أسْماءُ كلّ مسمّىً عن غيرِه وتفترِق، ولابْنِ مالِكٍ الطّائيّ الجيانيّ (ت.٦٧٢) كِتاب "الألفاظ المُخْتَلِفة في المَعاني المُؤْتلِفة"[٣].

فهذِه المَعاجمُ نفيسةٌ في بابِها؛ وألفاظُ اللّغةِ كثيرةٌ لا تَكادُ تُحْصى، وإنّما السّبيلُ إليْها ببيانِ الفُروقِ والخَصائصِ التي تَفترِقُ عندَها الكلّيّاتُ. وقدْ أعانَت هذِه الثّرْوَةُ اللّفظيّةُ الكَبيرَةُ، على تسجيلِ الدّلالاتِ الأولى وطرائقِ الأوائلِ في التّمييزِ بينَ الأسْماءِ على قدْرِ تَمْييزِهِم بينَ المُسَمَّياتِ، وإحْساسِهِم بأنّ الشّيءَ الواحدَ، وإنْ وُجِدَ لغايةٍ مُحدَّدَةٍ أومهمّةٍ معيّنَةٍ، في الكائناتِ، فإنّ شكلَه المُتباينَ عندَ كلّ نوعٍ من هذِه الكائناتِ، كانَ كافيًا لدفعِ المتكلّمِ الأوّلِ إلى مُخالفةِ التّسْمِياتِ وإيجادِ الفُروقِ، كالأصابعِ للإنسانِ، والبراثِنِ للوحشِ غيرِ الكَواسرِ والطّيرِ غيرِ الجوارحِ، والفراسِنِ للبعيرِ.

ولَقَد تنبهَت مَعاجمُ الفروقِ إلى اختلافِ مَعاني الألفاظِ المتقاربَة، وفرّقَت بينها بالأمثلة والشّواهدِ؛ فقَد ميّزوا بين الشرعَة والمنهاجِ، وبين العلم والمَعرفَة، وبين العلم واليَقين والشّعورِ والفَهم، وبين التّعليم والتّلقين، وبين العَقْل والأَرَب واللُّبّ والنُّهى والحِجا والفطنَة والذّكاءِ والحِذقِ والكيسِ والنّفاذِ، وبينَ النّأي والبُعد، وبينَ أفعالٍ تُستعمَل مجرَّدةً بمعنىً ومزيدةً بألفٍ بزيادةٍ على ذلك المَعْنى، وذلك نحو سَقى وأسْقى؛ تقولُ: سقَيْتُ الرّجُلَ، إذا أعْطيْتَه ما يشْرَبُه، أو صببْتَ ذلك في حلْقِه. وأسْقَيْتُه: إذا جعلْتَ لَه سقْيًا أوحظًّا من الماءِ[٤].

ومن ذلك شَرقَ وأشْرَقَ: شرقتِ الشّمسُ يُفيدُ خِلافَ غربَت، أي طلَعَتْ، وأشْرَقَتْ يُفيدُ أنّها

---

(١) الفروق في اللّغة لأبي هلال الحسنِ بنِ عبدِ الله العسكريّ (المتوفّى بعدَ الأربعمائة)، وقدّمَ للكتابِ الأستاذ عادل نويهض، منشورات دار الآفاقِ الجديدة، بيروت، ط.٤/ ١٩٨٠.

(٢) كتاب الفرْق لأبي الحُسَيْن أحْمَدَ بن فارس اللّغويّ (ت.٣٩٥)، تح. د.رمضان عبد التّوّاب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرّفاعي بالرّياض، ط.١/ ١٤٠٢-١٩٨٢.

(٣) تح. دة. نَجاة حَسَن عَبْد الله نولي، نشر: مَعْهَد البُحوث العِلْمِيّة وإحياء التُّراث الإسْلاميّ، مركز إحياء التُّراث الإسلامي، جامِعَة أمّ القُرى، مَكّة المكَرّمَة، مَطابع مؤسّسة مكّة للطّباعَة والإعْلام، ط.١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٤) ويُرْوى عن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنه أنّه قالَ للذى قَتَلَ الظبيَ وهو مُحْرِمٌ: خُذْ شَاةً من الغنم فَتَصَدَّقْ بلَحمها وأَسْقِ إهابَها، أى أعطِ جِلْدَها من يَتَّخِذه سقاءً ونظيره: أسْقِنى عَسلاً وأقدِنى خيلا وأسْقِنى إبلا [الفائق: ١٨٧/٢] و[النهاية في غريب الحديث: ٣٨١/٢]. وفي لِسانِ العربِ: سَقَيْته لشَفَتِه، وأَسْقَيْته لِماشِيَتِه وأَرْضِه: [لسان العرب: ٣٩٠/١٤]، وانظرْ: [الفُروق في اللّغة: ١٥].

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

صارَتْ ذاتَ إشْراقٍ[1]. ومن ذلك أيضاً: رَعَدَ وأرْعَدَ: رَعَدَتِ السَّماءُ أتت بِرَعْدٍ، وأرْعَدَتْ صارَتْ ذاتَ رَعْدٍ[2]، وبَصُرَ وأَبْصَرَ: بَصُرْتُ بِهِ صِرْتُ بَصيرًا بِمَوْضِعِه، وأبْصَرْتُه: يَجوزُ أنْ يَكونَ الإبْصارُ مَرَّةً ويكونُ لأكثَرَ من ذلك[3]. ومن ذلك دَخَلَ وأدْخَلَ: إذا قلت أَدْخَلْتُه جازَ أنْ تُدْخِلَه وأَنْتَ مَعَه، وجازَ ألاّ تَكونَ مَعَه، ودَخَلْتُ به إخْبارٌ بأنَّ الدّخولَ لك، وهو مَعَكَ بِسَبَبِكَ[4].

ومِنَ الفُروقِ اَلْمِزاحُ والاسْتِهْزاءُ والسُّخْرِيَّةُ والهَزْلُ[5]، والعِتابُ واللّومُ والتَّفْنيدُ والتَّثْريبُ[6]، الخَطَأُ والغَلَطُ واللَّحْنُ والخَطَلُ، الدّلالةُ والأمارةُ والعَلامةُ والأثرُ والسِّمَةُ والرَّسْمُ والخَتْمُ، ومِثْلُه[7]: الشّواهِدُ، والبَراهينُ، ومَخايِلُ الخَيْرِ، وأعْلامُه، وأشْراطُه، وآثارُه، ومَنارُه. النَّوْم، والنُّعاسُ، والسُّباتُ، والرُّقادُ، والسِّنَةُ، والغَفْوَةُ نُدوبُه[8]، القُدْرَةُ والاسْتِطاعَةُ والتَّمْكينُ والإقْدارُ، الإرادَةُ والمَشيئَةُ والنّيّةُ والعَزْمُ والزّماعُ والهَمُّ الهِمّةُ، اَلْكَراهَةُ والإباءُ والامتناعُ ونُفورُ الطّبْعِ، الكِبْرُ، والكِبْرِياءُ، والتّكبُّرُ، والتّيهُ، والجَبَروتُ، والزَّهْوُ، والنَّخْوَةُ، والعُجْبُ، والاسْتِنْكافُ، الطّائِفَةُ والفِئَةُ والشّيعَةُ والجَماعَةُ والثُّبَةُ القَوْمُ والقَرْنُ والمَلأُ والنَّفَرُ والرَّهْطُ والشِّرْذِمَةُ والأُمَّةُ والسُّرْبَةُ والرَّجُلُ والمَرْءُ.

٣) مَعاجم الأبنية ودلالاتها:

ذكَرَ أبو القاسِم عليّ بن جعفر السّعْديّ الصّقلّيّ، المعْروف بابْنِ القطّاع (ت.٥١٥) أنّ العُلَماءَ قد صنّفوا في أبْنِيَةِ الأسْماءِ والأفعالِ، وأكْثروا منها، ولَمْ يَسْتوْعِبوها، وأوّلُ مَن ذكرَها سيبويْهِ في كِتابِه، وأبو بَكْرِ بْنُ السّرّاج (ت.٣١٦)، وأبو عمر الجَرْميّ (ت.٢٢٥) وابْنُ خالَويْه. وألّف أبو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ المَعْروفُ بابنِ القوطيّةِ الأندلسيّ (ت.٣٤٠) كِتابَ الأفْعالِ[9]، وألّف أبو عثمانَ سعيدُ بْنُ محمّدٍ السّرقسطيّ (ت. بعْدَ سنة ٤٠٠) كِتابَ الأفعال، وألّفَ ابْنُ القطّاع كِتابَ الأبنية، وكتابَ الأفْعالِ، وهو تهذيبٌ لأفعالِ ابْنِ القوطيّةِ. وذكَرَ عبدُ الرّحمنِ جلالُ الدّينِ السّيوطي (ت.٩١١) أنّ الذي انْتَهى إليه وُسْعُه وبَلَغ جُهْده بَعْدَ البحثِ

(١) اللِسان: ١٧٣/١٠، وانظر: [النّهاية في غَريب الحديث: ٤٦٥/٢] و [الفُروق في اللّغة: ١٥].

(٢) الفُروقُ في اللّغة: ١٥. وزعَمَ أبو عُبَيْدَةَ أَنَّ "رَعَدَ وأَرْعَدَ" و"بَرَقَ وأَبْرَقَ" بِمَعْنىً واحِدٍ: [اللِسان: ١٨٠/٣].

(٣) الفروق في اللّغة: ١٦، و: اللِسان: ٦٤/٤.

(٤) اللِسان: ٢٣٩/١١.

(٥) اللِسان: ٣٧٦/١، ٥٣٩/٢، ١٩٥/٧، ١٨٣/١، ٣٥٢/٤، ٤٤٨/٧، ٦٩٦/١١، الفُروق في اللّغة: ١٧.

(٦) الفروق...: ٤٤.

(٧) الألفاظ المُخْتَلِفَةُ في المَعاني المُؤْتَلِفَة: ٥٢.

(٨) النُّدْبَةُ أثَرُ الجُرْحِ إذا لَم يَرْتَفِعْ عَنِ الجلدِ اللِّسان: ٧٥٣/١.

(٩) تصحيح وضبط: عليّ فودة، القاهرة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

والاجتهادِ، وجَمْعِ ما تفرّقَ في تآليفِ اللّغويّينَ، ألْفُ مثالٍ ومائتا مثالٍ وعشرةُ أمثلةٍ[١].

ويُمكنُ بعد الدّرسِ والاستقْراءِ عَرضُ بعضِ أشهرِ أبنيةِ الأسماءِ الواردَةِ في هذه المَعاجمِ، على النّحو التّالي:

ما جاءَ عَلى بِناءِ "فُعالة"[٢] للدّلالَةِ عَلى ما سَقَطَ واسْتُخْلِصَ وبقيَ: الحُسافَةُ لِما سَقَطَ من التّمْرِ. والحُرامة ما الْتُقِطَ من مائِه ما تَصَرَّم. والحُثالةُ الرّديءُ من كلّ شيْءٍ.

ما جاءَ عَلى بِناءِ "فاعول" للدّلالةِ على أسْماءِ الآلاتِ، والأدواتِ وصِفاتِ الإنْسانِ، مَعَ مُبالغةٍ في المعْنى[٣]: ساجور ما يُجْعَلُ في عُنُقِ الكَلْبِ كالغُلّ. رجُلٌ حاذورٌ يَخافُ النّاسَ ولا يُخالِطُهُم. وقاموسُ البحرِ: مُعْظَمُ مائِه. ورَجُلٌ جارودٌ: مَشْئومٌ. وأرْضٌ جارود مُقْحِطَةٌ. وسَرْجٌ عاقورٌ: يعْقرُ ظهْرَ الدّابَّةِ.

ما جاءَ عَلى بِناءِ "أُفْعول"[٤]، وفيهِ دلالةٌ على الصِّفاتِ والحركَاتِ والمواضِعِ والمَمَرّاتِ... أُفْحوص: من الفَحْصِ وهو شِدَّةُ الطّلَبِ خِلالَ كلِّ شيْءٍ[٥] والأُفْؤودُ: المَوْضِعُ الذي يُفْأَدُ فيه اللّحمُ أي يُشوى. والأُلْهوبُ ابْتِداءُ جَرْيِ الفَرسِ، والأُسْلوبُ الطّريقُ والوجْهُ والمذهبُ والفنُّ، وكلُّ طريقٍ مُمتدٍّ فهو أُسلوبٌ[٦].

ما جاءَ عَلى بِناءِ "أُفْعولَة" يُرادُ به إفْرادُ الشيْءِ بالوصفِ على سبيلِ التَّحْسينِ أو التّقبيحِ أو التَّصغيرِ[٧]: يُقالُ: هذِهِ أُحْدوثةٌ حسَنَةٌ، للحديثِ الحَسَنِ. وأُعْجوبةٌ يُتَعَجَّبُ منها. وأُضْحوكَةٌ يُضْحَكُ منها. وأُلْعوبةٌ يُلْعَبُ بِها. ولِفُلانٍ أُسْجوعةٌ يَسْجَعُ بِها، من السّجْعِ، وهو اشْتِباهُ أواخِرِ الكَلِمِ، وتَناسُبُ فَواصِلِه[٨]. والأُرْجوحَةُ: والمرجوحَةُ، التي يُلْعَبُ بِها،

---

(١) المزهر: ٢/٤.

(٢) المزهر: ٢/١١٩-١٢١.

(٣) المُزْهِر: ٢/١٢٢-١٢٥، المُمْتِعُ في التّصْريف: ١/٩٧. لابْنِ عصْفور الإشبيليّ (ت.٦٦٩)، تح. د. فخر الدّين قَباوة. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.٤ / ١٣٩٩-١٩٧٩. [عِلْم الصّرف: القِسْمُ الأوّل في تصريفِ الأسماءِ والأفعال، ص:٧١] د. فخر الدّين قباوة، مطابع دار الكتاب، الدّار البيضاء، ط.١ / ١٤٠١-١٩٨١. ويدخُلُ هذا البِناءُ في مُبالغةِ اسْمِ الفاعِلِ، انظر: المرجعَ المذكورَ سابقًا: [علم الصّرف، القسم الأوّل...: ١٦٢]، وفي اسْمِ الآلةِ: [عِلْم الصّرف...: ١٨٣] وهو من الصّيَغ القياسيّة لأسماءِ الآلة، التي أقرّها مجمعُ اللّغةِ العربيّة [المرجعُ نفسُه: ١٨١].

(٤) [المزهر: ٢/١٢٥-١٢٦]، وهو بناء ملحق ب"عصفور"، مثلما ألحقَ به فُعْلول (شحرور) وفُعّول (قُدّوس): انظر: [علْم الصّرف...: ٧٨].

(٥) لسان العرب: ٣/٣٢٨، ٦/٣١٦، ٧/٦٣.

(٦) لِسان العرب: ١/٤٧٣.

(٧) المزهر: ٢/١٢٦-١٢٧.

(٨) لِسان العرب: ٨/١٥٠، سجع.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ما جاءَ عَلى بِناءِ "فَعول" اسْمًا وصِفَةً[1] للدّلالةِ على المُبالَغَةِ وأسماءِ الأدوية: "فعول" في كلام العرب يجيء بمعانٍ مختلفة[2]؛ فمنها "فَعول" بمعنى ما يُفعل به مثل طَهور وغَسول وقَرور ووَضوء، فالطَّهور الماءُ الذي يُتطهّر به والغَسول الماء الذي يُغتسل به ويُغسل به الشيءُ، ومن هذا الباب الفَطور، هو ما يُفطر عليه من الطعام، والنَّشوق وهو ما يُستنشَق به والوَضُوءُ بالفتح: الماء الذي يُتَوَضَّأُ به.

ما جاءَ من الأبنيةِ على "فَعولَة" يُرادُ بِه الوصْف المُؤَنَّثُ أوالمُبالغة[3]، أو تَرَدُّدُ الصِّفَةِ على الموصوفِ ومُلازَمَتُها لَه: الأَكولةُ من الغَنمِ، التي تُعْزَلُ للأكلِ. والعَلوفَةُ ما يُعلفونَ. والحَلوبَةُ التي يحْتلِبون. والرَّكوبَةُ ما يرْكَبونَ. والحَمولة ما احْتملَ عليه الحيّ من بعيرٍ أوحِمارٍ أو غيرِه[4].

ما جاءَ من الأَبْنِيَةِ على "فَعال"[5] للدَّلالةِ على الصِّفاتِ، والمُبالَغَةِ، والمصادر: امْرَأَةٌ حَصانٌ عَفيفةٌ، ورَزانٌ ذات ثَباتٍ ورزينةٌ في مَجْلِسِها. وامرأةٌ ذَراعٌ سَريعةُ الغَزْلِ. وامْرأةٌ صَناعٌ. وفَرَسٌ وَساعٌ. وبَعيرٌ ثَقالٌ بَطيءٌ. وفَرَسٌ جَوادٌ أي سَريعةٌ. وأرْضٌ جَمادٌ لم تُمطَرْ. والرَّغابُ الأرضُ اللّيّنة والبَساطُ الأرْضُ الواسِعةُ. ورَجلٌ جبانٌ. وسَيْفٌ كَهامٌ لا يَقطَع والأبنيةُ التي تُذكَرُ في معجَم الأبنية كثيرةٌ جداً، ولا تُحصَرُ في مصدر من المصادر فهي مَنثورةٌ في المَعاجِمِ وكتُب اللّغةِ المُختلفَة.

٤) معاجمُ الأساليب المَخْصوصَةِ ومصادرُها:

من ذلِكَ الأَلْفاظُ التي لمْ تُسْتَعْمَلْ إلاّ في النَّفْي[6]: كقولِهم: ما بالدّارِ كَتيعٌ، وما بِها عَريبٌ، أي ما بِها أَحدٌ. والكَتيعُ: المنْفَردُ من الناس[7].

---

(١) المزهر: ٢/١٢٧-١٢٨، والصّفةُ من هذا البناءِ هي مُبالغةٌ لاسْمِ الفاعلِ، يستوي فيها المذكّرُ والمؤنّثُ إذا عُلِمَ الموصوفُ بِها. انظر: علم التّصريف...: ١٦٠-١٦١.

(٢) الزّاهر: ١/٣٥] لأبي منصور الأزهري، تح. د. محمّد جبر الألفي، ط. وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، الكويت، ط.١ / ١٣٩٩.

(٣) [المزهر: ٢/١٢٩]، «أمّا قولُهم: قبيلةٌ عدوّةٌ، فالتّأنيثُ فيه شاذٌّ لا يُقاسُ عليه. وأمّا نحْوُ: امرأةٌ مَلولَةٌ وفروقةٌ، فالتّاءُ فيه للمبالغةِ لا للتّأنيثِ. وأمّا نحو مؤونة، حَلوبة، رَكوبة، حَمولَة، فهو بمعنى اسْمِ المَفعولَة، وليسَ من مُبالغة اسمِ الفاعل» عِلْم الصّرف...: ١٦١.

(٤) ويمكن أن يدخُلَ تحتَه وسائلُ النّقْلِ الحديثةُ ممّا يُحْمَلُ عليه.

(٥) [المزهر: ٢/١٢٩]. يدلُ هذا البناء على الأسماءِ، نحو غزال وسماء، وعلى الصّفات نحو: جبان وصناع... عِلْم الصّرف...: ٧٠.

(٦) المزهر: ٢/١٥٩-١٧٠.

(٧) لسان العرب: ٨/٣٠٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يقال: ما بالدار كتيع، وما بها صافِر، وما بها وابِر، وما بها عريب، وما بها شَفْر وما بها آرم، وما بها ديار، وما بها نافخُ ضرمة، وما بِها نافِخُ نارٍ، أي ما بها أحد[(١)] ، وما بِها عَيْنٌ، وما بِها طارِقٌ، وما بِها صَوّات، وما بِها أنيسٌ.

ومنه قولُهم: ما أدْري أيّ النّاسِ هُوَ؟ وأيّ الوَرى هو؟ وأيّ وَلَدِ الرَّجُلِ هو؟ وأيّ الطّينِ هو؟ وأيّ الأَنامِ هو؟ ومنه قولُهم: طَلَبْتُ مِنْ فُلانٍ حاجَةً فانْصَرَفْتُ، وما أدْري على أيّ صِرْعَيْ أَمْرٍ هو؟ أي لَمْ يُبيّنْ لِي أَمْرَه. وذهَبَ البَعيرُ فلا أَدْري مَن قطَرَه[(٢)] ؟ وأُخِذَ ثَوْبي فلا أدري مَن قَطَرَه؟ ولا مَنْ مَطَرَ بِه[(٣)] ؟

ومنه قولُهم: لا أَفْعَلُه ما ذَرفَت عَيْني الماءَ. ولا أَفْعَلُه ما أنّ في السَّماءِ نَجْمًا، وما أَنَّ في الفُراتِ قَطْرَةً، وما عَنَّ[(٤)] في السَّماءِ نَجْمٌ، وما دَعا الله داعٍ، وما حَجَّ لله راكِبٌ، وما اخْتَلَفَ المَلَوانِ والعَصْرانِ والجَديدانِ والأَجَدّانِ، يَعْني اللَّيْلَ والنَّهارَ، وما غَرَّدَ الحَمامُ، وما سَجَعَ الحَمامُ. ولا أفْعَلُه يَدَ الدَّهْرِ.

ومنه قولُهم: ما لَه صامِتٌ ولا ناطِقٌ[(٥)]. وكَلَّمْتُه فَما رَدَّ عَلَيَّ سَوْداءَ ولا بَيْضاءَ، أي كلمةً قبيحةً ولا حسنةً. وما نَبَسَ بِكَلِمَةٍ.

ومن الأبنية الوارِدَة؛ ما جاءَ تَوْكيدًا مُشْتَقًّا من اسْمِ المُؤَكَّدِ[(٦)] ؛ نحو: جاهِلِيّةٌ جَهْلاء، ووتِدٌ واتِدٌ أي ثابِت الرّأسِ مُنْتَصِب، ووَبْلٌ وابِلٌ أي مطرٌ شديدُ عظيمُ القطرِ، وشُغلٌ شاغِلٌ، وشيبٌ شائبٌ، وموتٌ مائتٌ، وويلٌ وائِلٌ، وصدقٌ صادقٌ، وجهدٌ جاهدٌ، ومثْلٌ ماثِلٌ[(٧)] ، وشعرٌ شاعِرٌ، وعامٌ عائمٌ، وهِتْرٌ هاترٌ[(٨)] وهو السَّقط من الكلامِ، وحِصْنٌ حَصينٌ، وحِرْزٌ حَريزٌ، وظلٌّ ظليلٌ، وليلٌ أَلْيَلُ أي مُظلِم، ونَهارٌ أنهرُ، وحِرزٌ حَريزٌ، وأرضٌ أريضةٌ أي زكيّة، وساعةٌ سوْءاءُ، ورمادٌ رِمْدِد ورِمْديد، أي هالِكٌ، وأبدٌ أبيد، ودهرٌ دهارير، أي شديد، وعَجَبٌ عاجِبٌ وعُجابٌ وعَجيبٌ، ويومٌ أَيْوَمٌ ويَومٌ، ودَهْرٌ داهِر، وسَوْءَةٌ سَوْأى، وهَلَكَةٌ هَلْكاء

---

(١) غَريب الحديث: ٤٨٥/١. لأبي إسْحاق إبراهيم الخطّابي (ت.٢٨٥) تح. د.سليمان إبراهيم محمّد العايد. جامعة أمّ القُرى، مكّة المكرّمة. ط.١ / ١٤٠٥.

(٢) أَخَذَه .

(٣) ذَهَبَ به.

(٤) عَرَضَ.

(٥) الصّامتُ: الذّهبُ والفضّةُ، والنّاطِقُ: الإبل والخيلُ والغنمُ.

(٦) المزهر: ٢٤٩/٢، ٢٤٦.

(٧) لسان العرب: ٦١٥/١١.

(٨) لسان العرب: ٢٤٩/٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أي عظيمةٌ شديدةٌ، وداهيةٌ دَهْياء ودهْواء أي داهِيَةُ الدَّواهي، وليلةٌ ليلاءُ، وظُلْمة ظَلْماءُ، وأَبْوابٌ مُبَوَّبَة، وأَصْنافٌ مُصَنَّفَةٌ، وعَرَبٌ عارِبةٌ وعَرْباءُ، وأعْوامٌ عُوَّمٌ، وقناطيرُ مُقَنْطَرَةٌ، وسَيْل سائلٌ، ونِسْيٌ مَنْسِيّ.

ومن ذلكَ ما اسْتَوى في الوَصْفِ به المذكَّرُ والمُؤَنَّثُ[1]: يقالُ ثَوْبٌ خَلَقٌ أي بالٍ وعَباءَةٌ خَلَقٌ، وشابٌّ أُمْلودٌ وصَبِيّةٌ أُمْلودٌ أي ناعمةٌ، ورَجلٌ عانِسٌ وفتاةٌ عانسٌ وهي التي بقيت في بيتِ أبويْها لم تتزوَّجْ، والعَروسُ نعتٌ يستوي فيه المذكّرُ والمؤنّثُ ما داما في إعْراسِهِما، وامْرأَةٌ عَروسٌ في نِساءٍ عَرائِسَ. ويقالُ: هذا بِكْرُ أَبوَيْه، وهو أوّلُ ولدٍ يولَدُ لهما، وكذلك البنتُ، والجمعُ أبْكارٌ، وهذا كِبْرَةُ ولدِ أبويه، وعِجْزَةُ وَلَدِ أبويه أي آخِرُهم، المذكّرُ والمؤنّثُ سَواءٌ، والجمعُ مثلُ الواحِدِ، وهو مُصاصُ قومِه إذا كانَ خالِصَهم، وكذلك المثنّى والجمعُ، ورجلٌ رَقوبٌ وامرأَةٌ رَقوبٌ، وبَعيرٌ كُمَيْتٌ، وهو الذي خالطَ حُمْرتَه سَوادٌ، والكُمْتَةُ لَوْنٌ بين السّوادِ والحُمْرَةِ، وناقةٌ كُمَيْتٌ، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، ورَجُلٌ غِرٌّ، لم يُجرّب الأمورَ، وامْرأَةٌ غِرٌّ، وجَمَلٌ ضامرٌ وناقةٌ ضامرٌ، ورجلٌ عاقِرٌ، وامرأةٌ عاقرٌ، ورجلٌ بِكْرٌ وامرأةٌ بِكْرٌ، ورجلٌ أَيّمٌ لا امرأةَ له، وامْرأَةٌ أيّمٌ لا زوجَ لَها، والزَّوْجُ يُطْلَقُ على الرّجلِ والمرأةِ، والعَدْلُ نعْتٌ للرّجلِ والمرأةِ والقومِ.

ومن الأبنية ما اسْتَوى في الوصفِ به الواحدُ والجَماعةُ والمؤنَّثُ[2]: رجلٌ زَوْرٌ وقَومٌ زَوْرٌ، أي زائرٌ وزائرون، وكذلك سَفْرٌ ونَوْمٌ وصَوْمٌ وفِطْرٌ وحَرامٌ وحَلالٌ وخَصْمٌ وجُنُبٌ وصَريخٌ وصَرورَةٌ للذي لم يحجَّ ونَصَفٌ للذي طَعَنَ في السّنِّ ولم يَشِخْ، وكَفيلٌ ووَصِيٌّ وضَمينٌ وضَيْفٌ ودَنِفٌ[3] وحَرَضٌ[4] قَمِنٌ وعَدْلٌ عَرَبِيٌّ مَحْضٌ وقُلْبٌ وبَحْتٌ وقُحٌّ: أي خالصٌ، وشاهدٌ زورٌ وشُهَداءُ زورٌ، وأرْضٌ جَدْبٌ وأرَضونَ جَدْبٌ، وأرضٌ (وأَرَضون) خِصْبٌ ومَحْلٌ، وماءٌ فُراتٌ، ومِلْحٌ أُجاجٌ وقُعاعٌ وجُراقٌ، بمعنى مِلْح، وماءٌ شَروبٌ أي بين المِلْحِ والعَذْبِ ومَسوسٌ، ومِياهٌ كذلك، ورَجلٌ وقومٌ رِضًا ونَصْرٌ ورَسولُ وعَدُو وصَديقٌ وكَرَمٌ وبَهٌ ومَشْناً ودَوىً وضَنىً ودَوٍ، كلُّها بمعنى مريض، وحَرِيٌّ وقَرِفٌ، بمعنى قَمِن، وناشئٌ أي حَدثٌ قد جاوزَ حدَّ الصّغرِ، والأنثى ناشئٌ أيضًا، ورجلٌ ثيّبٌ، وامرأةٌ ثيّبٌ.

---

(١) المزهر: ٢/٢١٨.

(٢) المزهر: ٢/٢١٩.

(٣) رجل دَنَفٌ ودَنِفٌ ومُدْنِفٌ ومُدْنَفٌ: براه المرضُ حتى أَشْفى على الموت لسان العرب: ٩/١٠٧.

(٤) رجل حَرِضٌ وحَرَضٌ أي فاسد مريض في بنائه، واحدُه وجمعه سواء. وحَرَضَه المرضُ وأَحْرَضَه إذا أشفى منه على شرف الموت. لسان العرب: ٧/١٣٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أسماءٌ مؤنّثَةٌ لا عَلامةَ فيها للتّأنيثِ: السّماءُ والأرضُ، والقوسُ والحَرْبُ ودِرْعُ الحَديدِ، وعَروضُ الشّعرِ، والرَّحِمُ، والرُّمْحُ، والجَحيمُ والنّارُ، والشّمسُ، والنَّعْلُ، والعَصا، والرَّحى، والدّارُ، والضُّحى، والقَتَبُ؛ واحدُ الأقْتابِ وهي الأمْعاءُ. والفَأْسُ والقَدومُ، والسُّرى وهي سيرُ اللّيلِ خاصّةً دونَ النّهارِ.

أسْماءٌ تُذَكَّرُ ولا تُؤَنَّثُ: الرّأسُ والجبينُ والثّغْرُ والشَّعْرُ والمَنْخَرُ والبطْنُ والفَمُ والظُّفُرُ والنّابُ والخَدُّ والثَّدْيُ والشِّبْرُ والنّاجِذُ والباعُ والذَّقنُ.

أسْماءٌ تُؤَنَّثُ ولا تُذَكَّرُ: السّاقُ والسِّنُّ والأُذنُ والفَخِذُ والكَبِدُ والقَلْبُ والضِّلَعُ والزَّنَدُ والكَفُّ والكَرِشُ والعَجُزُ، أي العَجيزةُ، والعَيْنُ والعَضُدُ والعُرْقُبُ، والوَرِكُ واليَدُ والشِّمالُ والإصْبَعُ.

أسْماءٌ تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ: القَليبُ، وهي البئرُ، والسِّلاحُ والصّاعُ والسّكّينُ والنَّعَمُ، والإزارُ، والعُرْسُ، والدّلوُ، والسّبيلُ والطّريقُ والسّوقُ، والعَسَلُ والعاتِقُ والعُنُقُ والعَضُدُ والعَجُزُ، والسَّلْمُ، والفُلْكُ والنَّهْرُ، والحالُ والمَتْنُ والكُراعُ والذّراعُ واللّسانُ، فمن أنّثَه قالَ في جَمْعِه أَلْسُنٌ، ومن ذكّرَه قالَ في جَمْعِه أَلْسِنَةٌ، والزُّقاقُ أي السِّكّةُ.

٥) ومن أبواب الأبنية في مَعاجم الأبنية: بابٌ في "ما اخْتَلَفَ لَفْظُه واتَّفَقَ مَعْناه"، أو باب الأَشْباه والنَّظائِر:

هذا بابٌ أَلَّفَ فيه القُدَماءُ، وهو بابٌ في الأسْماءِ المُترادِفَةِ أوالمُتَقارِبَةِ في المَعنى، ويَدلُّ على سعةِ العَربيّةِ وكَثرةِ أَلْفاظِها. وقَد وَضَعَ فيه العُلَماءُ رَسائلَ وكُتُبًا ؛ فقد ذكر السّيوطي أنّ لابْنِ خالويه كِتابًا في أَسْماءِ الأسدِ وأسْماءِ الحيّةِ[(١)]، وألّفَ مَجدُ الدّينِ الفَيْروزابادي - صاحِبُ "القاموسِ المُحيط" - في مَوضوعِ العَسَلِ كِتابَ "تَرْقيق الأَسَل في تَصفيقِ العَسَل"[(٢)]، وألّفَ كتابَ "الرَّوْض المَسْلوف فيما له اسْمانِ إلى أُلوف"[(٣)]. وألّفَ عبدُ الرّحمنِ بنُ عيسى الهَمَذانِيّ (ت.٣٢٧) كتابَ "الأَلْفاظ"، وشَرَحَ غَريبَ هذا الكِتابِ وعدَّلَه عَبدُ الرّحمنِ بنُ الأنباري (ت.٥٧٧) تَحت عنوان "كِتاب ألفاظِ الأشباهِ والنّظائِر"[(٤)] وأوردَ السّيوطي في كتابِ "المُزْهِر" أكثرَ من ثَمانينَ اسْمًا للعسَلِ، وأَسْماءً كَثيرةً للسّيفِ وأَلْفاظًا كثيرةً " للأخذِ بأجمع

(١) المزهر: ٤٠٧/١.

(٢) المصدر نفسُه.

(٣) نفسُه.

(٤) حَقَّقه د. البدراوي زهران، ط.٢، دار المَعارِف، ١٩٨١. واللاّفتُ للنّظرِ أنّ الكتابَ لم يَخلُ من أخْطاء مرْجِعُها في الغالبِ إلى سوءِ الطِّباعةِ.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الأشياء"، وللعمامةِ، ولإقامَةِ المَيَلِ، وللثّوْبِ الخَلَقِ[(١)]، وللسّكوتِ، والقطعِ، والوُقوعِ في الرُّوعِ[(٢)]، والشّرحِ، وسُوَيْداءِ القَلبِ، والضّربِ، والنّزولِ بالسّاحةِ[(٣)]، وألّفَ ابنُ مالِكٍ الطّائِيّ الجِيانيّ (ت.٦٧٢) كِتابَ "الأَلْفاظ المُخْتَلِفَة في المَعاني المُؤْتَلِفَة"[(٤)].

بابُ إِصْلاحِ الفاسِدِ: يقالُ أصْلَحَ فلانٌ الفاسِدَ، ولمّ الشَّعَثَ، وجَمَعَ ما تفرَّقَ وتشتّتَ من الأمرِ، وضمَّ النّشرَ، ورَمَّ الرَّثَّ أصلحَه، وجَبَرَ الكَسْرَ، وأسى الكَلْمَ، ورَقَعَ الخَرْقَ، ورَتَقَ الفَتْقَ، وشَعبَ الصَّدْعَ ولأمَهُ ورأَبه، ورأَبَ مُتَبايِنَه، وسدَّ الثُّلْمَةَ، وأقامَ الأَوَدَ، وسوّى الزَّيْغَ، ونظمَ الأُلْفَةَ، وقَوَّمَ المَيَلَ. وإذا صَلَحَ الأَمْرُ قيلَ: اسْتَقامَ المائِلُ، وانْشَعَبَ الصَّدْعُ، وانْجَبَرَ الوَهْنُ، وارْتَتَقَ الفَتْقُ، واعْتَدَلَ المَيَلُ[(٥)].

بابُ اعْوِجاجِ الشَّيْءِ: العِوَجُ والأَوَدُ، والضّلَعُ، والمَيَلُ، والزَّوَرُ والزَّيغُ، والصَّعَرُ في الخدِّ[(٦)] خاصّةً. ويُقالُ: في الأمرِ عِوَجٌ وفي العَصا عَوَجٌ، والعَوَجُ الانعطاف فيما كان قائماً فمالَ، كالرُّمْحِ والحائط[(٧)]، وتأَوَّدُ الشَّيْءُ، وعَوِجَ العودُ عَوَجًا انْحنى، وعَوِجَ الإنْسانُ ساءَ خُلُقُه فهو أعْوجُ، والمَعاجُ المكانُ الذي يُعاجُ إليه، أي يُعطَف إليه.

بابُ التَّقَيُّلِ والاتِّباعِ وسُلوكِ الطَّريقةِ: تقيّل فلانٌ أباه نزعَ إليه في الشّبه[(٨)]، وتَلاه يتْلوه تَلْوًا وتُلُوًّا، ويَحْذو حَذْوَه ومِثالَه وحَذْوَتَه، ويأخُذُ مأْخذَه، ويَطأُ مَواقِعَ قدَمِه ومَوْطِئَ سيرتِه، ويَسْتَنُّ بِسُنَّتِه، ويسيرُ بسيرَتِه ويَقْتَفي[(٩)] أثَرَه، ويَسْتَنْهِجُ سبيلَه، ويتَّبِعُ قَصْدَه، ويَنْحو نَحْوَه، ويَقْفو أَثَرَه ويَتَّسِمُ بِسيماه، ويأْتَمُّ به، ويَتَحَلّى بِحِلْيَتِه، ويأْتسي به، ويقْتاسُ به اقْتِياسًا ويَحْذوبه حذْو القُذَّةِ بالقُذَّةِ[(١٠)]. وهو قُدْوةٌ في هذا الأمرِ وإمامٌ وأُسْوَةٌ، وهما مِثْلانِ وسِيّانِ

---

(١) بفتح الخاءِ واللام، أي البالي.

(٢) بضمّ الرّاءِ، أي الفؤاد.

(٣) المُزْهِر: ١/٤٠٧-٤١٣.

(٤) الأَلْفاظ المُخْتَلِفَة في المَعاني المُؤْتَلِفَة، لابنِ مالِكٍ الطّائِيّ الجيانيّ (ت.٦٧٢) تح. د.ة. نَجاة حَسَن عَبْد الله نولي، نشر: مَعْهَد البُحوث العِلْمِيّة وإحياء التُّراث الإسْلاميّ، مركز إحياء التُّراث الإسلامي، جامِعَة أمّ القُرى، مَكَّة المُكَرّمَة، مَطابع مؤسّسة مكّة للطِّباعَةِ والإعْلام، ط.١/١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٥) أَلْفاظ الأَشْباه والنّظائِر: ١٠٠، لابْنِ الأَنْباري.

(٦) أَلْفاظ الأشباه والنّظائِر: ١٠١.

(٧) لِسان العرب: ٢/٣٣١، عوج.

(٨) لسان العرب: ١١/٥٨٠.

(٩) ألْفاظ الأشْباه والنّظائِر: ١٠١.

(١٠) لِسان العرب: ١٤/١٦٩، ألْفاظُ الأشْباهِ والنّظائر: ١٠. والقُذَّةُ: ريشُ السهم، وجمعها قُذَذٌ وقِذاذ.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وشرْجان وشَرْعانِ، وهُما كَفَرَسَي رِهانٍ، وكَأَنَّما قُدّا من أديمٍ واحدٍ[1].

٦) **مُعجَمُ التّغليب، أو اشْتِراكِ الكَلِمَتَيْنِ في لَفْظٍ واحِدٍ واخْتِلافهما أو تَقارُبهما في المَعْنى:**

وهما اللَّفْظانِ يُرادُ بأحَدِهما مَعْنىً وبالآخَرِ معنى يُخالِفُه على سبيلِ الحقيقةِ أو المَجازِ، فيُعْطى أحَدُهُما حُكْمَ غيرِه، أي يُغَلَّبُ أحَدُهما على الآخَرِ، بإطلاقِ لفظِه عليهما إجْراءً للمُخْتَلِفَيْنِ مُجْرى المُتَّفِقَيْنِ، لوُجودِ تَقارُبٍ بينهما في المعنى أو تَشارُكٍ. وقد عَرَّفَه ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ بقولِه: «إنّهم يُغَلِّبونَ على الشّيءِ ما لِغَيْرِه لِتَناسُبٍ بينهما أو اخْتِلاطٍ»[2].

وينقسمُ التّغليبُ في العَرَبيّةِ إلى لَفْظِيٍّ ومَعْنَويٍّ[3]، وقد استُعْمِلَ اللّفظيُّ منهما في ألفاظِ المُثنّى، والمعروفُ أنّ المثنّى هو الاسمُ الدّالُّ على اثنينِ متّفقين في اللّفظ والمعنى، بزيادةٍ في آخرِه. أمّا التّغليبُ فهو دلالةٌ على التّثنيةِ بالتّرجيح لا المُطابقة؛ أي ترجيحِ أحدِ الاسمينِ على الآخرِ وتَغْليبِه عليه لملابسةٍ بينهما تجعلُ أحدَهما إذا ذُكِرَ حَضَرَ الثّاني في الذّهنِ، ويكونُ مُلْحَقًا بالمُثنّى لا مُثنًّى؛ لتخلُّفِ شرْطِ التّطابقِ بين الاسمين، فيكون التّغليبُ من هذهِ الجهةِ سَماعِيًّا لا قِياسِيًّا، وألفاظُه سَماعيّةٌ مَقْصورَةٌ على ما وردَ عن العرَبِ، وهو «نَوْعٌ من الإيجازِ؛ إذ إنّه يعبِّرُ عن لفظيْنِ أو أكْثَرَ بلفظٍ واحدٍ»[4].

ومن الألفاظِ المشهورةِ في بابِ التّغليبِ الأبَوان والوالدانِ والبِحْرانِ والمَشْرِقانِ والمَغْرِبان والثَّقَلانِ والعُمَرانِ والقَمَرانِ والعَجّاجان وهما الشّاعِرانِ العَجّاجُ وابْنُه رُؤْبَةُ والمَرْوَتانِ وهما الصَّفا والمَرْوَةُ والحَسَنان وهُما الحَسَنُ والحُسَيْن والمَلَوانِ والأَسْوَدان التَّمْرُ والماءُ، والأَحْمَرانِ اللَّحْمُ الخَمْرُ، قالَ الجَوْهَريّ: أَهْلَكَ الرّجالَ الأَحْمَرانِ. وقيلَ هما الذّهَبُ والزَّعْفَرانُ: أَهْلَكَ النِّساءَ الأحْمَرانِ[5]، والأَصْفَرانِ الذَّهَبُ والزَّعْفَرانِ، والأَبْيَضانِ الشَّحْمُ واللَّبَنُ، ويُقالُ الخُبْزُ والماءُ، والأَصْغَرانِ القَلْبُ واللِّسانُ، والمَشْهورُ في ذلكَ القولُ المَنْسوبُ إلى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيزِ رحمَه الله: إنَّما المَرْءُ بأَصْغَرَيْه[6]؛ لِسانِه وقلبِه، والأجْمَلان: الفَصاحةُ والبيان، والأَمَرّانِ: الفَقرُ والهَرَم.

---

(١) ألفاظ الأشباه والنّظائر: ١٠٢.

(٢) مغني اللّبيب عن كتبِ الأعاريب: [٩٠٠] لجمالِ الدّين ابن هشامٍ الأنصاري، تح. د.مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله، ومراجعة ذ. سعيد الأفغاني. دار الفكر، بيروت، ط.٥/ ١٩٧٩.

(٣) التّغليبُ في اللّغة العربيّة: ١٨١، دة. منيرة محمود الحمد، مجلّة الدّارة، ع:٣، السّنة:٢١، ١٤١٦هـ.

(٤) التّغليب في اللّغةِ العربية: ١٩٣. دة. منيرة محمود الحمد، مجلّة الدّارة.

(٥) لسان العرب: ٢٠٨/٤.

(٦) وَفْدُ أهلِ الحجازِ عندَ عُمَرَ بن عبدِ العزيز: لما اسْتُخلِفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه الله قَدِمَ عليه وُفودُ أهلِ كلِّ بَلَدٍ فتقدَّمَ إليه وفدُ أهلِ الحجازِ فاشْرَأَبَّ منهم غُلامٌ للكلام ؛ فقال عمرُ: مهلاً يا غلامُ، لِيَتَكَلَّمْ مَن هو أسَنُّ منكَ. فقال =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٧) **مُعجَم التّضمين، أو بابٌ في إشْرابِ كَلِمَةٍ معنى كلمةٍ أُخْرى واخْتِلافِهِما في اللّفظِ:**

يدلُّ التَّضمينُ على معنيينِ مُخْتَلِفَيْنِ باخْتِلافِ المجالِ الذي يُسْتَعْمَلُ فيه؛ فهناكَ التَّضْمينُ في بابِ الشّعرِ، والتَّضمينُ في بابِ اللّغةِ.

فأمّا التّضمينُ في بابِ الشّعْرِ فهو ألاّ تستقلَّ الكلمةُ التي في القافيةِ بالمعنى حتّى تكونَ مَوْصولةً بما في أوّلِ البيتِ الثّاني. وهناك نوعٌ آخر من التّضمين، وهو تضمينُ الكلامِ آياتٍ وأخبارًا نبويّةً ومأثوراتٍ من الكلام، وكلّ ما يكتسبُ به الكلامُ طلاوةً وجمالاً[1]. أمّا التّضْمينُ في اللّغة فهو إشْرابُ فعلٍ معنى فعلٍ آخَرَ وإجْراؤُه مجْراه واسْتِعْمالُه اسْتِعْمالَه مع إرادةِ مَعْنى المُتَضمَّن[2]، والغرضُ من التَّضمينِ إعطاءُ مَجموعِ مَعنيينِ وذلك أقْوى من إعطاءِ معْنىً، قالَ ابنُ هِشامٍ: «وفائدتُه أن تُؤَدّيَ كلمةٌ مُؤَدّى كَلِمَتَيْنِ»[3]. وهذا الضّرْبُ من التّضْمينِ هو الذي يتّصلُ ببحْثِنا المُعْجميّ[4]. ومن الأمثلةِ على الأفعالِ التي ضُمِّنَتْ مَعانِيَ أَفْعالٍ أخرى:

عَزَمَ: ضُمِّنَ مَعنى "نَوى"، كما في قوله تعالى: ﴿ولاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتابُ أَجَلَه﴾[5] أي "ولا تَنْووا" ولهذا عُدِّيَ "تعزموا" بنفسِه لا بِعَلى[6]. سمع: ضُمِّن معنى أصغى، نحو قولِه تعالى: ﴿لاَ يسْمَعُونَ إلى المَلإِ الأَعْلَى﴾[7] أي لا يُصْغونَ، وكذلك ضُمِّنَ معنى اسْتَجابَ كما

= الغلامُ: مهلاً يا أميرَ المؤمنين، إنما المرءُ بأصْغَرَيْه ؛ قَلْبِه ولسانِه، فإذا مَنَحَ الله العبْدَ لساناً لافِظاً وقلباً حافظاً فقد اسْتجادَ له الحلية، ولو كان التّقدُّم بالسّنّ لكان في هذه الأمّةِ من هو أحقُّ بمجلسكَ منكَ، فقال عُمَرُ: صدقْتَ تكلَّمْ ؛ فهذا السِّحرُ الحَلالُ. جمهرة خطب العرب:٢/٤١٩ .

(١) المثل السّائر: ٣/٢٠٠.

(٢) الأشباه والنّظائر في النّحو: ١/١٢١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط.١/١٤٠٥-١٩٨٤، والكلّيّات: ٢٦٦ و٣٨٦ و٦٤٠.

(٣) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٨٩٧، لجمال الدّين ابن هشام الأنصاري، تح. مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط.٥، ١٩٧٩.

(٤) من الباحثين من عدَّ التّضمينَ مظهرًا من مظاهرِ الاضطرابِ في مناهجِ عُلَماءِ اللّغةِ القائلين به، ومشكلةً من المشكلاتِ اللّغويّةِ والنّحويّةِ التي أفسدَها المنهجُ المنطقيّ؛ لأنّ القولَ بالتّضمين هو قولٌ بالشّيءِ وبخلافِه، ومعنى ذلك أنّهم يتصوّرون أن بعضَ الألفاظِ يدلُّ على معناه الأصليّ ويدلُّ أحيانًا على معنىً آخر غيرِ الأوّل، وهذا حلٌّ دلاليّ مضطربٌ مال إليه أولئك اللّغويّون. انظر تفصيلَ هذا الرّأي كتابَ في شرفِ العربيّة: ١٠٥-١١٤. د. إبراهيم السّامرّائي، سلسلة كتاب "الأمّة" ع:٤٢، ط.١، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ.

(٥) البقرة: ٢٣٥.

(٦) مغني اللّبيب: ٨٩٨.

(٧) الصّافّات: ٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

في قولِ الصّحابي: سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه[١]، وإنّما أصلُه أن يتعدّى بنفسِه[٢]. عَلِمَ: ضُمِّنَ معنى مازَ يميزُ، ولهذا عُدِّيَ عَلِمَ بمِن لأجلِ التّضمين نحو قولِه تعالى: ﴿واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ﴾[٣] أي يَميزُ.

قالَ ابنُ جنّي عن بابِ التّضمين: «أحْسِبُ لو جُمِعَ ما جاءَ منه لجاءَ منه كِتابٌ يكونُ مِئِينَ أَوْراقًا»[٤].

٨) مُعجَم الإضافات المَشهورَة في اللّغة العربية:

بِناءُ هذا المُعجَم على ذِكْرِ عِباراتٍ مِنَ المُضافِ والمُضافِ إليه اشْتهرَت عَلى ألسنةِ الخاصّةِ والعامّةِ، وكثُرَ التّمثُّلُ بها في كَلامِ العَربِ شعرِه ونثرِه[٥]، وأشهرُ مَن ألّفَ في الموضوعِ أبو منصور الثّعالبي النّيسابوري (ت.٤٢٩)، وله فيه كِتابٌ مشهورٌ سمّاه: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب.

ومن هذه العِباراتِ ما أضيفَ إلى اسم الله تعالى كقولهم: أهلُ الله[٦]، وبيتُ الله، ورسولُ الله، وكتاب الله، وخليل الله، ورَوح الله، وأرض الله، وأَسَد الله[٧] وسيفُ الله[٨].

ومنها ما أُضيفَ إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٩]، نحو: سفينة نوحٍ وعُمر نوحٍ، مقامُ إبراهيمَ، ونارُ إبراهيمَ، وصُحُف إبراهيمَ، وضيفُ إبراهيمَ، وناقةُ صالح، ورُؤيا يوسفَ، وذئبُ

---

(١) صَحيح مسلم: ٣٠١/١. باب وضعِ يدِه اليُمنى على اليُسرى بعدَ تكبيرةِ الإحرام. تح. محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

(٢) مغني اللّبيب: ٨٩٨.

(٣) البقرة: ٢٢٠.

(٤) نَسَبَ ابنُ هشام هذا الكلامَ إلى ابن جنّي وذكرَ أنّه أوردَه في كتابِ التَّمام: مغني اللّبيب: ٨٩٩.

(٥) ممّن ألّفَ في الموضوعِ أبو منصور الثّعالبي النّيسابوري (ت.٤٢٩)، وله فيه كِتابٌ مشهورٌ سمّاه: [ثمار القلوب في المضاف والمنسوب] تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط.١ / ١٩٨٥.

(٦) وكان يُقالُ "أهل الله" لقريش في الجاهليّة لِما تميّزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم، والفضائلِ والخصائص؛ فمنها مجاورتُهم بيت الله تعالى، وإيثارُهم سَكَنَ حَرَمِه على جميع البِلاد، وصبرُهم على لأواءِ مكّةَ وشدَّتِها وخُشونةِ العيشِ بها، ومنها ما تفرّدوا به من الإيلافِ والوِفادةِ والرِّفادة، والسّقايةِ والرّياسةِ واللّواءِ والنّدوة، ومنها كونُهم على إرثٍ من دينِ أبويْهِم إبراهيمَ وإسماعيلَ مِن قِرى الضّيفِ ورَفدِ الحجّاجِ والمعتمِرين... [ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١٠-١٦].

(٧) يُقالُ لحمزةَ بنِ عبدِ المطّلِب "أسد الله" لتقدُّمِ قدمِه في الحرب [ثمار القلوب: ٢١].

(٨) هو خالد بنُ الوليد.

(٩) ثمار القلوب: ٣٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يوسفَ، وقَميصُ يوسفَ، وحُسْنُ يوسفَ، وسِنو يوسفَ، وريحُ يوسفَ، وعَصا موسى..

وممّا أُضيفَ إلى القُرون الأولى[1]: أحْلام عادٍ[2]، وريحُ عادٍ، وصاعقةُ ثَمودَ، ونَخْوَة فِرْعونَ، وصَرحُ هامانَ، وكُنوزُ قارونَ، وسدُّ الإسكندر، ونَومُ أصْحابِ الكَهفِ...

وممّا أضيفَ إلى العَربِ وقَبائِلهم في الجاهِليّة والإسلام، مِنَ الألقابِ والمَراتبِ[3]: قُرَيشُ الأباطِح، وشيبَة الحَمد، وحاتِم طَيّء، وزَيْدُ الخَيْلِ[4]، ومَجْنونُ بني عامرٍ، ومَجْنون لَيلى، وشَيخُ المعَرّة، وأشَجّ بني أمية[5]، وإيلافُ قُريش، وتيه بني مَخزوم، وجودُ طَيّء، ولُؤم باهلة.

وممّا يُضافُ إلى القرّاء والعُلماءِ[6]: فقْه أبي حَنيفةَ، وجامعُ سُفْيانَ، وطفرة النَّظّام.

وممّا يُضافُ إلى طبقاتِ الشّعراء حولياتُ زهير[7] وصحيفةُ المتلمّس[8] وغزل ابن أبي ربيعة.

وممّا وردَ في الأمّهات: أمّ الكتاب[9]، وأمّ القرى[10]، وأم المؤمنين[11]، وأمّ دَفْرٍ[12]، وأمُّ المنايا[13]، وأم قَشْعَم[14].

---

(١) ثمار القلوب: ٧٩.

(٢) العربُ تَضربُ المثلَ بأحلامِ عادٍ لما تَتَصَوّرُ مِن عَظيمِ خَلقِها وتَزعُمُ أنّ أحْلامَها عَلى مَقاديرِ أجْسامِها.

(٣) ثمار القلوب: ٩٦، و١١٥.

(٤) زَيْدُ الخَيلِ هُو زَيدُ بنُ مَهَلْهِل بن زَيد منهب الطّائيّ، قَدِمَ عَلى رَسولِ الله صَلّى الله عليه وسَلّمَ في وَفدِ طَيّءٍ سَنَةَ تِسْعٍ وأسْلَمَ وسَمّاه رَسولُ الله صَلى الله عَليه وسَلّمَ "زَيْد الخَيْر" [الاستيعاب: ٥٥٩/٢] ليوسفَ بن عبدِ الله بن عبدِ البرّ (ت.٤٦٣)، تح. علي محمّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٤١٢، مَجْمَع الزَّوائد: ١٩٤/٧ لعليّ بن أبي بَكْرٍ الهيثَميّ (٨٠٧)، دار الرّيّان للتّراث- دار الكِتاب العربي، القاهرة-بيروت.

(٥) هو الخَليفة الأمويّ العادِل عُمرُ بنُ عبدِ العزيز، ويُقالُ لَه أيضاً "أشَجّ بَني مَرْوانَ" حِلْيَة الأوْلياء: ٢٥٦/٥ لأبي نُعَيْم الأصبهانيّ، دار الكِتاب العَرَبِيّ، بَيْروت، ط/٤، ١٤٠٥.

(٦) ثمار القلوب: ١٦٩.

(٧) يُضرب بها المثَل في جيّد الشّعرِ وبارِعِه، وهي أمّهاتُ قصائدِه وغُررُ كلماتِه التي كان لا يَعْرِضُ واحدةً منها حتّى يحولَ عليها الحولُ، وهو يجتهدُ في تصحيحِها وتنقيحِها وتهذيبِها، وكان يقول: خيرُ الشّعر الحوليّ المُنَقّحُ المُحَكّ. ومثلُ قولِهم: اعْتِذاراتُ النّابغة، وأهاجي الحُطيئة، وهاشميات الكُمَيْت، ونقائض جريرٍ والفرزدق، وخمريّات أبي نوّاس، وزهديّات أبي العَتاهيّة، ومراثي أبي تمّام، ومدائح البُحتُريّ، وتشبيهاتُ ابنِ المعتزّ... انظر: ثمار القلوب: ٢١٦.

(٨) يُضرب مثلاً لمن يحمِلُ كتابًا فيه حتفُه.

(٩) وهي سورةُ الفاتحة.

(١٠) وهي مكّة المُكَرّمة.

(١١) هي عائشةُ رضيَ الله عنها، وكلُّ واحدةٍ من أزواجِ النّبيّ ﷺ.

(١٢) وهي كنايةٌ عن الدّنيا.

(١٣) كناية عن مُعظَم المنيّة.

(١٤) وهي المنيّة والحربُ والدّاهيةُ الكبيرة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وممّا وردَ في البنين[1] ابن الماء[2]، وابن الليالي[3]، وابن ذكاء[4]، وابن الغمام[5]، وابن جَلا[6]، وابن السَّبيل[7]، وابن بَجْدَتِها[8]، وابن الحرب[9]، وابنُ الغِمْد[10]، وابن الدهر[11]، وبنو غَبْراء[12]، وبَنو الدُّنيا[13].

وممّا قيل في البنات: ابْنَةُ الجَبَل، ومعناه الصَّدى يُجيبُ المتكلِّم بين الجبالِ، وهو كناية عمَّن يكون مع كلِّ صوتٍ مثلَما أنّ الصَّدى يُجيبُ كلَّ ذي صوتٍ بمثلِ كلامِه[14]، وابنةُ الكَرْم وهي الخَمْر، وبنتُ المنيّة هي الحُمّى[15]، وبِنْت الفكر هي الرّأي والشّعر، وبَناتُ الدّهرِ هي حوادثُه ومصائبُه، وبَناتُ المَنايا هي السِّهام، وبَناتُ البُطون هي الأمعاء، وبَناتُ اللّيل هي الأحلام، وبَناتُ الصّدرِ هي ما يُضمِرُه الإنسانُ من الخيرِ والشّرّ، وبَناتُ اللّهو هي الأوتار، وبَناتُ العينِ هي الدّموع، وبُنَيّات الطّريق هي الطُّرُق الصِّغار تتشعَّبُ من الجادَّة، وهي التُّرَّهاتُ[16]؛ يُقال للرّجلِ إذا وُعِظَ: اِلْزَم الجادّةَ ودَعْ بُنَيّاتِ الطّريق.

وممّا وردَ في المياه[17]: ماءُ زَمْزَم، وماء الوجْه: والعرَب تستعيرُ الماءَ لكلّ ما يحسُنُ موقِعُه ومَنظرُه ويعظُم قدْرُه، وماءُ الوجه عبارةٌ عن الحَياءِ الذي هوأفضلُ من الماءِ، وماء الشّباب،

---

(1) ثمار القلوب: ٢٦٣.
(2) كلُّ طائرٍ يألفُ الماءَ فهوابنُ الماء.
(3) هو القمر.
(4) هو الصُّبح، وأبوذُكاء هوالشّمس.
(5) هو البَرَد.
(6) هو الذي أمرُه مُنجَلٍ مُنْكَشِفٌ.
(7) هو المُختار.
(8) الضّميرُ راجعٌ إلى الأرض، يَعْنون العالِم بها.
(9) هو الشّجاع الذي تعوّد الحربَ وألِفَها.
(10) هو السّيف، لطولِ ملازمتِه غِمْدَه وقَرارِه فيه.
(11) هو النّهار.
(12) هم اللّصوص والصّعاليك المُهْتَدونَ في مَجاهِلِ الأرضِ والعالِمون بطُرُقِها، وقيل: هو الفُقَراء اللاّصِقون بالغَبْراء من سوءِ الحال.
(13) هم النّاس، قيلَ لعليّ رضي الله عنه: أما ترَى حبَّ النّاسِ للدّنيا !؟ فقال: هم بَنوها.
(14) ثمار القلوب: ٢٧١.
(15) وقيل إن أبلغَ ما قيل في وصفِها قولُ عبدِ الصّمد بنِ المُعَذّل: وبنت المنيّةِ تنتابُني هُدُوًّا وتطرُقُني سَحْرَه حتّى جاءت ميميّةُ أبي الطّيّب المتنبّي فأربَت عليه وسَمّاها بنت الدّهر:
أبِنْتَ الدَّهرِ عندي كلُّ بنتٍ // فكيف وصلْتِ أنتِ من الزّحام: [ثمار القلوب: ٢٧٣].
(16) لسان العرب: ١٤/٩١.
(17) ثمار القلوب: ٥٥٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وماءُ الحُسْن، وماءُ النَّدى، سَيْلُ العَرِم، وهو السّيلُ الذي خَرَّبَ سبأ وأبادَ أهلَها.

٩) مُعْجَمُ المُداخَل" أو"المُتَداخِل" أو"المُسَلْسَل"، أو فَنُّ تَداخُلِ الكَلامِ بالمَعاني المُخْتَلِفَةِ

يُعَدُّ فَنُّ "المُداخَلِ" أو"المُتَداخِل" أو"المُسَلْسَل" فَنّاً مُعجمياً جَديداً طَريفاً مُبْتَكَراً، مِنْ فُنونِ جَمْعِ اللُّغَةِ وتَحْصيلِها، عَمَدَ إليهِ بعضُ اللّغويّينَ لِنَظْمِ مُفْرَداتِ اللّغةِ ولَمِّ شَتاتِها، ويَقومُ عَلى ذِكْرِ اللّفظةِ ثُمّ تَفْسيرِها بِلفظةٍ ثانيةٍ ثُمّ تَفسيرِ الثّانيةِ بِثالِثةٍ والثّالِثةِ بِرابِعةٍ، وهكذا حتّى يَنْتَهِيَ الفَصلُ، ثُمّ يُستأنَفُ الكَلامُ بِلفظةٍ جَديدةٍ، وهكذا حتّى تجتمِعَ عِدّةُ فصولٍ. ومِمّن كَتَبَ في هذا الفنّ تِلْميذُ أبي العَبّاسِ ثَعْلَب، أبو عُمَر المُطَرِّز البَغْداديّ (ت.٣٤٥) صاحبُ كِتابِ "المُداخَل"، وتِلْميذُ المُطَرِّزِ أبو الطّيّبِ عَبْدُ الواحِدِ اللّغوِيُّ (ت.٣٥١) صاحبُ كِتابِ "شَجَرِ الدّرّ في تَداخُلِ الكَلامِ بِالمَعاني المُخْتَلِفَة"[(١)]، ومُحمّد بنُ عبدِ الله التَّميميّ المازِنيّ السّرقُسْطِيّ الأندلُسيّ أبو طاهِرٍ الإشتركونيّ (ت.٥٣٨) صاحِبُ كِتابِ "المُسَلْسل".

ويَبْدو مِن المادّةِ التي أوْرَدَها أبو الطّيّبِ اللّغويُّ في كِتابِه "شَجَر الدُّرّ" أنّها أقْرَبُ إلى الاسْتِعمالِ والتَّداوُلِ وأحقُّ بالعَرْضِ والبَيانِ[(٢)].

وفائِدةُ أسلوبِ التَّداخُلِ أو التّسلْسُلِ أو اشْتِجارِ الكَلِماتِ بَعضِها بِبَعْضٍ، مَدُّ المُسْتَعْمِلِ لِلّغةِ بِزادٍ لَفْظِيٍّ غَنِيٍّ، وثَرْوَةٍ من الألفاظِ المُعجميّةِ المُتَوالِدَةِ المُتَنامِيَةِ بِأسلوبٍ مَخصوصٍ:

الصَّحْنُ: قَدَحُ النَّبيذِ، والنَّبيذُ: الشّيءُ المَنْبوذُ، والمَنْبوذُ: اللّقيطُ[(٣)]، واللَّقيطُ: النَّوى[(٤)]، والنَّوى[(٥)]: الشَّحْطُ[(٦)]، والشَّحْطُ[(٧)]: الذَّبْحُ، والذَّبْحُ: الشَّقُّ، والشَّقُّ[(٨)]: النَّصَبُ والنَّصَبُ: القَومُ المُعْيونَ مِن سيرٍ أو غيرِه، والسَّيْرُ السَّوْقُ، يُقالُ سِرْتُ النّاقةَ أسيرُها سَيْراً إذا سُقْتَها لِتَسيرَ[(٩)].

---

(١) شَجَرُ الدُّرِّ في تَداخُلِ الكَلامِ بِالمَعاني المُخْتَلِفَة، صَنْعَةَ الإمامِ أبي الطّيّب عَبْدِ الواحِدِ بن عليّ اللّغويّ (ت.٣٥١)، تح. محمّد عبد الجَواد، سلسلة ذَخائِر العَرَب (٢١)، دار المَعارِف بِمِصْرَ، ط.٢ / ١٩٦٨م. وانظُرْ كَلامِ المُحقّق عَن هذا الفَنّ في مُقدّمةِ تَحْقيقه.

(٢) ذَهَبَ مُحَقّقُ "شَجَر الدّرّ" إلى أنّ هذا الكِتابَ أنْقى وأصْفى، ومادّته إلى الفَهْمِ أقْرَبُ، وهُو بِاسْتِعْمالِ مُفْرَداتِه في عَصْرِنا أحَقُّ وأَوْلى [شَجَر الدّرّ...: مُقَدّمة التَّحْقيق: ٢٠].

(٣) اللّقيطُ هُنا بِمَعْنى الصَّبِيّ المَنْبوذ يَجِدُه المُلْتَقِطُ لَه [اللّسان: ٧/ ٣٩٢].

(٤) المُرادُ هُنا جَمْعُ نَواةِ التَّمْرِ وغَيْرِه مِن ذَواتِ النَّوى.

(٥) المُرادُ هُنا الوَجْه الذي يَنْويهِ المُسافِرُ مِنْ قُرْبٍ أو بُعْدٍ [اللّسان: ١٥/ ٣٤٧].

(٦) الشَّحْطُ مَصْدَرٌ بِمَعْنى الابْتِعاد.

(٧) الشّحطُ هُنا بِمَعْنى الذّبْح.

(٨) الشَّقُّ هُنا بِمَعْنى المَشَقَّة والتَّعَبُ والإعْياءِ والعَناء.

(٩) [شَجَرُ الدُّرّ في تَداخُلِ الكَلامِ بِالمَعاني المُخْتَلِفَة: ٦٣-...].

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

والنَّجْـوُ: الارتِفـاعُ مِـن الأرضِ[1] ، والأرْضُ: القُـشَعْريرَةُ، والقُـشَعْريرَةُ: بَـدْءُ يُـبْسِ الكَـلأ، والبَـدْءُ[2] : سَـيِّدُ القَبيـلِ، والقَبيـلُ[3] : كالفَخِـذِ مِـن العَـرَبِ وهُـو دونَ القَبيلَـةِ، والقَبيلَـةُ: أحَـدُ شُـؤونِ الـرَّأسِ[4] ، والـشُّؤونُ: العَـواهِنُ[5] ، والعَـواهِنُ القِلَبَـةُ مِـن النَّخيـلِ، والنَّخيـلُ: الـدَّقيقُ المَنْخولُ، فَعيلٌ بِمَعْنى مَفْعـولٍ، والمَنْخـولُ: الحَـديثُ بِـصِدْقٍ، يُقـالُ: نَخَلْـتُ لَـه الحَـديثَ أي أخْلَصْته، والنّاخِـلُ الخـالِصُ[6] ، والحَـديثُ: ضِـدٌّ العَتيـقِ، والعَتيـقُ: الفَـرَسُ الجَـوادُ، والجَـوادُ: المَذِلُ بِمالِه[7] ، والمَذِلُ: الخَدِرُ الرِّجْلِ...

١٠) مُعجَم المَلاحن: أو فنّ من فُنون التأليف اللغويّ يُدْعى المَلاحن:

ألّفَ فيها ابنُ دريد كتاباً، وتَرْقى أصولُه إلى العَصر الجاهليّ كَما حَدَّثَ ابنُ دريد نَفْسُه في مُقدمته للملاحن، وسمّاه محمد بن عبد الغفور الكُلاعي (القرن السادس هـ) في كتابه "إحكام صَنعة الكلام" المورَّى " لأنّ باطنَه غيرُ ظاهره، ومنه الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه سلمَ إذا أراد سفراً ورّى بغيره، وهو نوع من غريب الكلام، كقول النبي عليه السلام لعجوز: إنّ الجنة لا يدخلها عجوز، يريد أنهنّ يعدن شوابَّ.

أمّا ابنُ دريد فقد توسّعَ في التصنيف في هذا الفنّ، وسار على خطاه مَنْ تبعه، منهم المفجّع البصري (ت ٣٢٧ هـ) صاحب كتاب "المنقذ من الأَيْمان " وصنف ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) كتاب "المعاريض"....

قدّم ابن دريد لكتابه بمقدمة وجيزة بيّن فيها سبب تأليف الكتاب، فزعم أنه ألّفه ليفزع إليه المُجبَر المضْطَهد على حَلِفِ اليَمين، فينجو من جَنَف الظالم وحيفه. فالصقر مثلاً يستخدمه ابن دريد بمعنى اللبن الحامض أو دبس الرُّطب. والسرير يورده ابنُ دريد بمعنى الماء المجتمع أو النهر أو مركب الرأس في العنق. ويستخدم الفعل "لعب" بأنه من اللعب على

---

(١) والنَّجْو أيضاً ما يَخْرُجُ مِن بَطْنِ الإنسان.

(٢) البَدْءُ: السَّيِّدُ الأوّلُ في السّيادَةِ، والثُّنْيانُ الذي يَليه في السُّودَدِ.

(٣) القَبيلُ: الجَماعَة مِن الناسِ يَكونونَ مِنَ الثَّلاثَة فَصاعِداً مِنْ قَومٍ شَتّى، كَالزِّنْجِ والرُّومِ والعَرَب، وقَد يَكونونَ مِنْ نَحو واحِدٍ، ورُبَّما كانَ القَبيلُ مِن أَبٍ واحِدٍ كالقَبيلَةِ، وجمعُ القَبيل قُبُل [اللّسان: ٥٤٢/١١].

(٤) شُؤونُ رأسِ الإنسان: مَواصِلُ قَبائِلِ الرَّأسِ ومُلْتَقاها، وقَبائلُ الرأسِ أطْباقُه [اللّسان: ٢٣١/١٣].

(٥) العَواهِنُ جَرائدُ النّخلِ إذا يَبِسَت، والعَواهِنُ جَمْعُ عاهِنَة وهِيَ السَّعَفاتُ اللواتي يَلينَ قَلْبَ النَّخْلَةِ، والعَواهِنُ جَوارِحُ الإنسانِ [اللّسان: ٢٩٧/١٣].

(٦) عنِ الأعْمَشِ عَن مالكِ بنِ الحارِثِ قال: كانَ رَبيع يأتي عَلْقَمَةَ قالَ فأتاه ولم يَكنْ ثمةَ فَجاءَ رَجلٌ فَقالَ ألا تَعْجَبونَ مِنَ الناسِ وكَثْرةِ دُعائِهِم وقِلّةِ إجابَتِهِم، فَقالَ رَبيع: تَدْرونَ لِمَ ذاكَ؟ إنّ الله لا يَقْبَلُ إلاّ النّاخِلَةَ مِنَ الدُّعاءِ، والذي لا إله غَيرُه لا يَسْمَعُ الله مِنْ مُسمعٍ ولا مُراءٍ ولا لاعِبٍ ولا داعٍ إلا داع دَعا بِتَثَبّتٍ مِنْ قَلْبِه [مُصَنَّف ابْنِ أبي شَيبةَ: ٣٤/٦].

(٧) أي السَّمْحُ بِمالِه.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أنه بمعنى سال لعابه...

ذكر ابن دريد في مقدمته معاني كلمة "اللحن" المختلفة بحسب السياق الذي ترد فيه، وبيّن أنها يراد بها في مواضع الغلطَ والخروج عن القواعد والأصول، ويُراد بها في سياق آخر الفحوى والمقصد كما قد يُراد بها الفطنة. وقد نقل عنه أبوعلي القالي كلامه في اللحن في صدر كتابه "الأمالي"، ويَلتقي هذا الفنُّ الأسلوبيّ بأساليبَ أخرى كالتّوريّة والمُواربَة والكنايَة.

خاتمة:

وهكذا ففُنون التأليف اللّغوية التي تَدخلُ في صَميم الصّناعة المعجمية يُمكن جَمعُها وترتيبُها وإعدادُها الإعدادَ المنهجيَّ المُناسبَ الذي يُساعدُ على تحقيق فكرة المعجم التاريخيّ الشّامل للغة العربيّة، وقد اقتصرْنا من أنواع المَعاجم على نماذجَ مَعدودةٍ، ويُمكن أن نُضيفَ إليْها الرّسائلَ اللغويّةَ والمَعاجم اللغوية بنوعيْها: مَعاجم الألفاظ ومعاجم الموضوعات، وكتُب طبقات الشّعراء وكتب شروح الشعر والاختيارات وكلَّ المصادر التي تُعدُّ مظانَّ للمادّة المَذكورَة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

التأريخ المعجمي والتطوّر اللغوي

د. عبد العلي الودغيري

أستاذ العلوم المعجمية – جامعة محمد الخامس

.١.

ليس التأريخ لمعجمِ لغةٍ من اللغات في نهاية الأمر سوى رَصْدٍ لتطوُّر أهمِّ مُكوِّنٍ من مُكوِّنات هذه اللغة وأكبَرِها عُرضةً للتحوُّل والتغيُّر. إذ من المعروف لدى الدارسين المختصِّين أن حجم الاستقرار في أنظمة الصوت والصرف والتركيب أقوى بكثير مما هو في المعجم الذي عادةً ما يُوصَف بأنه نظامٌ مَفتوحٌ وسريعُ الحرَكة، له بابان: أحدُهما تدخل منه الألفاظ والتعبيرات التي تُستحدَث باستمرار، ولاسيما في مراحل معيَّنة من حياة المجتمعات اللغوية التي تشهد طَفَرات انتقالية سياسية أو اجتماعية وثقافية أو اقتصادية أو دينية، وبابٌ آخر تخرُج منه الألفاظُ والتعبيرات والاستِخدامات التي شاخَت وانتهَت مدةُ صلاحيَّتها، لتحلَّ محلَّها ألفاظٌ أخرى تؤدي وظيفتَها بطريقة مغايرة ونفَسٍ قويٍّ شابٍّ، أو لتُعبِّر عن أفكارٍ ومعانٍ وأشياء لم تكن موجودة من قبل، لكن الضرورة والحاجة اقتَضَتا إحداثَها أو جَلْبَها واقتراضَها من لغات أجنبية. ولذلك فإن بعضاً من الألفاظ القديمة يختفي من الاستعمال بصفة نهائية، وبعضاً آخر يُحتفَظُ به مع وجود ما يقوم مقامَه أو ينوبُ عنه، فتتراكمُ الكلماتُ وتتكاثَرُ المُترادِفات ويتضخَّمُ الرصيدُ المعجمي في اللغات ذات التاريخ العريق، فيكون ذلك من باب الثراء الزائد أو الغِنَى الفاحِش.

ومن المعلوم أن التأريخ للوحدات المعجمية لا يكون محصوراً في نقطة واحدةٍ، وهي البحث عن تاريخ ظهور الألفاظ وبدءِ استعمالها في اللغة المدروسة، ولكن يذهب إلى ما هو أعمقُ من ذلك وأَشمَلُ، وهو تتبُّعُ مظاهر استعمالها في اللغة عبر مختلف أطوارها منذ نشأتها والبدءِ في استخدامها إلى بقية المراحل من حياتها وامتدادها الزمني والجغرافي، ومُلاحقةُ مَسارها في كل بيئاتها التي تَقَلَّبَت فيها والمجالات والحقول الدلالية التي انتقَلت منها وإليها، وتسجيلُ كل الملاحظات الخاصة بالتغيُّرات التي طَرَأت على صِيَغها اللفظية صوتاً وصرفاً، سواء في حالتها انفرادِها وانعِزالها أم في حالة انتِظامها مع غيرها وتَرْكيبها في جُمَلٍ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وسلاسل كلامية بسياقاتٍ مختلفة (لأن سياقات الكلمات وهي مُركَّبة ومُنتظِمة ومؤلَّفة مع بعضها، هي التي تُحدِّد في كثيرٍ من الأحيان جزءاً مهماً من معانيها)، وما رافَق ذلك كلَّه من تحوُّل وتطوُّر في المعاني والدلالات. ويبدأُ تتبُّع حياة الألفاظ وكتابةُ سِيرَتِها الذاتية المفصَّلة والمُعزَّزة بالتواريخ الدقيقة أو التقريبية، والقَرائن والأدلة التي تُثبِت كلَّ ما يُكتَب في سِجِلِّ حياتها من وقائع وأحداث، منذ ولادتها كما قُلتُ، ولا ينتهي إلا بإعلان وفاتها أو انتهاء صلاحيتها وسُقوطها من الاستعمال.

بين التأريخ والتأثيل:

والبحثُ في ولادة اللفظ ووصفِ حالة ظهوره الأول، يبدأ من خُطوةٍ ضرورية هي تأصيلُ هذا اللفظ وتأثيلُه. أي إرجاعه إلى جِذْره المعجمي الذي اشتُقَّ منه إن كان أصيلاً في تلك اللغة، أو إلى أَثْلِه في اللغة أو اللغات الأجنبية التي جاء منها إذا كان دخيلاً عليها. وقد لا يكون التأثيلُ وحده كافياً لمعرفة مصدر اللفظ الدخيل، بل لا بد في كثير من الأحيان أن ننتقل إلى ما هو أبعدُ من ذلك، وهو الخُطوةُ التي سَمّاها عبد الحق فاضل باسم التَّرْسيس [١]، ومعناه: محاولةُ البحث عن رَسّ الكلمة أي عن أُسِّها في أقدم لغةٍ استخدَمَتها بقدر ما لدينا من معلومات وما نتوفَّر عليه من أدلة ووثائق.

وهذه العملية الثلاثية المُكوَّنة من التأصيل والتأثيل والتَّرسيس، لا غنى عنها في أية محاولة لكتابة تاريخ معجم لسانٍ من الأَلسنة. فهي رُكنٌ ضروري من عملية التأريخ. لأننا نحن حين نريد الشروع في التأريخ لكلمة معيَّنة لا بد أن نبدأ من نقطة الانطلاق الصحيحة، وهي أن نسأل أولاً: من أين جاء هذا اللفظُ؟ هل من اللغة التي ندرسُها ونؤرِّخ لها، فنردُّه إلى أصله، وهو جِذْرُه الاشتقاقي، ونُثَبِّتُه فيه، أم من لغةٍ أجنبية فنُبيِّن ذلك ونقدِّم أدلتَنا عليه؟ وفي خُطوة تالية يأتي السؤالُ الثاني: متى ظهر هذا اللفظُ واستُعمِل في معجم اللغة المدروسة؟ والسؤالُ الثالثُ: في أية صيغة صوتية صرفية تلفُّظية ظهرَ؟ والرابع: بأيِّ معنى استُعمِل في بداية ظهوره؟ ثم تأتي الخُطوةُ التي بعد هذا كلِّه وهي ملاحقةُ سيرةِ حياة اللفظ

---

(١) راجع حول مصطلحي التأثيل والترسيس كتاب المرحوم عبد الحق فاضل: مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، دون تاريخ. وقد أطلق ع. ح. فاضل مصطلح التأثيل بمعنى البحث في أصل الكلمة من أي جنس كان دون تمييز بين ما هو أجنبي أو غير أجنبي، وذلك بعد أن لاحظ أن كلمة (تأصيل) أصبحت مستهلكة ومستعملة في مجالات كثيرة، ولذلك رأى أنه من الدقة العلمية المفيدة تخصيص ما يُقابل المصطلح الأجنبي (etymology / étymologie) بمصطلح جديد هو (التأثيل). إلا أننا قد نضطر أحياناً إلى التمييز بين ما هو بمثابة الأصل الأصيل لكلمة من الكلمات، أي النابع من أصولها والمتفرِّع عن جذورها الخاصة، فنسميه إذ ذاك (تأصيلاً)، وما هو آت من لغة أجنبية ونسميه (تأثيلاً).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

في مَبناه ومعناه وتتبُّعُ طريقه إلى حين الوصول إلى مَحطَّته الأخيرة التي نَزَل فيها، أي الحالة التي انتهى إليها استعمالُه في التاريخ الذي أرَدنا التوقُّفَ عنده، لأننا في الواقع نستطيع أن نبحث عن بداية كلِّ كلمة أو وحدة معجمية ونتتبَّع مراحل حياتها، بقدر ما يتوفَّر لدينا من وثائق ومُستَندات، لكننا لا نستطيع أن نُتابع حياةَ كل ما هو مُستعمَل من الألفاظ التي قد تَظلُّ ثابتةً في مكانها نابضةً بالحياة بعد موتنا ورحيلنا بزمن طويل. فالمؤرِّخُ يَمضي والكلماتُ تبقى.

والإجابة عن السؤال الأول (سؤال التأصيل والتأثيل)، تُصبح ضرورية جداً حتى في حالة ترتيب الوحدات المعجمية في قاموس لغوي معين، إذا كان هذا القاموس يسير على النظام الاشتقاقي الذي سلَكته الأغلبية الساحقة من قواميسنا العربية منذ ظهورها إلى اليوم. فقبل أن نقوم بترتيب كلمة (بُرْكان) ـ مثلاً ـ في مكانها من القاموس العربي، علينا أن نعرف أن هذه الكلمة، على الرغم من كونها تُكتَب وتُنطَق بصورة واحدة، لها أصلان اشتقاقيان ومَعنَيَان مختلفان: فـ (بُرْكانٌ) الأولى تعود إلى جِذرٍ عربي أصيل لأنها مجردُ جَمعٍ لـ (بُرْكة) بمعنى: طائر مائي أبيض، والثانية (بُرْكان) أصلُها أجنبي معرَّب من اللاتينية: vulcanus، ولها معنى مختلف وهو: جَبَلٌ أو مكانٌ يَقذِفُ بما في جَوفه من حُمَمٍ وموادّ مُنصَهِرة. والترتيب على أساس الاشتقاق والتأثيل يقتضي أن نضع الأولى تحت المدخل المعجمي الكبير (ب ر ك) والثانية تحت مدخل (ب ر ك ا ن) باعتبار أن كل حروفها أصلية حسب القاعدة الصرفية الاشتقاقية المعروفة. وعلى هذا الأساس لن تُرتَّب (ماروت) في (م ر ت)، ولا (هاروت) في (هـ ر ت)، وإنما في (م ا ر و ت) و (هـ ا ر و ت).

يمكن القولُ، إذن، إن العلاقة بين التأريخ والتأثيل المُعجمِيَّين بصفة إجمالية هي علاقةُ تكامُلية تدخل ضمن ما نسمّيه عادةً بعلاقة الكلّ بالجزء. باعتبار الثاني جزءاً لا يتجزَّأ من الأول، والأول لا يمكنه الاستغناء عن الثاني لأنه واحدٌ من مكوّناته اللازمة. فكتابة تاريخ لفظٍ حالَ كونه مقترَضاً من لغة أجنبية لا يمكن أن تكتمل وتتمَّ، إلا بالبحث في كل العناصر المكوِّنة لهذا التأريخ وأولها معرفةُ المصدر اللغوي الذي جاء منه، والمحطّات التي مرَّ بها وتوقَّف عندها قبل الوصول إلى اللغة المدروسة، لأن هذه المحطّات قد تكون عبارةً عن مجموعة من اللغات، وفي كل لغة قد يتجلّى اللفظُ المؤرَّخ له في صورة من الصور ومعنىً من المعاني. وغنيٌّ عن البيان أن التأريخ المعجمي لا يمكن تبسيطُه واختزالُه في عملية تحديد سَنوات ظهور الألفاظ والمعاني أو فَترات استعمالها.

ولقد اهتمَّ الغربيون خلال القرون الأربعة الماضية اهتماماً خاصاً بموضوع التأثيل

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لألفاظ لغاتهم، وألَّفوا فيه قواميس لا حصر لها من كل لون وشكل منذ القرن السابع عشر. وبما أن مجموعات اللغات الأوروبية متشابِكة ومتداخلة الأصول فيما بينها، فإن كلَّ تأثيل للغة معيَّنة ضمن المجموعة اللاتينية أو الرومانسية . مثلاً . قد يكون تأثيلاً لبقية فروع هذه المجموعة أيضاً. وكانت كلُّ الخُطوات التي قطعوها في هذا المجال ممهِّدة لمرحلة وضع القواميس التأريخية. لأن التأريخ المعجمي، يتوقَّف بشكل كبير -كما قُلتُ- على هذه الخُطوة الأساس. أما التأثيل في اللغة العربية فلم يبدأ إلا بخطواتٍ مُحتشِمة في تُراثنا القديم، على الرغم من أنه كان من الأمور المُفكَّر فيها منذ أول قاموس عربي وصلَ إلينا، وأعني به كتاب العين الذي أقامه صاحبُه وبَناهُ على أساس اشتقاقي يقتضي بالضرورة التمييز بين الأصيل والدخيل (المقترَض). ولذلك لا عجب أن نجد آثارَ هذا التفكير التأثيلي مُستبَطَناً ومُستحضَراً بشكل تلقائي في الصناعة القاموسية العربية منذ أولى خُطواتها، إضافةً إلى ما نجده في قواميسنا القديمة من إشارات بين الحين والآخر إلى طبيعة هذا اللفظ أو ذاك، وما إذا كان دخيلاً أو أصيلاً أو مُتنازَعاً في أصله. وقد يُضافُ أحياناً تحديدُ اللغة الأجنبية التي جاء منها. ولكن ذلك لا يتمُّ بشكل مَنهَجيّ مُنتَظِمٍ وإنما يأتي بطريقة عفوية في الغالب. ولم تظهر المحاولة الأولى المستقلة بذاتها عن القواميس العامة في تاريخ المعجم العربي إلا بظهور كتاب المعرَّب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، أو على الأصح لم يصل إلينا شيءٌ من هذا الصَّنيع قبل ذلك فيما نعلم. أما كتابُ ابن فارس (ق٤هـ/ ١٠م) المعروف ب: مقاييس اللغة، فهو في الحقيقة محاولة في المَنحَى الآخر الذي سَمَّيناه اصطلاحاً ب (التأصيل) وليس (التأثيل)، أي البحث فيما يجمع من الناحية الدلالية بين طائفة من الكلمات ذات الجذور المعجمية المشترَكة وإن بَدَت في الظاهر متباعِدةَ المعنى، ولكن البحث الدقيق المتمعِّن قد يؤدي إلى اكتشاف أصلٍ دلالي مشترَك تؤول إليه، وقد يكون هذا الأصل واحداً أو متعدّداً. ثم انقطع خيطُ البحث في هذين الموضوعين معاً تأثيلاً وتأصيلاً، إلى عصر السيوطي (ت٩١١هـ) الذي كتَب في المعرَّب من ألفاظ القرآن الكريم كتابين مشهورين: المهذَب والمُتوكِّلي، بالإضافة إلى ما أورده في المُزهر من كلام في موضوع المعرَّب والدخيل. وبعده في ق١١هـ ظهر كتاب الخفاجي المعروف ب: شفاء الغليل فيما في لغة العرب من المعرب والدخيل. ولكن هذه الخطوات لم تُتابَع ولم تستمر. وكان علينا أن ننتظر قروناً أخرى لكي نصل إلى العصر الحديث لنجد بعض المحاولات القصيرة النفَس والمحدودة العدد.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

التأريخ المعجمي في مَساراته المختلفة:

تتَبُّع حياة الألفاظ التي نؤرِّخ لها، لا يمكن أن يتمَّ على الوجه الأكمل والأَشمل، من جهة أخرى، إلا إذا جعلنا هذا التتبُّع يسير في مَسارَين كبيرين يتفرَّعان بدورهما إلى مَساراتٍ صغرى:

المسارُ الأول: هو أن نُلاحِق اللفظَ في تطوُّره التاريخي والجُغرافي داخل اللغة التي ينتمي إليها، أي اللغة التي نؤرِّخ لمعجمها. **والمسارُ الثاني**: هو أن نُلاحِقه في حَلِّه وتَرْحاله، أي حتى وهو يشدُّ الرِّحال إلى لغة أو لغاتٍ أخرى، ويَستقرُّ فيها لمدة قد تطول أو تقصُر.

وفي المسار الأول لا بد أيضاً من متابعة حياة اللفظ في اتِّجاهين اثنين: اتجاهِ استعمالِه داخل المستوى الفصيح أو المعياري، واتجاه امتداده في اللهجات والدَّوارج المتفرِّعة عن الفُصحى أو المُوازِية لها [١]. ففي اعتقادي أنه لا يَكفي التأريخ للفظ وهو يتطوَّر داخل اللغة المكتوبة (المعياريةُ الفُصحى) وينتقل من مرحلة إلى أخرى، ومن وجه إلى وجه، ومن معنى إلى معنى، ثم نُهمِل مَسارَ هذا اللفظ وحياتَه وحركتَه وتنقُّله واستعماله في اللغة الشفوية الدارجة على الألسُن، وهي التي كثيراً ما تُوصَف ب (اللغة الحَيَّة) تركيزاً على صِفتَي الحيوية والاستعمال التلقائي الذي تشتركُ فيه كلُّ فئات المجتمع في كل وقتٍ وحين، وذلك على الرغم من الصعوبات التي تواجهنا في هذا الجانب وأهمُّها كثرة ما لدينا من لهجات قديمة وحديثة، وقلة ما بأيدينا من وثائق ونصوص نستطيع اعتمادَها في التأريخ لألفاظ هذه اللهجات. ولكن مهما بدا في الأمر من مشقة كبرى، ومهما كان حجمُ المشاكل، فإن المبدأ لا بد أن يظل ثابتاً، والهدفُ مرسوماً وقائمًا حتى ولو توقَّف العمل من أجله الآن أو تعثَّر وتَعسَّر. فالتأريخ للوجه الآخر من استعمال اللفظ في مجاله الشفوي اللهجي الدارج يبقى مطلوباً لاستكمال العملية التأريخية من وجَهيها المُتلاحِمَين المُتكامِلَين. ولتكن البدايةُ بما هو متوفِّرٌ لدينا من نصوص ووثائق مكتوبة، وما يمكن العمل على جمعه وتدوينه وتوثيقه في عملية مَسْح شاملة استِعانةً بما هو متوفِّر ومُتاح من وسائل وتِقنيات التسجيل الحديثة.

فمثل هذه الاستعمالات التي جعلت ألفاظاً من الفصيح تتطوَّر في معانيها ودلالاتها إلى ما تطوَّرت إليه خارج المستوى المُعتَدّ به في المجال العلمي والأدبي والثقافي الكتابي، لا يمكن إغفالُها أو المرورُ عليها دون التفاتٍ أو اهتمامٍ في عملية التأريخ التي نحاول القيام بها لمعجمنا

---

(١) نقول: اللهجات المُوازية، لأن اللهجات العربية، ولاسيما القديمة، لم تتفرَّع كلها عن الفصحى وإنما اختيرت الفصحى (اللغة المعيارية المشتركة) من بين المُستعمل في بعض اللهجات التي اعتقدوا أنها الأفصح من غيرها. وبقيت لهجاتٌ أخرى متداوَلةً ومتوارَثَة شفوياً في موازاةٍ مع المستوى المعياري كما سنذكر بعد قليل.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العربي. ومن المعلوم أن هنالك ما لا حصر له من الأمثلة التي توضِّح التطورات والتغيرات الصوتية والصرفية والتركيبية التي طرأت على الألفاظ العربية حين انتقالها من المستوى المعياري المشترك إلى مستويات الاستعمال المحلية في البيئات الثقافية والاجتماعية الكثيرة التي انتشَرت فيها اللغة العربية واضطُرَّت حينها إلى التفاعُل مع لغات محلية وإقليمية كثيرة وتبادل أدوار التأثير والتأثر فيما بينها. فضلاً عن جانب شديد الأهمية لمؤرِّخ اللغة العربية، وهو أن اللهجات العربية القديمة التي نقرأ عن أخبارها ولا نرى إلا قليلاً من آثارها وأمثلتها، ما تزال ممتدَّةً في اللهجات والعامِّيات الحديثة بكل أصقاع العالم العربي. لأن عملية التقعيد التي تَمَّت في عصر التدوين ونتَج عنها اختيارُ مستوى مِعياري مُشترَك يُمثِّل العربية الرَّسمية للدولة (العربية الفُصحى)، لم تؤدِّ إلى إلغاء اللهجات التي كانت سائدة ومنتشِرة على ألسنة القبائل المختلفة ومَنعِ استعمالها، بل إن هذه القبائل حين انتشرت، أو قسمٌ كبيرٌ منها، في أرجاء العالَم الإسلامي، مع توسُّع الفتوحات، حملت معها لهجاتها التي اعتادت عليها واحتفظت بها طيلة العصور التالية مع تأثُّرها باللغات المحلية والإقليمية وتفاعُلها معها وخُضوعها لما تخضع له اللغاتُ البشرية من تطوُّر وتحوُّل. ولذلك تجدنا بين الحين والآخر، نكتشف أن لهجةً ما من اللهجات العربية في منطقة ما من العالَم العربي، ما تزال تحتفظ بكلمات ودلالات وظواهر ترجع إلى عصر قديمٍ من عصور العربية، وقد لا نجد لها ذكراً فيما دُوِّن من قواميس. فدراسةُ اللهجات الحديثة من هذه الناحية أيضاً له فوائدُه الجَمَّة في الكشف عن جوانب مغمورة من تاريخ العربية ومعجمها على الخُصوص، لأننا سنجد فيها بكل تأكيد بقايا ورواسِبَ من عهود اللهجات القديمة مستمِرَّةً وممتدة في العربية المعاصِرة.

أما تتبُّع حركة الألفاظ العربية في مسارها الثاني، أي حين تنتقل بالإعارة والاقتراض إلى لغات أجنبية، فذلك أيضاً أمرٌ على جانب كبير من الأهمية. ولاسيما أن انتقالَها للعيش في ظل لغة أخرى لا يعني انقطاعَ صلتِها بالعربية أو التخلِّي عن جنسيتها الأصلية نهائياً. فما يحدثُ لبعض الأشخاص الذين ينتقلون للعيش في فترة تطولُ أو تقصُر في ظل بيئة أخرى مع احتفاظهم بحقِّهم في جنسية بلدهم الأصلي والانتماء إليه، يحدُث مثلُه أو شبيهٌ به لكثير من الألفاظ المُهاجِرة، فنراها تحتفظُ بوجودها وجِنسيَّتِها في وطنها الأول، إلى جانب ما اكتسَبَته في البيئة الجديدة من حُقوق أخرى. فإذا تعدَّدت إقامتُها في بيئات لغوية تعدَّدت معها جنسياتُها، وأصبحت مِلكاً مُشترَكاً بينها جميعًا، دون أن يُمحَى من تاريخها وسجِلِّ حياتها ما لها من حقٍّ وجذور ثابتة في تُربة وطنها الأصلي. وكثيرٌ من ألفاظنا العربية اكتسبَت مثلَ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

هذه الصِّفات، فهي عربيةُ من وجه، وفارسية وتركية وفرنسية وإسبانية وإيطالية وبُرتغالية وإنجليزية... من وجه آخر. ولها في كلِّ بلد صِيَغٌ وأشكالٌ واستعمالاتٌ ودلالاتٌ وسياقاتٌ، وروابطُ ووشائجُ وعلاقاتٌ، وتواريخٌ وذكرياتٌ. وربما يصبح لها في كل بيئة فروعٌ ومشتقّاتٌ تناسَلت منها وتكاثَرت. وكلُّ ذلك ما هو إلا تَكمِلة لسلسلة المراحل التي قطعتها في حياتها التي نؤرِّخُ لها. فلماذا نحتفي بجزءٍ من تاريخ الكلمة ونكتفي به ولا نريد أن نسمع بقيةَ القصة وفيها هو مُثيرٌ ومُشَوِّقٌ ومُمتِعٌ حقاً؟ ولاسيما أننا نجد فئةً خاصة من هذه الألفاظ المُهاجِرة المُعارَة للغات أخرى، لا تنتهي مسيرةُ حياتها عند مَرافِئِ اللغات الأخرى التي وصلت إليها، وإنما قد تقتضي ظروفُها أن تعود إلى وطنها الأصلي بصورة أو بأخرى فتكون لها قصةٌ أطولُ من غيرها، ودورةٌ تاريخية كاملة، تبدأ من لغتها الأصلية لتنتهي بالعودة إليها، بعد رحلة فيها سِلسِلةٌ من الحَلَقات الحافلة بالوقائع والأحداث والتنقُّلات والمُغامرات، تستحقُّ كلُّها أن تُكتَب وتُروى.

إن تتبُّع وقائع ألفاظنا وحياتها في بلاد الغُربة لفيه من الفوائد اللغوية والتاريخية الكثيرُ مما يستحقُّ عناءَ الدَّرس والبحث والتَّقَصّي، فمن خلاله قد نتعرَّف مثلاً إلى طائفةٍ من ألفاظ لغتنا الفصيحة أو العامية، كان لها وجودٌ وحُضورٌ في معجمنا العربي خلال مرحلة من حياة اللغة، ثم انقطعَت أخبارُها ولم نعُد نسمعُ شيئاً عنها، مع أنها ما تزال حيَّة مُتداوَلة في لغة أو أكثر من لغات العالَم. وقد نكتشف طائفةً أخرى من الكلمات لم يكن لنا علمٌ بانتسابها إلى العربية إلا من خلال ما يمكن استخراجُه من بطون القواميس الأجنبية التي احتفَظَت بوجودها وسَجَّلَت حُضورها بالصورة القديمة التي كانت عليها في مرحلة معيَّنة، أو مع تحويرٍ وتغيير، مع أن أيَّ قاموس عربي لم يُشِر إلى وجودها يوماً من الأيام. فلولا فضلُ القواميس الأجنبية التي احتفظَت بها وعملت على احتضانها وإيوائها وتسجيل أجزاء من سيرتها الذاتية، لما كان لها ذكرٌ في تاريخ لغتنا على الإطلاق. بل إن من الفوائد الجليلة التي تقدِّمها لنا دراسة الألفاظ المهاجِرة والمستقِرَّة في معاجم أجنبية أنها تُمِدُّنا في كثير من الأحيان بعناصر قيِّمة تساعد بشكل قوي على معرفة تاريخ الكلمات العربية ذاتها التي انتقلت إلى هذه اللغة الأجنبية أو تلك. ولنضرب على ذلك بعضَ الأمثلة:

المثال الأول: من كلمة: soltam المقترَضَة من (سُلطان) العربية. فهي في القواميس الفرنسية تدل على نوع من السُّكَّر القَنْدي الذي كان يُصَنَّع في القاهرة ويقوم البروفِنْصاليون (من جنوب فرنسا) بالمُتاجرة فيه. وقد كان هذا اللفظ مع الشيء المسمى به متداوَلَيْن في مصر خلال القرن الثامن عشر الميلادي(وربما قبل ذلك). لكن القواميس

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العربية لم تتطرق إلى وجود هذه الكلمة بهذا المعنى، ولم يزد دوزي حين استدركها على كلمة واحدة قالها في شرح معناها وهي:« سُكَّر». ومن ثمَّ أصبح للقواميس الفرنسية التي احتفظت بهذا اللفظ وبتاريخ دخوله إلى هذه اللغة الأوروبية وهو ق١٨م، وبمعلومات أوفَى مما ذكره دوزي (وهي أنها كانت مادة تُصنع في القاهرة وتُصجديدة.ى فرنسا عن طريق التُّجار البروفنصاليّين) أهمية تاريخية جديرة بالاعتبار. فهي الآن بمثابة وثيقة وشهادة حياة لهذا اللفظ الذي لولا القواميسُ الفرنسية لكنا قد فقدنا عنه كل هذه المعلومات، في انتظار الوقوف على وثائق أخرى عربية أو أجنبية تُمدُّنا بأخبار جديدة.

ومثال ثانٍ: من لفظ: satin الذي استعارته الفرنسية منذ ق١٤م بمعنى نوع من الحرير المَجلوب أصلاً على يد التُّجار المسلمين من مدينةٍ صينية أطلقوا عليها اسمَ (زَيتون) مكانَ اسمها القديم، فصار هذا الحرير النفيسُ يُنسَب إليها. وعلى الرغم من كون كلمة (زيتون)، وردت عدة مرات في رحلة ابن بطوطة إلا أن هذا الرَّحالة المغربي الشهير اقتصر على ذكر معناها الأصلي وهو أنها اسم مدينة صينية، ولم يتطرَق إلى معناها الفرعي وهو: الثوب الحريري المنسوب إليها، وإن كان قد تحدث عن ثوب آخر كان يُجلَب منها يسمى (الكَمْخا). وقد يكون اللفظان يدلان على شيء واحد، لكن هذا الأمر يحتاج إلى إثبات وتحقيق تاريخي لغوي خاص. المهم أن كلام القواميس الفرنسية عن لفظ (satin) وأصوله الإيتيمولوجية ومكانته في التجارة بين الشرق والغرب يُكمِّل بلا شك المعلومات الأخرى التي نجدها في ابن بطوطة وغيره.

ومثالٌ ثالث: من كلمة: tarif (مذكَّرة) التي دخلت إلى الفرنسية لأول مرة بصيغة: tariffe (مؤنَّثة) سنة ١٥٧٢م بمعنى: قائمة تُحدَّد أسعار البضائع والواجبات التي تُدفَع عن بعض الخِدْمات. وكانت الفرنسية قد استعارتها من الإيطالية : tariffa بالمدلول ذاته. والإيطالية بدورها اقترَضتها منذ سنة ١٣٥٨م بهذا المعنى من العربية: (تعريفة) أو (تعريف). ومعنى هذا أن لفظ (تعريف/ تعريفة) كان موجوداً في العربية بهذا المعنى منذ منتصف ق١٤م على الأقل، ومع ذلك لم تُعِره القواميسُ العربية أيَّ اهتمام إلا ابتداء من ق١٩م حين وجدناه يظهر لأول مرة - فيما يبدو - في القاموس الثنائي الفرنسي العربي لإليوس بُقطُر (١٨٢٨م) الذي ترجم كلمة tarif الفرنسية ب « تعريف: بيان الأسعار». ثم جاء بعده دوزي (١٨٨١م) فاستدرك كلمة (تَعريفة) في تكملته بمعانٍ ثلاثة وهي: ١) حقوقُ الدخول والخروج التي تُدفع على كل سِلعة. ٢) لائحة تبيِّن الواجبات والرُّسوم الجُمركية. ٣) لائحة تبيِّن قيمةَ العُملات التي تُحدِّدُها المحكمةُ التجارية. ثم جاء البُستاني في محيط المحيط (١٨٨٦م)

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فوجدناه بدوره يورد لفظ (تعريفة) ويفسِّر معناها بقوله:« التَّعريفة: المَرَّة، وفي اصطلاح أرباب السياسة تُطلق أولاً: على ما يُؤخذُ من الرَّسم على الداخل والخارج من البضائع، ثانياً:على الكِتاب المُتضَمِّن بيانَ ما يُؤخذُ على كل صنف منها، ثالثاً: على لائحة أسعار العُملة المعيَّنة من الحكومة..». والغريب في الأمر أن نجد المعجم الوسيط الذي ظهر بعد ذلك بحوالي ثمانين عاماً (١٩٦٢م) يعرِّف الكلمة بأنها: « قائمةٌ تحتوي على أثمان السِّلَع وأُجور العمل ورسوم النَّقل»، ويزعم أن ذلك من وضع المجمع اللغوي. مُوهِماً بأن هذا المعنى لم يكن له وجود قبل ذلك التاريخ. مع أن الكلمة بمعناها المذكور قديمة الاستعمال في العربية يعود تاريخُها إلى ما قبل استعارة الإيطالية لها في منتصف ق١٤م (٨هـ) بكل تأكيد، وهذا ما كشَفَت عنه القواميسُ التأثيلية التاريخية الأوروبية كما رأينا.

ومثالٌ رابع: من كلمة: intifada بمعنى الانتفاضة الفلسطينية التي دخلت إلى المعجم الفرنسي المعاصر سنة ١٩٨٧م وهي السنة التي وقعت فيها الأحداثُ المعروفة بانتفاضة أطفال الحجارة ضد الاحتلال الإسرائيلي، بل إن قاموس أكسفورد الإنجليزي نفسه أرَّخ لهذه الكلمة بالتاريخ نفسه وأضاف أن هذه الانتفاضة كانت هي الأولى وامتدَّت من ١٩٨٧م إلى ١٩٩٣م والانتفاضة الثانية كانت سنة ٢٠٠٠م. ولا أدري هل هنالك قاموس لغوي عربي معاصر أرَّخ للكلمة بمثل هذه الدقة التي أرَّخ بها أكسفورد وقاموس روبير الكبير الفرنسي وغيرُهما؟ لقد حاولت البحث عن ذلك، فأسرعتُ إلى المنجد في اللغة العربية المعاصرة (ط.٢٠٠٨/٣)، فلم أجد فيه سوى هذا التعريف العامّ وهو قولُه:« انتفاضةٌ: حركةٌ شعبية تتميَّزُ بالقوة والعُنف والهَيَجان». وكأن مؤلِّفيه لا علم لهم إطلاقاً بالانتفاضة الفلسطينية وقد دارت أحداثُها على مرمى حجر من لبنان الذي صدر عنه الكتاب. ثم تناولتُ معجم اللغة العربية المعاصرة (ط٢٠٠٨/١) فوجدته ينقل عبارة سَلَفه مع بعض التحوير فيقول: «حركةٌ أو ثورةٌ شعبية سياسية أو اجتماعية رافِضة تَغلبُ عليها القُوةُ والعُنف والهَيَجان»، إلا أنه بالكاد تكرَّم علينا بإضافة مثال لتوضيح السياق بقوله: «انتفاضة الأقصى». وفضلاً عن الإهمال التام لتاريخ ظهور الكلمة بمعناها الجديد في العربية المعاصرة والقاموس السياسي العربي الحديث، هناك بَونٌ شاسعٌ بين هذا التعريف المُجحِف الذي نجده في القاموسين العربيَّين المذكورين والتعريف الذي نجده في روبير الكبير الذي يمكن ترجمتُه حَرفياً على النحو الآتي:« قَوْمَة شَعبية اتَّخذَت شكلَ مقاومةٍ لم يَستعمل فيها الفلسطينيون وسائلَ عسكرية وإنما قاموا برَمي الحِجارة داخل الأراضي التي تحتلُّها إسرائيل ». أو التعريف الموجود في قاموس أكسفورد الذي يمكن ترجمتُه أيضاً على النحو الآتي: « قَوْمَةٌ فلسطينيةٌ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ضد الاحتلال الإسرائيلي في الضِفّة الغربية وقِطاع غَزَّة. وقد امتَدَّت الانتفاضةُ الأولى من سنة ١٩٨٧ إلى ١٩٩٣م، وبدأت الثانية سنة ٢٠٠٠م». فأين تعريف القاموسين العربيّين من تعريف القاموسين الأجنبيَّين؟

وهكذا نلاحظ أن هناك مصدراً مهماً يُضاف إلى المصادر الأخرى التي يمكن اعتمادُها في كتابة تاريخ المعجم العربي، وهو هذا الذي نجده في تتبُّع مسار الألفاظ العربية في اللغات التي هاجرت إليها. بل قد يتحوَّل هذا المصدر أحياناً إلى منجمٍ للمعلومات القيّمة والدقيقة التي لا يمكن الاستغناءُ عنها سواء في التأريخ للألفاظ العربية أم للعلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتداخل اللغوي بين العرب المسلمين ودول أوروبا الغربية.

ولا شك أيضاً في أن الألفاظ الأجنبية (والفرنسيةُ واحدةٌ منها) المأخوذة من اللهجات والدوارج العربية في المشرق والمغرب هي أيضاً ذاتُ قيمة تاريخية ولغوية معجمية خاصة، بسبب أن القواميس الأوروبية لم تحافظ فقط على وجود هذه الكلمات العربية المستعمَلة في المستوى اللهجي الدارج، وقسمٌ منها من أصل فصيح، وإنما حافظت بجانب ذلك على طريقة نُطقها وتلفُّظها وعلى دلالاتها المحلّية في البيئة، أو البيئات، التي استعملتها، وعلى كثير من المعلومات الخاصة بها، إذا كنا بصدد التأريخ للمعجم العربي في مساراته وامتداداته اللهجية المتفرِّعة. أضف إلى ذلك أن ما نملكه من مصادر ووثائق عربية عن تاريخ العربية ولهجاتها ليس كافيًا بالمرة، ولاسيما أن القواميس الفصيحة لم تُواكِبَ حركةَ التطوّر المعجمي العربي الذي حدَثَ خارجَ القواميس عبر العصور وفي مختلف المجالات[1]، فأهملت الكثير من الألفاظ المولَّدة والمحدَثة في مجالات عديدة وعبر حِقَبٍ مختلفة، بسبب موقفها المعروف من هذا النوع من الألفاظ، حتى ولو جاء على مثال الكلام العربي القديم في صياغته والتزامه بقواعد الاشتقاق والتوليد، بينما احتفظت لنا قواميسُ اللغات الأوروبية ـ ومنها الفرنسية ـ بقدر كبير من هذا النوع من الألفاظ.

وليس خافيًا، بعد هذا، أن البحث في مآلات الألفاظ بعد هجرتها وانتقالها إلى لغاتٍ

---

(١) نستعمل هنا مصطلحي (معجم) و(قاموس) بالمعنى الذي استخدمناه في كتاباتنا السابقة منذ ١٩٨٥م، وخلاصته أن (القاموس) هو الكتاب الذي يجمع بين دفتيه قائمة محددة من المداخل المرتبة والمعرَّفة، و(المعجم) هو حصيلة الثروة اللغوية التي يمتلكها المجتمع اللغوي (صاحب اللغة) بكامل أفراده، بغض النظر عما صُنِّف منها في (الكتب القاموسية) وما لم يُصنَّف. راجع: كتابنا: دراسات معجمية : نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى (الدار البيضاء ٢٠٠١ ص : ١٩ ـ ٢١)، وكتابنا: قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي (منشورات عكاظ ١٩٨٩م ص : ١٤٠ إلى ١٥٦).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أخرى، يتداخل بلا شك مع الوظيفة التي يقوم بها مؤرخو تلك اللغات الأخرى. وقد يُتَّخَذ ذلك مبرّراً للقول: ما دامت هذه الألفاظ المَعنية قد أصبحت مِلكاً للغة أو لغات أجنبية وجزءاً من معجمها، فمهمةُ التأريخ لها يجب أن تُوكل لمؤرّخي تلك اللغات. لكن هذا لا يتعارض مع ذاك ولا يُغني عنه. فمؤرّخو المعجم الفرنسي أو الإنجليزي على سبيل المثال، مُنكبُّون منذ مدة على عملية التأريخ للألفاظ الداخلة إلى لغتهم والمُقترَضة من العربية وغيرها. ولكن ما يقوم به هؤلاء وغيرُهم لا يُعفينا نحن من مسؤولية تتبُّع آخر الأطوار التي وصلت إليها ألفاظُ لغتنا حتى ولو كانت هذه الأطوارُ واقعةً في جُغرافية لغاتٍ أخرى. فالتداخُل بين اللغات، والتقاطُع بين خرائطها الجغرافية، أمران حاصلان باستمرارٍ، واهتمامُ كلِّ مَن يعنيهم الأمر بالتأريخ لهذا التداخُل بين اللغات من المداخل التي تُناسبُهم والقريبة من معارفهم واختصاصاتهم، لا يُعطِّل عملَ أحدٍ ولا يُعفي أحداً من مسؤوليته، ولا يضع حدوداً فاصلةً بين ما يقومُ به هؤلاء وأولئك. بل إن تداخل الأعمال في هذا المجال، يُعتبر ــ بلا شك ــ من باب التعاوُن والتشارُك والتكامُل بين مؤرّخي اللغات على اختلاف جنسياتهم وأهدافهم ومنطلقاتهم وزوايا نظرهم، بل هو نوعٌ من إثراء المعارف واستكمال المعلومات بحُكم تنوّعِ مشارب الباحثين وثقافاتهم وتفاوُتهم في إتقان عدة لغات. فالعملُ الذي يقوم به مؤرِّخ المعجم الإسباني أو البرتغالي - مثلا - سيشمل بلا شك تلك الألفاظ التي اقترضتها اللغتان من العربية وسيقدِّم عنها ما لديه من معلومات (وهذا ما فعله أنجلمان ودوزي)، لكن تلك المعلومات قد لا تكون تامة أو دقيقة، وإنما يتمُّ تدقيقُها واستكمالُها أو تصحيحُها من خلال بحوث وأعمال أخرى تتناول تلك الألفاظ نفسها من زوايا مختلفة ومن منطلقات متغايرة، من بينها منطلقُ التأريخ للغة العربية نفسها. وهكذا تتآزرُ المعلومات التاريخية ويُصحِّح بعضُها بعضاً بفعل هذا التشارُك وتعدُّد زوايا النظر والبحث والتناوُل.

وفي نهاية الأمر، إن كل ما أشرتُ إليه من تعدُّد المسارات التي ينبغي للمؤرِّخ المعجمي أن يتناولها ويتتبَّعها ويسبر في مسالكها، إنما هو توضيحٌ للنظرة الشمولية البانُورامية التي تلتقي داخلها وتتشابَك فيها جميعُ مداخل الموضوع. لكن ليس من الضروري ولا من المُستعجَل أن نُلِمَّ بجميع هذه العناصر دُفعةً واحدة ونسعى إلى إخراج تاريخ معجمي للغة العربي منذ الوهلة الأولى في كتاب واحد مُكتَمِل الأركان والجوانب مستوفٍ لكل هذه العناصر التي نفكِّر فيها، فنُثقل الحِملَ علينا، ونستصعب الموضوع لترامي أطرافه واتِّساع مساحته، ونضيف حجةً جديدة للتَّراخي أو التأخُّر في إنجازه. ولكني ذكرتُ ما ذكرتُ حتى تظل كلُّ هذه الأمور تحت أَعيُننا لا تغيب عنا في مخطّطاتنا البعيدة المدى إلى أن نتمكّن من

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الوصول إليها في يوم من الأيام. فالتأريخ الشامل الجامع لكل ألفاظ العربية واستعمالاتها عبر كل مَساراتها وامتدادها في الزمان والمكان يقتضي نظرياً ومبدئياً هذا النوع من الشمولية والإحاطة، لكن هذا لا يمنع من تقسيم العمل الكبير إلى مراحل وأجزاء وإخراجه على مراحل ودُفعات، وتقديمُ الأوْلى منه بالتقديم على غيره مما يمكنه الانتظارُ إلى أن تتيسَّر الظروف لإنجازه كاملاً أو مُجزَّأً أيضًا، كما لا يمنع من حَثّ الباحثين على تسخير ما لديهم من طاقات وخِبرات وجهود وصَرفها في الجوانب التي يُتقنونها ويمتلكون أدوات الاشتغال فيها. ففي النهاية سوف تتكامل الجهودُ وتتراكمُ التجاربُ التي تصبُّ جميعُها في المشروع الكبير الذي تستحقه لغةٌ عظيمةٌ هي لغتُنا التي منَحَها اللهُ لأمة عظيمة تستحقُّها هي أُمَّتُنا.

.٢٠

نموذَجٌ من الألفاظ العربية المهاجرة

في نطاق تتبُّع مسار الألفاظ العربية خارج بيئتها العربية، يمكن أن نجعل من الألفاظ العربية المُهاجرة إلى اللغة الفرنسية نَموذَجاً صالحاً للدراسة والتطبيق، ونعتبرها عَيِّنةً لما يمكن استنتاجُه واستنباطُه من دراسة ما في بطون اللغات الأجنبية الأخرى من ألفاظ عربية مستعارة.

كيف هاجَرت هذه الألفاظ ؟

يمكن تقسيم الألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو المعرَّب، من حيثُ الأبواب والطُّرُق والمنافذ التي جاءت منها، إلى نوعين: نوعٍ دخل بطريقة مباشِرة، وآخر جاء عن طريق لغاتٍ أخرى.

فأما النوع الأول، فقد جاء بدوره من طُرُق مختلفة. فمنه ما كان عن طريق الاحتكاك المُباشِر بين اللغتين (العربية والفرنسية) في حالتَي السِّلم والحرب. فالتبادُل التجاري كان قائماً باستمرار بين فرنسا والبلاد العربية في المشرق والمغرب عبر العصور المختلفة. وكانت مدينة مَرْسيلياً واحدةً من أهم المرافئ التي تدخل عن طريقها البضائعُ القادمة من الضِّفة الجنوبية للمتوسِّط. وعن هذه الطريق دخلت ألفاظ عربية كثيرة رافَقَت البضائع التجارية المشرقية والإفريقية المتنوِّعة، وعلينا أن لا ننسى أن المسلمين الذين سيطروا لقرون عديدة على الضِّفّة الجنوبية للبحر المتوسِّط قاموا بدور الوسيط التجاري الأساسي بين الشرق الأدنى والأقصى وإفريقيا الغربية والشرقية من جهة وأوروبا الغربية من جهة أخرى، ولم يتراجع هذا الدور التجاري العربي الإسلامي إلا بعد اكتشاف البرتغاليّين لرأس الرجاء الصالح في نهاية ق١٥م. وهناك من الألفاظ ما جاء به الرّحّالةُ الفرنسيون من الشرق العربي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أو شمال إفريقيا، سواء تعلَّق الأمرُ برحلات الحجّ إلى فلسطين والأراضي المقدسة، أم بالرحلات العلمية الاستكشافية والدراسية التي كان يقوم بها أشخاصٌ لحسابهم الخاص أو في إطار بِعثاتٍ علمية منظَّمة. ويمكن أن ندرج ضمن هذه النطاق موجة الاستشراق الذي مهَّد لعملية الغزو والاحتلال الأوروبي للبلاد العربية الإسلامية وصاحبَها من البداية إلى النهاية. فالاستشراق نفسُه كان له دورٌ في إدخال قدر لا بأس به من الألفاظ العربية من خلال نقل الكتُب العربية في مختلف العلوم وترجمتها إلى اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية.

وإلى جانب هذا، كان هنالك نوع آخر من اللقاء المباشر بين اللغتين الفرنسية والعربية، وهو ذلك الذي تمَّ في حالاتٍ من الصراعات والحروب المتبادَلة، منها التوسُّع الإسلامي في جنوب أوروبا بعد فتح الأندلس، وقد وصلت جيوشُ المسلمين إلى مناطق واسعة من النصف الجنوبي لفرنسا ظلَّ صداها يتردّد إلى اليوم فيما بقي من نصوص الأدب الفرنسي القديمة التي من أشهرها أنشودة رولان (ق١١م) وشعر التروبادور. ومنها الحروب الصليبية التي امتدَّت لعدة قرون عبر مراحل وحلَقات، وكان الفرنسيون مُشاركين أساسيّين فيها. ومنها حملة نابوليون بونابرت على مصر (من سنة ١٧٩٨م إلى ١٨٠١م)، وقد رافقَه في هذه الحملة ما لا يقلُّ عن مئة وسبعة وستين عالِماً ومُهندساً، أصبحت منهم أسماءٌ مشهورة في تخصّصات علمية كثيرة. وكانت المهمة التي كُلِّفوا بها هي إنجازُ مَسْحٍ شامل ووصفٍ كامل دقيقٍ ومُفصَّلٍ لكل ما هو موجود في منطقة الشرق ومصر على وجه الخصوص، من معالم العُمران والهندسة والآثار والثقافة والفنون والعلوم، إلى جمع كلّ المعلومات التاريخية والجغرافية والطبيعية، وكلِّ ما يتعلَّق بالتجارة والصناعة والفلاحة ونظام السَّقي والحِرَف والمِهَن والعادات والتقاليد الاجتماعية واللغة وأنواع اللباس والطعام والأكل والشُّرب وكل مجالات الحياة. ولم يعد هؤلاء المستكشِفون والباحثون إلى بلادهم إلا وقد أحصَوا، في موسوعة تقع في عدة مجلدات ضخمة نُشِرت بعنوان:(وصف مصر أو مجموع الملاحظات والبحوث التي تَمَّت خلال الحملة الفرنسية على مصر) [(١)]، كلَّ أسماء النبات والطير والحيوان والأسماك والأطعِمة والأشربِة والآلات والموسيقى والطب والصيدلة والآداب وغيرها من الفنون والعلوم، فضلاً عما وضعوه من خرائط جغرافية ورسوم هندسية لمعالم العُمران والآثار وأشكال الزخارف والبناء، وما جَلَبوه معهم من أطنان الكُتب المخطوطة

(١) Description de l'Egypte, ou : Recueil des observations et des recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'expédition de l'armée française

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ونوادرها في كافة العلوم والفنون، وآلاف القِطَع الأَثَرية التي أصبحت تزدانُ بها المتاحفُ والقُصورُ الفرنسية. وقد أمدَّت هذه الوثائقُ مؤلِّفي القواميس العلمية الفرنسية التي ازدهرت خلال القرن التاسع عشر الميلادي أيَّما ازدهار، بمادة علمية ثَريَّة جداً وثروةٍ من الألفاظ لا تُقدَّر بثمن. فلا تستغرب، إذن، حين تُراجع بعض هذه القواميس العلمية، ومن أشهرها قواميس العلوم الطبيعية، إذا وجدتَ فيها كلَّ أسماء النباتات والحيوانات والطيور والأسماك وغيرها مما نقَلَته البعثةُ العلمية التي رافقت بونابرت. لقد زعموا أنهم ذهبوا لنشر العلم والحضارة الغربيّين، فإذا بهم قد عادوا بعد بضعِ سنوات بزادٍ وَفيرٍ مما احتفظت به مصرُ، حاضرةُ العالم الإسلامي، من ذخائر الشرق في كل مجالات العلم والثقافة والفن والمعرفة، أسَّسوا عليها نهضتَهم الحديثة.

وبعد مصر، جاء دورُ الاحتلال الفرنسي لمنطقة الشمال الإفريقي ثم لمنطقة الشام (سورية ولبنان) وعدد من بلدان غرب إفريقيا المسلمة جنوب الصحراء، وبعض بلدان الشرق الإفريقي والمحيط الهندي التي كانت جميعُها تتَّخذ من العربية وسيلتَها الوحيدة في التعليم والثقافة والكتابة والتدوين والإدارة والقضاء والمراسلات وغير ذلك من الأمور. فكان لا بد للفرنسية من أن تتأثَّر باللغة المنتشرةِ بشكل واسع في كل هذه المناطق وهي العربية بفُصحاها ودَوَارِجها. وكان لا بد لأفراد الجيش والمُستوطِنين الفرنسيّين الذين أقامت أجيالٌ منهم في الأقاليم المحتلَّة، من أن يحملوا معهم عند رجوعهم قدراً كبيراً من الألفاظ العربية. ثم أخيراً، كانت الهجرةُ المكثَّفة للعمال المغاربيّين والأفارقة الذين استوطَنوا فرنسا للعمل أو التجارة أو الدراسة، أن يحملوا معهم بدورهم قدراً آخر من الألفاظ ما يزال كثيرٌ منها منتشِراً في الفرنسية الدارجة بضواحي المدن الكبرى.

هذا عن الألفاظ العربية التي دخلت إلى الفرنسية بطريقة مباشرة. لكن إلى جانب هذا، عمَدت الفرنسيةُ إلى الاقتراض من العربية بواسطة لغات كثيرة غربيّةٍ وشرقية كاللاتينية واليونانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والإنجليزية والتركية والفارسية والهندية والأمازيغية واللغات الإفريقية على اختلافها. وكثيراً ما اكتشفنا، أثناء اشتغالنا بموضوع الألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي، الأخطاءَ التي وقع فيها قاموسيّون وتأثيليُّون كثيرون حين نسبوا قدراً من الألفاظ ذات الأصل العربي إلى لغات أخرى دون أن ينتبهوا إلى أن هذه اللغات كانت قبل ذلك قد استعارت بدورها تلك الألفاظ من العربية. وقد قامت اللاتينية الوُسطى بتزويد الفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية الناشئة بطائفة كبيرة من ألفاظ العلوم المختلفة التي استمدَّتها مباشرةً من ترجمة المصادر العلمية العربية إليها في العصر

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الوسيط. وقد ظلت هذه الألفاظ مستعملةً بصيغها اللاتينية إلى مرحلة متأخّرة قبل أن يُحوَّل جزءٌ كبيرٌ منها إلى الفرنسية. وهناك كلماتٌ اضطُرّت إلى المرور بمحطات مختلفة والسَّير عبر مُنعَطفات ومُنعرَجات جدِّ مُلتَوية قبل أن تصل إلى محطّتها الفرنسية. وقصةُ كلمةِ (casanier) في اللغة الفرنسية خيرُ مثال على ذلك: فقد استعارَت الفرنسيةُ هذه الكلمة في بداية ق١٤م من الإيطالية (casaniere)، وكانت تُستعمَل بمعنى شخصٍ جاء من إيطاليا ليُقيم في فرنسا مُشتغلاً بإقراضِ المال، ثم تطوَّر معناها ليدل ابتداءً من ق١٦م على شخص يفضِّل البقاءَ في بيته. وأما الكلمة الإيطالية نفسُها التي كانت في الأصل تدلُّ على الشخص المُقرِض للمال (في تقاطُع محتمَل مع casa العربية منزل كما في بعض القواميس) فقد أُخِذَت بدورها من: casana التي كانت مُستعملةً في شمال إيطاليا (بمعنى دُكّان لشخصٍ يُقرِضُ المالَ)، وهي أيضاً مأخوذةٌ من:casna في لهجة البُندُقية بمعنى (كَوْمة من المال). ومصدرُ هذه الأخيرة مستعارٌ من التُّركية (خَزْنة)، وأصلُ اللفظ التركي نفسه مأخوذٌ من:(خَزينة) أو (خِزانة) العربية[1]. وهذا توضيحٌ مختصر لخطِّ السير الذي قطعته هذه الكلمة في رحلتها الطويلة من العربية إلى الفرنسية:

خَزينة / خِزانة ⟵ خَزْنة (التركية) ⟵ casna (لهجة البندقية) ⟵ casana (شمال إيطاليا) ⟵ casaniere (الإيطالية) ⟵ casanier (الفرنسية).

الاقتراض من اللهجات العربية:

ثم إن الألفاظ العربية التي دخلت إلى الاستعمال الفرنسي، بصفة مُباشِرة أو غير مُباشِرة، لم تؤخَذ، من سِجِلٍّ لغوي موحَّد. بل إن قسماً منها كان من الألفاظ الفصيحة التي نُقِلت من مؤلفاتٍ مختلفة ونصوص عربية مكتوبة، قديمة أو حديثة، سواءٌ في ذلك ما نقلته الفرنسية مباشرةً أو عن طريق لغات أخرى، بما في ذلك نصوص الترجمات اللاتينية القديمة للكتُب العلمية العربية، وقسماً آخر أتى من الألفاظ اللَّهَجية المَحلِّية وقد أُخِذت من مناطق مختلفة من البلاد العربية والإسلامية بالمشرق والمغرب. ويستوي في هذا القسم أيضاً ما أخذته الفرنسية بطريقة مباشِرة وما أخذته بواسطة لغات أخرى قديماً أو حديثاً.

والاقتراضُ من اللهجات والدَّوارج العربية لم يكن خالياً من الفائدة العلمية والتاريخية. بل كان فيه من الفائدة والمُتعة والطرائف الغنيّة بالمعلومات عن تطوّر العربية

(١) أما دلالةُ الكلمة الفرنسية (casanier.adj.) على الشخص الذي يُفضِّل أو يحب البقاء في البيت فقد فُسِّر بأنه أتى من كون المُقرِضين الإيطاليّين المقيمين بفرنسا كانوا يُفضِّلون الاستقرارَ في مكان معيَّن لا يَبرَحونه حِرصاً على أموالهم وخزائنها في الغالب. انظر تفاصيل الموضوع في كتابنا: قاموس الألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو المعرَّب (قيد النشر).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

عبر الزمان والمكان، ما يُساعد كثيراً على وضع تاريخ شاملٍ ودقيق للمعجم العربي. ومن هذه المعلومات المفيدة -على سبيل المثال- أن الفرنسية احتفظت في غالب الأحيان، عند استعارتها لهذه الألفاظ، باسم المنطقة الجغرافية التي أُخِذَت منها وبطريقة نُطقها المَحلِّي في تلك المنطقة، والزمنِ الذي وقع فيه الاقتراضُ. كما احتفظت - في الغالب أيضاً - بمعانيها المتداوَلة في بيئتها الأصلية، كما ذكرتُ سابقاً. والأهم من كل ذلك أن المتن المعجمي المقتَرَض من اللهجات العربية قد احتفظَ لنا في حالات كثيرة بألفاظ لا وجود لها في القواميس العربية المتداولة ولاسيما في الفصيح منها، بل قد لا يكون لجزءٍ منها وجودٌ حتى في المستدرَكات التي وُضعت على هامش القواميس الفصيحة، كمستدرَكَي دوزي وإدوارد لين، وقد يصعب أو يندر أن نجده فيما بين أيدينا من مجاميع اللهجات التي تمَّ تدوينُها ونشرها لحد الآن. ومن هذا النوع النادر من الألفاظ أذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

- Manouf : مَنوفي : (ثوب منسوب للمَنُوفية في مصر).
- Medjidite : مَجِيدي : مَعدِن اكتُشِف في عهد السلطان العُثماني عبد المجيد الأول (ت ١٨٦١م) فنُسِبَ إليه.
- melki : مالَقي (نوع من الأواني التونسية المنسوبة لمالقة الأندلسية).
- Mérinos : مريني: نوع من الضَّأن مشهورٌ بصوفه الجيد (منسوب إلى المرينيّين في المغرب) الذي يُصدَّر للدول الأوروبية.
- Mazagran : مَزَغْرانية : نوعٌ من القهوة الجزائرية المنسوبة إلى منطقة مزغران.
- djebira: جَبيرة : مِحفَظَةٌ أو جِرابٌ من الجِلدُ يُعلِّقه الفُرسانُ في الجزائر على سُروج خُيولهم.
- Tagarot: تاهَرْتي: نوع من الصقور العربية كان يُجلَب من مصر وأصلُه من تاهَرت بالجزائر. والكلمة غير واردة بمستدرك دوزي.
- Nafé: نافِع، وهو اسمٌ مغاربي لنوع من النبات يُعرَف في المشرق بالأَنيسون أو الرّازيانج. و(النافع) بهذا المعنى لا وجود له في قواميس الفصحى وإنما ذُكِر في بعض الكتب النباتية المغربية واستدركه دوزي.

وضمن هذا النوع من الألفاظ المحلية التي قلَّ أن نعثر عليها في قواميسنا العربية العامة، نجد عدداً هائلاً من أسماء النبات والطيور والحيوانات والأسماك وغيرها مما تتغيَّر تسمياتُه في العادة من منطقة عربية إلى أخرى. والطريفُ في الأمر أن نجد بين المقتَرَضات الفرنسية الحديثة من اللهجات العربية، ألفاظاً من أصل أجنبي إسباني أو إيطالي أو من غيرهما.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ومن أمثلة ذلك :

- mercanti (بمعنى: مُرَفَّهٍ أو غَنيّ) ← دارجة الجزائر والمغرب (مِرْكَنْتي/ مِرْكانتي) ← الإيطالية: mircante بمعنى: تاجر.
- moukère, mouquère ← الدارجة المغربية (مُوخيرا) بمعنى: امرأة ← الإسبانية: mujer.
- moujingue ← الدارجة المغربية (مُوشاشُو) بمعنى طفل أو ولد ← الإسبانية: muchacho.
- bousbir ← العامية المغربية (بوسبير) بمعنى ماخور للدَّعارة ← Prosper وهو اسمُ شخص أوروبي كان يملك المكان الذي بَنَى عليه الاستعمارُ الفرنسي أول ماخور لجنوده بالدار البيضاء.
- blankil, blanquil، بمعنى نوع من النقود الفضية ← العامية المغربية (بلانكيل/ بلانكي) ← الإسبانية: blanquillo.
- Doubla بمعنى قطعة نقدية فضِّية كانت تُضرب بالجزائر أو تونس (دُبْلة) ← العامية الجزائرية أو التونسية ← الإسبانية: dobla.

ولقد قامت الدوارج العربية بدورها في الاحتفاظ ببعض الألفاظ الأجنبية المأخوذة من لغات البحر الأبيض المتوسط، فأصبحت بذلك واسطةً من الوسائط التي تسرَّبَ عن طريقها قدرٌ لا بأس به من هذه الألفاظ الأوروبية المتوسّطيّة إلى الفرنسية. ومعلوم أنه كان في وقت سابقٍ قد نشأ في موانئ غرب الحوض المتوسط نوعٌ من الهَجين اللغوي (sabir) المُكوَّن من خليطٍ من الألفاظ المأخوذة من عدة لغات متوسِّطية: عربية، أمازيغية، إيطالية، إسبانية، فرنسية، لاتينية.. وكان هذا الهجينُ مستعملاً بمثابة لغةٍ تواصُلية (Lingua franca) يستعملها التُّجارُ والبحّارةُ في كل المدن الواقعة على ضفَّتي هذا البحر.

٣٠.

كيف تفاعلت الألفاظ المهاجرة مع بيئتها اللغوية الجديدة؟

يمكن، على وجه العُموم، تقسيمُ الألفاظ والتعبيرات التي انتقلت من العربية إلى الفرنسية، إلى ضربَيْن: الأول: عبارةٌ عن ألفاظ انصهرت انصِهاراً كلّياً في البيئة اللغة التي هاجَرت إليها واستقرَّت في أحضانها. فتمَّ تَبنّيها واستيعابُها من اللغة المُستقبِلة استيعاباً كاملاً. وبعضُها تناسَلَ منه ما تَناسَل من كلمات أخرى أفعالاً ومصادرَ وأسماءً وصفاتٍ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

التأمَت حولها أُسرٌ معجمية كاملةٌ من بَناتها وحَفَدَتها وكلِّ مُنتَسِبٍ إليها، فزاد ذلك من امتداد جُذورها ورسوخ قدَمها في هذه اللغة، وتعزَّزَ وجودُها بلا شك مع المدة الطويلة التي عاشتها تلك الألفاظُ المهاجرة في ظل بيئتها اللغويَّة الجديدة. إضافةً إلى عوامل أخرى سَهَّلت اندماجَها الكلّي، منها: الحاجةُ الماسّة التي اقتضَت استِجلابَها واقتراضَها لملء فراغات في مجالات معرفية وحقول دلالية مختلفة. ومنها: تلاؤُمُ شكلها وبِنيتها الصرفية والصوتية مع النظام اللغوي الفرنسي، أو قَبولُ خُضوعها لعدد من التغيُّرات والتحوُّلات التي جعلت منها ألفاظاً مُندَمِجةً في هذا النظام الجديد.

أما الضربُ الثاني فهو تلك الكلماتُ التي لم تستطع التكيُّف مع البيئة التي هاجرت إليها، ولم يتمّ هضمُها وتمثُّلها في اللغة المُستقبِلة. وعدم تكيُّفها هذا راجعٌ لأسبابٍ. منها: قِصَرُ مدة الإقامة في البيئة اللغوية الجديدة، ومنها: قلةُ الاحتياج إليها مما أدى إلى قلة تردّدها وتداوُلِها على ألسنة المستعمِلين، ولاسيما ما كان منها معدوداً في الألفاظ التقنية أو العلمية والاصطلاحية، لأن هذا النوع من الألفاظ، عادةً ما يكون في كل لغةٍ عُرضةً للانقراض السريع أكثرَ من غيره، إذ بمجرد الاستغناء عن المسمَّى يُستغنَى تلقائياً عن الاسم. وقد يكون من الأسباب أيضاً عدمُ تلاؤم بنية هذه الألفاظ مع النظام اللغوي الفرنسي، أو عدم خضوعها لما خَضَع له غيرُها من التغيُّر والتحوُّل اللذين يُسهّلان عملية الاندماج والانصهار مما يجعل استعمالَها مُستَصعَباً أو مُستَثقَلاً.

وإذا كان القسم الأول من الألفاظ العربية المهاجِرة قد استطاع الصمود وفرْضَ وجودِهِ واستمراريتِهِ في المعجم الفرنسي الحديث والمعاصر، فاحتُفِظَ به حتى مع تقادُم عهده، فإن النوع الآخر، لم يكن وجودُه في اللغة الفرنسية إلا لوقت الحاجة إليه ثم مضَى بمضيِّ وقته مع بقية الألفاظ الفرنسية الأخرى المتقادِمة من العصرين القديم والمتوسِّط، وبعضُه لم يكن وجودُه في الفرنسية إلا لمرحلة سريعة عابِرة، ثم أُهمِلَ وعُوِّض بلفظ فرنسي مشتقٍّ من صُلب اللغة الفرنسية أو مركَّبٍ من جُذور لاتينية يونانية. وقد حدث لنسبة كبيرة من الألفاظ العربية التي مرت في البداية بمرحلة اللاتينية العلمية عند ترجمة العلوم العربية إليها، أن أتَت عليها مدةٌ وهي على هذه الحال، ثم جاءت مرحلةُ استقلال اللغة الفرنسية عن اللاتينية العلمية وقيام الأكاديمية الفرنسية في ق١٧م، وارتفاع الحِسّ القومي عند الفرنسيّين، ولاسيما بعد ثورة ق ١٨م، فاقتَضى الأمرُ فَرنَسَتَها. كما أشرتُ سابقاً. أي تحويلها من صيغتها التي كانت عليها في اللاتينية إلى صيغة مُلائمة للنظام اللغوي الفرنسي المستقل.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ومثل هذا فَعلوه أيضاً مع الأغلبية الساحقة من الألفاظ العربية التي جاءت بها البعثةُ العلمية المرافِقة لحملة بونابرت على مصر، والألفاظ الأخرى التي نقلها من بقاعٍ عربية مختلفة علماء آخرون ورحالةٌ ومستكشِفون باحثون من جنسيات أوروبية مختلفة كانوا يَجولون العالم العربي والإسلامي لجمع كل ما يفيدهم من معلومات في مختلف المجالات. فقد ترجموا بعضها إلى لغتهم، وأدخلوا على الأخرى تحويراتٍ غيَّرت كثيراً من ملامحها، وتخلَّصوا مما بقي دالاً على أصله العربي.

أما التحوُّل في الصِّيَغ التلفُّظية صوتاً وصرفاً، فهو أمرٌ واضح من خلال كثرة البدائل والمُتغيِّرات (variantes) الموجودة لكل الكلمات المُستعارة تقريباً. وقد بلغ التحوُّل التي أصاب بعض الألفاظ درجةً من التعقيد صار معها من الصَّعب على الباحث اكتشافُ أصول هذه الكلمات، مما أوجدَ حولها نقاشاً طويلاً وتضارباً بين الباحثين. إذ لم يكن من السهل ـ مثلاً ـ أن يكتشف المرءُ لأول وهلة أن كلمة: harda في الفرنسية مأخوذة من:(حَرْبة)، وأن: haras في الفرنسية والإسبانية والبرتغالية جاءت من (فرَس)، وأن fabrègue جاءت من (حَبَق)، وalfange جاءت من (الخِنجَر)، وalfatida من (الحَديدة)، و aufin من (الفِيل)، و anforge من (الخُرْج)، وchataf من (خُطاف) (نوع من الطيور)، وmuserat أو migerat جاءتا معًا من (مِزْراق): نوع من الحِراب، وzaphr جاءت من (صَقْر)، وraquette من (راحة اليد)، وbodrat من (بُردة) باستعمال القلب المكاني، و haraha أو hara من (قَرْعَة)، وharde من فَرْض أو فَرْدة... والقائمة طويلة.

الأخطاء اللغوية والتَّخصيب المعجمي:

وهناك من التغيُّرات اللفظية ذات الطبيعة الصوتية أو الصرفية أو الكتابية، ما لا يمكن اعتبارُه إلا مجرد نتيجة من نتائج الأخطاء التي يقع فيها ناقِلُو هذه الألفاظ من العربية إلى الفرنسية.

وعادةُ المعجميّين، حين يتطرَّقون إلى عوامل التوليد المعجمي وإثرائه، أن يقتصروا على ذكر الأمور التقليدية المتداولة في كتُبهم كالاشتقاق والنَّحت (وهو فرع من الاشتقاق) والتعريب والاقتراض والارتجال. ولكنهم لا يُشيرون في الغالب إلى هذا العامل الذي يمكن أن نشاهد آثارَه بوضوح في كل لسان من الألسنة. والمقصودُ هنا هو تلك الألفاظ التي تظهر وتنتشر بمَحض الصُدفةً والعَشوائية نتيجةَ أخطاء وانزلاقات وتحريفات تتعلَّق بالدالِّ أو المدلول مما يقع لبعض مُستعملِي لغةٍ معيَّنة، لأسباب كثيرة منها: سُوءُ الفَهم إذا تعلَّق الأمر بالمعنى، أو سوءِ القراءة والنقل، إذا تعلَّق الأمر بمكتوب أو منسوخ، أو سوء التقاط واستماعٍ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

لما يُقال، إذا تعلَّق بما هو شفوي، أو عدمِ القُدرة على النُّطق بصوت أو أكثر في كلمة أو كلماتٍ عند مُستعمِلٍ حديثِ العهد بلغة غيرِ لغته. وهنا يجب استحضارُ الكثير من الكلمات التي إذا تأمَّلتَها في لغةٍ معيَّنة وجدتَ أن أصل نشأتها لا يعود لسبب آخر سوى خطأ في الاستعمال راجعٍ إلى شيء مما ذكرنا. فالجَذْب والجَبْذ في العربية، ليسا في اعتقادي إلا متغيّرين لكلمة واحدة أخطأ أحدُهم ذات يوم في نطقها أو نقلها، فإذا بها تتحوّل مع الزمن إلى لفظ جديد يتولَّد وينشأ عن طريق الخطإ والصُّدفة لا غير. ومثلُ ذلك يمكن أن يُقال عن دَشيش وجشيش، وحَرشف وخرشف، وقُرطُمان وهُرطُمان[1] ... وهلمَّ جرّاً. وموضوعا التصحيف والتحريف، ولحن العامة والخاصة، معروفان بشكل جيد في تاريخ اللغة العربية وأدبيّاتها ولا يحتاجان سوى إلى ربطهما بموضوع التَّخصيب المعجميّ. وعلمُ اللغة المعجمي التاريخي التطوّري، لا ينظُر عادةً إلى هذه الانحرافات أو الانزلاقات من الجانب الذي يهتمُّ به الصَّفائيون والتَّصويبيُّون الحريصون على تنقية اللغة مما يشوبُها، ولا حتى من وجهة النظر التعليمية والبيداغوجية التي تُعنى بتلقين الوجه الأعلى أو «الصحيح» من اللغة، وإنما ينظر إلى مآلات هذه الظاهرة التي تسمى «خطأً وانحرافًا أو لحناً» عند هؤلاء وأولئك. فهي عندما يشيع تداوُلُها بين المستعمِلين تتحوَّل من وجهة اختصاصهم إلى مجرد تغيُّرات وتحوّلات وتطوّرات طبيعية لا تسلم منها لغةٌ من اللغات. وكلُّ معجم في كل لسان بشري، لو بحثتَ في تاريخ ألفاظه ووحداته المعجمية، لوجدت أكثرَه عبارةً عن أشكالٍ وصيغ أو مُتغيّرات وبدائل جديدة لألفاظ قديمة. فالتطوُّر لا ينشأ فقط بإحداث ألفاظ أو معانٍ لم تكن حسب الأساليب «الشرعية» والقواعد «المَرعية»، وإنما يحدثُ أيضاً بسبب ما طرأ على الكلمات القديمة من أخطاء غير مقصودة، وفَلَتاتِ لسان وهفَواتِ أقلام، في نُطقها والتَّلَفُّظ بها أو في كتابتها ونقلها من كتاب إلى آخر أو من لغة إلى أخرى.

حاصلُ القول، إذن، أن أحد الأسباب التي أدَّت إلى ظهور بدائل كثيرة للكلمة الواحدة عند انتقالها من العربية إلى الفرنسية أو إلى غيرها من اللغات الأوروبية، أمران على جانب كبير من الأهمية والوضوح :

أولهما: كثرةُ الأخطاء التي دخلت على الكلمات العربية عند اقتراضها من العربية.

ولاسيما إذا كانت عملية الانتقال قد مرت بمراحل متعددة، كأن تكون انتقلت في البداية إلى اللاتينية ومنها إلى لغة أوروبية فرعية كالإسبانية أو الإيطالية، قبل أن تصل إلى

---

(١) نوع من النبات.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الفرنسية. بل أحياناً يكون مصدرُ الخطإ الأول من النُّسَخ الخطّية للكُتُب العربية قبل عصر الطباعة. ولاسيما إذا كانت هذه الكلمة معرَّبة من لغة أخرى، فينقلُها ناسِخٌ بوجه وينقلُها آخر بوجه ثان، ثم يأتي الناقلون من الدرجة الثانية أو الثالثة وما بعدهما، بما في ذلك الناقلون للكلمة من لغة إلى أخرى، فيُضيفون إلى سلسلة الأخطاء حلقاتٍ جديدة، إلى أن تصبح المسألة في غاية التعقيد. ومن الطرائف التي تستحق أن تُذكَر هنا أن لفظ: git / ghit الدال على اسم نبات في البرتغالية، جاء من أصل عربي غير مؤكَّد، لكن دوزي وأنجلمان اعتقدا أن هذا الأصل هو (شميث) المذكور في كتاب المستعيني في الطب [(١)] منقولاً عن الزهراوي بمعنى كَمُّون أسود. ولكن الراجح عندي أن هذه الكلمة العربية (أو المعرَّبة على الأصح) إنما هي بدورها مصحَّفة في كتاب المستعيني عن صيغة أخرى هي (شِبْث) التي قد تُكتَب في نسخ خطية عربية أخرى بصيغة (شيث) بالياء لا بالباء. وقد احتفظت لنا القواميس العلمية الفرنسية بصيغة (chebet) القريبة إلى الأصل العربي الصحيح.

ومما يزيد في أخطاء النقل ضعفُ إلمام الناقلين باللغة العربية ومعرفتُهم المحدودة بها، وقد لاحظنا هذا حتى في أكبر القواميس الفرنسية وأوثقها وأوسعها شُهرةً. المهم أن الصيغ الناشئة عن طريق الخطإ والتحريف، تتحوَّل مع مرور الوقت إلى كلمات جديدة لا أصل لها سوى ما ذكرنا. ثم ما تلبث أن تأخذ مكانَها الطبيعي في المعجم، وتتحوّل شيئاً فشيئاً إلى مترادِفاتٍ عادية يتعامل معها المُستعمِل العادي على أنها من فصيح اللغة وصَميمها، ولا يهمه في شيء أن يبحث عن فصلها وأصلها، ومن أين نَشأتْ وكيف وصَلت. فهذا، من وجه آخر، سبَبٌ من أسباب تكاثُر المترادفات في اللغات ومنها العربية. وعلى الرغم من الجهود المُضنية التي قد يبذُلُها التَّصويبيّون في محاربة هذه الظاهر: ظاهرة تسرُّب اللحن والخطإ إلى اللغة، فإن الخطأ يُعمِّق جذورَه مع الوقت، ويُثبتُ وجوده، ويُزاحِمُ أصولَه، أحبَّ من أحبَّ وكره من كَرِه. ولقد صدقَ من قال: إن خطأ الأمس هو صوابُ اليوم.

على أن هناك نوعاً طريفاً من الأخطاء التي تُزوِّد المعجم اللغوي بألفاظ لا أصل لها سوى كونها من أخطاء الترجمة من لغة إلى أخرى. وأحسنُ مثال على هذا هو تلك الترجمة التي قام بها قاموس إليوس بُقطُر E. Bocthor لكلمة: artichaut، إذ وضع مقابلَها كلمةً عربية هي (أرضِي شَوْكي) أو (أَردِشَوْكة). ومنذ ذلك الحين انتشرت هذه الكلمةُ الأخيرة في المشرق العربي مع أنه . فيما قيل . لا وجود لها في العربية ولا أصل. وكان أول من نبَّه إلى ذلك

(١) المستعيني في الطب ليوسف بن إسحاق المعروف بابن بكلارش اليهودي ت ٥٠٠هـ.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

هو مارسيل دوفيك الذي رفضَ الكلمةَ وقال: إنها ظهَرت أولَ ما ظهَرت في هذا القاموس وليس لها وجودٌ في مكانٍ آخر. والمقصودُ أنها غيرُ موجودة في القواميس السابقة ولا في كتُب النبات العربية، وإنما تمَّ تناقلُها بعد ذلك في بعض القواميس اللاحقة كتكملة دوزي ومحيط المحيط للبستاني. وهذا المثال يصلح أيضاً للاستشهاد به على أهمية دراسة الألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي في مجال التأريخ للمعجم العربي. فتاريخُ ظهور الطبعة الأولى لقاموس بُقطُر(سنة ١٩٢٦م) يُعتبر شهادةَ ميلادٍ لكلمة (أرضي شَوكي) في اللغة العربية.

والأمرُ الثاني: هو أن تقع استعارةُ الكلمة الواحدة مراتٍ مُتكرِّرة، وفي كلِّ مرة يأخذُها المُستعيرُ بصيغة معيَّنة. ومن الأمثلة عليها تلك الصيغ الفرنسية المتعددة الناتجة عن اقتراض كلمات كثيرة التداول مثل: (كُحْل) و(كيمياء) و(زئبق) و(رباب) و(كافر) و(قهوة) و(مثقال) و(قِنطار) و(قُطْن)... وغيرُها كثير. ففي هذه الحالة أيضاً تجد المعجم الفرنسي -مثلاً- قد امتلأ بكثرة الصيغ التي يسقُط بعضُها ويُهمَل تلقائياً، ولكن بعضَها الآخر يظل ثابتاً ويفرض وجودَه على مستعمل اللغة لأنه يتحوّل بكل بساطة من مجرد بَديل أو متغيِّر(variante) لكلمة موجودة إلى مرادف لها. فكلمة chardel الفرنسية أصبحت تُعتبر مُرادفاً لصيغتها الأخرى cardel (وكلاهما مأخوذ مع صيغ أخرى من:(خَرْدل) العربية. وكلمتا: charub وcharnubi أصبحتا مجردَ مُترادفين لكلمة: caroube، وأصبحت artichaud مرادفةً لصيغتها الأخرى: artichaut، وkohel مجردَ مرادفٍ للفظ: khol.... أما كلمةُ (قيثارة أو قيثار) فقد استعارتها الفرنسيةُ لأول مرة في ق١٣م بصيغة:quitarre ، ثم ظهرت سنة ١٣٤٩م بصيغة: guitare، وسنة ١٣٦٠م: بصيغة: guitarre، ثم عادت الفرنسية لاستعارتها سنة ١٧٨٠م بصيغة: kitsarat، وفي سنة ١٨٦٣م أعادت اقتراضَها عن طريق الجزائر وتونس بصيغة: kuttra، وفي سنة ١٨٨٠م بصيغة: kouitara، وفي فترة من ق١٩م بصيغة: ka?tra . فصارت كل هذه الصيغ من المترادفات مع أنها في الأصل مجرد بدائل ومتغيِّرات.

التغيُّرات الدلالية:

تتوزَّع الألفاظ المهاجرة إلى اللغة الفرنسية من حيث حقولُها الدلالية المختلفة، على مجالات واسعة جداً تشمل كل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية، والاطلاعُ عليها يُمكِّننا بالطبع من التعرف إلى الجوانب الكثيرة التي ساهمت بها العربيةُ في إغناء المعجم الفرنسي وإثرائه. ففيها ألفاظٌ من شتى أنواع العلوم كالفَلَك، والرياضيات والهندسة والطب والجراحة والتشريح والكيمياء والصيدلة والموسيقى، وفيها أيضاً ألفاظ من عالم الحيوان والحشرات والنبات والطير والأسماك والعُمران والآلات

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والأدوات، ومن الصناعة والاقتصاد والتجارة والمالية، والحِرف والمِهَن والفلاحة واللباس والألفاظ العسكرية والإدارية وأسماء الأطعمة والأغذية والأشربِة والنقود وأسماء الموازين والمكاييل والمقاييس والألوان، بالإضافة إلى ألفاظ دينية كثيرة، وما يتعلق بجوانب أخرى من التاريخ والحضارة والثقافة والحياة العامة.

وكما مَسَّ التغيُّر والتحوُّل الكثيرَ من صيَغ الألفاظ وصُوَرها التلفّظية والكتابية عند انتقالها من العربية إلى الفرنسية وسواها من اللغات الأوروبية، مَسَّ أيضاً الكثيرَ من دلالاتها ومعانيها، بأشكال ونِسَب متفاوتة. لكن، إلى جانب ذلك ظلت هنالك فئة أخرى من هذه الألفاظ محتفظةً بدلالتها في اللغة المُقرِضة لارتباطها بأشياء ومدلولات محدَّدة يصعب تغييرها. والتحوُّل الدلالي على العُموم، عادةً ما يكون إما بتقييد المعنى وتضييق حدوده أو توسيعه وتفريعه واستعمال أساليب بلاغية معروفة في ذلك كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية... الخ.

وبجانب الحالات العامة التي لا تحتاج إلى ضرب الأمثلة على ما وقع فيها من تحوُّل دلالي، هناك كلماتٌ نجد في طريقة تحوُّلها من المعنى الأصلي في العربية إلى المعنى المُكتَسَب في الفرنسية، قصصاً طريفة تستحقُّ أن تُحكَى وتُروَى. فقد كان من أمر كلمة (brèle) - على سبيل المثال ـ التي اقتُرِضَت من العربية (بَغْل) عن طريق المغرب وأصبحت تُستعمل بمعنى: شخص بَليد ومُعانِد، أو غير كُفء، أن الاحتلال الفرنسي للشمال الإفريقي حين أنشأ فرقة عسكرية من الأهالي المغاربة والأفارقة السُّود (تسمى فرقة القَوم:gou)، كانت تُزوَّد بالبِغال لصُعود الجبال والأماكن الوَعرة التي لا تستطيع الدّبّاباتُ الوصولَ إليها. ولذلك كان الجنودُ الفرنسيون يقولون فيما بينهم على سبيل السُّخرية: إن الذي رَبِحَ حربَ الرّيف ضدَّ محمد بن عبد الكريم الخطابي هو البَغلُ وليست الدّبابة، ولذلك أطلقوا على هذه الفرقة - على سبيل الاستهزاء أيضاً. عبارة:« Royal Brèle Force » (= القوة المَلَكية البَغْلية).

أما قصة كلمة: (mazagran) فتتلخص في أن الجنود الفرنسيّين كانوا قد حاصَروا سنة ١٨٤٠م بلدةَ مَزَغْران الجزائرية، ضد المُقاومين، ثم استولَوا عليها بعد ثلاثة أيام فقط. فصاروا يشبّهون السرعة الفائقة التي سيطروا بها على البلدة بالمدة القصيرة التي يمكن أن يستغرقها احتساءُ كأسِ قَهوةٍ في تلك البلدة. ومن ثمَّ صاروا يتداولون عبارةً تقول: « Un café bu à la va-vite comme à Mazagran en ١٨٤٠ = قَهوةٌ شُرِبت على عَجَلٍ كما في مَزَغران سنة ١٨٤٠».

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

رحلةُ البحث عن العربيات المُغتَرِبات

وظيفةُ القواميس التأثيلية، كما هو معلوم، هي محاولةُ إرجاع الكلمات المُقترَضة الموجودة في اللغة المدروسة إلى لغاتها الأصلية التي جاءت منها، وفي الغالب لا يتوقف الباحث عند أقرب لغة عبَرت منها الكلمةُ المهاجِرة إلى مُستقرِّها الجديد، ولكن عادةً ما يذهب إلى أبعد نقطة يمكن الوصولُ إليها ويعمِّق الحَفْرَ والتَّنقيب في الطبقات السُّفلى للكلمات في محاولة لكشف منابتها وعروقها المتشابكة، وقد ذكرنا ذلك في بداية الحديث. وهذه العمليةُ محفوفةٌ بالمخاطر والمغامرات والمُنزَلَقات وكثيراً ما تزِلّ فيها الأقدامُ، ولاسيما حين تَشِحُّ الأدلةُ المادية والتاريخية، فيُلجأ إلى إعمال الظنّ والتخمين. وأحياناً تتدخّل عناصر ذاتية في الموضوع فتنسِفه نسفاً وتُخرجه من باب العلم والموضوعية إلى مجالات أخرى فيها شيءٌ من الخيال والإيديولوجية والأسطورة. وهذه أمثلةُ على بعض المُنزَلَقات التي رَصَدناها خلال مُواكبتنا الخاصة للألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي:

التأثيل العليل قد يتحوَّل إلى تضليل :

من ملاحظاتنا على القواميس التأثيلية الفرنسية أنها كثيراً ما تتعامل مع الألفاظ التي سبق للعربية أن اقترضَتها من لغات أخرى (وهي التي يُطلق عليها عادةً اسمُ المُعرَّبات) قبل أن تستعيرها الفرنسية عن طريق العربية، بنَسف هذا الجِسْر الذي عبَرت من خلاله تلك الألفاظُ إلى أن وصلت إلى المعجم الفرنسي، فتحكم على هذه الكلمة أو تلك بأنها يونانية أو تُركية أو فارسية أو هندية أو لاتينية.... متجاهلةً المرحلة العربية لهذه الكلمات وما كان لها من دورٍ ووظيفة، ومُوهِمةً بأن الفرنسية أخذَتها مباشرةً من تلك اللغات، بينما هي مجلوبةٌ إليها عن طريق العربية، أي من معجمها المعرَّب. فكلمة (إسفاناخ/ سَبانِخ) معرَّبة قديماً عن الفارسية، ولكن اللغات الأوروبية بما فيها الفرنسية (épinard) لم تأخذها عن الفارسية مباشرةً وإنما عن طريق اللاتينية العِلمية (اللاتينية الوُسطى) التي نقَلتها من العربية عند ترجمة الكُتب العلمية. وكلمة (saroual, sarouel) ذات أصل فارسي كما يقولون، لكنها من المعرَّبات القديمة، ووجودها في الفرنسية، إنما جاء إليها في زمن متأخِّر جداً (ق١٩م) عن طريق عربية الشمال الإفريقي (سِرْوال)[(١)] لا من الفارسية مباشرة. وكلمة (élixir) يونانية الأصل لكن اللغات الأوروبية ومنها اللاتينية أخذتها من العربية (الإكسير) في عصر ترجمة

---

(١) القواميس العربية الفصيحة تستعمل الكلمة بصيغة (سراويل) وتجمع على (سَراويلات)، وفي المغرب والجزائر تُستعمل بصيغة: (سِروال) والجمع: سراويل.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

العلوم وليس من اليونانية مباشرةً.

ومن هذا القبيل أيضاً أنك تجد في بعض هذه القواميس مَن يُصنِّف الكلمات الآتية ضمن خانة الألفاظ التركية دون الإشارة إلى أصلها العربي قبل هجرتها ودخولها إلى التُركيةً:(minaret, café, cadi, fez, mosquée, ottoman, sorbet, raia, sultan,)[١]، ويصنِّف (arsenal, artichaut, baldaquin, bocal, carmin, fanal, faquin, satin, sirop)[٢] ضمن الألفاظ الإيطالية الأصل دون اعتبار مرحلتها العربية التي مرَّت منها، ويعتبر(laquais, matamore, réalgar, mousson, fanfare)[٣] من أصل إسباني دون ذكر المنبَع الذي استَقَت منه الإسبانية. فعند التأثيل والتَّرسيس لا بد من إرجاع الكلمات إلى مَنبعها الأصلي أو ما يُستطاعُ الوصول إليه، لا إلى أقرب باب دخلت منه. ولا يجوزُ إطلاقاً لمؤرِّخُ المعجم ومُؤثِّلُه أن يُسقِط من مراحل تطور الكلمات ما شاء ويُبقي على ما شاء. فإن تمَّ ذلك عن قصد مُبيَّتٍ فهو تضليلٌ وتزييف، وإن تمَّ عن حُسن نية فهو قُصورٌ وتقصير، وحتى لو كان مع نية الاختصار فهو اختصار مُخِلٌّ.

ولا شك في أن الحضارة العربية كان لها دورُ الوسيط في نقل الثقافات والمعارف والعلوم القديمة إلى أوروبا التي بَنَت عليها حضارَتَها الحديثة، ولكن الأمر لم يقف عند ذلك، وإنما تجاوزَه إلى نقل الألفاظ والاصطلاحات والمفردات اللغوية المرتبطة بكل تلك المعارف والفنون والمفاهيم العلمية والثقافية. وبعبارة أخرى لقد نُقِلت كثيرٌ من المُسَمَّيات مع أسمائها وليست مجردة عنها. كما قامت اللغة العربية من جانب آخر، وهي اللسانُ المعبِّرُ عن هذه الحضارة العربية الإسلامية والوعاءُ الذي استوعَبَها وحَفِظها، بدور الوسيط في نقل ألفاظ لغاتٍ كثيرة ولاسيما اللغات الشرقية، إلى اللغات الأوروبية بدءاً باللاتينية ذاتها، ولذلك لا يمكنُ أن يتساهل التاريخُ في المطالبة بحقه في حالة القَفز عن المرحلة العربية للكلمات المُستعارة إلى اللغات الأوروبية وحذفها من تاريخها واعتبارها كأن لم يكن لها وجودٌ ولا حُضور، فذلك جِنايةٌ في حق العِلم والتاريخ، سواءٌ كان عن جهل أو تجاهُل. ومن نتائجه السلبية طَمْسُ الدَّور الحضاري الذي قامت به العربيةُ لغةً وثقافةً في نقل العلوم والمعارف من أمة إلى أخرى.

وأكثر ما كنا نصادفه، في طريق بحثنا عن أُثول الكلمات، الاعتقادُ المُسَيطِر على أذهان

---

(١) مَنارَة، قهوة، قاضي، فاس، مسجد، عثمان، شُربة، رعية، سلطان.

(٢) الصنعة (أو الصناعة)، خَرشُف، بغدادي، بوقال، قرمزي، فنار، فقيه، زيتوني، شراب (شروب).

(٣) القائد، مطمورة، رهج الفار، موسم، ثرثار.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

كثير من الغربيّين، وهو أن اللفظ إذا وجدوا له نظيراً في اللاتينية أو اليونانية سارعوا إلى رَدِّه بشكل آلي إلى هاتين اللغتين من غير نظر في الأصل الذي أخذَتا منه، وكأن اللاتينية واليونانية هما أمُّ اللغات كافة. أما إذا وجدوا لفظًا له نظيرٌ أو شبيهٌ في العِبرية فهم لا يكلِّفون أنفسَهم مشقةَ النظر فيما تشترك فيه العبريةُ مع العربية وغيرها من العُروبيات أو الجَزَريات (لغات الجزيرة العربية القديمة) الأخرى، وإذا أحوَجتهم الضرورةُ إلى الاعتراف بالأصل (السامي) لكلمة من الكلمات أصبح المقصود بالسامي عندهم هو العِبْري دون غيره. ولحسن الحظ أننا كنا أحيانا نعثر على مواقف لبعض الغربيّين النُّزهاء اتَّسَمت بالشجاعة وكشفَت عن وجه الحقائق المغلوطة. وفي مقدمة هؤلاء العلماء الذي أبانوا عن شجاعة في الإدلاء بشهادة الحق ألكسندر ثيس A.Théis في قاموسه النباتي، فكان لا يجد خطأً من هذا النوع إلا ونبَّه إليه وفضح ما فيه من تزييف. ومن شهاداته الجريئة التي قلَّ نظيرُها بين الأوروبيّين في ذلك العصر (بداية ق١٩م)، ما كتبه عن كلمة (ebenum) إذ قال: « هذا اللفظُ مُلَتَّنٌ latinisé من أصله العربي وهو: أَبْنُوس: ãbnous كما في كتاب جوليوس [(١)] ومنه جاءت: ébène الفرنسية. وقد أعطى بوشار Bochard في كتابه:Hierozoicon أصلاً عِبرياً لا يمكن قَبولُه. لقد كان هنالك حماس ديني زائد استمر لمدة طويلة، مما أدى إلى اعتبار العبرية هي أصل اللغات كلها في العالم. ولكننا اليوم، مع احترامنا الكبير لهذا المبدإ، لا يمكننا أن نستمر في تقبل كل نتائجه ».

التأثيل بين الحقيقة والإيديولوجية والأُسطورة:

ألقى الصراعُ الديني والحضاري بين الشرق العربي الإسلامي والغرب المتشبِّع بالثقافة الدينية المسيحية اليهودية الذي أَجَّجته سلسلةٌ طويلة من الحروب (كالحروب الصليبية وغيرها)، بظلاله على العمل المعجمي، وانعكَسَت آثارُه النفسية على الطريقة التي استعملها بعض القاموسّيين في تأثيل جملة من الألفاظ. ولنا على ذلك بعض الشواهد والأمثلة التي تفضح إسقاطَ هذه الخلفية من الصراع الثقافي والديني على العمل اللغوي المعجمي الذي تشبَّع بهذا النوع من الخطاب الناشئِ في البيئة التي أنتجته.

من ذلك تخبُّط بعض المعجميّين في تأثيل لفظ: sarrasins التي أصبحت تُطلَق على (الشرقيّين) ويُقصَد بهم العرب والمسلمون عموماً الذين جاءوا فاتِحين من الشرق وخاضوا

---

(١) المقصود بكلام جوليوس وثييس هو أن اللاتينية لم تأخذ الكلمة عن اليونانية مباشرة ولكن عن طريق العربية. على أن الكلمة في جذورهامدخل:ى ليست يونانية وإنما أخذتها اليونانية نفسُها من أصل عروبي سامي أو شرقي (راجع تفاصيل الكلام حول هذه الكلمة في كتابنا: قاموس الألفاظ الفرنسية...).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

سلسلة حروب دينية ثقافية مع الغرب. فمنهم من قال إن أصل الكلمة من اليونانية: sarakénoi التي تَعني حرفيًا (ساكِني الخيام) ويقصدون العربَ الرُّحَّل، وفي ذلك لَمْزٌ وتعريضٌ بهؤلاء العرب المسلمين الذين لم يكونوا في نظر المجتمعات الغربية سوى رُعاةِ غنَمٍ وسكانِ خيامٍ لا سابِقَ عهدٍ لهم بالحضارة والمَدنية. وهناك من ذهب إلى أن أصل الكلمة مُحرَّفٌ من اللاتينية: (saraceni) المأخوذة من كلمة (سارِق) العربية، وعزَّزَ رأيَه بالقول إن اللاتينَ سَمّوا العربَ بهذا الاسم لأنهم كانوا معروفين بالغارَة والسَّرِقة. وفي قواميس أخرى أن العرب سُمّوا بهذا الاسم (sarrasins) لأنهم زعَموا الانتسابَ إلى (سارَة) الزوجة الحُرّةِ لإبراهيم عليه السلام، وقد كانوا يَخجَلون من الانتساب إلى (هاجَر) أُمّ إسماعيل لكونها- حسب الزعم اليهودي ــ مجرد أَمَةٍ أو خادمة ل(سارَة). وحسب هذا التأويل الأخير فإن الكلمة مؤلفة من: (Sara + sins). وفي الوقت نفسه نجد القواميس تُصرِّح بأن كلمة (agaréen,nnes) تعني (الهاجَريّين) بمعنى العرب من نَسل إسماعيل الذين سُمُّوا بذلك لكونهم ينحدرون من نَسْل (هاجَر)، مع ما تحمله هذه الكلمة من معنىً قَدْحي تأثُّراً بالنظرة العَدائية التي نشرها اليهود قديماً عن العرب في المجتمعات الغربية، وهي أن هؤلاء العرب المسلمين (الهاجَريّين) ينحدرون من نَسل (هاجَر) التي هي من طبقة أدنى من طبقة (سارَة) التي ينحدر منها بنو إسرائيل، في تأصيلٍ واضح لأسطورة التفوُّق العِرقي التي وُظِّفت أسوأ توظيفٍ طيلة الحِقَب التاريخية الماضية. وهكذا يمتزج العمل التأثيلي التأريخي في ذهن المعجمي بالأسطورة والإيديولوجية وبعض المعتقدات الدينية الخاصة.

ومن الأمثلة الأخرى التي لا تخلو من رواسب الصراع الديني والثقافي بين الشرق والغرب، لجوءُ بعض القاموسيّين إلى شَحْن كلمة (avanie) بمعانٍ تختزنُ عُمقَ هذا الصراع. فحين يلجأ بعضهم إلى تأثيل الكلمة بإرجاعها إلى لفظ (هَوان) تارةً أو (إهانة) تارة أخرى، فقد لا يكون ذلك من باب الصُّدفة أو الموضوعية العلمية، وإنما مَردُّه إلى تشبُّع هؤلاء اللغويّين المؤثِّلين - ولو بدون شُعور- بالنظرة السّلبية التي كانت شائعة في الغرب عن خُصومهم التقليديّين في الشرق وهم الأتراكُ العُثمانيون. فقصةُ هذه الكلمة إطلاق الكلمةتُطلَق عند العُثمانيّين على ضَريبة تجارية أو غرامة ثقيلة كانوا يَفرضونها على بعض التُّجار الأوروبيّين الذين يَستغفلون السلطات الضريبية ويلجأون إلى حِيَلٍ للإفلات من أداء المُكوس أو الضرائب المفروضة على البضائع العابرة لحُدودهم. ومن هنا كان أصلُ إطلاق الكلمة هو (خَوّان) أي خائن للأمانة. ولكن التُّجار المتهرّبين من الضرائب أصبحوا يُشيعون في بلدانهم أن العثمانيّين يُلزِمونهم دفعَ ضريبة خاصة بهم قصد إهانتهم واحتقارهم باعتبارهم

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

نصارى. وبناءً على هذا التصوُّر فُسِّرت الكلمة بأنها مأخوذة (هَوان) أو (إهانة). والذي يؤيد ما ذهبنا إليه أن فئة أُخرى من القواميس الفرنسية التي تحلَّت بالموضوعية، قد نصَّت على اللفظ الأصلي الذي جاءت منه كلمة (avanie) وهو (خَوّان) من: خائِن.

ومن قبيل التشويه التاريخي الذي يجعل من التأثيل طريقاً للدَّسِّ والتضليل الإيديولوجي ما ورد في واحد من أكبر القواميس الفرنسية الحديثة وأشهرها حين أراد تأثيل كلمة (mellah) المأخوذة من (مَلاّح) العربية وهو الحي اليهودي في المدن المغربية العتيقة، فقال إن سببَ تسميَّة هذا الحي اليهودي بـ(المَلاَّح) هو أن اليهود كان يُفرَض عليهم أن يقوموا بوضع المِلْح في رؤوس الجُناة المَحكوم عليهم بالإعدام قبل تعليقها على أبواب المدينة، وهذا التأويل السَّخيف منسوخٌ من الكلام الذي كان قد رَوَّجه هُنري لامارتينيز في بداية الاحتلال الفرنسي للمغرب، والرواية الصحيحة المتداولة حول سبب إطلاق اسم المَلاَّح على الحيّ اليهودي في المغرب هي أن أول حيٍّ من هذا النوع بُني في المغرب كان بمدينة فاس(ق١٣م) أيامَ الدولة المَرينية (١٢٤٤ ـ ١٤٦٥م). وصادَف أن المكان الذي بُنِيَ فيه الحيُّ اليهودي الخاصُّ كان في الأصل مكاناً لتجميع المِلْح قبل تَصديره للجِهات الأخرى في البلاد. وبعد ذلك أصبح اسمُ الملاّح يُطلَق ـ من باب التوسُّع ـ على هذا الحيّ الذي سَكَنه اليهودُ وعلى كلِّ حيٍّ جديد بُنِيَ بعده في كل مُدُن المغرب. والعادةُ أن يكون مقرُّ حيِّ اليهود في المغرب قريباً من قصر السُّلطان لضمان الأمن والحماية لسُكّانه.

.٥.

دورةٌ تاريخية كاملةٌ وعَوْدٌ على بَدءٍ

وفي ختام هذا البحث، أعود إلى ما سبقَت الإشارةُ إليه من وجود نوع من الألفاظ يمكن أن نقول عنها إنها عاشت دورةً تاريخية كاملة، فكانت حياتُها مليئة بالتَّقَلُّبات والمغامرات والانتقال بين محطات وبيئات لغوية مختلفة، بدأت بالخروج من موطنها الأصلي في ظروف معيَّنة، ثم ما لبثت، ولو بعد قرون، أن انتهت بالعودة إليه، لكن في صورة مُتَنَكِّرة وملامِح متغيِّرة فلم يتعرَّف عليها الكثيرون واعتقدوها كلماتٍ أجنبية دخيلة وتعاملوا معها على هذا الأساس، مع أنها من أصل عربي. ولم تلبث قواميسُنا الحديثة التي أرادت أن تُزيِّن صدرها وتُلَمِّع مظهرَها ببعض الكلمات المُحدَثة والمعاصِرة أن احتضَنت فئةً منها وصنَّفتها تحت خانة المُعرَّب المُحدَث، وما لم تحتضنه هذه القواميسُ أصبح رائجاً في غيرها من الأدبيات المكتوبة والدوارج واللهجات العربية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وهذه أمثلةٌ من هذه الكلمات التي تكشِف لك كلَّ واحدة منها عند دراستها التاريخية التفصيلية، ما تختزِنه في جوفها من قِصصٍ وحكايات لا تخلو من المُتعة والطرافة والتشويق. ونقدِّمها هنا بطريقة جدّ مختزَلة تصوِّر المراحل الثلاث الأساسية في حياتها دون الدخول في التفاصيل، وهي: وضعها العربي في البداية، ووضعها في الفرنسية بعد المغادرة، ووضعُها بعد العودة إلى العربية:

- أَميرُ البحر ← amiral ← أميرال.
- دار الصَّنعة أو: دار الصناعة ← arsenal ← تَرْسانة / تَرْسَخانَة[1].
- طَرْح / طرحة ← tare ← طارَة[2].
- مخزن، مخازن ← magasin ← مَغازة، مقازة[3].
- دُرْديٌّ ← tartre ← طِرطِير / طرطر[4].
- خُصَى الثَّعلب ← salep ← سَحْلب[5].
- الحَمراء ← alhambra ← العَنْبرة[6].
- شِكَّة ← jaque / jaquette ← جاكيت[7].
- سَوادٌ (قِلْيٌ) ← soude / soda ← صُودا[8].
- تَعريفة ← tarif ← طَريفة / طَريف[9].

---

(١) الصيغتان معا في محيط المحيط.

(٢) مستعملة في المغرب.

(٣) مستعملة في تونس والمغرب: مقازة، مكَازة.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة.

(٥) انظر: المنجد والمعجم العربي الأساسي ومعجم اللغة العربية المعاصرة. وكلمة سَحْلب تُطلق على فصيلة من النبات وعلى مشروب يُستخرج من الجذور المطحونة لهذا النبات الذي كان يُعرف في الكتب النباتية العربية بـ(خُصى الثعلب). ثم اقتُصِر من هذا المركب الإضافي العربي على لفظ (ثعلب) فحُرِّف في الاستعمال الفارسي والتركي إلى (salap, saleb)، وتحوّل في القواميس الأوروبية إلى: salep، ولمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: قاموس الألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو المعرب.

(٦) مستعملة في المغرب.

(٧) في معجم اللغة العربية المعاصرة وردت الكلمة بصيغتين: جاكِتَّة وجاكيت.

(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة.

(٩) مستعملة في المغرب بمعنى: الثمن المحدَّد للبضاعة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

- زَيتون ← satin ← ساتان(ثوب)[1] .
- مَوْصِلي (نسبة لمدينة الموصل) ← mousseline ← مُسْلين (ثوب حريري)[2] .

- راحة اليد ← raquette ← راكيطة (مِضرَب).
- مَسْخ، مسخرة ← masque ← ماسك (قِناع).
- الخوارزمي ← algorithme ← لوغاريتمات.
- لُبانٌ جاويٌّ ← benzine ← benjoin ← بِنزين.

---

(١) مستعملة في المغرب بشكل واسع.
(٢) مستعملة في المغرب بشكل واسع.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

في ضرورة توظيف علم التأثيل
في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية[1]

د. عبدالرحمن السليمان
أستاذ اللسانيات المقارنة، جامعة
لوفن - بلجيكا

ملخص:

تعالج هذه المقالة أهمية توظيف علم اللغة المقارن وعلم التأثيل في إنجاز معجم تاريخي للغة العربية، وعلى الأخص في الشق التأثيلي للمعجم التاريخي المنشود، حيث يتم التأصيل للجذور العربية بمقارنتها مع الجذور المجانسة لها في اللغات الجزيرية التي ترتبط العربية بها بقرابة لغوية على مستوى الأصوات والصرف والنحو والمفردات، وهي المستويات الأربعة التي بناء عليها يحكم بالقرابة اللغوية بين اللغات من عدمها. وتبرهن على ضرورة علم اللغة المقارن وعلم التأثيل بأمثلة من المعجم العربي لا يمكن تفسيرها، فضلا عن التأريخ لها، إلا باللجوء إلى علم اللغة المقارن وعلم التأثيل. من تلك المفردات، على سبيل المثال لا الحصر: ترجمة وقانون وهراقَ وسَلْعَفَ وعَلْمانية وتنور ولغة وغيرها من المفردات التي حار في بعضها أوائلنا وذهب في بعضها الآخر أواخرنا كل مذهب لا لشيء إلا لإقصائهم علم اللغة المقارن وعلم التأثيل من الدراسات اللغوية العربية، وهي الدراسات التي لا تكتمل إلا بتوظيف العلمين المذكورين فيها.

١. تمهيد:

تنتمي اللغة العربية إلى أسرة اللغات الحامية السامية (أو اللغات الأفروآسيوية أو اللغات الجزيرية ونفضل هذا المصطلح الأخير). وتتكون هذه الأسرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى اليوم، وفي منطقة امتدت وتمتد من الجزيرة العربية حتى المغرب، ومن جنوب تركيا حتى إثيوبيا. أشهر تلك اللغات العربية والأكادية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والعبرية والحبشية والمصرية

---

(١) نشرت الصيغة الأولية من هذا البحث بمجلة ترجمان سنة ٢٠١٢م.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

القديمة والأمازيغية[(١)]. ولا تزال اللغة العربية تفتقر إلى معجم تأثيلي يعالج أصولها معالجة تأثيلية ويبين ما تشترك العربية فيه مع أخواتها من اللغات الجزيرية، وما تنفرد به وحدها من الألفاظ التي طورتها بمعزل عن التراث اللغوي الجزيري المشترك، وما اشتقته من جذورها خلال مراحل تطورها الكثيرة، وما استعارته من لغات أخرى وطوعته لينسجم مع أوزانها وأبنيتها مثل /أُسْقُف/ (= المعرب عن اليوناني episkopos ἐπίσκοπος)، أو لم تطوعه تاركة إياه على حاله مثل /تلفزيون/ (= الدخيل)[(٢)]، وما دخلها من تعابير اصطلاحية تغلغلت في تراكيبها من خلال الترجمة العشوائية ولغة الصحافة الأجنبية وغيرهما من قنوات الاتصال الحديثة بالغرب[(٣)]. إن خلو المكتبة العربية من معجم تأثيلي يؤرخ لألفاظها

---

(١) انظر Brockelmann C. (١٩١٣) وBergsträsser G. (١٩٩٥) وDe Lacy O. (١٩٢٣) و Wright W. & Smith W. (٢٠٠٢) وNöldeke Th. (١٩٦٤) وMoscati S. (١٩٦٤) وBennett R. P. (١٩٩٨)، وهي من أهم الكتب المرجعية في الدراسات الجزيرية.

(٢) يتقاطع موضوع المعرب والدخيل كثيرا مع موضوع الدراسات اللغوية التأثيلية المقارنة. فبينما تعالج الدراسات اللغوية التأثيلية المقارنة جذور المفردات معالجة مقارنة بهدف تحديد الاشتراك اللغوي بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة وملاحظة التطور الدلالي الذي طرأ على تلك المفردات المشتركة في كل لغة من لغات الأسرة اللغوية الواحدة على حدة، فإن النظر في المعرب والدخيل يقتضي المقارنة بين كل اللغات التي يعتقد أن اللغة المقترضة قد اتصلت بها، سواء أكانت تلك اللغات تنتمي إلى الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة المقترضة، أم لا، وذلك بهدف تحديد أصل المفردة المعربة أو الدخيلة. لقد عالج كثيرون موضوع المعرب والدخيل معالجة تقليدية، وصدرت منذ الجواليقي حتى اليوم عشرات الكتب والدراسات التي عالجت موضوع المعرب والدخيل، آخرها (المعجم المفصل في المعرب والدخيل) لسعدي الضناوي (صدر سنة ٢٠٠٤ عن دار الكتب العلمية للنشر في بيروت). ومع أن المآخذ على تلك الكتب والدراسات التي كتبها كتاب غير ملمين باللغات التي اتصلت العربية بها اتصالا مباشرا (كالفارسية مثلا) أو عبر لغة وسيطة (كالسومرية مثلا) كثيرة، فإن المأخذ الرئيس على معظم الكتب والدراسات التي عالجت موضوع المعرب والدخيل يبقى إهمال الكتاب تتبع قنوات الترجمة وضبط تأثيرها في إثراء المعجم العربي (مثلا: كلمة /أثير/) وفي تكوين المصطلح العربي (مثلا: /حاسوب/). فكلمة /أثير/ على سبيل المثال، دخلت العربية من اليونانية (αἰθήρ = آيْثِير) عند ترجمة "كتاب السماء والعالم" لأرسطو، وبالتحديد عند ترجمة العبارة التالية منه (ونعتذر عن عدم تشكيل الكلمات اليونانية): Αιθερα προσωνομασαν τον ανωτατω τοπον απο του θειν αει τον αιδιον χρονον θεμενοι την επωνυμιαν αυτω التي ترجمها – مع ترجمة "كتاب السماء والعالم" إلى العربية – يحيى بن البطريق، بما يلي: "فسموا ذلك الموضع الشاهق العالي "أثيرا" من قبل استفاق فعله، وذلك أنه دائم الحركة سريعها، دائم الثبات لا انتقاض له ولا زوال. انظر Endress G. & Gutas D. (١٩٩٢)، مادة /أثير/. فالترجمة ضرورية لتحديد تاريخ اللفظة الدخيلة بالتحديد. ومثله يقال في تقصي حالات تكوين المصطلح العربي إزاء مصطلحات غربية محدثة مثل (حاسوب < computer).

(٣) دخلت العربية تعابير وتراكيب أعجمية كثيرة توطنت فيها واستعملها الأدباء والشعراء والصحفيون، فأصبحت جزءا لا يتجزأ من اللغة بحيث بات أصلها يختلط حتى على جهابذة اللغة وحذاق المعجميين. إن التأريخ لهذه التعابير الاصطلاحية في المعجم التاريخي أمر في غاية الأهمية، ولا بد من معالجة تلك التعابير والتراكيب الأعجمية التي =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ويضبط التطور الدلالي للمدلولات والمفاهيم عبر الزمن، ويجرد القوانين الصوتية التي تتحكم بالتطورات الصوتية والصرفية والدلالية ويفسرها، ثغرة كبيرة في الثقافة العربية خصوصا وأن علم صناعة المعجم علم عربي أصيل وضعه العرب منذ أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي وطوروه فيما بعد تطويرا كبيرا، فسبقوا بوضعه وتطويره سائر الأمم التي أخذت عنهم هذا العلم الذي لم يتجاوزهم فيه أحد حتى القرن الثامن عشر الميلادي، عندما بدأ الأوربيون، متأثرين بعلم صناعة المعجم العربي، ينسجون على منوال المعاجم العربية ويضعون معاجم للغاتهم بلغت في جودتها الغاية[(١)]. إن توظيف علم اللغة المقارن وعلم التأثيل في الدراسات اللغوية العربية أمر لا بد منه إذا أردنا أن نؤرخ للمفردة العربية تأريخا تأثيليا دقيقا.

= توطنت في العربية بتأثيلها على غرار معالجتهم أصول الكلمات الدخيلة فيها ولا فرق. فنحن حينما نعالج كلمة دخيلة مثل /هيكل/ ونقول إنها من السومرية وإنها مركبة فيها من /إي/ "بيت" و/جَل/ "كبير"، ثم نقتفي الأثر الذي سلكته هذه الكلمة حتى دخولها العربية، فإننا بذلك نؤرخ للكلمة بردها إلى أصلها أولا ثم باقتفاء الأثر الذي سلكته حتى توطنت في العربية ثانيا. الأمر نفسه ينطبق على التراكيب والتعابير الأجنبية التي دخلت اللغة العربية من اللغات الأوربية الحديثة، مع فارق أن اللغات التي اقترضت منها العربية ألفاظا هي أكثر من اللغات التي استعارت منها تراكيب وتعابير، وأقدم منها بكثير أيضا. فبينما استعارت العربية من لغات كثيرة مثل السومرية والبابلية والفارسية واليونانية والآرامية، اقتصرت استعارة التعابير والتراكيب الأجنبية – عموما – على الإنكليزية والفرنسية. وبينما شملت استعارة الألفاظ الأجنبية جميع العصور التي عرفتها العربية، اقتصرت استعارة التعابير والتراكيب على العصر الحديث فقط، علما أن بعض العبارات والتراكيب الإنكليزية والفرنسية التي توطنت في العربية هي بدورها عبارات وتراكيب مستعارة من لغات أوروبية حديثة كالألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها، أو من لغات قديمة كاليونانية واللاتينية. من ذلك قولنا (حجر الزاوية): من الإنكليزية Cornerstone أو الفرنسية angulaire pierre. ومثله في الألمانية Grundstein/Eckstein وكذلك في الهولندية hoeksteen. وكذلك قولنا: (أنقذ الموقف): من الإنكليزية to save the situation أو الفرنسية sauver la situation. ومثله في الألمانية die Situation retten وكذلك في الهولندية de situatie redden. وكذلك قولنا (قتل الوقت): من الإنكليزية to kill time أو الفرنسية tuer le temps. ومثله في الألمانية die Zeit totschlagen وكذلك في الهولندية de tijd doden، ومثله كثير. وقد جمعت الدكتورة وفاء كامل فايد – أستاذة الآداب في جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة - أكثر من أربعة آلاف تعبير اصطلاحي في معجمها الرائع (معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة) الذي صدر سنة ٢٠٠٧، وهو معجم مبني على مدونة نصوص ضخمة من كل الأقطار العربية تقريبا. والمعجم مادة خصبة لاقتفاء الأثر الأجنبي في التعابير الاصطلاحية العربية واستبدال ما دخل العربية منها بطريقة عشوائية مثل (/لعب دورا/ < to play a role) الذي استبدل فيما بعد على ألسنة الكثيرين من الكتاب – وليس كلهم – بـ /يُؤدي دورا/، فهذا الأخير يمثل توطينا في العربية أجود من /لعب دورا/، ومثله كثير.

(١) انظر (١٩٦٠) Haywood J.A. صفحة ١. ويعزو مؤرخ المعاجم العربية، المستعرب هايود، نشأة صناعة المعجم الأوربي الحديث إلى تأثر اللغويين الأوربيين بالمستشرقين الذين اشتغلوا بالمعاجم العربية. (المصدر ذاته، الصفحة ١١٥ وما يليها).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٢. علم اللغة المقارن:

يقوم علم اللغة المقارن على أربعة أصول هي: الصوتيات والصرف والنحو والمعجم[(١)]. والقرابة اللغوية التي لا تثبت على أساس هذه الأصول الأربعة ولا تحكمها قوانين صوتية مطردة لا تكون قرابة لغوية بل مجرد صدفة. وأسرة اللغات الجزيرية أسرة لغوية قديمة تتكون من فرعين الفرع الشرقي (ومنه الأكادية والأوغاريتية والآرامية والعبرية والفينيقية والحبشية والعربية وغيرها) والفرع الغربي (ومنه المصرية القديمة والأمازيغية وغيرهما). وقد ذهب أكثر الباحثين إلى أن أصل هذه اللغات كان في الجزيرة العربية[(٢)]. ترتبط لغات هذه الأسرة اللغوية الكبيرة بقرابة لغوية ثابتة صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا، مما يفترض انحدارها من لغة أم كانت تستعمل في الجزيرة العربية قبل تفرق القبائل المتحدثة بها وهجرتها إلى العراق والشام ومصر والمغرب[(٣)]. وقد اهتدى الباحثون إلى تصوّر هذه اللغة الأم المفترضة بمقارنة اللغات الجزيرية ببعضها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي، وأطلقوا عليها اسم "اللغة السامية الحامية الأم" (Proto-Hamito-Semitic)[(٤)]. ونصطلح نحن على تسميتها بـ (اللغة الجزيرية الأم)[(٥)].

---

(١) انظر (١٩٦٨) .Barr J، الصفحة ٧٦.

(٢) انظر (١٩٢٣) .De Lacy O، الصفحة ٦.

(٣) قارن أيضا ابن حزم (ابن حزم ١٩٨٠، جزء ١ صفحة ٣٠): "إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حِمْيَر، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي، وإذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها. ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة. وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله. ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق. فنجدهم يقولون في العنب: العينب وفي السوط أسطوط. وفي ثلاثة دنانير ثلثدا. وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة. وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمداً إذا أراد أن يقول محمداً. ومثل هذا كثير. فممن تدبر العربية والعبرانية السريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل". وابن حزم من أوائل العلماء الذين انتهوا إلى عامل القرابة اللغوية بين العربية والعبرانية السريانية وحاولوا تعليلها علميا.

(٤) انظر (١٩٦٤) .Moscati S، صفحة ١٥-١٦.

(٥) يوجد إجماع بين دارسي اللغات الجزيرية مفاده أن معرفة العربية شرط رئيس لمعرفة اللغات الجزيرية، بما في ذلك العبرية والسريانية. واللغة الجزيرية الأم، وهي لغة افتراضية توصل إليها بمقارنة اللغات الجزيرية على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى المعجمي كما تقدم، تبدو للباحث وكأنها العربية، بل إنها في حقيقة الأمر ليست إلا العربية تقريبا.. فلقد أثبت البحث العلمي في علم اللغة المقارن أن العربية ــ وحدها، وبعكس كل اللغات الجزيرية . احتفظت: ١. على المستوى الصوتي: بكل الأصوات الجزيرية الأصلية إلا حرفا واحدا احتفظت به =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ويعتقد، في بعض الأوساط العلمية، أن هنالك قرابة بعيدة بين أسرة اللغات الجزيرية من جهة، وأسرة اللغات الهندية الأوربية من جهة أخرى، إذ توجد نظرية لغوية مفادها أن اللغات الجزيرية من جهة، واللغات الهندية الأوربية من جهة أخرى، تعود كلها إلى أصل لغوي واحد، هو لغة افتراضية اصطلح على تسميتها بـ "اللغة النوصطراطية" أو (The Nostratic Language).[(١)] وقد جمع مولر في كتابه "قاموس مقارن للغات الهندية الأوربية والسامية"[(٢)]، معظم الجذور المشتركة بين هذه اللغات، واهتدى إلى القوانين الصوتية التي تحدد القرابة اللغوية بينها. وقد طور هذه النظرية وهذبها برونر في كتابه "الجذور المشتركة للمفردات الجزيرية والهندية الأوربية"[(٣)]. ويبدو من هذين الكتابين أن القرابة اللغوية (أي المعجمية) ثابتة بين اللغات الجزيرية واللغات الهندية. وقد اهتدى الباحثان أعلاه إلى بعض

= الحميرية؛ ٢. على المستوى الصرفي: بكل الأبنية الجزيرية الأصلية بناء ولفظا وكذلك صيغ الأفعال (أضافت العربية إليها صيغ المجهول باطراد وهذا تطور مخصوص بها)؛ ٣. على المستوى النحوي: بالإعراب (بالتنوين وأصله بالتمِّيم ما عدا في المثنى فأصله بالتنوين)؛ ٤. على المستوى المعجمي: بكل الجذور الجزيرية الأصلية تقريبا. والناظر في اللغات الجزيرية وفي اللغة الجزيرية الأم كما تم تصورها وإعادة بنائها في كتب بروكلمان ونولدكة ورايت وموسكاتي وغيرهم (وهي الكتب المرجعية في هذا المجال)، يجد أنها لا شيء إلا العربية تقريبا. والمتمعن في ذلك يرى بوضوح أن العلاقة التاريخية بين العربية الفصيحة من جهة، وبين اللغات الجزيرية مجتمعة (ما عدا الأكادية في عهودها الأولى أي من حوالي ٢٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) من جهة أخرى، ليست أكثر أو أقل من العلاقة الحالية بين العربية الفصيحة من جهة، واللهجات العربية الحالية من جهة أخرى.. وهذه المقارنة مثيرة للاهتمام حقا، ولقد انتهينا إلى ذلك بعد إجراء مقارنات دقيقة جدا بين العربية الفصيحة من جهة، وبين العبرية والسريانية واللهجتين الشامية والمصرية من جهة أخرى. وما ينطبق على المقارنة بين العربية الفصيحة والعبرية والسريانية من جهة، وبين العربية الفصيحة واللهجتين الشامية والمصرية من جهة أخرى، ينطبق على كل اللغات الجزيرية (ما عدا الأكادية في عهودها الأولى أي من حوالي ٢٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) وكل اللهجات العربية. مثال: الوزن السامي الأصلي (فَعْلٌ):

اللغة الجزيرية الأم	الأكادية:	العربية	العبرية	اللهجة الشامية/المصرية
ʻabd-um	ʻabd-um	ʻabd-un	ʻeħbed	ʻabed

والملاحظ أن العربية والأكادية لغتان معربتان وأن الإعراب في الأكادية بالميم (تمِّيم) وفي العربية بالنون (تنوين). أما العبرية فأهملت الإعراب مثلما أهملته اللهجتان المصرية والسورية. والنتيجة هي التقاء الساكنين (الباء والدال في /عَبْد/) وهذا لا يجوز في كل اللغات الجزيرية. لذلك استغنت اللغات الجزيرية التي أهملت الإعراب من جهة، واللهجتان المصرية والسورية اللتان أهملتا الإعراب أيضا من جهة أخرى، عن مخرج الإعراب (um/un) بإضافة كسرة خفيفة ممالة نحو الـ e بين الباء والدال (ebed/ abed) التخلص من التقاء الساكنين. وتشذ السريانية عن ذلك لجعلها أداة التعريف (وهي ألف المد) آخر الكلمة فيقال: عَبْدا =ab-dā مما يلغي مشكلة التقاء الساكنين مع الإشارة إلى أن السريانية ليس فيها إعراب. وقد أدت هذه العلاقة بالمشتغلين باللغات الجزيرية من المستشرقين إلى الاستنتاج بأن جزيرة العرب مهد القبائل الجزيرية وأن العربية حافظت على خصائص الجزيرية الأم حتى كادت أن تكون إياها.

(١) انظر (١٩٦٤) .Moscati S، الصفحة ١٧.

(٢) انظر: (١٩١١) Hermann Möller.

(٣) انظر:(١٩٦٩) Linus Brunner.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

القوانين الصوتية التي تحكم التطور الحاصل في مفردات تلك اللغات. من تلك القوانين الصوتية: /التاء/ في اللغات الجزيرية تجانس تأثيليا /التاء/ و/الثاء/ في اللغات الهندية الأوربية. مثال:

الأكادية: /فيتُ (petu)/ [وأصلها: /بَتَحَ/ بالـ p، وقد حالت الكتابة المسمارية دون رسمها كما كانت تلفظ] "فتحَ"؛ العربية /فتَحَ/؛ العبرية: פתח = /باتَح (pātaħ)/ "فتحَ" [السريانية وكل اللغات الجزيرية تقريباً: ܦܬܚ = /فِتَح/ "فتحَ"]؛ المصرية القديمة: /فْتِح (pteħ)/؛ اليونانية **πετάννυμι** = petánnumi "فتَح، انفتحَ، توسَّع"؛ اللاتينية: patēre "انفتح؛ تفتّحَ؛ توسّعَ" وكذلك pandere "فتحَ؛ وسَّعَ" [بالإضافة إلى بعض اللغات الأوربية الأخرى][1].

وعودة إلى اللغات الجزيرية، نستحضر أن القرابة اللغوية في علم اللغة المقارن تثبت بناء على أربعة أصول هي الصوتيات والصرف والنحو والمعجم كما تقدم. وسوف نتوقف عند كل من هذه الأصول الأربعة، ونمثل عليها في حدود هذه المقالة.

١.٢. الصوتيات:

يراد بالصوتيات العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية دراسة وصفية ويصنفها حسب مخارج حروفها. ويبدو من الدراسات الجزيرية المقارنة أن اللغة الجزيرية الأم تحتوي على تسعة وعشرين حرفا وردت جميعها في الحميرية، ثمانية وعشرون منها في عربيتنا (انظر أدناه). تنظم القرابة بين اللغات الجزيرية قوانين صوتية كثيرة تعين الباحثين على استشفاف القرابة بجلاء من جهة، وتصور الأصوات الأصلية في اللغة الجزيرية الأم من جهة أخرى. إن القوانين الصوتية المنظمة للقرابة مطردة اطرادا ملفتا للنظر كما يبدو من هذا القانون الصوتي:

١.١.٢. (حرفا الشين والسين):

كل حرف /شين/ في اللغة الجزيرية الأم: يبقى في العربية: /شين/، ويصبح في العبرية: /سين = שׂ/، وفي السريانية: سين = ܣ.

ونمثل على هذا القانون الصوتي بالجذر /ب ش ر/، فقد ورد في الأكادية هكذا: /بِشْرُم/[2] "لحم"؛ وفي الأوغاريتية: /بَشَر/ "لحم"؛ وفي السريانية: ܒܣܪܐ = /بِسْرا/ "لحم"؛

---

(١) إلى جانب القرابة المعجمية هنالك تجانس واضح وقرابة بنوية ملحوظة بين اللغات الجزيرية من جهة، واللغات الهندية الأوربية، وأهمها اشتراك الأسرتين اللغويتين في الظواهر النحوية العامة مثل تصريف الأفعال وإعراب الأسماء والجنس والعدد وظواهر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها هنا.

(٢) الميم الصغيرة في نهاية الكلمات الأكادية والكلمات المنسوبة إلى اللغة الجزيرية الأم، هي علامة الإعراب الذي هو بالميم (تمّيم) وليس بالنون (تنوين) كما هو الحال عليه في العربية. والتميم هو الأصل وقد انقلبت الميم نونا في العربية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وفي الحميرية: /بَسَر/ "لحم"؛ وفي العبرية בשׂר = /باسار/ "لحم" وفي العربية /بَشَرٌ/ "البشر". والأصل في هذا الجذر هو /بشر/ كما هو واضح، أي بالشين التي انقلبت فيما بعد سيناً في بعض اللغات الجزيرية.

يلاحظ أن الأكادية التي دونت ابتداء من الألفية الثالثة قبل الميلاد، وكذلك الأوغاتية التي دونت ابتداء من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وردت فيهما الكلمة بالشين الأصلية: /بِشْرُم/، باطراد /بَشَر/ بمعنى "لحم" في كلتيهما. ويلاحظ أيضا أن العربية الشمالية – وهي من آخر اللغات الجزيرية تدوينا، وردت فيها الكلمة بالشين الأصلية: /بَشَرٌ/ ولكن بمعنى "البشر". ويستنتج أيضا أن هذا الجذر في التراث اللغوي الجزيري المشترك يفيد في أصله معنى: "اللحم" وكذلك "الكائنات المخلوقة من لحم؛ البشر". فصار هذا الجذر يؤدي في العربية معنى "البشر". ولكن لا يخفى على أحد أن العربية لا تزال تحتفظ بمعنى "اللحم" في قولنا "بَشَرة الجلد"[1] وقولنا "نحن بشر: من لحم ودم" الخ. و"البَشَرَة" هي "جلد" الإنسان الذي يغطي لحمه. وهنا نستنتج أن العربية احتفظت بحرف الشين كما جاء في المفردات الموروثة عن اللغة الجزيرية الأم، وأن العبرية والسريانية والحميرية أحالته سينا. كما نستنتج أن العربية احتفظت أيضا بالمعنيين الأصليين للجذر /بشر/ وهما "اللحم" و"البشر"، وأن معنى "البشر" طغى فيها على معنى "اللحم" الذي تؤديه في العربية كلمة (اللحم). ونستنتج أيضا أن مثل هذا الطغيان المعنوي لمعنى على معنى موجود أيضا في عبرية التوراة التي تؤدي فيها كلمة בשׂר = /باسار/ معنى "اللحم"، لكنها جاءت في مواضع أخرى بمعنى "البشر" الأصلي الذي ثبت في العربية[2].

---

(١) قارن "بَشَرَة" بـ" أديم" وهو الجلد، يقال: أديم الأرض وجهها، وكذلك بـ "الأَدَمَة" وهي باطن الجلد الذي يلي اللحم، والبشرةُ ظاهرها الخ. ومنه اشتق اسم "آدم" في اللغات الجزيرية. و"بنو آدم": "البشر". وفي العبرية: בן־אדם = /بِن آدام/ "ابن آدم"، والقائمة تطول. فللجذرين /بشر/ و/أدم/ علاقة عضوية، وليست اشتقاقية، في الدلالة على الشيء ذاته: الإنسان).

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر سفر تثنية الاشتراع الإصحاح ٥ الآية ٢٣ أو ٢٦ حسب ترتيب آخر: כָל־בָּשָׂר אֲשֶׁר שָׁמַע קוֹל אֱלֹהִים חַיִּים. النقحرة: كُلْ بَسَر أَشِر شَمَع قُولْ إِلُوهِيم حَيِّيم. الترجمة الحرفية: "كل البشر الذين سمعوا قول الآلهة الأحياء [الحية]". ومن الملاحظ هنا أيضا أن هذه الآية نعتت /إِلُوهِيم/ وهو "الإله المعبود بحق عند اليهود" بـ /حَيِّيم/ وهذا الثاني جمع مذكر سالم وهذا محال في "جمع الجلالة" لأن جمع الجلالة لا يشمل الصفات، مما يجعلنا نعتبر هذه الآية من آثار الوثنية عند قدامى اليهود. وقارن ترجمة الكلمة بـ "البشر" بقول مروان بن جناح القرطبي في كتاب الأصول (١٨٧٥: ١١٦)، حيث يفسر الآية التوراتية: ויברך כל בשר = /ويبرك كل بِسِرْ/ (= ويبارك جميع البشر/الخلق) بما يلي: (كتاب الأصول، ص ١١٦): "ויברך כל בשר: جميع البشر أي جميع الخلق، أعني الناس منها. זכר ונקבה מכל בשר: من جميع الخلق [غير الناس]. אני בשר [أني بِسِر أي "أنا بشر"!]. כי יהיה בעור בשרו أيضاً يريد إنساناً كما يقال له أيضاً אדם [آدام "آدم"!]، لأن البشر يقع في لغة العرب أيضاً على الواحد وعلى =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٢.١.٢. (حرف الضاد):

من منا لم يسمع أن العربية "لسان الضاد"؟ الإشارات في كتب اللغة والأدب كثيرة[(١)]، فحرف /الضاد/ عنوان للعربية. ومع ذلك فإن حرف /الضاد/ ليس مخصوصا بالعربية وحدها كما يُظن. فلقد كان حرف /الضاد/ موجودا في كل اللغات الجزيرية، إلا أنها أهملته بل دمجته بـ /الدال/ تارة و/الظاء/ تارة أخرى، إلا العربية الشمالية والعربية الجنوبية (الحميرية والحضرمية والقتبانية والسبئية)، والعربية الوسطى (اللحيانية والثمودية) بالإضافة إلى الأوغاريتية والحبشية، فلقد احتفظت هذه اللغات بحرف الضاد.

إذن حرف /الضاد/ موجود في العربية بلهجاتها الكثيرة، وفي الحبشية وهي خليط من العربية واللهجات الإفريقية بعد هجرة قدامى اليمنيين إلى إفريقيا. أما الأوغاريتية فورود /الضاد/ فيها ملفت للنظر، ذلك أن الأوغاريتية لغة جزيرية كانت تستعمل في غربي سورية ابتداء من مطلع الألفية الثانية قبل الميلاد، واحتفاظها بحرف /الضاد/، بعكس كل اللغات الجزيرية الشمالية، قد يعتبر دليلا على أن الأوغاريتيين لم يكونوا من الكنعانيين، بل كانوا عربا هاجروا إلى الشمال وقهروا الكنعانيين وأسسوا الدولة الأغاريتية في رأس شمرا غربي سورية. ومما يعضد هذا الاحتمال القوي، أن للأوغاريتية أبجديتين: واحدة باثنين وعشرين حرفًا لكتابات العامة، وأخرى بثمانية وعشرين حرفًا لكتابات الخاصة، فضلا عن شدة شبه لغتهم بالعربية. وهذا وغيره ما يجعلنا نعتقد بأن ملوك الأوغاريتيين كانوا عربا غزوا غربي سورية وأنشئوا فيها مملكتهم، فاستعملوا الأبجدية ذات الثمانية والعشرين حرفا لكتاباتهم هم، وتركوا عامة الكنعانيين الذين كان الأوغاريتيون يحكمونهم يكتبون بأبجدية تحتوي على اثنين وعشرين حرفا تماما مثل الأبجدية الفينيقية والآرامية والعبرية[(٢)]. لذلك نرى حرف الضاد قد اختفى من الفينيقية والآرامية والعبرية وسائر اللغات الكنعانية، تماما مثلما اختفت حروف /الظاء/ و/الخاء/ و/الثاء/ و/الذال/ و/الغين/ من الفينيقية والآرامية والعبرية من جهة، ومن معظم اللهجات العربية المحكية اليوم من جهة أخرى..

= الجميع وعلى الذكر وعلى الأنثى...". إذن اكتشف ابن جناح، في القرن العاشر للميلاد، أن בשר في בשרו تعني "إنسان". ولأن ابن جناح اكتشف أن בשר تجانس "بشر" العربية اشتقاقياً، ولأنه اعتمد هذه المجانسة الاشتقاقية في شرحه آيات التوراة، فإنه أردف ترجمته لـ בשר في בשרו "بإنسان" بشرح كلمة "بشر" في اللغة العربية بقوله "لأن البشر يقع في لغة العرب أيضاً على الواحد وعلى الجميع وعلى الذكر وعلى الأنثى".

(١) يقول المتنبي: (ما بقومي شُرفت بل شُرفوا بي = بنفسي فخرت لا بجدودي. وبهم فخر كل من نطق الضاد = وعوذ الجاني وغوث الطريد). ويقول البارودي: (فلا حَدٌّ يُباعدُنا = ولا دين يفرقُنا. لسانُ الضادِ يجمعنا = بغسان وعدنان).

(٢) انظر كتاب غوردون المرجعي في دراسة اللغة الأوغاريتية: (١٩٥٥) .Gordon C.H.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وأما في العبرية، فقد اندمج حرف /الضاد/ هو و/الظاء/ مع حرف /الصاد/ كما يبدو من هذا المثال (قارن: צבי = /صبي/ ويجانسه في العربية /ظبي/ وצחק = /صحق/ ويجانسه في العربية /ضحك/). وهنالك إجماع بشأن ذلك بين المشتغلين باللغات الجزيرية، مفاده أن الأصوات الجزيرية الأصلية هي تسعة وعشرون حرفًا، ورد جميعها في الحميرية فقط. أما عربيتنا الشمالية فتحتوي على ثمانية وعشرين حرفاً منها. والحرف التاسع والعشرون الموجود في الحميرية وغير الموجود في العربية، هو حرف بمنزلة بين منزلة /السين/ ومنزلة /الشين/ في النطق، ولا يعرف أحد كيف كان يلفظ في الماضي، ذلك لأن الحميرية لغة مندثرة (ويقابله في العبرية حرف الـ ס /ساميك/، الذي كان يلفظ مثل الـ שׂ /سين/، إلا أنهما أصبحا صوتاً واحداً في العبرية لعلة اندثار العبرية قرونا طويلة قبل إحياء اليهود لها).

إذن الأصوات الجزيرية تسعة وعشرون صوتا صامتا احتفظت الحميرية بها كلها والعربية الشمالية بثمانية وعشرين منها. أما العبرية والسريانية والآرامية والبابلية وغيرها من اللغات الجزيرية فلقد دمجت بعض الحروف ذات المخارج المتقاربة ببعضها لتصبح صوتا واحدا في النطق وحرفين اثنين في الكتابة (مثل الـ ס /ساميك/ والـ שׂ /سين/ في العبرية على سبيل المثال). ومن أمثلة ذلك في العبرية، بالإضافة إلى اندماج الضاد بالصاد والظاء الذي تقدم ذكره: اندماج الحاء بالخاء. مثلا: חתם = /حتم/ ويجانسه في العربية /ختم/؛ חתף = /حتف/ ويجانسه في العربية /خطف/. وكذلك اندماج العين بالغين. مثلاً: עצם = /عصم/ ويجانسه تأثيليا /غمض/. وأصل هذه /العين/ العبرية هو /الغين/ كما سنرى أدناه. ومما زاد في الطين بلة عجز اليهود الغربيين (الأشكناز) عن نطق /العين/ الجزيرية فجعلوا منها /همزة/ قطع فصار حرف /العين/ في العبرية يدل على ثلاثة أصوات جزيرية أصلية هي /العين/ و/الغين/ و/الألف/ (همزة القطع). ومثله في البلبلة المحدثة: خلط حرف /الحاء/ بحرف /الخاء/ بحرف /الكاف/ المخففة اللفظ التي تكون آخر الكلمة (مثل מלך = /مِلِخ/ بدلا من /مِلِك/ "مَلِك")، فصاروا يلفظون חמור هكذا: /خَمُور/ (بحرف /الخاء/ مثلما لفظوا /كاف/ מלך = /مِلِخ/ خاء وذلك بدلا من /حَمور/ (= حِمار.

وعليه فإن حرف الضاد حرف أصيل في الجزيرية الأم، احتفظت العربية الشمالية والحميرية والأوغاريتية والحبشية به، بينما اندمج في سائر اللغات الجزيرية مع /الصاد/.

٢.٢. الصرف:

يراد بالصرف علم أبنية الكلمات وتركيبها وبيان الأحرف الأصلية والزائدة منها. وقد استعار اليهود والسريان وغيرهم نظام النحو العربي كما وضعه الخليل وسيبويه لمعالجة

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لغاتهم، واستعملوا – فيما استعملوا – الجذر/فعل/لضبط أوزان الكلام وتوصيفها. كما اعتمد المستشرقون من بعد على النظام اللغوي العربي لتوصيف اللغات الجزيرية، ووظفوه في الدراسات الجزيرية المقارنة وكذلك في توصيف نحو كل لغة من تلك اللغات على حدة.

والصرف ذو أهمية كبيرة لفهم تطور الأبنية اللغوية صرفيًا ودلاليًا. لنأخذ على سبيل المثال الأوزان الجزيرية التالية الموجودة في كل اللغات الجزيرية بصيغ مختلفة نسبيا: فَعْل/فِعْل/فُعْل، ولنتأمل في الجدول التالي:

الوزن/ الجزيرية الأم	الجزيرية الأم	الأكادية	العبرية	السريانية	العربية
فَعْلُم	كَلْبُم	كَلْبُم	כלב = كِلِب keleb	ܟܠܒܐ = كَلْبا	كَلْبٌ
فِعْلُم	سِفْرُم	سِفْرُم	סֵפֶר = سِيفِر sēfer	ܣܦܪܐ = سِفْرا	سِفْرٌ
فُعْلُم	أُذْنم	أُذْنم	אֹזֶן = أُوزِن ōzen	ܐܕܢܐ = أُزْنا/أُدْنا	أُذْنٌ

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأوزان الثلاثة تسمى في النحو العبري: "بنات السيغولات" (أو:nomina segolata)، والسيغول هو الحركة الممالة إمالة سريعة نحو الكسر (وهي الـ e في ōzen). تجمع هذه الكلمات في اللغتين جمع تكسير على /فِعال/. إلا أن العبرية نَظَّمت جمع التكسير وجعلته مطرداً فيها بإضافة لاحقة جمع المذكر السالم: "ِيم = ים" كما يبدو من כְּלָבִים = /كِلابِيم/ التي تطورت كما يلي:

כלב = /كِلِب/ > כְּלָב = /كِلاب/ > כְּלָבִים = /كِلابِيم/. فكلمة /كِلابِيم/ مجموعة مرتين، مرة جمع تكسير ومرة بإضافة لاحقة جمع المذكر السالم: "ِيم = ים" إلى جمع التكسير (كِلاب – كِلابِيم).

لننظر أيضا في صيغ التعدية (أَفْعَلَ/هَفْعَلَ/سَفْعَلَ)، فنلاحظ معها أن العربية احتفظت بطائفة من الألفاظ التي يقول فيها اللغويون الأوائل[(١)] إن /الهاء/ فيها تبدل من /الهمزة/. من تلك الألفاظ: إيّاك/هِيّاك؛ إنّ/هِنَّ (قارن العبرية: הנה = /هِنّيه/)؛ هَيْر/أَيْر (= الصَّبا)؛ أَيا/هَيا (للنداء) الخ. ونجد هذا الإبدال في الأفعال المزيدة مثل: أَرَاق/هَراق؛ أنارَ/هَنار؛ أراحَ/هَراح؛ أرادَ/هَراد الخ. كما نجد أفعالاً مزيدة وقع فيها إبدال السين من

---

(١) انظر، على سبيل المثال: ابن جني (١٩٨٥: ٥٥١ وما يليها).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الهمزة أيضاً مثل سَلْعَفَ، سَقْلَبَ وسَلْقَيَ.

بالمقارنة مع اللغات الجزيرية نجد أن /الهمزة/ و/الهاء/ و/السين/ وردت فيها لتعدية الفعل اللازم، وعليه فإن /السين/ و/الهاء/ في اللغات الجزيرية تجانسان /ألف/ تعدية الفعل الناقص في العربية مثل ماتَ/أماتَ. فحرف /السين/ هو حرف التعدية في الأكادية ولهجتيها البابلية والآشورية (مثلاً: أُشَشْكِن، من الجذر: /شكن، سكن/)، وفي الحميرية (القتبانية: سَعْذَب من الجذر /عذب/)، وفي الآرامية القديمة (שלהב = /شَلْهِب/، من الجذر /لهب/)[1]، وفي الأوغاريتية (لَحَمَ "طَعِمَ"، شَلْحَمَ "أطعمَ"). وورد في العبرية (שבלול = /شَبْلُول/ من الجذر /بلل/)، وفي السريانية: (ܣܩܒܠ = /سَقْبِل/ من الجذر /قبل/) وهو نادر في الأخيرتين ندرته في عربيتنا (بعكس الحميرية وغيرها من لهجات العربية الجنوبية). وحرف /الهاء/ هو حرف التعدية في العبرية (הקדיש = /هِقْدِيش/ وأصله: /هَقْدَشَ/ على وزن /أَفْعَلَ/ ويعني "قَدَّسَ")، وفي الآرامية القديمة (הנפק = /هَنْفِق/ من الجذر /نفق/ وتعني فيها "أخرج"، والإنفاق إخراج الدراهم)، وفي الحميرية (السبئية: /هَعْذَب/ من الجذر /عذب/)، وفي اللحيانية (/هَوْدَقَ/ من الجذر /ودق/ "قَرَّبَ قُرْباناً). أما /الألف/ فيرد في العبرية (أراقَ/هَراقَ)؛ وفي الحبشية (/أسْتَيَ/ "سَقى"، من الجذر /ستي/؛ وفي السريانية (ܐܠܒܫ = /أَلْبِشْ/ من الجذر /لبش/ "أَلْبَسَ").

ويلاحظ في هذا السياق أن وزن أَفْعَلَ/هَفْعَلَ/سَفْعَلَ يأتي في اللغات الجزيرية للتعدية وللصيرورة أيضاً مثل "أصبحَ، وأحصدَ الزرعُ" الخ. ومثله في العبرية: השמין = /هِشْمِين/ "أَسْمَنَ" أي صار سميناً، وفي الحبشية: /أَمْسَلَ/ "أَمْثَلَ"، صار مثله في الحديث، الخ.

٣.٢. النحو:

يراد بالنحو العلم الذي به يعرف تركيب الجمل وطريقة تركيبها ومواقع المفردات وأقسام الكلم فيها. ونحو اللغات الجزيرية متطابق تقريباً إلا أن النحو العربي أشمل من نحو جميع اللغات الجزيرية مجتمعة. والقوانين النحوية والمعجمية مطردة وتنطبق على كل اللغات الجزيرية تقريبا (للأكادية وضع متميز في مجال الصرف مثل العربية).

إن لغة "أكلوني البراغيث"، على سبيل المثال، هي القاعدة المطردة في إسناد الفعل إلى الفاعل في اللغات الجزيرية. ولكن العربية عطلتها فيما بعد لالتقاء الفاعِلَيْن، وهو تطور لغوي مخصوص بالعربية دون سائر اللغات الجزيرية. مثال عن ذلك في عبرية التوراة، ما

---

(١) من الألفاظ التي لا تزال مستعملة في لهجات الشام. وهي البلاد التي كانت الآرامية فيها تحكى قبل تعربها. كلمة "شَلْهُوبة" وتعني "الحريق". يقال: "عَلَّق/شَلْهَبْ شَلْهُوبةِ" أي أنشأ حريقاً. ومعنى "شَلْهِبْ" الدقيق هو "أَلْهَبَ" أي "أثار اللهبَ"؟

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

جاء في سفر التكوين، الإصحاح العشرين، الآية الثالثة عشرة (والكلام في الآية منسوب إلى إبراهيم الخليل عليه السلام في حديثه مع أبي مالك بشأن زوجته سارة):

וַיְהִי כַּאֲשֶׁר הִתְעוּ אֹתִי[1] אֱלֹהִים מִבֵּית אָבִי, וָאֹמַר לָהּ, זֶה חַסְדֵּךְ אֲשֶׁר תַּעֲשִׂי עִמָּדִי: אֶל כָּל-הַמָּקוֹם אֲשֶׁר נָבוֹא שָׁמָּה, אִמְרִי-לִי אָחִי הוּא. النقحرة: وَيْهِي كَأَشِر هِتْعوا أوتي إِلُوهِيم مِبَيْت أبي، وَأُومِر لَهْ زِه حَسْدِيك أَشِر تَعَسِي عِمَّدي: إِلْ كُلْ هَمَّقُوم أَشِر نَبُوء شَمَّه، إِمْري لي: أَخِي هُو. الترجمة الحرفية: "وكان عندما أتاهوني الآلهة من بيت أبي أن قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إلي في كل مكان ندخله: قولي عني هو أخي". فورد الفعل هِتْعوا (= أتاهوا) بصيغة جمع المذكر الغائب لأن الفاعل هو إلوهيم جمع /إِلُوَه/ "إله".

إذن ليست لغة "أكلوني البراغيث" حالة شاذة بحاجة إلى كثير تأويل وتبرير كما فعل النحويون الذين برروا ورود هذه اللغة في القرآن الكريم وجعلوا الفاعل الثاني بدلا، بل هي القاعدة المطردة في إسناد الفعل إلى الفاعل في اللغات الجزيرية، ومنها العربية، كما تقدم.

٤.٢. المعجم:

تشترك اللغات الجزيرية مع بعضها في النسبة العظمى من الجذور الأولية في اللغة وتبلغ عدة آلاف جذر وكلمة[2]. وتتوزع المادة المشتركة على جميع نواحي الحياة البدائية. طبعا ثمة كلمات دخلت من لغات غير جزيرية خصوصا السومرية[3] والفارسية[1] اللتين اتصلت

---

(١) أوتي = إياي. إن الحرف את أداة نصب في العبرية ترد قبل المفعول به، وتجانس في العربية أداة النصب (أو ضمير النصب) "إي" في "إيّاك نعبد وإياك نستعين الآية"، مع فارق أنها لا تأتي في العربية إلا مع ضمائر النصب التي تكون بدلاً من الاسم المنصوب لتوكيده، بينما تستعمل في العبرية مع الضمائر: (א(ו)תנו = إيانا)، ومع الاسم المفعول به كما نقرأ في الآية الأولى من سفر التكوين: (בראשית ברא אלהים את־השמים ואת־הארץ: بِرِشِيت بَرَأ إِلُوهِيم إِتْ هاشَّمايْم وِإِتْ هاإِرِصْ "في البدء /خلقَ اللهُ السماوات والأرض"). فالمفعولان بهما (هاشمايم "السماوات" وهاأرص "الأرض") مسبوقان بأداة النصب את.

(٢) جمع المادة المشتركة في اللغات الجزيرية المستشرق الفرنسي دافيد كوهين في كتابه: .David Cohen (١٩٧٠) Dictionnaire des racines sémitiques ou attestées dans les langue dans les langues sémitiques. Paris. Mouton. La Haye "معجم الجذور السامية كما هي في اللغات السامية". وهذا عمل تراكمي شارك في وضعه جيل من المتخصصين في المادة، وهو أهم معجم شامل يعالج المادة اللغوية المشتركة في اللغات الجزيرية.

(٣) ومن الكلمات السومرية الدخيلة في العربية وكثير من اللغات الجزيرية: هيكل (وهي كلمة مركبة من /إي/ "بيت" و/جال/ "كبير") . ملاح ــ أَجَمَة (= الشجر الكثير الملتف) . أَكّار (= الحرّاث) . آنُك (= الرصاص)، تموز (= شهر، من دومزي، إله الزراعة في الأساطير السومرية)، إران (= تابوت، ومنه ארון: /أَرُون/ "تابوت العهد عند اليهود") . تنُّور . سَدين (= الصوف) . صِير (= شق الباب عند ملتقى الرّتاج والعِضادة) . فخار ــ فَرْزَل ــ قَرطالة، قَرطَلَّة (= عدل الحمار، ومنه في العامية الشامية "قَرْطَل" وهو سلة توضع فيها الفواكه خصوصاً العنب والتين) . كِتّان . كُرسي . كَمُّون . كُور (= مجمرة الحداد) . مَنا (= معيار قديم للكيل) . نَقّاد (= الراعي). انظر: (١٩٦٩) .Delitzsch F.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

اللغات الجزيرية بهما، وانتشرت في معظم اللغات الجزيرية، إلا أن تلك المفردات سهلة التقصي والضبط. والقرابة بين اللغات الجزيرية في مجال المفردات ثابتة تنظمها قوانين صوتية كثيرة يُرجع إليها في كتب الدراسات المقارنة للغات الجزيرية خصوصا كتاب بروكلمان وكتاب موسكاتي[٢].

وبيدو من مقارنة الجذور الجزيرية عموما ببعضها بعضا أن الجذور الجزيرية الشرقية من جهة (الأكادية والعربية والعبرية الخ)، والجذور الجزيرية الغربية (المصرية القديمة والأمازيغية والكوشية) من جهة أخرى، كانت ثنائية الأصل. ولقد حافظت اللغات الجزيرية الغربية على ثنائية البناء، بينما تطورت الجذور الجزيرية الشرقية لتصبح ثلاثية البناء. وعليه فلا بد من رد الأصول الجزيرية الثلاثية البناء إلى الأصل الثنائي البناء لاستشفاف التجانس التأثيلي بين الجذور الجزيرية الشرقية والجذور الجزيرية الغربية والقرابة بالعين المجردة. ولا تخفى علينا أمثلة في العربية (وسائر اللغات الجزيرية الشرقية) مثل الجذر/ج م/ الذي يفيد"الجمع" والذي يتحدد معناه بالحرف الثالث المضاف إليه مثل /جمع/ و/جمل/ و/جمم/ الخ، ومثل /ق ص/ الذي يتحدد معناه بالحرف الثالث المضاف إليه أيضا مثل /قصص/ و/قصم/و/قصر/ الخ، ومثل قريبه في اللفظ والمعنى/ق ط/ الذي يتحدد معناه بالحرف الثالث المضاف إليه أيضا مثل /قطع/ و/قطش/ و/قطر/ والأمثلة كثيرة، مع الإشارة إلى أن هذه الأفعال وبهذه الصيغ موجودة في أكثر اللغات الجزيرية، فلا داعي إلى الاسترسال في التمثيل والبرهنة.

وبتطبيق هذا المنهج، أي رد الجذر الثلاثي إلى جذر ثنائي، على كلمة/أيور/ التي تعني بالأمازيغية "هلال"، نلاحظ أن هذه الكلمة الثنائية الأصل مشتقة من الجذر الجزيري الغربي الثنائي/ور/ الذي يجانسه في اللغات الجزيرية الشرقية تأثيليا الجذر الأصلي /ور/ الذي ثُلِّثَ بإضافة الخاء إليه ليصبح/وَرْ(خٌ)/. وهذا الأخير هو اسم "القمر" و"الشهر" في اللغة الجزيرية الأم؛ والهلال منزلة من منازل القمر. إذن ولّد الجذر الجزيري الأصلي/ور/ في اللغات الجزيرية الغربية كلمات عديدة تدل كلها على معاني "القمر" و"الشهر" و"التاريخ"، وهذه كلها معان متقاربة متصلة ببعضها بعضا اتصالا منطقيا لأن القوم كانوا يؤرخون على منازل القمر، فالتأريخ كان ولا يزال عند خلفهم على منازل القمر والقمر هو "الشهر" لأن دورته تكون في شهر واحد و"التأريخ" محسوب عليهما. (قارن الأكادية /وَرْخُ/ وكذلك /أَرْخُ/ "قمر، شهر"؛

---

(١) الكلمات الفارسية الدخيلة مثلا فردوس وغيرها. نظر الجواليقي (١٩٩٠).

(٢) انظر (Brockelmann ١٩١٣) و(Moscati ١٩٦٤).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الحبشية /وَرْخ/ "قمر، شهر"؛ الأوغاريتية /يَرْخ/ "قمر، شهر"؛ العبرية: יֶרַח = /يَرَح/ "قمر، شهر"؛ الفينيقية: /يَرَح/ "شهر" وأخيرا السريانية: ܝܪܚܐ = /يَرحا/ "شهر").

وبالنظر إلى هذه الأمثلة نرى أن الواو الجزيرية الأصلية بقيت في الأكادية والعربية والحبشية/واو/ بينما أصبحت في العبرية والأوغاريتية والفينيقية والسريانية/ياء/ وهذه قاعدة مطردة لأنها قانون صوتي مطرد أيضا، إلا أن عجيب الاتفاق وقع بين العربية والأكادية (٢٩٠٠ قبل الميلاد) حيث انقلبت الواو فيهما أيضا ألفا: /وَرَّخَ/ و/أَرَّخَ/ في العربية، و/وَرْخُ/ و/أَرْخُ/ في الأكادية. وهذا كثير في اللغتين ومثله في العربية: /وَلَّف/ وهو الأصل و/أَلَّف/. وإذا أمعنا النظر في الجذر /ور/ وتأملنا فيه أكثر واسترسلنا في التأمل آخذين بعين الاعتبار القاعدة التأثيلية المطردة وهي أن الجذور الجزيرية كانت ثنائية البناء ثم أضيف إليها حرف ثالث لتحديد المعنى وتدقيقه، فإن النظر والتأمل يفضيان بنا إلى اكتشاف وجود جذور أخرى مشتقة منه تدل كلها على ألفاظ ومعان متقاربة مثل :

١. /ور/ + /أ/ = /أور/ وهو "النور/النار" وكذلك "ضوء النهار" في اللغات الجزيرية، ومنه في العربية "أُوار" في قولنا "أذكى أوار النقاش" أي قدح زنده وألهبه حدة، و/أَوَّرَ/ "أشعل" الخ؛ ومنه في اللغات الجزيرية: (الأكادية: /أُورُ/ "نور، نهار"؛ الأوغاريتية: /أُور/ "نور، نهار"؛ الآرامية: ܐܘܪܐ = /أُورا/ وكذلك العبرية: אוֹר = /أُور/ "نور، نهار").
٢. /ور/ + /ن/ = /نُور/.. والقائمة طويلة فنكتفي بهذا القدر.

وقد يفضي بنا الحفر إلى استشفاف القرابة بين الأصل الثنائي الجزيري الغربي /ور/ وبين الفعل /رأى/.. إلا أن ذلك يتطلب حفرا أكثر في أعماق الجذر لأن تغييرا في منازل الأحرف من الجذر وقع إلا أن المعنى بقي فـ/ الرؤية/ لا تكون إلا بـ /النور/.

واستطرادا في موضوع ثنائية الجذور نذكر مثالا آخر عن اختزال الجذر الثلاثي بجذر ثنائي كي تستشف القرابة اللغوية بين اللغات الجزيرية الغربية والشرقية، كلمة: /الإيمان/ المشتقة في العربية والعبرية والسريانية وغيرها من الجذر /أمن/ وهو جذر ثلاثي. أما في المصرية القديمة فهو مشتق من الجذر الثنائي/م ن/. إذن الألف مضافة لتحديد المعنى لأن المعنى العام للجذر الثنائي/من/ هو "التصديق"، أما "الإيمان" فهو حالة خاصة من التصديق ينبغي تمييزها فميزوها بإضافة الألف إلى الجذر الثنائي /من/ ليصبح ثلاثيا: /أمن/. ومن/أمن/ اشتقت كلمة /إيمان/ وكلمة /آمين/، وهي كلمة تختم بها الصلوات معناها "إني أصدق وأثبت على الإيمان". ويستعملها المسلمون والنصارى واليهود باللفظ ذاته والمعنى ذاته. (قارن في الحبشية: /أَمَنَ/ "ثبتَ" (بضم الباء)؛ الحميرية: /أمنت/ "أمانة"؛ السريانية:

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ܐܡܝܢ = /أمين/ "ثابت، قوي، سرمدي"؛ العبرية: אמן = /آمِن/ "آمين" وكذلك אמנם = /أمنَم/ "حقا"). ومن المصرية القديمة /من/ "ثبت، صدق" اشتق أيضا اسم الإله المصري القديم "آمون"، الذي كان يعبد في "نو"، والذي ورد في اسم الفرعون "توت عنخ آمون".

هذا فيما يتعلق بالجذور الجزيرية الشرقية والغربية (المصرية القديمة والأمازيغية والكوشية). أما فيما يتعلق بالجذور الجزيرية الشرقية الثلاثية البناء، فإن نسبة القرابة والتجانس قد تكون (أ) مطلقة أي باللفظ والمعنى مثل فعل /كتب/، فهو في كل اللغات الجزيرية من الجذر /ك ت ب/ ويعني فيها "الكتابة"؛ أو (ب) بالتضاد مثل /وثب/ الذي يعني "جلس" في معظم اللغات الجزيرية، ومثل /أبى/ ومعناه في اللغات الجزيرية "وافق، قَبِلَ"، أو (ج) بتغيير طفيف يطرأ على ترتيب الحروف مثل /حَنَش/ في العربية الذي يجانسه /نحش/ في العبرية؛ أو في الحروف ذاتها مثل /قتل/ في العربية الذي يماثله في العبرية /قطل/ – بالطاء. وثمة، وهذا مهم، (د) ألفاظ تطورت بتطور الشعوب الجزيرية الاجتماعي مثل /لحم/ الذي تعني في العربية "لحم" وفي الآرامية والعبرية "خبز". وسنمثل أدناه على هذه الدرجات من التجانس بين اللغات الجزيرية.

١.٤.٢. التجانس المطلق:

ونقصد به تجانس الجذور وتماثلها وتطابقها في المبنى والمعنى. ونمثل على ذلك بالجذرين (ألل) و(أله) اللذين اشتقت منهما الألفاظ الدالة على الإله المعبود بحق عند الشعوب الجزيرية.

الجذر الأول: /إل+ل/. الأكادية: /إِلُ(م)/؛ العبرية אֵל = /إيل/؛ الفينيقية والأوغاريتية: /إلّ/؛ السريانية: ܐܝܠܐ = /إيلا/؛ العربية: /إلٌّ/ وهو الله سبحانه وتعالى[1]. ويؤنث هذا اللفظ في العربية وفي اللغات الجزيرية على /إِلَّةٌ/.

واسم مدينة "بابل" بالأكادية: /باب إِلِّيم/ أي "باب الآلهة"[2]. ويرد الاسم في العبرية كثيراً في أواخر الأسماء مثل إسماعيل وميكائيل وإسرائيل، وورد في العربية في أسماء مثل ياليل وشرحبيل.

الجذر الثاني: /إل+هـ/. العبرية: אלוה = /إِلُوَه/ (elōah)، وانحراف اللفظ في العبرية

---

(١) انظر معنى /إلّ/ في الآية الكريمة: لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذِمة. سورة التوبة الآية ١٠. وكذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما تُلي عليه بعض من كلام مسيلمة: "إن هذا لشيء ما جاء به من إلّ. انظر مادة (ألل) في لسان العرب.

(٢) ولا علاقة لاسم "بابل" بحكاية بلبلة الألسن الواردة في التوراة لا من بعيد ولا من قريب، فهذا اشتقاق شعبي.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مصدره انقلاب ألف المد قبل حروف الحلق إلىoa. (وهذا اللفظ نادر الورود في التوراة بالمفرد وكثير الورود فيها بصيغة الجمع هكذا: אלהים = /إلُوهِيم/. ويرى علماء التوراة في جمع اسم الإله فيها مشكلة لاهوتية عويصة ويرى بعضهم أن ذلك "جمع جلالة")؛ الآرامية والسريانية ܐܠܗܐ = /إلاها/ "الإله"، والألف نهاية الكلمة الآرامية/السريانية للتعريف؛ العربية: /إله/، /إلاه/. وأصل لفظ الجلالة "الله": الإله. وحذفت الهمزة وفخمت اللام في اللفظ للتوكيد الشديد على تفرد اللفظ للدلالة على الإله المعبود بحق تمييزاً للاسم من غيره من الأسماء التي تطلق على الأوثان. ومن ثم استعمل للعلمية والله أعلم.

إذن نحن إزاء جذرين اثنين واحد ثنائي والآخر ثلاثي. وربما يكون الجذر الثنائي هو الأصل فأضيفت إليه الهاء كما أضافوها إلى الأم (/أم/ – /أمه/) وذلك في سائر اللغات الجزيرية أيضا مع فارق أن هاء /أم/ في العربية واللغات الجزيرية لا تظهر فيها إلا في حالة الجمع[1]. أما العلاقة بين /ألل/ و/أله/ من جهة، و/ألي/ بمعنى "القسم"، فهي غير واضحة.

٢.٤.٢. الأضداد:

لا نقصد هنا التضاد داخل اللغة الواحدة ـ فهذا موجود في أكثر اللغات الجزيرية على حدة ـ إنما نقصد التجانس بالتضاد بين اللغات الجزيرية كأن يعني الجذر المقابل لجذر ما في لغة ما ضد معناه في تلك اللغة، مثل الجذر /وثب/ الذي يعني في العربية "قفز"، بينما يعني في اللغات الجزيرية الأخرى "جلس" وبالتالي "سكن" (قارن الأكدية /وشابُ/ "جلس، سكن"؛ الأوغاريتية /يثب/ "جلس، سكن"؛ العبرية ישב = /يَشاب/ "جلس، سكن"؛ الحميرية /وشب/ "جلس، سكن"؛ الحبشية /أوسَبَ/ على وزن أفعل: "تزوج" بمعنى أن الزواج يؤدي إلى الاستقرار في مكان ما فالسكن فيه. ومنه: (رأس المثيبة) لرئيس اليهود في الدول الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي وما تلاهما. و(المثيبة): الجالية المقيمة. وهذه الكلمة بهذا المعنى تعريب للكلمة العبرية ישיבה = /يِشِيبا/ بلفظ الباء v، عربها اليهود لاستعمالهم الخاص

---

(١) تجمع (أُمٌّ) في العربية على أُمَّات وأُمَّهات. جاء في لسان العرب (مادة: أمم): (الأُمَّهات) فيمن يعقل، و(الأُمَّات) فيمن لا يعقل، فالأُمَّهات للناس والأُمَّات للبهائم. والأصل في هذه الكلمة هو (أُمّات) بدون الهاء لأنها مضافة إلى الكلمة في حالة الجمع فقط. ولقد أكثروا من استعمالها بالهاء للآدميات من الأمّهات، وبدون الهاء للبهائم مثل قولهم (أُمّات الكَيْك) للدجاجات وغير ذلك. والكَيْك: البيض. ومن الجدير بالذكر أن إضافة الهاء في جمع /أمّ/ مطردة في السريانية والعبرية وغيرهما من اللغات السامية (مثلاً: אם – אמהות = إم – إمهوت)، إلا أن العربية تفرّدت باحتفاظها بالشكلين معاً: (أُمّات) وهي الأصل، و(أُمّهات) وهي الفرع الذي طغى على الأصل في الاستعمال وذلك دون إلغاء الأصل في الدلالة على الآدميات من الأمهات مثل قول جرير في هجاء الأخطل: (لقد وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سَوْءِ ----- مُقَلَّدة من الأُمَّاتِ عارا)، أو الفرع في الدلالة على البهائم مثل قول ذي الرمة: (رَمى أُمَّهات القُرْدِ لَذْعٌ من السَّفا ----- وأَحْصَدَ من قِرْبانِه الزَّهَرُ النَّضْرُ).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجاريا)

للدلالة على الجالية المقيمة كما تقدم.

إذن يعني /وثب/ في كل اللغات الجزيرية: "جلس" وبالتالي "سكن"، بينما يعني في العربية "قفز، نطَّ". وهذا يفسر النكتة المشهورة في كتب اللغة من أن أحد ملوك اليمن قال لعربي من عرب الشمال: (ثِب). وهو يقصد (اجلس). فقفز ذلك العربي وسقط على رأسه ومات.. فقال الملك: (من دخلَ ظفار حَمَّرَ) أي تكلم بالحميرية لا بالمضرية، عربية عرب الشمال — عربيتنا.

٣,٤,٢. إبدال بعض الحروف:

يجانس الفعل العربي /قتل/ بناءً ومعنى الفعل الآرامي/السرياني ܩܛܠ = /قِطَل – بالطاء – وكذلك العبري קטל = /قاطَل/ كله "قَتَلَ". ومثله /حنش/ الذي يقابله في العبرية נחש = /ناحاش/ (من الجذر: نحش). وهنا نلاحظ أن إبدال بعض الحروف من بعضها لا يؤثر في المعنى. صحيح أن /ناحاش/ العبرية تعني "أفعى" وليس "حنش"، ولكن هذا لا يؤثر على القرابة البادية بين اللفظتين.

٤,٤,٢. تطور المفاهيم حسب البيئة الاجتماعية:

تتطور بعض المفاهيم الأساسية ذات المعاني المشتركة في اللغة الجزيرية الأم وتكتسب معاني مختلفة نتيجة للتطور البيئي والاجتماعي لهذا الشعب الجزيري أو ذاك. من ذلك الجذر الجزيري المشترك /لحم/. فكلمتنا (لَحْم) من التراث اللغوي الجزيري المشترك، وأصلها /لَحْمُم/.

قارن الأكادية: /لِيمم/ (وأصلها: لحمم لأن الكتابة المسمارية لا تظهر الحاء) ومعناها: "ذوق"؛ والأوغاريتية: /لَحْم/ "خبز، طعام"؛ والسريانية: ܠܚܡܐ = /لَحْما/ "خبز، طعام"؛ والعبرية: לחם = /لِحِم/ "خبز، طعام"؛ وأخيرا العربية: /لَحم:/ "اللحم".

يتضح جليا من الاستقراء الأولي لهذا الجذر أنه يعني "الطعام" بمعنى: "مادة الغذاء الرئيسية"، وكان هذا "الطعام" عند أوائل الجزيريين "اللحم" لأنهم كانوا بدوا، والبدوي يصطاد ويشوي ويأكل كما هو معلوم، ولا يزرع القمح أو يعالجه خبزا.. وتحول مفهوم هذه الكلمة الدلالي نتيجة لتطور حياة الجزيريين الاجتماعية، فدل عند قوم على "اللحم"، وعند قوم على "الخبز"(١). فالآراميون والعبران تمدنوا قبل عموم عرب الشمال (تحضر عرب الجنوب قبل عرب الشمال بقرون كثيرة)، وانتقلوا من حياة البداوة والصيد إلى حياة

---

(١) يختلف "الطعام الأساسي" في العربية اليوم باختلاف التقاليد المحلية، فهو عند المصريين "الخبز أو العيش"، وهو عند المغاربة "الطعام أو الكُسكُس" المصنوع من دقيق القمح الخ.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الاستقرار والفلاحة، فتطور مفهوم /لحم/ ـ الذي كان يدل عندهم على المادة الغذائية الرئيسية ــ من /لحم/ إلى /خبز/ كما يبدو جليا. ويؤدي الإمعان في الاستقراء والتحليل إلى الجزم بأن معنى هذا الجذر الجزيري الأصلي هو "اللحم" وليس "الخبز". وهذا يُستشف بجلاء من معاني "التحمَ" و"لُحمة" و"ملحمة" في العربية. وقد جاءت الكلمة في العبرية بمعنى اللحم أيضا وهو نادر فيها: ولחום = /لِحُوم/ "لحم" (سفر أيوب الإصحاح ٢٠ الآية ٢٣). وجاء في التوراة (سفر القضاة، ٨:٥): לחם = /لحم/ "معركة"، ومنها أيضاً في العبرية: מלחמה = /مَلْحَماة/ "ملحمة" بمعنى "معركة"، ومنها أيضاً في العبرية לחם = /لاحَم/ "عارَكَ، حاربَ، التحمَ"! والمعركة، عند الأقدمين، كانت بطعن "لحم" المقاتلين "الملتحمين" بالسيف والرمح وما إليهما من آلة الحرب القديمة[(١)].

٣. ضرورة توظيف علم اللغة المقارن في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية

١.٣. من أجل التأثيل للمفردات:

ونقصد به التأريخ التأثيلي للفظة وهو غير التأريخ الزمني لها. فالتأثيل يؤصل اللفظة بردها إلى جذرها بالمقارنة مع ما يجانسه من جذور ومفردات في اللغات الجزيرية (مثلا: /لغة/)، ويفتح آفاقا للاجتهاد (مثلا: /عرب/)، بينما يختص التأريخ الزمني للمفردة بتتبع تاريخها منذ ضبط وجودها في الكتب والمدونات. فالتأريخ التأثيلي للكلمة ينظر في أصلها الذي سبق ظهورها في الكتب، والتأريخ الزمني لها ينظر في تاريخها منذ ظهورها في الكتب. والغاية من الأول معرفة اشتقاق اللفظة في اللغة والنظر فيما يجانسها مبنى ومعنى في اللغات التي تكون معها أسرة لغوية واحدة، والغاية من الثاني هو التأريخ لظهور تلك اللفظة في الأدب بمفهومه الأوسع، والحمولات الدلالية التي اكتسبتها تلك اللفظة عبر القرون وكذلك ما اشتق منها من مفردات وضبط ذلك كله وفق منهج علمي واضح ودقيق. وللتمثيل على التأريخ التأثيلي للكلمة ننظر في كلمتي (ترجمة) و(عرب).

يقول ابن منظور في "ترجمان"[(٢)]: "الترجمان، بالضم والفتح،: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من إلى لغة أخرى، والجمع التَّراجم، والتاء والنون زائدتان". ويقول ابن منظور أيضاً في مادة /رجم/: "الرَّجْم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم... والرَّجْم: القول بالظن والحدس...

---

(١) قارن الفرق في المعنى بين /بشر/ و/لحم/ في اللغات الجزيرية من جهة، بين الفرق في المعنى بين الكلمتين الإنكليزيتين: flesh و meat من جهة أخرى، حيث تؤدي الأولى معنى "اللحم البشري" والآخر "اللحم الحيواني" الذي يؤكل. وهذا من عجيب الاتفاق في التطور الدلالي وليس الاشتقاقي.

(٢) ابن منظور (بدون تاريخ: مادة /ترجم/).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وراجَمَ عن قومه: ناضلَ عنهم". ويقول ابن دريد[١] : "ورَجَمَ الرجلُ بالغيب، إذا تكلم بما لا يعلم. وأَرْجَمَ الرجل عن قومه، إذا ناضل عنهم... والمراجم: قبيح الكلام؛ تراجمَ القومُ بينهم بمراجمَ قبيحة، أي بكلام قبيح". وباستقراء الجذر /رجم/ في اللغات الجزيرية يتبين أن معناه الأصلي "الكلام، المناداة، الصياح، القول الغريب، التواصل". فكلمة "تُرْجمُانُ" في الأكادية ـ وهي أقدم اللغات الجزيرية تدوينا ـ مشتقة فيها من الجذر /رجم/، والتاء والنون فيها زائدتان. أما في الأوغاريتية فيعني الجذر /رجم/ فيها "الكلام". والمعنى الغالب للجذر /رجم/ في العربية هو الرجم بالحجارة إلا أن أهل التفسير يقولون إن "الرجم" في هذا المقام هو السباب. فالرجيم هو "المشتوم المسبوب". ويفسرون قوله تعالى "لَئِن لم تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّك" أي "لأَسُبَّنَّك". وهذا يعني أن "الرجم" فعل لساني (أي كلام) وليس فعلاً يدوياً (أي رجم بالحجارة أو بغيرها).

إذن: المعنى الاشتقاقي الأصلي للاسم /ترجمان/ وللفعل /ترجم/ هو "الكلام غير المحدد". فهو "الصياح" في الأكادية و"الكلام والقول" في الأوغاريتية "والظن" في العربية (الرجم بالغيب) وكذلك "السب والشتم والتَّراجُم أي التراشق بالكلام القبيح". وعندي أن "الكلام غير المحدد" بقي "كلاماً غير محدد" حتى اليوم لأن معنى "التُّرْجُمان" الأول هو المترجم الشفهي الذي يترجم كلاما غير محدد سلفا، أي غير مفهوم، بين اثنين يتكلمان لغتين مختلفتين، ويفسره باللغة المفهومة لهما. وهو كذلك في الأكادية والعبرية والسريانية والعربية[٢]. وعن الشعوب الجزيرية أخذ اليونان كلمة "ترجمان"، وعنهم أخذها الإيطاليون ثم الفرنسيون والإنكليز كما يبدو من الجدول التالي:

اللغة	الأصل	النطق
الأكادية	"تَرْجُمانُ"	مثله. الواو فوق النون علامة الرفع في الأكادية. مثل العربية
الأوغاريتية	رجم	غير معروف. ومعنى الجذر فيها: "الكلام"
العبرية	תרגמן	تُرْجُمانْ
الآرامية القديمة	תרגמנא	تُرْجِمانا (والألف في نهاية الكلمة للتعريف)

(١) ابن دريد (١٩٨٧: ٤٦٦ وما يليها).

(٢) إذن معنى الترجمة الشفهية سابق لمعنى الترجمة التحريرية كما نرى وهذا ثابت في آثار الأكاديين والسريان والعبران والعرب كما يستشف من قول أبي الطيب المتنبي: (مَغاني الشَّعبِ طِيباً في المغاني = بمنزلةِ الربيع مِنَ الزّمانِ. ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها = غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ. ملاعبُ جِنَّةٍ لو سارَ فيها = سليمانُ لَسارَ بِتُرجمُان). قار أيضا قول الراجز: (ومَنْهَل وَردتُهُ التِقاطا؛ لم ألقَ، إذ وَرَدْتُه، فُرّاطا؛ إلا الحمامَ الوُرْقَ والغطاطا؛ فَهُنَّ يُلغِطنَ به إلغاطا؛ كالتُّرجمُان لَقِيَ أنباطا). انظر ابن منظور (بدون تاريخ: مادة رجم وترجم).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

السريانية	ܬܪܓܡܢܐ	تَرْجْمونُا (والألف في نهاية الكلمة للتعريف)
العربية	تَرجمُان / تُرْجُمان	مثله
اليونانية	**Δραγουμανος**	Dragoymanos
الإيطالية	Dragomano	مثله
الفرنسية	Drogman / Dragoman	مثله
الإنكليزية	Dragoman	مثله

لقد دخلت كلمة (ترجمان) اللغات الأوربية في القرن السادس عشر وكانت وقتها تشير إلى الترجمان الذي كان يعمل لدى السلطان العثماني للترجمة بينه وبين الأوربيين. وللكلمة في اللغات الأوربية أشكال كثيرة نقتصر الآن على ذكر بعضها كالألمانية التي جاء فيها Dragoman وTrutzelmann، والفرنسية التي جاء فيها Dragoman وDrogman وTruchman والفرنسية التي جاء فيها Dragoman وTrucheman وTruchement ومثل ذلك في معظم اللغات الأوربية كما تقدم. وأول من مارس مهنة الترجمة في التاريخ هم الأكاديون الذين اضطروا إلى ترجمة بعض المصطلحات السومرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكتابة المسمارية التي اخترعها السومريون، فترجموها إلى لغتهم الأكادية. ومما حفظ الدهر لنا من أوابد الأكاديين ألواحاً تحتوي على مسارد لغوية باللغتين السومرية والآكادية. وهكذا نرى أن علم صناعة المعجم ولد مع علم الترجمة وظلَّ يلازمه حتى اليوم.

اللفظة الثانية التي نريد النظر فيها للتدليل على أهمية التأريخ التأثيلي، كلمة (عرب). لقد ورد اسم العرب في الأكادية هكذا: /عَريبُ/ و/عَرُوبُ/ و/عَرابي/. وأقدم ذكر لعرب الشمال كان في ألواح الملك الآشوري سلمنصر الثالث سنة ٨٥٣ قبل الميلاد، التي ذكرت فيما ذكرت الأمير العربي"جُندب" الذي تحالف مع ملك دمشق الآرامي، المتحالف بدوره مع "أحاب" ملك إسرائيل ضد الآشوريين. وقام الملك الآشوري سلمنصر الثالث بحملة عسكرية لتأديبهم وانتصر عليهم بالفعل وأسر منهم الكثيرين، وخلد انتصاره عليهم بلوحة فنية رائعة محفوظة حتى اليوم ظهر فيها جُندبُنا هذا راكباً جملَه[(١)]. وورد اسم العرب لاحقاً في كتاب العهد القديم (سفر أشعياء، ١٣:٢٠) وفي كتب المؤرخين اليونان والرومان مثل هيرودوت وغيره. ووردت أسماء الكثير من الشخصيات العربية في كتب العهد القديم مثل سُلاميت وشُعَيب وغيرهما. ولعل أشهر العرب في العهد القديم النبي أيّوب – عليه السلام - الذي

---

(١) انظر فيليب حتي (١٩٥٨:٦٥).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يجمع شراح العهد القديم بشأنه بأنه ليس يهودياً. أما سِفر أيوب في العهد القديم فيكتفي بالقول إنه، أي أيوب، من أهل "عُوص" في الشرق. ولكن لنتأمل في الجذر المشتق منه اسم العرب في اللغات الجزيرية: (غ/ع ر ب): الأكادية: /عِريبو/ "غَرَبَ (الشمس)" العبرية: ערב: /عَرَب/ "غَرَبَ"، الإثيوبية: /عَرْبَ/ "غَرَبَ"، الأوغاريتية: /عرب/ "غَرَبَ"، الآرامية: מערבא = /مَعربا/ "المغرب" بمعنى المساء والعبرية: ערב = /عِرِب/ "المساء". ويقابل هذا الفعل بالعربية الفعل "غرب". ويلاحظ أيضاً أن الأكاديين سموا جهة الغرب /عِريب شمشِ/ أي "مغربُ الشمسِ". وترجم الكاتب اليوناني Hesychius هذه التسمية حرفياً إلى لغته بـ **Χώρά τής Δύσεως** (= Chorā tès Duseòs) "مغرب الشمس". لكن ترجمته الحرفية لم تحيَ كثيرا لأن القوم فضلوا استعمال الاسم المضاف في الجملة الأكادية أي /عِريب/ على ترجمته الحرفية، وحولوه ليتجانس مع أوزان لغتهم ويصبح في آخر المطاف **Εύρώπη** (Europé) الذي حور قليلاً في اللاتينية ليصبح هكذا Europa. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن الفعل الأكادي /آصُو/ "أشرق (الشمس)" (قارن في العبرية: יצא = /ياصا/ "أشرق") اشتق اسم القارة التي تشرق منها الشمس أي /آسيا/. ويقابل هذان الفعلان الأكادي والعبرية تأثيليا الفعل "وضأ" في العربية.

يلاحظ من هذه المقارنة السريعة أن فاء الفعل في اللغات الجزيرية حرف العين وفي العربية حرف الغين. والثابت أن حرف الغين كان موجوداً في اللغة الجزيرية الأم إلا أنه اختفى من البابلية والعبرية والآرامية وغيرها من لغات الشمال، مثله في ذلك مثل اختفاء الثاء والخاء والضاد والظاء والذال منها، والتي لم تحتفظ بكلها أو ببعضها إلا العربية والحميرية والإثيوبية. ويستدل من الترجمة السبعينية لكتاب العهد القديم إلى اليونانية في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، وهي أقدم ترجمة لكتاب العهد القديم إلى لغة أخرى، أن الغين كانت تلفظ في العبرية غيناً قبل اختفائها منها وانقلابها عينا، فقد نُقِل لفظ مدينة עמרה = /عُمورا/ إلى اليونانية هكذا (= Gomorrah) أو "غُمُورا ـــ مدينة قوم لوط (عم)" بالغين، وكذلك نُقحرت עזה = /عزة/ إلى اليونانية هكذاGazal. ولو كانت الغين وقتها تلفظ عيناً لكان اليونان كتبوها بحرف الـ O قياساً باستعمالهم حرف الـ O باطراد للدلالة على حرف العين في اللغات الجزيرية، والأمثلة كثيرة.

ويعرف شراح العهد القديم العرب على أنهم البدو الرحل. والثابت أن هذا التعريف غير صحيح لأن العرب ليسوا كلهم بدوا يرحلون من مكان لآخر بحثا عن مواطن الكلأ. والثابت أيضا أنه لا يوجد تعريف واضح لكلمة /عرب/ غير "سكان (الجزيرة) العربية". أما "العربية"

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فلا يعلم معناها الأصلي إلا الله. وكل حد لها إنما يكون من باب الاجتهاد. ولتحديد معنى /عرب/ المجهول، يمكن أن نجتهد ونعتبر الجذر (غرب/عرب) من الأضداد في اللغات الجزيرية بحيث يفيد معنى شروق الشمس (العرب/"معرب" الشمس أي مشرقها، ومن ثمة قولهم جزيرة العرب) وغروبها (الغرب/مغرب الشمس)"؟

٢.٣. من أجل إثبات أصالة الكلمة في اللغة:

إن ظاهرة الشعوبية المحدثة والشطط الحاصل في نسبة ألفاظ عربية بعينها إلى هذه اللغة الجزيرية أو تلك لأسباب تتعلق بأسبقية التدوين، ظاهرة أصبحت ملحوظة في المجلات والمواقع العنكبية.. وأسبقية التدوين لا يقول بها عالم. وأكثر من يقول بها الشعوبيون وبعض الكتاب الذين يكتبون "على البركة" مثل الأب رافائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩)، حيث يرد كل كلمة عربية ذات أصل جزيري مشترك إلى السريانية لأنها أقدم تدوينا من العربية.. وهذا مذهب فاسد لأنه يقتضي بالمنطق رد جميع الكلمات السريانية ذات الأصول الجزيرية إلى العبرية لأن العبرية أقدم تدوينا من السريانية. كما يجوز وفقا لذلك المذهب رد العبرية إلى الأوغاريتية لأنها أسبق تدوينا من العبرية، والأوغاريتية إلى الأكادية وهلم جرا. والباحث العربي الذي تفطن إلى هذا الأمر هو الأب أنستاس ماري الكرملي الذي يقول في هذا الصدد: "ولا تكون الكلمة العربية من العبرية أو الآرامية إلا إذا كانت تلك الكلمة خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل. أما الألفاظ العامة المشتركة بين الساميين جميعا، فليس ثم فضل لغة على لغة"[(١)].

ثم إن البحث العلمي أثبت أن العربية الشمالية – على الرغم من أنها أحدث تدوينا من سائر اللغات الجزيرية – أقدم من سائر اللغات الجزيرية أصواتا وصرفا ونحوا ومعجما، بما في ذلك الأكادية التي دونت ابتداء من مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد. ونستأنس في هذا السياق بقول النحوي السرياني أقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان في كتابه اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: "وأشهر اللغات السامية هي العربية والعبرانية والسريانية والحبشية بفروعهن الكثيرة [..] وإنما ذكرنا العربية أولا بين اللغات الجزيرية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأقدمهن وأغناهن. ومعرفتها لازمة لمن يريد أن يتقن [إتقانا] حسنا معرفة سائر اللغات السامية ولا سيما السريانية"[(٢)]. ويضيف: "ثم إننا لا نعتقد أن الآرامية هي أقدم اللغات السامية كما

(١) انظر الكرملي (١٩٣٨:٦٧).

(٢) انظر (داود (١٨٩٦:١٠).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

زعم قوم، وأقل من ذلك أنها أقدم لغات العالم كما زعم غيرهم بلا بينة ولا أساس. بل نثبت مع العلماء المحققين أن اللغة العربية هي التي تقرب إلى أم اللغات السامية أكثر من أخواتها"[(١)] .ويقصد أقليميس يوسف داود بالعلماء المحققين المستشرقين الذين قالوا بهذا الرأي الذي ينقله، ونذكر منهم شخولتنز ونولدكة وبرغشتراسر وبروكلمان ورايت ودي لاسي الذين أثبتوا هذه الحقيقة بالدرس المقارن للغات الجزيرية.

وللتمثيل على أهمية هذا الباب نتوقف قليلا عند الكلمات التالية: (لغة) و(أمة) و(هوية) و(قانون) التي قد يزعم زاعمون أنها من هذه اللغة الأجنبية أو الجزيرية أو تلك.

يشير الاستقراء في الجذور الجزيرية إلى أن الجذور كانت الأصل ثنائية كما ذكرنا، يضاف إليها حرف ثالث لتحديد المعنى. مثلاً: الجذر الثنائي /ج م/ يفيد ــ في أكثر اللغات الجزيرية ــ معنى "الجمع"، ثم أضيفت إليه حروف أخرى لتحديد المعنى فكانت الجذور الثلاثية /جمع/ و/جمم/ و/جمل/ الخ التي تفيد معاني فرعية دقيقة تدور كلها في المعنى العام ألا وهو "الجمع" كما مر معنا.

وإذا نظرنا في الجذر الجزيري الثنائي /لغ/، وجدنا أن المعنى العام له هو: "الكلام غير المفيد؛ الثرثرة؛ الكلام المبهم". وإذا أمعنا في الاستقراء وجدنا أن الشعوب الجزيرية أضافت إليه حروفا ثالثة للحصول على جذور ثلاثية مثل /لغط/ و/لغو/ و/لغز/ و/لغم/ و/لغي/ الخ. وتفيد هذه الجذور كلها في اللغات الجزيرية معاني تدور حول المعنى العام للجذر الثنائي /لغ/ ألا وهو "الكلام غير المفيد؛ الثرثرة؛ الكلام المبهم". لنتأمل هذه الجذور في اللغات الجزيرية:

١. /لغز/: يفيد هذا الجذر في العربية معنى "اللغز" المعروف، وهو الشيء المبهم والغامض. ويجانسه في العبرية: לעז = /لَعَز/ [وأصله: لَغَز بالغين] "تحدث بلغة مبهمة ومن ثمة أجنبية". والكلام الأجنبي غير المفهوم هو بمثابة "اللغز" على الجاهل به كما هو معلوم. ومنه في العبرية: לעז = /لُغِز/ "اللغة الأجنبية". ويجانسه في الآرامية القديمة: לעוזא = /لَعُوزا/ [وأصله: لغوزا] "التحدث بلغة أجنبية". ويجانسه في السريانية: ܠܥܙ = /لِعَز/ [وأصله: لِغَز] "تحدثَ بلغة أجنبية أيضاً"، وكذلك ܠܥܙܐ = /لَعْزا/ [وأصله: لَغزا] "اللغة الأجنبية". ومنه في العبرية أيضاَ לעז = /لَعَز/ [وأصله: لغز] بمعنى "غمزَ، لمزَ"[(٢)] .

---

(١) انظر (داود (١٨٩٦:١٣).

(٢) ولا يحتج بتفسير بعض الاشتقاقيين الشعبيين من اليهود لـ לעז = لعز على أنه منقحر من לשון עם זר = /لَشون عَم زَر/ أي "لسان شعب أجنبي"، فهذا اشتقاق شعبي لا أساس له.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

٢. /لغط/: يفيد هذا الجذر في العربية معنى "اللغط" المعروف، وهو الشيء السري. ويجانسه في العبرية: לעט = /لَعَط/ [وأصله: لغط بالغين أيضا] "بلعَ الكلام بَلعاً (أي تحدث بصوت غير واضح)". الأكادية /لَعاطُ/ مثله؛ والسريانية: ܠܘܥܛܐ = /لُوعاطا/ "ثرثرة"(١).

٣. /لغو/: يفيد هذا الجذر في العربية معنى "اللغو" المعروف، ومنه اشتقت /لغة/ وأصلها /لغوة/ وهو اسم المرة من "اللغو". ويجانسه في العبرية قطعا: לעע = /لَعَع/ [وأصله: لَغَغ] "لغا يَلغُو"(٢).

أما "لوغوس" (λόγος) فتذكر المعاجم اليونانية أن المعنى الحسي لها هو "اختار". أما معنى "تحدث" فهو مجازي فيها لأنه جاء فيها بمعنى "اختار الكلمات" ومن ثم "الكلام المختار" أي "الكلام المنطقي" (logic/logique). وعليه: فلا علاقة بين "لوغوس" اليونانية و"لغة" العربية، لا من قريب ولا من بعيد، لأن "لغة" عربية قحة تشترك العربية في أصولها مع أكثر أخواتها اللغات الجزيرية.

جاء في اللغات الجزيرية: (أُمّم) "الأُمُّ"، وهي كذلك في كل اللغات الجزيرية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كلا من الأكادية /أُمُّم/؛ الأوغاريتية /أُم/: الفينيقية /أم/ والعبرية אם = /إم/؛ الصفوية واللحيانية /أُمّ/ والسريانية ܐܡܐ = /إمّا/ وكله "الأم". واشتق من هذا الجذر أيضا (أمَّت) وهي "القبيلة، الشعب، الأمة"، وهي كذلك في الأكادية /أُمّانُم/ ومعناها في الأكادية "شعب، جيش"؛ وفي الأوغاريتية /أُمت/ "عائلة"؛ وفي العبرية والآرامية القديمة אמה = /أُمّا/ "أُمَّة؛ جنس؛ شعب"؛ وفي السريانية ܐܡܬܐ = /أُمّا/؛ وفي الحبشية /أمَّة/ "أُمَّة؛ قبيلة؛ شعب". ومن هذا الجذر كلمتنا (إمَّةٌ) بمعنى "القاعدة؛ القانون" وهي كذلك في الحميرية /إمّ/ "قانون؛ قاعدة" وكذلك في الحبشية /أمَّة/ "طبيعة؛ نية؛ قاعدة" وكذلك في السريانية ܐܡܘܡܐ = /أُموما/ "شكل؛ هيئة" وهي في العربية "أَمَّة" وهي كذلك من هذا الجذر. وجاء أيضا (أَمَّ) بمعنى "تصدر؛ تقدّمَ" ومنه (إمام) وهو أيضا معنى مشترك في اللغات الجزيرية. فهذه جذور مشتركة ذات معان مشتركة ولا تفسير للزعم بأن (أُمَّة) من هذه اللغة أو تلك، إلا الشطط.

---

(١) ومن ܠܘܥܛܐ = /لوعاطا/ "ثرثرة" في اللهجات الشامية ـ التي هي من بقايا الآرامية التي كانت تحكى في الشام قبل تعريبها: لَعَّ أي "ثَرثَرَ" وكذلك قول الشاميين: حاجِه تْلِعّْ أي "كفاك ثرثرة" وكذلك لَعْلُوع أي "ثرثار")!

(٢) وذلك بعد رد هذا الجذر إلى أصله الثنائي وذلك بإسقاط لام /لغو/ العربي ولام /لَعَع/ العبري ليصبح لدينا: /لغ/ وهو الجذر الثنائي لكل من /لغط/ و/لغو/ و/لغز/ و/لغم/ و/لغي/ الخ!

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أما كلمة (الهوية) فهي كذلك عربية الأصل وليس مستعارة السريانية كما قد يزعم، لا جـــدال في ذلك بين أحد من اللغويين المحققين. فهي مشتقة من (هُوَ) مكررة هكذا: (هُوَهُــوَ) للدلالة على التطابق والتماثل والتجانس. وهي بهذا المعنى ترجمة مستعارة (loan translation) من كلمة يونانية تدل على التطابق والتماثل والتجانس. والترجمة المستعارة ليست استعارة. ثم إن الكلمة الدالة على (الهوية) في السريانية هي ܗܘܝܕܘܬܐ = /هيكديوتا/، وشتان ما بين الكلمتين.

وقد أضاف الفلاسفة العرب إلى (هُوَهُوَ) أداة التعريف وضموا /الهاء/ فيها لتصبح الكلمة كما يلي: (الهُوهُو)! ويطلقونها على ما يطابق الشيء من كل وجه أي على الشيء المماثل والمطابق والمجانس لشيء آخر. وقد ترجم هذا (الهُوهُو) العربي كما ورد في كتب ابن سينا وابن رشد التي ترجمت إلى اللاتينية بـ (identicus) يعني identical بالإنكليزية و identique بالفرنسية. ثم اشتقوا من هذا (الهُوهُو) مصدرا صناعيا هكذا: (الهُوهُوية) ثم جعلوه (الهُوية) لخفة انذلاق هذه الأخيرة على اللسان. ومما يؤيد هذا القول ويعضده، قول الفيلسوف ابن رشد في تفسيره الكبير: "وإنما اضطر إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالوضع في جوهره، وهو حرف /هو/ في قولهم: زيد هو حيوان أم إنسان [...] واضطر إلى ذلك بعض المترجمين لأنه رأى دلالته في الترجمة على ما كان يدل عليه اللفظ الذي كان يستعمل في لسان اليونانيين بدل الموجود في لسان العرب بل هو أدل عليه من اسم الموجود وذلك أن اسم الموجود في كلام العرب لما كان من الأسماء المشتقة وكانت الأسماء المشتقة إنما تدل على أعراض خيل إذا دل به في العلوم على ذات الشيء إنما يدل على عرض فيه كما عرض لابن سينا فتجنب بعض المترجمين هذا اللفظ إلى لفظ الهوية إذ كان لا يعرض فيه هذا العرض"(١).

وللهوية معان اصطلاحية كثيرة لكن معناها هنا (الهوية/identity) تطابق الذوات أو – كما يقول ابن رشد في الصفحة ٥٦٠ من المصدر ذاته: (الهوية التي تدل على ذات الشيء). ومن ثمة أصبحت تدل على أناس يلتقون على مبادئ معينة ويتحدون بها وهي إما الجنس (مثلا الجنس الآري في القومية الألمانية/النازية) أو (الدين مثلا الديانة الكاثوليكية في القومية الإيرلندية) أو اللغة والثقافة (مثلا اللغة الفرنسية في القومية الفرنسية واللغة العربية في

(١) ابن رشد (١٩٨٣:٥٥٧). وانظر أيضا باب (القول في الهوية) الصفحة ٥٥٢ وما يليها.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

القوميـة العربيـة) أو الجـنس والـدين معـا (الجـنس اليهـودي واليهودية في الـصهيونية). ومـن الجدير بالذكر أن تفسير ابن رشد الكبير هذا ترجم إلى العبرية فترجمت /الهوية/ إلى العبرية ترجمة مستعارة هكذا: הואהות = /هُوهُوت/.

من جهة أخرى، ثمة كلمات عالمية مشتقة من اللغات الجزيرية أو من جذور جزيرية مشتركة قد نوفق في تحديد الأصل الجزيري لبعضها (مثل شك مساج [(١)]) وقد لا نوفق دائما في تحديد الأصل الجزيري لبعضها الآخر لعدم وجود قنوات واضحة دخلت عبرها الكلمة الجزيرية إلى هذه اللغة الأجنبية أو تلك. من ذلك كلمة (قانون). فكثيرا ما نسمع أن كلمة (قانون) معربة عن اليونانية (kan□n = **κανόν**) التي تعني فيها "قاعدة"، وفي الأصل: "خط للقياس". وبالنظر في أصل الكلمة يتضح أنها مشتقة من اليونانية (kan□n = **κανόν**) التي تعني فيها "قصب". وقد انتقلت هذه الكلمة اليونانية إلى اللاتينية (canon) ومن اللاتينية إلى أكثر لغات الغرب. وعند التدقيق في الكلمة اليونانية يتضح أنها مستعارة من اللغات الجزيرية، إذ جاء في الأكادية (مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد): /قَنُو/ "قصب"، وكذلك في العبرية קנה = /قانِه/ "قصب" أيضا. أما في الحبشية فتعني /قنوت/ = qanōt "عصا وخز" (لوخز الماشية في مؤخراتها وحثها على المسير). وأما في الفينيقية (= قنا) وفي الآرامية والسريانية (ܩܢܝܐ = /قَنْيا/) وأخيرا في العربية (= قناة، قنا) "الرمح". وأصل القناة: "العصا المستوية. قال في اللسان (مادة /قنا/): "وكل عصا مستوية فهي قناة". والعصا المستوية هي العصا التي يقاس بها ويرسم بها الخط المستقيم، وهذا معنى "قانون" الأصلي في اليونانية، أي "خط للقياس"، ثم استعمل مجازا ليدل على "القاعدة"؛ فثبت أخذ اليونان لها عن اللغات الجزيرية، ذلك أن اليونان جاؤوا ألفي سنة بعد الأكاديين الذين جاء في لغتهم: /قَنُو/ وهي القصبة المستقيمة.

٣.٣. من أجل إثبات عجمتها وشرح معناها الأصلي:

مثلما نضطر إلى نفي إثبات العجمة عن كلمة عربية بالبحث في أصلها وتأثيلها، كذلك ينبغي أن نثبت عجمة الكلمة الدخلية في العربية ونقتفي أثر دخولها في العربية وشرح معناها الأصلي إن أمكن ذلك. من ذلك كلمة (هيكل) التي دخلت العربية عبر الآرامية فيما نرجح، ذلك أن هذه اللفظة سومرية الأصل، مركبة فيها من E وهو "البيت" وGAL "كبير" [(٢)]. فالـ E-GAL هو "البيت الكبير"، "المعبد". ونرجح دخول اللفظة العربية عبر القنوات التالية:

---

(١) (شك): من العربي (صك)؛ (مساج): من العربي (مسد) ومثله كثير.

(٢) انظر المسرد السومري: Delitzsch F. (١٩٦٩)، مادة E-GAL.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

السومرية E-GAL > الأكادية /إِيكَلُم/ "معبد: هيكل" > العبرية היכל = /هِيكَال/ بلفظ الكاف خاء "معبد: هيكل" > الآرامية/السريانية ܗܝܟܠܐ =/هَيكْلا/ "معبد: هيكل" > العربية /هيكل/. وأما ما اشتق منها في العربية من ألفاظ مثل الهيكل العظمي وغيره، فهو عربي قح؛ فكل ما عدا /هيكل/ بمعنى "معبد: هيكل" في العربية هو اشتقاق عربي صرف.

ولا يقتصر ضبط أصل الكلمة على المفردات اللغوية فحسب، بل يشمل الأسماء والمفاهيم وسائر الكلام. ونمثل على الأسماء باسم عيسى ابن مريم عليه السلام. إن اسم "عيسى" في العبرية: ישוע = /يِشُوَع/. وقد اشتق هذا الاسم بدوره من الجذر العبري ישע = /يَشَع/ "خَلَّصَ، أنقذ"، الذي يجانسه – اشتقاقيا – في العربية الجذر /وسع/، ذلك لأن الأفعال التي فاءاتها ياءات في العبرية، تجانس تأثيليا الأفعال التي فاءاتها واوات في العربية، ولأن الشين العبرية تجانس السين في العربية. وهذا قانون صوتي مطرد. وأصل ישע = /يَشَع/ هو ושע = /وَشَع/ لأن أصل هذه الجذور بالواو وليس بالياء كما أثبت علم اللغة المقارن. و(الخلاص) و(الإنقاذ) إنما يكونان من الضيق والأزمة، وهذا هو المعني التأثيلي الأصلي للجذر /وسع/ في اللغة الجزيرية الأم وكذلك في العربية والعبرية. ولقد ترجم اليونان معنى اسمه إلى **Σωτήρ**(= Sotér) ومعناها "المخلص، المنقذ". فقولنا "المخلص" هو ترجمة عن اليونانية Soter التي هي بدورها ترجمة عن العبرية ישוע = /يِشُوَع/.

أما صفة (المسيح)، التي أطلقت على عيسى، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فهي أيضا من العبرية: משיח = /مَشِيَح/. والكلمة فيها مشتقة من الجذر السامي الأصلي (مَسَحَ)، ذلك لأن العادة لدى أوائل الشعوب الجزيرية كانت تقتضي مسح رأس الملك المتوج بزيت الزيتون المبارك. من ثمة تسمية عيسى بن مريم، عليه السلام، مسيحاً. ثم ترجم اليونان صفة "المسيح" إلى لغتهم ترجمة حرفية مستعارة فكانت **Χριστός** "خْرِيسْتُوس"، ومنها Christianity "الديانة المسيحية". إذن Christos في اللاتينية كلمة مستعارة من اليونانية فكانت**Χριστός** "خْرِيسْتُوس"، التي هي بدورها ترجمة مستعارة لكلمة משיח: /مَشِيَح/ في العبرية. من ثمة تسمية عيسى بن مريم، عليه السلام، مسيحاً. فكلمة مسيح (משיח = /مَشِيَح/) هي أصل، وكلمة**Χριστός** "خْرِيسْتُوس" وما اشتق منها هي ترجمة مستعارة[(١)].

٤.٣. من أجل تصويب مفاهيم خاطئة:

يدل مصطلح (عَلْمانية) في العربية اليوم على ثلاثة مفاهيم أصلية: (أ) مفهوم

(١) ومن الجدير بالذكر أن اليهود، فيما بعد، استبدلوا الاسم الأصلي لعيسي عليه السلام (ישוע = /يِشُوَع/) بـ ישו = /يِشُو/، المنحوت من ימח שמו = /يِمَّحْ شْمُو/ "لِيُمْحَ اسمه". وذلك للسخرية من اسمه عليه السلام.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

"العَلْمانيــة" (laicism) القــديم أي جعــل الــشيء عاميــا بعكــس الكهنــوتي؛ و(ب) مفهــوم "الدنيوية؛ الدهرية" (secularism) الذي نشأ في إنكلترا سنة ١٨٥١ و(ج) مفهوم الإيديولوجة العلمانية "اللائيكية" (laïcité) الذي أدخل في الاستعمال في فرنسا سنة ١٨٨٢ للدلالة على هذه الإيديولوجية فيها. وقد سبَّب تداخل هذه المعاني الثلاثة ثم وهمهم في نطق (العَلْمانية) بكسر العين (كذا: العِلْمانية) نسبة إلى العِلْم خلطا كبيرا في أذهان الناس، عامَّة وخاصّة[(١)].

ولا شك في أن أحد أسباب الخطأ في نطق (العلمانية) بكسر العين هو غرابة الكلمة من الناحية الصرفية أولا. فالكلمة ترجمة مستعارة لكلمة ܥܠܡܝܐ = /عَلْمايا/ "عالَماني/عَلْماني" نسبة إلى ܥܠܡܐ = /عَلْما/ "العالَم" كما أبنا ذلك في مقالة مطولة لم تنشر بعد. فترجموها ترجمة مستعارة في العربية بإضافة النون وياء النسبة بعد ألف المد الأولى في /عَلمايا/ لتبدو كأنها مشتقة على وزن (روحاني) و(نفساني) وحتى (سرياني).. ولما لم يكن في العربية (عَلْم) بمعنى العالم فإنهم قالوا أولا (عالَماني).. ثم أسقطوا ألف المد الأولى من لفظ (عالَماني) وسكَّنوا لامه ليصبح (عَلْماني). ولا شك في أن اللفظة السريانية ܥܠܡܐ = /عَلْما/ "العالَم" كانت في مخيلتهم اللغوية عندما اختزلوا (عالَماني) إلى (عَلْماني). إذن كان الاختزال من (عالَماني) إلى (عَلْماني) "تكوينا رجعيا" (back formation) بسبب اللفظة السريانية ܥܠܡܐ = /عَلْما/ "العالَم".

ولمعرفة كيف دخلت هذه الكلمة السريانية اللغة العربية وتتبع ذلك نود أن نشير أولا إلى إن السريان نصارى يميزون، شأنهم في ذلك شأن سائر النصارى، بين خاصة الكهنة وعامَّة المؤمنين، بين الرعاة والقطيع.. وكانوا نقلة المعارف اليونانية في العصور الوسطى، وهم أقدم سابقة من العرب في الترجمة عن اليونانية بقرون. وبما أنهم نصارى لهم رهبان وكهنة ووثيقي الصلة باليونان، فقد انتقل مفهوم (العلمانية) بمعنى جعل الشيء عاميا بعكس الكهنوتي إليهم من اللاهوت النصراني المدون أكثره وقتئذ باللغة اليونانية[(٢)]، مثلما انتقل إلى غيرهم من الأمم النصرانية[(٣)]، ومنهم الفرنسيون (سنة ١٣٣٠) والإنكليز (سنة

---

(١) انظر عبدالوهاب المسيري (١٤٢٣/٢٠٠٢). المجلد الأول، الصفحة ٦١.

(٢) لن نشغل أنفسنا هنا بالبحث في السؤال عما إذا كانت لغة الأناجيل – وبالتالي النصرانية – الأولى هي اليونانية أم السريانية، لأنه سؤال غير مهم في هذا السياق فضلا عن أن الإجابة عليه ستزيد من تعقيد الحديث في هذه المصطلحات فوق ما هو معقد.

(٣) هذه الحقيقة اللغوية التاريخية نبّه عليها أيضاً المستشرق المعروف برنارد لويس في كتابه "أين الخطأ" (في الفصل الخامس "العلمانية والمجتمع المدني"، إذ قال، بعد استعراض جذور هذا المفهوم في الثقافة المسيحية ووجه الاختلاف بينها وبين الثقافة الإسلامية، ما يلي: "ولكن انتشار التأثير الغربي اعتباراً من القرن التاسع عشر جعل =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

١٤٣٢) كما يذكر المعجم الإنكليزي التأثيلي[(١)]. فعبروا عن المفهوم اليوناني laïkos (λαϊκός) نسبة إلى λαός "شعب" الذي نشأ مع تمايز الكهنوت المسيحي ابتداء من القرن الرابع الميلادي عن عامة الشعب، بـ ܥܠܡܝܐ = /عَلْمايا/ "عالَماني/عَلْماني" نسبة إلى ܥܠܡܐ = /عَلْما/ "عالَم"، وجعلوا يستعملون ܥܠܡܝܐ = /عَلمايا/ للدلالة على العالم والحياة الدنيا والعوام، وعرَّبوه ــ عند استعرابهم ــ إلى "عَالَماني" أولا ــ على أساس أن المكافئ الوظيفي والمعجمي والدلالي العربي للفظة السريانية ܥܠܡܐ = /عَلْما/ هو "العالَم" ـ ثم أدخلوا السرياني (ܥܠܡܐ = /عَلْما/) في العربية وعرَّبوه على "عَلْم" ثانيا، لينحتوا منه "عَلْماني" بدلا من "عَالَماني" لخفة انذلاق هذه الأخيرة على لسان الجماعة[(٢)]. ومن السريان انتقل هذا المعنى إلى العرب عن طريق الكتاب العرب النصارى الذين يتقنون السريانية مثل بطرس البستاني وغيره[(٣)]. والدليل القاطع على ذلك استعارة العرب كلمة (عَلْم) بمعنى (العالَم) من السريانية كما تقدم أعلاه هو أن هذه الكلمة لم ترد في مصادر عربية مكتوبة قبل سنة ١٨٠٠ ولا تستعمل في العربية – حتى يومنا هذا - خارج سياق كونها أصلا اشتق منه مصطلح (العَلْمانية) كما تقدم.. ثم اشتقوا منها كلمة (علمانية) على السماع لا على القياس لأن

= المسيحيين الناطقين بالعربية - والذين كانوا كثيراً ما يتلقون تعليمهم في المدارس الغربية، والذين كانوا أكثر انفتاحاً على الأفكار الغربية - يضطلعون بدور رئيسي في نقل هذه الأفكار. فكان أن قدَّم المعجمُ العربيُ المسيحيُ جانباً مهماً من المفردات الجديدة التي أسهمت في تشكيل العربية المعاصرة. وكان من المصطلحات المسيحية التي شاع استعمالها مصطلح" عالماني "التي تحوّلت فيما بعد إلى" عَلَماني"، وتعني حرفياً: ما له علاقة بالعالم، أي دنيوي .وأصبحت الكلمة مرادفة لمصطلح :الزمني، وغير الديني، وغير الكنسي جميعاً. وابتدعت في وقت لاحق كلمة دخيلة مترجمة هي "روحاني" المشتقة من "روح" للدلالة على المعنى المضاد. ومن عهد جدّ قريب، نسي الناس أصل كلمة" عالماني "واشتقاقها المسيحيَّيْن، وحرّفوها في النطق إلى" عِلماني "المشتقة من" العِلم ."وأسيء فهمها إذ أصبحت تشير إلى مذهب مَن يزعمون وجود تعارض بين العلم البشري والتنزيل الإلهي". (برنارد لويس ٢٠٠٩:١٥٩). مع الشكر الجزيل للباحث المصري الزميل أحمد الأقطش الذي أضاف هذه الحاشية المهمة إلى هذه المقالة ومدني بكتاب برنارد لويس.

(١) انظر: http://www.etymonline.com/index.php?term=lay.

(٢) انظر بشأن مادة (ܥܠܡܐ: عَلْما) كلا من: Goshen-Gottstein M.H. (١٩٧٠) صفحة ٥٨؛ و(١٩٢٨) .Brockelmann C مادة ܥܠܡܐ وكذلك Brockelmann C. (١٩٢٥) المختارات الأدبية (Chrestomathie) وكذا مادة ܥܠܡܐ في المسرد

(٣) جاء أيضا في الصفحة ٣ من كتاب "لغة الإسلام السياسية" للمستشرق برنارد لويس (Lewis B., ١٩٨٨) بخصوص دخول مصطلح "علمانية" في الاستعمال ما نصه: "في القرن التاسع والقرن العشرين، وتحت تأثير الأفكار والمؤسسات الغربية، نشأت مصلحات جديدة في الإسلام للدلالة على مفهوم تيار الدنيوية، في اللغة التركية أولا، ثم في العربية ثانيا. ففي التركية استعمل المصطلح "لاديني" [ladini] أولا، ثم غيّر فيما بعد إلى "لايك" [layk] المستعار من اللغة الفرنسية .أما في العربية فقد أخذ القوم الكلمة عن الاستعمال اللغوي للنصارى العرب. فلقد اشتق النصارى العرب، في استعمالهم اللغوي المخصوص بهم [والتوكيد لي] كلمة "عالماني" [alamani‘] "من "عالم"، ثم أعيد تشكيل الكلمة لتصبح "عِلماني" [ilmani‘]من "عِلم".

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

القياس اللغوي يقتضي نحت (عَلْمِية) ـ بفتح العين – وليس (عَلْمانية) بإضافة الألف والنون. ويبدو من لفظة (عالَمِيّ) التي أوردها دوزي في معجمه (انظر أدناه) ثم وترجمها بـ laïque, séculier أن اللفظتين (عَالَماني) و(عَلْماني) لم تستقرا وقتها في العربية وأن (عالَمِيّ) و(عَالَماني) اختفيا فيما بعد (بداية القرن العشرين؟) لصالح لفظة (عَلْماني).

وقد أفضى بنا البحث والاستقصاء إلى أن أول معجم ثنائي اللغة قدم ترجمة عربية لكلمة laïque الفرنسية هو "القاموس الفرنسي العربي" الذي وضعه القبطي إليوس بقطر عام ١٨٢٨. ولترجمة كلمة laïque إلى العربية، استعمل بقطر الذي كان مطلعا على التراث العربي النصراني في معجمه هذا مصطلحا من هذا التراث العربي النصراني هو مصطلح (عَالَماني/عَلْماني) الذي أتى ترجمة مستعارة لـ (عَلْمايا) السرياني كما تقدم. وعندنا أن إليوس بقطر أولُ من أخرج مصطلح (عَالَماني/عَلْماني) من التراث العربي النصراني المخصوص بالنصارى العرب، وأدخله . باستعماله إياه ترجمة للمصطلح الفرنسي laïque . في الاستعمال اللغوي العام للفصحى، ذلك لأن معجمه هذا أصبح مصدرا لجميع من استعمل مصطلح (عَالَماني/عَلْماني) من بعده، ومن أقدمهم بطرس البستاني في معجمه (محيط المحيط) الذي يعتبر أول معجم عربي (صدر سنة ١٨٧٠) يقدم تعريفا للكلمة حيث ورد فيه ما نصه: "العَلْماني: العامّي الذي ليس بإكليريكي"(١) . وهذا تعريف مهم جدا لأنه أقدم تعريف ورد في مصدر عربي أصيل ولأن البستاني لا يقصد بحده هذا الإيديولوجية العلمانية الفرنسية (laïcité) التي تبلورت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أي بعد إصدار معجم البستاني بأكثر من عقدين تقريبا ــ فضلا عن العِلم! ـ بل المفهوم الأقدم للمصطلح كما تقدم وصفه، أي (laïcisme) أو جعل الشيء عاميا، وهو مصطلح نصراني بحت يدل على مفهوم نصراني بحت كما تقدم. وعلى معجم إليوس بقطر المصري اعتمد كل أصحاب المعاجم الثنائية التي أوردت مادة (عَالَماني/عَلْماني) بالعربية، وأقدمها معجم بارثلمي(٢) الصادر سنة ١٩٣٥. وهذا معجم عربي (للهجات بلاد الشام) فرنسي، جاء فيه (عَلْماني) وترجمه بـ laïque, séculier. وكذلك رينهارت دوزي صاحب المعجم الشهير (تكملة المعاجم العربية) الذي صدر سنة ١٩٨١ والذي جمع فيه أكثر الألفاظ التي أهملها أصحاب المعاجم العربية ومنها (عَلْماني)، حيث جاء فيه: (عالَمِيّ) ـ نسبة إلى العالَم بمد العين بألف المد

---

(١) انظر بطرس البستاني (١٩٨٧)، ص ٦٢. مادة (علم). وقد يكون البستاني اعتمد أيضا على كتاب رفاعة الطهطاوي (انظر الحاشية رقم ٥٠).

(٢) انظر (Barthélemy A., ١٩٣٥).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وبدون نون – وترجمه بـ laïque, séculier، و(عَالَمَاني). نسبة إلى العالَم بمد العين بألف المد ولكن بنون – وترجمه بـ laïque, séculier ثم (عَلْماني). نسبة إلى العَلْم بفتح العين – وترجمه بـ laïque, séculier أيضا[1]. وقد أشار دوزي بعد معالجته هذه المادة إلى معجم إليوس بقطر مصدرا لكلمة (عَلْمانية). فالمصدر الذي اعتمد عليه دوزي ليس نصا عربيا بل معجم فرنسي عربي هو معجم إليوس بقطر، وهذا أمر مثير للغرابة بحد ذاته. وعلى نهج دوزي سار كل المعجميين اللاحقين مثل غزلان إدوارد في معجمه الفرنسي العربي[2]، وغيره، إلا أن هذا الأخير ـ وهو فرنسي مولود في الجزائر ـ كان أدق من الآخرين بترجمته laïque إلى العربية بـ "عامّي"[3] وليس بـ "عَلْماني" ربما لأن التراث العربي النصراني الحاضر بقوة في الشرق، كان مجهولا في الجزائر آنذاك.

٥,٣. من أجل تفادي أخطاء الترجمة والتعريب:

لا شك في أن معظم أخطاء الترجمة والتعريب، إن لم يكن كلها، إنما هي بسبب عدم فهم المصطلح الأصلي المراد ترجمته أو تعريبه وتوطينه في العربية. بل إن سوء فهم المصطلح الأجنبي والخطأ في ترجمته وتوطينه في العربية على علاته من أهم مشاكل الثقافة العربية المعاصرة، وإن أسباب هذه الظاهرة كثيرة ولا يمكننا معالجتها في هذه الإشارة العاجلة، لكن الجهل إما باللغة الأصلية المنقول منها (الإنكليزية أو الفرنسية) أو باللغة المنقول إليها (اللغة العربية!) وعدم التنسيق بين المترجمين العرب والإدارات العربية وعدم وجود أنظمة معيرة عند العرب أهم هذه الأسباب.

ونمثل على هذه الأخطاء بمصطلح "مقر اجتماعي" وهو مصطلح من النظام القانوني المغربي يراد به العنوان الرئيس للشركة كما ينصص عليه في عقد التأسيس. فهذا المصطلح

---

(١) انظر (Dozy R., ١٨٨١)، المجلد الثاني صفحة ١٦٥. مادة (علم).

(٢) انظر غزلان إدوارد (Gasselin Edouard, ١٨٨٦) مادة Laïque.

(٣) أضاف الباحث المصري الأستاذ أحمد الأقطش إلى هذا البحث هذه المعلومة المهمة: "ويظهر مِمَّا كتبه رفاعة الطهطاوي (رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز. القاهرة، ١٩٩٣. ج. ٢ ص. ٢٥٦) في الفصل الثاني عشر تحت عنوان "دين أهل باريس" أنه ترجم الفرنسية laïque إلى "العامة" في مقابل القساوسة. يقول: "ومن الخصال الذميمة: أن القسيسين يعتقدون أنه يجب على العامة أن يعترفوا لهم بسائر ذنوبهم ليغفروها لهم، فيمكث القسيس في الكنيسة على كرسي يُسمّى كرسي الاعتراف". وهذا هو المعنى الأصليّ للكلمة الفرنسية. والطهطاوي ذو ثقافة إسلامية، لذلك استخدم كلمة "العامة" - ومفردها "عامّي" - لتدلّ على عموم المنتسبين إلى الديانة الكاثوليكية مِمَّن ليسوا في السلك الكهنوتي. ومثل هذه الدلالة ليس لها وجود في الدين الإسلامي كما هو معلوم لعدم وجود كهنوت أصلا). وقد يكون غزلان إدوارد اطلع على كتاب الطهطاوي واستساغ مصطلحه أكثر من "علماني".

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ترجمة حرفية للمصطلح الفرنسي siège social. والكلمة social هنا هي صفة لكلمة société التي تعني في الفرنسية "مجتمع" و"شركة". فهي من المشترك اللغوي في الفرنسية. أما في العربية فيؤدى معنى "مجتمع" و"شركة" بلفظين مختلفين كما نرى. من ثمة تعتبر ترجمة social التي هي في المصطلح الفرنسي صفة لـ société بمعنى "شركة" إلى العربية بـ "اجتماعي" خطأ لأن معنى هذه الأخيرة في العربية مختلف. والمصطلح القانوني "مقر اجتماعي" موطن في الاستعمال اللغوي في المغرب. ومثله كثير في المغرب والمشرق، وفي معظم الدول العربية.

إن توظيف علم التأثيل وعلم اللغة المقارن كفيل بتفادي مثل هذه الأخطاء لأن علم التأثيل يؤدي إلى الفهم الدقيق للمصطلح الأجنبي ولأن علم اللغة المقارن يؤدي إلى معرفة تاريخ المصطلح وسياق توظيفه وتوطينه واستعماله وانتقاله من لغة لأخرى التقارض أو الترجمة المستعارة الصحيحة أو غير الصحيحة كما هو الأمر عليه في مصطلح "مقر اجتماعي".

خاتمة:

يتضح مما سبق أن توظيف علم اللغة المقارن لا بد منه في معجم تأريخي للغة العربية يستحق هذا الاسم.. وللتأريخ للفظة ما لا بد من النظر فيها تأثيليا بمعالجتها معالجة تأثيلية تبين مكانها من التراث الجزيري المشترك ثم تصف مدلولاتها الأصلية ثم تتبع مراحل ظهورها في الأدب العربي للتأريخ للتطور الدلالي لها وضبط المدلولات الأخرى التي اكتسبتها اللفظة عبر القرون. كما أن من شأن العودة إلى اللغات الجزيرية وكذلك اللغات غير الجزيرية التي اتصلت العربية بها اتصالا غير مباشر (كالسومرية مثلا) أو مباشر (مثلا الفارسية) أن يمكننا من ضبط المعرب والدخيل في العربية ضبطا من شأنه أن يجعلنا نوثق للمعرب والدخيل في العربية توثيقا علميا يُطمأن إليه، وأن يضع حدا لشطط الشعوبيين المحدثين في نسبة الكثير من الألفاظ العربية التي تشترك العربية فيها مع سائر اللغات الجزيرية إلى لغات جزيرية أخرى (خصوصا السريانية) لأسبقية التدوين.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المراجع

أ. مراجع بالعربية:

- ابن بارون، أبو إبراهيم إسحاق بن برون (١٨٩٠). "كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية". بطرسبرغ.
- ابن بارون، أبو إبراهيم إسحاق بن برون (١٩٦٤). Ibn Barun's Arabic Works on Hebrew Grammar and Lexicography. By Pinchas Wechter. Philadelphia.
- ابن جني (١٩٨٥). سر صناعة الإعراب. تحقيق الدكتور حسن هنداوي. مجلدان. دمشق، دار القلم.
- ابن حزم الأندلسي (١٩٨٠). الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق أحمد شاكر. مجلدان.القاهرة.
- ابن رشد (١٩٨٣). تفسير ما بعد الطبيعة. تحقيق موريس بويجس. ٤ مجلدات. دار المشرق، بيروت.
- داود، أقليميس يوسف (١٨٩٦). اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. الموصل، مطبعة دير الآباء الدومنيكيين.
- ابن دريد (١٩٨٧). الجمهرة في اللغة. تحقيق رمزي البعلبكي. بيروت، دار العلم للملايين.
- ابن منظور (بدون تاريخ). لسان العرب. ١٥ مجلدا. بيروت، دار صادر.
- البستاني، بطرس (١٩٨٧). محيط المحيط. مكتبة لبنان، بيروت.
- ترزي، فؤاد حنا (١٩٦٩). أصول اللغة والنحو. بيروت،، دار الكتب.
- الجواليقي (١٩٩٠). المعرب من الكلام الأعجمي. تحقيق ف. عبدالرحيم، دمشق، دار القلم.
- درويش، عبدالله (١٩٥٦). المعاجم العربية. القاهرة.
- حتي، فيليب (١٩٥٨). تاريخ العرب. الطبعة السادسة. نيويورك.
- القاهرة. السامرائي، إبراهيم (١٩٨٧). فقه اللغة المقارن. بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة.
- عبدالرحمن، طه (٢٠١٢). روح الدين، من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- عبدالرحمن، طه (٢٠١٤). بؤس الدهرانية. بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- الفراهيدي، الخليل بين أحمد (١٩٨٠). كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ٨ أجزاء في ٤ مجلدات. بغداد، دار الرشيد للنشر.
- فيشر، أوغسط (١٩٦٧). المعجم اللغوي التاريخي. القسم الأول أ – أبد. القاهرة، مجمع اللغة اللغة العربية.
- القاسمي علي (٢٠١٤). صناعة المعجم التاريخي للغة العربية. بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
- القرقساني، أبو يعقوب إسحاق (١٩٣٩). كتاب الأنوار والمراقب. مجلدان. نيويورك.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الكرملي، الأب أنستاس ماري (١٩٣٨). نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها.
- لويس، برنارد (٢٠٠٩). أين الخطأ: التأثر الغربي واستجابة المسلمين. ترجمة د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- مروان بن جناح (١٨٦٦). كتاب اللمع. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Le Livre des Parterres Fleuris d'Aboul'l-Walid Merwan Ibn Djanah de Cordoue. Publiée par: Joseph Derenbourg. Paris, ١٨٨٦.
- مروان بن جناح (١٨٧٥). كتاب الأصول. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: The Book of Hebrew Roots by Abu'L-Walid Marwan Ibn Janah, Called Rabbi Jonah. Published by Adolf Neubauer. Oxford, ١٨٧٥. Amsterdam, ١٩٦٨.
- المسيري عبدالوهاب (١٤٢٣/٢٠٠٢). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. مجلدان. دار الشروق.
- المعجم الوسيط. إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٥. مجلدان.

ب. مراجع باللغات الأجنبية:

- Barr J. (١٩٦٨). Comparative Philology and the Text of the Old Testament. Oxford.
- Barthélemy A. (١٩٣٥). Dictionnaire arabe–français. Paris. ٢ tom.
- Bennett R. P. (١٩٩٨). Comparative Semitic Linguistics: A Manual. Eisenbrauns.
- Bergsträsser G. (١٩٩٥). Introduction to the Semitic Languages: Text Specimens and Grammatical Sketches. Translated by Daniels P.T. Eisenbrauns.
- Beyer K. (١٩٨٦). The Aramaic Language. Its Distribution and subdivisions. Translated from the German by John F. Healey. Vandenhoeck & Ruprecht, Göttingen.
- Blau J. (١٩٨١). The Renaissance of Modern Hebrew and Modern Standard Arabic... University of Californa Press.
- Bocthor E. (١٨٢٨-١٨٢٩). Dictionnaire français-arabe. Revu et augmenté par Caussin de Caussin de Perceval. Paris (٣° édition, ١٨٦٤).
- Brockelmann C. (١٩١٣). Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. ٢ vols. Berlin, Reuther and Reichard.
- Brockelmann C. (١٩٢٥). Syrische Grammatik met Paradigmen, Literatur, Chrestomathie und Glossar. Berlin. Reuther & Reichard.
- Brockelmann C. (١٩٢٨). Lexicon Syriacum. Hale. Sumptibus M. Niemeyer.
- Cohen, D. (١٩٧٠). Dictionnaire des racines sémitiques ou attestées dans les langue dans les langues sémitiques.. Paris. Mouton. La Haye.
- De Lacy O. (١٩٢٣). Comparative Grammar Of The Semitic Languages. London, Trubner's Oriental Series.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- Delitzsch F. (١٩٦٩). Sumerisches Glossar. Leipzig.
- Dozy R. (١٨٨١). Supplement aux Dictionnaires Arabes. II tom. Leyde.
- Endress G. & Gutas D. (١٩٩٢), A Greek and Arabic Lexicon etc. Brill, Leiden.
- Fränkel S. (١٩٦٢). Die Aramäischen Fremdworter im Arabischen. Hildesheim.
- Freytag G. W. (١٨٣٠-١٨٣٧). Lexicon Arabico-Latinum praesertim ex Djeuharii Firuzabadiique et aliorum Arabum operibus adhibitis Golii quoque et aliorum libris confectum. Halis Saxonum: C.A. Schwetschke et filium.
- Gasselin E. (١٨٨٦). Dictionnaire Français-Arabe (Arabe vulgaire - Arabe grammatical). Paris, Ernest Leroux Editeur. ٢ tom.
- Gesenius W. (١٩٢٩). Hebrew and English Lexicon of the Old Testament... Translated by E. Robinson. Ed. by F. Brown... Oxford.
- Gordon C.H. (١٩٥٥). Ugaritic Manual. Rome, Pontificium Institutum Biblicum.
- Goshen-Gottstein M.H. (١٩٧٠). A Syriac-English Glossary etc. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.
- Halkin A. S. (٥٧٢٦/١٩٦٦). In: L. Frankelstein, The Jews, their History, Culture and Religion.
- Haywood J.A. (١٩٦٠). Arabic Lexicography... Leiden.
- Klein E. (١٩٨٧). A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for the Readers of English. New York.
- Koehler L. & Baumgartner W. (١٩٥٣). Lexicon in Veteris Testamenti Libros. Leiden.
- Lane E. W. (١٨٦٣-٩٣). Arabic-English Lexicon... VIII vols. London.
- Lewis B. (١٩٨٨). The political Language of Islam. Chicago.
- Macuch R. (١٩٦٥). Handbook of Classical and Modern Mandaic. Berlin.
- Merx A. (١٨٨٩). Historia artis grammaticae apud Syros. Leipzig.
- Moscati S. (١٩٦٤). An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Phonology and Morphology. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.
- Munk S. (١٨٥٠). Notice sur Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah. Journal Asiatique, tom. I.
- Nöldeke Th. (١٩٦٤). Mandäische Grammatik. ٢nd ed. with appendix by A. Schall, Darmstadt.
- Nöldeke Th. (١٩٨٢). Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. Neudruck. Amsterdam, APA – Philo Press.
- Prijs L. (١٩٥٠). Die grammatikalische Terminologie des Abraham Ibn Ezra. Basel.
- Wright W. & Smith W. (٢٠٠٢). Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Cambridge University Press ١٨٩٠. Reprint.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

معالجة قوانين التغيُّر اللغوي
في المعجم التاريخي

الدكتور علي القاسمي
خبير في المعجمية والمصطلحية

تعريف المعجم:

في عام ١٩٩٢، تقدَّمتُ إلى المؤتمر الدولي للجمعية المعجمية الأوربية الذي انعقد بجامعة تمبره في فنلندة، بدراسةٍ اقترحتُ فيها تغيير تعريف "المعجم". إن التعريف الشائع هو كالآتي أو ما يشابهه: "المعجم هو كتاب يرتّب مفردات اللغة على حروف الهجاء، ويبين معانيها واستعمالاتها، ويضبط أصولها وأبنيتها ومشتقاتها"[(١)]. إن هذا التعريف قد يصدق على بعض المعاجم ولكنه لا ينطبق على بعضها الآخر. ومن مواصفات التعريف الجيد أن يكون " جامعاً مانعاً". فمثل هذا التعريف لا يصدق على معاجم كثيرة مثل "معجم الصحابة"[(٢)] للمحدّث البغدادي الشهير أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (٢١٤ ـ ٣١٧هـ/ ٨٣٠ ـ ٩٢٩م) الذي استخدم كلمة " معجم" في علوم الحديث قبل أن يستخدمها علماء اللغة بفترة طويلة، والذي تُحدِّثنا عنه معاجم الأعلام فتذكر أنه عاش مئة وثلاثة أعوام بصحة جيدة. كما أن هذا التعريف لا ينطبق على "الأعلام: قاموس تراجم" لخير الدين الزركلي[(٣)]، ولا على "معجم الاستشهادات" لعلي القاسمي[(٤)]، ولا على "معجم

---

(١) يُنظر أي موقع على الشابكة يتناول تعريف المعجم، مثلاً: http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=١٧١٧٥، ويرى بعضهم أن "لفظ المعجم أصبح عَلَما على كل معجم لغوي، أما سائر المعجمات فإنها تحمل في عنوانها غالبا ما يؤذن بمضمونها، كمعجمات الرجال والكتب... وما شابهها، وهذا أشبه ما يكون بتسمية سيبويه لكتابه بـ: "الكتاب" فهو الكتاب، وما عداه فكتاب كذا وكذا." وهذا هو رأي زميلي الدكتور حسّان الطيان، عضو المجلس العلمي لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية. وأنا لم أقتنع بهذا الرأي، على وجاهته للأسباب التي ذكرتها في الدراسة.

(٢) البغوي، معجم الصحابة، تحقيق محمد الأمين بن محمد الجكني (الكويت: دار البيان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) في ٥ مجلدات.

(٣) خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٨) الطبعة الثالثة عشرة.

(٤) علي القاسمي، معجم الاستشهادات. لهذا المعجم ثلاث نشرات تختلف في أغراضها ومنهجيتها وترتيبها، هي: معجم الاستشهادات (١٩٩١)، معجم الاستشهادات الموسع (٢٠٠٨)، معجم الاستشهادات الوجيز للطلاب (٢٠١٢)، وكلها صادرة عن مكتبة لبنان ناشرون في بيروت.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الرموز"[١] ، ولا على "معجم الأفلام السينمائية"[٢]، ولا على كتب كثيرة تحمل كلمة "معجم" في عناوينها.

اقترحتُ على المؤتمر أن يتبنّى تعريفاً مثل: " المعجم هو كتاب يضمُّ ألفاظاً مرتَّبة وفق نظامٍ معيّن، مع معلومات تتعلّق بها، باللغة ذاتها أو بلغة أخرى." والمقصودُ بالكتابِ الكتابُ المخطوط أو المطبوع أو المحوسب؛ وباللفظ هو ما يلفظ من حرف أو فعل أو اسمٍ، عامٍ أو خاص، بسيط أو مركب؛ وبالترتيب المعيَّن ما يرتضيه المؤلِّف من ترتيبٍ صوتي أو أبجدي أو ألفبائي أو موضوعي أو مفهومي أو غيره ملائم لأغراض المعجم، ويوضّح أُسسه في المقدّمة. أما المعلومات التي تتعلّق بالألفاظ المرتبة، فتختلف من معجم إلى آخر حسب موضوعه وغرضه.

بعد مناقشة الدراسة والاقتراح وافق المؤتمر، ونشر الدراسة في سجله[٣] كما ضمّن الدكتور هارتمان التعريف الجديد في كتابه المرجعي" معجم المعجمية "[٤].

إن التعريف الجديد يحلّ مشكلات كثيرة تتعلّق بأسس تصنيف المعاجم، وأصول صناعتها، وقواعد فهرستها في المكتبات، كما سنرى بعد قليل. ولكنه من ناحية أخرى، اعتمد الحدَّ المنطقي بالجنس والنوع، فضاق فيه المفهوم واتسع فيه الماصدق، فصار يسمح بدخول أنواع كثيرة من الكتب في (المعجم). وصار (المعجم) بدوره جنساً تنضوي تحته أنواعٌ كثيرة من المعاجم[٥].

الشمولية والتخصص:

مرّت البشرية بخمس ثوراتٍ معرفية هي:

١- الثورة الزراعية
٢- الثورة الكتابية
٣- الثورة الطباعية

---

(١) M. P. Verneuil Dictionnaire des symboles (Paris: Librairie Renouard Henri Laurens, Editeur)

(٢) David Thomson, The New Biographical Dictionary of Film: ٦th Edition, ٢٠١٤.

(٣) Ali M. Al-Kasimi, 'Is the Dictionary of Quotations a Dictionary?' in: Hannu Tommola & Krista Varantola, Tarja Salmi-Tolonen &c Jürgen Schopp (eds) EURALEX '٩٢ PROCEEDINGS I-II Papers submitted to the ٥th EURALEX International Congress on Lexicography in Tampere, Finland Part II.

(٤) R. R. K. Hartmann and Gregory James, Dictionary of Lexicography (London and New York: Routledge, ١٩٩٨.

(٥) للاطلاع على التصنيفات النوعية المختلفة للمعاجم، ينظر الفصل الأول من كتابنا: Ali M. Al-Kasimi, Linguistics and Bilingual Dictionaries (Leiden: E.J. Brill, ١٩٨٣) ٣rd edition

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٤- الثورة الصناعية

٥- الثورة المعلوماتية

إذا كان الإنسان قد وُجِد على هذه الأرض قبل حوالي مليوني سنة بعد أن انفصل عن الطبيعة بالثقافة، وأخذ يستخدم ثقافته للتحكم في الطبيعة وتكييفها لصالحه، فإن الثورة الزراعية لم تحصل إلا في حوالي الألف التاسع قبل الميلاد عندما اكتشف السومريون والمصريون القدماء أن النباتات يمكن أن تنبت من البذور بفضل الطمي المتكوِّن من فيضانات نهري الرافدين ونهر النيل، كما أخذ الإنسان يدجِّن بعض أنواع زميله السابق (الحيوان). وتحولت المجتمعات البشرية من مرحلة قطف الثمار والصيد إلى الرعي والزراعة، واخترع السومريون العجلة في حوالي سنة ٣٥٠٠ ق.م. في العصر البرونزي، ما ساعد على صنع العربة، وتيسير النقل، وتطوير الزراعة، وازدياد الإنتاج، ونشوء المجتمعات الحضرية والمدن[(١)].

وفي حوالي الألف الخامس قبل الميلاد، أخذ الإنسان في استخدام العلامات المكتوبة لتسجيل إنتاجه الزراعي، وحفظ إبداعه الفكري، وتوارث عطائه الثقافي؛ فظهرت الكتابة المسمارية في بلاد سومر حوالي سنة ٣٣٠٠ ق.م.، وبعدها بفترة وجيزة ظهرت الكتابة الهيروغليفية حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م. وبزغت أول كتابة ألفبائية كنعانية حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م. وأخيراً في حوالي سنة ١١٠٠ ق.م.، أشرقت الأبجدية الفينيقية التي خصَّصت العلامة المكتوبة الواحدة للتعبير عن صوتٍ رئيسيٍّ واحد من أصوات اللغة المنطوقة[(٢)] وانتشرت هذه الأبجدية في العالم بفضل التجار الفينيقيين الذين جابوا العالم بسفنهم الشراعية وأنشأوا المحطات التجارية. واشتُقت كتابات اللغات العروبية واللغة الإغريقية من الفينيقية. وساعدت الكتابة على بدء التاريخ، وظهور المعاجم، خاصة المعاجم الثنائية اللغة، التي فرضها الاختلاط بين الجماعات البشرية بسبب الهجرات أو الاحتلال أو التنقل أو الحرب أو غير ذلك.

وإذا كانت الكتابة المسمارية والهيروغليفية والفينيقية قد جعلت تبادل المعلومات وحفظها وتوارثها ممكنا، ولكن بصورة محدودة بسبب صعوبة إنتاج مواد الكتابة وأدواتها

---

(١) الموسوعة العربية: مادة الزراعة.

(٢) www.arte.tv./fr/l-histoire-de-l-écriture/٧٣٦٠٠٨٠,CmC=٧٣٨٩٨٥٤.html"L'histoire de l'écriture",

ويُنظر كذلك: رمزي بعلبكي، الكتابة العربية السامية (بيروت: دار العلم للملايين) تكرّم المؤلِّف الفاضل بتزويدي بنسخة إلكترونية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والوقت الطويل اللازم لاستنساخ الكتب، فإن تطور الطباعة بالألواح الخشبية في بداية الأمر ثم اختراع الطباعة الحديثة على يد جون جوتنبرغ حوالي سنة ١٤٣٠م يُعدُّ ثورة معرفية أتاحت نشر الكتب بنسخ كثيرة، وظهور الصحف والدوريات، وانتشار المعرفة على نطاق واسع.

وأدى انتشار المعرفة على نطاق واسع إلى حركة علمية كبيرة تجلَّت تطبيقاتها في الثورة الصناعية في غرب أوربا في القرن التاسع عشر الميلادي. وعملت الثورة الصناعية على إحلال الإنتاج بالآلة محل كثيرٍ من العمل اليدوي. وكان للثورة الصناعية أثرٌ بالغ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية. وأدَّت حاجة الدول الصناعية الأوربية إلى مواد أولية وإلى تصريف فائض إنتاجها في الخارج إلى إقدامها على استعمار أقطار إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وإلى التنافس الاستعماري والتجاري فيما بينها، مما نتج عنه حروب طاحنة كالحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) والثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) اللتين أودتا بحياة الملايين من البشر وإلحاق الأذى بعشرات الملايين من الناس، جرحى ومعطوبين ومشوهين وفقراء وتعساء.

في العصور السابقة للثورة الصناعية، كانت الشمولية التكاملية هي الصفة الغالبة على العملية التربوية والإنتاجية. فالجامعات تعلّم المعرفة كاملة متكاملة، وكانت محدودة آنذاك. وهكذا كان طلاب العلم المسلمون، مثلاً، يدرسون العلوم الإسلامية واللغوية والفلسفية والطبية والموسيقية بوصفها كُلاً واحداً. كما أن صانع المحراث أو العربة يقوم بعملية صنع مُنتَجه بأكمله، بنفسه وحده.

أما بعد الثورة الصناعية التي أدت إلى ظهور مخترعات متطوِّرة ومعقَّدة كالقاطرة والسيارة والطائرة، ولضرورة الإسراع في الإنتاج الجماهيري، برزت الحاجة إلى تقسيم العمل، فأصبح العامل يختص بجزء صغير من عملية الإنتاج يتقنه ويسرع فيه. فإذا كان العامل يضطلع بصنع العربة برمتها في العصر الزراعي، أصبح بعد الثورة الصناعية يتخصّص في مصنع السيارات، مثلاً، بصنع جزء صغير من السيارة فقط أو إضافة قطعة واحدة إليها، أو تدوير صامولة محددة فيها. ولعل فيلم Modern Times "الأزمنة الحديثة" لشارلي شابلن (١٨٨٩ ـ ١٩٧٧م) أيام السينما الصامتة، يتناول هذا التخصُّص بصورة مضحكة، إذ يمضي شارلي، العامل في مصنع للسيارات، نهاره كلَّه في تدوير وضبط صامولة واحدة تمر أمامه على السكة في المصنع، وعندما يخرج إلى الشارع، تمرّ أمامه فتاةٌ ترتدي معطفاً في مؤخّرته أزرارٌ كبيرة مصنوعة من أقراص صدفية تشبه الصامولات التي يدوّرها

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

في المصنع طوال النهار، فيسرع إلى الفتاة بحكم العادة، ويدوّر أزرار معطفها بمفتاحه المعدني الكبير. (نتذكر كذلك أن المدرسة السلوكية في علم النفس التي تؤكّد أهمية العادة، ظهرت في تلك الفترة، وحتى علم النفس ذاته قد انفصل عن الفلسفة وأصبح تخصصاً مستقلاً).

وبتأثير من الثورة الصناعية وتقسيم العمل والتخصُّص في المصانع، أخذت الجامعات الأمريكية تؤكّد التخصُّص في الدراسة، وتفصل بين المجالات المعرفية في أقسام وشعب ومناهج وبرامج. فالطالب الذي يدرس في كلية الهندسة ينبغي أن يتخصَّص في الهندسة الكهربائية أو الميكانيكية أو المعمارية، وهكذا.

في العصور الزراعية، كانت المعاجم العربية تصنَّف لجميع الموضوعات كأسماء العلماء مثل (معجم المحدثين) للبغوي، و(معجم الأدباء) و(معجم الشعراء) و(معجم البلدان) لياقوت الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ)؛ بل كانت معظم المعاجم اللغوية، تتسم بالنزعة الشمولية التي طبعت تلك العصور فتضم في مداخلها الأفعال، والأسماء على اختلافها: أسماء المصادر، وأسماء الأشخاص، وأسماء الأماكن، وأسماء القبائل، والمصطلحات العلمية، إلخ. ففي أول معجم لغوي متكامل صنعه العرب، وهو "كتاب العين" للخليل بن أحمد البصري (١٠٠ـ ١٧٥هـ) نجد في أول مادة فيه (ع ق) عناية بأسماء الأعلام، إذ يقول:

" والعقيق: وادٍ بالحجاز كأنه عُقَّ أي شُقَّ، غلبت عليه الصفة غلبة الاسم ولزمته الألف واللام كأنه جُعِل الشيء بعينه، وقال جرير:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ وأهلُه *** وهيهاتَ خِلٌ بالعقيقِ نُواصلُهُ "

فالخليل هنا لا يكتفي بإيراد اسم العلم، وإنما يفسر علاقته بالمادة اللغوية، أي أسباب التسمية. ونجد في هذه المادة:

" القَعقاعُ: الطريقُ من اليمامة إلى الكوفة، قال ابن أحمر:

ولمّا أن بدا القَعقاعُ لجَّتْ على شركٍ تُناقلُهُ نقالا"

ونجد في هذا المعجم كذلك: " وقُعَيْقِعان: اسم جبل بالحجاز، تُنحَت منه الأساطين، في حجارته رخاوة، بُنيت منه أساطين مسجد البصرة":

- " قضع:...

- قُضاعة:... وهو أبو حي في اليمن... وكانوا أشداء على أعدائهم في الحروب ونحوها."

- " الكعبة: البيت الحرام..."

- " خَطْمة حيٌّ من الأنصار"

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- "خُريبة: موقع بالبصرة يُسمى بُصَيرة الصغرى.
- " غطفان: حيٌّ من قيس عيلان"
- " يوم بُغاث: وقعة كانت بين الأوس والخزرج"[(١)].

فالخليل لم يتردد في أن يتضمن معجمه أسماء الأعلام من أشخاص وقبائل وأماكن وحروب وغيرها. ولكنه كان يضمّن منها ما كان يعدّه مهماً ومفيداً لمستعمِل المعجم.

وسلك معجم "الصحاح" لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢ ـ ٣٩٨هـ؟) نفس النهج في تضمين أسماء الأعلام، فنجد فيه على سبيل المثال:

" صوفَة: أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مرّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحجاج، أي يفيضون بهم، وكان يقال في الحج: "أجيزي صوفةُ".

" وخِرنِقُ: اسم امرأة شاعرة. قال أبو عبيدة: هي خِرنِقُ بنت هفان من بني سعد بن ضُبيعَةَ، رهط الأعشى."

" والخورنق: اسم قصر بالعراق، فارسي معرَّب، بناه النعمان الأكبر الذي يُقال له: الأعور، وهو الذي لبس المسوح وساح في الأرض."

" الدِعْبِلُ: الناقة الشارف، واسمُ شاعر من خزاعة."

" الدخول: اسم موضع".

والعنقاءُ: لقب رجل من العرب واسمه ثعلبة بن عمرو."

" وإفريقية: اسم بلاد."

" والمنتفقُ: اسم رجل. ومالكُ بن المنتفق: قاتل بسطام بين قيس"[(٢)]"

ويذكر معجم "لسان العرب" لابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) أسماء الأعلام من أشخاص وقبائل ومعارك وأماكن وقصور وآبار، وأسماء الحيوانات والنباتات بالإضافة إلى المصطلحات العلمية، تمشياً مع النزعة الشمولية التي سادت في العصور الزراعية، فنجد على سبيل المثال:

" أشْعرُ العرب: قبيلة منهم أبو موسى الأشعري..."

" داراءُ: موضع، قال:

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠) ط ٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لَعَمرِكَ! ما ميعاد عينِكَ والبُكا   بداراءَ إلا أن تَهُبَ جَنوبُ"

" دارةُ الـدُّور: موضع، وأراهـم إنّمـا بـالغوا بهـا، كمـا تقـول: رَملـة الرمـال." (وهنـا يحـاول المعجمي تفسير التسمية)

"السدير: بناء... كان أصله سادِلٌ أي قبّة في ثلاث قباب متداخلة..."

"عبقر: موضع بالبادية كثير الجن. يقال في المثل: كأنهم جنٌّ عبقر."

" بدر: ماء بعينه...بدرٌ كانت لرجل يُدعى بدراً. ومنه يوم بدر. وبدرٌ: اسم رجل." [(١)]

وينهج النهج نفسه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧هـ) في معجمه الشهير "القاموس المحيط" الذي شاع وانتشر حتى اتُخِذ اسم (القاموس) اسماً لكل معجم. فنجد في هذا المعجم أسماء الرجال، وأسماء الخيول، وأسماء السيوف، وأسماء البلدان، وغيرها من الأعلام:

" كارزين: بلد بفارس، منه محمد بن الحسين مقرئ الحرم، وبه ولدتُ، وإليه يُنسب محدثون وعلماء."

" ضابئ: وادٍ يَدفع في ديار بني ذُبيان، وابن الحارث البرجمي الشاعر."

" والصريح كجريح: فرس عبد يغوث بن حرب، وآخرُ لبني نَهشل، وآخر لِلَخْمٍ.

"وذو الفَقار، بالفتح: سيف العاص بن منبه قُتل يوم بدر كافراً، فصار إلى النبي (ص)، ثم صار إلى علي..." [(٢)]

ويولي معجم "تاج العروس" لمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) عناية كبيرة لأسماء الأعلام والمصطلحات العلمية والطبية وغيرها، تمشياً مع النزعة الشمولية التي سادت المعاجم اللغوية خلال العصور الزراعية. فنحن نجد فيه:

" جَناجُ، كسَحاب: قرية بمصر...

" الحَبَج: كَيٌّ عند خاصرة البعير.

الحبَجُ: شجرة سَحْماء حِجازية، تُعمل منها القِداح، وهي عتيقة العود تعلوها صفرة غُبرة، دون ورق الخُبّازي.

الحُبْرُجُ: من طير الماء..." [(٣)]

ولعل اثنين من المعاجم التراثية المشهورة التي تنتمي إلى العصور الزراعية لم تأخذ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ب ت).

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦).

(٣) مرتضى الزبيدي، تاج العروس، طبعة الكويت.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بمبدأ الشمولية في صناعة المعجم ولم تشتمل موادها على أسماء الأعلام وهما: "معجم مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس (ت ٣٩٣هـ) ومعجم "أساس البلاغة" للزمخشري (ت ٥٣٨هـ). ويكمن سبب ذلك في كون المعجمين من المعاجم ذات الأغراض الخاصة. فمعجم "مقاييس اللغة" يعنى بصورة أساسية بالمعنى الأصلي للجذر وتمظهراته في مشتقاته، وغرض معجم "أساس البلاغة" الاستعمالات المجازية للألفاظ، ولا يمكن اعتبارهما من المعاجم اللغوية العامة الصرفة.

أما خلال الثورة الصناعية، فقد تأثرت صناعة المعجم، بدورها بالتخصُّص الذي نتج عن تلك الثورة في الصناعات الأخرى، فأصبحت المعاجم اللغوية تختص بالألفاظ اللغوية وتترك أسماء الأعلام من أشخاص وأماكن وقبائل وغيرها للمَعلمات والموسوعات ودوائر المعارف. وقد تبنّى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد تأسيسه عام ١٩٣٢ هذا المبدأ الذي تجلَّت تطبيقاته في معجمه "المعجم الوسيط" الذي تخلو مداخله من أسماء الأعلام إلا ما فرضته الضرورة.

ونظراً لمبدأ التخصُّص والرغبة في الاستجابة إلى احتياجات جماهير القراء المختلفة، ظهرت أنواع لا حصر لها من المعاجم، بحيث أصبح من اللازم ظهور تصنيفات نوعية لها، وأضحى التصنيف النوعي للمعاجم درساً أساسياً في المعجمية.

وأفرزت الثورةُ الصناعية وما نتج عنها من التخصص وتقسيم العمل، تصنيفَ ديوي العشري الذي وضعه الأمريكي ملفل ديوي M. Dewey (١٨٥١ - ١٩٣١م) وصدرت طبعته الأولى سنة ١٨٧٦م، التي تقسّم المعرفة هرمياً إلى عشرة أقسام رئيسية تتفرع بدورها إلى وحدات فرعية أصغر. وجعل القسم الأول (٠٠٠ - ٠٩٩) للمعارف العامة، والقسم الخامس (٤٠٠ - ٤٩٩) للغات. ووضع الموسوعات في قسم المعارف العامة وأعطاها الرقم (٠٣٠) الذي يتفرع إلى الموسوعات العربية (٠٣١) والموسوعات الإنكليزية (٠٣٢)، والموسوعات الفرنسية (٠٣٤) وهكذا. أما المعاجم، فقد وضعها في قسم اللغات (٤٠٠) ثم بحسب اللغة، فالمعجم العربي - العربي يأخذ الرقم ٤١٣ والمعجم الإنكليزي - الإنكليزي يُعطى الرقم ٤٢٣ والمعجم الفرنسي الفرنسي تحت الرقم ٤٤٣، أي نضيف الرقم (٠٣) الخاص بالمعاجم إلى رقم اللغة الأساس. (لاحظ أن الطبعة الدولية لتصنيف ديوي تعطي الرقم (٤١٠) للغة الوطنية للبلاد المعنية)[١].

---

(١) لتفاصيل تصنيف ديوي العشري، يُنظر: محمد ماهر حمادة وعلي القاسمي، تنظيم المكتبة المدرسية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦) الطبعة الخامسة: فصل التصنيف.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وبعبارة أخرى فإن ديوي يعدُّ الموسوعة من المعارف العامة ولا يعدّ المعجم من المعارف العامة، بل من اللغة. في حين أن المعجم لا يعتبر خازناً لألفاظ اللغة فحسب، يشتمل كذلك على "معرفة كل شيء عن استعمالات الألفاظ العربية وتاريخها وتطورها شكلاً ومضموناً، دلالة وصوتاً، حاضراً وماضياً، باعتبارها الوعاء الذي احتفظ بجميع التفاصيل الصغيرة عن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في جوانبها الثقافية والعلمية والأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والصناعية والتجارية، وبكل ما فيها من فنون وعادات وتقاليد وأساليب في العيش والسلوك والمأكل والمشرب والملبس والمسكن والفرح والحزن في السلم والحرب، ومفاهيم فكرية ومضامين فلسفية، وأدوات وإنجازات في كل المجالات العملية والنظرية، التي تمس الإنسان الذي استعمل هذه اللغة وأبدع فيها وعبَّر بها عن أدق خلجات نفسه ومشاعره وأحاسيسه ونَبضات قلبه وكل آماله وآلامه وسعادته وشقائه. كل شيء عرفه الإنسان أو اخترعه أو رآه أو سمعه أو لامسه سمّاه بألفاظ من اللغة، وكل شيء أحسّ به أو فكّر فيه عبّر عنه باللغة. وكل شيء أراد إبلاغه إلى الآخر صوَّره له وأوصل فكرته إليه باللغة [(١)] ". ونحن لا نتفق مع الدكتور عبد العلي الودغيري في هذا الوصف للمعجم التاريخي فحسب، بل نضيف كذلك أن هذا الوصف ينطبق على أي معجم جيد حتى لو لم يكن تاريخياً. وهكذا نرى أنه كان على ديوي أن يضع المعجم في قسم المعارف العامة.

في الربع الأخير من القرن الميلادي العشرين، أي بعد حوالي قرن من توهّج الثورة الصناعية، بزغت الثورة المعلوماتية بفضل الأجيال الجديدة من الحاسوب والشابكة (الإنترنت). وفي دراسة قامت بها شركة AT&T العملاقة، تبين أن هذه الثورة المعلوماتية أخذت تعود بنا إلى مبدأ شمولية المعرفة وتكاملها. ويدعم ذلك التوجُّه ما توصَّلت إليه العلوم الفيزيائية والكيميائية الحديثة من أن أية ظاهرة في الوجود هي منظومة متكاملة محكومة بقانون التفاعل بين أجزائها. والعالم ذاته هو بنية متكاملة، وليس مجرَّد موجودات منفصلة متناثرة أو وحدات مستقلة بذاتها ومنغلقة على نفسها. فهذه الموجودات أجزاء في تلك البنية الواحدة، تربطها علاقاتٌ من التفاعل والتجاوب والتقابل، يجسّدها الاستمرار من جهة والتطور والتغيُّر من جهة أخرى (النظرية البنيوية).

كان المؤلّف، مثلاً، قبل الثورة المعلوماتية، يكتب كتابه بقلمه، ثم يدفع به إلى كاتبته التي ترقنه على الآلة الكاتبة، ثم يرسله إلى الناشر الذي يسلّمه أولاً إلى المحرِّر الذي يتأكَّد

---

(١) عبد العلي الودغيري، "نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية" في: نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق، ص ٦٢، وكذلك في مجلة اللسان العربي، العدد ٧٤ (٢٠١٤) ص ٤٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

من خلوه من الأخطاء الإملائية واللغوية، ثم يبعث به إلى المطبعة، التي تكلّف خطّاطاً بخط العناوين اللازمة، وبعد طباعته، يقوم الناشر بإرسال نسخ الكتاب المطبوع إلى شركةِ توزيعٍ توزّعِها على المكتبات المختلفة لبيعها على القراء. أما اليوم، فقد أصبح المؤلّف، بفضل الثورة المعلوماتية، يرقن كتابه مباشرة على الحاسوب، الذي يتأكّد من خلوه من الأخطاء الإملائية والنحوية بفضل ما يتوفّر عليه من برامج التدقيق الإملائي واللغوي، ثم يختار المؤلّفُ بنفسه الخطوطَ المطبعية الملائمة للإخراج، وينشر الكتاب بنفسه، ويعرضه للبيع على القراء مباشرة بالشابكة، ويتقاضى الثمن بأساليب التجارة الإلكترونية الميسَّرة. وهكذا عادت بنا الثورة المعلوماتية إلى الشمولية والتكاملية في الإنتاج، وألغت كثيراً من المؤسَّسات المتخصِّصة القائمة على مبدأ تقسيم العمل. كما كانت الثورة الصناعية قد ألغت كثيراً من مناصب الشغل، بفضل إحلال الآلة محل كثير من العمال.

وتأثَّرت الجامعات بهذا التوجه الشمولي الجديد. ونتيجةً للتطور السريع في المعارف والتحولات المعرفية المتلاحقة، أصبحت كليات الهندسة في بعض الجامعات تخلو من الأقسام المعهودة كالهندسة الكهربائية والهندسة الميكانيكية والهندسة المعمارية وغيرها، وأخذت تدرّس الطلاب المبادئ الأساسية الهندسية العامة بحيث يستطيع الطالب بعد التخرج أن يطور المعرفة المطلوبة اللازمة لعمله بالدورات التدريبية والتكوين المستمر.

وليست صناعة المعجم ببعيدة عن هذه التطورات العلمية، فقد أخذت بعض المعاجم الإلكترونية على الشابكة تزود القارئ بكل ما يحتاجه من معلومات لغوية وتأثيلية وتاريخية، وثقافية وعلمية، دون التقيد بالتصنيفات التقليدية للمعاجم، طبقاً لمبدأ معروف في الصناعة المعجمية وهو: ضرورة تزويد القارئ بما يحتاجه من المعلومات بأقصر طريق وأسرعه وأيسره. ولعل أهم معجم يُعدُّ نموذجاً للأجيال الجديدة من المعاجم بعد ازدهار الثورة المعلوماتية هو "معجم روبير الكبير للغة الفرنسية" بإدارة المعجمي الفرنسي الشهير ألآن ري، والذي سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل بعد قليل، فهذا المعجم يجمع بين المعلومات اللغوية والتاريخية والزراعية والتجارية والثقافية العامة وغيرها. وأصبح المعجم مخزناً للأفكار كذلك وليس مجرَّد مخزن للمفردات.

وقد تأثر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بهذه المقاربة الشمولية التكاملية في صناعة المعجم، التي تجلّت في معجمه الجديد "المعجم الكبير" الذي لا يأنف من تضمين أسماء الأعلام من رجال وأماكن وأحداث وأعياد وغيرها، جنباً إلى جنب مع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية، والألفاظ اللغوية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

المعجم التاريخي وصلته بالمعاجم الأخرى:

المعجم التاريخي هو معجم يؤرّخ لألفاظ اللغة ويبيّن ما يطرأ علها من تغيّر في أصواتها وأبنيتها الصرفية واستعمالاتها ومعانيها منذ ظهورها في اللغة أول مرة حتى يومنا هذا أو حتى سباتها أو موتها، معززاً ذلك بشواهد مؤرّخة من نصوص مكتوبة أو منطوقة مسجلة مقتبسة من مختلف العصور، ومن متنوع المجالات المعرفية، ومن متباين المناطق التي استعملت فيها اللغة أو التي تستعمل فيها[1].

المعجم التاريخي وأنواع المعاجم الأخرى:

من يمعن النظر في تعريف المعجم التاريخي السالف الذكر، يلفي أن هذا المعجم يتداخل مع أنواع معجمية أخرى أهمها:

١- المعجم اللغوي الآني أو المرحلي: فهذا المعجم، هو الآخر، يشرح معاني الألفاظ واستعمالاتها، ويبيّن أبنيتها واشتقاقاتها. وقد يذكر، في بداية المادة أو في نهايتها، أصل اللفظ ومن أية لغة اقترض. والفرق الأساس بين المعجم اللغوي الآني والمعجم التاريخي هو أن الأول وصفي فقط يصف البنيات والدلالات مستقلة عن بعضها البعض في مرحلة زمنية محددة، أما الثاني فهو وصفي تفسيري، أي يفسر لنا العلاقات القائمة بين البنيات والدلالات والتغيّرات التي طرأت علها عبر التاريخ. وإذا كان المعجم اللغوي الآني يرتّب معاني اللفظ حسب الشيوع، عادة، فإن المعجم التاريخي يرتب تغيّر معاني اللفظ ترتيباً تاريخياً موازياً لمراحل تطور الفكر البشري[2].

٢- المعجم التأثيلي: يُعنى المعجم التأثيلي بردِّ اللفظ إلى أصله وتبيان الطريق الذي سلكه ليصل إلى ما وصل إليه اليوم من نطق ومعنى، مع تأريخ مراحل التغيّرات التي طرأت

---

(١) تعريفات المعجم التاريخي متقاربة لدى الباحثين العرب الكرام، تُنظر، مثلاً، الأعمال التالية:

- عز الدين البوشيخي ورشيد بلحبيب ومحمد العبيدي، "الإطار التصوري والمنهجي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية" في: نحو معجم تاريخي للغة العربية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أبريل ٢٠١٤)، ص ٢٢-٢٣.
- عبد المحسن بن عبيد الثبيتي، "نحو إطار عام لمدونة لغوية للمعجم التاريخي للغة العربية" في: نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق، ص ٣٠٠-٣٠٢.
- إبراهيم بن مراد، "في مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته على العربية"، دراسة مقدمة إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة. سنة ٢٠٠٧.

(٢) عبد الرزاق بنور، "التلازم الدلالي والترسيس" في: نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق، الفصل الرابع، ص ص ١١١-١٧٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

على اللفظ. وهو في ذلك يفعل تماماً ما يفعله المعجم التاريخي، ماعدا الشواهد المؤرّخة التي نجدها في المعجم التاريخي ولا نجدها في المعجم التأثيلي. إضافة إلى أن المعجم التاريخي يعكس في مواده تطور اللغة كاملة وتطور الثقافة التي أفرزتها. وهكذا، فكل معجم تاريخي هو معجم تأثيلي وليس العكس. وقد مهَّدت المعاجم التأثيلية، خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي، لظهور المعاجم التاريخية.

٣- المعجم الموسوعي: يشترك المعجم التاريخي مع المعجم الموسوعي في تعريف الحروف والأفعال والأسماء ما عدا أسماء الأعلام التي ينفرد بمعالجتها المعجم الموسوعي، طبقاً لوجهة نظر أولئك الذين يرون استبعادها من المعجم التاريخي. إضافة إلى أن المعجم الموسوعي قد لا يعنى بالشواهد المؤرّخة.

٤- الموسوعة: في تعريفنا المقترح لكلمة المعجم، تصبح الموسوعة نوعاً من أنواع المعجم. وهذا الفهم ليس مقتصراً علينا بل هذا ما فهمه كذلك أحد رواد النهضة العربية المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣م)، الذي صاغ عنوان موسوعته الرائدة في المكتبة العربية على الوجه التالي: "دائرة المعارف: قاموس لكل فن ومطلب".

لقد اطلعنا على كثير من الدراسات الفرنسية والإنكليزية التي تفرّق بين المعجم التاريخي والموسوعة، فلم تقنعنا. تقول هذه الدراسات، مثلاً، إن المعجم يقع في مجلد واحد في حين أن الموسوعة تستغرق عدّة مجلدات، وأن المعجم يزودنا بتعريف الألفاظ، أما الموسوعة فتزودنا بشروحات معمقة عن الألفاظ والمفاهيم، وأننا نستعمل المعجم لنفهم معنى الكلمة في حين أن الموسوعة تساعدنا على إدراك أهمية الكلمة، وأن الموسوعة هي بنك معلومات أما المعجم فهو مسرد للكلمات ومعانيها، وأن المعجم يركز على البنية النحوية للغة أما الموسوعة فلا تركز على اللغة بتاتاً، وأن الموسوعة كتاب عام ولا تكون متخصصة بينما المعجم يكون عاماً أو متخصصاً، وهكذا[١]. ولولا ضيق الوقت لقدمنا تحليلاً معززاً بأمثلة عملية، يفند هذه النقاط نقطة نقطة، مثل وجود موسوعات كثيرة تقع في مجلد واحد فقط، ومعاجم عديدة يستغرق كل واحد منها عشرات المجلدات، إلخ.

٥- المعجم المختص: وهو المعجم الذي تتألَّف مداخله من مصطلحات علم من العلوم. والمعجم التاريخي كذلك يتناول هذه المصطلحات، ولكنه يزيد على المعجم المختص في

(١) ينظر مثلاً: www.Christianlehmann.en/ling/ling_description/lexicography/dic_vis_encyclopedia.html

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تأريخ التحول الذي يحصل في مفهوم المصطلح مع بقاء لفظه، وفي تأريخ التحول في لفظ المصطلح واستمرار مفهومه. ويدعو بعضهم إلى عدم عناية المعجم التاريخي بالمصطلحات إلا ما اشتهر منها وأصبح جزءاً من لغة الحياة العامة. وينبغي ملاحظة أن للمعجم التاريخي نوعان: معجم تاريخي عام، ومعجم تاريخي مختص. ومثال النوع الأخير: "المعجم التاريخي لمصطلحات الفلسفة اليونانية"

- Historical Dictionary of Greek Philosophy
- Dictionnaire historique de la Médecine أو "المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية".

والغرض من كل ما تقدّم هو تأكيد حقيقة أن المعجم التاريخي يشترك مع بقية أنواع المعاجم في مادتها وأغراضها، في حين لا تشاركه هي في طبيعة تاريخيته، كما سنبيّن. ولهذا اكتسب المعجم التاريخي اسم (المعجم العام) أو (المعجم الشامل) أو (المعجم الجامع).

لماذا دراسة قوانين التغير في المعجم التاريخي؟

السبب لاختياري هذا الموضوع هو إحساسي بأننا لم نوفِ الموضوع حقَّه من البحث والدرس، على الرغم من انعقاد مؤتمراتٍ عديدةٍ حوله، وصدور دراساتٍ كثيرة وكتبٍ قليلة عنه، كان آخرها كتابان هما: كتابنا "صناعة المعجم التاريخي للغة العربية"[(١)] الذي نُشِر في يناير ٢٠١٤ في حوالي ٦٥٠ صفحة، وكتاب "نحو معجم تاريخي للغة العربية"[(٢)] الذي أصدره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، صاحب "مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية"، في أبريل ٢٠١٤ في حوالي ٤٤٠ صفحة. ومع ذلك فإنهما لم يتطرقا بصورة وافية شافية إلى القضية التي سأعرضها في هذه الدراسة.

الكلمات الأساسية في الموضوع:

من المفيد أن أعرض أولاً دلالات الكلمات الأساسية الواردة في عنوان الدراسة وهي: قوانين، التغيّر اللغوي، المعجم التاريخي:

القانون:

" القانون" كلمة يُقال إنها معرَّبة من اليونانية[(٣)] ، وهي مشترك لفظي يتباين معناها من

---

(١) علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٤).

(٢) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق.

(٣) هنالك من العلماء من يرى أن العربية هي الأصل، كالمرحوم عبد العزيز بنعبدالله، والمرحوم عبد الحق فاضل الذي ابتكر لفظ " التأثيل" بدلاً من الإيتمولوجي. فقد تكون كلمة " قانون" معربة من اليونانية على مستوى التأثيل، ولكنها =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

حقلٍ علميٍّ إلى آخر. وسأتناول معناها في نطاق العلوم الطبيعية، لأن اللغة، في نظري، ظاهرة إنسانية فيزيائية طبيعية.

القانون العلمي هو معيارٌ أو قاعدةٌ تعبِّر عن علاقاتٍ ثابتة بين ظواهر الأشياء التي نعرف أحكامها منه. ولا يتضمَّن القانون العلميُّ أحكاماً إنشائيةً تشير إلى ما يجب أن يكون، بل أحكاماً وجوديةً تشير إلى ما هو كائنٌ فعلاً. والقانون هو قاعدة توحي بها الملاحظة وتؤكّدها التجربة[(١)]. واكتشاف القوانين العلمية التي تصف الظواهر الطبيعية وتفسِّرها، تيسِّر للإنسان فهم العالم الذي يعيش فيه، بحيث يكون مقبولاً لديه، أو معقولاً، أي يتقبّله عقله. ولاكتشاف القوانين الطبيعية غايتان: وصف الظاهرة وتفسيرها.

وللقانونِ العلميّ خصائصُ رئيسةٌ ثلاث:

١- الشمولية، أي أنه لا يقتصر على وصف حالة جزئية أو واقعة فريدة، بل يصف جميع الحالات الجزئية التي تنتمي إلى صنف واحد.

٢- الشرطية، أي أنه يُصاغ في صورة " إذا... إذن". بمعنى أنه يخبرنا: إذا توفرت شروط معينة، وظروف محددة، إذن سيحصل كذا وكذا.

٣- التنبؤية، أي القدرة على التنبؤ بالمستقبل عند تطبيق القانون على الظواهر الطبيعية التي يشملها[(٢)]. وهذه الخصيصة ذات علاقة وطيدة بالتي سبقتها.

= عروبية على مستوى الترسيس. يقول عالم التأثيل الدكتور عبد الرحمن السليمان: "من جهة أخرى، ثمة كلمات عالمية مشتقة من اللغات الجزيرية أو من جذور جزيرية مشتركة قد لا ننجح دائما في تحديد لغتها الجزيرية الأصلية لعدم وجود قنوات واضحة دخلت عبرها الكلمة الجزيرية إلى هذه اللغة الأجنبية أو تلك. من ذلك كلمة (قانون). فكثيرا ما نسمع أن كلمة (قانون) معربة عن اليونانية (kanōn = κανόν) التي تعني فيها "قاعدة"، وفي الأصل: "خط للقياس". وبالنظر في أصل الكلمة يتضح أنها مشتقة من اليونانية (kanōn = κανόν) التي تعني فيها "قصب". وقد انتقلت هذه الكلمة اليونانية إلى اللاتينية (canon) ومن اللاتينية إلى أكثر لغات الغرب. وعند التدقيق في الكلمة اليونانية يتضح أنها مستعارة من اللغات الجزيرية، إذ جاء في الأكادية (مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد): /قَنُو/ "قصب"، وكذلك في العبرية קנה= /قانِه/ "قصب" أيضا. أما في الحبشية فتعني /قنوت/ =qanōt"عصا وخز" (لوخز الماشية لحثها على المسير). وهي في الفينيقية (= قنا) وفي الآرامية والسريانية (ܩܢܝܐ= /قَنْيا/) وأخيرا في العربية (= قناة، قنا) "الرمح". وأصل القناة: "العصا" المستوية. قال في اللسان (مادة /قنا/): "وكل عصا مستوية فهي قناة". والعصا المستوية هي العصا التي يقاس بها ويرسم بها الخط المستقيم، وهذا معنى "قانون" الأصلي في اليونانية، أي "خط للقياس"، ثم استعمل مجازا ليدل على "القاعدة"؛ فثبت أخذ اليونان لها عن اللغات الجزيرية، ذلك أن اليونان جاؤوا ألفي سنة بعد الأكاديين الذين جاء في لغتهم: /قَنُو/ وهي القصبة المستقيمة، فيبطل ادعاء استعارتها عن اليونانية." (في كتابه المعد للطبع: " دراسات في اللغة والتأثيل والمصطلح " ص ١٠٠-١٠١).

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢).

(٢) محمود فهمي زيدان " قانون" في: الموسوعة الفلسفية العربية (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦) المجلد الأول.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وتنضوي هذه الخصائص الثلاث تحت مبدأ القوانين (مبدأ الحتمية) الذي ينصُّ على أن العلل نفسها ينتج عنها حتماً معلولات واحدة، في الظروف نفسها وتحت الشروط ذاتها. أي أن مبدأ القوانين يقرّ بوجود نظام كليٍّ واحد في العالم، وهو نظام دائم ثابت لا يشذّ عنه شيء في الزمان ولا في المكان. ﴿ولن تجد لسنّة الله تبديلا﴾ (سورة الأحزاب: ٦٢).

ومعروف أن علم المستقبل (أو المستقبليات أو الدراسات المستقبلية) الذي تطور في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، والذي يختص بالمحتمل والممكن والمفضَّل في المستقبل، ينبني على خصائص القوانين العلمية وحتميتها. فهو يرمي إلى تصوُّرِ وضعٍ مستقبلي مع سيناريوهات للحالات الطارئة المحتملة، بناء على عبرة مستخلصة من الماضي، ودراسة التطورات الراهنة على المستويَيْن العالمي والإقليمي، واستخدام نماذج رياضية، واستثمار الإمكانات الحاسوبية[١]. وهذا هو الأساس في الدراسات التي يكتبها كبار المؤرخين والاقتصاديين الأمريكيين عن قرب انهيار الإمبراطورية الأمريكية، بناء على القوانين المستخلصة من التاريخ حول قيام الإمبراطوريات وانهيارها[٢].

التغيُّر اللغوي:

التغيُّر ـ أو التحوُّل كما يسميه بعض الفلاسفة ـ "هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى"، على حدِّ تعبير الجرجاني[٣]. والمقصود بالشيء: الموجود. وهو إما موجود في الأعيان أو في الأذهان، أي أن الشيء إما أن يكون موجوداً في الواقع، أو موجوداً في الخيال.

ولا يستلزم التغيُّر تحوّلاً في جميع صفات الشيء، فقد يقتصر التحول على صفة أو أكثر من صفات الشيء، كما يحدث في الإدغام مثلاً الذي يقتصر على حرف أو حرفين من حروف الكلمة وليس جميع حروفها.

وقد يحصل التغيُّر بصورة تدريجية فيسمونه بالتغيُّر التدريجي، أو يحصل دفعة واحدة فينعتونه بالتغيُّر الدفعي[٤]. ومعظم التغيُّرات اللغوية تنتمي إلى التغيُّر التدريجي. وكما يحصل التغيّر في جوهر الشيء، فقد يحصل في صفة من صفاته، فيصيب التحوُّل صفة الكمِّ زيادة

(١) ضياء الدين زاهر، مقدمة في الدراسات المستقبلية: مفاهيم-أساليب-تطبيقات"، سلسلة مستقبليات، الكتاب الأول، مركز الكتاب للنشر، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

(٢) Colossus: The Rise and Fall of the American Empire Penguin, ٢٠٠٥..Niall Ferguson

(٣) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)جميل صليبا، مرجع سابق.

(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٩).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أو نقصاناً، أو المكان، أو الكيف، أو حلول صفة مكان أخرى[1].

لقد ذهب أرسطو (ت ٣٤٧ ق.م.) والفلاسفة المسلمون الأوائل، إلى أن للتغيُّر أو التحوُّل أنواعاً رئيسةً ثلاثة:

١- الكون أو الحدوث: وهو تحول من اللاوجود إلى الوجود، كحدوث كلمة لم توجد في اللغة من قبل، كحدوث كلمة (حاسوب) في اللغة العربية بمعنى الحاسب الآلي حوالي سنة ١٩٨٠م ولم تكن موجودة بهذا المعنى من قبل.

٢- الحركة، وهي تحوُّل من الوجود إلى الوجود، كالتحول الذي يحصل في كلمة موجودة، في مبناها أو معناها أو استعمالها، كتحوُّل معنى كلمة (سخيف) في عبارة " حرير سخيف" من (رقيق) إلى (تافه).

٣- الفساد أو الفناء، وهو تحول من الوجود إلى اللاوجود، مثل انقراض لفظ كان موجوداً في اللغة، كانقراض لفظ (افرنقع) بمعنى (تفرَّق) في اللهجات الدارجة.

والمعجم التاريخي معنيٌّ بتسجيل التغيُّر اللغوي في جميع أنواعه. وقد دأب كثير من اللسانيّين المعاصرين على نعت التغيُّر اللغوي بالتطور اللغوي[2]. ولكن الخلل في هذه التسمية ظاهرٌ واضحٌ إذا ما نظرنا إلى أنواع التغيّر، فقد يكون هذا التغيّر فناء فلا يمكن تسميته تطوراً، ويطلق علماء اللغة مصطلح "التطور اللغوي"، عادةً، على نمو لغة الطفل، أو تنمية لغة ما برفدها بمصطلحاتٍ جديدةٍ وإمدادها بالوسائل اللازمة لتنميتها.

ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية فيزيائية وهي عبارة عن بنية أي منظومة من العلاقات الثابتة بين عناصرها في إطار التحولات التي تخضع لقوانين التركيب والتي تشكِّل هُويتها، فإن جميع قوانين التغيّر العلمية ينبغي أن لا تقتصر على وصف التغيُّرات التي تصيب اللغة، بل ينبغي كذلك أن تفسِّرها بطريقة مقبولة. تقول الموسوعة الفلسفية السوفيتية:

---

(١) من الأمثلة على ذلك، المعجم الموحَّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي) (الدار البيضاء: مكتب تنسيق التعريب، ٢٠٠٢) ط٢، فقد أورد المصطلحين: تغيّر وتطور. وعرّف التغير بما يلي: "تغيُّر change / Changement: خاصية مهمة للغة، تنم عن التطور المستمر الحاصل لها وذلك حين يلاحظ المتكلم أن كلمة أو جزءا من الكلمة أو إجراء صرفيا لم يعد كما كان في السابق، رغم خداع الكتابة أحياناً". وعرّف التطور بما يلي: "تطور اللغات Developing Language/Développement des langues ظاهرة التغيُّر التي تخضع لها جميع اللغات الإنسانية" وهكذا عرّف التغير بالتطور والتطور بالتغيُّر، وهما مختلفان، إضافة إلى الخطأ الذي وقع في المصطلح الإنجليزي Developing Language والصحيح هو Language Development، وهو مصطلح تستعمله المصادر المتخصصة لنمو لغة الطفل أو لتنمية اللغة بالمصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية، إلخ.

(٢) الموسوعة الفلسفية السوفيتية، ترجمة سمير كرم (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٥) الطبعة الخامسة، ص ١٣٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

"ويوضَع التغيّر دائماً على أنه نقيض الاستقرار النسبي لصفات الأجسام أو بنائها أو قوانين وجودها. ولكن البناء والصفات والقوانين نفسها هي نتيجةٌ للتفاعل، وتحددها العلاقات المتباينة بين الأجسام، وهي من ثم تنشأ عن تغيُّر المادة"[1].

وفي ضوء ذلك، فإن التفاعل بين أصوات اللغة، وصرفياتها (الوحدات الصرفية)، وتراكيبها، ودلالاتها، هو بمثابة تأثير متبادل لهذه العناصر الواحد منها على الآخر. فالتفاعل هو أية رابطة أو علاقة بين الأشياء والظواهر المادية ضمن نظامٍ بنيويٍّ أو نسقٍ مادي. واللغة هي نظام بنيوي ونسق صوتي مادي للتواصل البشري، والتفاعل بين عناصرها مستمر دائم. ولذلك فهي عرضة للتغيّر الذي تحكمه قوانين علمية. وعلى المعجم التاريخي أن يخبرنا عن القانون الذي خضع له كلُّ تغيّر يحدث في الألفاظ، في الزمان والمكان، لأن الزمكان هو من العوامل التي ينتج عنها التغيّر.

المعجم التاريخي:

التاريخ:

إذا أُريد للتاريخ أن يكون علماً من العلوم الحديثة، وجب على المؤرِّخين أن لا يكتفوا بسرد الأخبار أو ذكر الوقائع أو وصف الحوادث الماضية في تسلسلها الزمني فقط، فذلك ما كان الأخباريون يفعلونه قديماً. فقد كان الأخباريون ينقلون الأخبار دون تمحيص أو تحليل أو تعليل، فتختلط الأسطورة بالحقيقة، ويتداخل الخيال بالواقع.

وقد كافح المؤرخون المسلمون طويلاً لتطوير منهجية علمية لتدوين التاريخ، ابتداءً من اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) في "تاريخ اليعقوبي"، ومروراً بالطبري (ت ٣١٠هـ) في كتابه "تاريخ الأمم والملوك"، والمسعودي (ت ٣٦٤هـ) في تاريخه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في كتابه "الكامل في التاريخ"، ووصولاً إلى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في كتابه "العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". وانصبَّ عملهم الدءوب على جوانب أساسية أهمها:

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: دار الكتاب العربي، ب ت)، انظر مثلاً تفسيره لتأثير الهواء في ألوان البشر وفي والكثير من أحوالهم، ص ٨٢ وما بعدها، ومثلاً تقسيمه للجماعات البشرية وتطورها من البداوة إلى الحضارة، ص١٢٠ وما بعدها. ومن أوائل الباحثين الذين انتبهوا إلى اكتشاف ابن خلدون لقوانين تحكم الحركات الاجتماعية وتطور المجتمعات، طه حسين في أطروحة الدكتوراه حول "المقدمة" التي قدّمها إلى السوربون سنة ١٩١٧م. وبعد ابن خلدون، تناول قوانين الصيرورة التاريخية بالبحث والتنظير الفلاسفة المثاليون الألمان مثل فيختة (ت ١٨١٤م) وهيجل (ت ١٨٣١م) وشوبنهاور (ت ١٨٦٠م). ومؤخرا المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (ت ١٩٧٥م). (يُنظر: ناصر الدين سعيدوني، " نظرة في إشكالية المعرفة التاريخية" في مجلة " العربي" الكويتية ٥٩١ (فبراير ٢٠٠٨) ص ٦٢ـ٦٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- جمع المعلومات عن الأحداث والوقائع الماضية، وتنظيمها وتصنيفها،
- وضع أُسسٍ لغربلة الأخبار وتمحيصها ونقدها، بالاستفادة من مناهج علماء الحديث في الجرح والتعديل،
- التخلُّص من تدوين الأخبار على أساس التعاقب الزمني للشخصيات، واعتماد الأحداث أساساً للتدوين،
- تبسيط أسلوب لغة التدوين التاريخي،
- والأهم من ذلك كله، تحليل الحوادث والوقائع، وتفسيرها، وتعليلها، والوقوف على أسبابها ونتائجها، بحيث لم يعُد المؤرخ مجرَّد ناقل للخبر الشفوي ومدوّنه، بل أصبح محلِّلاً لسلسة الأحداث الماضية، باحثاً عن نمط العلَّة والمعلول الذي أدى إلى وقوعها. أي أنه أصبح عالماً يكشف عن الأدواء والعلل. كما أن التاريخ لم يعُد مجرَّد أخبارٍ مرتبةٍ ترتيباً زمنياً، بل وسيلة لفهم الماضي، وتدبُّر الحاضر، والتنبؤ بالمستقبل.

فالمنهج العلميُّ لدراسة التاريخ منهجٌ شامل، لا يقف عند الواقع المادّيِّ الظاهر للعيان فقط، بل يبحث بعمقٍ عن جميع الدوافع والقيم والعوامل المؤثرة في حركة التاريخ والتي تصنع الوقائع والأحداث. وهذه النظرة العلمية للتاريخ هي التي أدَّت إلى ظهور النظرية "التاريخية" القائلة بأن الأمور الحاضرة والأوضاع الراهنة ناشئة عن التطوُّر التاريخي، ولا يمكن تبديل نتائجها ولا فهمها على حقيقتها إلا بدراسة تاريخها. فهنالك قوانين علمية عامَّة تحكم سير الوقائع التاريخية وتطوُّر الجماعات الإنسانية على مر الزمان. ونجد جذور تلك النظرية لدى العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في "المقدمة"[(١)]. فهذه المقدمة تتضمَّن القوانين التي تتحكّم في الأحداث والوقائع التي سردها ابن خلدون في تاريخه "العبر" فقد تطرق في "المقدمة" إلى قوانين التطور التي يسير عليها تطور المجتمعات البشرية من البداوة إلى الحضارة، والقوانين التي تتحكم في قيام الدول وسقوطها. وما تسميته لتاريخه بـ"العِبر"، إلا نتيجة إدراكه العميق لفائدة عملنا على تأريخ الماضي في حاضرنا ومستقبلنا. فنحن نعتبر ونتعظ بواقعة معينة من الماضي فنعرف أنه إذا توافرت في المستقبل نفس الظروف والأسباب التي أدت إلى تلك الواقعة الماضية، فإنها ستقع وتحصل نتائج مماثلة أو مقاربة لنتائجها الماضية. وبهذه الطريقة نعتبر بالتاريخ من أجل مستقبل أفضل.

في كتابه القيّم "مفهوم التاريخ"، يفرّق المؤرخ المغربي المتميز الدكتور عبد الله العروي

---

(١) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ (الدار البيضاء/بيروت: المراكز الثقافي العربي، ط ٥: ٢٠١٢) ص ٤٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

بين "الأرّاخ " والمؤرّخ. فالأول يضبط التواريخ للأحداث، أما الثاني فـ"يسجل الأحداث في حال حدوثها، يحلّلها على حالها، يعطي أسبابها الظاهرة، يستطلع نتائجها التي لا زالت خفية، ثم يتابع الحركة مقارناً في كل لحظة المتوقَّع بما يتحقق فعلاً" [1]. [يلاحظ أن هذا المفكِّر العبقري اشتقّ كلمة "أرّاخ" على وزن (فَعّال) الذي يُستخدَم عادة لأصحاب المهن اليدوية مثل: خدّام، شغّال، زبّال، عتّال، حمّال، نجّار، صبّاغ، إلخ. على حين أن "مؤرِّخ" على وزن (مُفعِّل) الذي يُستعمل عادة لأصحاب المهن الفكرية مثل: مفكِّر، محقِّق، مُفسّر، مُحدِّث، مُنجِّم، مُحلِّل، إلخ.].

ثم يعقد العروي الفصلَ الثالث في كتابه هذا لأنواع التعليل والتفسير والقياس والاستقراء؛ وهي من الأدوات التي يستخدمها المؤرِّخ في تعليله الأحداث وتفسيرها والوصول إلى القوانين التي تحكمت في وقوعها. ويفرّق بين الإخباري (في معجمنا "المعجم العربي الأساسي" ترد الأخباري) وبين المؤرِّخ، فيقول: "يُقال إن الإخباري يكتفي بسرد الأحداث (وقع كذا ثم كذا ثم كذا) وإن المؤرِّخ يعلل كلَّ ما يروي (وقع كذا لأن كذا فكذا)." ويضيف ملاحظة استنتجها من استقراءه كتب الأخباريين وكتب المؤرخين، مفادها أن الأخباري يعلل بعض الأحداث، وأن المؤرّخ لا يُعلل كلَّ الأحداث [2].

خصائص المعجم التاريخي:

والمصطلح الثالث في عنوان دراستنا هو المعجم التاريخي. وهو ذلك المعجم الذي يتتبع ألفاظ اللغة منذ أول ظهور مسجّل لها حتى يومنا هذا، ويوضح ما طرأ عليها من تغير في المبنى والمعنى والاستعمال، كما مرَّ بنا. وللمعجم التاريخي خصائصُ رئيسةٌ ثلاث:

أولاً، أن يبيِّن كيف ظهر اللفظ في اللغة أوَّل مرَّة، سواء بالتوليد أو الاقتراض، ويوضِّح ما أصابه من تغيّر في المبنى والمعنى عبر الزمان أو المكان. وإذا كان اللفظ مقترَضاً، يعطينا المعجم لفظه ومعناه باللغة المقترَض منها، وأصله كذلك، ولفظه ومعناه عندما دخل اللغة المقترِضة أوَّل مرة. وهذا ما نطلق عليه التأثيل. وفي هذا يشترك المعجم التاريخيُّ مع المعجم التأثيليّ. ولكن المعجم التاريخي يفسر لنا لماذا وكيف تغيّر اللفظ أثناء انتقاله من لغته الأصلية إلى اللغة العربية، لينسجم مع النظام الصوتي أو الصرفي للغة العربية.

ثانياً، أن يؤرّخ التغيّر اللغوي الذي طرأ على اللفظ بالسَّنة التي وقع فيها، وإن لم يكن ذلك ممكناً فبالقرن أو العصر الذي حصل فيه التغيُّر. وقد تفعل بعض المعاجم التأثيلية

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩٢.

(٢) علي القاسمي (المنسّق) وآخرون. المعجم العربي الأساسي (تونس: الألكسو، ١٩٨٩م).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ذلك أيضاً. ولكن الأهم من ذلك أن يفسّر لنا التغيّر الذي وقع، ويبين أسبابه، ويذكر القانون الذي تحكم فيه، وإذا لم يفعل ذلك فإنه ليس معجماً تاريخياً، بل معجم أخباري (أو معجم أرّاخ، طبقاً لتعبير العروي)، يخبرنا فقط بما حدث ولا يعلله لنا ولا يبين قانون العلة والمعلول الذي جرى بموجبه التغيّر.

ثالثاً، أن يشفع كلَّ تغير يطرأ على اللفظ في مبناه أو معناه أو استعماله، بشاهد أو شواهد موثَّقة، أي منسوبة إلى قائلها، والمصدر، وتاريخ نشر ذلك المصدر. وإذا كان الشاهد يلي اللفظ الجديد أو المعنى الجديد، أو الذي عاد إلى الاستعمال بعد سبات، فينبغي أن يكون أقدم الشواهد على ذلك.

وخلاصة القول:

تلك هي الخصائص الجوهرية المميزة للمعجم التاريخي.

قضايا خلافية في المعجم التاريخي:

بيدَ أن هنالك قضايا هي محل خلاف بين المعجميّين العرب. ومن أبرز هذه القضايا ثلاث:

١- الأعلام في المعجم التاريخيّ.

٢- المعلومات الثقافية والحضارية في المعجم التاريخيّ.

٣- النص على قوانين التغير اللغوي في المعجم التاريخي.

فكثيرٌ من زملائي المعجميين العرب يرى أن المعجم التاريخيَّ ينبغي أن يشتمل على ألفاظ اللغة فقط وليس على أسماء الأعلام التي يلزم أن يكون مكانها في المَعلمات والموسوعات، ولا على المعلومات الثقافية والحضارية التي يجب أن يكون محلّها في دوائر المعارف، ولا على قوانين التغيُّر اللغويِّ التي ينبغي أن تكون مظانَّها كتبُ الصوتيات والصرف والتركيب والدلالة.

نحن ـ مع الأسف أو من حسن الحظ ـ نخالف زملاءنا المعجميين العرب في ذلك، وإليك البيان:

الأعلام في المعجم التاريخي:

أسماء الأعلام هي ألفاظ لغوية قبل كل شيء، وما تقسيم الاسم إلى عام وخاص إلا من تقسيمات النحويين لتيسير الدرس اللغوي، وليس له أساس صلب في واقع الاستعمال. فالمعجم، آنياً كان أو تاريخياً، وُجِد ليساعد القارئ على فهم النص الذي يقرأه. ولهذا يجب أن يشتمل على أسماء الأعلام، لا لأنها ألفاظ لغوية فحسب، بل كذلك لأن فهمها ضروري لفهم النص الذي بين يديه. فالقارئ قد لا يفهم الحديث النبوي الشريف: "سلمان منّا آل البيت"، ما لم يساعده المعجم على فهم اسمَي العلم، "سلمان" و"آل البيت"، ودلالتهما

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

التاريخية، فسلمان الفارسي (ت ٣٦ هـ) كان عبداً مملوكاً، و (آل البيت) هم خاصة النبي (ﷺ) من قريش التي تعدّ أشرف القبائل في الجاهلية، وجاء الإسلام ليساوي بين الناس بغض النظر عن أصلهم أو لونهم، ويعدُّ شرف المرء تقواه. ولا يسعف المعجمُ ذلك القارئ ما لم يعرّف هذين الاسمين. كما أن القارئ قد لا يفهم مقولة "لا بُدّ من صنعا ولو طال السفر"، ولا بيت مجنون ليلى:

فلو كان واشٍ في اليمامة دارُه   وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

ما لم يساعده المعجمُ على معرفة أسماء الأماكن: صنعاء، واليمامة، وحضرموت، ومواقعها، خاصة أن نظام الكتابة العربية لا يفرق بين كتابة الأسماء العامة والخاصة، كما في الكتابة بالحرف اللاتيني التي تبدأ فيها أسماء العلم بحرف كبير. فالمكان هو العنصر الأول من عناصر النص، في النقد الحديث. ومن أهم مبادئ الصناعة المعجمية أن لا يحيل المعجمُ القارئ كثيراً، سواء كانت الإحالة على مواد في داخل المعجم أو على مواد خارج المعجم.

وفي مدخل (دوّن) في المعجم التاريخي، ألا يخبرنا المحرّر أن هذا الفعل مشتق من الاسم (ديوان) الذي دخل اللغة العربية من الفارسية زمن الخليفة عمر بن الخطاب (ر) (ت ٢٣هـ) الذي كان أول من دوّن الدواوين في الإسلام؟ ألا يحتاج هذا المعجم أن يعرّف القارئ بهذا الخليفة الراشد؟؟

وفي مدخل اسم الإشارة (هذا)، ألا يحتاج هذا المعجم التاريخي أن يخبر القارئ الكريم عن سبب كتابتها في المشرق بدون ألف بعد الهاء، وينبهه إلى أنها تكتب على شكل (هاذا) في بلدان المغرب العربي؟ وفي هذه الحالة، ألا يحتاج هذا المعجم إلى التعريف ببلدان المغرب العربي: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا؟ أم يطلب من القارئ الكريم أن يذهب إلى كتابٍ في الأعلام الجغرافية؟؟

لكل هذه الأسباب، قررنا أن يتضمن معجمنا "المعجم العربي الأساسي" أسماء الأعلام التي يحتاجها الطالب كذلك[1]، على الرغم من أن الموضة كانت تقضي بإبعاد أسماء العلم من المعجم.

هل نضمّن أسماء العلم في المعجم التاريخي أم لا؟

الجواب، عند بعضهم، يكمن في نوع المعجم التاريخي الذي نريد صنعه، والمدة

(١) محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٨م). وقد أوضح الدكتور محمد حسن عبد العزيز لي أثناء مناقشة الموضوع أنه لا يرى أن ذكر قوانين التغيّر اللغوي من واجبات المعجم التاريخي.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المخصّصة لإنجازه، والموارد المادية والبشرية المرصودة للمشروع. فهنالك نوعان من المعاجم التاريخية:

- معجم تاريخي للمثقف العام، وهو متوسط في حجمه (بين مجلد كبير وثلاثة مجلدات)
- معجم تاريخي للباحثين على اختلاف تخصصاتهم، وهو كبير في حجمه (قد يبلغ بين عشرين وثلاثين مجلداً).

يقول الذين يأخذون بالتخصص، إن المعجم التاريخي، بنوعيْه سالفي الذكر، غير معني بأسماء الأعلام إلا ما فرضته الضرورة مما له أهمية تاريخية، مثل: محمد (ص) ومكة المكرمة. ولكن ما هو المقياس العلمي للضرورة؟ وهل "الضرورات تبيح المحظورات" أم أن "الضرورة تقدَّر بقدْرها"؟ وما هو المعيار المضبوط للأهمية التاريخية؟

ولقد جاء "الدليل المعياري" الذي وضعته الهيأة التنفيذية لمشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، أكثر دقة، إذ وجّه معالجي مواد المعجم إلى ما يلي:

" يُفرَد لكل اسم علم مُشتقٍ أو مُشتقٍ منه مدخلٌ في المعجم"

مثلاً: إذا ورد في المدونة عبارة "حرير دمشقي"، يقوم المعالج بإفراد مدخل لمدينة (دمشق).

ولكن، لا تعدم جميع أسماء الأعلام تقريباً في مدونة قوامها بليون كلمة، أن تكون مشتقَّة أو مشتقة منها، فهناك: الأغنام الحجازية، والأبقار الهولندية، والزجاج العراقي، والدقّة المراكشية، والفستق الحلبي، والموسيقى الغناوية، والفَرس الخفاجية، والكلب السلوقي، والخط النبطي، والخط الكوفي، والخط الفارسي، والخط المغربي: الخط القيرواني (التونسي)، والخط القرطبي (الأندلسي)، والخط التمبكتي (السوداني)، والخط الفاسي؛ والسيوف الهندية، والسيوف النزارية، "ولا سيف إلا ذو الفقار"، إلخ. وهكذا قد ننتهي إلى تضمين جميع أسماء الأعلام تقريباً في المعجم التاريخي، حتى إن كان من النوع الأول.

إذن، ما العمل؟

إننا نرى أن الفيصل في تضمين أسماء الأعلام في المعجم التاريخي بنوعيه، هو شيوع اسم العلم في المدوَّنة. بحيث تقرِّر هيأة تحرير المعجم التاريخي أن أسماء الأعلام التي تقع ضمن الثلاثين بالمئة، مثلاً، من أسماء العلم الأكثر شيوعاً في المدونة، تدخل في المعجم من النوع الأول (الصغير)، وأن المعجم من النوع الثاني (الكبير) يتضمَّن جميع أسماء الأعلام الواردة في المدونة، مع تفاوت في حجم التعريف بالاسم حسب أهميته، أي أن للتعريف عدة أنواع، كل نوع منها محدَّد بعدد معين من الكلمات. فتعريف اسم العلم (سلوق)، مثلاً،

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بكلمتين: بلدة باليمن، وتعريف اسم العلم (مكة) بفقرتين، وهكذا دواليك.

ينبغي أن يشتمل المعجم التاريخي على أسماء الأعلام، لأن التاريخ لا يمكن أن يفصل بين الأحداث والوقائع وبين مكان حصولها وزمانه. والزمان نفسه لا يمكن أن يتحقق بدون مكان.

المعلومات الثقافية في المعجم التاريخي:

إذا طرحنا هذه القضية على أغلبية المعجميين العرب، سيكون جوابهم: إن المعلومات الثقافية مكانها الموسوعات وليس المعاجم التاريخية، كما أسلفنا. ولكننا نؤمن بالتوجُّه الشمولي التكاملي في المعجم التاريخي، ونريد له أن لا يكون مجرد مخزن للألفاظ بل مخزناً للأفكار كذلك، وأن ننتقل به من المعجم اللفظي إلى المعجم الثقافي (كما انتقلنا بالقصة العربية المعاصرة من قصة المتعة المجردة إلى قصة المتعة الثقافية).

وفي حقيقة الأمر، لا فضل لنا في ذلك، بل يعود الفضل إلى المعجمي الفرنسي الكبير ألن رَي Alain Rey وزوجته الراحلة جوزيت ري دي بوف J. Rey-Debove. ففي الطبعة الجديدة (٢٠٠١) التي أشرف عليها ألن ري من "معجم روبير الكبير للغة الفرنسية"

Le Grand Robert de la Langue Française

والتي استغرق جمع مادتها نصف قرن، رغم الاستفادة من المعاجم التاريخية والتأثيلية الفرنسية السابقة، واستغرق تحريرها اثني عشر عاماً وتقع في ستة (٦) مجلدات تضم ١٣٥٠٠ صفحة، نجد أن الكلمات مرقّدة في سياقات ثقافية تختلف حسب العصور التاريخية والثقافات الإنسانية، بحيث تكشف لنا الألفاظ عما يكمن وراءها من القيم والأفكار. فالمعجم ليس مجرد تاريخ للكلمات، بل تاريخ للأفكار والمعارف والممارسات التي تمثّلها تلك الكلمات. فهذا المعجم يضم ٨٦٠٠٠ مقالة ثقافية أو موسوعية، كما يشتمل على ١٣٥٠ إطاراً ثقافياً (فقرة أو أكثر موضوعة في مربع) تتناول: المفاهيم، وفروع المعرفة الكبرى، والعواطف الإنسانية، والفنون والثقافة، والحيوان والنبات، وأدوات الحياة اليومية، والأطعمة والملابس، والألعاب الرياضية.

وهكذا ينهار الجدار العازل المصطنع بين اللغة والفكر، والجدار الواهي بين الموسوعة والمعجم التاريخي.

تاريخية المعجم التاريخي:

فيما يخصُّ موضوع هذه الورقة، نرى أن المعجم التاريخي هو معجم مقيَّد بوصف (التاريخي)، ولكي يكون تاريخياً حقّاً، لا يكفي أن يذكر تاريخ التغيُّر الذي طرأ على مباني

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الألفاظ ومعانيها، بالسنة أو القرن أو العصر، بل لا بد أن يفسِّر لنا أسباب حدوث التغيُّر في ضوء القوانين العلميَّة. كما أن التاريخ ليس مجرَّد أخبارٍ مرتبةٍ ترتيباً زمنياً، بل وسيلة لفهم الماضي، وتدبُّر الحاضر، والتنبؤ بالمستقبل، فإن المعجم التاريخي ليس مجرد ألفاظ أو معانٍ مرتبة ترتيباً زمنياً، بل وسيلة لفهم دواعي التغيّرات في المبنى والوقوف على أسباب التحوّلات في المعنى.

تزعم هذه الدراسة أن كتاباتنا الراهنة عن صناعة المعجم التاريخي للغة العربية لا تتناول قضية التغيُّر اللغوي بصورة وافية، وتغفل ضرورة أن يزودنا المعجم التاريخي بالأسباب التي أدت إلى وقوع التغير في مبنى اللفظ أو معناه أو استعماله، والقوانين العلمية التي تحكم ذلك التغيُّر.

ففي الكتاب القيم الذي صنّفه الدكتور محمد حسن عبد العزيز بعنوان "المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج"[(١)]، لا نجد ذكراً صريحاً لهذه المسألة أو تأكيداً واضحاً عليها. وفي النماذج الجيدة التي ساقها من مشروع معجم فيشر، ومن المشروع التونسي، وفي نماذجه الشخصية، لا نلمس تلك القضية بوضوح. وهذا القول ينطبق كذلك على كتابي "صناعة المعجم التاريخي للغة العربية"[(٢)]، وعلى كتاب "نحو معجم تاريخي للغة العربية" باستثناء دراسة الأستاذ عبد الرزاق عبد النور التي مسّت جانباً صغيراً من الموضوع.

وإذا رجعنا إلى النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية، نجد أن الهدف الأساس لهذه الهيئة هو: "إنجاز معجم تاريخي لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها، لبيان ما طرأ على مبانيها ومعانيها من تغيُّر عبر الزمان والمكان."[(٣)]

فهل يا ترى أن الهيئة الموقَّرة ضمنّت المسألة موضوع البحث (أي تفسير التغير وذكر

---

(١) علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، مرجع سابق. ورد في الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب ما يلي: "واعتماد المنهج التاريخيِّ العلميِّ في المعجم، لا يعني ترتيب معاني اللفظ ترتيباً زمنياً فقط. فكما أنَّ المنهج التاريخيَّ العلميَّ في التاريخ لا يقتصر على سرد الأحداث والوقائع في ترتيبٍ زمنيٍّ من الأقدم إلى الأحدث فحسب، بل يسعى كذلك إلى تبيان العلاقة بين تلك الأحداث، ومعرفة الأسباب التي أدّت إليها، وعلاقتها بالنتائج التي تمخَّضت عنها، في ضوء قوانين الفكر والمنطق؛ فإن المعجم التاريخيَّ لا يقتصر على ترتيب معاني اللفظ المختلفة ترتيباً زمنيا فحسب، بل يعمل كذلك على استنباط الفكرة الجامعة بين تلك المعاني، وتوضيح العلاقات والارتباطات بينها في ضوء قوانين الفكر واللغة." وهذه إشارة إلى الموضوع ليست كافية ولا شافية.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥: النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية.

(٣) Adolph Hatzfeld et Arsène Darmesteter. Dictionnaire général de la langue française du commencement du XVIIIe siècle jusqu'à nos jours (paris: Librairie Ch. Delagrave, ١٩١٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

القوانين العلمية التي تحكمه) في لفظ "لبيان"، أم أنها لم ترَ ضرورة لتوسيع أهداف المعجم تفادياً لما يتطلَّبه ذلك من جهد ووقت؟

لا نجد في النصوص العربية المعاصرة حول المعجم التاريخي للغة العربية نصاً واضحاً حول ضرورة أن يفسر المعجم التاريخي التحولات اللغوية ويشير إلى القوانين التي تحكمت فيها، يقارب نص أدولف هاتسفيلد وزميله أرسين دارمستيتر في مقدِّمة كتابهما "المعجم العام للغة الفرنسية منذ بداية القرن السابع عشر حتى يومنا هذا " حيث يعلنان:

"المنهج التاريخي لا يعني أن نذكر فقط المعاني المختلفة للكلمة منطلقين من المعنى الأول الذي تفرّعت منه بقية المعاني... ينبغي بعد ذلك معرفةُ القوانين الصوتية التي أدت إلى التغيرات والتحولات في عدد من الكلمات... ومعرفة القوانين النحوية التركيبية التي فعلت فعلها في تغيير التراكيب الفرنسية وصيغها الصرفية." [(١)] (الخط تحت السطر من وضعنا).

وعلى الرغم من أن العالم الجليل الدكتور عبد العلي الودغيري في بحثه القيم حقاً "نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية"، قد تناول ذلك المعجم بالدراسة الجادة، وترجم نصّ هاتسفيلد وزميله الذي يوضح معنى تاريخية المعجم في نظر مؤلفَيه، فإنه ـ مع الأسف ـ لم يذكر شيئاً عن قوانين التغير في القسم الثالث من دراسته الذي بسّط فيه "نموذجه المختصر من مواصفات القاموس التاريخي العربي وخطة إنجازه" [(٢)] .

وليست المدرسة اللسانية الفرنسية هي الوحيدة في تأكيدها أهمية اشتمال المعجم التاريخي على تفسير التغيُّر الذي يطرأ على الألفاظ، وتعليله، ومعرفة القوانين التي تتحكّم به، بل إن المدرسة الألمانية هي السباقة لذلك. فجميعنا على علم بقانون غريم للتغير الصوتي في اللهجات الألمانية واستفادة الأخوين غريم منه ومن غيره من قوانين التغيُّر اللغوي في إعدادهما المعجم التاريخي للغة الألمانية. وقد ألف المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب الذي تخرج في المدرسة اللسانية الألمانية وتبنّى أطروحاتها في الموضوع كتابه المعروف: "التطور اللغوي: مظاهره، وعلله، وقوانينه".

---

(١) كما صدرت عدة دراسات آثارية وتاريخية من لدن علماء أمريكيين وإسرائيليين تفند مزاعم الصهاينة المبنية على التلمود والقائلة بوجود هيكل سليمان في القدس، مثل دراسات البرفسور زئيف هيرتزوغ أستاذ الآثار في جامعة تل أبيب الذي شارك في الحفريات الإسرائيلية في المسجد الأقصى ونشر مقالاً في جريدة هارتس الإسرائيلية في أكتوبر ١٩٩٩ قال فيه: "لقد حصل انقلاب حقيقي في نظرة علماء الآثار الإسرائيليين إلى التوراة باعتبارها مصدراً تاريخياً". وكذلك مؤلفات رجل الدين الأمريكي المؤرخ Ernest L Martin خاصة كتابه (٢٠٠٠) The Temples that Jerusalem Forgot وغيرهما كثير.

(٢) R. A. Boulay. FLYING SERPENTS AND DRAGONS (Florida: Galaxy Books of Clearwater, ١٩٩٠

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

علل التغيُّر اللغوي وأسبابه:

يحدث التغيّر اللغوي استجابة لضغوط اجتماعية واقتصادية وسياسية؛ إذ يحدّثنا التاريخ أن اللغات تعرّضت للتغيّر إبان الغزوات، والاستعمار، والهجرات، والمبادلات التجارية، وظهور مخترعات جديدة، وغير ذلك.

ومنذ قديم الزمان حاول المعنيون باللغة واستعمالها أن يفسّروا التغيّر الذي يطرأ على اللغة ويعلّلوه. ولعلَّ من أقدم التفسيرات ما ورد في سفر التكوين في التوراة (الفصل ١١ من ١ ـ ٩)، من أن الرب غضب على البشر، فانهار برج بابل وتبلبلت الألسن واختلفت بعد أن كانت واحدة. (وكان الأحبار اليهود الذين كتبوا التلمود أثناء النفي البابلي (بعد سنة ٥٨٦ ق.م. قد نقلوا كثيراً من الأساطير من الأدب السومري خاصة ملحمة جلجامش، وهذا ما يسمَّى بالتناص في النقد الحديث، كما بيّن ذلك عدد من الباحثين الغربيين[١] والطبيب النفساني الناقد الأدبي الدكتور حسين سرمك حسن في كتابه "ليلة تسليم جلجامش لليهود" الموجود تحت الطبع في دار نشر ضفاف ببغداد والدوحة. لقد كان الأحبار أخباريين وليسوا مؤرخين، ولهذا فإن المسائل التاريخية الواردة في التلمود لم تصمد أمام البحث الآثاري والتاريخي الذي أجرته جامعة تل أبيب لأكثر من خمسين عاماً).

أما التفسيرات العلمية للتغيّر اللغوي، فقد ظهرت بعد ذلك التاريخ بكثير. ففي القرن الثامن عشر الميلادي، قال بعض اللغويين إن اللغات الهندية ـ الأوربية، كالسنسكريتية والإغريقية واللاتينية، كانت لها أنظمة تصريف معقدة، ولكن كسل الناطقين بهذه اللغات وعدم عنايتهم باللغة أديا إلى وقوع تغيُّرات في هذه اللغات.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، قال النحاة الجدد الألمان بأن التغيُّر في اللغة هو عملية ذاتية وميكانيكية، ولا يستطيع الناس ملاحظتها أو التحكُّم فيها، وقد يكون سببها الميل نحو التبسيط والتيسير، لأن بعض الأصوات أيسر نطقاً من بعضها الآخر. وللناس ميل طبيعي لاستبدال السهل بالصعب.

وفي القرن العشرين، شاعت نظريةٌ تعزو التغيُّر اللغوي إلى الاحتكاك بين الجماعات البشرية فلغة الجماعة الوافدة إلى بيئة جديدة تتأثر بلغة تلك البيئة. وكان ابن خلدون قد أسس في "المقدِّمة" مبدأ تأثُّر لغة المغلوب بلغة الغالب.

ويبدو أن علماء اللغة اليوم يتفقون على أسباب التغيّر اللغوي التالية:

١- الاقتصاد في اللغة ومبدأ الجهد الأقل في الكلام.

---

(١) مرجع سابق.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٢- المماثلة وتأثُّر الوحدات اللسانية بالوحدات المجاورة لها.
٣- الاتصال والتلاقح بين اللغات المختلفة أخذاً وعطاءً.
٤- طبيعة وسيلة الاتصال التي تؤثّر في اللغة ذاتها.
٥- شيوع خطأ لغوي بحيث يصبح جزءاً من اللغة المستعملة، طبقاً لمقولة " خطأٌ شائعٌ خيرٌ من صوابٍ ضائعٍ". (يرفض المنكرون للتغيّر اللغوي والمتشبثون بالصواب القديم هذه المقولة، ويحورونها إلى مقولة " خطأٌ شائعٌ خيرُ منه صوابٌ ضائعٌ".
٦- البيئة الجغرافية والثقافية، التي تؤثر في اللغة لتعبّر عنها[١].

وهذه الأسباب كونية عامّة تنطبق على جميع اللغات. ولكن لكل لغة خصوصياتها، فثمة علَّل خاصة بكل لغة من اللغات. وهذه العلَّل الخاصة هي التي تنال عناية أكبر من لدن محرري المعجم التاريخي للغة العربية.

وتوجد كتب كثيرة في اللغات الأجنبية، خاصة الألمانية والفرنسية والإنكليزية، تتناول التغير اللغوي وأسبابه وقوانينه[٢].

تفسير التغيُّر اللغوي وقوانينه في المعاجم العربية التراثية:

لم ينجز المعجميّون العرب، منذ الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) حتى اليوم معجماً تاريخياً لأسباب ذكرناها في موضع آخر[٣]، ولكنهم تناولوا في معاجمهم ملامحَ متعددة من المعجم التاريخي. ومن هذه الملامح حرصهم على تفسير التغيُّر اللغوي الذي يطرأ على الألفاظ وتعليله. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أولاً، في معجم "العين" للخليل بن أحمد، تفسيرٌ ـ في مادة (خطأ) ـ لجمع (خطيئة) على (خطايا)، فيقول الخليل:

"وخطايا أصلها خطائِئُ ففرّوا بها إلى يتامى، وكرهوا أن يُترك على إحدى الهمزتين فيكون مثل قولك "جائِئُ" لأن تلك الهمزة زائدة وهذه أصلية، ووجدوا له في الأسماء الصحيحة نظيرا ففروا منها إلى ذلك، وذَهبوا به إلى فَعالى مثل: طاهر وطاهرة وطهارى."

---

(١) Nicole Mahoney, " Language Change" in: www.nsf.gov/news/secial_reports/linguistics/ change.jsp

(٢) قامت باحثتان فرنسيتان بالتعريف بأهم الدراسات التي أجريت مؤخراً حول التغير اللغوي ونشرتاها في مقال واحد هو:
Gudrun Ledegen, Isabelle Léglise. Variations et changements linguistiques. Wharton S, Simonin J. Scociolinguistiques des langues en contact. ENS. Edition, pp. ٣١٥-٣٢٩. ٢٠١٣

(٣) يُنظر: علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، مرجع السابق، ص ٨٨- ٩٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وهكذا نجد أن سبب التغيّر اللغوي هو استثقال التقاء الهمزتين[1].

وتفسير الخليل هذا لا يعني بالضرورة أن العرب جمعوا (خطيئة) على (خطائئ) مدة من الزمن ثم استثقلوا اجتماع الهمزتين فغيّروا الجمع إلى (خطايا)، وإنما قد يعني أن السليقة أو قواعد الجمع المخزونة في عقلهم كانت ستولّد جمع (خطيئة) على (خطائئ)، ففروا بجمعها إلى (خطايا) على غرار (يتامى). وهذه القواعد المخزونة في عقل الناطقين باللغة هي التي تجعل بعض أطفالنا يشتقون مؤنث (أسود) على (أسودة) قبل أن يسمعوا (سوداء) على أنه المؤنث الصحيح الشاذ عن القاعدة.

ثانيا، وفي معجم "الصحاح" للجوهري (ت ٣٩٣؟)، نجد في مادة (وكَلَ):

"واتكلتُ على فلان في أمري إذا اعتمدته، وأصله أوتكلْتُ، قُلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، ثم أُبدلت منها التاء فأدغمت في تاء الافتعال. ثم بُنيت على هذا الإدغام أسماء من المثال وإن لم تكن فيها تلك العلة، توهماً أن التاء أصلية، لأن هذا الإدغام لا يجوز إظهاره في حال، فمن تلك الأسماء التُكَلة، والتُكلان، والتُخمة والتُهَمَةُ، والتُجاه، والتُراث، والتقوى..."[2].

وهكذا يفسّر الجوهري علة التغيّر بالقلب والإبدال فالإدغام، والتوهم.

ثالثاً، وأما ابن فارس (ت ٣٩٣هـ) في " مقاييس اللغة " فإنه يحاول تفسير تغيّر معنى اللفظ في ضوء المعنى الأصلي للمادة الذي تشترك فيه جميع مشتقاتها، فمثلاً يفسر لنا لماذا تدل كلمة (شهر) على ثلاثين يوماً، في حين أن أصلها (ش هـ ر) يدل على الوضوح والشهرة وليس على الزمن وتقسيمه، فيقول:

" (شهر) الشين والهاء والراء أصل صحيح يدلّ على وضوح في الأمر وإضاءة. من ذلكَ الشهر، وهو في كلام العرب الهلال، ثم سُمي كل ثلاثين يوما الهلال، فقيل شهر... والدليل على هذا قول ذي الرمة:

فأصبح أجْلَى الطرفِ ما يستزيده   يرى الشهرَ قبل الناس وهو نحيفُ

والشهرة: وضوح الأمر، وشهر سيفه إذا انتضاه..."[3].

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج٤، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (بغداد دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠).

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين،١٩٥٦).

(٣) أحمد بن فارس. مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فالتغير الدلالي هنا مرهون بالمعنى الأصلي للمادة وفي نطاقه.

رابعا، والمجاز هو أحد أسباب تغيّر دلالة اللفظ أو اكتسابه دلالة أو دلالات إضافية جديدة. فقد يستعمل أحدهم اللفظ على المجاز فتشيع دلالته المجازية وتطغى. ولعل أشهر المعاجم التراثية التي عنيت بالاستعمالات المجازية للألفاظ هو كتاب "أساس البلاغة" للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، فقد درج على إيراد معاني اللفظ الحقيقية، متبوعة باستعمالاته المجازية، مثل:

" ح د د ـ حدَّه: منعه،،، ومن المجاز: احتدَّ عليه: غضب، وفيه حدّة"[(١)].

وهو بذلك يفسّر لنا كيف وقع التغيُّر الدلالي هنا بالمجاز، أي كيف تغيّر معنى اللفظ (حدّه) من (منعه) إلى (عاقبه) كما في عبارة (أقام عليه الحدّ).

خامساً، ومن أسباب التغير الصوتي للألفاظ الزيادة والنقصان حسب قواعد دقيقة. وكان المعجميون العرب يشيرون إلى أسباب التغير الصوتي ويعلِّلونها، فنجد مثلاً في معجم "لسان العرب" لابن منظور (ت ٧١١ هـ):

"صمقر: صمقرَ اللبن واصمقرَّ: اشتدت حموضته، واصمقرت الشمس: اشتدت. وقيل إنها من قولك صقَّرت النار إذا أوقدتها، والميم زائدة، وأصلها الصقرة."[(٢)]

وهكذا نرى أن المعجميّين العرب كانوا يولون عناية لتفسير التغيُّر اللغويّ الذي يطرأ على الألفاظ، والتحول الذي يصيبها على مر الزمان، أو في اختلافها عن القاعدة التي تشملها ونظيراتها.

أنواع التغيُّر اللغوي:

سنذكر أنواع التغير اللغوي وقوانينه بإيجاز فقط، لثلاثة أسباب:

الأول، لأن معظمها معروف للمشتغلين في قضايا النحو والمعجم،

الثاني، لأننا ذكرنا جلّها بشيء من التفصيل في كتابنا "صناعة المعجم التاريخي للغة العربية" وذكرنا في هوامش الفصل السادس منه أهم المراجع التي تناولت التغيُّر اللغوي وقوانينه[(٣)].

الثالث والأهم، لأننا نحسب أن قواعد اللغة العربية الحديثة لم تدون بطريقة علمية، أي أن كتب القواعد المعاصرة لم توضع بناء على استقراء مدوّنة نصية كبيرة، كما

---

(١) القاسم بن محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود (بيروت: دار المعرفة١٩٧٩).

(٢) محمد بن مكرم بن منظور. لسان العرب (بيروت: دار صادر، ب ت).

(٣) علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي، مرجع سابق.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

كان يفعل علماؤنا الأوائل الذين كانوا يجوبون الجزيرة ويسجلون ما يسمعونه من الأعراب، ثم يعودون إلى مقارهم لتحليل المدونة واستخلاص القواعد منها. وهكذا فنحن نرى أن أنواع التغيّر اللغوي وأسبابه والقوانين التي تتحكم فيه ينبغي أن تُستخلص من المدونة النصية الحاسوبية التي تقوم عليها صناعة المعجم التاريخي. وأن يعيّن المحرر لجنةً من الخبراء للاضطلاع بذلك. أما ما نذكره هنا من التغير وأنواعه وقوانينه فهو ـ في معظمه ـ كوني تشترك فيه جميع اللغات، أو معروف متداول، وليس مستخلصاً من مدونة نصية.

إن أنواع التغيُّر اللغوي الرئيسة هي:

١- التغيُّر الكتابي (الإملائي).
٢- التغيُّر الصوتي،
٣- التغيّر الصرفي،
٤- التغيّر الدلالي:
٥- التغيّر التركيبي.
٦- التغير الكتابي (الإملائي)

سبق أن ذكرنا أن نظام الكتابة العربية هو نظام صواتي (فونيمي) جيد، يمثل فيه كلُّ حرفٍ صوتاً رئيسياً في اللغة المنطوقة. وكان أستاذنا في جامعة تكساس في أوستن، البرفسور أرتشبولد أي هيل A. A. Hill، رئيس الجمعية اللغوية الأمريكية آنذاك، يقول إن الكتابة العربية المشكولة هي أفضل نظام كتابي في العالم بالمقارنة مع نظام الكتابة الإنكليزية الذي يصفه بأنه الأسوأ في العالم.

ونظراً لهذا الترابط الوثيق بين النظامين الصوتي والإملائي في اللغة العربية، فإن التغيّر في أحدهما قد يؤثر في الآخر. فنطق التاء مجهورةً في كلمة (ازتجر) بسبب مجاورتها لصوت مجهور، أدى إلى التغيُّر إملائيٍّ فيها بحيث اتخذت الصيغة الإملائية (ازدجر). وكتابة كلمة (مئة) على شكل (مائة) أدى إلى أن بعض العرب راحوا ينطقونها (مائة).

والقارئ المثقَّف العام غير المتخصص، قد يريد أن يعرف أسباب التغيُّرات والاستثناءات في هذا النظام الكتابي وليس تاريخها فقط. ومن أمثلة هذه الاستثناءات ما يلي:

- **(هذا)، (هكذا)، (هؤلاء)، إلخ. التي تلفظ (هاذا). (هاكذا)، (هاؤلاء)، إلخ.**

هنا قد يقدِّم محرّر المعجم التاريخي تفسيرا يستند إلى حقيقة أن الكتابة العربية اشتُقت من الكتابة النبطية التي كانت تخلو من الألف الممدودة. وعندما أضيفت الألف

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الممدودة إلى الكتابة العربية في مرحلة لاحقة (ويزوده بالتاريخ التقريبي)، احتفظت هذا الكلمات بالذات بشكلها القديم، بفضل شيوعها الذي رسّخ كتابتها القديمة لدى القراء العرب. ولكن الخط المغربي أضاف الألف الممدودة إلى هذه الكلمات، فهي تكتب في بلدان المغرب العربي وتلفظ كما يلي: هاذا، هاكذا، هاؤلاء، إلخ. (وقد يأتي هذا التفسير في المقدمة في باب تاريخ الكتابة العربية، فلا يضطر المحرِّر إلى تكراره في كل مدخل من مداخل هذه الكلمات).

- **(عمرو) التي تلفظ (عَمْر):**

هنا قد يفسِّر محرّر المعجم التاريخي هذا الاختلاف بين الكتابة والنطق بأن الكتابة العربية في بدايتها لم تعرف الشكل حتى وجّه الإمامُ علي (ت ٤٠ هـ) أحدَ طلابه، الشاعر أبا الأسود الدؤلي، بإضافة الشكل والإعجام. وفي تلك المراحل الأولى، عندما لم تكن العربية مشكولة، كان الكاتب يفرّق بين اسمي العلم (عُمَر) و (عَمْر) بإضافة (واو) زائدة، تُكتَب ولا تنطق، إلى الاسم الثاني الذي هو أقل شيوعاً، فـ (عُمَر) هو اسم الخليفة الفاروق (ر) و (عَمْر) هو اسم واليه على مصر، عَمْر بن العاص. مع العلم أن هنالك فرقاً أساسياً وهو أن (عُمَر) ممنوع من الصرف في حين أن (عمرو) مصروف.

وقد يرى المحرِّر إمتاع القارئ ببيت شعر يدل على زيادة الواو وعدم أهميتها في نطق اسم (عَمْرو) كذلك البيت الذي قاله الشاعر أبو نواس (ت ١٩٩ هـ) في هجاء أشجع السلمي (ت ١٩٥هـ):

إنما أنتَ مُلصَقٌ مثلَ واوٍ أُلصقتْ في الهجاء ظلماً بعمرِو

وذهبت زيادة الواو في اسم (عمرو) مثلاً لما لا يُحتاجُ إليه. وأكْثرَ الشعراء من ضرْبِها، ومن ذلك ما قاله شاعر شنقيطي مسكين (العم بن أحمد فال العلوي):

كأني في المحافل واو عمرٍو وهمز الوصل في دَرَج الكلام.

وهكذا يعكس المعجم التاريخي جوانب من الثقافة العربية في عصر أو أكثر من عصورها.

- **تغيُّر كتابة (ما لم) و(ريث ما) إلى (مالم) و (ريثما):**

يبدو أن كلمات صغيرة في اللغة العربية كانت مستقلة في السابق أخذت تندمج ببعضها مع مرور الزمن، مثل:

حين ما ← حينما

كلَّ ما ← كلَّما

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بعدَ ما ← بعدما، إلخ.

بن عبد ← بنعبد (مثل عبد العزيز بنعبد الله، في المغرب، وتعني أسرة بنعبد الله وليس ولد عبد الله)

طبعاً يتتبع محرر المعجم هذه التغيرات الكتابية، من خلال المدوّنة، ويؤرّخها، ويعطي الشواهد عليها، وقد يفسّرها بميل اليد، عندما تكتب بسرعة، إلى إغفال الفراغات المعتادة بين الكلمات. أما نحن فنفسرها بقانون أو قاعدة التكتل التي تقول إن الوحدات الصغيرة تميل إلى التكتل فيما بينها توخياً للدفء والتماسك والقوة والمنعة في وجه الوحدات الكبيرة. وإذا كان لكل قاعدة استثناء، وهو الذي يقول عنه الفرنسيون "الاستثناء الذي يؤكّد القاعدة" L'excdption qui confirme la règle، فإن البلدان العربية تشكِّل الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة، لأنها مغرمة بقانون التفتت. ففي حين تتوحَّد الدول الأوربية، على الرغم من اختلافاتها اللغوية والتاريخية، في الاتحاد الأوربي، وتتوحَّد دول جنوب شرقي آسيا في سوق مشتركة، وتتوحَّد دول أمريكا اللاتينية في منظمة واحدة، فإن البلدان العربية تصرّ على التفتت وتقسيم المقسّم وتجزيء المجزّأ، لأنها في الحقيقة مجموعة قبائل متنافرة لم تستطع أن تكوّن دولاً تربطها بمواطنيها رابطةٌ قانونية ترتّب واجبات وحقوقاً على كل طرف وله، ويتساوى فيها المواطنون بغض النظر عن أعراقهم ومذاهبهم وانتماءاتهم السياسية، ناهيك بتكوينهم أُمّة تنال احترام الأمم.

وما ذكرناه هنا مجرَّد أمثلة على التغيّر الكتابي الذي طرأ على بعض الكلمات العربية، ناهيك بالأرقام الغبارية في المشرق العربي والأرقام العربية في الأندلس والمغرب العربي، واختلاف الكتابة القرآنية في بعض الكلمات عن الكتابة عامة، واختلاف بعض قواعد الإملاء من بلد عربي إلى آخر.

وقد تقدّمنا هذا العام باقتراح إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي انعقد في مارس ٢٠١٥م والذي يتولى رئيسه رئاسة اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية، يدعو إلى ضرورة توحيد قواعد الإملاء في العالم العربي وتوحيد كتابة القرآن الكريم مع الكتابة عامة تيسيراً لتلاوته.

- **التغيُّر الصوتي:**

قد تعود أسباب التغيّر الصوتي إلى عوامل لسانية بفعل تفاعل الأصوات فيما بينها، أو إلى عوامل غير لسانية، كالاحتكاك الحاصل بين مجموعتين لغويتين مختلفتين، طبقاً لقانون (تأثر لغة المغلوب بلغة الغالب) الذي اكتشفه ابن خلدون وبيّنه في الفصل الثالث والعشرين

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

من "المقدمة" وفسّره في ضوء علم النفس بالشكل التالي:

"إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه و نحلته و سائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في مَن غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به و ذلك هو الاقتداء أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، إنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله. وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم. وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية و جند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله. و تأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فإنه من بابه إذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه و تعالى التوفيق "[١].

والقانون الذي صاغه ابن خلدون وفسّره في هذه الفقرة، ينطبق تماماً على البلدان العربية اليوم، التي تتمسك بلغة المستعمِر القديم الجديد (الإنكليزية في بلدان المشرق "العربي" والفرنسية في بلدان المغرب "العربي")، فتستخدمها في المؤسسات الإدارية والاقتصادية والمالية والتجارية، وفي التعليم العالي، وفي الحياة العامة، ما يؤدي إلى القضاء على لغتها الوطنية والإمعان في تخلُّفها في قضايا التنمية البشرية[٢].

ولكن معظم التغيُّرات اللسانية الصوتية تجري بسبب تنافر الأصوات أو تماثلها. وقد توصّل علماء الصواتة (الصوتيات) إلى القواعد التي تحكم تغيّر كل صوت من الأصوات عندما يجاور صوتاً آخر. ويمكن تلخيص نتائج أبحاثهم بالقوانين التالية:

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق.

(٢) للتفاصيل يُنظر: علي القاسمي، السياسة الثقافية في العالم العربي (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٢).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- **قانون الخفة (عكس الثقل)،**

الناتج من ميل الإنسان إلى الاقتصاد في المجهود العضلي عند الكلام فيستبدل الأصوات السهلة (كالياء والواو) بالأصوات الصعبة (كالنون واللام) في سياقات معينة، مثل: النشر / الوشر، اللكز / الوكز.

- **قانون المماثلة،**

حيث تتأثر الأصوات المتلاصقة أو المتجاورة بعضها ببعض. فعندما يتجاور صوت مهموس بصوت مجهور، قد ينطق الصوتان مهموسين أو مجهورين، مثل تغيّر (السراط) إلى (الصراط). وإذا كان الصوتان المتجاوران متجانسين أو متقاربين، فقد يفنى أحدهما في الآخر، كما في حالات الإدغام.

- **قانون المخالفة،**

الذي ينقلب بموجبه أحد الصوتين المتماثلين المتلاصقين إلى صوت آخر سهل النطق مثل الياء أو الواو لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين. مثل: دنّار ← دينار، قرّاط ← قيراط.

- **قانون القَلب،**

الذي تتبادل بموجبه الأصوات المتجاورة أماكنها ليحقق التتابع الصوتي الجديد الانسجام بين الأصوات في الكلمة الواحدة، مثل: طمس ← طسم، للتقارب بين الطاء والسين في المخرج.

- **إعادة التوازن،**

لا يسمح النظام الصوتي العربي بالتقاء ساكنين في مقطع واحد. فإذا حصل هذا الالتقاء لسبب من الأسباب، فإن اللغة تتخلص من المقطع الممنوع بإضافة صوت متحرك إليه. مثل: لم يَمُدْدْ ← لم يَمُدَّ.

- **التغيُّر الصرفي:**

يصيب التغيُّر الصرفي بنية الكلمة، فقد ظهرت في الاستعمال الحديث والمعاصر بنيات صرفية لم تكن مستعملة في اللغة العربية خلال العصور السابقة. وقد دأب مجمع اللغة العربية بالقاهرة على البحث عن مبررات لهذه الصيغ وإجازتها وعدم تخطئتها، ليواكب الاستعمال المتغيِّر والمتطوِّر للغة. ومن الأمثلة على ذلك:

- **النسبة إلى الجمع وإلى صيغة "فعيلة":**

تخبرنا كتب النحو القديمة أن النسبة لا تكون إلا إلى المفرد، وليس إلى الجمع. وفي

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الاستعمال المحدث، شاعت النسبة إلى الجمع كذلك، فنجد: حلوياتي، وقنواتي، ومجوهراتي، إلخ.

ومن ناحية أخرى كانت النسبة إلى الأسماء على صيغة (فعيلة)، مثل طبيعة وبديهة) تتطلب حذف الياء من هذه الصيغة، فنقول (طبعي) و (بدهي)، أما اليوم فقد شاع في الاستعمال (طبيعي) و (بديهي).

- **كلمات تدل على المؤنث ولا تلحقها تاء التأنيث:**

وهي كلمات تصف أحوال المرأة مثل: حائض، وحامل، وبائن، وطالق، وناشز، ومرضع، وذلك طبقاً لمبدأ الاقتصاد في اللغة وتجنب التكرار. ولكننا اليوم ضحيّنا بذلك المبدأ من أجل مبدأ آخر هو مبدأ المطابقة والوضوح، فصرنا نقول: امرأة حائضة، وحاملة، وبائنة، وطالقة، وناشزة، ومرضعة.

ومن الكلمات التي لا تلحقها تاء التأنيث ويتساوى فيها الرجل والمرأة: زوج، وعجوز، والصفات على وزن فعيل، مثل: قتيل، جريح، عقيم. ولكن اليوم من أجل المطابقة بين الاسم والصفة ومن أجل الوضوح نقول: زوجة، وعجوز، وقتيلة، وجريحة، وعقيمة، إلخ.

ومن هذه الكلمات التي لا تلحقها تاء التأنيث أسماء الوظائف مثل: وزير، مدير، رئيس، نائب، عضو البرلمان، إلخ. واليوم تؤنث جميع هذه الأسماء، ربما بفضل تولي المرأة جميع المناصب. ونجد هذه الظاهرة في لغات أخرى، ففي الإنكليزية كان رئيس المجلس يُنعت بكلمة Chairman أما اليوم فقد ظهرت كلمة جديدة بالإنكليزية هي Chairwoman لمخاطبة رئيسة المجلس.

ويتولى المعجم التاريخي تحديد الفترة التي ظهرت فيها تلك التغيّرات الصرفية، وإعطاء أقدم الشواهد عليها. ويستطيع المحرر الاستعانة بالمراجع الثانوية وهي تلك الكتب التي تُعرَف بـ "لحن العوام" أو "إصلاح المنطق" أو "تثقيف اللسان"، وقد أخذت هذه الكتب في الظهور منذ القرن الثاني الهجري (أقدمها كتاب "ما تلحن فيه العوام" للكسائي (ت ١٨٩هـ). فمعظم ما عدّته هذه الكتب لحناً هو في حقيقته تغيّر لغوي خضعت فيه أصوات اللغة وبنياتها ودلالاتها إلى سنن التغير الطبيعي. (ملاحظة: توجد قائمة ببليوغرافية بجميع كتب لحن العوام في الصفحة ٢٢١ من كتابنا "صناعة المعجم التاريخي للغة العربية").

- **التغيّر الدلالي:**

وهو أكثر أنواع التغير حدوثاً. فعندما تحتاج اللغة للتعبير عن معنى جديد أو مفهوم جديد، تسلك أحد سبيلين:

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- **توليد اللفظ المطلوب للتعبير عن المعنى أو المفهوم الجديد، بإحدى وسائل التوليد: المجاز، الاشتقاق، التركيب والنحت (الذي يعدّه بعضهم نوعاً من الاشتقاق).**

وعندما يُستعمَل اللفظ مجازياً في معنى جديد، ينبغي على محرّر المعجم التاريخي أن يعلل لنا المجاز، أي أن يفسّر لنا وجه الشبه بين المعنى القديم والمعنى الجديد، كما فعل ابن فارس في المثال السابق، حين فسّر كيف انتقل لفظ الشهر من معنى الإيضاح والإعلان (كما في تعبير "الشهر العقاري") إلى معنى مدة ثلاثين يوماً (كما في "شهر رمضان المبارك").

- **اقتراض اللفظ اللازم من لغة أجنبية:**

وعندما تستعير اللغة العربية لفظاً أجنبياً فهو يصل إليها على شكل:

دخيل، يحافظ على نطقة وبنيته ومعناه، أو

معرَّب، مع تحوير في نطقه أو بنيته أو معناه، لينسجم مع نظام اللغة العربية.

ويتولى محرّر المعجم التاريخي تبيان اللغة التي اقتُرض منها اللفظ، والتاريخ الذي اقتُرض فيه ونطقه وبنيته ومعناه في لغته الأصلية عندما اقترِضَ، والتغيّرات التي طرأت عليه بعد اقتراضه، ويعلل أسبابها، و يربط هذا اللفظ بملازماته الدلالية. فإذا كان لفظ (تلفون) مقترضاً، وفي الوقت نفسه ثمة لفظ آخر موضوع بالمجاز أو الاشتقاق مثل (هاتف)، ينبغي على المعجم االتاريخي أن لا يتعامل معهما في مدخلين منفصلين، كما يفعل المعجم الآني، بل يربط بينهما، ويفسر ترادفهما، ويزودنا بإحصاءات شيوع وأماكن استعمال كل منهما. فالمعجم التاريخي لا يتعامل مع اللغة بوصفها ألفاظاً منغلقة على نفسها، بل بوصفها بنية متكاملة تؤثر عناصرها بعصها في بعض، فهي تمثل الفكر العربي بثوابته ومتحولاته.

- **تفسير التغيُّر الدلالي:**

يحصل التغيُّر الدلالي بطرق متعددة، وأهمها:

- **توسيع المعنى،**

حين يتحول معنى اللفظ من الخاص إلى العام، إما منطقياً من خلال تضيق الخصائص الجوهرية المميزة لمفهوم اللفظ، وتوسيع الماصدق أي الأفراد الذين ينطبق عليهم ذلك المفهوم، وإما بلاغياً باستعمال (الاستعارة). فلفظ (عنتر) في الجاهلية كان اسم علم يدل على (رجل، أسود، من بني عبس، خارق الشجاعة، محبوبته عبلة، إلخ.). أما اليوم فنقول على طريق التشبيه (صديقي شجاع كعنتر) أو بالاستعارة (إنه عنتر). هنا وسّعنا معنى عنتر لتدل على كل رجل خارق الشجاعة. ويسعفنا التنغيم والمقام في معرفة ما إذا كان القائل يقصد السخرية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- **تضييق المعنى**،

وهو عكس "توسيع المعنى"، أي تحول معنى اللفظ من معنى عام إلى معنى خاص، بتوسيع الخصائص الجوهرية للمفهوم وتضييق الماصدق. فلفظ حرامي كانت تدل على كل مَن يفعل الحرام، أما اليوم فقد ضاق معناها واختصت بالسارق.

- **نقل المعنى**،

حيث تتغير دلالة اللفظ من معنى إلى معنى آخر لصلة بين المعنيين، فكلمة (السفرة) كانت تعنى طعام المسافر، أما اليوم فتدل على المائدة أو البساط الذي يوضع عليه الطعام. ولنقل المعنى أشكال متعددة مثل "رقي الدلالة" عندما يكتسب اللفظ معنى أرقى وأقوى، مثل ارتقاء دلالة (الحاجب) التي تعنى في المشرق (البواب)، فصارت تعني في الأندلس (الوزير)؛ ومثل "انحطاط الدلالة" عندما يصيب معنى اللفظ ضعف بعد قوة وخسة بعد شرف، مثلما حصل للتعبير الاصطلاحي (طويل اليد) الذي كان يدل على الكرم، فأمسى اليوم كناية عن السرقة.

وتعدُّ الأضداد في اللغة العربية من أنواع نقل المعنى. وعندما يعالج محرر المعجم التاريخي لفظاً من الأضداد، لا يكتفي بإعطاء معناهما مرتبين تاريخياً، كما يفعل زميله محرر المعجم الآني، فيقول، مثلاً "بصير: ١. ذو نظر، ٢. أعمى..."، بل عليه أن يفسِّر كيف اكتسب هذا اللفظ معناه الثاني. فيقول مثلا: "أُطلق لفظ البصير على الأعمى من باب التأدب والتفاؤل."

- **التغيُّر التركيبي**:

وهو التغيُّر الذي يصيب تركيب الجملة العربية. ويعدُّ هذا النوع من التغيُّر أقل أنواع التغيُّر اللغوي وأكثرها ثباتاً نسبياً بالمقارنة مع تغيّر المفردات ومعانيها. وأعترف أنني لم أطلع على دراسة شافية عن هذا النوع من التغيّر في اللغة العربية. وقد نستطيع القيام بدراسة معمقة في مدونة المعجم التاريخي، لضبط عدد تراكيب اللغة العربية وأنواعها، في كل عصر من عصور اللغة، ومقارنته ببعضها كماً وكيفاً للوقوف على التغيُّرات التركيبية التي حصلت في اللغة العربية على مر العصور.

كيفية معالجة التغيُّر اللغوي في المعجم التاريخي للغة العربية:

قد يتبادر إلى الذهن أن ذكر أسباب التغيُّر اللغويّ في موادِّ المعجم التاريخي قد يتطلَّب جهداً كبيراً ويستغرق مساحةً واسعةً من حجم المعجم، لأن اللفظ الواحد قد يتغيّر في مبناه أو معناه أو في كليهما عدّة مرات منذ أول ظهور موثَّق له حتى اليوم.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

من حيث الجهد المطلوب فهو كبير حقاً، أمّا من حيث المساحة فهي ليست بالحجم الذي نتوهمه أول وهلة، وذلك إذا اتبع محرِّر المعجم خطواتِ الطريقة التالية التي نقترحها:

- أولاً، أن يشتمل المعجم التاريخي في مقدمته على دراسات تتناول تاريخ اللغة العربية، وتاريخ كتابتها، وتاريخ كتابة القرآن الكريم، والتغيّرات التي طرأت عليها.
- ثانياً، حصر علل التغيُّر اللغوي عن طريق الاستعانة بالمدونة، في جميع المستويات: الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والإملائية (الكتابية). وهذه العلَّل محدودةٌ وليست لا متناهية. ولكن العلّة الواحدة تتكرّر في كثير من الألفاظ التي أصابها التغيُّر.
- ثالثاً، التعريف في مقدِّمة المعجم بجميع علل التغيُّر في مختلف المستويات. وإعطاء رمز لكل علَّة من العلل.
- رابعاً، عندما يحصل تغُيُّرٌ في لفظ من الألفاظ داخل مواد المعجم، يُذكَر تاريخه ثم يُعطى الرمز الذي يشير إلى علّة ذلك التغيُّر. وإذا كان القارئ أو الباحث في المعجم التاريخي، مهتماً بذلك، فإنه سيعود إلى مقدِّمة المعجم للإلمام بالعلَّة التي يشير إليها ذلك الرمز.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الإِنحاء ومكانة التَّغيُّر اللُّغويّ في المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة

د. منتصر أَمين عبد الرّحيم
أُستاذ اللِّسانيّات المساعد – جامعة الطَّائف

تقدمة:

لما كان «التَّغيُّر» سمة عامّة، لكل لُغة منه نصيب يزيد وينقص، فقد استدعت مقاربته البحث عن جهاز تفسيريّ يُخضِع التَّغيُّرات المختلفة الَّتي تصيب أَلفاظ اللُّغة وتراكيبها ودلالاتها ووظائفها لقوانين تحكمها وتبرر أَحوالها ومصائرها، ومما لا شك فيه أَنَّ صناعة معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة –يتعقب تغيّرُات أَلفاظها وتراكيبها ومعانيها في مراحلها الزَّمانيّة وبقاعها المكانيّة المختلفة - تتطلّب باتفاق المعجميّين المختصين توجيه العناية إِلى الدِّراسات اللِّسانيّة التَّاريخيّة لاسيما الَّتي تهتم بدراسة التَّغيُّر اللُّغويّ وتحاول الوصول إِلى الأَسباب (اللُّغويّة وغير اللُّغويّة) الَّتي تقف وراء تلك التَّغيُّرات؛ ذلك أَنَّ أَغلب الخطط الموضوعة من أَجل بناء المعجم المنشود لم تقدم حديثًا مفصلًا حول ظاهرة التَّغيُّر اللُّغويّ، يقول الدُّكتور «عَلي القاسميّ»: «إِنَّ كتاباتنا الرَّاهنة عن صناعة المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة لا تتناول قضية التَّغيُّر اللُّغويّ بصورة وافية، وتغفل ضرورة أَنْ يزودنا المعجم التَّاريخيّ بالأَسباب الَّتي أدت إِلى وقوع التَّغيُّر في مبنى اللّفظ أَو معناه أَو استعماله، والقوانين العلميّة الَّتي تحكم ذلك التَّغيُّر»[(١)]، ولعل التّأكيد على تضمُّن المعجم التَّاريخيّ المنشود معلومات حول أَسباب التَّغيُّر اللُّغويّ والقوانين الَّتي يلبها أَو تضبطه هو تأكيد على الوظيفة التَّفسيريّة أَو قل الجانب التَّبريريّ من هذا المعجم حيث «تتمثّل وظيفته الأَساس بإِبراز مراحل التَّطوُّر الشَّكليّ والدِّلاليّ وتبريرها»[(٢)]؛ ومن ثمَّ كانت حاجة المعجم إِلى دراسات لِسانيّة تاريخيّة تستطيع أَنْ

(١) انظر دراسة د. علي القاسميّ: معالجة قوانين التّغير اللُّغويّ في المعجم التّاريخيّ، ضمن الإِصدار الحالي.

(٢) د. عبد الرّزاق بنور ٢٠١٤: التّلازم الدّلاليّ والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخيّ للّغة العربيّة»، الدّوحة: المركز العربيّ للأَبحاث ودراسة السّياسات، الطّبعة الأَولى، ص١١٤. وقد ضرب الباحث عدة نماذج من المعاجم التّاريخيّة السّابقة تؤكد على الوظيفة التّبريريّة للمعجم، فذكرت أَنَّ المعجم التّاريخيّ الفرنسيّ «لم يكتف بعرض =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تقدّم له ظواهر التَّغيُّر اللُّغويّ المختلفة مدعومة بالجهاز المفاهيميّ والاصطلاحيّ الَّذي يمكّنه من تبرير مثل تلك الظّواهر.

الإِنحاء: المفهوم والمصطلح

لقد أَشارت الخطة الَّتي وضعها الدُّكتور «القاسميّ» للمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة إلى مبحث مهم من مباحث اللِّسانيّات التَّاريخيّة يتصل بصورة أساسيّة بدراسة التَّغيُّر الَّذي يطرأ على نوع المفردات اللُّغويّة أطلق عليه «إضفاء النَّحويّة»، «فالمفردات في اللُّغة تُقسّم إلى مفردات معجميّة تحمل معنى كاملًا مستقلًا مثل: (كرسي)، (رجل)، (سماء)، ومفردات نحويّة، لا تحمل مضمونًا خارجيًّا بل مضمونًا قواعديًّا مثل: (أل)، (قد)، (قط)، ويدرس «إضفاء النَّحويّة» تحوّل الصَّرفيّات المعجميّة إلى صرفيّات نحويّة خلال حقبة معينة من الزّمن»[(١)]. وأظن هنا أنَّ الدُّكتور «القاسميّ» قدّم «إضفاء النَّحويّة» - ربما بناء على ما ورد في المعجم الموحّد لمصطلحات اللِّسانيّات - مقابلًا عربيًّا لمصطلح «الإنحاء Grammaticalization»[(٢)]، فحديثه دالّ بوضوح على أنّه مجال بحثيّ يدرس التَّغيُّر الَّذي يطرأ على نوع المفردات بصفة عامّة أو تحوّل الصَّرفيّات المعجميّة إلى صرفيّات نحويّة بصفة خاصّة، وأنّه من الأهمية بمكان أنْ يرصد المعجم المنشود هذه التَّحوُّلات بعد أنْ تخضع مقاربتها لبحث لِسانيّ يعي التّضمينات النَّظريّة الَّتي يقوم عليها الإنحاء وأهم المبادئ الَّتي يتأسس عليها وتتحكم في مساراته؛ لذا وجدتُ من الواجب أنْ يعرّف بحثي هذا بذاكم المجال الجديد نسبيًّا في سياق اللِّسانيّات العربيّة؛ أُسسه ومبادئه وفرضيَّاته، وأنْ يشير إلى بعض الأَمثلة العربيّة الَّتي ينطبق عليها، وأنْ يبيّن علاقته بالمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة في محاولة تمهيديّة متواضعة يمكن استثمارها فيما بعد بصيغة معجميّة أفضل اتساقًا وأشد تناسقًا.

= فعل voler باعتباره من المشترك اللّفظيّ كما عرضه معجم الأكاديميّة الفرنسيّة بمدخلين، أحدهما بمعنى «سرق» والثّاني بمعنى «طار»، أو متعدد الدّلالات كما تقدّمه المعاجم اللّغويّة الأخرى... بلْ فسّر بالتّفصيل كيف انتقل فعل voler من ميدان الصّيد والقنص بالبازي إلى ميدان السّطو والسّلب، ولم يكتف المعجم التّاريخيّ الإنجليزيّ OED بعرض معاني Bit بحسب ظهورها واستعمالاتها، بل بيّن كيف تولّد معنى الجزء a bit من معنى القضم to bite. انظر: المرجع نفسه، ص١١٩.

(١) د. علي القاسميّ ٢٠١٤: صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، بيروت: مكتبة لُبنان ناشرون، الطّبعة الأولى، ص٧٥.

(٢) انظر مكتب تنسيق التّعريب ٢٠٠٢: المعجم الموحّد لمصطلحات اللِّسانيّات، ص ٦٤ المصطلح رقم ٦٩٨، حيث ذكر تعريفه التّالي: «تغيّر صنف المقولة، في اللّسانيّات الزّمنيّة، حين تتحوّل صرفية معجميّة إلى صرفية نحويّة خلال تطوّر لُغة معينة». والحقيقة أنَّ لهذا المصطلح عدة بدائل لم يذكرها المعجم منها (Grammacization) و(Grammatization) وهي ترتبط باعتبارات نظريّة مختلفة، ولكنَّ مصطلح Grammaticalization أوسع انتشارًا واستعمالًا في هذا السّياق بعيدًا عن هذه الاعتبارات.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بداية أود الإشارة إلى أنَّ «الإنحاء» يشير إلى تحوّل المفردة من المعجميّة إلى النَّحويّة، ويشير أيضًا إلى تحول المفردة من درجة نحويّة معينة إلى درجة أعلى؛ ومن ثمَّ تمَّ تفريع المفهوم إلى صِنفين هما: «الإنحاء الرَّئيسيّ Primary Grammaticalization» وهو التَّغيُّر من عنصر معجميّ إلى عنصر نحويّ، و«الإنحاء الثَّانويّ Secondary Grammaticalization» وهو التَّغيُّر من عنصر نحويّ إلى عنصر أكثر نحويّة، وهذا هو التَّقسيم الَّذي أفادته تروجت Elizabeth C. Traugott (سنة ٢٠٠٢)[١] من التَّعريف الشَّهير الَّذي قدّمه كوريولفتز Jerzy Kurylowicz (سنة ١٩٦٥) للإنحاء ومؤداه أنَّه «تغيُّر مرحليّ تدريجيّ تكتسي به الوحدات المعجميّة والتَّراكيب اللُّغويّة وظائف نحويّة، وبه أيضًا تصير الصّيغ الأقل نحويّة أكثر نحويّة»[٢]، وقد تبنى هذا التَّقسيم عدة باحثين منهم موريل نورد Muriel Norde (سنة ٢٠١٢)[٣]. إنَّ «الإنحاء Grammaticalization» بصفته إطارًا بحثيًّا يشير إلى جانب من جوانب دراسة تغيّر اللُّغة غايته تفسير كيفية أداء العناصر المعجميّة أو البنى التَّركيبيّة لوظائف نحويّة في سياقات لُغويّة معينة، وتعليل الكيفيّة الَّتي تتطوّر بها العناصر النَّحويّة تطوّرًا يمنحها الوسيلة لأداء وظائف نحويّة جديدة، أمَّا بصفته مصطلحًا على ظاهرة لُغويّة فيشير إلى المراحل الَّتي تمرُّ بها العناصر اللُّغويّة حتى تصير أكثر نحويّة[٤]، وإذا كان الإنحاء مرتبطًا بنحويّة العناصر فإنَّ دراسته تنطوي - كما سنرى في ثنايا البحث - على مقاربة عدة أصناف من التَّغيُّرات الصُّوتيّة والصَّرفيّة والتَّركيبيّة والدِّلاليّة، وهو مصطلح فرنسيّ الأصل (Grammaticalisation)[٥] يعود إلى دراسة أنطوان ماييه Antoine Meillet سنة ١٩١٢ الَّتي عنونها بـ«تطوّر الأشكال النَّحويّة L'évolution des formes grammaticales»، والثَّابت أنَّ «مايبه» لم يقدّم تعريفًا لهذا المصطلح إنَّما اكتفى فقط بوضعه بين مزدوجين، لكنَّ دلالته

---

(١) see Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٢: From Etymology to Historical Pragmatics. p.٢٦f. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

(٢) Jerzy Kurylowicz ١٩٧٥: Esquisses Linguistiques. II. (١٩٦٥: The Evolution of Grammatical Categories) p.٥٢. Munich: Wilhelm Fink.

(٣) Muriel Norde ٢٠١٢: Lehmann's Parameters Revisited. p.٧٣. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

(٤) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣: Grammaticalization. ٢nd ed. p.١-٢. Cambridge: Cambridge University Press.

(٥) see Antoine Meillet (Ed.) ١٩٤٨: Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (١٩١٢: L'évolution des formes grammaticales) p.١٣٣. Paris: Champion.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

على منح كلمة مستقلة سِمة نحويّة[١] كانت واضحة في هذه الدِّراسة.

نبذة تاريخيّة

وفي سبيل التَّأريخ لأُس هذا المصطلح هناك مَن يرى أنَّ المفهوم أو الفكرة الأَساسيّة الَّتي يقوم عليها المصطلح تعود إِلى فترة أَقدم من تاريخ ظهوره لدى «ماييه»، وهناك مَن يرى أَنَّه ظهر في الصّين في القرن العاشر الميلاديّ، ومنهم مَن ينسبه إِلى اليونانيّين، كذلك نهضت عدة دراسات تستتبع هذا المفهوم في الدّرس اللِّسانيّ الغربيّ السّابق على ظهور المصطلح في فرنسا. أَمّا عن التّراث النَّحويّ العربيّ فيرى كرستيان ليمان Christian Lehmaan أنَّه على الرُّغم من تعامل النَّحو العربيّ مع التصّريف وبناء الكلمات فإِنَّ بحثه – كما أَكد جوناثان أونز Jonathan Owens- كان درسًا آنيًّا؛ وبالتّالي لم يحرز تطوّرًا فيما يتعلق بالإِنحاء[٢] ، ومن اللّافت أنَّ «ليمان» يستشهد -في الوقت نفسه- بنص اقتبسه جدعون جولدنبرج Gideon Goldenberg عن «الزّجاجيّ» (في كتابه الإِيضاح) رأى فيه «ليمان» دليلًا على نظريّة غير مكتملة في النَّحو العربيّ حول «الإِنحاء»، يقول «الزّجاجيّ»: «إِنَّ الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغني عنه ضرورة، ثمَّ اتصل به مُضمر صار كبعض حروفه، وصارت الجملة كلمة واحدة»[٣]. ويرى «ليمان» أَنَّ اللِّسانيّات السّاميّة الغربيّة لم تتأخر كثيرًا في إِدراك مفهوم الإِنحاء، ودلل على هذا بكتاب «كارل بروكلمان» «الأَساس في النَّحو المقارن للّغات السّاميّة Grundriß der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen» الصّادر سنة ١٩٠٨م حيث كان مفهوم الإِنحاء حاضرًا في مقاربة «بروكلمان»، بل يذهب «ليمان» أَبعد من هذا، فيرى أَنَّ معالجة «بروكلمان» لحروف الجر افترضت ما يطلق عليه الآن مسارًا إِنحائيًّا يتكون من أَربع مراحل، وأَنَّه استعمل في وصف هذه المراحل مفاهيم

---

(١) see Christian Lehmaan ٢٠١٥: Thoughts on Grammaticalization. ٣rd Ed. Berlin: Language Science Press. p.٥.

(٢) Christian Lehmaan ٢٠١١: Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (٢٩): ٩-٢٦. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf. p.١.

(٣) الزّجاجيّ (أَبو القاسم عبد الرّحمن بن إِسحاق ت ٣٣٧هـ): الإِيضاح في عِلل النّحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النّفائس، الطّبعة الثّالثة، ص٧٥. وقد جاء هذا القول في معرض حديث الزّجاجيّ عن حكم إِعراب الأَفعال (الأَمثال) الخمسة بالحروف، يقول: «فإِنْ قال قائل: فلمَ جاز أَنْ يجيء إِعراب الفعل المستقبل بعد الفاعل في قولك: الزّيدان يقومان، والزّيدون يقومون، وما أَشبه ذلك؟ فقد جاءت علامة رفع الفعل بعد الفاعل وهي ثبات النّون، وكذلك النّصب والجزم، لأَنَّهما بحذف النّون، وهي بعد الفاعل، أَفيجوز أَنْ يكون إِعراب شيء موجودًا في غيره وكون ذلك الشّيء معربًا؟ قيل له: إِنَّ الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغني عنه ضرورة، ثمّ اتصل به مُضمر صار كبعض حروفه، وصارت الجملة كلمة واحدة؛ فجاز لذلك وقوع الإِعراب بعد ضمير الفاعل لما صارت الكلمة كلمة واحدة، والدّليل على ذلك إِسكان لام الفعل في قولك: فعلْت، أَسكنت اللّام لئلا تتوالى في كلمة واحدة أَربع متحركات».

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وصفيّة أساسيّة هي: فقد المحتوى الدِّلاليّ (من المرحلة الأُولى إلى الثّانية)، و«التَّحجر» fossilization (من المرحلة الثَّانية إلى الثَّالثة)، والتَّقلص إلى وظيفة نحويّة خالصة (في المرحلة من الثَّالثة إلى الرَّابعة). أمَّا الأَسماء الَّتي تمثّل المرحلة الأُولى فهي عادة ما تكون دالة على أَعضاء جسم الإنسان[(١)]. ولقد شغلت دراسة الإنحاء في اللُّغات السَّاميّة لاسيما الأكاديّة والعبريّة عددًا غير قليل من الباحثين المعاصرين أمثال «جيفون» Givon Talmy ١٩٩١، و«روبا» Rubba Jo. ١٩٩٤، و«سيمون-سنل» Simeone-Senelle Marie-Claude و«فانهوف» Vanhove Martine ١٩٩٧، و«كوفنبرج» Kouwenberg C. J. N. ١٩٩٧، و«فوجت» Voigt Rainer ١٩٩٩، وتوزعت اهتمامات هذه الدِّراسات على موضوعات منها: الأَفعال النَّاقصة، وحروف الجر، والمصدر، والأَسماء الموصولة، وتضعيف بعض الأَفعال[(٢)]. فهذه الدِّراسات الَّتي تهتم ببحث الإنحاء في اللُّغات السّاميّة تؤكد من ناحية فاعليّة الإنحاء في فهم الأَنظمة النَّحويّة لمثل هذه اللُّغات، وهذا له كبير الأَثر في إدراك كيفية تطوّر النّظام النَّحويّ في العربيّة؛ ذلك أَنَّ مقاربة عملية الإنحاء في عدد من المجالات النَّحويّة المختلفة وكذا في عدد من اللُّغات المتنوعة تفترض أَنَّ «العموميّات الحقيقيّة للُّغة هي عموميّات التَّغيُّر، وأَنَّ هذه العموميّات يمكن النّظر إليها على أَنَّها تمثّل مسارات من التَّغيُّر، وأَنَّنا في سبيل فهم النَّحو والقواعد بصورة تامة لابد أَنْ ننظر من خلال هذه المسارات إلى الآليَّات الفعليّة المسببة للتّغيُّر عندها نحاول فهم هذه الآليَّات عبر سيرورات تفاعليّة ومعرفيّة أَساسيّة، فإذا نجحنا في هذا بدأنا فهم كيف تبني اللُّغة قواعدها»[(٣)]. كذلك أَعتقد أَنَّ هذه الدِّراسات من ناحية أُخرى يمكن أَنْ تضع أَيدي صناع المعجم التَّاريخيّ على معلومات مهمة حول المداخل (النَّحويّة أَو المعجميّة الَّتي تطوّرت عنها وفق عمليات الإنحاء المختلفة) وحول توزيعها (كمداخل رئيسة أَو فرعيّة) وحول تعريفها أَيضًا، فدراسات اللُّغات العرُوبيّة (السّاميّة الحاميّة) من المصادر المهمة بالنّسبة إلى المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة[(٤)].

وما أَود الإشارة إليه هنا أَنَّ مفهوم الإنحاء كان حاضرًا لدى النُّحاة العرب؛ وعليه فإنَّ حديث «ليمان» السّابق عن أَنَّ النَّحو العربيّ لم يستطع الإمساك بمفهوم الإنحاء يحتاج في

---

(١) adapted from Christian Lehmaan ٢٠١١: op. cit., p.٢.

(٢) see Aaron David Rubin ٢٠٠٤: Studies in Semitic Grammaticalization. p.١٠. PhD Thesis. Harvard University.

(٣) adapted from Joan Bybee ٢٠٠٣: Cognitive Processes in Grammaticalization. P.١٥١. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.٢. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc. ١٤٥-١٦٧.

(٤) انظر د. علي القاسميّ ٢٠١٤: مرجع سابق، ص٢٩٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

سبيل تأكيده أو تفنيده إلى مزيد من البحث والتَّقصي، فإذا كان «بروكلمان» في مقاربته المقارِنة لأَنحاء اللُّغات السَّاميّة قد فطن إلى مفهوم الإنحاء وغاب عنه مصطلحه كما صرّح بذلك «ليمان»، فإنَّ «أَبا حيَّان الأَندلسيّ» في محاولته الرَّائدة تطبيق القواعد النَّحويّة العربيّة على اللُّغة التُّركيّة[1] (الَّتي لم تخل من مواضع عديدة قارن فيها بين اللُّغتين) لم يغب عنه أيضًا مفهوم الإنحاء وإنْ لم يسمِّه شأْنه في هذا شأْن «بروكلمان»، يقول «أَبو حيَّان»: «وتقول في معنى: أَقام سنجر أَم سنقر؟: (سنجر مو طردو يا سنقر)، ويقال: (سنجرمى طردى يق سا سنقر)، وصار هذا الكلام يعطي معنى: أَقام سنجر أَم سنقر؟، و(يُق) أَصله اسم بمعنى معدوم، والدَّليل على ذلك الإضافة إليه، يقولون في معنى فقير: (يُقلو)؛ أَي: ذو معدوم، والإضافة من خواص الأَسماء، ثُمَّ استعملت (يُق) استعمال (لا) النّافيّة، و(سا) معناه (إِنْ) وهو حرف للشّرط فكأنَّه قال: أَقام سنجر لا إنْ سنقر، ويعطي معنى: أَم سنقر»[2]، ويزيد «أَبو حيَّان» فيقول: «و(يُق) بمعنى (لا) وقد تقدّم أَنَّ (يُق) اسم والاستدلال على ذلك، وإنْ كان قد أُستعمل بمعنى (لا) لأنَّه بمعنى معدوم، فقد توافق معنى (لا) ومعنى معدوم»[3]. إنَّ إشارة «أَبي حيَّان الأَندلسيّ» إلى تحوّل (يُق) في اللُّغة التّركيّة المنطوقة من الاسميّة إلى الحرفيّة، وفقدها المعنى الَّذي كان لها بالاسميّة (معدوم)، وتطوّرها لِتصير أداة نفي عامّة (=لا)، وتفسيره لهذا التّحوّل بالتماس جامع دلاليّ بين (يُق) و(لا) النّافيّة، كل هذا دليلٌ واضحٌ على وجود مفهوم «الإنحاء» في التّراث النَّحو العربيّ (المقارِن) عند «أَبي حيَّان الأَندلسيّ» وإنْ غابت عنه تسمية هذه الظّاهرة، كذا لا أَعتقد أَنَّ أحدًا ممن يهتمون بمقاربة الإنحاء ينكر أَنْ يكون حديث «ابن جني» التّالي إشارة إليه وشاهدًا عليه، قال: «ومن ذلك أَنَّه لما اطَّردت إضافة أَسماء الزّمان إلى الفعل نحو: قمتُ يومَ قمتَ، وأَجلسُ حينَ تَجلسَ، شبهوا ظرف المكان بها في (حيث)، فتدّرجوا من (حين) إلى (حيث) فقالوا: قمتُ حيثُ قمتَ»[4]. ويمكنني أَنْ أُضيف في هذا السّياق ما توصلت إليه دراسة الأُستاذة «ثُريا عامِر» من أَنَّ «المتفحص لما قيل في الأَفعال النّاقصة في كتب التّراث [يخرج] بنقاط التقاء عديدة

---

(1) see C. H. M. Versteegh ٢٠٠٦: Arabic Linguistics Tradition. p.٤٣٨. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.١: ٤٣٤-٤٠. Amsterdam: Elsevier.

(2) أَبو حيّان الأَندلسيّ٧١٢ هـ : الإدراك للّسان الأَتراك، مطبعة عامره، ١٣٠٩، ص٢٠٤.

(3) أَبو حيّان الأَندلسيّ٧١٢ هـ : المرجع السّابق، ص٢١٢.

(4) ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: ٣٩٢هـ) : الخصائص، تحقيق: عبد الكريم بن محمد، القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة، د.ت، المجلد الثّاني، ص١٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لما تمّ ضبطه من مبادئ الإنحاء»[١]، وبصرف النّظر عن تاريخ مفهوم الإنحاء فقد رأى فيه بعض اللِّسانيّين المعاصرين إمكانية لطرح إطار تفسيريّ لدراسة عموميّات اللُّغة وبعدها الطّوبولوجي، ورأى فيه آخرون مقاربة بديلة لبنية اللُّغة الَّتي تمَّ وصفها وتحليلها في الأنحاء الشّكليّة الآنيّة[٢].

الإنحاء والمعجم التَّاريخيّ للُّغة:

أَمَّا عن علاقة الإنحاء بالدّرس المعجميّ بعامّة والمعجم التَّاريخيّ للُّغة بخاصّة فتتمثّل من وجهة نظري في إمكانية أَنْ تقدم البحوث المتعلقة بالإنحاء وظواهره المختلفة في اللُّغة العربيّة صورة مفصّلة عن تطوّر أَلفاظ اللُّغة على البعدين الآنيّ والتَّاريخيّ؛ فآنيًّا يقارب الإنحاء الاستعمالات المتعددة لصيغة أَو تركيب مفرد في فترة زمنيّة معينة ويبيّن درجة إنحائها، وتاريخيًّا يلقي الضّوء على الدّورة التّطوريّة لصيغة معينة وتحوّلاتها المختلفة داخل اللُّغة[٣]. أَضف إلى هذا أَنَّ الإنحاء يتضمَّن مجموعة من الآليَّات كل واحدة منها تعدُّ تطوُّرًا وتغيُّرًا في حد ذاتها؛ بمعنى أَنَّ الإنحاء عملية تطوُّر مركبة تتضمن عدة تغيُّرات منها التَّغيُّر الصّوتيّ والتَّغيُّر الدِّلاليّ والتَّغيُّر النَّحويّ والتّركيبيّ. فإذا نظرنا إلى التَّأريخ المعجميّ بمعناه العميق والشّامل الَّذي أَلمح إليه الدُّكتور «الودغيريّ» - ممثَّلًا من ناحية - في ملاحقة مسار الوحدات المعجميّة «في كل بيئاتها الَّتي تَقَلَّبَت فيها والمجالات والحقول الدِّلاليّة الَّتي انتقَلت منها وإليها، وتسجيلُ كل الملاحظات الخاصّة بالتغيُّرات الَّتي طَرَأَت على صِيَغها اللّفظيّة صوتًا وصرفًا، سواء في حالة انفرادِها وانعِزالها أَمْ في حالة انتِظامها مع غيرها وتَرْكيبها في جُمَلٍ وسلاسل كلاميّة، وممثَّلًا - من ناحية أُخرى - في تتبع رحلة الكلمات من لُغة إلى أُخرى[٤]،

---

(١) ثُريا السّكريّ عَامِر: ظاهرة الإنحاء في اللُّغة العربيّة: الفعل النّاقص نموذجًا، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، تصدير الأَزهر الزّناد ٢٠٠٩، ص٩٥، وانظر لمزيد من التّفصيل الباب الأَول من هذه الدّراسة ص ص ٩٣: ١١٠.

(٢) after Pull J. Hopper ١٩٩٦: Some Recent Trends in Grammaticalisation. p.٢١٧. Annual Review of Anthropology, vol.٢٥:٢١٧-٣٦.

(٣) after Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: Grammaticalization. p.١٩١ in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (١٩١-٨) Leiden, Boston: Brill.

(٤) انظر دراسة د. عبد العلي الودغيري: التّأريخ المعجميّ والتّطوّر اللّغويّ، ضمن الإصدار الحالي. وأَذكر هنا أَنَّ ديروي L. Deroy يعدّ من أَوائل الّذين اهتموا بفكرة «رحلة الكلمات» سنة ١٩٥٦ في كتابه حول الاقتراض اللُّغويّ L'emprunt Linguistique، ولعل تتبع هذه الرّحلة لا يتوقف عند رصد انتقال الكلمات من لُغة إلى أُخرى، بلْ تتبع عودتها إلى لُغتها الأَصليّة مرة أُخرى في ثوب صياغيّ جديد، وهذا النّوع من الكلمات يُطلق عليه ديروي «الكلمات الرّحالة Mots Voyagers»، انظر د. عبد المنعم السّيد جُدامي ٢٠١٦: المشكلات الثّقافيّة في معجم إلياس بُقطُر، ضمن كتاب (المعجميّة العربيّة: قضايا وآفاق – الجزء الثّالث) إعداد وتنسيق د. منتصر أَمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فإنَّ الدّرس الإنحائيّ يضع أمام عملية التّأريخ هذه مجموعة من الحقائق المتعلقة بصور الأَلفاظ ودلالاتها وما طرأ عليها من تغيّر في مبناها ومعناها ووظائفها وتحوّلاتها سواء داخل اللُّغة أو في لُغة أُخرى حيث أصبح مفهوم الإنحاء ركنًا مهمًّا في دراسة الاحتكاك بين اللُّغات الَّتي تربط بينها علاقات معينة وأَثرًا شاهدًا على تاريخ تلك العلاقات[(١)]. فتطوُّر علامة المستقبل (السّين) عن (سوف) أو (السوف)، واستعمال (مَن) صلة وشرطًا، و(ذو) متبوعة بالاسم والفعل، و(ما) التّميميّة والحجازيّة، وانتقال كلمة (وسط) من الاسميّة إلى الظّرفيّة، واستعمال (جي) تركيّة الأَصل للنّسبة إلى صنعة أو للدّلالة على لزوم صفة معينة، واستعمال (مرة) للدّلالة على النّفي والتّكثير بمعنى (أَبدًا) و(جدًّا) و(كثيرًا)، و(بعد) بمعنى (أيضًا وكذلك)، و(يمّ) بمعنى (جانب)، واستعمال (أخذ) بمعنى (بدأ)، كل هذه الأَمثلة وغيرها تؤكد على أَنَّ الإنحاء من المفاهيم المهمة الَّتي يجب أَنْ نلتفت إليها وننوّه بها ونحن نتحدث عن معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة؛ وذلك لاتصاله الرَّاسخ بظاهرة التَّغيُّر اللُّغويّ أضف إلى هذا أَنَّ الإنحاء لا يعبر عن تطوّر واحد في مرحلة زمنيّة واحدة إنَّما هو عدة تطوُّرات وتغيُّرات تصيب العناصر اللُّغويّة على فترات زمنيّة مختلفة متعاقبة، حيث يراد من المعجم التَّاريخيّ للُّغة أَنْ يوثق جميع مظاهر هذه التَّغيُّرات اللّغويّة ومن بينها الصّيغ المُنحَّاة، فيُوضع أَمام كل صيغة من هذه الصّيغ ما يشير إلى أَنَّ معنى معينًا من معانيها ووظائفها المختلفة إنَّما هو نتيجة لنوع معين من الإنحاء، فتُوضَع الصّيغ تحت مداخلها الرَّئيسة ويتمّ الاتفاق على رمز محدد يشير إلى الإنحاء أو سبب تغيّرها. ولا ترى دراسة معمقة حول الإنحاء إلا وتجد أَنَّها تحيل على معجم لُغتها موضع البحث لاسيما التَّاريخيّ كما هو الحال بالنّسبة إلى معجم أكسفورد التَّاريخيّ للُّغة الإنجليزيّة[(٢)]، ويمكننا هنا الإفادة من المعاجم اللُّغويّة التّراثيّة وما تلاها من معاجم حتى عصرنا هذا في إثراء بحوث الإنحاء من خلال ما تمَّ رصده في هذه المعاجم من تغيّر في صور المفردات المعجميّة ووظائفها النَّحويّة وانتمائها المقوليّ، فلسان العرب لـ«ابن منظور» على سبيل المثال واحد من المعاجم المهمة في هذا السّياق لاسيما أَنَّ حديثه عن المداخل المعجميّة –كما يرى الدُّكتور «أَحمد العَلويّ»- يضم أَخبارًا عن معانيها

= إِربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى، ص٢٨٢، و٣٠٧. ومما يستحق الذّكر هنا أَنَّ تتبع رحلة الكلمات ذهابًا وإيابًا مثّل مظهرًا لافتًا من مظاهر المعجم التّاريخيّ للُّغة الفرنسيّة الّذي أَشرف عليه آلان راي A. Rey.

(١) لمزيد من أَبعاد تلك العلاقة بين الإنحاء والاحتكاك اللُّغويّ انظر: Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٥: Language Contact and Grammatical Change. p.١-٢١. Cambridge University Press.

(٢) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca ١٩٩٤: The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Language of the World. p.٢١٧-٨. Chicago and London: University of Chicago Press.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

واختلافًا في ذلك لا يفسر إلا بكونه بيانًا لتطوّر معنى المدخل زمانيًّا أو مكانيًّا. بغير هذا التّفسير لا ندرك معنى لاختلاف الكلمة الواحدة إلى أكثر من ثلاثة دلالات، وأحيانًا لا نجد بين الدّلالات المختلفة رابطًا مجازيًّا بيّنًا، بل نجد اللّفظ يدل على معان بينها روابط أُخرى لا يفسرها إلا التّطوُّر والإضافات الدِّلاليّة المتراكمة لأَسباب متجددة عند المستعملين[1]، وبدورها على بحوث الإنحاء ودراساته أَنْ تقدّم قائمة بمجموعة الصّيَغ العربيّة المُنحَّاة مع وصف لمراحل تغيّرها ومسارات إنحائها كي يفيد منها واضعو المعجم التَّاريخيّ للُّغة.

مسار الإنحاء وأُحادية الاتجاه:

فلكل لفظ من الأَلفاظ المُنحَّاة رحلة تطوّر خاصّة يُشار إليها بمسار الإنحاء Grammaticalization Path، كما رأينا سابقًا في وصف «بروكلمان» لتطوّر حروف الجر في اللُّغات السّاميّة، والغالب على هذا المسار أو ذاك هو انتقال اللّفظ من المعجميّة إلى النَّحويّة أو من النَّحويّة إلى درجة أعلى منها، وهذا معناه أَنَّ هناك اتجاهًا أُحاديّ الوجهة (معجميّ > نحويّ)[2]، وهو ما يصطلح عليه في الدّرس الإنحائيّ بـ «أُحاديّة الاتجاه Unidirectionality» (واختصارها UD)، وهي فرضيّة تؤكد أغلب دراسات الإنحاء -رغم خلافات كثيرة لا داعي إلى سردها هنا[3]- على أَنَّها ركيزة أَساسيّة في نظريّة الإنحاء[4]، وتقوم

---

(١) انظر دراسة د. أَحمد العلويّ: المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة وشروط قيامه، ضمن الإصدار الحالي.

(٢) يشير السّهم (>) في هذا البحث إلى أَي صورة من صور التّطوّر التّاريخيّ لصيغة ما، ويُقرأ: تطوّرت أَو تغيّرت إلى.

(٣) لعرض مهم حول هذه الفرضيّة، انظر: Roger Lass ٢٠٠٠: Remarks on (Uni)dierctionality. pp.٢٠٧-٢٧. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.

(٤) لم تتفق الآراء حول ما إذا كان الإنحاء يشكّل نظرية أَم لا، ومن الرّؤى المبالغ فيها في هذا السّياق رؤية «فريدريك نيوماير»، انظر: Frederick J. Newmeyer ١٩٩٨: Language Form and Language Function. p.٢٣٤-٢٣٥. MIT Press.
وإذا كان «نيوماير» يمثّل موقف التّيار التّوليديّ من دراسة الإنحاء فسأَكتفي هنا برأي «بيبي Joan Lea Bybee» – من بين آراء أُخرى لا يتسع المقام لذكرها - فيما يخص هذا الموقف، فهي ترى أَنَّ التّوليديّين ينظرون بخصوص هذه الظّاهرة إلى جوانب قليلة (تغيرات المقولة) تاركين بعض الجوانب الأُخرى الّتي تشكّلها وتؤثر فيها كـ(التّغيرات الصّوتيّة والدِّلاليّة والتّداوليّة)، وترى أَيضًا أَنَّ الغاية من وراء وضع ما يسمى «المبادئ التّفسيريّة Explanatory Principles» هي الدّفع بالإنحاء في اتجاه معين، هذا بالإضافة إلى أَنَّ عددًا غير قليل من الفرضيّات الأَساسيّة الّتي يتبناها التّوليديّون لا تتماشى وحقائق كثيرة حول الإنحاء. وللمزيد انظر:
Joan Bybee ٢٠٠٩: Grammaticization: Implications for a Theory of Language. p.٣٤٦ In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. ٣٤٥-٣٥٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

هذه الفرضيّة -كما يوضح روجر لاس Roger Lass– على ثلاث نقاط أساسيّة: الأُولى: أَنَّ عمليات التَّغيُّر الصّرف-تركيبيّ تنطوي على مسارات أَو مُتصَلات تغيّر ذات نقاط تدرجيّة محددة، وأَنَّ المسار الرّئيس هو التّحوّل من (المعجميّة > النَّحويّة) حيث تبدأ بكلمات معجميّة تنتهي بها رحلة التّطوُّر إلى مورفيمات صرفيّة، هذا بالإضافة إلى مسارات أُخرى تتضمَّن - على سبيل المثال - التّحوّل من (حر > مقيد)، النّقطة الثّانية: أَنَّ أَيّ حركة على هذه المسارات أَو المتصَلات هي تغير أُحاديّ الاتجاه، النّقطة الثّالثة والأَخيرة: وجود الكثير من الأَدلة التّطبيقيّة الَّتي تدعم هاتين النّقطتين (الأُولى والثّانية) يمكّن من القول إنَّ العناصر النَّحويّة الموجودة في جميع اللُّغات الطّبيعيّة ناتجة عن عناصر معجميّة أَو مشتقة منها[(١)].

ويمكن أَنْ يُطلق على هذا المسار أَو ذاك «مسار النَّحويّة Grammaticality Pathway» طالما سلمنا بفرضيّة أُحاديّة الاتجاه. وخلال هذه المسارات نَلمح تحركًا للعناصر من مصدر حسيّ إلى هدف أَو عدة أَهداف مجردة عبر مجموعة متعددة من الوظائف المتتاليّة الَّتي يمكن أَنْ يؤديها العنصر خلال عملية التّطوّر أَو التَّغيُّر بحيث يعكس موقع الصّيغة على هذا المسار درجة نحويّتها، أَمَّا عن المواقع الدّقيقة لنقاط المسار فمن الصّعب تحديدها؛ إذ ليس هناك حدود واضحة بين المقولات الَّتي يُمكن لها أَنْ تُشكّل مسار التّطوُّر[(٢)]. ولعل واحدًا من أَهم المسارات النَّحويّة في هذا الإطار هو المسار الَّذي وضعه بول هوبر Paul J. Hopper واليزابيث تروجت Elizabeth C. Traugott حيث يبدأ بكلمة ذات محتوى معجميّ تتطوّر من خلال الإنحاء إلى كلمة نحويّة، فمُتصِل، ثُمَّ لاصقة تصريفيّة، وذلك على الصّورة التّاليّة[(٣)]:

Content Item > Grammatical Word > Clitic > Inflectional Affix

ووفقًا لفرضيّة أُحاديّة الاتجاه فإِنَّه إذا انتقل عنصر معجميّ من نقطة إلى نقطة أُخرى داخل هذا المسار، فلا يمكن له العودة مرة أُخرى إلى واحدة من صيغه الأُول الَّتي كان عليها قبل عملية التّطوُّر أَو الانتقال، ولكنْ هذا لا يمنع إمكانيّة أَنْ تبقى الصّيغة المُنحَّاة بجانب العنصر المعجميّ الأَصليّ الَّذي تطوّرت عنه؛ ومن ثَمَّ يخضع هذا العنصر للتّغيُّر كغيره من العناصر، ويُطلق على هذه الظّاهرة «التّفرّع Divergence»[(٤)]، وتتمثّل هذه الظّاهرة وفق ما طرحه الدُّكتور «محسن السِّيسيّ» في تطوّر العلامة الدّالة على الزّمن المستقبل في العربيّة

---

(١) adapted from Roger Lass ٢٠٠٠: op. cit. p.٢٠٧-٨.

(٢) after Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٢.

(٣) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣: op. cit. p.٧.

(٤) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣: op. cit. p.١١٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الفصحى المعاصرة[1] ، وهي (السّين) في مثل: «ستظهر النّتيجة غدًا»، فهي من اسم (السّوف) بمعنى الأَماني في مثل قولهم: فلانٌ يقتاتُ السّوفَ[2] ، وتستعمل مصدرًا مُضافًا في مثل ما ذكره سيبويه من شعر ابن مقبل: (لو ساوفتْنا بسوف من تجنُّبها *** سوفَ العيوف لراح الرَّكب قد قنعوا)، وذكر ابن منظور أَنَّهم «قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام»[3] ، وأَحسب أَنَّ قولنا: (سَـ) صورة متطوّرة عن قولهم: (سَا يكون) بحذف العين واللّام معًا طلبًا للخفة، وعلى هذا فإِنَّ السّين وحدها «منحاة عن الاسم وقد فقدت علاماته (التّعريف والجر والإضافة) وحالاته الإعرابيّة وجانبًا كبيرًا من دلالته، وأَصبحت مجرد لاصقة مقصورة على صنف معين من الأَفعال تسبقه وتوجّه دلالته الزّمنيّة نحو المستقبل»[4] وسواءٌ أَكانت هذه السّين منحاة عن اسم أَو عن فعل في رأي بعضهم - حيث ذكر «ابن منظور» عن «ابن جني» قوله عن «سوف»: «هو حرف واشتقوا منه فعلًا فقالوا: سوَّفْتُ الرَّجل تسويفًا»[5] - فلا ينفي هذا الإنحاء الحاصل فيها، إنَّما يدعونا هذا -وبناء على شواهد من العربيّة ومعاجمها وقواعدها وآراء النّحاة العرب أَنفسهم- إلى التّفكير مرة بعد مرة في رسم مسارات إنحائيّة تستجيب - أولًا وقبل كل شيء- لمنطق العربيّة في التّطوّر، فإذا كانت اللُّغات جميعها تخضع للتّطوّر والتَّغيُّر، فإِنَّها بلا شك تتفاضل في مظاهره ومساراته، وهذا لا ينفي بالطّبع وجود الكثير من أَوجه التّشابه. فالمتوقع وفق دراسة بيبي Joan Bybee وآخرين أَنَّ أَي عمليّة من عمليّات الإنحاء تبدأ بمعنى مصدر Source Meaning مشابه لمعنى آخر في لُغة أُخرى فمن المتوقع لهذه العملية أَنْ تسلك المسار نفسه، وهو ما يُطلق عليه في هذه الدّراسة المسارات العامّة Universal Paths، ولكنَّ هذا التّوقع لا يمنع أَمثلة خاصّة من الإنحاء[6] ، إنَّ علاقة (السّين) هنا بالفعل (سوّف) أَو بالاسم (السّوف) والأقوال الثّلاثة الَّتي ذكرها ابن منظور (سو يكون، وسا يكون، وسف يكون) تدعم/ها ظاهرة «التّفرّع» لدى «هوبر» و«تروجت» أَو ما اصطلح عليه «هين» Heine Bernd و«ريه» Reh Mechthild

---

(١) after Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٢.

(٢) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت: ٧١١هـ): لسان العرب، بيروت: دار صادر، (سوف) المجلد ٩، ص١٦٤.

(٣) ابن منظور : السّابق نفسه.

(٤) adapted from Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٢.

(٥) ابن منظور : مرجع سابق، ص١٦٤.

(٦) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca ١٩٩٤: op. cit., p.١٤-١٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بالانقسام Split؛ أي وجود صيغتين لعنصر معين؛ الأُولى تمثّل حالة وضعه الأول، والثّانية هي حالته النّاشئة عن الإنحاء[(١)]، وأحسب أنَّ «الانقسام الوظيفيّ Functional Split»؛ أي وجود تطوّرين مختلفين لوحدة معينة داخل اللُّغة[(٢)] توصيف مهم وغير مستبعد أيضًا في حالة (السّين) الدّالة على المستقبل. إنَّ حالة (السّين) هنا قريبة الشّبه بحالة (will) الإنجليزيّة، فالأَخيرة مأخوذة عن الأَلمانيّة بمعنى: يريد (want)، ثُمَّ فقدت جزءًا كبيرًا من هذا المعنى، وتمَّ إنحاؤها لتصير علامة دالة على المستقبل تتقيّد بمواقع محددة داخل الجملة[(٣)].

وإذا كانت (will) تتعرض لـ«تآكل صوتيّ Phonetic Erosion» -وهو أيضًا مظهر من مظاهر الإنحاء[(٤)] - في مثل (she'll) فهذا يعود بنا إلى قول «ابن منظور»: «قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام»، فحديث «ابن منظور» –من وجهة نظري- يموضع مثل هذه الصّيغ عند نقطة معينة من نقاط مسار إنحاء (السّين)، وأظن أنَّ «الحذف» الّذي تحدث عنه هنا معادل مصطلحيّ للتآكل الصّوتيّ الّذي تتعرض له بعض الصّيغ المُنحَّاة.

وهنا أقترح العودة إلى معجم لسان العرب لـ«ابن منظور» وإلى معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة للمرحوم الدُّكتور «أحمد مختار عمر» كي ننظر في هذه (السّين) وموضعها في المعجمين، وتعريفها، وماذا يمكن أنْ تقدّم دراسات الإنحاء للمعجم اللُّغوي العربيّ عامّة والمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة بخاصّة من خلال هذا المثال. فـ(السّين) في معجم لسان العرب وردت على النَّحو التّالي: (حرف السّين المهملة) «الصّاد والسّين والزّاي أسليّة؛ لأَنَّ مبدأها من أَسلة اللِّسان، وهي مستدق طرف اللِّسان، وهذه الثّلاثة في حيز واحد، والسّين من الحروف المهموسة، ومخرج السّين بين مخرجي الصّاد والزّاي؛ قال «الأَزهريّ»: لا تأتلف الصّاد مع السّين ولا مع الزّاي في شيء من كلام العرب»[(٥)]. وجاءت في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كما يلي: (٢٤٠١- س) «س[١] [كلمة وظيفيّة]: الحرف الثّاني عشر من حروف الهجاء، وهو صوت أَسنانيّ لثويّ، مهموس، ساكن، احتكاكيّ (رخو)، مُرقّق. س[٢] [كلمة وظيفيّة]:

---

(١) see Bernd Heine & Mechthild Reh ١٩٨٤: Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. p.٥٧. Hamburg : Helmut Buske.

(٢) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh ١٩٨٤: op. cit. p.٥٧.

(٣) after Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco ٢٠٠٧: A Glossary of Historical Linguistics. p.٧٣. Edinburgh University Press.

(٤) see Bernd Heine & Mechthild Reh ١٩٨٤: op. cit. p.١٥.

(٥) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد السّادس، ص٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

١- حرف يسبق الفعل المضارع المثبت دون المنفيّ فيخصصه للاستقبال، فيدل على المستقبل القريب، وقد يدل على المستقبل البعيد. ٢- حرف غير عامل يفيد تكرار الفعل وتوكيده...»[١]. إنَّ ثمة اختلافات كثيرة بين المعجمين فيما يخص (السّين):

- تعامل لسان العرب معها على أنَّها صوت من أصوات العربيّة؛ فبيّن مخرجها وعلاقاتها بغيرها من الأصوات وبعض صفاتها.
- لم يشر لسان العرب إلى معنى السّين كحرف دالٍ على المستقبل يسبق الفعل المضارع المثبت.
- أَدرجها معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كلمة وظيفيّة لأَنَّها من حروف الهجاء؛ فبيّن موقعها من حروف الهجاء، وعدّد صفاتها الصّوتيّة.
- أَدرجها معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كلمة وظيفيّة لأَنَّها مما اكتسب دلالة جديدة غير دلالته اللُّغويّة؛ فذكر مواضعها النَّحويّة ودلالاتها في هذه المواضع.

فالكلمات الوظيفيّة في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة «هي الكلمات الَّتي اكتسبت دلالة جديدة بعيدة عن الدِّلالة اللُّغويّة لأَلفاظها وتشمل حروف الهجاء وجميع حروف الجر وأَدوات الاستفهام والأَسماء الموصولة وأَسماء الإشارة وأَدوات الشّرط والظّروف وأَسماء الأَفعال، كما اشتملت بعض الأَفعال الجامدة، مثل «عسى»... إلخ»[٢]. ورغم ما يبدو من أَنَّ معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة قد خطا خطوات جيدة فيما يتعلق بترتيب المداخل واستقصاء معلوماتها، فإنَّ ورود حديثه عن السّين كحرف دالٍ على المستقبل مخصص للدخول على المضارع المثبت بعد حديثه عنها كصوت أو حرف هجائيّ يشي -وفق تعريفه للكلمات الوظيفيّة السّابق- بأَنَّ هذه الدِّلالة دلالة جديدة للسّين المفردة، ويعزز هذا الاستنتاج أَنَّ حديثه عن (سوف) لم يتضمن أَيَّة إشارة إلى السّين (فقد ذكر في (سوف) ٢٦٧٥ [كلمة وظيفيّة] حرف مبني على الفتح يخصص أفعال المضارعة للاستقبال البعيد، فيردّ الفعل من الزّمن الضّيق وهو الحال إلى الزّمان الواسع وهو الاستقبال، وهو يقتضي معنى المماطلة والتّأخير، وأَكثر ما يستعمل في الوعيد، وقد يستعمل في الوعد[٣] فلم يوضح

---

(١) د. أَحمد مُختار عمر (بمساعدة فريق بحث) ٢٠٠٨: معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطّبعة الأَولى، المجلد الثّاني، ص١٠١٩.

(٢) د. أَحمد مُختار عمر ٢٠٠٨: المرجع السّابق، المجلد الأَول، ص١٣.

(٣) انظر د. أَحمد مُختار عمر (بمساعدة فريق بحث) ٢٠٠٢: المعجم الموسوعيّ لأَلفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرّياض: مؤسسة سطور المعرفة، الطّبعة الأَولى، ص١٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

هذا التّعريف علاقة (سوف) بالسّين رغم ثبات هذه العلاقة، ورغم أنَّ الدُّكتور أحمد مختار عمر -رحمه الله- قد أخذ في معجمه الموسوعيّ لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته على الأعمال السّابقة في هذا الشأن أنّها لم تذكر (بل) و(السين) في حين أنّها أثبتت (بلى) و(سوف)[1]، كذلك خلا حديثه عن هذا المدخل ٢٦٧٥ من (سوف) الاسميّة رغم أنّه أثبت الأفعال (سَاوف - سَوَّفَ)، ورغم وجودها في لسان العرب، وربما خلا هذا المعجم من مدخل لـ(التّسويف)!. وما أُريد التّأكيد عليه هنا أنَّ الاختلاف الجوهريّ بين المعجمين يكمن في رؤيتهما لـ«معجميّة» العناصر الَّتي تشكّل مداخل كل منهما، فالسّين الدّالة على المستقبل ليست مدخلًا من مداخل لسان العرب؛ لأنَّها بذاتها صيغة خالية من المعنى بالمنظور المعجميّ، ولكنَّها في المقابل شكّلت مدخلًا من مداخل معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة ربما لأَنَّ المنظور النَّحويّ مثَّل واحدًا من العناصر الَّتي يتكون منها مفهوم «المعجميّة» عند أصحاب هذا المعجم.

إذن، فالمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة - وهو يستثمر مثل هذه المعاجم في معالجة مواده - مطالب برصد (السَّوفَ) كاسم له من الشّواهد -الَّتي ساقها «ابن منظور» و«سيبويه»- ما يؤكده، وببيان العلاقة بين (السِّين) و(سَوفَ) و(السَّوفَ) و(سَوَّفَ)، وبتحقيق قول «ابن جنيّ» في هذا: (هو حرف اشتقوا منه فعلًا)، والتّأكد من الشّواهد: (سف يكون، وسا يكون، وسو يكون) وتبرير أشكالها، وأحسب هنا أنَّ الاستعانة ببحوث الإنحاء يمكن أنْ تساعد في تحقيق بعض هذه المطالب، فإذا صح استنتاجنا أنَّ (السَّوفَ) [عنصر معجميّ - اسم] تطوّرت عنه (سَوفَ) [عنصر نحويّ -حرف]، ثُمَّ حصل فيها تآكل صوتيّ (سَف، سَو، سَا، ثم سَ) ولزمت مواقع تركيبيّة محددة مع بقاء الكلمتين جنبًا إلى جنب [التّفرع أو الانقسام]، أو أنَّ (سَوَّفَ) انتقلت إلى (سَوفَ) وتحوّلت الأخيرة إلى (سَف، سَو، سَا، ثم سَ) وتقيّدت بالدّخول على الفعل المضارع المثبت فقط، فإنَّ المعجم التَّاريخيّ لابدّ أنْ يشير في تعريفه لهذه المداخل (بحسب الطّريقة الَّتي سيتم اعتمادها في التّرتيب) إلى إنحائها ويتتبع مسار هذا الإنحاء لاسيما أنَّ المعاجم السّابقة لم ترصد هذه العلاقات.

بين الإنحاء والإعجام:

إنَّ الصّورة المجازيّة للإنحاء تمثّلها مقاربة يُطلق عليها «مقاربة الصّندوق Box Approach» ومفادها أنَّ هناك صندوقًا ضخمًا للمعجم وآخر للنّحو، الأول ممتلئ بالعناصر

(١) د. أحمد مُختار عمر ٢٠٠٨: المرجع السّابق، المجلد الأول، ص١٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المعجميّة، والثّاني ممتلئ بالعناصر النَّحويّة؛ ومن ثمَّ فإنَّ العمليّات الّتي يتمُّ من خلالها انتقال العناصر من الصّندوق الأوّل الخاصّ بالمعجم إلى الصّندوق الثّاني الخاصّ بالنَّحو تمثّل الإنحاء، أمَّا العمليات الخاصّة بنقل العناصر من صندوق النَّحو إلى صندوق المعجم فتمثِّل «الإعجام Lexicalization»[1] أو مَعجَمة العناصر النَّحويّة، فبين كل من الإنحاء والإعجام روابط قوية، ففريق من الباحثين يرى أنَّ الإعجام نوعٌ مخصوصٌ من «نزع الإنحاء Degrammaticalization» حيث تفقد الصّيغ والبنى وظائفها النَّحويّة ويتم تحجرها في صورة عناصر معجميّة أو تعابير اصطلاحيّة عقيمة، وفريق آخر يرى أنَّ الإنحاء هو تطوُّر إضافي في عملية الإعجام؛ بمعنى أنَّه تقييد صارم لعنصر معجميّ معين[2]، فإذا كان الإنحاء هو إيجاد عنصر نحويّ من عنصر معجميّ، أو إيجاد عنصر نحويّ من آخر أقل نحويّة، فإنَّ الإعجام هو العمليّة العكسيّة؛ أي التّحوّل من عنصر نحويّ إلى عنصر معجميّ أو خفض درجة نحويّته بمعنى أنَّه إيجاد عنصر معجميّ -من عنصر غير معجميّ- أو زيادة درجة معجميّة هذا العنصر[3]، فقد رأينا فيما سبق رأي «ابن جنيّ» الّذي أورده «ابن منظور» حيث ذكر أنَّ (سَوفَ) «حرف اشتقوا منه فعلًا فقالوا: سوَّفْتُ الرَّجل تسويفًا»[4]، وهذا معناه أنَّ (سَوفَ) انتقلت من النَّحو إلى المعجم بتحوّلها من الحرفيّة إلى الفعليّة، ومعنى هذا أيضًا أنَّها انتقلت من صيغة غير معجميّة إلى عنصر معجميّ كامل الدِّلالة، وتُسمى عمليّة الانتقال هذه «القلب Conversion»، وهي ظاهرة غير مألوفة نسبيًّا، ولكنْ لها شواهد في أغلب اللُّغات[5]، ومنها في العربيّة أيضًا ما أورده «ابن جنيّ» دليلًا على تداخل أقسام الكلام في العربيّة قال: «إنَّ كثيرًا من الأفعال مشتق من الحروف، نحو قولهم: سألتك حاجة فلوليت لي، أي قلت لي: لولا، وسألتك حاجة فلاليت لي، أي: قلت لي: لا، واشتقوا أيضًا

---

(١) see Nikolaus P. Himmelmann ٢٠٠٤: Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.٢١. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.

(٢) adapted from Ilse Wischer ٢٠٠٠: Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. p.٣٥٩. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

(٣) after John van der Auwera ٢٠٠٢: More Thoughts on Degrammaticalization. p.٢٠. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

(٤) ابن منظور: مرجع سابق، المجلد التّاسع، ص١٦٤.

(٥) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣: op. cit. p.٥٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصدر -وهو اسم- من الحرف، فقالوا: اللالاة، واللولاة... وكذلك قالوا: سوَّفت الرَّجل، أي: قلت له: سوف، وهذا فعل كما ترى مأخوذ من الحرف... وأنا أرى أَنَّ جميع تصرف (ن ع م) إنَّما هو من قولنا في الجواب: نَعَمْ، من ذلك النِّعمة والنَّعمة، والنَّعيم والتَّنعيم، ونعمت به بإلا، وتنعَّم القوم، والنُّعْمَى، والنّعماء، وأَنعمت به له، وكذلك البقية، وذلك أنَّ (نَعَمْ) أشرف الجوابين، وأسرهما للنفس وأجلهما للحمد... لما فيها من المحبة للشّيء والسّرور به... [ف] الحروف يشتق منها، ولا تشتق هي أبّدًا، وذلك أنَّها لمّا جمدت فلم تتصرف شابهت بذلك أُصول الكلام الأَول الَّتي لا تكون مشتقة من شيء»[1]، وإذا كانت نهاية كلام ابن جنيّ تقدح في إنحاء (سوف) من الاسم أو الفعل، فإنَّني أظن أنَّ الحديث عن الاشتقاق أمر مختلف عن التَّطوُّر أو الإنحاء، كما أظن أنَّ هذا الحديث يثبت إنحاء (الفعل من الحرف) ولا يقدح في إنحاء السِّين من (سوف) الفعليّة أو الحرفيّة بدليل قول «ابن منظور»: «قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام»، ولكنْ يمكن لنا الإفادة من ملاحظة «ابن جنيّ» هذه في ضبط بعض الأُمور المتعلقة بمسار الإنحاء واتجاهه، وتبقى المسألة مفتوحة للاجتهاد ما لم نعثر على شواهد موثقة تاريخيًّا تمكّننا من معرفة متى بدأ التَّغيُّر ومتى انتهى وبأَي صيغة، وهنا يأتي دور المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة، وعليه فإنَّ البحث يشدد في مواضع كثيرة على ضرورة التّكامل بين جهود أصحاب المعجم التَّاريخيّ وباحثيّ الإنحاء. وقبل أَنْ نترك حديث «ابن جنيّ» أُشير إلى مَلحظ مهم يجب التّنبيه إليه بخصوص فرضيّة أُحاديّة الاتجاه UD والرَّأي الَّذي يمكن أَنْ نجده لدى «ابن جنيّ» إزاء هذا الملحظ، فالقول بهذه الفرضيّة وفق الصِّياغة المعممة لها أو ما أَصبح يُطلق عليه فرضيّة أُحاديّة الاتجاه القوية Strong UD[2]؛ أَي بتطوُّر الصّيغ النَّحويّة فقط عن صيغ معجميّة، قولٌ أحد معانيه التّسليم بأَنَّ جميع عناصر اللُّغة كانت في مرحلة ما من مراحل تطوُّرها السّابقة عناصر معجميّة فقط، فقد ذكر «ابن جنيّ» في «باب في هذه اللُّغة: أَفي وقت واحد وُضِعت أَم تلاحق تابعٌ منها بفارطٍ؟» أَنَّه «يجوز أَنْ يكونوا عند التّواضع قدّموا الاسم قبل الفعل، ويجوز أَنْ يكونوا قدّموا الفعل في الوضع قبل الاسم، وكذلك الحرف، وذلك أَنَّهم وزنوا حينئذٍ أَحوالهم وعرفوا مصاير أُمورهم، فعلموا أَنَّهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، وأَنَّها لابد لها من الأَسماء والأَفعال والحروف، فلا عليهم بأَيها بدءوا، أَبالاسم أَم بالفعل أَم بالحرف؛ لأَنَّهم قد أَوجبوا على

(١) ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: ٣٩٢هـ) : الخصائص، مرجع سابق، المجلد الثّاني، ص٢٣: ٢٥بتصرف.

(٢) adapted from Roger Lass ٢٠٠٠: op. cit. p.٢١٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أَنفسهم أَنْ يأتوا بهن جُمَعَ، إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن»[١].

الفقد والاكتساب

إنَّ معنيّة أَنْ ينتقل العنصر من المعجم إلى النَّحو أَنْ تتغيّر سماته وصفاته، فالإنحاء بحسب «هين» و«ريه» تطوّر تفقد من خلاله الوحدات اللُّغويّة تعقيدها الدِّلاليّ، وسمتها التّداوليّ، وحريتها التّركيبيّة، ومادتها الصّوتيّة[٢]، ويرى الدُّكتور «السِّيسيّ» أَنَّ الأَمر هنا غير محصور في فقد هذه السّمات، بل اكتساب سمات جديدة، فعلامة المستقبل (سَـ) فقدت بإنحائها المحتوى الدِّلاليّ، وانتمائها إلى «فئة كلاميّة مفتوحة Open Class»، كما فقدت استقلالها التّركيبيّ، ومادّتها الصّوتيّة، ولكنَّها حصّلت في مقابل هذا تغيّرًا في المعنى، ومدى متسعًا من السّياقات، ودرجة كبيرة من التّواتر، وعموميّة دلاليّة، وأَصبحت في النهاية جزءًا من التّصريف Paradigm[٣]. فالإنحاء آليًّا يتضمن عمليات أَربعة؛ الأُولى هي «الخفوت الدِّلاليّ Semantic Bleaching»[٤] أَو «فقد المعنية Desemanticization» حيث تفقد العناصر جزءًا كبيرًا من محتواها الدِّلاليّ، والثّانية هي «التّوسع Extension» أَو «التّعميم السّياقيّ Context Generalization» حيث يتم استعمال العناصر في سياقات جديدة، أَمَّا الثّالثة فهي «فقد الانتماء المقوليّ Decategorialization» حيث تفقد العناصر السّمات الصّرفيّة والتّركيبيّة، والعملية الرَّابعة هي التّآكل Erosion أَو «التّقلص الصّوتيّ Phonetic Reduction» وفقد المادة الصّوتيّة، وعلى الرُّغم من أَنَّ ثلاثة من هذه العمليات تنطوي -كما نرى- على فقد بعض الخصائص وخسارتها فإنَّ هناك مجموعة من الخواص المميزة الّتي تكتسبها هذه العناصر من استعمالها في سياقاتها الجديدة[٥].

---

(١) ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت:٣٩٢هـ) : الخصائص، مرجع سابق، ص٢١

(٢) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh ١٩٨٤: op. cit. p.١٥.

(٣) after Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٢.

(٤) واحد من المفاهيم المهمة في دراسة الإنحاء يشار به إلى فقد العناصر المعجميّة لمعناها أَو حالاتها المقوليّة حيث تتحوّل إلى مجرد علامات تؤدي وظيفة نحويّة، ولهذا المفهوم عدد غير قليل من المصطلحات الّتي تعبر عن مضمونه وهي: الضّعف الدّلاليّ Semantic Weakening (Guimier ١٩٨٥:١٥٧)، وفرضيّة الاحتواء Containment Hypothesis (Willett ١٩٨٨:٨٠)، والتّجريد Abstraction (Hein et al ١٩٩١:٤١-٤٥)، والتّعميم الدّلاليّ Semantic Generalization، والخفض الدّلاليّ Semantic Reduction (Bybee et al ١٩٩٤: ٦)، والنّضوُب الدّلاليّ Semantic Depletion (Weinreich in Lehmann ١٩٩٥:١٢٧)، وفقد المعنيّة Desemanticization (Lehmann ١٩٩٥:١٢٧)، نقلًا عن (وقد قمتُ بترتيبها تاريخيًّا): Mohssen Esseesy ٢٠٠٩b: Semantic Bleaching. p.١٦٠ in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (١٦٠-٤) Leiden, Boston: Brill.

(٥) see Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٤: World Lexicon of Grammaticalization. p.٢. Cambridge University Press.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أَفعال الشُّروع ومبدأ الاستمراريّة:

فالصّيغ المُنحّاة يمكن أَنْ تكتسب علاقات صرفيّة-تركيبيّة لم تكن لها من قبل في مقابل فقدها لبعض السّمات والخواص، ومثال هذا الفعل «أخذ» عندما يستعمل كفعل معجميّ في مثل (أَخذ الولد الكتاب) يمكن أَنْ يتصرف زمنيًّا فيدل على الماضي والحاضر، أَو أَنْ يُبنى للمجهول، أَو أَنْ يتبادل رتبته مع فاعله ومفعوله، ويمكن أَنْ تسبقه أَداة نفي، ولكنْ عند إنحائه في مثل (أَخذت الرّيح تعصف) ستتقيد رتبته، ويصبح منتميًا إِلى فئة مغلقة من الأَفعال الّتي تُسمى «أَفعال الشُّروع/ الإِنشاء»[1]. واتصالًا بهذا الصّنف من الأَفعال في العربيّة من جهة وبأَحد مبادئ الإِنحاء من ناحية أُخرى، أَود أَنْ أُشير هنا إِلى «مبدأ الاستمراريّة Persistence»، ومفاده أَنَّ المصادر المعجميّة رغم خضوعها لعملية الإِنحاء وفقد بعضها مادته المعجميّة، فإِنَّ هناك حالات عديدة تستمر فيها معاني هذه العناصر الأَصليّة بدرجات مختلفة، بل إِنَّ هذه المعاني لتؤثر في الوظائف النَّحويّة الّتي تحوزها العناصر المُنحّاة خلال مساراتها الإِنحائيّة (انظر فرضيّة تحديد المصدر في الصَّفحات التَّالية من البحث)، وهذا معناه أَنَّ هناك آثارًا دلاليّة مصدرها المعاني المعجميّة الأَصليّة لتلك العناصر الّتي تنعكس في صورة قيود تحكم توزيعها النَّحويّ النَّاجم عن الإِنحاء[2]، والمثال الّذي يضربه الدُّكتور «السِّيسيّ» نموذجًا لهذا المبدأ يتمثَّل في الفعل (قام) حيث يتم إِنحاؤه فيدخل ضمن فئة أَفعال الشُّروع في قولنا: قامت المرأة تنوح. ففي رأيه أَنَّ المفهوم الأَساسيّ لهذا الفعل لم يختفِ بشكل كامل، بل إِنَّه مستمر في فرض بعض القيود على مدى العلاقات الدِّلاليّة لصيغته المُنحّاة؛ فلا يدخل هذا الفعل (وهو من أَفعال الشُّروع) في علاقات تركيبيّة مع أَفعال أُخرى تناقض مفهومه حيث تعدُّ جملة "قامت المرأة تنام" جملة غير نحويّة بسبب التَّضاد الحاصل بين "قامت" و"تنام"، وذلك عند مقارنتها بالبنية النَّحويّة: "قامت المرأة من النوم"[3].

الأَفعال النَّاقصة ومعجميّة التَّصنيف النَّحويّ:

أَمَّا عن الأَفعال النَّاقصة في اللُّغة العربيّة سواءٌ في الفصحى التّراثيّة أَو في الدَّوارج واللّهجات المعاصرة، فالنّواسخ الفعليّة مثل (كان) وأَخواتها تعدّ أَفعالًا ناقصة Incomplete

---

(١) see Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٣.

(٢) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣: op. cit. p.٩٦.

(٣) after Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(المعجميّة) بعكس الأفعال التّامة Complete[(١)] كاملة (المعجميّة)؛ إذ تقتضي الأَخيرة وفق قيود الانتقاء المقوليّة والدِّلاليّة «اسمًا» يكون فاعلًا تقع به، واسمًا أَو جملة يكون مفعولًا تقع عليه، ولأَنَّ هذه النَّواسخ «ناقصة» فهي لا تدل على أكثر من إطار زمنيّ للجملة الَّتي تحتويها، وتدلّنا على هذا معالجة «سيبويه» لهذه الأَفعال فقد أَوردها في باب (الفعل الَّذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد)[(٢)] وذكر أَنَّ كون اسم الفاعل هو عينه اسم المفعول يجعل هذا النّوع من الأَفعال صنفًا مميزًا يقول: «فمن ثَمَّ ذُكِرَ [هذا الفعل] لحدته [وخاصيته المميزة]»[(٣)]، ثُمَّ قال: «ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل كما لم يجز في ظننت الاقتصار على المفعول الأَول؛ لأَنَّ حالك في الاحتياج إلى الآخر ههنا، كحالك في الاحتياج إليه ثمّة»[(٤)]، ثُمَّ مثَّل «سيبويه» لهذه الأَفعال بمجموعة صغيرة منها «كان ويكون، وصار، وما دام، وليس»[(٥)]، وترك عنوانًا عريضًا لما يمكن أَنْ يسلك سلوك هذه الأَفعال فقال: «وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر»[(٦)]. فـ«سيبويه» - وإِنْ فُهِمَ من عنوان الباب أَنَّه يجعلها أَفعالًا فقد - جعل لها اسمًا للفاعل واسمًا للمفعول هو عينه اسم الفاعل، ولم يجعل لها فاعلًا ومفعولًا بالمعنى الَّذي نجده مع غيرها من الأَفعال التّامّة الحقيقيّة، وفطن «سيبويه» إلى أَنَّ هذه الأَفعال وإِنْ كان يجوز في تراكيبها ما يجوز في تراكيب غيرها من الأَفعال من التّقديم والتّأخير إنَّما تدل فقط على الزّمان، يقول: «تقول: كان عبد الله أخاك، فإنَّما أردت أَنْ تخبر عن الأُخوة، وأَدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى... وإِنْ شئت قلت: كان أَخاك عبد الله، فقدّمت وأَخرت كما فعلت ذلك في (ضرب) لأَنَّه فعل مثله، وحال التّقديم والتّأخير فيه كحاله في (ضرب)، إلا أَنَّ اسم الفاعل والمفعول فيه سواء»[(٧)]، فهذه الأَفعال النّاقصة تسلك السّلوك التّركيبيّ نفسه

---

(١) for more details see Hana Zabarah ٢٠١٢: The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. pp.١١٥-٢٥. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.

(٢) سيبويه (أَبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، ١٩٨٨، المجلد الأَول، ص٤٥.

(٣) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(٤) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(٥) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(٦) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(٧) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

للأَفعال التّامة، والفرق أنَّها ليست أفعالًا بقدر ما هي علامات دالة على الزّمان وبقدر كون هذا السّلوك جزءًا مما اكتسبته بمعاملتها معاملة الأَفعال الأُخرى، ويبدو هذا جليًّا في قول «سيبويه»: «وقد يكون لـ(كان) موضع يقتصر على الفاعل فيه، تقول: قد كان عبد الله، أي قد خُلِق عبد الله، وقد كان الأمر، أي وقع الأمر، وقد دام فلان، أي ثبت، كما تقول: رأيت زيدًا، تريد رؤية العين، وكما تقول: أنا وجدته، تريد وجدان الضّالة، وكما يكون أصبح وأمسى مرة بمنزلة (كان)، ومرة بمنزلة استيقظوا وناموا»[(١)]، ثُمَّ ضرب «سيبويه» مثالين وردت فيهما (كان) بمعنى (وقع)، الأَول لـ«مقّاس العائذيّ»، والثّاني لـ«عمرو بن شَأس»[(٢)]. وكي يتأكد لنا هذا دعنا ننظر في رؤية النّحاة بعد «سيبويه» لـ(كان) وأخواتها كما أشارت إليها دراسة Hana Zabarah ٢٠١٢، فـ«المبرد» (ت: ٢٨٢هـ) يرى أنَّها أفعال صحيحة (لأَنَّها تتصرف تصرف الأَفعال في الزّمن ومع الضّمائر المختلفة)، ولكنَّها أفعال غير حقيقيّة (لأَنَّ اسمها وخبرها الشّيء نفسه)، وهي لا تغيّر معنى الجملة إنّما تشير فقط إلى زمنها، ويرى «ابن السّراج» (ت: ٣١٨هـ) أنَّها أفعال غير حقيقيّة لأَن الفعل الحقيقيّ هو ما دلّ على معنى وزمان، أمَّا (كان) وأخواتها فتدل على الزّمان فقط. أمَّا «الزّجاجيّ» (ت: ٣٤٠هـ) فقد تجنب استعمال مصطلح (الفعل) وعدَّ (كان) وأخواتها حروفًا، فإذا وصلنا إلى «البطليوسيّ» (ت: ٥٢١هـ) وجدنا قوله إنَّ «الفعل الصّحيح إنّما وُضِع في أصل وضعه ليدل على حدث واقع في زمان مُحصَّل، وذلك الحدث هو خبره الَّذي يستفيد المخاطب منه إذا ذُكِر، وذلك الحدث الَّذي هو خبره مُضمَّن فيه غير خارج عنه، وأحداث هذه الأفعال الَّتي هي أخبارها خارجة عنها غير مُضمَّنة فيها»[(٣)].

إنَّ هذه المقاربات وإنْ كانت «نحويّة» بالأَساس قصدت إلى بيان علاقة الكلمات بعضها ببعض داخل الجمل ودلالة مثل هذه العلاقات، فإنَّها لم تغفل «معجميّة» الأفعال أساسًا للتفريق بين ما هو فعل حقيقيّ وما هو فعل غير حقيقيّ، فـ(كان) وأخواتها أفعالٌ غير حقيقيّة لأَنَّها فقدت دلالتها على الحدث الَّذي يَفيده المخاطب متى ما سمع الفعل في أقل سياق أي مُنفردًا؛ إذ أصبحت أحداثها -بتعبير «البطليوسيّ»- خارجة عنها غير مُضمَّنة فيها، وهذا ربما السّبب الَّذي حدا بـ«الزّجاجيّ» أنْ يجعلها حروفًا أو قل بالمصطلح المعاصر كلمات وظيفيّة، فـ«الفقد التّدريجيّ للسّمة المميزة للأَفعال، والاكتساب التّدريجيّ لسمات نحويّة

(١) سيبويه: الكتاب، السّابق، ص٤٦.

(٢) انظر سيبويه: الكتاب، السّابق، ص٤٦، ٤٧.

(٣) see Hana Zabarah ٢٠١٢: op. cit. p.١١٨; ١١٩; ١٢٠; ١٢٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مختلفة هما السّبب وراء صعوبة تصنيف الأَفعال النّاقصة ووراء الخلاف بين النّحاة الآنيّين في النّظر إلى هذه العناصر بوصفها أَفعالًا أو عدّها مقولة قائمة بذاتها»[١]، وتأكيدًا على ما سبق من رؤى النّحاة العرب لـ(كان) وأخواتها أورد «ابن منظور» لـ(كان) التّامة العديد من المعاني المعجميّة منها: وَقع/وُجِد واستقر/خُلق/مَضى وتَقضَّى[٢]، وله على كل معنى من هذه المعاني شاهد أو أكثر من الشّواهد الموثّقة. أمَّا عن (كان) النّاقصة في هذا المعجم فأكتفي فيها بما اقتبسه «ابن منظور» عن «ابن بري» قال: «واعلم أنَّه يُلحق بباب (كان) وأخواتها كلُ فعلٍ سُلِبَ الدِّلالة على الحدث، وجُرِدَ للزّمان، وجاز في الخبر عنه أَنْ يكون معرفة ونكرة، ولا يتمُّ الكلام دونه، وذلك مثل: عاد ورجع وآض وأتى وجاء وأَشباهها»[٣]. وهنا نرى أَنَّ مثل هذه الأَفعال فقدت دلالتها على الحدث واكتسبت معنى نحويًّا (وفق آليّة فقد المعنيّة)[٤]، أَضف إلى هذا أَنَّها فقدت الخصائص المميزة للأَفعال الحقيقيّة وتجردت فقط للدلالة على الزّمن (وفق آليّة فقد الانتماء المقوليّ)[٥]، هذا بالإضافة إلى آليّة (التّآكل الصّوتيّ)[٦] فقد رأت إحدى الدِّراسات أَنَّ (كَ Ka) في الدَّارجة المغربيّة في مثل: (كيكتب Ka-yekteb) هي صيغة متبقية من الفعل (كان)[٧]، وترى الأُستاذة «ثُريا عَامِر» أَنَّه «يمكننا أَنْ نؤول التّطوُّر الحاصل في قائمة الأَفعال النَّاقصة باشتغال آليتيّ «القياس Analogy» و«إعادة التّحليل Reanalysis» في نسج فعلٍ (ب) على منوال فعلٍ آخر (أ) يشبهه في وجه من الوجوه، فيستحدث للفعل بنية نحويّة جديدة يُصنَّف على أَساسها ضمن مجموعة الأَفعال النّاقصة، مثال ذلك ما ذكره «الرَّضي» في «كَمُلَ» الّتي لا يذكرها «سيبويه» ولا «ابن يعيش»

---

(١) adapted from Joan Bybee & Joanne Scheibman ٢٠٠٧: The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. p.٢٩٥. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press.

(٢) ابن منظور: مرجع سابق، المجلد الثّالث عشر، ص٣٦٥ وما بعدها.

(٣) ابن منظور: السّابق نفسه، ص٣٦٨.

(٤) see Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٢: On the Evolution of Grammatical Forms. p.٣٧٩. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. pp. ٣٧٦-٩٧. Oxford University Press.

(٥) see Ibid., p.٣٧٩.

(٦) see Ibid., p.٣٧٩.

(٧) see Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet ٢٠٠٩: The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.٤٤. Mouton de Gruyter. pp. ٣٢٥-٣٦١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

قبله، فيذكر المثال التّالي مستدلًا على وجه استعمال «كَمُلَ» ناقصة: كَمُلَ زيدٌ عالِمًا، أي: صار»[1].

إنَّ القضية الآن بالنّسبة إلى المعجميّ لم تعد فقط دلالات قائمة الأفعال النّاقصة المعروفة، بل كافة الأَفعال الَّتي تنسحب عليها سمات أَفعال هذه القائمة فتؤدي أَداءها ومعناها قياسًا. إنَّ ثمّة فرقًا بين فعلٍ تامّ معجميًّا له دلالة وسلوك تركيبيّ واضحان، وبين فعلٍ ناقصٍ يفقد جزءًا كبيرًا من معناه الَّذي وُضِع له؛ ليسلك سلوك الأَفعال الأُخرى وإنْ كانت دلالته تَخلُص في إطار هذا السّلوك لمعنى مختلف وثابت؛ لذا فإنَّ فقد الأَفعال النَّاقصة لجزءٍ من معناها وخلوص عناصرها لنمطٍ تركيبيّ مختلف له ما يميزه عن غيره من مناويل الأَفعال الأُخرى لهو دليلٌ على سلوك هذه العناصر لمسارٍ معين من مسارات الإنحاء.

إنَّ القضية تتعلق هنا بضرورة معرفة ما هو نحويّ وما هو معجميّ، فهذه المعرفة تعدُّ أَساسيّة في دراسة الإنحاء من ناحية، وفي صناعة المعجم أَيًّا كان نوعه من ناحية أُخرى، وأَضرب هنا مثالًا من بحث الدُّكتور «جورج متري عبد المسيح» صاحب معجم «لُغة العرب» يوضح أَهمية هذه القضية، وهو وإنْ كان مثالًا مُطَولًا لكنَّه مهم في هذا السّياق، يقول د. «جورج» تعليقًا على مادة (خَلْفَ)[2] في بعض المعاجم العربيّة، وقد اخترت هذه الكلمة لأَنَّه يُنظر إليها في إحدى دراسات الإنحاء في اللُّغة العربيّة على أَنَّها صيغة منحاة عن الاسم (الخلف)[3]، فأَردت من وراء هذا المثال أَنْ نتبيّن علاقتها بهذا الاسم داخل المعاجم العربيّة،

---

(١) ثُريَا السّكريّ عَامِر: مرجع سابق، ص٩٧، ٩٨. والقياس l'analogie بالنّسبة إِلى ماييه قادر على إِعادة التَّفاصيل المتعلقة بالصِّيغ وتجديدها مع الاحتفاظ بالصُّورة الكليّة للنظام النَّحويّ الموجود والدَّوران في فلكه. see Antoine Meillet (Ed.) ١٩٤٨: op. cit., p.١٣٣، أَمَّا إِعادة التَّحليل Reanalysis فهي بحسب رولاند لانجكير Roland W. Langaker ١٩٧٧ تغيُّر بنية تعبير معين أَو فئة كاملة لا يصحبه تعديل مباشر أَو جوهريّ في المظهر السَّطحيّ لهذا التَّعبير، ويعرّفها آلن تمبرلاك Alan Timberlake ١٩٧٧ بأَنَّها صياغة فئة جديدة عن طريق العلاقات والقوانين الكامنة.

after Mohssen Esseesy ٢٠٠٩a: Reanalysis. P.٣٧. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (٣٧-٤٣) Leiden, Boston: Brill.

وكلتا الدِّراستين تجدهما في:

James Li ١٩٧٧ (Ed.): Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

(٢) د. جورج متري عبد المسيح (٢٠١٤) ٢٠١٦: دورُ المعجم العربيّ في إِحياء التّراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، بحث أُلقي في الموسم الثّقافيّ لدار الآثار الإِسلاميّة بدولة الكويت، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ص١٩وما بعدها، أُعيد نشره ضمن كتاب «المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، الجزء الثّالث»، إِعداد د. منتصر أَمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى، انظر ص٩٣ وما بعدها.

(٣) adapted from Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وأنْ نستكشف خصائص المعالجة المعجميّة لهذه الكلمة والنّتيجة الَّتي يمكن أنْ تترتب على معرفة المعجميّ أنَّها منحاة:

(خَلْف) ظَرْف بِمَعْنى: مَوْجود في مَكان غَيْر مُواجِه وغير جانِبِيّ، وهو مَنْصوب إذا أُضيفَ: جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِه، أو إذا قُطِعَ عن الإضافة لَفْظًا ومَعْنًى: جَعَلَهُ خَلْفًا؛ ويُبنَى على الضَّمّ إذا قُطِعَ عن الإضافة لَفْظًا لا مَعْنًى: جَعَلَهُ خَلْفُ أي خَلْفَهُ، مَرَّ مِنْ خَلْفُ أي من خَلْفِهِ.

- وَرَدَت (خَلْف) في مَدخل مُستقِلّ لأنّها مادَّة لغويَّة - نحويَّة أو نحويَّة - لغويَّة، لا يَجوز حَشْرها مع المدخل - الاسم (الخَلْف)؛ فهي لا تدخلها (أل)، ولا تُجمَع مثل (الخَلْف) الاسميَّة على أَخْلاف وخُلوف. ولا تُصبح اسمًا إلّا إذا خرجت عن الظَّرفيَّة... ولذلك فإنّ حَشْرها مع مادَّة (الخَلْف) في المَعاجم الجذريَّة الترتيب تصنيف أو ترتيب في غير مَحَلّه...
- وَرَدَت في حالة النَّصْب مُراعاة لِأَحوالها الغالبة... وهي تُبنَى على الضّمّ في محلّ نصب في حالة واحدة... ولذلك فإنّ المعاجم القديمة والحديثة: أخطأت في ترتيبها وفي تَحريكها إعرابيًّا بحيث غَلَّبت الأَقلّ على الأَكْثر عندما وضعت (ضَمَّةً) على الفاء. والأَسوأ أن بعض المعاجم النُّطقيَّة الترتيب، (معجم عبد النور المُفصَّل) الثُّنائيّ اللُّغة، عربيّ فرنسيّ، وَضَعَ ضَمَّتين على الفاء (خَلْفٌ)، ومن نافل القول أنّ (خَلْفَ) لا تُترَك بدون تَحريك...
- يَتَّسم تعريف (خَلْف) في المعاجم بالقصور والدَّوْر، ففي (المُعجَم الوسيط) مثلًا، وَرَدَ في مادَّة (الخَلْف): ضدّ قُدّام (مؤنَّثة) يكون ظَرْفًا [تكون: أَوْلَى]، وقد يَخرج عن الظَّرْفيَّة فينصرف.
- إذا بحثنا في الوسيط عن (قُدّام) وَجَدْنا أَنّها: ظَرْف بمعنى أمام، فإذا فتَّشنا عن (أمام) وجدنا أنّها: ظرف بمعنى قُدّام، وهكذا تَتَّسم التعريفات بالقصور وبالدَّور... وقد اضطرّ الوسيط في آخر التَّعريف إلى أنْ يقول: يكون ظَرْفًا وقد يَخْرج عن الظَّرفيَّة فينصرف، لأنّه ذَكَرَها مع المادَّة الاسميَّة (الخلف). أمّا قوله: فينصرف ففيه تَرَخُّص في التَّعبير، لأنّ المَقصود (فيتصرَّف) أي لا يلازم النَّصب على الظَّرفيَّة...
- (مؤنَّثة) ليست دقيقة لأنّها من الكلمات التي تُؤنَّث وتذكَّر، وهنا بالذات ليس لها ضرورة لأنّها ليست موصوفًا لنَحتاج إلى تأنيث صفته أو تَذكيرها.
- وأخيرًا فإنّ كلمة (خَلْف) تنتمي إلى مَجموعة معجميَّة - نحويَّة أو نحويَّة - مُعجميَّة تُسمَّى (ظروف الغايات) ومن أفرادها: أَسْفَلَ، أَمامَ، بَدَلَ، بَعْدَ، تَحْتَ، دونَ، شَمال، فَوْقَ، مَكان، وراء، يَمينَ...

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وعلى الصِّناعة المعجميَّة العلميَّة أنْ تراعي:

- وجودها في المُعجَم الشّامل (قانون التّكامل).
- توحيد شروحها (قانون التّماثُل).
- تمييز مَوادّها بأَنْ تكون الواحدة منها مَصروفة، والأُخرى ممنوعة مثلًا (قانون المغايرة).
- ومُراعاة هذه القوانين أو المبادئ دليل على عَقْل تنظيميّ، وعلى وَعْي لغويّ وعلميّ، وعلى وجود مَنهَج، صَريح، أَو ضمنيّ ناظم للموادّ، ولو لم يُصرِّح به المعجميّ...

نرى من خلال هذا المثال أَنَّ (خلف) تنتمي كما ذكر الدُّكتور جورج إلى مجموعة (نحويّة / معجميّة) أو (معجميّة / نحويّة) وهذا معناه أَنَّ (١) على صاحب المعجم أَنْ يعي الحدود بين ما هو معجميّ وما هو نحويّ، وما هو معجميّ تحول إلى نحويّ أو العكس، أَمَّا ملاحظة أَنَّ (خَلْفَ) لابد أَنْ تشكّل مدخلًا مستقلًا بعيدًا عن الاسم (الخلف) لأَنَّها لا تقبل الأَلف واللام، ولا تُجمَع، وغير هذا من علامات الاسم الَّتي فقدتها، فكل هذا يدل على (٢) ضرورة الفصل بين الصّيغة المُنحَّاة والصّيغة الَّتي تطوّرت عنها واعتبار كل واحدة منهما مدخلًا مستقلًا، ولكنْ لا يمنعنا هذا من (٣) الإشارة إلى العلاقة الَّتي تجمع بين الصّيغتين سواءٌ أَكانت هذه العلاقة ناشئة عن الإنحاء أم عن الإعجام، مع وضع رمز معين لكل منهما.

الخروج عن المسار

ولعلّ عنصرًا معيّنًا عند نقطة ما على مسار الإنحاء لابد أَنْ يكون موسومًا بمجموعة معينة من الصّفات الصّوتيّة والفونولوجيّة والتّركيبيّة والدِّلاليّة الَّتي تميّزه عما يسبقه أو يتلوه من العناصر المتصلة به على هذا المسار، وقد يخرج هذا العنصر عن المسار عند نقطة معيّنة دون غيرها، فإذا كان مسار الإنحاء يبدأ بعنصر معجميّ فليس من الضّروريّ أَنْ ينتهي بلاحقة تصريفيّة كما في مخطط «هوبر» و«تروجت»؛ فالشّيء الأَكبر أهمية في نظر الدُّكتور «السِّيسيّ» أَنَّ اللَّواصق التّصريفيّة ليست هي النّتيجة النّهائيّة لعملية الإنحاء، وهذا معناه أَنَّ فقد المورفيم أو تقليصه إلى الصّفر ربما يكون المحطة الأَخيرة من تطوُّر بعض الصّيغ المُنحَّاة كما في دورة تاملي جيفون Tamly Givón للإنحاء[(١)]:

الخطاب > التّركيب > المورفولوجيا > المورفيميات الصّوتيّة > صفر

فالعناصر المعجميّة كما يرى الدُّكتور «السِّيسيّ» قد تترك مسار إنحائها عند نقطة تسبق مرحلة اكتماله، ولا تتقدم عليها خطوة إضافيّة، كما في حالة كثير من الأَسماء

---

(١) adapted from Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والصّفات العربيّة الَّتي تحوّلت إلى ظروف، مثل: (أَحيانٌ > أحيانًا / كثيرٌ > كثيرًا)، ويُطلَق على مثل هذا التّحوُّل «عَكس المقولة Category Conversion»[1]، ويمكن لنا قياس (قريبٌ > قريبًا) و(بعيدٌ > بعيدًا) و(قليلٌ > قليلًا) وأشباهها على هذا الصّنف من التّحوُّل. وهذا معناه بالنّسبة إلى المعجميّ المؤرِّخ أَلَّا يتمَّ الجمع والحال هذه بين الاسم والظّرف أو بين الصّفة والظّرف في مدخلٍ واحد لاختلاف صنفهما المقوليّ من ناحية، ولسبق الأُولى الثّانية من ناحية أُخرى ما لم نجد من الشّواهد ما يخالف هذا.

فرضيّة تحديد المصدر

إنَّ إحدى أهم الفرضيَّات الَّتي وضعتها بيبي وآخرون ١٩٩٤ Joan Bybee et al في سبيل بناء نظريّة عن الإنحاء هي «فرضيّة تحديد المصدر Source Determination Hypothesis»[2] ومؤدى هذه الفرضيّة أَنَّ «المعنى الحقيقيّ للبنية موضع الإنحاء يحدّد بصورة أَساسيّة مسار هذا الإنحاء، ويحدّد بالتّالي المعاني النَّحويّة النّاجمة عنه»، وهذا يستتبع النّظر في المعاني الَّتي تعمل بوصفها مصادر للإنحاء، فليست جميع المعاني قابلة للإنحاء، وإذا كان الإنحاء ينطوي على تغيُّر دلاليّ، فإنَّ «التَّغيُّرات الدِّلاليّة الَّتي تؤدي إلى الإنحاء وتستمر خلاله هي التَّغيُّرات الَّتي تضاعف عموميّة معنى الصِّيَغ المُنحّاة»[3]. فالعناصر المعجميّة موضع الإنحاء تخضع بالفعل لتغيُّرات دلاليّة تؤدي إلى تعميم يمثِّل في العادة السّمات الدِّلاليّة لمجالاتها الَّتي تنتمي إليها، أَمَّا العناصر المعجميّة الَّتي لا يمكن وسمها بعموميّة دلاليّة أو العناصر النَّحويّة الَّتي ربما تشترك في البنية المصدر، فهذه يمكن تأويلها -كما صنعت «بيبي» وآخرون[4]- كي تعادل حالات أَفعال الوجود والملكيّة والتّموضع الفيزيائيّ والحركة في فضاء مكانيّ وغيرها من الأَفعال الموسومة بالتّعميم، ولكنْ إلى جانب العموميّة الدِّلاليّة هناك المفاهيم الأَساسيّة الغير قابلة للاختزال الَّتي تشكّل أَساس المعاني النَّحويّة في اللُّغات البشريّة، هذه المفاهيم هي ما يجري عليه الإنحاء، ورأتْ «بيبي» وآخرون أَنَّ هناك دراسات أُخرى توصلت إلى مثل هذه النتيجة؛ فـ«تروجت» (١٩٨٢: ٢٤٦) Traugott أَشارت إلى أَنَّ المفاهيم المصدر هي المفاهيم الَّتي تعدُّ أَساسيّة في المواقف الكلاميّة، كذا لاحظ «هين» و«كلودي» و«هنمير» (١٩٩١: ٣٣) Heine, Claudi, and Hunnemeyer أَنَّ التّصورات/المعاني

(١) Ibid., p.١٩٢.

(٢) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca ١٩٩٤: op. cit., p.٩.

(٣) Ibid., p.٩.

(٤) see Ibid., p.٩;١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصدر موضع الإنحاء هي التّصورات الأَساسيّة في التّجربة الإنسانيّة، وأَنَّها إلى حد كبير تصورات مستقلة ثقافيًّا؛ لأَنَّه يتم فهمها وإدراكها بطريقة ثابتة رغم اختلاف اللُّغات والأَعراق[١].

وأَحسب أَنَّ تلك النّتيجة يمكن دعمها وتأكيدها من خلال نتائج أُخرى توصلت إليها بعض دراسات الإنحاء الَّتي اهتمت بما يُطلق عليه «الخفوت الدِّلاليّ» أي بالسّؤال عن طبيعة المعاني الَّتي تفقدها العناصر المعجميّة أَثناء رحلتها الإنحائيّة حيث ترى إحدى هذه الدِّراسات أَنَّ ما تفقده العناصر المعجميّة في الإنحاء هو «المعاني غير المنطقيّة non-Logical Meanings»[٢]، ومعنيّة هذا أَنَّ ما يتبقى لها هو المعاني الأَساسيّة أَو قُل الذَّرات الدِّلاليّة الأَساسيّة الأَكبر عموميّة، ولقد قرّر «هوبر» و«تروجت» أَنَّنا حين ننظر إلى «المعجم Lexicon» لا يمكن أَنْ نتصوّر أَنَّه يتضمن فقط السّمات التّركيبيّة أَو الصّوتيّة للعناصر المعجميّة، بل يجب أَنْ يحفل إلى جوار هذه بسمات تلك العلاقات الدِّلاليّة بين الكلمات داخل المجالات الدِّلاليّة الَّتي تتكون منها؛ إذ من المقترح أَنَّ المعاني المعجميّة القابلة للإنحاء هي المعاني الَّتي تتسم بقدرٍ عالٍ من العموميّة - أَو ما اصطلحا عليه بـ«الكلمات الأَساسيّة Basic Words» - في مقابل الكلمات الأَكبر خصوصيّة داخل المجال الدِّلاليّ[٣]، أَضف إلى هذا أَنَّ العناصر القابلة للإنحاء تمثِّل مظاهر أَساسيّة وثابتة في علاقة الإنسان بالبيئة لاسيما البيئة المكانيّة[٤]، ولعل أَحد الأَمثلة المهمة الَّتي ضربتها «بيبي» وزميلاها في هذا الإطار هو استعمال الكلمات الدّالة على أَعضاء جسم الإنسان في بنى نحويّة تشير إلى علاقات مكانيّة، وأَشاروا إلى عدة دراسات قامت بتوثيق ظاهرة استعمال كلمة «Face» ليس بمعنى «وجه»

---

(١) after Ibid., p.١٠.

والدِّراسات المشار إليها في الاقتباس على التّوالي للإطلاع هي:

- Elizabeth Closs Traugott ١٩٨٢: From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. ٢٤٥-٧١. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer ١٩٩١: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

(٢) after Ian Roberts ٢٠١٠: Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. p.٦٦. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

(٣) adapted from Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣: op. cit. p.١٠١f.

(٤) after Joan Bybee ٢٠٠٣: op. cit., P.١٥١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

إنَّما بمعنى «في مقابل in front of» وذلك في عدة لُغات لا تجمع بينها صلة أو قرابة، الأكيد أنَّ كلمة «Face» تعدُّ مميزة بمعناها حيث تشير إلى عضو محددٍ ومعقدٍ من أعضاء جسم الإنسان، ولكنْ لاحظ أنَّها ليست «وجه» بهذا المعنى هي ما يدخل ضمن تلك البنى النَّحويّة؛ فربما خضعت الكلمة لتعميم دلاليّ عن طريق المجاز كي تؤدي معنى «Front» كما في التّعبير الإنجليزيّ «the face of the cliff وجه الهاوية/مقدمة الهاوية»، ثُمَّ دخلت -بعد أنْ دلّت على علاقة مكانيّة عامّة- مسارًا إنحائيًّا لِتصبح من خلاله حرف جر. ومن ثَمَّ قرّر المؤلفون أنَّه في سبيل تقصي أصل المعنى النَّحويّ لابد أنْ ننظر في البعد التّركيبيّ والصّرفيّ لبنية المصدر، وليس في المعنى الإحاليّ لعناصرها المعجميّة(١).

المصدر والهدف:

إنَّ فرضية تحديد المصدر تؤكد على أنَّ سمات دلاليّة معينة لها علاقتها –أولًا- بما يجوز إنحاؤه وما لا يجوز، وبالمسار الَّذي يسلكه هذا الإنحاء –ثانيًا- وبطبيعة المعاني النّاجمة عنه –ثالثًا- وبالعلاقة بين مصدر الإنحاء (الكلمة أو الصّيغة أو البنية الَّتي يسري عليها الإنحاء) وهدفه (الصّيغة النّهائيّة النّاشئة عن الإنحاء) –رابعًا- ولها كذلك أثرها في طبيعة هذه العلاقات. فالإنحاء إذن ليس مسألة اعتباطيّة إنَّما هناك جملة من الخصائص الَّتي تميز الصّيغ القابلة للإنحاء استنبطها الباحثون من خلال جرد سمات العديد من هذه الصّيغ في لُغات مختلفة. وتؤكد «بيبي» بشأن المصادر المفاهيميّة لعمليّة الإنحاء أنَّ العلاقة المكانيّة بين شيئين دائمًا ما يتم التّعبير عنها في كثير من اللُّغات عن طريق علاقة أحد أعضاء جسم الإنسان ببقية الأعضاء الأُخرى؛ وعليه فإنَّ الاسم رأس Head يشارك في معنى حروف الجر on the top of / top / on، ويستعمل الاسم خلف Back في معنى in back of، أمَّا الاسم وجه Face فيستعمل في معنى in front of، كذا قررت أنَّه من خلال تقصي هذه الوحدات العلاقيّة في ١٢٥ لُغة إفريقيّة، توصَّلت دراسة «هين» ورفيقاه Heine et al ١٩٩١ إلى أنَّ أكثر من ثلاثة أرباع العناصر (المفردات) مشتقة من أسماء أعضاء جسم الإنسان، أمَّا سفورو ١٩٩٣ Svorou فقد توصَّل من خلال بحث أمثلة مختلفة من جميع الفصائل اللّغويّة إلى أنَّ أعضاء الجسم البشريّ هي مصدر هذه الوحدات العلاقيّة، أضف إلى هذا أنَّ العلاقة بين هذه العناصر المكانيّة والنِّظام النَّحويّ المجرد تمَّ التَّأكيد عليها منذ السَّبعينيّات حين اقترح أندرسون ١٩٧١ Anderson نظريّة لـ«الحالات النَّحويّة Grammatical Cases»

(١) after Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca ١٩٩٤: op. cit., p.١٠-١١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تقوم بالأَساس على العلاقات المكانيّة[1]. وعلى الرُّغم من أَنَّ بعض الأَمْثلة السّابقة ربما تقترح علاقة أَحاديّة (من واحد إلى واحد) بين المفهوم المصدر والهدف؛ بمعنى أَنَّ ناتج عملية الإِنحاء عنصر وحيد، يرى الدُّكتور «السِّيسيّ» العلاقة بينها على العكس من هذا علاقة (واحد لمتعدد)؛ بمعنى أَنَّ مفهوم مصدر وحيد يمكن أَنْ يكون له أَكثر من هدف؛ أَي أَنَّ إِنحاء هذا المصدر ينتج الكثير من العناصر والصّيغ المرتبطة بهذا المصدر، وشاهده على هذا من العربيّة كلمة (سواء)، فالصّيغ المُنحَّاة عن هذه الكلمة تتضمن الرَّابط (سواءٌ)، وأَداة الاستثناء (سوى)، و(لاسيما)، فهذه الأَمْثلة برأيه شاهدة على ما اصطلح عليه كولت كريج Colette Craig سنة ١٩٩١ بـ«الإِنحاء المتعدد Polygrammaticalization»[2]. ومن أَمثلة الإِنحاء المتعدد أَيضًا (حتى)، يقول «ابن منظور»: «قال «الأَزهريّ»:... وقال بعضهم (يقصد: النَّحويّين): حَتَّى فَعْلى من الحتِّ، وهو الفراغ من الشَّيء مثل شَتَّى من الشَّتِّ،... وقال «الجوهريّ»: حَتَّى فَعْلى، وهي حرف"[3]، ومن المعاني الأُخرى التي ذكرها «الجوهريّ»: تكون جارة بمنزلة (إِلى) في الانتهاء والغاية، وتكون عاطفة بمنزلة الواو، وقد تكون حرف ابتداء، يُستأنف بها الكلام بعدها"[4]، ويرى الدُّكتور «السِّيسيّ» أَنَّ مثل هذه المعاني الدِّلاليّة والوظائف النَّحويّة لكلمة (حتى) توضح لنا أَنَّ هذه الكلمة المشتقة من مصدر اسميّ جرى عليها ما يسمى «إِعادة تحليل Reanalysis»[5] فاستعملت كحرف جر وكأَداة، وأَنَّ من آثار إِعادة التَّحليل تعدد الوظائف والعلاقات التَّركيبيّة الخاصّة بهذه الكلمة[6]، ولكنَّه يرى من ناحية أُخرى أَنَّه ربما ينشأ عن الإِنحاء المتعدد غموض دلاليّ وتركيبيّ، مثال هذا استعمالنا (حتى) كحرف جر في مثل قولنا: أَكلتُ السَّمكة حتى رأسها. الَّذي يتعارض مع استعمالها كأَداة حيث يصبح المعنى: (أَكلتُ السَّمكة، وحتى الرَّأس أَكلتُها)[7].

---

(١) see Joan Bybee ٢٠٠٣: op. cit., P.١٥٢.

(٢) see Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٣.

ودراسة كولت كريج المشار إِليها عنوانها:

Colette Craig ١٩٩١: Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.٢: ٤٥٥-٩٢. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

(٣) ابن منظور: مرجع سابق، المجلد ٢: ص٢٣، ٢٤.

(٤) ابن منظور: السّابق نفسه، ص٢٤.

(٥) راجع الهامش رقم ٨٢ من هذا البحث.

(٦) see Mohssen Esseesy ٢٠٠٩a: op. cit. p.٣٩.

(٧) see Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

إنَّ وجود أَسماء أَعضاء جسم الإنسان في صدر مسار إنحائيّ تثمر نهايته عن حرف جر يتمتع بمفهوم دلاليّ تضمَّنته دلالات هذا الصَّدر أَو المصدر باصطلاح أَهل الإنحاء ووفقًا لـ«فرضيّة تحديد المصدر SDH» يذكّرنا بمقاربة «بروكلمان» لحروف الجر في اللُّغات السَّاميّة - الَّتي أَشرت إليها في بداية هذا البحث - حيث افترض أَنَّ حروف الجر في اللُّغات السَّاميّة تطوَّرت عن الأَسماء الَّتي تشير إلى أَعضاء جسم الإنسان، وأَنَّ تطوُّرها هذا مرَّ بمراحل أَربعة من خلال آليَّات ثلاثة هي: فقد المحتوى الدِّلاليّ (من المرحلة الأُولى إلى الثَّانية)، و«التَّحجر fossilization» (من المرحلة الثّانية إلى الثَّالثة)، والتّقلص إلى وظيفة نحويّة خالصة (في المرحلة من الثّالثة إلى الرَّابعة) (١). وفي اللُّغة العربيّة واتصالًا كذلك بالمصادر المفاهيميّة للإنحاء وسمات العناصر المُنحَّاة أَشار الدُّكتور «السِّيسيّ» إلى أَنَّ أَسماء أَعضاء جسم الإنسان الَّتي تشير إلى علاقات مكانيّة يتم إنحاؤها كحروف جر: (فو - فم> في)، و(وسط> وسط)، و(خلف> خلف)، و(قدم > قدام)، على عكس العناصر المحدّدة دلاليًّا مثل (كاحل– رمش–وغيرها) (٢). وجدير بالذِّكر هنا أَنَّ الدُّكتور «السِّيسيّ» قارب في رسالته للدّكتوراه الَّتي نشرتها Brill سنة ٢٠١٠ إنحاء حروف الجر في اللُّغة العربيّة، وقد قامت الدِّراسة على مدونة لا بأس بها (٣) من النُّصوص العربيّة القديمة والمعاصرة (شملت القرآن الكريم، وأَلف ليلة وليلة، وبعض الرِّوايات والأَعمال الإبداعيّة المعاصرة بالإضافة إلى عددٍ لا بأس به من الأَعمال السِّياسيّة والثّقافيّة، وبعض الصُّحف المصريّة كالأَهرام والحياة والوطن والتّجديد، والكتابات اللَّهجيّة مثل دردشة مصريّة)، وكان من الإجراءات اللَّافتة في هذه الدِّراسة توسيع فئة حروف الجر اعتمادًا على التَّشابهات الوظيفيّة المشتركة بينها وبين فئات وظيفيّة أُخرى لتشمل على سبيل المثال بعض الظُّروف كفئات فرعيّة لها (٤)؛ لذا تجده في الاقتباس السَّابق يجمع بين (في ووسط وخلف وقدام)، وتتلخص وجهة نظره في أَنَّ الوظائف المتعددة الَّتي تؤديها مثل هذه الفئات أَو مُتَّصل الوظائفيّة التَّدرُجيّ Gradational Continuum of

---

(١) see Christian Lehmaan ٢٠١١: op. cit., p.٢.

(٢) see Mohssen Esseesy ٢٠٠٧: op. cit. p.١٩٣.

(٣) يرى «ويلمسن» أَنَّ هذه المدونة تعتبر صغيرة نسبيًّا، وأَنَّها ربما كانت مناسبة وقت اعتماد دراسة الدُّكتور السّيسيّ عليها غير أَنَّها خضعت للتحديث. انظر:

Von David Wilmsen ٢٠١١: On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. p.١ In Orientalistische Literaturzeitung ١٠٦ (٦): ١-٩.

(٤) see Mohssen Esseesy ٢٠١٠: Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study. p.٣٣٩. Leiden: Brill.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

Functionality[1] الخاصّ بها يتحدى ذلك التَّصنيف التُّراثيّ الضِّيق، وأَنَّه من غير المنطقيّ أَنْ يتم حصر هذه الكلمات في مقولة تركيبيّة لا تعكس ذاك المدى الواسع من وظيفيَّتها أَو استعمالاتها داخل السِّياقات المختلفة[2]. وبغض النَّظر عن تصنيفه لهذه العناصر والعناصر المشابهة لها وظيفيًّا فإنَّ مناقشة صحة هذا التَّصنيف أَو عدم صحته (وهو ما يقع بعيدًا عن مجال هذه الدِّراسة) لن تقدح في مقاربته للإنحاء الحاصل في تلك العناصر، وهو ما يشغلنا في البحث الحاليّ، ومن أَمثلة هذه الدِّراسة إنحاء حرف الجر (في) كما يمثّله الجدول التَّالي[3]:

Stage	Period	Primary function	Form	Category
0	Pre-Classical	Concrete reference to body part	*fū/fī/fā* 'mouth'	Noun
I	Pre-Classical	Complement of *bi*-; preposition	*bi-fī/fī* 'within'/ in, at	Nominal dependent/ preposition
II	Classical/ Pre-Modern	Preposition	*fī*	Preposition
III	Modern	Preposition/particle	*bada'a fī*	Adprep
IV	Modern	Textual organizer	*fī l-wāqi'* 'indeed'	Clause linker
V	Modern	Existential pronoun	*fī* 'there is'	Pronoun
VI	Modern	clitic	*f-*	Phoneme (e.g., in *fēn* 'where')

ووفقًا لهذا الجدول يمكننا القول إنَّ إنحاء حرف الجر (في) مرَّ بست مراحل: أولها تحوُّل هذه المفردة ||من اسم معجميّ دال على عضو من أعضاء جسم الإنسان (فو – في – فا) > إلى مكمل [اسميّ] لحرف الجر الباء في مثل (بفي)|| في عربيّة ما قبل الفصحى، > ثمَّ إلى حرف جر (في)|| في العربية الفصحى وما قبل المعاصرة، > ثمَّ إلى أداة في مثل: (بدأ في)||، > ثمَّ إلى رابط نصيّ في مثل: (في الواقع)||، > ثمّ إلى ضمير في مثل: "في ناس محترمة"، > ثمَّ إلى متصل Clitic في مثل: "فين"|| في العربيّة المعاصرة.

فإذا كان المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة معنيًّا بمتابعة كل صيغة لُغويّة عربيّة منذ ولوجها متن هذه اللُّغة وحتى انقراضها، وبمتابعتها أيضًا إذا انتقلت إلى لُغة أُخرى بالإضافة إلى توثيق وتَأريخ جميع التَّغيُّرات الَّتي تلحق بها، فإنَّ نتائج بحوث الإنحاء في اللُّغة العربيّة لابد أَنْ تلقى عناية القائمين على بناء هذا المعجم.

(١) see Mohssen Esseesy ٢٠١٠: op. cit., p.٣٤٤
(٢) see Mohssen Esseesy ٢٠١٠: op. cit., p.٣٤٨
(٣) see Mohssen Esseesy ٢٠١٠: op. cit., p.١٨٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

اللغة العربيّة في معجم الإنحاء:

أُقدّم فيما يلي وصفًا موجزًا لمعجم من المعاجم الرّائدة في مجال الإنحاء مبينًا مدى الاهتمام الّذي حظيت به اللُّغة العربيّة داخل هذا المعجم، وهو في الحقيقة اهتمام ضئيل جدًّا مقارنة بلُغات أُخرى، الأمر الّذي ينبّه الباحثين العرب إلى ضرورة الاهتمام بهذه الظّاهرة وبحثها بحثًا جادًّا يستوعب أُسس مقاربتها النَّظريّة والتَّطبيقيّة بحيث نراعى من خلاله خصوصيّة تطوُّر اللُّغة العربيّة ونتيح له قدرًا كبيرًا من الانضباط العلميّ كي تنعكس تلك الخصوصيّة على مرآة المسارات الإنحائيّة (السَّليمة والصَّحيحة) للصيغ المعجميّة والنَّحويّة العربيّة، وأَزعم أنَّ إنجاز معجم للإنحاء في اللُّغة العربيّة خطوة مهمة في سبيل صناعة المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة؛ ذلك أنَّ وجود معجم الإنحاء - الَّذي سوف أَعرض له في الصَّفحات القليلة التَّالية – خير دليل على مكانة الإنحاء وأَهميته في الدَّرس اللِّسانيّ بصفة عامَّة وفي الصِّناعة المعجميّة بصورة خاصَّة.

صدر معجم الإنحاء عن جامعة كامبريدج سنة ٢٠٠٢ بتأليف كل من برند هين Bernd Heine وتانيا كوتيفا Kuteva Tania وبمساعدة فريق ضخم ضمَّ أَبرز الأَسماء الرّائدة في مجال دراسة الإنحاء، تحت رعاية جمعية البحث الأَلمانيّة Deutsche Forschungsgemeinschaft (German Research Society)، ولمَّا كان هذا المعجم يتضمن أَمثلة من لُغات ولهجات كثيرة من مختلف أَنحاء العالم (وصل عددها إلى ٥٠٠ لُغة) فقد تمت عنونته بمعجم الإنحاء الشَّامل «World Lexicon of Grammaticalization»، هذه الأَمثلة – بحسب مقدمة المعجم - نتاج عشر سنوات (١٩٩١ حتى ٢٠٠٠م) من البحث والاستقصاء في هذا المجال. ويهدف هذا المعجم إلى أَنْ يقدِّم للقارئ الوسيلة الّتي يفهم من خلالها كيف ترتبط المعاني النَّحويّة المختلفة مع بعضها البعض بطريقة صحيحة ومنظمة بعيدًا عن جفاف التّضمينات النَّظريّة للإنحاء، وبتعريف القارئ بثروة من المعلومات الّتي تمَّ نشرها خلال ثلاثين سنة قبل صدوره بشأن أُصول الصِّيَغ النَّحويّة وتطوُّراتها، وتمثَّل الجمهور المستهدف بهذه المعلومات في اللِّسانيّين الوصفيّين والتَّاريخيّين على السَّواء، فالتَّاريخيُّون منهم سيجدون فيها آليَّات جديدة بعيدًا عن منهج المقارنة وإعادة البناء الدَّاخليّة Internal Reconstruction الّتي لم تأتِ - بحسب أَصحاب هذا المعجم - بنتائج مناسبة[1]. أَمَّا الوصفيُّون فسيجدون الأَسباب الّتي تربط بين المعاني النَّحويّة المختلفة، وتلك

---

(١) see Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٤: op. cit. p.١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الَّتي تقف وراء ذلك التَّرابط بين الصِّيَغ النَّحويّة والمعاني الَّتي تعبر عنها، وهذه الثَّاوية خلف امتلاك الصِّيَغ اللُّغويّة وظائف معجميّة ونحويّة[1]، هذا بالإضافة إلى أَنَّ علماء النَّفس والأَنثروبولوجيّين وعلماء الاجتماع ربما يجدون في هذا المعجم سبيلًا جديدًا للكشف عن أَنَّ هذا النُّوع من السُّلوك الإنسانيّ المسؤول عن تطوُّر الصِّيَغ النَّحوية لا يختلف كثيرًا عن السُّلوك الَّذي يلحظونه في مجال عملهم[2]. كذلك حوت مقدمة المعجم تعريفًا موجزًا بالإنحاء وبنظريّته وبالآليَّات الَّتي ينطوي عليها[3] ومن ثمَّ بالمشكلات الَّتي قد تواجه هذه النَّظريّة وتلك الَّتي واجهتهم في اختيار طريقة مناسبة لصياغة المداخل[4]. وتلا هذا عرض لقواعد استعمال المعجم وإرشاداته ببيان أَنواع المعلومات وطريقة تعيين المداخل واللُّغات والأَمثلة والشُّروح[5].

وقد تضمَّن المعجم حوالي (٤٠٠) عملية من عمليات الإنحاء المختلفة الَّتي جاءت مرتبة حسب الأَلفبائيّة الإنجليزيّة وفق ثُنائيّة (المصدر – الهدف Source-Target Lexicon)، بمعنى أَنَّ كل مدخل يبدأ بالمفهوم أَو الوظيفة الَّتي يؤديها عنصر (معجميّ/نحويّ) ما في أَصل وضعه داخل اللُّغة وينتهي بالمفهوم أَو الوظيفة الَّتي أَصبح عليها بعد الإنحاء، ثمَّ تُرتب هذه الوظائف أَلفبائيًّا باعتبار الوظيفة الأَصليّة، بعدها يقدِّم المعجم تعريفًا لهذه الثُّنائيّة/ نوع الإنحاء، ثمَّ يسرد مجموعة اللُّغات أَو اللَّهجات الَّتي توجد بها هذه الثُّنائيّة/ نوع الإنحاء مشفوعة بالأَمثلة والشَّواهد الَّتي تمثِّل هذه العملية أَو غيرها. ويصرح أَصحاب المعجم باحتواء مداخله على نوعين من المعلومات؛ الأُولى: مجموعة معطيات وبيانات من لُغات مختلفة لا تجمع بينها - في الأَغلب الأَعم - فصيلة أَو صلة، والثَّانية: تحليل لهذه المعلومات ممثلًا في تصنيفها وتفسيرها التَّاريخيّ[6]، وقد تستلزم بعض المداخل قدرًا من التَّفصيل أَو التَّعليق حسب طبيعة عملية الإنحاء الَّتي يمثِّلها المدخل أَو أَحد طرفيه (المصدر والهدف) أَو كلاهما.

أَمَّا عن نصيب اللُّغة العربيّة من هذا المعجم -إذا تمت مقارنتها بلُغات ولهجات أُخرى-

---

(١) Ibid., p.١.

(٢) Ibid., p.١.

(٣) Ibid., p.٢-٥.

(٤) Ibid., p.٥-١٣.

(٥) Ibid., p.١٣-١٤.

(٦) Ibid., p.١٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فهو نصيب ضئيل جدًّا، ولعل السَّبب وراء هذا يكمن في قيام المعجم على الدِّراسات الَّتي تمَّ إنجازها بالفعل حول الإنحاء والاعتماد على الأَمثلة الَّتي وردت في ثنايا هذه الدِّراسات وأَغلبها لم يكن معنيًا ببحث الإنحاء في اللُّغة العربيّة، ولم يكن معنيًّا باستنتاج الأَمثلة من مظانها العربيّة وفق مدونة مناسبة، وربما يعود السَّبب أيضًا إلى أَنَّ دراسات الإنحاء في اللُّغة العربيّة المكتوبة بلُغات أجنبيّة - على أهميتها في التَّعريف بالظَّاهرة والتَّنقيب المضني من أَجل التماس أكبر عدد من أمثلتها الصِّحاح- دراسات ليس لها حظ كبير من الوفرة العدديّة ناهيك بقطاعيّة مثل هذه الدِّراسات، والجدير بالملاحظة هنا أَنَّ هناك دراسات عديدة حول الإنحاء في اللُّغة العربيّة صدرت قبل نشر هذا المعجم بكثير أَغفلها المعجم أَو تغافل عنها، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك دراسة الدُّكتورة «بلقيس النَّجار» الصَّادرة سنة١٩٩١ [(١)]. وبمراجعة مصادر ومراجع هذا المعجم - وقد جمعتْ كل العناوين الَّتي تتصل بصورة أَو بأُخرى بالبحوث الَّتي قام عليها المعجم - لم أَجد غير دراسة وحيدة أَجراها «هين» [(٢)] سنة ١٩٨٢على اللَّهجة النُّوبيّة لم يكن الإنحاء أَحد مفردات عنوانها، فذهبتُ أُراجع مصادر مداخل هذا المعجم الَّتي ذكرت اللُّغة العربيّة ضمن شواهدها فوجدتها دراسات معنية ببحث العموميَّات اللُّغويّة أَو بدراسة إحدى اللَّهجات العربيّة المعاصرة، وكان للَّهجة النُّوبيّة النَّصيب الأَكبر من البحث والدِّراسة إلى جانب لَهجات العربيّة في السُّودان وسُوريا وفلسطين، والواقع أَنَّ دراسات الإنحاء بوجه عام - وعلى اختلاف منطلقاتها النَّظريّة - تستعين بالواقع اللَّهجيّ لاستكمال الصُّورة بشأن المسار الإنحائيّ للعناصر المعجميّة موضع بحثها. وعلى أَيَّة حال، كان من بين أَوضح العمليَّات الإنحائيّة الَّتي أَشار إليها هذا المعجم ومثَّلت اللُّغة العربيّة أَحد شواهدها ما يلي:

١- (Allative > Until (Temporal))

تقوم هذه الثُنائيّة (= عملية الإنحاء) على تحوُّل الحالة المكانيّة الَّتي تدل المفردة عليها (المصدر) إلى حالة زمانيّة (الهدف)، فمصدر هذه الثُّنائيّة Allative يشير إلى الحالة الَّتي يتمُّ

---

(١) see Balkees Al-Najjar ١٩٩١: Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (٣-٤): ٦٦٥-٧٥.

(٢) عنوان هذه الدِّراسة:

Bernd Heine ١٩٨٢: The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, ٣) Berlin: Reimer.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

من خلالها تعيين منتهى حركة ما ووجهتها[١]؛ كأنْ نقول: ذهبتُ إلى البيت. بمعنى أَنَّها تدل على الغاية. أَمَّا هدف هذه الثُنائيّة أَو نهاية مسار الإنحاء فتشير إلى حالة زمنيّة، ومثَّل المعجم لهذه الثُنائيّة في اللُّغة العربيّة بحرف الجر (إلى)[٢]، واستعمل المعجم لفظ (العربيّة) دون تخصيص أَو وصف، ولكنَّه لم يقدّم شاهدًا على هذا، ويمكننا التماس شاهد هذه الثُنائيّة في مثل قولنا: انتظرتُ إلى الفجر.

٢- (Benefactive > A-Possessive)

وتقوم الثُنائيّة على تحوُّل المفردة من تعيين حالة المستفيد (شخص أَو شيء) من حدث الفعل[٣] إلى حالة الإضافة والملكيّة[٤]، ومثَّل المعجم لهذه الثُنائيّة في اللُّغة العربيّة بحرف الجر اللَّام (لـ)[٥]، وكان شاهده على هذا من (العربيّة المعاصرة) قولهم: "للبيت".

٣- (Comitative > H-Possessive)

وتقوم على التَّحوُّل من مفهوم المشاركة والمعيّة[٦] إلى مفهوم الامتلاك[٧]، ومثَّل المعجم لها في العربيّة بالحرف (مع)[٨]، ولم يرد شاهد على هذا، ولم يحدد المعجم وصفًا للعربيّة كما فعل في العمليات الإنحائيّة الأُخرى، ويمكن أَنْ نمثّل لهذه العملية بقولنا: سافرتُ مع محمد ومعي دينار.

٤- (Same > Intensive Reflexive)

وتقوم على التَّحوُّل من المطابقة إلى الذَّاتويّة (نفس > ذات)، ومثَّل لها المعجم بالعربيّة السُّوريّة[٩] رغم وجودها في لَهجات عربيّة مختلفة.

---

(١) R. L. Trask ١٩٩٣: A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. p.١٣. London and New York: Routledge.

(٢) see Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٤: op. cit., p.٤١.

ومرجعه في هذا الشَّأن دراسة:

Martin Haspelmath ١٩٩٧: From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. p.٦٧. Munich and Newcastle: Lincom Europa.

(٣) Ibid., p.١٧.

(٤) Ibid., p.٢٤.

(٥) Ibid., p.٥٤.

(٦) Ibid., p.١٨.

(٧) Ibid., p.٢٤.

(٨) Ibid., p.٨٨.

(٩) Ibid., p.٢٦١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٥- (Sit (to sit, to stay) > Habitual)

وتقوم على التَّحوُّل من البقاء والاستقرار إلى الاستمرار، ومثَّل لها بتحوُّل (قاعد) العربيّة السُّودانيّة إلى (قي) في اللَّهجة النُّوبيّة، وعلَّق على هذا المسار بأنَّه جزء من عملية عموميّة يتمّ خلالها إنحاء أفعال الأوضاع Postural Verbs إلى علامات تدل على استمرار الأحداث[١].

واللَّافت هنا أنَّ هذه أمثلة قليلة جدًّا لعمليّات الإنحاء في اللُّغة العربيّة بوجه عام، كما أنَّها تضمَّنت فقط بعض التَّنوعات اللُّغويّة ولم تتناول كامل التَّنوعات الَّتي تنتمي إلى العربيّة، ناهيك باحتياج هذه العمليّات إلى إعادة فحص وفق مدونة مناسبة، فالحروف الَّتي تمَّ التَّمثيل بها ضمن العمليّات السَّابقة لها - إنْ أردنا أنْ يكون مثل هذا المعجم جامعًا شاملًا - أنْ تكون جزءًا أساسيًّا في عمليّات إنحائيّة أُخرى لم يأت المعجم على ذكرها، أو أنْ تشاركها مساراتها بعض العناصر النَّحويّة والمعجميّة الأُخرى، أضف إلى هذا ضرورة التَّنبيه إلى أنَّ هناك دراسات تلت تاريخ صدور هذا المعجم تناولت الإنحاء في العربيّة وأسفرت نتائجها عن بعض العمليّات الَّتي يمكن أنْ تُضاف إلى رصيد العربيّة من المسارات الإنحائيّة، فدراسة الدُّكتور «السِّيسيّ» ٢٠١٠م – على سبيل المثال - جعلت الثُّنائيّة التَّالية:

Allative > Purpose

ومفادها التَّحوُّل من حالة مكانيّة إلى غاية أو غرض ممثَّلة بالحرفين: (اللَّام – لـ) و(حتى)[٢] في قولنا: (١) غادر لبيروت بالقطار، و(٢) تسلَّق الجبل حتى القمة. ومعنى هذا أنَّ مسار إنحاء (اللَّام) هو نفسه المسار الخاصّ بـ(حتى) لانتمائهما - رغم اختلاف بعض التَّفاصيل الدِّلاليّة - إلى مجال دلاليّ مشترك هو القصد إلى تحقيق غرض ما، أضف إلى هذا أنَّ (اللَّام) الَّتي كانت منذ قليل مثالًا للثُّنائيّة (Benefactive > A-Possessive) (رقم٢ فيما سبق) هي الآن طرف في عمليات إنحاء أُخرى مختلفة عمَّا تم إثباته في المعجم الشَّامل.

وما ينبغي أنْ نقوله في هذا المقام إنَّنا بحاجة إلى معجم للإنحاء في اللُّغة العربيّة يستتبع كامل صيغها المُنحَّاة ومساراتها التَّطوُّرية المختلفة متخذًا من ثنائيّة (المصدر والهدف) أساسًا في توزيع هذه الصِّيغ على المفاهيم والدِّلالات المختلفة الَّتي مثلتها طوال رحلتها التَّطوُّرية تمامًا كما هو الحال في معجم الإنحاء هذا. إنَّ أهمية وجود معجم كهذا في العربيّة تكمن في رسم صورة كاملة لتطوُّر الصِّيغ وتحوُّلاتها على المستوى المقوليّ والوظيفيّ

(١) Ibid., p.٢٧٨-٩.

(٢) see Mohssen Esseesy ٢٠١٠: op. cit., p.٢٩١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مع التَّأريخ لهذا التَّحوُّل أو ذاك، وهذا الأَمر يمثل أَحد أَهداف المعجم التَّاريخيّ، بمعنى أَنَّ وجود هذا المعجم بصيغة محكمة قائمة على بحث دقيق لظاهرة الإنحاء قوامه مدونة واسعة ممتدة سيدعو القيمين على المعجم التَّاريخيّ إِلى إِعادة النَّظر في كثير من المسائل المعجميّة المتعلقة بهذه الصِّيَغ.

وجملة القول: إِنَّ لـ«الإنحاء» علاقة قوية بالمعجم التَّاريخيّ للُّغة بصفة خاصّة، وهي علاقة تفاعليّة؛ بمعنى أَنَّ الدِّراسات الَّتي تتبع التَّغيُّرات الَّتي تصيب أَلفاظ اللُّغة وتراكيبها وفق قواعد الإنحاء فترصد تحوُّلها من أَلفاظ معجميّة إِلى أَلفاظ نحويّة أَو من أَلفاظ أَقل نحويّة إِلى أَلفاظ أَكثر نحويّة أَو تقف بها هذه الأَلفاظ عند مرحلة معينة من مراحل دورتها الإنحائيّة خلال فترة زمنيّة معينة من حياة أَي لُغة، فإِنَّ مثل هذه الدّراسة يمكنها أَنْ تزود صانعي المعجم بقائمة مهمة من الكلمات - حتى وإِنْ لم تكن قائمة كبيرة العدد - لابد من أَنْ يقفوا أَمامها ويتأملوها ويتتبعوا مراحل ظهورها وتطوُّرها آخذين بعين الاعتبار التّفسيرات الَّتي تقدمها دراسات الإنحاء بصفته فرضيّة قابلة للتّفسير والتّبرير، وعلى الجانب الآخر فإِنَّ وضع معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة سيسهم بدوره في تقدّم مثل هذه الدِّراسات الَّتي لا تزال في بداية طريقها إِلى اللِّسانيّات العربيّة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

قائمة المصادر والمراجع

(أ) مصادر ومراجع عربيّة:

- د. أحمد العلويّ:

المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة وشروط قيامه، ضمن الإصدار الحالي.

- د. أحمد مُختار عمر ٢٠٠٢:

المعجم الموسوعيّ لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرّياض: مؤسسة سطور المعرفة، الطّبعة الأولى.

- د. أحمد مُختار عمر ٢٠٠٨:

معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطّبعة الأولى.

- ثُريا السُّكريّ عَامِر ٢٠٠٩:

ظاهرة الإنحاء في اللُّغة العربيّة: الفعل النّاقص نموذجًا، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيّات.

- ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: ٣٩٢هـ) :

الخصائص، تحقيق: عبد الكريم بن محمد، القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة، د.ت.

- د. جورج متري عبد المسيح ٢٠١٦:

دورُ المعجم العربيّ في إحياء التّراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، ضمن كتاب «المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، الجزء الثّالث»، إعداد د. منتصر أمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى.

- أبو حيّان الأندلسيّ٧١٢ هـ :

الإدراك للّسان الأتراك، مطبعة عامره، ١٣٠٩.

- الزّجاجيّ (أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق ت ٣٣٧هـ):

الإيضاح في عِلل النّحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النّفائس، الطّبعة الثّالثة.

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: ١٨٠هـ):

الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، ١٩٨٨.

- د. عبد الرّزاق بنور ٢٠١٤:

التّلازم الدّلاليّ والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخيّ للّغة العربيّة»، الدّوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، الطّبعة الأولى.

- د. عبد العلي الودغيري:

التّأريخ المعجميّ والتّطوّر اللّغويّ، ضمن الإصدار الحالي.

- د. عبد المنعم السّيد جُدامي ٢٠١٦:

المشكلات الثّقافيّة في معجم إلياس بُقطُر، ضمن كتاب (المعجميّة العربيّة: قضايا وآفاق –

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الجزء الثّالث) إعداد د. منتصر أمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى.

- د. علي القاسميّ ٢٠١٤:
  صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، بيروت: مكتبة لُبنان ناشرون، الطّبعة الأَولى.
- د. علي القاسميّ:
  معالجة قوانين التّغير اللُّغويّ في المعجم التّاريخيّ، ضمن الإصدار الحالي.
- مكتب تنسيق التَّعريب ٢٠٠٢:
  المعجم الموحَّد لمصطلحات اللِّسانيّات – سلسلة المعاجم الموحَّدة رقم (١).
- ابن منظور (أَبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت: ٧١١هـ):
  لِسان العرب، بيروت: دار صادر.

(ب) مراجع أَجنبيّة:

- Aaron David Rubin ٢٠٠٤:
  Studies in Semitic Grammaticalization. PhD Thesis. Harvard University.
- Antoine Meillet (Ed.) ١٩٤٨:
  Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (١٩١٢: L'évolution des formes grammaticales) Paris: Champion.
- Balkees Al-Najjar ١٩٩١:
  Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (٣-٤): ٦٦٥-٧٥.
- Bernd Heine & Mechthild Reh ١٩٨٤:
  Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. Hamburg : Helmut Buske.
- Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٢:
  On the Evolution of Grammatical Forms. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. Oxford University Press.
- Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٤:
  World Lexicon of Grammaticalization. Cambridge University Press.
- Bernd Heine & Tania Kuteva ٢٠٠٥:
  Language Contact and Grammatical Change. Cambridge University Press.
- C. H. M. Versteegh ٢٠٠٦:
  Arabic Linguistics Tradition. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.١: ٤٣٤-٤٠. Amsterdam: Elsevier.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- Christian Lehmaan ٢٠١١:
  Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (٢٩): ٩-٢٦. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf.
- Christian Lehmaan ٢٠١٥:
  Thoughts on Grammaticalization. ٣rd Ed. Berlin: Language Science Press.
- Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٢:
  From Etymology to Historical Pragmatics. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Frederick J. Newmeyer ١٩٩٨:
  Language Form and Language Function. MIT Press.
- Hana Zabarah ٢٠١٢:
  The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.
- Ian Roberts ٢٠١٠:
  Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.
- Ilse Wischer ٢٠٠٠:
  Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company
- Jerzy Kurylowicz ١٩٧٥:
  Esquisses Linguistiques. II. (١٩٦٥: The Evolution of Grammatical Categories) Munich: Wilhelm Fink.
- Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca ١٩٩٤:
  The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Language of the World. Chicago and London: University of Chicago Press.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- Joan Bybee ٢٠٠٣:
  Cognitive Processes in Grammaticalization. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.٢. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc.
- Joan Bybee & Joanne Scheibman ٢٠٠٧:
  The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press.
- Joan Bybee ٢٠٠٩:
  Grammaticization: Implications for a Theory of Language. In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. ٣٤٥-٣٥٥.
- John van der Auwera ٢٠٠٢:
  More Thoughts on Degrammaticalization. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.
- Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco ٢٠٠٧:
  A Glossary of Historical Linguistics. Edinburgh University Press.
- Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet ٢٠٠٩:
  The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.٤٤. Mouton de Gruyter.
- Mohssen Esseesy ٢٠٠٧:
  Grammaticalization. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (١٩١-٨) Leiden, Boston: Brill.
- Mohssen Esseesy ٢٠٠٩a:
  Reanalysis. In Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (٣٧-٤٣) Leiden, Boston: Brill.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- Mohssen Esseesy ٢٠٠٩b:
  Semantic Bleaching. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (١٦٠-٤) Leiden, Boston: Brill.
- Mohssen Esseesy ٢٠١٠:
  Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study.. Leiden: Brill.
- Muriel Norde ٢٠١٢:
  Lehmann's Parameters Revisited. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.
- Nikolaus P. Himmelmann ٢٠٠٤:
  Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.٢١. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.
- Pull J. Hopper ١٩٩٦:
  Some Recent Trends in Grammaticalisation. Annual Review of Anthropology, vol.٢٥:٢١٧-٣٦.
- Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott ٢٠٠٣:
  Grammaticalization. ٢nd ed. p.١-٢. Cambridge: Cambridge University Press.
- R. L. Trask ١٩٩٣:
  A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. London and New York: Routledge.
- Roger Lass ٢٠٠٠:
  Remarks on (Uni)dierctionality. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.
- Von David Wilmsen ٢٠١١:
  On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. Orientalistische Literaturzeitung ١٠٦ (٦): ١-٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(ج) مراجع وردت ضمن مراجع البحث الأَساسيّة:

- Bernd Heine ١٩٨٢:
  The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, ٣) Berlin: Reimer.
- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer ١٩٩١:
  Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.
- Colette Craig ١٩٩١:
  Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.٢: ٤٥٥-٩٢. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- Elizabeth Closs Traugott ١٩٨٢:
  From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. ٢٤٥-٧١. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- J. M. Anderson ١٩٧١:
  The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press.
- James Li ١٩٧٧ (Ed.):
  Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.
- Martin Haspelmath ١٩٩٧:
  From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. Munich and Newcastle: Lincom Europa.
- S. Svorou ١٩٩٣:
  The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مكانة المصطلح بالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة
ودور المدوّنة في انتقاء المصطلحات وتعريفها

د. خالد اليعبوديّ
أستاذ اللسانيات والمصطلحيات
جامعة محمد الخامس، الرباط

ملخص:

كشفت الدراسات المصطلحية الحديثة عن توطّد الصلات بين الكلمة والمصطلح، وهي صلات تتبدّى بنصوص اللغة العامة واللغات الخاصة، وغالبا ما تحدد اختيارات المتلفظ ونوع المخاطب طبيعة الوحدة المعجمية ومدى انتمائها إلى الشق الاصطلاحي الخاص أو الشق اللغوي العام.

ويلاحظ أن تطور المعارف وتزايد انتشارها بفضل وسائل الاتصال الحديثة أسهم بشكل واضح في اقتحام نسب لا يُستهان بها من المصطلحات بمتن اللغة العامة.

غير أن المتلقي العام يصعب عليه أحيانا إدراك دلالات المصطلح العلمي، لتولّده عن الاختصاصيين، لذلك يستهدف الخطاب العلمي الميسّر نشر المعارف بين أوساط الجمهور لتمكين المتلقي العادي من استيعاب مضامين المصطلحات العلمية، على هذا الأساس يصحّ اعتبار الخطاب العلمي الميسّر فضاء تلتقي فيه المعارف العلمية ومدركات العوامّ عن العالم، كما يُشكّل مجالا تنصهر فيه المصطلحات المنتمية إلى منظومة مُبنينة بألفاظ اللغة العامة، ويتحقق هذا الانصهار من خلال إجراءين أساسيين: "الصوغ الجديد"(La reformulation)، و"التفسير" (L'explication).

سننظر بهذا البحث في موضوع طبيعة المصطلحات الواجب إدراجها بمتن المعجم التاريخي للغة العربية، من حيث درجات اصطلاحيتها، وأنماط تعريفها، وطبيعة المدوّنة التي تُستخلص منها.

وسندرس واقع المصطلح بالمعجم الوسيط (الصادر عن المجمع القاهري) ومعجم اللغة العربية المعاصرة (للمرحوم أحمد مختار عمر ورفقائه)، مستعينين في مقاربة هذا الموضوع بأمثلة عن تعريف بعض المصطلحات اللغوية بالمعاجم العامة والاصطلاحية والموسوعية في أفق تحديد نموذج لتعريف المدخل المصطلحي بمتن المعجم التاريخي المنشود تعريفا يتوفر على الكفاية الوصفية والتمثيلية.

الكلمات المفاتيح: معجم تاريخي، قاموس، كلمة، مصطلح، تعريف.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تقديم:

يُخيّل لأول وهلة أنّ المعجم التاريخي للغة العربية لن يضمّ بمتنه أيّ مصطلح علمي أو فني أو تقني بحجة الحواجز القائمة بين اللغة العامة واللغات الخاصة، وبحجّة أنّ أولي العزم عازمون في محطات مقبلة على بناء المعجم التاريخي لألفاظ الحضارة، والمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية والفنية والتقنية اللذان يشكلان جزءا لا يتجزأ من المعجم التاريخي للغة العربية، غير أنّ هذا التصوّر يحتاج إلى مراجعة لسبب وحيد هو: التداخل والتمازج الحاصل بين كثير من الألفاظ العامة والمصطلحات، أي أن رحلة الذهاب والإياب - من اللفظية إلى الاصطلاحية وبالعكس من الاصطلاحية إلى اللفظية- مستمرة بشكل متواتر ودون توقّف في حياة اللغة العربية وسائر اللغات الإنسانية الحية على السواء، ذلك أنّ اللفظ المستعمل بمتن العربية المتداولة بإمكانه أن يتحوّل إلى مصطلح بما يطرأ عليه من طوارئ في بنيته الدلالية عبر مختلف الحقب، ولا شكّ أنّ الألفاظ التي رصدها أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ) في كتابه النفيس: "الزينة في الكلمات الإسلامية" خير دليل على هذه الحركيّة.

درجات اصطلاحية المصطلح:

إن للاصطلاحية درجات متعدّدة بحسب المجال العلمي الذي يُتداول به المصطلح وبحسب نوع المستعملين الذين يوظفونه، بدهي إذن أن نجد ثلاثة مستويات متباينة من نسب اصطلاحية المصطلح:

- مصطلح شديد الدقة، ينحصر استعماله بين طائفة محددة من العلماء أو التقنيين، مثال ذلك مصطلح: "السنة الضوئية" لدى علماء الفلك والفضاء، ومصطلح "الصرفة المقيّدة" في اللسانيات التوزيعية.
- مصطلح شديد العمومية، يُتداول من لدن العامة وأهل الاختصاص على السواء، مثال ذلك مصطلح: "ماء"، "نار"، "حديد"، "طيران"، أي كلّ مصطلح ثبُت شيوعه من خلال المدوّنة ضمن اصطلاحات العلوم والفنون والصنائع الأكثر انتشارا بالحياة اليومية.
- مصطلح يقع بمنزلة بين المنزلتين، تولّد بداية ليتداوله أهل الاختصاص في تخصّص علمي واحد، أو تخصصات علمية متعدّدة (إذا كان من المشترك المصطلحي) ثم عمَّ استعماله بكثرة التداول، وولج بنية المعجم العام، كما هو الحال في المصطلحات التالية: "الجينات الوراثية"، "الصاروخ"، "المصوّت"، "الذرّة".

بخصوص درجات اختصاص الأفكار التي تنتجها الأذهان، فنحن بحاجة إلى الكلمات في

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وصف التمثيلات المبهمة بلغة واضحة في متناول الجميع، ونحن بحاجة إلى الكلمات والمصطلحات بهدف تنظيم المعارف المرتبطة بالعلوم والتقنيات وتصنيفها، ونحن بحاجة إلى المصطلحات التقنية لوضع لغة دقيقة ومختزلة تمثل أداة تواصل بين أهل الاختصاص، غير أن ثلاثية هذه التراتبية لا تنفي بأي حال من الأحوال الصلات الوثقى بين الكلمات والمصطلحات التي تتمازج إلى درجة تبادل الأدوار بترقي الكلمات إلى مرتبة أعلى في تحولها إلى مصطلحات مثال ذلك كلمة "فأرة" التي انتقلت من وظيفة نعت أنثى الفأر إلى تسمية "الواصلة" التي توصل أوامر الإنسان إلى الحاسوب [(١)] [وهي العملية التي اصطلح عليها المصطلحيون بـ"اصطلاحية الكلمة" (Terminologisation du mot)] وتراجع المصطلحات بانحدارها عن برجها العاجي المخصص للمختصين في المعارف والتقنيات لتتزيّى بزي البساطة في تحولها إلى كلمات، كما هو حال مصطلح "نجم" الذي انتقل بالوسيلة المجازية من عالم الفلك إلى عوالم الأدب والفنّ واللغة العامة، فصار كل شهير في مجال الإبداع الفني أدبا أو غناء أو رياضة نجما متألقا يحكي تألق النجوم في السماء، [وهي العملية التي سماها المصطلحيون "معجمة الاصطلاح" (Lexicalisation du terme) أو "نزع الاصطلاحية" (Déterminologisation)].

جليّ إذن أن بُناة المعاجم اللغوية العامة والمعجم التاريخي للغة العربية بإمكانهم ضمّ المستويين الثاني والثالث من الاصطلاحية، بينما تخصَّص المعاجم العلمية أو التقنية أو المهنية للمصطلحات الدقيقة (التي تتوفر على نسب عالية من الاصطلاحية)، كما أنه بالإمكان تصنيف معاجم خاصة تاريخية للمنظومات المصطلحية في تخصصات معرفية متعدّدة أو الاقتصار على تتبّع استعمالات رصيد مصطلحي لمجال محدّد (كاللسانيات) بمختلف العصور.

في الروابط بين الكلمة والمصطلح:

إنّ كل من يقصي المصطلح من مَتن المعجم العام والمعجم التاريخي يَحسب أنّ ثمة استقلالية بين الكلمة والمصطلح أو بين اللغة العامة واللغة الخاصة، بينما يؤكد

---

(١) نأسف غاية الأسف للجوء المترجمين العرب إلى نقل الاصطلاحات الغربية إلى اللغة العربية محمّلة بطرق تفكير وضّاع هذه التسميات في أصلها، ونحن لا نرى - بغرض التخلص من هذه التبعية في التفكير التي تترجم تقليدا أعمى- داعيا يقتضي النقل المصطلحي من لغة إلى أخرى بالحفاظ على أساليب الوضع المصطلحي، كوسيلة المجاز التي دفعت الغربيين – بحكم الشبه بين شكل الفأرة أنثى الفأر من فصيلة القوارض والواصلة الحاسوبية- إلى اقتباس التسمية من عالم الحيوان لتوظيفها في تسمية العتاد الحاسوبي، ونتساءل ما المانع من تسمية هذا المستحدث بمصطلح "واصلة"؟

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصطلحيون واللسانيون أن المصطلح جزء من الكلمة يخضع لقوانين التأليف وقيود سلامة التكوين على غرار خضوع الكلمة لها، كما يجزم هؤلاء بالصلة الوثقى القائمة بين اللغة العامة ولغات الاختصاص.

على الرغم من أنّ كل مصطلح يعدّ كلمة في الأساس، فمن شأن التفريق بينهما أن يوضّح أمورا كثيرة تتعلق بهاتين الوحدتين.

فالمصطلح -في مقابل الكلمة- في آن واحد وحدة لسانية مندرجة في بنية جُملية تقوم بوظائف تركيبية، كما أنه أيضا وحدة معرفية ذات محتوى ثابت(١) .

والواقع أنّ المصطلحات "تسميات" (Dénominations) تعيّن مفاهيم خاصة، وهو ما يُستخلص من المعيار "١٢٦٢٠" الذي صاغته المنظمة الدولية للتقييس (ISO) على النحو الآتي: "المصطلح: تعيين مفهوم محدّد في لغة خاصة عبر تعبير لساني"(٢) .

نستخلص من هذا التعريف أنه يركز أساسا:

على "المفهومية": بالإشارة إلى تعيين المصطلح لمفهوم معين من جملة مفاهيم العلوم والفنون، و"الاختصاص": بارتباط المصطلح بمجال معرفي محدد، و"التراوح بين الإفراد والتركيب": فمن المحتمل أن يرد "التعبير اللساني" بسيطا، أو مركبا.

تقابل المصطلحات - إذن - مفاهيم تخصص معرفي ما، كما أنّ الإلمام بها جزء من الإلمام بمعارف أهل الاختصاص.

ويعدّ المفهوم وحدة معرفية تتشكّل من خلال تآلف سمات دلالية محددة(٣) ، فالمفهوم إذن: "تمثيل من التمثيلات المبنينة"(٤) .

---

(١) Lerat Pierre, les langues spécialisés, PUF ; ١٩٩٥ ; p : ٤٥.

(٢) ISO, ١٢٦٢٠ , ١٩٩٦, Aides informatiques en terminologie – catégories de données, organisation Internationale de Normalisation, Genève, p :١٠.

انظر للاستزادة:

Kaufman, S « Le terme, Unité de discours spécialisé, du lexique spécialisé et de la description terminographique », in : Romanica wratislaviensia, LII, wroclaw, ٢٠٠٥.

(٣) ISO ١٠٨٧-١ Février ٢٠٠١
Travaux terminologiques - Vocabulaire - Partie ١ : théorie et application.

انظر أيضا:

Depecker & Roche (٢٠٠٧), « Entre idée et Concept, Vers l'ontologie », Langages, n° ١٦٨, p :١١٠.

(٤) Depecker & Roche, op cit, p : ١١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لقد نُظر إلى التمايز بين الكلمات والمصطلحات في المصطلحية - التي نُعتت تجوّزا بالمصطلحية الكلاسيكية- أنه قائم أساسا على نوع المخاطبين وطبيعة الخطاب ومقامات الاستعمال، وترى الباحثة الإسبانية "ماريا تيريزا كابري" (Maria Térésa Cabré) أنه إن كان لا مناصّ من رصد أوجه التمايز بين الوحدة المعجمية والوحدة المصطلحية –اللتان لا تتقابلان بالضرورة- أو بالأحرى بين استعمالي نفس الوحدة، فيجب النظر إلى هذا الموضوع من ناحية:

- طبيعة مُرسل الخطاب، أهو متخصص في الخطاب العلمي، أم يحاكي المتخصص في الخطابات الصحفية والإذاعية.
- طبيعة المرسل إليه من ناحية إدراكه لنمطي الخطاب: خطاب علمي دقيق وخطاب علمي آخر ميسّر، ومن ناحية استيعابه لدرجات تخصصية الخطاب بين خطاب بالغ الاختصاص وآخر متوسط الاختصاص وثالث ضعيف الاختصاص.
- أشكال ورود الوحدة بين شكل مُبنين ومنتظم ومزود برسوم أو أشكال بيانية أو ورودها في خطاب عام مجرد من هاته الخاصيات والمواصفات.
- ارتباط الوحدة بالمرجع ارتباطا قسريا أو عدم تقيدها بهذا الشرط (مثال ذلك ارتباط لفظ "العنقاء" في الجاهلية بمرجع خيالي لا وجود له بأرض الواقع إنما هو راسخ بمخيال الجاهليّ).

وقد دافعت الباحثة الإسبانية "تيريزا كابري" عن معطى اعتبار كل من الكلمات والمصطلحات وحدات معجمية لا يتحدد وضعها كوحدات من اللغة العامة أو من اللغات الخاصة إلا بناء على المميزات التواصلية للمقام الذي توظف فيه، نتج عن هذا التصوّر التسليم بإمكانية وقوع الاشتراك (polysémie) في عالم المصطلحات عند تداولها بمجالات معرفية مختلفة، سواء بالحفاظ على نفس السمات الدلالية أو باكتساب سمات دلالية متباينة بتباين الحقول التي تستعمل بها، وهو التباين الذي يجعلها تندرج في خانة التجانس اللفظي (Homonymie).

يتبين إذن أن النموذج المعجمي المعتمد من لدن هذه الباحثة يتلاءم بشكل كبير مع تصورنا الذي يعتبر المصطلحات جزءا لا يتجزأ من بنيات المعجم سواء أكان المعجم لغويا عاما أو معجما تاريخيا [ناهيكم عن المعجم الخاص]، فعلى مصنف المعجم أن يتناول الوحدات المعجمية قاطبة وأن لا يفصل بين أبعادها اللغوية العامة وأبعادها الاصطلاحية

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

الخاصة إلا بالاستناد إلى وضعها التواصلي في سياق الخطاب[١].

رحلة الذهاب والإياب بين الكلمة والمصطلح ثابتة للعيان لا تحتاج لإقامة دليل بحكم اضطرار مصنفي المعاجم والقواميس العامة إلى تدوين الكثير من المصطلحات كمداخل عامة في متونهم، وبحكم اضطراد انتشار مصطلحات التخصصات المعرفية الدقيقة في لغات الصحافة والإذاعة وبالمقررات الدراسية للناشئين، تعدُّ هذه الرحلة الدليل الأبرز على قيام المصطلح بوظيفته تارة كمصطلح وتارة ككلمة، مع أننا لا نستطيع التحكّم في تحديد نوع السمات الدلالية أو المفهومية وعددها التي تكتسبها الكلمة لتتحول إلى مصطلح، أو التي يفقدها المصطلح في تحوّله إلى كلمة.

وقد سبق لشيخ المعجميين ومصنفي المتون المعجمية الغربيين أن ضاق ذرعا من تجاهل الدارسين لموضوع التناسب القائم بين الكلمات والمصطلحات، يقول في هذا الصدد:

"يعتقد مستعملو المصطلحات أنها جلية شفّافة ويتجاهلون أنها بنى لغوية، أي: علامات ذات طابع مادي ملموس"[٢].

أسس الاختلاف بين وجهي الوحدة المعجمية:

ما نودّ الإشارة إليه أن الاتجاهات الحديثة في المصطلحية لم تقص نهائيا إشكالية الاختلاف القائم بين الكلمة (الوحدة الأساسية في المعجمية) والمصطلح (الوحدة الأساسية في المصطلحية)، إنما اقتصرت على التركيز على مكمن الاختلاف بين الوحدتين دون أن تجعل هذا الاختلاف صلب موضوع المصطلحية، التي يجب أن تركز على ما هو معرفي بالدرجة الأولى، أي دور المصطلح في نسقية العلوم الإنسانية والتطبيقية، وعمليات تمدّد المعنى، ومسارات الرحلة بين الكلمة والمصطلح ثم بين المصطلح والكلمة بما أن الكثير من المصطلحات تتجرد من اصطلاحيتها لتقتحم عالم اللغة العامة..

---

(١) انظر أعمال الباحثة "تيريزا كابري" بالخصوص:

Cabré Maria Teresa, Hacia una teoria communicativa de la terminologia, aspectos metodologicos, Revista Argentina de Linguistica.

Cabré M , T, Una nueva teoria de la terminologia : de la denomination a la communication, VI simposio de RITERM, Cuba.

Cabré, M ,T ; Sur la représentation mentale des concepts : Bases pour une tentative de modélisation, Le sens en terminologie, Travaux du CRTT, presse universitaire de Lyon, ٢٠٠٠. PP : ٢٠-٣٩.

(٢) Rey ; Alain ; (١٩٨٧) ; Etudes de lexicologie, lexicographie et stylistique offertes en hommage à Georges Matoré, Paris, Société pour l'information grammaticale, p :٢٣١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وقد ارتأى الباحثان الفرنسيان "هنري بيجوان" (Henri Béjoint) و"فيليب تواورن" (Philippe Thoiron) (٢٠٠٠) أنّ ما برّر انشغال الدارسين لمدّة طويلة بموضوع التقابل بين الكلمة والمصطلح هو ارتباط الكلمة بالمحيط اللغوي وتعلق المصطلح بالمحيطين التداولي والتواصلي [(١)]، واستبدال "السمة الدلالية" للكلمة بـ"الخاصية التصورية" للمفهوم، مع أنّ كليهما محوريٌّ في التعريف، وفي عملية إيجاد المقابلات بين وحدات لغتين أو لغات مختلفة، علاوة على أنّ الكلمة ذاتها لا تخلو من عناصر تصورية، دفعت بعض الدارسين إلى اعتبارها تشتمل على معنى يتألف من مفهوم متضمّن في مدلول، بينما معنى المصطلح متضمّن في المفهوم دون حاجة إلى استحضار المدلول [(٢)]، إنه تقابل جنيس لما هو قائم بين "اللسانيات المعاصرة". التي يقع على عاتقها وصف الوقائع اللغوية (أي ما هو كائن). و"المصطلحية". التي تقوم بمهمة التوجيه من خلال المعيرة [(٣)] (Normalisation) وإن في مقاربتها النمساوية (لما سيكون)، كما لا ينشز كثيرا عن وضع الدال (Signe) مقابلا لـ"التسمية"(Dénomination)، ووضع "المدلول" (Signifié) في مقابلة "المفهوم" (Concept).

من أوجه التباين أيضا بين الكلمات والمصطلحات أن هذه الأخيرة قد تتحدى سياج اللغة الذي تحكمه الصوامت والمصوتات المتآلفة، لتأخذ شكل رموز أخرى عبارة عن أرقام أو أشكال خطية لا تمت بصلة لعالم الأبجدية.

هل يصحّ التفرقة بين وجهي الوحدة المعجمية الخاصة بناء على نسب أعمارها وفترات تداولها؟ يجيب المصطلحي "خوان ساجر" عن هذا التساؤل بالإشارة إلى أن المصطلحات الشائعة الموظفة في ما أسميناه بـ"الخطابات العلمية الميسّرة" أطول عمرا من بقية المصطلحات الدقيقة المتداولة بين أهل الاختصاص [(٤)].

رحلة الذهاب والإياب بين الكلمة والمصطلح:

مسكوكية المصطلح -كما ينعت "خوان ساجر" (Juan Sager) (٢٠٠٠) تصوُّرَ المقاربة النمساوية- حالة غير ممكنة في الواقع اللغوي بعيدا عن مثالية التنظير الصادرة عن أب

---

(١) Henri Béjoint & Philippe Thoiron (٢٠٠٠) , Le sens des termes, in : le sens en terminologie ; sous la direction de Henri Béjoint & Philippe Thoiron ; Presses Universitaires de Lyon p :٥- ١٢.

(٢) يشكك "بيجوان" و"تواورن" في مصداقية هذه المقابلة وجدواها، انظر: نفس المرجع السابق، ص:١٤.

(٣) وهي "معيرة" تجعل المراقبة تتمثل بشكل أوضح في الوضع المصطلحي، مقارنة بما هو عليه الحال في وضع كلمات اللغة العامة وإن كان كل من الكلمة والمصطلح يخضعان معا لقيود سلامة التكوين.

(٤) Sajer Juan , Pour une approche fonctionnelle de la terminologie, in : Le sens en terminologie, Thiron, Bejoin, presses universitaires, Lyon, ٢٠٠٠. Pp : ٤٠-٥٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

المصطلحية الحديثة "إيمانويل فوستر" (E. Wuster) و"هلموت فيلبر" (H. Felber)، حيث تتسم المصطلحات عند هذين الرائدين بنزعة أحادية الدلالة، وتتصف المفاهيم بأحادية المرجع، وهو أمر يجعل المصطلحية ذات منحى سكوني، غير أنّ واقع الحال يثبت تميّز مصطلحات العلوم بالحركية بما فيها تلك العلوم الطبيعية التي تستند إلى الملاحظة كعلم النبات والأحياء وعلم طبقات الأرض، إنه الدليل الأبرز على قيام النظرية النمساوية على التأمل الفلسفي بدل استنادها إلى الواقع اللغوي.

من المؤكد أنّ المرونة في عالم تواشج الصلات بين الوجه الاصطلاحي الخاص للوحدة المعجمية ووجهها اللغوي العام لا تقتصر على تبادل المواقع بينهما وإنما تتجلى أيضا في عدم اقتصار الأسماء على أداء الوظيفة الاصطلاحية بعدما صار بالإمكان أن تقوم الصفات والظروف والأفعال بهذه الوظيفة أيضا.

خلاصة القول أن المقاربة المعيارية في المصطلحية جعلت من موضوع التقابل بين الكلمة والمصطلح مرتكزا تنطلق منه في صكّ الأسس المعيارية لوضع المصطلح ودراسته، وهو أمر كما بينّا لا يخلو من غلوّ. نقدم فيما يلي تصميما مبسّطا لجذاذة "الوحدة المعجمية" يكشف عن طبيعة الروابط بين "الكلمة" و"المصطلح":

تصميم جذاذة "الكلمة":

في المعجم التاريخي المنشود للغة العربية:

الكلمة	أصلها، مقولتها النحوية والصرفية تعريفها شاهدها توثيقها- (تاريخ الاستعمال، المستعمِل، المصدر)

تصميم جذاذة "المصطلح":

في المعجم التاريخي المنشود للغة العربية:

المصطلح	أصله، مقولته النحوية والصرفية تعريفه شاهده توثيقه (تاريخ الاستعمال، المستعمِل، المصدر)

يتبيّن من خلال التصميمين السابقين أنْ لا مجال للتمييز بين الكلمة والمصطلح سوى من خلال المجال المعرفي الذي يُستعمل فيه المصطلح وبالنظر في طبيعة التعريف بأنواعه المتعدّدة (سنعرضها فيما يلي من فقرات) الذي يحظى به المصطلح داخل نسق معرفي محدّد.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بعض المسوّغات الداعية إلى إدراج المصطلحات بمتن المعجم التاريخي:

ممّا يثبت أحقية إدراج المصطلحات ضمن متن المعجم التاريخي المنشود أن الكثير من الألفاظ عبارة عن تسميات لمخترعات الإنسان، من أعمّها: السيارة، الطائرة، الباخرة، الوقود، الكهرباء، وأخرى تسم مفاهيم مخصصة لنعت عادات الإنسان في المأكل والمشرب والملبس.. إنه رصيد مصطلحي لا يجوز التفريط فيه باستبعاده بحجة انتمائه إلى مجالات القطاعات المعرفية المتخصصة، وإنما أصبح معظمه جزءا لا يتجزأ من اللغة العامة، أو هو في منزلة بين المنزلتين: عام وخاص، يستغني التعريف العام لهذا النمط من المصطلحات عن دقائق المفهوم، بينما لا سبيل إلى إقصاء السمات الدلالية النووية، إذا كان المصطلح في حاجة إلى تفصيل في هذا المنحى لنوع ثان من القرّاء والمستعملين لهذا القاموس.

من الدواعي التي تبرّر إدراج نسبة محددة من الاصطلاحات بمتن المعجم التاريخي للغة العربية (لا سيما ما اتصل بالمستويين الثاني والثالث من الاصطلاحية) أنّ الكثير من المصطلحات لم تتولّد في التراث العربي طفرة واحدة باللغات الخاصة: لغات العلوم والفنون والمهن، وإنما تشكّلت نتيجة تحوّل دلالي طرأ على بنياتها الأصلية، فارتحلت إلى مجالات اللغة الخاصة بعدما استعملت قبل ذلك باللغة العامة (أمثلة ذلك ما سبقت الإشارة إليه من رصيد معجمي دوّنه "أبو حاتم الرازي" بكتابه "الزينة في الكلمات الإسلامية").

ونشير بهذا السياق إلى أن بعض المصطلحات ظلت تتسم بميسمين اثنين: عام وخاص (أو إن جاز لنا استخدام المجاز، ظلت تحظى بجنسيتين: جنسية انتمائها إلى اللغة العامة وجنسية انتمائها إلى لغة قطاعية من اللغات الخاصة).

إضافة إلى ما سبق، نشير إلى أنّ الاهتمام بالمصطلحات لمْ يعد مقتصرا على مصنفي المعاجم الاصطلاحية، وإنما امتدّ هذا التوجه ليعمّ أيضا مصنفي بعض المعاجم العامة، كـ"القاموس المحيط" لـ"الفيروزآبادي" الذي أدرج بمعجمه أسماء الأعلام وأسماء الأماكن وبعضا من اصطلاحات العلوم، ويشير الباحث "عبد العلي الودغيري" أنه نهجٌ نهجه أيضا "أبو الطيب الشرقي الفاسي"[(١)].

يمكن أن ندرج - من جملة مسوغات إدراج نسبة من الاصطلاحات ب"متع"- تلك الضوابط التي سنّها صاحب أول لبنة في مشروع هذا الصرح الكبير: الألماني "فيشر" حين أوجب في "ترتيب المعاني تقديم المعنى العام على المعنى الخاص والمعنى الحسّي على المعنى

---

(١) الدكتور عبد العلي الودغيري، قضايا المعجم العربي في كتابات أبي الطيب الشرقي الفاسي، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العقلي والمعنى الحقيقي على المعنى المجازي"، ومعلوم أنّ المصطلحات تستوعب أساسا المعاني الخاصة، العقلية، المجازية [1].

إن اقتحام المصطلحات لبنيات المعجم العام عملية دشنها علماء العربية الأقدمون وازدادت وتيرتها في العصر الحديث نتيجة التفجر العلمي والتقني في جميع المجالات والتخصصات، وقد أشرنا أعلاه إلى اهتمام أبي حاتم الرازي (ت٣٢٢ هـ) بالتطور الدلالي الذي لحق الكثير من الألفاظ باستعمالها بعد البعثة النبوية، إذ انطمست دلالاتها العامة التي كانت تحملها عهد الجاهلية ما عدا أنوية دنيا ظلت تمثل الصلة بين المعاني القديمة وتلك المستحدثة.

من الألفاظ التي سجلها الرازي في تصنيفه الرائد: بعض أسماء الله الحُسنى، وقد أوردها في "الزينة" [2] مفردة، ك: "الله" [3]، "الرب" [4]، "الصمد" [5]، "الباري" [6]، "المصوّر" [7]، "السلام" [8]، "المؤمن" [9]، "المهيمن" [10]، "العزيز" [11]، "الجبار" [12]، "المتكبر" [13]، "القدّوس" [14]،

---

(١) Fisher & United Arabic Republic ; Academy of Arabic language etymological historical Arabic lexicon (Cairo : General Organization of Government priting offices ١٩٦٧ ; p :٢٤).

يعترض الباحث التونسي عبد الرزاق بنور على ترسيخ هذه الضوابط، لا سيما ما تعلق بوضع المعنى الحسي قبل المعنى العقلي في ترتيب المعاني، باعتبار أن المعنى الخاص في نظره أقرب إلى الملموس منه إلى العام، ومن منطلق الجزم بأسبقية المصطلح على الكلمة على المستوى التزامني، غير أننا لا نستسيغ تعميم الجزم بهذه الأسبقية في كل المفردات المعجمية المنتمية إلى اللغة العامة واللغات الخاصة. انظر مزيدا من التفاصيل في: عبد الرزاق بنور (٢٠١٢)، "أسبقية المصطلح على الكلمة"، ضمن وقائع ندوة علم المصطلح، دار المعلمين العليا، تونس، ١٢ نونبر ٢٠١٠".

(٢) أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تعليق: حسن بن فيض الله الهمذاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هجرية، ١٩٩٤ ميلادية.

(٣) أبو حاتم الرازي، الزينة، ص:١٧٨. ومن المشتقات المتصلة باسم الله المعبود في "المعجم الوسيط": "أَلِهَ"، "ألَهَ"، "تألّهَ"، "الإلهيات"، ص: ٤٥.

(٤) نفس المصدر، ص: ١٩٥. وقد ورد ب"المعجم الوسيط" مشتقات تتصل بهذا الأصل، منها: "أرباب"، "ربوب"، "ربّانيّ". ص: ٣٤٥.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢١١. أثبت "المعجم الوسيط" أفعالا متعددة تتصل بهذا الاسم، ك: "صمَدَ"، "صامَد"، "صمّد"، "أصمد"، "تصامد"، كما دوّن مشتقات اسمية تتباين في مدى ارتباطها بهذا الأصل، منها: "الصماد"، "الصمادة"، "الصمْد"، "الصمْدة"، "المِصماد"، "المُصمّد"، انظر ص: ٥٤٨ من المعجم.

(٦) الرازي، نفس المصدر، ٢٢٤.

(٧) نفس المصدر، ص: ٢٢٧.

(٨) المصدر الذي سبق، ص: ٢٣١.

(٩) نفس المصدر، ص: ٢٣٨.

(١٠) الزينة، ص: ٢٤١.

(١١) نفس المصدر، ص: ٢٤٤.

(١٢) انظر المصدر السابق، ص: ٢٥٠.

(١٣) نفس المصدر، ص: ٢٥٤.

(١٤) المصدر ذاته، ص: ٢٦٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

"الغفور"[1] ، "الحكيم"[2] ، "الودود"[3] ، "الباعث"[4] ، "الوارث"[5] ، "المنّان"[6] ، "الرؤوف"[7] ، أو مركبة، ك: "الرحمن الرحيم"[8] ، "الواحد الأحد"[9] ، "اللطيف الخبير"[10] ، "الباطن الظاهر"[11] ، "الأول والآخر"[12] ، "الحي القيوم"[13] ، "الواسع الكريم"[14] ، "الواهب الوهّاب"[15] ، "الجليل العظيم"[16] ، "الشكور الحميد"[17] ، "المجيد الماجد"[18] ، "الخالق والخلاق والقادر"[19] ، "الملك المالك المليك"[20] .

ومن الألفاظ العقدية التي استشهد بها أبو حاتم الرازي للإشارة إلى التطور الدلالي الذي لحق العربية بين مرحلتين فارقتين: "آمين"[21] ، "الأمر"[22] ، "الخلق"[23] ، "القدر"[24] ، "القضاء"[25] ، "القلم"[26] ، "اللوح"[27] ، "الكُرسيّ"[28] ، "العرش"[29] ، "الشيطان"[30] ، "الجنة"[31] ، "النار"[32] ، "الصراط"[33] ، "إبليس"[34] ، "القيامة"[35] ، "الملائكة"[36] ، ومن

---

(١) أبو حاتم الرازي، الزينة، ص:٢٦٧.

(٢) الزينة، ص:٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٩١.

(٥) نفس المصدر، ص:٢٩٣.

(٦) المصدر السابق، ص: ٢٩٩.

(٧) الرازي، الزينة، ص:٣٠٣.

(٨) المصدر السابق، ص: ١٨٩.

(٩) أبو حاتم الرازي، الزينة،ص: ٢٠٠.

(١٠) نفس المصدر، ص: ٢٨٠.

(١١) نفس المصدر، ص:٢١٧.

(١٢) الزينة، ص: ٢١٦.

(١٣) المصدر ذاته، ص: ٢٦٤.

(١٤) نفس المصدر، ص: ٢٧٦.

(١٥) المصدر ذاته، ص: ٢٧٩.

(١٦) نفس المصدر السابق، ص: ٢٨٢.

(١٧) المصدر ذاته، ص: ٢٨٥.

(١٨) أبو حاتم الرازي، الزينة، ص: ٢٨٧.

(١٩) المصدر السابق، ص:٢٢٠.

(٢٠) المصدر نفسه، ص: ٢٦٩.

(٢١) أبو حاتم الرازي، الزينة، ص: ٣٠٥.

(٢٢) المصدر السابق، ص: ٣٠٨.

(٢٣) كتاب الزينة، ص: ٣١١.

(٢٤) نفس المصدر، ص:٣١٣.

(٢٥) المصدر ذاته، ص:٣١٧.

(٢٦) نفس المصدر السابق، ص: ٣٢٤.

(٢٧) الزينة، ص: ٣٢٧.

(٢٨) ذات المصدر، ص: ٣٣٠.

(٢٩) أبو حاتم الرازي، نفس المصدر السابق، ص:٣٣٤.

(٣٠) نفس المصدر، ص:٣٦٢.

(٣١) المصدر السابق، ص: ٣٧٩.

(٣٢) الرازي، الزينة، ٣٨٩.

(٣٣) الرازي، نفس المصدر السابق، ص:٣٩٨.

(٣٤) المصدر السابق، ص: ٣٧٥.

(٣٥) نفس المصدر، ص:٤١٢.

(٣٦) الزينة، ص:٣٤٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الكلمات التي أوردها المصنف مركبة: "الدنيا والآخرة"[1] ، "الأعراف والبرزخ"[2] ، "الإثم والوزر"[3] ، "العقاب والعقوبة"[4] .

لا شكّ أن اقتحام المصطلحات سياج اللغة العامة يزداد يوما بعد آخر، نظرا لشيوع هاته المصطلحات وتداولها بالكثير من المتون الحديثة بالصحف والمجلات ونشرات الأخبار الموجهة إلى عموم الناس، ويترتب عن ذلك تطور في بنية المعجم العام إلى درجة قدّر اللساني "سيدني لاندو" (S. Lando) أن هذه النسبة قد تبلغ أربعين في المائة (٤٠%) من حجم مداخل المعاجم العامة الكبيرة[5] . وقد دفعت هذه النسبة المرتفعة بعض الباحثين العرب إلى التقصي عن حال المعاجم العربية العامة في موضوع احتضان المصطلحات فقدّر الباحث اللبناني "حسن حمزة" نسبة إدراج المصطلحات بمعجم "المنهل" الثنائي اللغة (عربي-فرنسي) لـ "سهيل إدريس" بقيمة تتراوح بين خمسة عشر وعشرين في المائة (١٥ إلى ٢٠ %)[6] .

ويتبين من نتائج الجرد الذي قمنا به لمداخل "المعجم الوسيط" أن نسبة الألفاظ المجمعية والألفاظ المحدثة [وتندرج غالبيتها ضمن المصطلحات] لا يُستهان بها مقارنة ببقية المعاجم المؤلفة في نفس الفترة الزمنية، فقد تبيّن من الإحصاء الذي قمنا به أنها تبلغ عدد ١٢٥٠ لفظا مجمعيا و٥١٨ لفظا محدثا.

"المجمعي" في تعريف بُناة هذا المعجم: هو"اللفظ الذي أقرّه "مجمع اللغة العربية"

"المحدث" في تصور هؤلاء أيضا: "اللفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامة".

يتصل مجموع الألفاظ المجمعية والمحدثة بمفاهيم العلوم والتخصصات المعرفية كما يتبين من الجداول "أ-ب-ج" المرفقة بملاحق البحث.

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣٢١.

(٢) نفس المصدر، ص:٤٠٢.

(٣) كتاب الزينة، ص: ٤١٠.

(٤) المصدر ذاته، ص:٤٠٧.

(٥) Landau, Sidney (١٩٨٤); « Of Matters Lexicographical: Scientific and Technical Entries in American Dictionaries » American Speech, Vol. ٤٩, n:٣-٤. In: Ingrid Meyer & Kristen Makintosh; L'étirement du sens en terminologie; Aperçu du phénomène de la déterminologisation; dans: Le sens en terminologie; ٢٠٠٠; pp: ١٩٨_٢١٦.

(٦) Hassan Hamzé; La terminologie dans le dictionnaire général arabe actes de la ٧° édition des RIL (Rencontres Internationales de Lexicographie), Dar Wa Maktabat al-Hilal, pp.٨٥-١٢٠, ٢٠١٣, Travaux du CRTT, Université Lyon ٢, pp: ١٨١-١٩٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وإن تمكّن مصنفو "معجم اللغة العربية المعاصرة" من إحصاء عدد المصطلحات المدرجة بمتن المعجم، والتي بلغت عدد٩٩٩٥ مصطلحا، بنسبة تكاد تصل إلى ٣١ % من مجموع مداخل المعجم المقدّرة ب ٣٢٣٠٠ مدخلا (عبارة عن أسماء وأفعال وكلمات وظيفية) [(١)] ، فإن بناة المعجم الوسيط لم يشيروا إلى عدد المصطلحات المدرجة بمصنفهم، والراجح أن نسبة المصطلحات بهذا المعجم أقل من النسبة الواردة بمعجم المرحوم "أحمد مختار عمر" بدليل احتواء هذا المعجم الأخير على ٣١ مصطلحا لسانيا و٦٧ كلمة وظيفية تتضمن أحكاما نحوية بمجموع مداخل حرف "أ" (إضافة إلى ٢١ مصطلحا صرفيا معرّفا بمقدمة المعجم)، واقتصار المعجم الوسيط على تدوين ١٠ مصطلحات لسانية و٢٨ كلمة من الكلمات الوظيفية المتضمنة للأحكام النحوية بمجموع مداخل حرف "أ" [(٢)] .

ومن الخانات الفارغة التي عايناها ب"المعجم الوسيط" في الحقل اللساني عدم إدراج مصطلحات: "أبجدية"، "تأثيل"، "أصل"، "تأكيد"، "الأمر"، "تأنيث"، "استئناف"، "تأويل" بدلالاتها اللغوية، بينما أدرجت غالبية هذه المصطلحات ب"معجم اللغة العربية المعاصرة"، ممّا يدفعنا إلى اعتبار هذا العمل نبراسا لأي عمل يستهدف إدراج المصطلحات بالمعجم التاريخي للغة العربية.

ومن المجالات القطاعية التي احتلت موقع الصدارة في الألفاظ المجمعية، هناك: الطب والصيدلة وأسماء الأمراض، والكيمياء والفيزياء، والصناعات وأسماء المهن والآلات، بينما تستحوذ المجالات المرتبطة بالصناعات والمهن والآلات على الألفاظ المحدثة لتتقهْقرَ المصطلحات المرتبطة بالطب والصيدلة والأمراض إلى الرتبة السابعة. (انظر الجداول "أ-ب-ج" المرفقة بملاحق البحث).

بالنظر إلى الزحف المتزايد للغات الخاصة على فضاءات اللغة العامة يجدر بنا البحث في سبل جرد المصطلحات من المدونات بغرض إدراجها بمعجم الأمة المنشود: المعجم التاريخي للغة العربية.

---

(١) وهي مصطلحات تنتمي إلى العلوم المادية (كالجبر والإحصاء والحاسبات والمعلوميات والتشريح والطب والطبيعة والفيزياء والفلك والحيوان والأحياء والكيمياء والصيدلة والنبات والزراعة والهندسة) والعلوم الإنسانية (كالبلاغة والنحو والصرف والعروض والأدب والحديث والفقه والديانات والسياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون وعلم النفس والفلسفة والتصوف والموسيقى).

(٢) مع أننا نستخلص من معاينة للمصطلحات اللسانية الواردة بنفس المعجم وبمعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر أن هذه النسبة ضعيفة للغاية بالمعجمين معا مقارنة بعدد الألفاظ المجمعية والمحدثة المحصية بالمعجم الأول، وبعدد المصطلحات الواردة بالمعجم الثاني، انظر الجداول: "أ"، "ب"، "ج" بملاحق البحث.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

دور المدوّنة في انتقاء المصطلحات الأجدر بالتدوين بمتن المعجم التاريخي:

لا سبيل إلى رصد المصطلحات المتداولة بين متكلمي العربية دون الاعتماد على المصادر والأصول بغاية بناء مدوّنة شاملة وواقعية، لطي صفحات حالكة من التصنيف المعجمي حين كان المعجميون (باستثناء المجهود الكبير الذي بذله "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتاب "العين") يكتفون بتدوين مواد المعاجم السابقة ونسخ تعريفاتها أو إعادة صياغتها في أحسن الأحوال.

يبدو من المفيد في عملية انتقاء المصطلحات التي ستشكل مداخل المعجم التاريخي التفريق بداية بين المصطلحات - باعتبارها وحدات منتمية إلى مجال معرفي تمثل مفاهيم خاصة - وكلمات اللغة العامة . باعتبارها وحدات معجمية متداولة بهذه اللغة.

بإمكان بعض التعابير الواصفة بالمدوّنة أن تساعد في مهمة جرد المصطلحات واستخلاص تعريفاتها، من ذلك: "نسمّي ذلك "كذا" "، "يعيّن "كذا"...."، "يُنعت بـ"كذا" "، "وهو كذا" "، إلخ.. ومن ذلك أيضا بعض العلامات الخطية التي يرد في إطارها المصطلح: ب"خط غامق"، أو "خط مائل"، أو بين "مزدوجتين"، أو "قوسين"، أو ورود المصطلحات في رسوم بيانية، أو أشكال مؤطرة بمربعات، أو في صيغ تعبيرية، من قبيل: "بعبارة أوضح "كذا" هو:...."، أو: "لكي نقدم صورة تقريبية عن "كذا"، نقول: هو...."، أو : "بصيغة أكثر تبسيطا، نصف المصطلح بأنه...".

يتمّ التمييز في عملية الجرد بين مقولتين أساسيتين:

- مقولة المصطلحات المفاتيح التي تتناول المحور الأساسي للنص.
- ومقولة المصطلحات المساعدة [كي لا ننعتها بـ" الثانوية" لأنها تقوم بدور أساسي في إماطة اللثام عن النوع الأول من المصطلحات] التي تقوم بوظيفة تفسير دلالات مصطلحات المقولة الأولى.

ونعتبر وفق هذا التقسيم أن المصطلحات التالية [المستخلصة من النص الموسوعي المرفق بالملاحق]: "اشتقاق"، "اشتقاق تاريخي"، "اشتقاق قياسي"، "إيتيمولوجيا"، (وغيرها كثير) مصطلحات مفاتيح، بينما تمثل زمرة أخرى من المصطلحات وحدات معجمية أقل محورية من سابقاتها، كـ: "توليد"، "أصل"، "فرع"، وهي مصطلحات مساعدة لأنها تسهم في تعريف النوع الثاني من المصطلحات.

هل من نسب محددة لعدد المصطلحات القابلة للتدوين بمتن المعجم التاريخي؟

على الرغم من تزايد ارتحال المصطلحات إلى متن اللغة العامة، فمن المستحسن أن لا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يحرص بُناة المعجم التاريخي المنشود على إدراج الكثير من المصطلحات بمتنه، وذلك لعلتين أساسيتين:

- أن لا يسهم إدراج مجموعة كبيرة من مصطلحات المجموعتين السالفتي الذكر في تأخر إنجاز مشروع الأمة الهامّ الذي سيعود بالنفع على الثقافة العربية الإسلامية بجميع مكوناتها.
- أنْ لا يُزاحِم المعجمُ التاريخي للغة العربية في حالة إنجازه المعجمَ التاريخي للمصطلحات العلمية والفنية والتقنية بالسقوط في آفة التكرار.

يتلاءم هذا الاختيار حتما مع الهدف المرسوم لبناء المعجم التاريخي للغة العربية، إذ من الطبيعي أنّ بُناة هذا المعجم لن يستهدفوا أهلَ الاختصاص من الغوّاصين عن دقائق المعلومات المتصلة باللفظ أو المصطلح بالنظر إلى التطور الدلالي والتحوّل الصوتي الذي لحق المدخل المدروس وتعزيز كل معلومة واردة بالدليل الموثق، كما أنهم لن يستهدفوا من هذا المعجم عموم القرّاء الذين يقنعون بالقليل من المعلومات دونما إيراد تفصيلات أو أدلة عن مصادر الورود والتواتر.

مردّ هذه الوسطية التحكّم في حجم المعجم التاريخي بناء على طبيعة الموارد البشرية والمالية المخصصة لإنجازه على الوجه الأكمل.

إن إدراج نسبة مُحدَّدة من المصطلحات بمتن المعجم التاريخي يستلزم ضرورة الاستفادة من خدمات أهل الاختصاص في مجالات معرفية متعددة بغرض انتقاء المصطلحات الأجدر بالتدوين ولتعريفها تعريفات تتلاءم مع الغايات المحددة سلفا لبناء هذا المعجم، المرتبطة أساسا بنوع المعلومات المدرجة بمتن التعريف ونماذج صياغتها وترتيبها.

والواقع أنّ تحديد تواريخ ظهور المصطلحات والإشارة إلى أول استعمال لها هو تحديد تقريبيّ في حالة تعذّر التحديد الدقيق لبدايات هذا الاستعمال، نظرا لعراقة اللغة العربية وقدمها مقارنة باللغات الغربية الحديثة النشأة، ويتم الاكتفاء في هذه الحالة بالإشارة إلى القرن الذي ظهر به المصطلح والمصدر الذي مكّن من هذا التحديد [(١)] .على غرار نهج اللغوي

---

(١) تجدر الإشارة إلى أهمية هذا التحديد الزمني، فقد اعتُمد هذا العُنصر في بناء كثير من المعاجم العامة باللغات الغربية، ومن ضمنها تلك التي لم تحرص على إبراز البُعد التاريخي في عناوينها، منها:

- قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية(Oxford English Dictionary).
- القاموس الألماني للأخوين غريم(Deutsches Wörterbuch) .
- ذخيرة اللغة الفرنسية (Trésor de la langue Française).
- القاموس العام للغة الفرنسية (Dictionnaire général de la langue Française).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

"إميل يعقوب" في تعريفه الموسوعي لمفهوم "الاشتقاق"[(١)].

نشير بهذا الصدد إلى أنّ تأثيل المصطلح يُعتبر ركنا أساسيا من أركان تحديد المصطلح، وذلك بالإشارة إلى أصله ومصدره لا سيما في حالة استيراده من لغة (أو لغات) أجنبية، وطريقة تعريبه أو تدخيله إلى متن العربية.

من الجليّ أن المعجم التاريخي للغة العربية مهما بلغت درجة شموليته باستقصائه ألفاظ اللغة العربية في جميع أزمنتها وحيثما تداولت بأيّ قُطر من أقطار العالم العربي فإنه يظلّ مع ذلك معجما انتقائيا في مجال رصد المصطلحات العلمية والفنية والتقنية، يقتصر على تسجيل بعضها دون بعض بناء على درجات شيوعها ومدى اندراجها ضمن اللغة العامة، ويكتفي بتعريف مختزل لأنويتها الدلالية.

وفي صلة بهذا الموضوع نلفت انتباه الدارسين إلى أنّ الوضعيةَ الراهنة التي تجتازها اللغة العربية المطالبة باستيعاب كمّ هائل من مفاهيم المستحدثات في شتى التخصّصات تُلزِمُ بُناة المعجم التاريخي للغة العربية عدم إهمال الألفاظ "الغريبة"، والحرص على رصد وحدات اللغة "المستعمل" منها و"المهجور" الذي انصرف عنه متكلمو العربية في عصر من عصور هذه اللغة العريقة، إذ لا يمكن تطبيق البُند القاضي بضرورة استعمال المصطلح التراثي إذا وافقنا على إهمال المهجور والغريب من الألفاظ[(٢)].

ولا شكّ أنّ غالبية المعاني الحسية والعامة للألفاظ أسبق وجودا من المعاني العقلية والخاصة بالمصطلحات، غير أنّ الاقتناع بضرورة مراعاة تولّد معاني ألفاظ اللغة العربية العريقة أولاً بأول، والحسم في أسبقية بعضها على بعض أمر في غاية المجازفة (خلافا للغات

---

(١) وهو تعريف أدرجناه بملاحق البحث بالنظر إلى طوله وتضمنه عناصر لا مكان لها بتعريف المصطلح بالمعجم التاريخي للغة العربية.

(٢) خلافا لهذا الرأي الذي ندعو إليه نجد من ضمن أهداف بعض القواميس الفرنسية الشهيرة: عدم الاهتمام بالألفاظ التي لم تعُد مستعملة إلى حدّ اعتبار اللغة الفرنسية القديمة لغة أجنبية.

(Le Robert Historique de la langue Française, Edition ١٩٩٥ préface (page٨))

كما لم تجد هذه المعاجم مبررا لرصد ألفاظ المعاجم التراثية للغة الفرنسية بعلة اختفاء هذه الألفاظ من متن اللغة الفرنسية الحديثة.

& Philippe Ménard, Dictionnaire étymologique et historique de la langue Française ; Emmanuèle Baumgartner édition ١٩٩٦ ; Préface)

إنها ذات القواميس التي أجمعت على إهمال لغة العلوم المختلفة والمهن والصنائع بأنواعها وعدم تدوينها بالمعجم التاريخي "إلا ما حظِيَ باستعمال أدبي وتداولته الألسن بالحياة العامة" Dictionnaire historique de l'Académie Française , Préface, éd : ١٨٦٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الغربية الحديثة النشأة)، لذلك فإنّ ما يلزم الحرص عليه أساسا في المعجم التاريخي للغة العربية هو بالأساس رصد العلاقات الدلالية والسياقية التي تربط معاني اللفظ الواحد.

بنيات التعريف لمصطلحات المعجم التاريخي للغة العربية:

تكمن أهمية التعريف بالمعاجم والقواميس أنها بنية رئيسة بهذه المتون لا يمكن التخلي عنها مطلقا، بدونها تصبح هاته المتون مجرّد مسارد، ما جعل غالبية الدارسين يجعلون التعريف مكونا من مكونات المثلث المصطلحي:

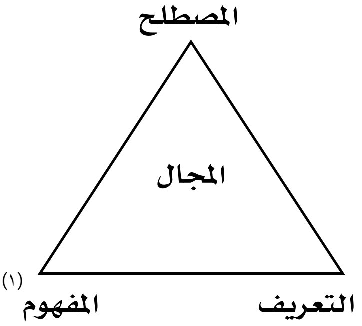

يتبين من الشكل أعلاه أن المجال [الحقل المعرفي] يشكّل جزءا لا يتجزأ من التعريف. وقد زخرت المعاجم الاصطلاحية العربية القديمة بتعريفات تأخذ بعين الاعتبار عنصر المجال، كما يتضح من تعريف "التهانوي" لمفهوم "الاتصال"، وقد اختزلناه على النحو الآتي:

"**الاتصال:**

- عند السالكين: هو مرادف للوِصال والوصول (..)
- عند المُحدّثين: هو عدم سُقوط راوٍ من رواة الحديث ومجيء إسناده متصلاً (..)
- عند المنطقيين: هو ثبوت قضية على تقدير قضية أخرى (..)
- عند الحُكماء: هو كون الشيء بحيث يُمكن أن يُفرض له أجزاء مشتَركة في الحدود (..)
- عند المنجّمين: كون الكوكبيْن على وضْع مخصوص من النظر أو التناظر (..)"[٢] .

يقوم التعريف [كما يتبين من المثال أعلاه] بوظيفة الكشف عن مضمون المصطلح أو مضامينه في حالة تعدد مجالات استعماله، من خلال نشدان تحقيق تكافؤ (أو معادلة دلالية) بين المصطلح المعرّف وجملة السمات التي تحدد مغزاه وموقعه ضمن بقية

---

(١) De BESSÉ, Bruno (١٩٩٠), La définition terminologique, in : La définition. Paris : Larousse., p. ٢٥٢- ٢٦١.

(٢) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦، المجلد الأول، ص ص: ٩٢-٩٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصطلحات المجاورة له أو المندرجة ضمنه[(١)].

إن التحدّي البارز في موضوع تحرير الخطاب العلمي الميسّر يكمن في درجة المعادلة بين المصطلح المعرّف وتفسيره وفي طبيعة هذه المعادلة، أي في الانتقال من نسق دلالي خاص إلى نسق دلالي عام دون فقدان أي خاصية من خاصيات المفهوم المعرّف.

ويبدو أن تحقيق هذا القيد المرتبط بالحفاظ على ركائز المفهوم الذي يعينه المصطلح ليس بالأمر الهيّن، كما يتبين من المقارنة بين المستويات الثلاثة من تعريف مصطلح: "اشتقاق".

لا شك أن أهم سؤال يثير اهتمام مصنف المعجم التاريخي: أي نمط من أنماط التعريف يلائم البنية الصغرى من بنيات هذا المعجم[(٢)] من حيث الكفاية الوصفية والوظيفة التمثيلية: التعريف اللغوي؟ أم التعريف المصطلحي؟ أم التعريف الموسوعي؟ أم الجمع بين نوعين من هذه التعريفات؟ أو بين أنواعها الثلاثة؟

لنقف قليلا عند دلالات لفظة "التعريف" بغية الاسترشاد بمحدداتها في عملية الانتقاء.

تدلّ لفظة "التعريف" لغة على معنى "الإعلام" ومعنى "إنشاد الضالة"[(٣)]، وترجَمَت اللفظة في عوالم الاصطلاح معنى: ضبط ماهيات المفاهيم المتداولة بحقول المعرفة العلمية.

وقد اعتنى اللغويون والمناطقة العرب ب"التعريف اللفظي" (ما يوازي "التعريف الإسمي" في الفكر اليوناني)، واعتبروا المقصود من استحضاره "الإشارة إلى صورة حاصلة وتعيينها من بين الصور الحاصلة ليعلم أن اللفظ المذكور موضوع بإزاء الصورة المشار إليها"[(٤)].

في مقابل التعريف اللفظي يعتني "التعريف الحقيقي" بالموجود الخارجي المعيّن من خلال المصطلح، وينشطر:

- إلى "حدّ" "دالّ على ماهية الشيء"[(٥)].

---

(١) DAHLBERG (I.).-Les objets et les notions, les définitions et les termes.- Siforov ed.,١٩٨١.- p.٢٢١-٢٨٢, p:٢٤٥.

(٢) لقد سبق للمعجمية "جوزيت راي ديبوف أن نعتت مدخل المعجم: "الكبرى" (Macrostructure) وشرح المدخل بعناصره المختلفة (المعلومات الصوتية والخطية والنحوية والدلالية) "البنية الصغرى" (Microstructure). انظر:
Josette Rey-Debove , Étude linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains, Mouton De Gruyter, ١٩٧١

(٣) لسان العرب، ابن منظور محمد، المجلد الثاني، مادة (عرف)، ص:٧٦٤، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، لبنان.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، الجزء الأول، ص: ٤٨٣.

(٥) الغزالي أبو حامد، معيار العلم في المنطق، دار الأندلس، بيروت، طبعة ١٩٩٧. ص: ١٩٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

▪ وإلى "رسم" يهتمّ ب" أعراض الشيء وخواصه التي تخصه جملتها بالاجتماع وتساويه"[(١)] .

يعتبر بعض الدارسين الغربيين أن "التعريف المفهومي" (intentional definition) هو التعريف الأمثل[(٢)] في مجالات العلوم والتقنيات، وهو نمط تعريفي يستند إلى تحديد الأجناس أو الأنواع التي تميز المفهوم عن غيره من المفاهيم، غير أن المصطلحيين يشككون في هذه المثالية[(٣)]، ويقترحون أنماطا تعريفية أخرى تتعدد بتنوع المفاهيم المعرَّفة، من هذه الأنماط:

١- التعريف الماصدقي: (Extensional definition) أو "التعريف بالامتداد" يستهدف تحديد كل الموضوعات التي تنتمي إلى المجموعة التي يحيل عليها المفهوم وإلى الأنواع التي تندرج ضمنه[(٤)(٥)] .

٢- التعريف الوظيفي: (Définition fonctionnelle) يستند هذا النمط على حصر وظائف المصطلح المُعرّف وعلاقاته[(٦)] .

٣- التعريف السياقي: (Contextual definition) هو تعريف يرد من خلال مثال يسجّل الاستعمال الفعلي للمفهوم.

٤- التعريف بجرد السمات: (Définition par propriétés) يقوم على تحديد السمات المميزة لمفهوم المصطلح أو لموضوعه.

٥- التعريف بجرد المكونات: (définition par composants) يقوم على حصر مكونات المفهوم، وغالبا ما يرد بالخطابات العلمية الميسّرة[(٧)] .

٦- التعريف بالقسمة: (Définition par division) حيث يُحدَّد المفهوم بما "يتفرّع عنه من

---

(١) نفس المصدر،

(٢) De Bessé (١٩٩٠), La définition, نفس المرجع السابق

(٣) Gabriel Otman (١٩٩٦) ; les représentations terminologiques en terminologie ; ed, Masson ; p :١٨.

(٤) معجم مفردات علم المصطلح، إيزو (ISO)، التوصية رقم ١٠٨٧ ترجمة الدكتور علي القاسمي، مجلة اللسان العربي، عدد ٢٢، ص:٢٠٦.

(٥) les représentations sémantiques, Gabriel Otman, p : ١٨.

(٦) Dahlberg , Les objets, Les notions, Les définitions et les termes, , p :٢٥١, in : GIRSTERM , Fondements théoriques de la terminologie, , Université Laval, Québec ١٩٨١
Lerat Pierre (١٩٩٠), L'hyperonymie dans la structuration des terminologies, ; p :٧٩, in : La structuration des terminologie, Langages , n° ٨٩ ; Larousse, Paris.

(٧) KANDELAKI, T. L. Les sens des termes et les systèmes de sens des terminologies scientifiques et techniques. In: RONDEAU, G.; FELBER, H. Textes choisis de terminologie: I Fondements théoriques de la terminologie. Québec: GIRSTERM, ١٩٨١. p. ١٣٣-١٨٤.p :١٧٤.
GIRSTERM, Université Laval, in : Fondements théoriques de la terminologie, Québec, ١٩٨١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

مفاهيم فرعية، تشكل في مجموعها مجال أقسامه أو فروعه"[(١)]. مثال هذا النوع من التعريف تحديد الاشتقاق بذكر أنواعه: اشتقاق صغير (أو أصغر وهو الاشتقاق الصرفي)، اشتقاق كبير (وهو القلب)، اشتقاق أكبر (وهو الإبدال)، اشتقاق كُبّار (وهو النحت).

من أول أولويات تعريف المدخل المعجمي بالمعجم التاريخي المنتمي إلى اللغات الخاصة:

- تحديد السمات المُحدِّدة لفحوى مفهوم المصطلح.
- تبيين خصائص مرجع المصطلح.
- تحديد موقع المصطلح ضمن النظام المصطلحي الذي يندرج ضمنه أو يشمله[(٢)].

إنها أولويات متضمنة بالتوصية رقم (٧٠٤) الصادرة عن المنظمة الدولية للتقييس (إيزو) التي حددت ثلاث وظائف أساسية للتعريف:

- وصف المفهوم عبر التجريد.
- تمييز المفهوم عن المفاهيم المجاورة له.
- ربط صلات بين المفهوم والمفاهيم الأخرى المرتبطة به داخل النسق.

ولا ريب أن مجمل التعاريف (اللغوية والمصطلحية والموسوعية) تتضمن إشارات إلى:

- المقولة النحوية الخاصة بالمصطلح المعرّف
- بنيته الصوتية وإمكانات التأليف
- مميزات الاستعمالات التداولية للمصطلح.

يجدر أنْ يجمع تعريف المصطلح بالمعجم التاريخي بين الوظيفة التفسيرية (Explicative) التي يؤديها "التعريف المعجمي" والوظيفة البنائية (Constructive) التي يقوم بها "التعريف المصطلحي"، ذلك أن "التعريف المعجمي" يهتم بإبراز معنى "الكلمة" وكيفيات استعمالها في سياقات لغوية محددة، ويركز "التعريف المصطلحي" على رصد ماهيات المفهوم الذي يعينه المصطلح.

بيان ذلك تعريف لفظة "مجرّد" في مستوياتها المعجمية العامة والخاصة:

ف"مجرد": ما يُدْرك بالذِّهن دون الحواسّ[(٣)].

---

(١) Lainé, C , et autres (١٩٩٢) , La phraséologie : Nouvelle dimension de la recherche terminologique, , p :٩, in : L'actualité terminologique, Vol ٢٥, n°٣, Canada.

(٢) La définition terminologique, De Bessé, B, p : ٢٥٦.

(٣) المعجم الوسيط، مادة "مجرّد".

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وتكتسب هذه الوحدة المعجمية دلالات أخرى من خلال استعمالها في سياقات مختلفة، من ذلك:

- وَجَدَهُ مُجَرَّداً مِنْ ثِيَابِهِ: عَارِيا.
- مُجَرَّدٌ مِنْ كُلِّ حُقُوقِهِ: الَّذِي انْتُزِعَتْ مِنْهُ حُقُوقُهُ.
- حَدَّثَ فِي الْمُجَرَّدِ : فِي الْمُطْلَقِ.
- مُجَرَّدٌ عَنِ الأَفْكَارِ الْمُسْبَقَةِ: مُحَرَّرٌ، بَعِيدٌ عَنْهَا. : مُجَرَّدُونَ عَنْ كُلِّ غَايَةٍ.
- مُجَرَّدَ وُصُولِهِ أَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ: وَقْتَ وُصُولِهِ فَقَطْ، عَلَى إِثْرِ.:- كَانَ مُجَرَّدُ وُجُودِهِ فِي البَيْتِ صَاحِياً أَوْ نَائِماً كَفِيلاً بِبَثِّ السَّلاَمِ.
- سَيْفٌ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ: مَسْلُولٌ.
- شَاهَدَهُ مِنْ بَعِيدٍ بِالعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ: بِالبَصَرِ وَحْدَهُ، دُونَ الاسْتِعَانَةِ بِمِنْظَارٍ أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ[(١)].

أما ورود اللفظ مصطلحا ضمن قائمة مصطلحات علوم اللغة فإن المراد منه:

"الألفاظ التي كل حروفها أصلية، بحيث إذا سقط حرف منها يتغيّر معناها أو يختلّ، وهي إما ثلاثية نحو: كتبَ، لوّحَ، أو رباعية، نحو: دحْرجَ، جعفرُ، أو خماسية: نحو: سفرْجلٌ"[(٢)].

نستخلص من مجمل هاته التعريفات أنّ التمايز بين الدلالات اللغوية والدلالات الاصطلاحية للوحدة المعجمية هو تمايز تداولي بالأساس، لأن الجمهور الذي يعتني بالدلالات اللغوية العامة للفظة "مجرد" غير الجمهور الذي يوظف ذات اللفظة في قطاع من القطاعات المعرفية كالفيزياء مثلا أو علوم اللغة.

وقد حدّد المصطلحي "ساجر" (Sager) معيار "السياق" كمؤشر لهذا التمايز التداولي، فارتباط اللفظة في دلالاتها المعجمية العامة بالسياق أكثر من ارتباط المصطلح العلمي بهذا المعيار، ولا يُلجأ إلى هذا العنصر [السياق] باللغات الخاصة سوى في حالات الاشتراك اللفظي (Polysémie) (أو بالأحرى الاشتراك الاصطلاحي)، للتمييز بين "الاتصال" في التصوف والحديث والمنطق والفلسفة والتنجيم [كما سبقت الإشارة إلى ذلك في تعريف "التهانوي"]،

---

(١) عبد الغني أبو العزم/ معجم الغني، من الشابكة على الموقع:
/ http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

(٢) إميل يعقوب (١٩٨٧)، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ص: ٣٤٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والفصل بين "الوصل" في "النحو"، وفي "الفيزياء"، وفي "الاتصالات" على سبيل المثال[(١)].

إنّ ما يدعو إلى الاستغناء عن التعريف الموسوعي بالمعجم التاريخي أن هذا النمط التعريفي عبارة عن تلخيص موسّع للمعارف المرتبطة بمفهوم مصطلح محدّد، كما يتبين من تحديد مفهوم "اشتقاق" [المدرج بملاحق البحث]

والواقع أنه من الصعب تقيّد بناة المعجم التاريخي بصيغة مسكوكة من صيغ التعريف، ذلك أن من المفاهيم ما يستلزم "تعريفا وظيفيا" (Définition fonctionnelle)، ومنها ما يتطلب "تعريفا يستند إلى جرد الخاصيات" (Définition par liste des propriétés)، بناء على اختلاف طبيعة المفاهيم، وتباين الأهداف المتوخاة من بناء المعجم التاريخي (بين نشدان تبسيط للمعرفة، أو تقديم أكبر قدر من المعلومات بما فيها المتخصصة الموجهة إلى جمهور أهل الاختصاص أو من في حكمهم)، ما يثبت صعوبة الجزم بوجود مفاهيم ثابتة كما تفترض المدرسة النمساوية في المصطلحية[(٢)].

ونشير بهذا الصدد إلى نجاعة إدراج مضامين مبسّطة تحاكي بساطة "الخطاب العلمي الميسّر" بتعريف المدخل المصطلحي للمعجم التاريخي للغة العربية.

تختزل تسمية "الخطاب العلمي الميسّر" تنوّع أشكال هذا الخطاب، وتشير إلى أبعاده التربوية، ووظيفته الأساسية التي تتمثل في تعميم المعرفة العلمية من خلال صوغها صوغا جديدا يمكّن غير المختصّين من إدراك مغاليقها. إن عملية التيسير عبارة عن ترجمة للخطاب الأصلي الذي يمثل "الخطاب العلمي الأساس"[(٣)] الذي أنتجه الباحثون في صيغة خطاب ثان يتلاءم مع طبيعة المتلقي الذي يتوجّه إليه.

تربط عملية الصوغ الجديد في تحرير نموذج التعريف ب"متع"[(٤)] (وهو شكل من أشكال

---

(١) Sager , J. C. (١٩٩٠): A pratical Course in Terminology Processing, , ٢١, p.٤٠ ; John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, ١٩٩٠.

(٢) تراجع تفصيلات هذا التصور في:

FELBER Helmut (١٩٨٤): Manuel de terminologie ; Centre International d'information pour la terminologie, (INFOTERM) Autriche; PARIS ١٩٨٧.

Kandelaki, T. L. (١٩٨١): Les sens des termes et les systèmes de sens des terminologies, p.١٣٦.

Rondeau Guy & felber helmut (réd), ١٩٨١, Textes choisis de terminologie. Vol. I : Fondements théoriques de la terminologie, GIRSTERM, Québec, pp.١٣٣- ١٨٤.

(٣) Daniel Jacobi: La Communication Scientifique, Discours, Figures, Modèles, PUG Grenoble ١٩٩٩, p.١٢٩.

(٤) اختزال لعبارة : "المعجم التاريخي للغة العربية"، وهو اختزال استحدثه الباحث محمد رشاد الحمزاوي في ندوة تونس ١٩٨٩ عن المعجم التاريخي العربي.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الخطاب العلمي الميسّر) بين نسقين معرفيين، كما تقيم الصلة بين نسقين لسانيين، وذلك على النحو الآتي:

- نسق المعارف المتخصصة المندرجة في إطار مجال محدد معبّر عنه بالمصطلحات.
- نسق المعارف العامة معبّر عنه بكلمات اللغة العامة.

ليتأكّد أن صيغةَ التعريف بالمعجم التاريخي (شأنها شأن الخطاب العلمي الميسّر) وحدةٌ غير متجانسة تتنوّع أشكالها التفسيرية بالنظر إلى المتطلبات الخطابية.

إن درجة أهمية المصطلح داخل النص هي التي تتحكم في طبيعة تعريفه (من حيث الطول والقصر)، فغالبا ما تطلبت المصطلحات المفاتيح فصولا أو فقرات متعددة، لأن عملية تفسيرها تأخذ طابعا موسوعيا آخذة بعين الاعتبار الهدف من التصنيف ونوع القراء الذين يتوجه إليهم النصّ، وغالبا ما تكون بنيته مركّبة بحيث يضمّ عمليات صوغ جديدة متعدّدة، كما تُلحق به بعض العناصر الإخبارية، يُمكن أن يُستهلّ نصّ من هذا النوع بتفسير عام للمفهوم، لتتلوه بعدئذ معلومات أخرى بحسب الموضوع والهدف المتوخى.

من أمثلة التعريفات الشبه- موسوعية في "قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية": تعريف مصطلح "الحذف" بعرض دلالاته في مجالات معرفية ثلاثة تندرج جميعها ضمن علوم اللغة:

"**الحذف:**

- في علم العروض: هو حذف السبب الخفيف من التفعيلة، فتصير به "فعولن": "فعو"، فتُنقل إلى "فعَلْ".
- في الإملاء: يحيل المصنف في هذا الصدد إلى تعريفات: "حذف أحرف العلة"، "حذف الألف"، "حذف همزة الوصل"، "حذف الواو"، "حذف الياء" (élision)(elision).
- في علم البلاغة: هو صورة بناء تقضي بإضمار دالّ أو عدة دالّات على المحور النظمي، ويلجأ المتلقي لتعويض النقص وفهم المرسلة اللغوية، بطريقة عفوية أو إرادية، إلى كفايته اللغوية، وإلى سياق الكلام، وإلى معطيات موقف التكلّم وشروطه.

وبذلك يمكن أن يكون الحذف صورة بناء لغوي تلقائي، أو استعمالا أسلوبيا بلاغيا، أو الاثنين معا.

هذا ويشمل الحذف كل العناصر اللغوية في التكلم، من الصوت إلى العبارة، مرورا بالاسم (الفعل، الصفة، الفاعل إلخ) (ellipse) (ellipsis) "[(١)].

---

(١) قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ص: ١٨٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

أنماط التعريفات بالمعاجم العامة والخاصة:

نقدم فيما يلي أمثلة عن أنماط التعريفات الأكثر تداولا بالمعاجم والقواميس العامة والخاصة:

التعريف المستخلص من المعجم اللغوي:

الاشتقاق (في علوم العربية): صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف"[(١)].

الاشتقاق:

- علم يبحث في توالد الكلمات صعودًا من وضعها الحاضر إلى أبعد وضع لها معروف وهو ثلاثة أنواع: صغير وكبير وأكبر.
- علم في قواعد اللغة مؤسّس على علمَي الأصوات والمعاني"[(٢)].

تبيّن من هذين التعريفين اختلاف التعريفات بالمعاجم اللغوية ذاتها، ذلك أن بناة المعجم الوسيط اقتصروا على وظيفة الاشتقاق "التوليدية"، بينما جمع مصنفو المعجم الثاني بين الوظيفتين التاريخية (Etymologie) والتوليدية (Dérivation)، فكيف عُرِّف المفهوم في المعاجم الاصطلاحية؟

التعريف المستخلص من المعاجم الاصطلاحية:

بانتقالنا من المعاجم العامة إلى المعاجم الخاصة بعلوم اللغة نصادف تعريفا مبسّطا لمفهوم "اشتقاق" يستثمر كتابات السلف في هذا المضمار، من ذلك:

"الاشتقاق (Dérivation /derivation) هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة، نحو: اشتقاق كلمة "كاتب" من "كتب" وكلمة "مطبعة" من "طبع"، و"تبنّى" من "ابن" و"فارس" من "فرس"، وهو أربعة أنواع: الاشتقاق الصغير أو الأصغر، الاشتقاق الكبير أو القلب اللغوي، الاشتقاق الأكبر أو الإبدال اللغوي، الاشتقاق الكُبّار أو النحت"[(٣)].

يُلاحظ أن تبسيطية هذا التعريف لم تتسع لتفسح المجال للحديث عن وظيفتي "الاشتقاق" المحال عليهما أعلاه.

---

(١) المعجم الوسيط، ص:٥١٥.

(٢) أحمد مختار عمر (وآخرون)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨، انظر: مدخل "ش ق ق" رقم: ٢٨٦٣، ص: ١٢٢٣.

(٣) إميل يعقوب، قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية، ١٩٨٧، ص: ٥٥، وقد أحال المصنف إلى كل نوع من أنواع الاشتقاق في موضعه بالقاموس.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

سنعاين بتوجهنا نحو المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات (المصنفة بالعالم العربي) أنها لا تعير اهتماما للمفاهيم اللسانية العربية، بحكم انطلاق معظمها من اللغة الأجنبية (فرنسية أو انجليزية)، مثال ذلك تعريف "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات" (إنجليزي فرنسي عربي) مصطلح "Dérivation"/"Derivation" على النحو الآتي:

"اشتقاق: سيرورة تكوين الوحدات المعجمية، بالمعنى العام، وتتسم هذه الوحدات بأنها جديدة تغني الرصيد المفرداتي للغة.

في النحو التوليدي، إجراء تولد بواسطته قواعد أساس مختلف الجمل انطلاقا من العنصر الأصلي مسندة إياها وصفا بنيويا بطريقة تتيح انطباق القواعد بشكل متتال إلى أن تصل إلى الاشتقاق النهائي المفضي إلى البنية أو المتولية النهائية"[(١)] .

وهو نفس المعجم الذي عرّف مصطلح "Etymologie"/"Etymology" على النحو الآتي:

"أثالة: علم يبحث عن العلاقات التي تربط كلمة بوحدة قديمة جدا تعدّ هي الأصل، بالمعنى القديم، هي البحث عن المعنى الأصلي والأولي للكلمة.

بالمعنى الحديث هي التخصص الذي ينشغل بتفسير تطور الكلمات من خلال الاشتقاقات المختلفة عبر التاريخ"[(٢)] .

يتمثل أهمّ مأخذ على تعريف المعجم الموحد: إهمال الإشارة إلى تصور اللغويين العرب القدامى الذين جمعوا في تعريف "اشتقاق" بين الوظيفتين التوليدية والتاريخية، بدليل استخدام مصطلح "أثالة" في المعجم الموحد للتعبير عن الوظيفة الثانية، الثاوية بمفهوم "Etymologie"/"Etymology"، وبدليل إلحاق العلمية لهذا المفهوم وتجريد هذه الصفة عن مفهوم " Dérivation" /" Derivation".

فلننظر في طبيعة التعريف الموسوعي للمفهوم نفسه، للتحقق من مدى إمكانية استثماره في صوغ تعريف هذا المدخل بالمعجم التاريخي المنشود:

التعريف الموسوعي لمفهوم "الاشتقاق":

تطرّق مصنف "موسوعة اللغة العربية" في تعريف هذا المفهوم إلى العناصر التالية:

- تعريفات المعاجم العامة التراثية (الجوهري، ابن منظور، الفيروزآبادي، الزبيدي) والحديثة (البستاني)

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب)، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، الطبعة الثانية: ٢٠٠٢، مدخل رقم ٤٧٩، ص: ٤٣.

(٢) نفس المرجع، مدخل ٥٩٣، ص: ٥٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- دلالات المفهوم الاصطلاحية (وهي واردة في بحث "فؤاد ترزي")[(١)].
- كلام "التهانوي" عن شروط الاشتقاق (اقتضاء الأصل، المناسبة في الحروف، المناسبة في المعنى).
- أنواع الاشتقاق.
- أهم التآليف القديمة والحديثة المصنفة في موضوع الاشتقاق
- مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة التي تخص الموضوع
- قائمة بالمصادر والمراجع للاستزادة[(٢)].

غير أننا نشير إلى أن موسوعية هذا التعريف (الذي يحتلّ أزيد من خمس صفحات ويتضمَّن عشرات الإحالات) لا تجعل منه تعريفا جامعا مانعا بما أن المصنف لم يلتفت إلى الزاويتين التي ينظر من خلالهما إلى موضوع الاشتقاق (الزاوية التاريخية والزاوية التوليدية)، وهو الأمر الذي يزكّي اعتبار التعريف الموسوعي تلخيصا للمعارف المرتبطة بمفهوم ما، ويدفع المهتمّ إلى البحث عن المبتغى في البحوث العلمية المتصلة بمفهوم "الاشتقاق"، وقد سبق أن بحثنا في هذا الموضوع وميزنا بين الزاويتين بحيث أطلقنا على الاشتقاق في شقه الإيتيمولوجي (Etymologie) مصطلح: (الاشتقاق التاريخي) وعلى الاشتقاق في شقه التوليدي (Dérivation) مصطلح: "الاشتقاق القياسي"[(٣)].

من المرجح أن المعجم التاريخي للغة العربية لن يقبل سوى صيغة تستثمر التعريفين اللغوي والمصطلحي (في حالة تحوّل الكلمة العامة إلى مصطلح خاص أو العكس في بعض الحالات النادرة) ولن يتجاوز التعريفين ليقحم التعريف الموسوعي (بجميع مكوناته) بالنظر إلى القيود الكمية والزمنية التي تتحكم في عملية إنجاز هذا النوع من التعريفات. ويبدو أنه من الضروري استثمار ما تتضح نجاعته من مضمون التعريف الموسوعي في تحرير تعريف المصطلح بالمعجم التاريخي، من ذلك الإشارات المبثوثة بالتعريف الموسوعي الدالة على التاريخ المحدد أو التقريبي لاستعمال المصطلح [ولاندثاره] كما يتبين من التعريف الموسوعي لمفهوم الاشتقاق [المدرج بملاحق هذا البحث]، كما تأكّد أن لا غنى لبناة المعجم التاريخي للغة العربية عن البحوث العلمية المتخصصة التي بإمكانها مدّ يد العون في استكشاف

(١) فؤاد حنا ترزي، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٥.
(٢) لقد أدرجنا هذا التعريف الموسوعي بملاحق البحث.
(٣) انظر خالد اليعبودي (١٩٩٥)، محاولة جديدة لفهم الاشتقاق والصرف العربيين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بكلية الآداب ظهر المهراز، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أغوار المصطلح وإبراز شبكته الدلالية في ارتباطه بما يحيط به من ضمائم وما يتفرّع عنه من مشتقات.

ففيما يرتبط بتعريف مفهوم الاشتقاق انطلاقا من المدوّنة، تبيّن أن التعريفات الواردة بالمعاجم اللغوية والاصطلاحية لا تشفي الغليل، كما أن التعريف الموسوعي ركّز على استحضار النصوص التراثية دون ربط المفهوم بالموضوعات التي تتصل به اتصالا وثيقا[(١)].

إن الأفكارَ التي قدّمها المستشرق الهولندي "دوزي"(Dozy) عن المحطات الرئيسة الواجب إنجازها كلبنات أساسية نحو وضع معجم تاريخي للغة العربية شديدةُ الأهمية[(٢)]، وتتلخص:

- في إنجاز حواش معجمية ومسارد لغوية عبارة عن تكملات ومستدركات على المعاجم العربية.
- وجمع الألفاظ المنتمية إلى مجال بعينه أو حقل معرفي بالتحديد.
- وتدوين لغة عصر محدد، أو لغة مصر من الأمصار[(٣)]. (ويقصد "دوزي" بلغة مصر من الأمصار: اللهجات العربية).

والراجح أن غالبية الدارسين العرب لم يدركوا طوال القرن الماضي أهمية هاته الإشارات لولا نشأة تخصص حديث يندرج ضمن اللسانيات، يتعلق الأمر ب "لسانيات المدوّنة" (Linguistique du corpus)، التي استفادت حتما من تطور المعلوميات وبروز "اللسانيات الحاسوبية" (Linguistique computationnelle).

---

(١) سبق أن أشرنا في البحث المشار إليه أعلاه أنّ تعريف "عبيد الله خان" (ت٩٧٦ هـ) في كتابه: "الفوائد الخاقانية" يشمل الزاويتين معا، ويقابلان الناحيتين العملية والعلمية. يقول في هذا الإطار: "إن الاشتقاق يؤخذ تارة باعتبار العلم وتارة باعتبار العمل، وتحقيقه: أنّ الضارب مثلا يوافق الضرب في الحروف الأصول والمعنى، بناء على أن الواضع عيّن بإزاء المعنى حروفا، وفرّع منها ألفاظا كثيرة بإزاء المعاني المتفرّعة على ما تقتضيه رعاية التناسب، فالاشتقاق هو هذا التفريع والأخذ، فتحديده بحسب العلم بهذا التفريع الصادر عن الوضع: وهو أن تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب، فتعرف ردّ أحدهما إلى الآخر وأخذه منه، وإن اعتبرناه من حيث احتياج أحد إلى عمله عرفناه باعتبار العمل، فنقول: هو أن تأخذ من أصل فرعا يوافقه في الحروف الأصول وتجعله دالا على معنى يوافق معناه (...)" عن: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة الثالثة، القاهرة، طهران ١٩٧٤، ج١، ص ص: ١٠١-١٠٢. فالناحية العلمية ترتبط بالتأثيل، والناحية العملية تتصل بالتوليد.

(٢) وهي بالنظر إلى أهميتها تخفف من غلواء هذا الرجل الذي طالما تحامل على الإسلام في الكثير من أحكامه المبثوثة بمجموعة من أعماله، انظر: خالد اليعبودي (٢٠١٢)، تاريخ الأندلس في مرآة الاستشراق الإسباني بين العلمية والضدية (الموضوعية والنرجسية)، مداخلة بمؤتمر: الاستشراق والحوار بين الثقافات، يومي ٣٠-٣١ مارس ٢٠١١، كلية العلوم الاجتماعية، تلمسان، الجزائر، نشر البحث بمجلة "الإنسان والمجتمع" العدد الأول، ٢٠١٢.

(٣) Dozi (Reinhart) ; Supplément aux dictionnaires arabes ; ٣ ème Edition ; Paris ; Leyde ; ١٩٦٧ ; ٣ volumes
انظر مقدمة الجزء الأول.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

غني عن الذكر أن تعريف المصطلحات الفائزة برخصة الإدراج بمتن "متع" لا يلزم استخلاصها من كتب المتخصصين نظرا لدقة هذه التعريفات وموسوعيتها، وإنما الأنسب أن تستخلص من مدوّنات تتكون من نصوص الصحف والمجلات والكتابات المدرسية المبسّطة في مضامينها، كما لا يُستحسن العودة إلى المعاجم العامة لهذا الغرض إلا على سبيل الاستئناس للاطلاع على طبيعة تعريف المصطلح بكل معجم من المعاجم بحسب نهج المصنف في حالة اهتمامه بتدوين المصطلح.

خصائص مدوّنة المعجم التاريخي للغة العربية:

يُجمع الدارسون لقضايا المعجم أن استخلاص مداخل المعجم من مدونة موضوعة لهذا الغرض أمر في غاية الأهمية. فما المُراد من هذا المفهوم؟ وأين تكمن أهميته؟

لا يقتصر بناء المدوّنة على الجمع فقط، وإنما تعقب مرحلة الجمع عمليات التصنيف والتحليل، ف"المدونة – من وجهة نظر " هارتمان" و"ستورك" (Hartmann & Stork)- بيانات لغوية غير منظمة جُمعت من خلال بحث ميداني، أو من خلال نصوص مكتوبة، ويقوم اللغوي بتحليل هذه البيانات بغرض استخلاص معطيات تخصّ السمات الوظيفية والخطية-الكتابية والنحوية والمعجمية للغة من اللغات"[(١)].

نشير بصدد هذا الموضوع إلى فائدة اشتمال مدوّنة المعجم التاريخي للغة العربية على مكتوبات المصنفات القديمة والحديثة في شتى التخصصات المعرفية (وذلك في أفق فرز المُدوِّن أجدر المصطلحات بالإدراج بناء على معيار درجات الاصطلاحية المشار إليه أعلاه).

ولا نرى الحاجة ماسة أن تشمل المدوّنة المنشودة النصوص المترجمة عن لغات أجنبية، ما عدا إذا تضمّنت هذه الترجمات ألفاظا ومصطلحات غدتْ متداولة باللغة العامة.

كما لا حاجة لاستخلاص الألفاظ والمصطلحات الدخيلة من متن المدوّنة، ولو كانت متداولة بين الناس ومدرجة بصفحات الإعلام، مثال ذلك: لفظ "طاكسي" المتداول باللغة العامة، ومصطلح "براكماتيك" السائر على ألسنة أنصار التهويل من أهل الاختصاص في المجالين اللساني والاقتصادي، ذلك أن مواد المعجم التاريخي يلزم أن تعكس أصالة العربية، وقدرتها على توليد المفردات العامة والمصطلحات للتعبير عن مجريات الحياة العامة وعن المفاهيم المستحدثة، فللفظ "طاكسي" مركب متداول باللغة العربية العامة: "سيارة أجرة"، كما أن مصطلح "براكماتيك" يتوفر على بديل متداول بمجال اللسانيات: "تداولية"، وبمجال الاقتصاد: "نفعية" أو "ذرائعية".

---

(١) Hartmann R. R. K. & Stork F. C.: Dictionary of Language and Linguistics (London; Applied Science Publischers ١٩٧٢; p.٥٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أما إذا كان المصطلح الدخيل متداولا باللغة العربية غير القطاعية، فلا مانع من استخلاصه من متن (أو متون) المدوّنة، ليشكّل مدخلا من مداخل "متع"، مثال ذلك لفظ "درهم" المأخوذ عن الفارسية قديما، ومصطلح "هيدروجين" المتداول حديثا والمأخوذ عن اللغات الغربية، لا سيما إذا خضع لقوانين اللغة العربية الصوتية والصرفية، فانتقل بهذا التصرّف من وضع "الدخيل" إلى وضع "المعرّب"[(١)].

ومن الدلائل التي تكشف عن ضرورة استبعاد مضامين المعاجم العامة والخاصة من مدوّنة "متع" أن وجود المدخل (كلمة كانت أو اصطلاحا) بمعجم من المعاجم (أو قاموس من القواميس) المصنفة قديما وحديثا دون غيره من المعاجم (أو من القواميس) ليس دليلا كافيا على تاريخ استعمال ذلك اللفظ أو ذلك المصطلح، ذلك أنّ مصنفي هذه المتون لم يهتموا برصد المولّدات زمن تولّدها واستعمالها، وإنما الغالب في هذه المتون تميّزها بالمعيارية، لا تدرج اللفظ (بمعناه العام ثم الخاص) إلا بعد زمن غير يسير من التداول، ولا يشكل نهج مصنفي المعجم الوسيط استثناء في هذا الموضوع.

من البدهيّ الإشارة إلى أنْ لا مكان للمدوّنة التقليدية (المنجزة يدويا) في بلورة مشروع "متع"، بل لا مناصّ من الاعتماد على مدوّنات محوسبة (رقمية)، وقد تيسّر هذا الأمر بقدرة الحاسوب على جمع قدر كبير من النصوص وتصنيفها بهدف استثمارها، سيما وأنّ مكتبات رقمية تضمّ آلاف المصنفات أصبحت متوفرة على الشابكة ومن الممكن إدراجها بالمدوّنة بعد مراجعتها للتحقق من عدم وجود أخطاء بها ارتكِبت لحظة رقنها[(٢)].

والمرجّح أنّ استقصاء عدد المصطلحات المتواجدة بعشرين مدونة تضمّ أزيد من مليارين ونصف مليار كلمة[(٣)] سيُمكّننا حتما من تقديم المزيد من الأدلة التي تؤكد محورية المصطلحات في أي عمل معجمي بما فيه "متع" المنشود.

---

(١) ورد بمقدمة "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" أن "الكلمة العربية أولى من الكلمة الأجنبية إذا كانت الكلمة الأجنبية يمكن الاستغناء عنها بالكلمة العربية (..) والمصطلح الأجنبي [في حالة عدم توفر مقابله بالعربية] المتمشى مع قواعد الصوت العربي والوزن الصرفي العربي أولى بالأخذ من ذلك المصطلح الذي يختلف مع نواميس العربية وأصواتها وأوزانها" (مجمع اللغة العربية الأردني، معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن – بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة ٢٠٠٦- المقدمة).

(٢) انظر أهمية المدوّنة في التصنيف المُعجمي والقاموسي في: خالد اليعبودي، المصطلحات اللسانية المعربة في المجال المعجمي، مقاربة نحو التأصيل، مداخلة بندوة "المعاجم اللسانية المعربة"، ١٦-١٧ نوفمبر ٢٠١١، نُشر في كتاب جماعي: "المعجمية العربية: القضايا والآفاق"، تنسيق منتصر أمين عبد الرحيم، حافيظ اسماعيلي علوي، الجزء الأول، دار كنوز المعرفة العلمية، ٢٠١٤.

(٣) تراجَع قائمة هاته المدوّنات بالموقع الإلكتروني:
http://www.comp.leeds.ac.uk/latifa/ArabicCorpusBasedStudies.htm.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

وإنْ ثبتت أهمية الحاسوب في عمليات الجمع والتصنيف وإعادة الترتيب فإن دور هذه الآلة يتقلص في مرحلة ضبط الكلمات وشكلها (بتزويدها بعلامات الترقيم اللازمة) لأن البرامج الحاسوبية المصممة لهذا الغرض عاجزة عن القيام بهذا العمل بالشكل الأمثل دون تدخل الإنسان [على غرار ما نعاينه بالترجمة الآلية].

بيْد أن "متع" في حاجة ماسة إلى مدوّنتين اثنتين:

- مدوّنة محدّدة زمنيا: تسجّل النصوص العربية ابتداء من تاريخ محدد (قبل القرن الرابع الهجري على سبيل المثال) وانتهاء بعصر محدد (كنهاية القرن العشرين مثلا)، إنها المدوّنة الأساس التي يستند إليها بُناة هذا المشروع الكبير.
- مدوّنة مفتوحة: ترصد من حين لآخر المستجدّات الطارئة برصيد اللغة العربية وأساليبها، وتمثّل مخزونا معرفيا قابلا للاستثمار في مراحل لاحقة من استكمال "متع".

ونشير إلى أن كلا من المدوّنتين يخضع للتحيين لعدم وجود بحث منته.

على سبيل الختم:

تبيّنت أهمية المصطلح في مشروع بناء المعجم التاريخي للغة العربية، إذ تشكل الوحدة المصطلحية جزءا لا يتجزأ من وحدات اللغة، غير أن عرض مضامين هذه الوحدات المصطلحية يرد في منزلة بين المنزلتين بالمعجم التاريخي من حيث درجات شموليته، تنأى عن تبسيطية المعجم العام واختزاليته، وتنبذ التفاصيل العلمية الكثيرة التي تتصل به في حالة وروده بالموسوعة، هاته المعاجم الموسوعية التي لا تغني عن الاستزادة من الدراسات العلمية المتخصصة (كما توضّح في عرض مضامين مفهوم "الاشتقاق")، كما توضّحت أيضا مكانة الاصطلاحات المستحدثة المتصلة بقطاعات الحياة العامة (ما سمي بألفاظ الحضارة) وأهمية إدراجها بمتن المعجم التاريخي، غير أنه لا يجب الاقتصار على مقدمات المعاجم (مقدمة المعجم التاريخي) للحسم في مبادئ الوضع بها ومواقف المصنفين من استحضارها بمتن المشروع المنشود؛ إنما يلزم القيام بدراسات لسانية تقوم على الجرد والإحصاء للتأكد من مدى تطبيق هذه المبادئ بمتن المعجم الذي سيقدم خدمات كبرى للغة القرآن الكريم في مستوياتها العامة والخاصة المتصلة بالعلوم والفنون والتقنيات[(١)].

---

(١) من ذلك تصريح بُناة "المعجم الوسيط" بمقدمة الطبعة الأولى من المعجم القاهري أنهم قاموا بتسجيل "المولدات" (Les néologismes) بمتن المعجم لضرورتها في الحياة العامة وكثرة تداولها بين أوساط المتكلمين، فخالفوا نهج مصنفي المعاجم القديمة والحديثة التي "تصوّنت عن إثبات ما وضع المولدون والمحدثون في الأقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب" (المجمع اللغوي بالقاهرة، المعجم الوسيط، طبعة ١٩٧٢، ص:١٢).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ملاحق البحث

جدول "أ" :

نسب توزيع المصطلحات بحسب الحقول المعرفية في معجم اللغة العربية المعاصرة لـ"أحمد مختار عمر" وآخرين:

عدد المصطلحات	الحقل المعرفي المنتمية إليه	النسبة المئوية
١٠٢٧	الطب	%١٠.٢٧
٨٦٠	النبات	%٨.٦٠
٧١٤	مشترك	%٧.١٤
٦٣٩	حيوان	%٦.٣٩
٦١٦	كيمياء وصيدلة	%٦.١٦
٥٧٨	طبيعة وفيزياء	%٥.٧٨
٤٧٤	قانون	%٤.٧٤
٤٦٦	فلسفة، تصوف	%٤.٦٦
٤٢٦	تشريح	%٤.٢٦
٣٦٤	أحياء	%٣.٦٤
٣٤١	اقتصاد	%٣.٤١
٣٣٩	علوم النفس	%٣.٣٩
٣٣٠	نحو وصرف	%٣.٣٠
٢٣٣	علوم لغة	%٢.٣٣
٢٢٦	بيئة وجيولوجيا	%٢.٢٦
٢١٤	فقه	%٢.١٤
٢١٣	سياسة	%٢.١٣
٢٠٠	آداب	%٢
١٨٥	علوم عسكرية	%١.٨٥
١٧٩	هندسة	%١.٧٩
١٧٠	فلك	%١.٧٠
١٦٤	رياضة، تربية بدنية	%١.٦٤

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

عدد المصطلحات	الحقل المعرفي المنتمية إليه	النسبة المئوية
١٦٠	ثقافة وفنون	%١.٦٠
١٦٠	جبر وإحصاء	%١.٦٠
١٤١	موسيقى	%١.٤١
١٢٧	عروض	%١.٢٧
١٢٣	بلاغة	%١.٢٣
١٢٢	جغرافيا	%١.٢٢
٩٤	حاسبات، معلوميات	%٠.٩٤
٩٠	تجارة	%٠.٩٠
٧٧	علوم الاجتماع	%٠.٧٧
٧١	ديانات	%٠.٧١
٧٠	زراعة	%٠.٧٠
٥٤	حديث	%٠.٥٤
٢٧	تجويد	%٠.٢٧
٩٩٩٥	المجموع	%١٠٠

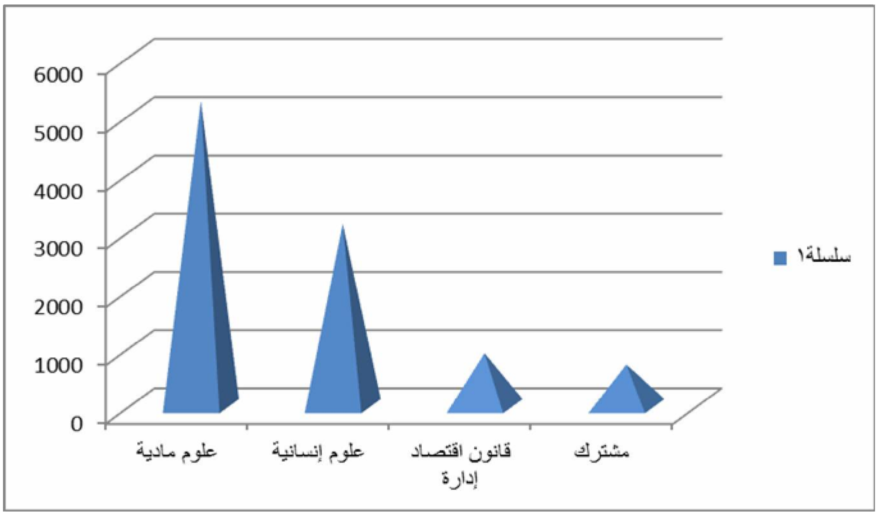

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

جدول "ب": نسب توزيع المصطلحات المجمعية بالمعجم الوسيط بحسب الحقول المعرفية

عدد الألفاظ المجمعية	الحقل المعرفي التي تنتمي إليه	النسبة المئوية من مجموع الألفاظ المجمعية
١١٤	طب وصيدلة	%٩.١٢
١١٠	المشترك بين مجالين أو مجالات متعددة	%٨,٨
١٠٩	ألفاظ دالة على الأمراض	%٨.٧٢
١٠٣	كيمياء وفيزياء	%٨.٢٤
٨٦	صناعات ومهن وأسماء آلات	%٦.٨٨
٧٢	اقتصاد وتجارة	%٥.٧٦
٦٥	فلسفة	%٥.٢
٦٠	جغرافيا وجيولوجيا وعمران	%٤.٨
٥٨	قانون وتشريع	%٤.٦٤
٥٧	أحياء وأسماء حيوان	%٤.٥٦
٥٦	فنون (رسم تصوير مسرح موسيقى)	%٤.٤٨
٤٩	نبات	%٣.٩٢
٤٢	هندسة وبناء	%٣.٣٦
٣٣	سياسة	%٢.٦٤
٢٩	معادن ووقود	%٢.٣٢
٢٨	تربية وعلم نفس	%٢.٢٤
٢١	أطعمة	%١.٦٨
٢٠	رياضيات	%١.٦
١٧	فلاحة وزراعة	%١.٣٦
١٧	أفعال الحركة	%١.٣٦
١٦	علم اجتماع	%١.٢٨
١٥	إعلام وطباعة	%١,٢
١٤	ألبسة وأفرشة	%١.١٢
١١	الحرب ومعداتها	%٠.٨٨
١١	أواني وأثاث المنزل	%٠.٨٨

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

عدد الألفاظ المجمعية	الحقل المعرفي التي تنتمي إليه	النسبة المئوية من مجموع الألفاظ المجمعية
١٠	أدب ولغة	%٠.٨٠
٠٨	فلك	%٠.٦٤
٠٨	رياضة	%٠.٦٤
٠٧	إدارة	%٠.٥٦
٠٤	نقل	% ٠.٣٢
١٢٥٠	المجموع	%١٠٠

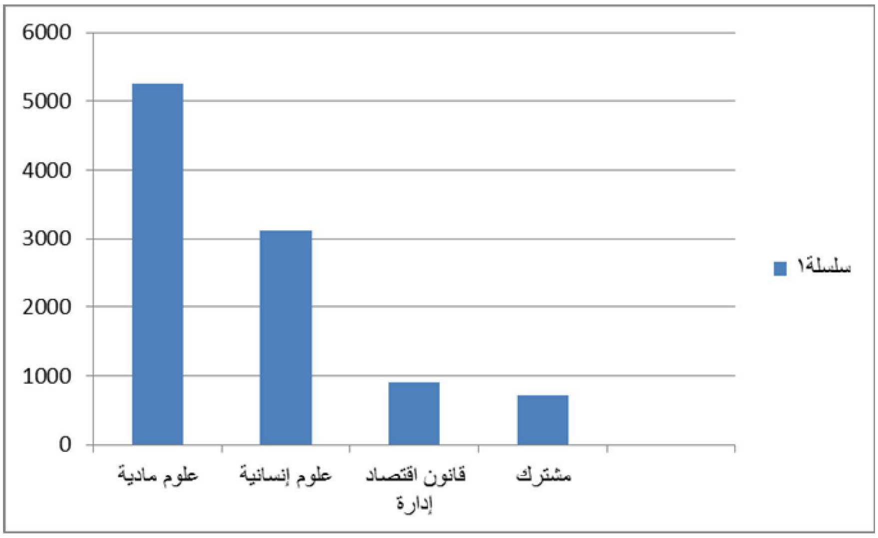

جدول"ج" : نسب الألفاظ المحدثة بالمعجم الوسيط بحسب المجالات المعرفية المنتمية إليها

عدد الألفاظ المحدثة	المجال المعرفي	النسبة المئوية
٥٣	صناعات، مهن أسماء، آلات	%١٠.٢٣
٣٥	إدارة	%٦.٧٥
٣٣	مشترك	%٦.٣٧
٣١	سياسة	%٥.٩٨
٣١	اجتماع	%٥.٩٨
٣٠	أفعال الحركة	%٥.٧٩

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

عدد الألفاظ المحدثة	المجال المعرفي	النسبة المئوية
٣٠	حرب ومعداتها	%٥.٧٩
٢٥	طب، صيدلة، نبات	%٤.٨٢
٢٤	أدب ولغة	%٤.٦٣
٢٤	أطعمة	%٤.٦٣
٢٣	نقل	%٤.٤٠
٢١	إعلام، طباعة	%٤.٠٥
٢٠	قانون	%٣.٨٦
١٨	فلاحة	%٣.٤٧
١٧	اقتصاد	%٣.٢٨
١٧	فلسفة، علم نفس، تربية	%٣.٢٨
١٦	هندسة، بناء	%٣.٠٨
١٤	فنون	%٢.٧٠
١٢	ألبسة	%٢.٣١
٠٩	رياضة	%١.٧٣
٠٨	أثاث المنزل	%١.٥٤
٠٦	جغرافيا	%١.١٥
٠٦	حيوان، أحياء	%١.١٥
٠٥	تجارة	%٠.٩٦
٠٤	فلك	%٠.٧٧
٠٣	فيزياء، كيمياء	%٠.٥٧
٠٢	رياضيات	%٠.٣٤
٠١	وقود	%٠.١٧
٥١٨	المجموع	%١٠٠

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

نسب توزيع المصطلحات المحدثة بالمعجم الوسيط بحسب الحقول المعرفية:

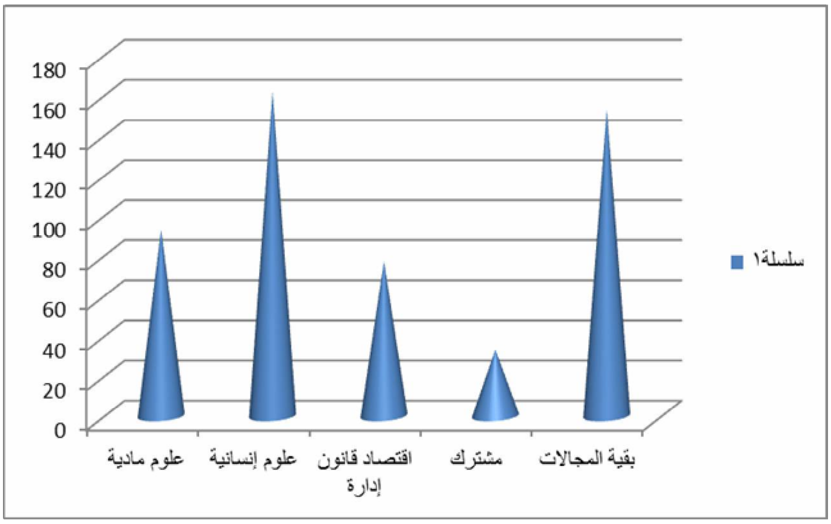

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

التعريف الموسوعي لمفهوم "الاشتقاق"[١]

"الاشتقاق:

١. تعريفه:

الاشتقاق في اللغة هو[٢] "أخذ شق الشيء وهو نصفه، والاشتقاق الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد. واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه". وقد حافظت كل المعاجم اللغوية العربية على هذا المعنى اللغوي، دون أن تغيّر فيه شيئا[٣].

أما في الاصطلاح، فقد أُعطي الاشتقاق تعريفات عدّة[٤]، منها:

- "اقتطاع فرع من أصل، يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل".
- و"أخذ كلمة من أخرى بتغيير ما، مع التناسب في المعنى".
- و"ردّ كلمة إلى أخرى لتناسبهما في اللفظ والمعنى".
- و"نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة"... إلخ.

وقد ذكر التهانوي شروط الاشتقاق واختلاف الناس فيه، فقال: "اعلم أنه لا بدّ في المشتق، اسما كان أو فعلا من أمور:

- أحدها أن يكون له أصل، فإن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان أصلا في الوضع غير مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان أصلا في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقا.
- وثانيها أن يناسب المشتق الأصل في الحروف، إذ الأصالة والفرعية، باعتبار الأخذ، لا تتحققان بدون التناسب بينهما، والمعتبر المناسبة في جميع الحروف الأصلية. فإن الاستسباق من السبق مثلا، يناسب الاستعجال من العجل، في حروفه الزائدة والمعنى، وليس مشتقا منه بل من السبق.
- وثالثها المناسبة في المعنى، سواء لم يتفقا فيه أو اتفقا فيه، وذلك الاتفاق بأن يكون في المشتق معنى الأصل، إما مع زيادة كالضرب فإنه للحدث المخصوص والضارب فإنه لذات ما له ذلك الحدث، وإما بدون زيادة سواء كان هناك نقصان كما في اشتقاق

---

(١) إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، المجلد الثاني: ص ص: ٢١١- ٢٣١ (بتصرّف).

(٢) الجوهري، الصِّحاح، مادة "شقّ".

(٣) انظر: "لسان العرب" و"القاموس المحيط" و"تاج العروس" و"البستان" وغيرها، مادة "شقّ".

(٤) انظر: فؤاد ترزي، الاشتقاق، ص:١٢-١٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الضرب من ضَرَب على مذهب الكوفيين، أو لا بل يتحدان في المعنى كالمقتل مصدر من القتل. والبعض يمنع نقصان أصل المعنى في المشتقّ، وهذا هو المذهب الصحيح. وقال البعض لا بدّ في التناسب من التغاير من وجه، فلا يجعل المقتل مصدرا مشتقا لعدم التغايُر ببين المعنيين، وتعريف الاشتقاق يمكن حمله على جميع هذه المذاهب"[1].

٢. أنواعـه:

كانت دائرة الاشتقاق، حتى النصف الأخير من القرن الرابع الهجري، لا تتعدّى الكلمات المتناسبة في اللفظ والمعنى مع ترتيب الحروف، وهذا ما يُسمّى بالاشتقاق الصغير أو الأصغر. لكن ابن جني أضاف إليه في أواخر القرن الرابع الهجري، بابا آخر يشمل الكلمات المشتقة من تقاليب اللفظة الواحدة، مفترضا أن هذه الكلمات تشترك في معنى عام[2]. كما أن الحاتمي اعتبر إبدال الحروف من الاشتقاق، فأصبحت أنواع الاشتقاق ثلاثة، أضاف إليها أحد المعاصرين[3] نوعا رابعا هو باب النحت، مطلقا عليه اسم "الاشتقاق الكبّار".

٣. كتبـه:

- ألّف جمهرة من العلماء كتبًا في الاشتقاق، ومنهم:
- أبو العبّاس الفضل بن محمد بن عامر الضبّي (ت ١٦٨ هـ)
- أبو علي محمد بن المستنير النحوي المعروف ب"قطرب" (ت ٢٠٦ هـ)
- أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٥هـ)[4]. وللأصمعي أيضا كتاب آخر في الاشتقاق سمّاه "اشتقاق الأسماء"[5].
- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ)
- أبو نصر أحمد بن حاتم الباهليّ، ابن أخت الأصمعي (ت ٢٣١ هـ)
- أبو الوليد عبد الملك بن قطن (ت٢٥٣ هـ)
- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (ت ٢٨٥ هـ)
- أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١٦هـ)

---

(١) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، جمعية البنجال الأسيوية، كلكتة، ١٨٦٢م، ص ٧٦٦. ٧٦٧.

(٢) ابن جني، الخصائص ٢، ١٣٣. ١٣٤.

(٣) هو عبد الله أمين في كتابه "الاشتقاق"، ص:٢.١.

(٤) صدر في بغداد سنة ١٩٦٨ بتحقيق سامي مكي العاني، كما صدر بتحقيق سليمان ظاهر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢٨، ج٣، ١٩٥٣، ص: ٣٥٥ـ ٣٦٤، وج ٤: ص:٥٥٩ـ ٥٧٤، والمجلد ٢٩ ج١، ١٩٥٤، ص:٢٢ـ ٣٥، وج٢، ص:١٨٤. ٢٠٢.

(٥) صدر بتحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي عن مكتبة الخانجي في القاهرة سنة ١٩٨٠ م.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ[١]).
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، ابن النحاس (ت ٣٣٨ هـ)
- أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٧ هـ)
- أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)
- أبو الحسن علي بن عيسى الرياني (ت ٣٨٤ هـ)
- أبو القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي (ت٤١٥ هـ)
- علي بن محمد الخوارزمي (ت٥٦٠ هـ)
- محمد صديق حسن خان بهادر (ت١٣٠٧ هـ) واسم كتابه "العلم الخفاق في علم الاشتقاق"[٢].
- عبد القادر بن مصطفى المغربي (١٣٧٦ هـ)، واسم كتابه "الاشتقاق والتعريب"[٣].
- عبد الله أمين، واسم كتابه "الاشتقاق"[٤].
- فؤاد ترزي، وكتابه "الاشتقاق" أفضل الكتب في بابه[٥].

٤. قرارا المجمع القاهري بشأن الاشتقاق:

من مقرّرات مجمع اللغة العربية في الاشتقاق:

أ. اشتقاق "فَعَل" من العضْو للدلالة على إصابته:

قرّر مجمع اللغة العربية في القاهرة أنّ صيغة "فَعَل" من العضو قياسية في الدلالة على إصابته، نحو: "رأسه"، و"دمغه"، و"جبهه"، و"صدغه"، و"طلحه"، و"كلاه". وقد جاء في قراره:

"كثيرا ما اشتق العرب من اسم العضو فعلا للدلالة على إصابته، وقد نصّ "أبو عبيد" على أن ذلك عامّ فيما يُشكى منه في الجسد، وكذلك نص "ابن مالك" في "التسهيل" على أنه مطرد، وعلى هذا ترى اللجنة قياسيته"[٦].

---

(١) نشره المستشرق "فردناند وستنفلد" (Ferdinand Wustenfeld) في سنة ١٨٥٤، ثمّ حققه عبد السلام هارون، وصدر عن دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

(٢) طبع في مطبعة الجوائب سنة ١٢٩٦هـ.

(٣) طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٨م.

(٤) صدر في القاهرة عن لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨م.

(٥) منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة الأمريكية في بيروت، طبع دار الكتب، بيروت ١٩٦٨م.

(٦) في أصول اللغة ٣٩/١، والعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية، ص: ٣٠٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

ب . الاشتقاق من أسماء الأعيان: قرر المجمع من قبل إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان، للضرورة في لغة العلوم كما أقرّ قواعد للاشتقاق من الجامد.

واللجنة تأسيسا على أن ما اشتقه العرب من أسماء الأعيان كثير كثرة ظاهرة، وأن ما ورد من أمثلته في البحث الذي احتج به المجمع لإجازة الاشتقاق يربى على المائتين، ترى التوسع في هذه الإجازة بجعل الاشتقاق من أسماء الأعيان جائزا من غير تقييد بالضرورة[١] .

ج . الاشتقاق من الجامد العرب والمعرّب:

رأى مجمع اللغة العربية في القاهرة أنّ الاشتقاق يكون بالشروط التالية:

أولا: في الاسم الجامد العربي:

- إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي لازم من الاسم العربي الجامد الثلاثي مجرده ومزيده، فالباب فيه "نصُر"، ويعدّى إذا أريدت تعديته بإحدى وسائل التعدية كالهمزة والتضعيف.
- أما إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي متعدّ، فالباب فيه "ضَرَب".
- في كلا الحالين يُستأنس بما ورد في المعجمات من مشتقات للأسماء العربية الجامدة لتحديد صيغة الفعل، تبعا لما ورد من هذه المشتقات.
- يشتق الفعل من الاسم العربي الجامد غير الثلاثي على ورن "فعْلَل" متعديا، وعلى وزن "تفعْلَل" لازما.
- تؤخذ المشتقات الأخرى من هذه الأفعال على حسب القياس الصرفي.

ثانيا: في الاسم الجامد المعرّب:

- يشتق الفعل من الاسم العربي الجامد غير الثلاثي على وزن "فعْلَل" متعديا، وعلى وزن "تفعْلل" لازما.
- تؤخذ المشتقات الأخرى من هذه الأفعال على حسب القياس الصرفي.
- في جميع هذه المشتقات يقتصر على الحاجة العلمية، ويعرض ما يوضع منه على المجمع للنظر فيه"[٢].

---

(١) في أصول اللغة ٦٩/١.

(٢) أي أصول اللغة ٦٢/١، والعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية، ص: ٣٠٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

للتوسع انظر:

- الاشـتقاق مـن أسـماء الأعيـان: ابـراهيم أنـيس، البحـوث والمحاضـرات (مـؤتمر الـدورة الثلاثين). مجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة ١٩٦٢-١٩٦٣، ص ص: ٢٣٧-٢٤٠.
- بحث في الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم الأفعال من أسماء الأعيان. عبد الله أمين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٤ سنة ١٩٣٧، ص:٣٢٨، ٣٩٣.
- بحث في علم الاشتقاق، عبد الله أمين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ١ سنة ١٩٣٤، ص ص: ٣٨١-٣٩٣.
- بين الاشـتقاق والتعريـب، محمـد بهجـت البيطـار، البحـوث والمحاضـرات، مجمـع اللغـة العربية القاهرة، سنة ١٩٦٠- ١٩٦١، ص ص: ٩١-٩٧.
- جـواز الاشـتقاق مـن الاسـم الجامـد: مـن قـرارات المجمـع، مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة، دمشق، مجلد ٣٨، جزء ٤، سنة ١٩٦٣، ص ص: ٧٠٩-٧١٠.
- سبيل الاشتقاق بين القياس والسماع، الشيخ حسين والي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٢، سنة ١٩٣٥، ص ص: ١٩٥، ٢٢٧.
- قواعد الاشتقاق من الجامد، البحوث والمحاضرات (مؤتمر الدورة الثلاثين). مجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة ١٩٦٢-١٩٦٣، ص ص: ٢٣٣، ٢٣٤.
- وضع قواعد جديدة يُستعان بها في اشتقاق الأفعال من الجامد للضرورة، علي الجارم، البحوث والمحاضرات (مؤتمر الدورة الثلاثين) القاهرة، ص ص: ٢٣٥، ٢٣٦.
- قواعد الاشتقاق من الاسم الجامد (العربي – المعرّب)، مؤتمر الدورة الثلاثين، القاهرة، ٢٥٥-٢٥٦.

انتهى كلام مؤلف الموسوعة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

قائمة المصادر والمراجع

▪ **باللغة العربية:**

- معاجم وقواميس:
  - ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، المجلد الثاني، مادة (عرف)، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب لبنان.
  - أحمد مختار عمر (وآخرون)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨.
  - عبد الغني أبو العزم/ معجم الغني، من الشابكة على الموقع: http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/
  - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، طبعة ١٩٧٢.
  - مجمع اللغة العربية الأردني، معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن – بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة ٢٠٠٦.
  - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب)، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، الطبعة الثانية: ٢٠٠٢.
  - يعقوب إميل (١٩٨٧)، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت.
- كتب ومقالات:
  - إيزو (ISO)، معجم مفردات علم المصطلح، التوصية رقم ١٠٨٧ ترجمة الدكتور علي القاسمي، مجلة اللسان العربي، عدد ٢٢، وترجمة هيئة المواصفات والمقاييس السورية، اللسان العربي، عدد ٢٤.
  - بنور عبد الرزاق (٢٠١٢)، "أسبقية المصطلح على الكلمة، ضمن وقائع ندوة علم المصطلح، دار المعلمين العليا، تونس، ١٢ نونبر ٢٠١٠".
  - ترزي، فؤاد حنا، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٥.
  - التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦.
  - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة الثالثة، القاهرة، طهران ١٩٧٤، ج١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الغزالي أبو حامد، معيار العلم في المنطق، دار الأندلس، بيروت، طبعة ١٩٩٧.
- الرازي أبو حاتم (أحمد بن حمدان)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تعليق: حسن بن فيض الله الهمذاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هجرية، ١٩٩٤ ميلادية.
- اليعبودي خالد (١٩٩٥)، محاولة جديدة لفهم الاشتقاق والصرف العربيين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بكلية الآداب ظهر المهراز، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.
- اليعبودي خالد، المصطلحات اللسانية المعربة في المجال المعجمي، مقاربة نحو التأصيل، مداخلة بندوة "المعاجم اللسانية المعربة"، ١٦.١٧ نوفمبر ٢٠١١، نُشر في كتاب جماعي: "المعجمية العربية: القضايا والآفاق"، تنسيق الدكتور منتصر أمين عبد الرحيم، حافيظ اسماعيلي علوي، الجزء الأول، دار كنوز المعرفة العلمية، ٢٠١٤.

- **باللغات الغربية** (معاجم وقواميس):

- Dictionnaire étymologique et historique de la langue Française ; Emmanuèle Baumgartner & Philippe Ménard , édition ١٩٩٦
- Dictionnaire historique de l'Académie Française , éd : ١٨٦٥.
- Dictionary of language and Linguistics, Hartmann R. R. K. & Stork F. C. ; (London ; Applied Science Publischers ١٩٧٢).
- Le Robert Historique de la langue Française, Edition ١٩٩٥.
- Supplément aux dictionnaires arabes ; Dozi (Reinhart) ; ٣ ème Edition ; Paris ; Leyde ; ١٩٦٧ ; ٣ volumes.

(كتب ومقالات):

- Authier, « La mise en scène de la communication dans des discours de vulgarisation scientifique », in : Langue française, n° ٥٣, ١٩٨٢.
- Amélie Josselin-Leray, Roda Roberts. De la sélection des termes pour inclusion dans le dictionnaire général. Etat des lieux général et analyse critique de la terminologie informatique dans : le New Oxford Dictionary of English (٢٠٠٠). In : https://hal-univ-tlse٢.archives-ouvertes.fr/hal-٠٠٩٨٣٠٤٧/document

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

- Béjoint Henri & Thoiron Philippe (٢٠٠٠) , Le sens des termes, in : le sens en terminologie ; sous la direction de Henri Béjoint & Philippe Thoiron ; Presses Universitaires de Lyon.
- Cabré Maria Teresa, Hacia una teoria communicativa de la terminologia, aspectos metodologicos, Revista Argentina de Linguistica.
- Cabré M. T. Una nueva teoria de la terminologia : de la denomination a la communication, VI simposio de RITERM, Cuba.
- Cabré, M. T. : Sur la représentation mentale des concepts : Bases pour une tentative de modélisation, Le sens en terminologie, Travaux du CRTT, presse universitaire de Lyon, ٢٠٠٠. PP : ٢٠-٣٩.
- DAHLBERG (I.).-Les objets et les notions, les définitions et les termes.- Siforov ed.,١٩٨١.- p.٢٢١-٢٨٢, in : GIRSTERM , Fondements théoriques de la terminologie, , Université Laval, Québec ١٩٨١.
- De BESSÉ, Bruno (١٩٩٠), La définition terminologique, in : La définition. Paris : Larousse., p. ٢٥٢- ٢٦١.
- Depecker & Roche (٢٠٠٧), « Entre idée et Concept, Vers l'ontologie », Langages, n° ١٦٨.
- FELBER Helmut (١٩٨٤) ; Manuel de terminologie ; Centre International d'information pour la terminologie, (INFOTERM) Autriche; PARIS ١٩٨٧.
- Fisher & United Arabic Republic ; Academy of Arabic language etymological historical Arabic lexicon (Cairo : General Organization of Government priting offices ١٩٦٧.
- Jacobi, Daniel, La Communication Scientifique, Discours, Figures, Modèles, PUG Grenoble ١٩٩٩.
- -Hamzé Hassan; La terminologie dans le dictionnaire général arabe actes de la ٧° édition des RIL (Rencontres Internationales de Lexicographie), Dar Wa Maktabat al-Hilal, pp.٨٥-١٢٠, ٢٠١٣, Travaux du CRTT, Université Lyon ٢, pp : ١٨١-١٩٠.
- ISO, ١٢٦٢٠ , ١٩٩٦, Aides informatiques en terminologie – catégories de données, organisation Internationale de Normalisation, Genève ·

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- ISO ١٠٨٧-١ Février ٢٠٠١ ,Travaux terminologiques - Vocabulaire - Partie ١ : théorie et application.
- Jacobi, D. & B. Schiele, (١٩٩٠) ; Vulgarisation Scientifique et éducation non formelle, Revue Française de pédagogie, n°٩١ ; p p : ٨١-١١١.
- Kandelaki, T. L. (١٩٨١) , Les sens des termes et les systèmes de sens des terminologies, , p : ١٣٦.
- Rondeau Guy & felber helmut (réd), ١٩٨١, Textes choisis de terminologie. Vol. I : Fondements théoriques de la terminologie, GIRSTERM, Québec, p :١٣٣- ١٨٤.
- Kaufman, S. « Le terme, Unité de discours spécialisé, du lexique spécialisé et de la description terminographique », in : Romanica wratislaviensia, LII, wroclaw, ٢٠٠٥.
- Lerat pierre, « Les langues Spécialisées, PUF ; Paris ١٩٩٥
- Lainé, C. et autres (١٩٩٢), La phraséologie : Nouvelle dimension de la recherche terminologique, , p :٩, in : L'actualité terminologique, Vol ٢٥, n°٣, Canada.
- Otman Gabriel (١٩٩٦) ; les représentations terminologiques en terminologie ; éd, Masson.
- Pétroff (J. A.), « Sémiologie de la reformulation dans le discours scientifique et technique », Langue française, n° ٦٤, ١٩٨٤.
- Rey Alain, (١٩٨٧) ; Etudes de lexicologie, lexicographie et stylistique offertes en hommage à Georges Matoré, Paris, Société pour l'information grammaticale.
- Rey-Debove Josette, Étude linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains, Mouton De Gruyter, ١٩٧١.
- Sager , J. C. (١٩٩٠), A pratical Course in Terminology Processing, , ٢١, P : ٤٠ ; John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, ١٩٩٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

نحو قاموس تاريخي للمصطلحات اللسانية العربية التراثية

د. نواري سعودي أبو زيد
أستاذ التعليم العالي – جامعة
محمد لمين دباغين – الجزائر

أولا: المقدمـة:

لعل من بين المراجعات التي أحدثتها ثورة علم النفس المعرفي، وهي تعيد النظر فيما تلقته من تراث فكري حول اللغة، أنها لم تعد المظهر الفريد الذي يميز الإنسان عن غيره، بل هي مقوم من مقوماته، فهناك القدرة على التمثل للداخل والخارج وفق سيرورة نفسية بالغة التعقيد، كما نص عليها بياجيه في كتابه تمثل العالم عند الطفل، وهي الخاصة التي تمنحه القدرة على التعلم والاكتساب منذ المراحل الأولى من حياته، كما أنه بفضلها – أي القدرة على التمثل- يستطيع التكيف مع محيطه عبر خاصية الرمزية التي هي مظهر إنساني بامتياز، هذه الرمزية التي تمكن الفرد من التجريد والتعالي عن الأشياء إلى عالم المثل والحقائق والمفاهيم، والفكاك من أسر المكان والزمان أيضا، لن تجد طريقها إلى التحقق إلا عبر القدرة الكامنة في الإنسان بالفطرة، مع قابليتها للتنمية والتطوير.

لكن سواء أقررنا بالطاقة العقلية الإدراكية العليا، أو أذعنا للخاصية الرمزية للإنسان، فإنه يتعذر علينا تأخير اللغة عنهما، من جهة امتناع الأداء الإجرائي للخاصيتين في غياب اللغة، أو في ظل الحط من دورها، فأداة الفعل في الحالتين إنما هي اللغة؛ إذ بها نتمثل العالم ونمثله، وبها نجرد المفاهيم ونرمز، فهي بالاعتبارين نظام تمثيل وترميز.

أيا كانت الزاوية التي من خلالها نرصد اللغة، فإنه لا يجب أن نتغافل عن طابعها الأهم، ومظهرها الأبرز، المتمثل في الدور الاجتماعي التواصلي الذي تقوم به وتؤديه، وهو ما عبرت عنه كثرة من التعريفات التي أفردت لها، في مختلف الحضارات وعلى اختلاف الألسن، كتعريف ابن جني الذي عدها "مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، الذي جمع تحته خواصها الشفهية الأولية باعتبار الكتابة مظهرا طارئا، والحاجة الملجئة إليها وهي التعبير (المقصدية)، والغايات وراء ذلك التوليف، وهي التواصلية المضمنة في المظهر التعبيري. ولا شيء من ذلك كائن إلا من خلال التمثل والتجريد، ثم الترميز عبر التقطيع الصوتي أو ما يقوم مقامه.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وتجاوزا للجدلية المثارة في علاقة اللغة بالفكر، والطابع الإشكالي الذي ألبسته عبر امتدادات المنجز اللساني والفلسفي الإنساني، فإن اللغة تظل المظهر الأبرز والخاصية المثلى للتصنيف البشري، فقد لا نلتفت إلى خصوصية الإنسان الفكرية وتميزه بالمقوم العقلي وما يستتبعانه من عمليات، كما لا نهتم كثيرا لسيرورة النمو الذهني لابن من أبنائنا، بقدر ما نهتم لتأخر الأداء اللغوي عنده، ولاكتسابه للخاصية اللغوية في بعدها الرمزي، منظورا إليها على أنها المقوم والفارق الأول زمنيا، مقارنة بجملة المهارات العقلية، والأول اعتبارا من حيث القيمة الوظيفية التي تكتسيها، وإن كانت الألفة طامسة أحيانا على تلك الأولية؛ بحكم ما درجنا عليه من أن كل إنسان ناطق بالضرورة.

ولما كان للغة تلك القيمة وذلك التقديم، رأينا الاهتمام بها موغلا في التاريخ عبر كثير من مسارات الإنتاج الفكري واللساني والفلسفي عند الأمم، بل لقد تحولت إلى قطب شد للاهتمامات البحثية، وإن أخذت في بعض الحقب خاصية الاستبطان والمعرفة المباشرة، من قبل أن تفلسف مسائلها وتساءل قضاياها.

لقد كان أبرز مظهر من مظاهر الاهتمام والعناية باللغة، العناية بها من حيث نظامها الصوتي، وأنماط كتابتها، وجمع ألفاظها وتهذيبها وتبويبها، مهما كانت الطرق المعتمدة في ذلك، واللبوس التي تلبسها، والدوافع التي تحركها: فلسفية أو دينية أو علمية محضة.

ومن أبرز الأمم اهتماما بلغاتها العرب، الذين برعوا في جمع مفردات لغتهم، والتحقق من صحتها نطقا ورسما، حفاظا على الثروة اللغوية من التحريف أو الطمس، ولم تبدع أمة في التصنيف المعجمي كما أبدعوا إلا الأمة الهندية، سواء من حيث كثرة معاجمهم، أو الضوابط العلمية والمنهجية التي اعتمدوها في جمع المادة اللغوية وترتيب مداخلها، لا لشيء إلا لفضل ذلك في الحفاظ على الكينونة.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت، فإن ما دون كان في صورة مراكمة، تتداخل فيها المادة اللغوية دونما عناية تذكر بالجانب التطوري التاريخي لاستعمالاتها، إلا فيما ندر وجاء اتفاقا؛ لأن الهدف لم يكن معرفة أصول الكلمات، والتقلبات التي اعترتها والمراحل التي قطعتها في تاريخها الطويل حتى استقرت على ما هي عليه، بكل ما تعكسه تلك المراحل من مظاهر الفكر والثقافة والمعتقد والعادات والتقاليد وغيرها، وهو الهدف الأبعد من مجرد الجمع والترتيب الذي لم يظهر إلا في القرون الأخيرة تحت ما يعرف بالمعجم التاريخي، الذي جاء حلقة مهمة في تطور المعجمية الحديثة، كونه يؤشر على وعي بما للغة من أهمية عامة من جهة أولى، وتطور منهجي بما تعكسه خطط العمل والإنجاز المستحدثة من جهة ثانية،

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وحرص على التأريخ للأمم عبر مسارات حياتها من خلال اللغة التي تتكلمها من جهة ثالثة. في هذا الإطار يتنزل هذا البحث، مع بعض الخصوصية؛ كونه يستهدف رسم خطة لإنجاز معجم تاريخي للغة العربية، في جانب خاص منها، وهو جملة المصطلحات اللسانية التي تأسست، ثم شاعت في التراث المعرفي اللساني، معتمدين على منهج مركب يجمع بين الاستقصاء والوصف والتحليل والمقارنة، لتحقيق أهداف يمكن حصرها في:

استنهاض همم الباحثين لمشروع الأمة، الذي من خلاله يكون إحياء جزء كبير مغيب من ذاكرتها العلمية والتاريخية والثقافية والحضارية، على غرار ما تبذله الأمم ذات الشأن.

الإسهام بالمتاح في رسم ملامح للمعجم التاريخي الذي ظل حلما منذ أن أثار فكرته المستشرق الألماني أوجست فيشر في أربعينيات القرن الماضي، فبدأ الاشتغال في الوطن العربي لتحقيق ذلك المشروع العلمي والثقافي الحلم هنا وهناك على اختلاف الجهد المبذول والثمرات المتحققة.

أهمية بناء بنك مصطلحي لساني عربي من خلال تتبع المصطلحات التراثية المنجزة عبر قرون منذ بداية التأسيس، ليكون معينا في تعريب اللسانيات وتوحيد مصطلحاتها على اللفظ العربي متى كان يمتلك الكفاية الوصفية للمفاهيم، ولتحقيق شيء من الاستقلالية في المجال المصطلحي كحد أدنى.

ثانيا: إضاءات اصطلاحية:

يحسن بنا بداية، ونحن في سياق الحديث عن أهمية المصطلح، أن نوطئ بمقدمة اصطلاحية لمصطلحات العنوان؛ حتى يتضح سبيل الاشتغال.

١. المعجم:

ترجع كلمة معجم بصيغة اسم المفعول وحتى اسم الفاعل إلى الجذر اللغوي عَجَم أي أغمض لم يبن، والهمزة مزيدة لإدخال معنى السلب، أي إزالة العجمة، فبها انتقلت الكلمة من الإغماض إلى الإبانة، وعلى هذا التعويلُ في ضبط الدلالة الاصطلاحية؛ إذ المعجم كما يعرف عادة هو الكتاب المفرد لشرح معاني كلمات اللغة، المرتب بطريقة مخصوصة، فمن هذه الزاوية هو "أداة تنظم المعلومات بحسب قائمات من الكلمات"[(١)]، أي إنه ليس مجرد مسرد تجمع فيه المفردات كيفما اتفق، بل لابد فيه من البناء على جملة المعلومات التي يقدمها للفظ المراد شرحه وبيانه.

---

(١) محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١٥٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وقد يوسع التعريف ليشمل ما استجد في العقود المتأخرة من تقانة، ومن حاجة للاطلاع على اللغات الأجنبية، ليطلق المعجم على كل "كتاب مطبوع أو محوسب يحتوي على كلمات منتقاة، ترتب وفق نظام معين مع معلومات ذات علاقة بها، سواء أعطيت تلك المعلومات باللغة ذاتها أو بلغات أخرى" (١).

غير أن التداخل الاصطلاحي الحاصل في "معجم"؛ بسبب تعدد استخداماته، حملت بعض المدققين من الباحثين على تخصيص المعجم بالمخزون الافتراضي لأية لغة من اللغات الطبيعية،أو جملة الممكنات اللغوية أو احتمالات الورود، أو ما هو موزع بين أدمغة مجموع المتكلمين، مما هو ليس متحققا بالفعل، ولكن يمكن أن يوجد من شخص أو مجموع أشخاص في ظل ظروف استعمال معينة، وذلك راجع لخاصية الإبداعية التي تتميز بها اللغة الإنسانية عن بقية أنظمة التواصل الحيوانية، "وهذا ما يناسب أن نطلق عليه لفظ (المعجم) في مقابل (lexique) الأعجمية" (٢)، إنه إذن مرادف للغة (language) بالمفهوم السوسيري، وللكفاية اللغوية (competence) الضامرة في عرف اللسانيات التوليدية التحويلية عند شومسكي.

أما إذا تعلق الأمر بالرصيد اللغوي المتحققواقعيا، الموجود بالفعل لا بالقوة بتعبير المناطقة، فإن المصطلح الأنسب للتعبير عنه هو القاموس، الذي هو في عرف اللساني (لوي غيلبير) ليس سوى "عملية تصغير للمعجم الموزع على أدمغة كل أفراد الجماعة، وفي العدد الكبير من الجمل التي تتوالد بفعل إبداعية اللغة" (٣)، ثم إن الخلاف يتجاوز المجال الذي يغطيه كل مصطلح إلى الطبيعة المنهجية التي يقوم عليها البحث في كل قبيل، فالصفة الغالبة على العمل المعجمي هي الخاصية النظرية؛ بحكم انخراطه في مجال علم المفردات أو المعجمية (la lexicologie)، في حين تتسم الصناعة القاموسية، أو المَعجمية (٤) (la lexicographie) بالطابع التطبيقي الإجرائي، من معايير انتقاء المادة، وطرق تصنيفها

---

(١) علي القاسمي: تاريخ المعجم التاريخي، (مداخلة) ندوة المعجم التاريخي، منشورات (مبدع) فاس ـ دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ج١، ص٤٧

(٢) عبد العلي الودغيري: دراسات معجمية، نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١، ١٤٢٢هـ، ص٢٠.

(٣) نفسه، ص٢٠.

(٤) ينظر: المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة، مركز النشر الجامعي، تونس٢٠٠٤، ص٢٧٧. والمَعْجمية مصطلح علمي ترجمي تبناه محمد رشاد الحمزاوي ودعا إليه في مظان مختلفة من كتابه.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وتبويبها، وضوابط تعريفها بغية الإحاطة بالدلالة[(١)].

كما يمكن أن نشير إلى فرق ثالث فوق ما ذكر، ويتعلق بالموضوع، وبالأهداف من الممارسة المعجمية والقاموسية، فإذا كانت الأولى تهتم "بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها، وأبنيتها، ودلالتها، وكذلك بالمترادفات والمشتركات اللفظية والتعابير الاصطلاحية والسياقية"[(٢)]، بهدف ربط ذلك بالأبعاد الحضارية والاجتماعية للجماعة اللغوية ومنتجاتها العلمية والفكرية والمعرفية والفنية[(٣)]، فإن الثانية موضوعها اللغة ولكن بوصفها مادة للمعالجة والتصنيف بطريقة مخصوصة، بهدف اتخاذها سندا علميا وتعليميا وتربويا وتثقيفيا، أي إن المُعجمية توفر المادة النظرية الخام التي منها يبدأ عمل القاموسية ويهتدي بنتائجها. وعلى مثل هذه المقدمات الاصطلاحية والمنهجية كان اختيارنا لمصطلح"القاموس" بدلا من المعجم، لأن المسعى هو بيان خطة بناء عمل تطبيقي لمجال عملي محدد من منظور تطوري خالص.

٢ ـ التاريخي :

أما المصطلح (تاريخي)،الواقع مقيدا للقاموس أو المعجم "توسعا"، فيعني دراسة كل ما تختزنه ذاكرة الكلمة، مع ارتباطاتها الممكنة؛ أي إن القاموس التاريخي، هو فتح كل السجلات القديمة والجديدة، المحايثة والمجاورة أو المحاقلة للمفردة، وبتعبير آخر: هو يسعى إلى الجمع بين خواص القاموس (المعجم)، ممثلة في المادة اللغوية المرصودة، المراد شرح معانيها، وترتيبها، وتعريفها، بغض النظر عن فوارق المدونة والترتيب والتعريف، وبين الخواص التاريخية[(٤)]، التي تعني في جملة ما تعنيه، تتبع حياة الكلمات منذ النشأة: متى ظهرت؟ وفي أي سياق استعملت أول الأمر؟ وفي أي نص وظفت؟ وعند من كان ذلك بدايةً؟ وما هي جملة التغيرات التي طرأت عليها في بنيتها وفي دلالتها في مختلف مراحل حياتها؟ وما وجه

---

(١) نفسه، ص٢٠.

(٢) علي القاسمي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٠، ص٩٢.

(٣) يعد المفكر الفرنسي ديدرو (Diderot) في العقد الثاني من القرن التاسع عشر أبرز من أشار إلى هذا المجال من البحث، وخصه بكونه نقطة التقاء اللغة بمختلف الأبعاد الاجتماعية والحضارية والعلمية لأمة من الأمم، من منطلق كونه "علما لسانيا اجتماعيا حضاريا حديثا، من مطامحه اعتماد المفردات ومفاهيمها ومصطلحاتها المعجمية لتقييم منزلة الأمم ومجتمعاتها وحضاراتها، باعتبار تلك المفردات والمصطلحات مرآة تعكس ذهنيتها وشاهدة عليها، مع التأكيد على صلاتها بالعلوم الأخرى، دون أن تتداخل معها أو تستبد بها" المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة، ص٢٧٧.

(٤) عبد العلي الودغيري: نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية (مقال)، مجلة اللسان العربي، مجلة دورية محكمة يصدرها مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد ٧٤، ٢٠١٤م، ص١٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العلاقة بين مختلف البنى الحاصلة والدلالات القديمة والجديدة، مع ما يعكس تلك التغيرات من النصوص الموثقة المنسوبة والمؤرخ لها؟وما هو المستوى اللغوي والاجتماعي والمهني الذي تنتمي إليه؟وكيف يمكن الاستفادة من دراسة الكلمات في استنطاق طرق تفكير الناطقين ومنظومتهم الثقافية والقيمية..؟

لا شك في أن العربية بميراثها في اتساعه وامتداده، وغناه وتنوعه، وأصالته وانفتاحه على اللغات والثقافات والمعارف المجاورة؛ خاصة في زمن الاختلاط بعد مجيء الدين الجديد، جديرة بقاموس تاريخي يؤرخ لها على غرار لغات أقل منها عمرا وثراء وتنوعا، أبدعت ما به تحفظ ذاكرتها، ويمد حاضرها؛ فتكون حقها كالحلقات المتجانسة في السلسلة الواحدة.

إن وجه الضرورة في إنجازه، كما يرى إبراهيم بن مراد، هو "أنه ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظمة التي تضبط رصيدنا الفكري، وتكون مرجعنا العلمي الأمين في كل ما يتصل بلغتنا وحياتنا، ومدونة النصوص الثابتة التي تقوم حجة تاريخية لا جدال فيها.. (إنه) المقياس الذي يمكن أن نقيس عليه لقضايا أساسية وعلمية وأدبية وجمالية. (إنه) الأداة التربوية المركزية التي تسمح لنا بتصور وظائف المعجم الأخرى التي تنشأ منه ومن مادته ومناهج ترتيبه لتكون في خدمة المستفيدين منه"[(1)]، وعلى كون ما ذكر صحيحا، أو هو في حكم الضرورة، إلا أنه يمكن أن تنهض في مسألة القاموس التاريخي جملة مساءلات قد يكون من أبرزها:

٢ـ١ـ هل يجب، ونحن نبحث في تاريخ الكلمات من خلال المدونة، أن نضبط تاريخا دقيقا ومحددا لبداية ظهور الكلمات، أو ما اعتراها من تغيرات شكلا ودلالة، أم إن الأمر يحتمل شيئا من التوسع؟

إن الواقع يشير إلى أن الوقوف على التاريخ الدقيق ليس متاحا دائما، حتى وإن أجهد القاموسي نفسه في تتبع خيوطه، لكن ذلك لا يعفيه من التحديد التقريبي إن تعذر الضبط والتحديد الدقيق[(2)]، كأن يكون معلم التأريخ هو الفرد الذي ظهرت عنده، أو المدرسة أو الاتجاه الذي وظفه، على أن يبقى الباب مفتوحا للتدقيق متى توفرت موجباته وتحددت ملامحه.

٢.٢ ـ أما الإشكال الثاني، فيتعلق بالمدونة نفسها وحجمها: هل ينبغي أن يكون استقصاء

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص٥٦.

(٢) نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي، اللسان العربي، صص: ٢٨، ٢٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

النصوص وإحصاؤها حاصرا، فلا مجال لاحتمال مصادر جديدة قد تطعن في صحة نشأة المفردات أو استعمالها أو تغيرها في ناحيتها؟ أم يكتفى بما وقع تحت اليد من المصادر، على أن تتوفر على كل خواص اللغة المدروسة بأن تكون تمثيلية؟

يرى ابن مراد أنه لا يُتساهل في مدونة المعجم، التي ينبغي أن تكون شاملة ومستوعبة لكل المصادر، في كل العصور، في كل الفنون، في كل الأمكنة، كما يفهم من استدراكه على مستدرك دوزي بكونه أسقط كثيرا من المصادر العربية، وبذلك يكون قد وقع في ضرب من الصفوية اللغوية، التي انتقد المعجميين العرب بسببها، "فالمصادر التي استقرأها المؤلف كثيرة بدون شك، لكنها قليلة بالقياس إلى ما هو موجود بالفعل"[1].

إن مبدأ الانتقائية أوالاصطفائية اللغوية يتنافى مع مبدأ الدقة العلمية، ومع مهمة المعجم التاريخي ووظيفته، التي تتمثل ـ كما يرى ابن مراد ـ في الإحاطة بالمادة اللغوية في جميع فترات حياة اللغة، "فأي قيمة للتاريخ الذي يوضع للوحدة المعجمية أو للمعنى الذي أسند إليها إذا كانت النصوص المهمة تكذبه وتدل على خلافه؟.. وينبغي اعتبار كل النصوص المتاحة التي يمكن الوصول إليها، والنظر فيها، واستقراؤها مصادر للمعجم التاريخي للغة العربية"[2]، وهذا مذهب صحيح من الناحية النظرية، لو استقام تطبيقه من الناحية الإجرائية، التي قد تجبرنا على الوقوف عند كم محدد من المدونة اللغوية، وهي المتاحة، على نسق ما فعل النحاة "حين وضعوا نحو العربية، واللغويون حين وضعوا معجمها، ولم يزعم النحاة أنهم سمعوا كل فاعل وكل مفعول ليقولوا برفع الأول ونصب الثاني، ولم يزعم اللغويون أنهم كتبوا عن العرب كل ما نطقوه.."[3].

لكن، ألا يمكن أن يكون عمل الخليل في معجمه، ونظام التقليبات الذي اعتمده فيه، محاولة للإحاطة التي يبتغيها ابن مراد، مع أن الخليل عاد في بيان ما هو من اللغة مما ليس منها إلى ما أتيح له سماعه عن العرب، وما قرأه من نصوص العربية التي لم يدع يوما أنه قد أحاط بها.

إن أمر التاريخية في المعجم العربي الذي نريد، يتردد بين حدين شبيهين بحدي العزيمة والرخصة في الفقه: حد محمود ومطلوب ممثلا في السعي إلى الإحاطة والاستيعاب، وحد لا

(١) إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص٢٠٤.
(٢) المعجم التاريخي للغة العربية، ص٢٢٣.
(٣) نفسه، ص٢٢٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يفرط فيه، مما ينبغي توفره؛ فلا يسمى المعجم تاريخيا إلا به، وهو حد المدونة بشروطها[(١)]، مع أنه لا وجود لما يمكن أن يسمى بالمدونة المثالية المستوعبة لكل اللغة. وعليه، فعلى اللساني والمعجمي بناء "مدونة نموذج مبررة تفي بأغراضه منهجيا ومحتوى دون إسقاط ولا إهمال ولا تكرار"[(٢)].

إذن، بإمكاننا أن نتحدث عن أنواع من المعجم التاريخي، لكنها تتفاوت في تاريخيتها وتمثيليتها، كما يرى الودغيري[(٣)]، أي إنه يصدق عليها كلها تسمية "تاريخي"، ولكن بدرجات، وما ذكره ابن مراد غاية العمل وأتمه، المسمى موسوعيا، كمعجم أكسفورد الإنجليزي، لو أمكن إدراكه، وهو لا يمنع من وسم غيره المكتفي بمدونة محدودة بالتاريخية، على أن تبقى مفتوحة، وهي تمثل معجما تاريخيا مرحليا، على طريق تحقيق المعجم التاريخي الموسوعي الأمثل، الذي يتمناه كل باحث، وقبله كل عربي[(٤)].

وهي المنهجية نفسها التي اتبعها العلماء القدماء في تعاملهم مع المدونة اللغوية، فقد كان اهتمامهم "منصبا دائما على توسيع دائرة معرفتهم بالعربية طوال العصور التي حصل فيها السماع وعلى هذا أضافوا إلى ما كان عندهم كل المعطيات التي لم تسمع بعد إلى غاية زمانهم.."[(٥)].

٣.٢ ـ ما هو الموقع الذي يحتله التأثيل أو التأصيل في المعجم التاريخي؟ هل هو جزء من التاريخ نفسه، أم هو آلية مساعدة للوقوف على حفريات الكلمات؟ وما هي جملة الانتظارات التي يتوقعها المعجمي خصوصا واللساني عموما من التأثيل في ارتباطه بالمعجم؟

التأثيل في دلالته الاصطلاحية يعني البحث في جذور الكلمات "متى دخلت في اللغة؟ ومن أي مصدر؟ وكيف تغيرت هذه الألفاظ في شكلها ومعناها واستعمالاتها عند دخولها في

---

(١) يحدد كريماس للمدونة اللغوية ثلاثة شروط هي تمثيليتها للغة المدروسة، وشمولها لكل عناصر اللغة، وألا تكون مختلطة، "أما أن تدخل في هذا التمثيل كل العبارات التي نطق بها هؤلاء الناطقون فهذا متعذر، والمقصود أن تكون المدونة عينة فقط من هذا الكلام وهذا يقتضي أن يبلغ حجم المدونة مبلغا يتحقق به التكرار" عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٦٨.

(٢) المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة، ص٢٠٩.

(٣) نحو خطة لإنجاز المعجم العربي التاريخي، اللسان العربي، ص٤٢

(٤) لأن الحاجة تفوت كمال الصورة ونموذجيتها كما يعتقد الودغيري الذي يصرح بأنه من أنصار "الاستيعاب قدر المستطاع ولو اقتضى ذلك البطء في إنجاز العمل وإخراجه على مراحل، إلا أن الفراغ التام الذي تعرفه اللغة العربية في هذا الجانب، وانعدام أي نوع من القواميس التاريخية الذي يسد هذا الفراغ ولو جزئيا، قد يفرضان علينا الخضوع مرحليا لأحكام الظروف الاستعجالية" نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي، اللسان العربي، ص٤١.

(٥) السماع اللغوي العلمي عند العرب، ص٢٧٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

اللغة.."[1] ، وبهذا يكون قاعدة هامة ضمن جملة قواعد يقوم عليها المعجم التاريخي، ولتقارب منهجَيْ العمل في المسارين التأثيلي والتاريخي، يبدوان متداخلين كأشد ما يكون التداخل، فالإيتيمولوجيا كما يعرفها أوغست براشي هي "شرح للمعاني الصحيحة للكلمات عن طريق التأريخ لها"[2] ، غير أن التاريخ يضم تأثيل الألفاظ مع جملة الاعتبارات التي هي من طبيعة غير لغوية وتشكل قوام القاموس التاريخي، فيكون التاريخ من هذا المنظور أوسع مدى من التأثيل، الذي "يقدم للعالم اللغوي مساعدات غير منتظرة، إذ سوف تصبح في يده أدوات ثمينة هي بمثابة المنظار المكبر الذي يمكنه من فحص أدق التفاصيل، وهذه الأدوات ثلاث: الدراسة الصوتية، والتأريخ، والمقارنة"[3] .

إن غاية القاموس التاريخي هو مسح لحياة الكلمات؛ بكل تفاصيلها، وبكل تفاعلاتها مع العناصر غير اللغوية، فالتاريخ وعاء تحدث فيه مضامين التأثيل مع غيرها بصورة متمازجة، فالعلاقة علاقة كل بجزء، وظرف بمظروف، والعمل التأثيلي من ثم جزء مهم من السيرورة التاريخية اللسانية التي تمثل الدمغة المميزة للقاموس التاريخي، بها تعرف، وبغيرها ينقص مقوم أساس من مقومات العمل. باعتبار أن المعنى الحقيقي للمفردة هو جملة المعاني التي اجتمعت لها في سياقات استعمال متعددة ومختلفة، فالتأثيل هو ما يعطي للدلالة سحنتها وتقاسيم وجهها.

إن الأمر شبيه بحال الإنسان الذي ليس هو في لحظته الراهنة، سوى خلاصة أحقاب ساهمت سلبا وإيجابا في بنائه على ما هو عليه، فهو تغير على مستوى البنيتين الجسمانية والنفسانية كمحصلتين لشعاع الزمن الذي يخترقهما معا، كل ذلك في تفاعل مع المعطى الخارجي عنه، من عوامل الدين والحضارة والتربية والأخلاق والقيم، وجملة الارتباطات الاجتماعية، وتاريخه إنما هو تفاعل كل تلك الأخلاط المتفاوتة التجانس من فرد لآخر، ذلك التفاوت الذي يطبع تاريخ الأفراد بطابعه المميز.

٣ـ التراث:

كلمة مشتقة على وزن "فُعَال" من الفعل "ورث"، أي ما يرثه اللاحق عن السابق، فهو كالميراث معنى، وعليه جاء قوله تعالى: "وتأكلون التراث أكلا لما"[4] ، قال ابن الأعرابي: "الوِرْث

---

(١) تاريخ المعجم التاريخي ضمن ندوة المعجم التاريخي للغة العربية، ج١، ص٦٤.

(٢) نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي، اللسان العربي، ص٢٩.

(٣) السابق، ص٣٠.

(٤) سورة الفجر، آ١٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والـوَرْث والإرث والـوِراث والإراث والتراث واحـد" [1] ، والتـاء فيـه بـدل مـن واو، كمـا في توكلـت تُكَلَة، ووخمت تُخَمَة [2] . وأصلها وُكلة ووُخمة.

وقـد يميز بـين المـادي، مـن مـال ومتـاع ونحـوه ممـا يـستأثر بـه، وبـين المعنـوي، فيقـال "الوِرث والميراث في المال، والإرث في الحسـب" [3] .

ولكن، هل لهاتين الـدلالتين اللتين تدور عليهما الكلمة، وجه ارتباط بدلالة استخدامها في المنظومة الفكرية والفلسفية العربية المعاصرة؟

إن كلمـة "تُـراث" في الخطـاب العربي الحـديث والمعاصـر، ذات شـحنة إيديولوجيـة، تتجاوز الدلالة اللغوية الوضعية والعرفية (التلقي للمادي أو المعنوي بما أشير إليه سابقا)، ولا تعني سـوى النتـاج الفكـري الـذي تولـد في رحـم الحـضارة العربيـة الإسـلامية ممـثلا في العقيـدة والـشريعة واللغـة والأدب والفـن والكلام والفلـسفة والتـصوف وغيرهـا قبـل عـصر الانحطـاط [4] ، الـذي تـزامن مـع التحـولات العلميـة والفكريـة والمعرفيـة التي جلبها عـصر الأنـوار في أوروبا، وعلى هذا تتحدد مقومات المفهوم أساسا في:

١- نـوع التراث، محـصورا في الجانـب الفكـري، بوصـفه مولـد مظـاهر الإنتـاج الأخـرى، على اختلاف أنواعها، وتباين مجالاتها.
٢- حامله: أي انتماؤه إلى حضارة الأنا، وانتماء الأنا إليه.
٣- حيزه الزمـاني: الممتـد، تقريبـا، منـذ بدايـة التـأليف في إطـار المنظومـة المعرفيـة والعلميـة

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٢٧، مادة (ورث).

(٢) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ج٨، ص٤٦٦.

(٣) اللسان، ج٢، ص٢٢٧، مادة (ورث)

(٤) محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات. المركز الثقافي العربي، بيروت . الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١، ص٣٠. وللرجل في موضع آخر من كتابه تعريف يرتضيه ويدعو إليه ويقدم له من المبررات ما عساه يكون إغراء بتبنيه، قال :"التراث هو كل ما هو حاضر فينا ومعنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد" ص٤٥. ولا شك في أنه بالإمكان الإفادة من تراث غيرنا، إلا أنه لن يكون ممكنا تطويعه كليا ليصير تراثا لنا ولو أردنا لأن أبرز ما يطبع أي تراث ليس الجزء الظاهر منه (النتاج الفكري وما يتبعه)، بل الجزء الخفي الذي يمثل سنده الحضاري والثقافي، فذلك تعميق لتشظي الأنا وتمزق الذات، والدعوة لهذا المنحى من تقويم التراث من خلال تحديده دعوة للمسخ وتكريس أزمة الهوية، كما أن في اضطراب التحديد وجها من التناقض وضربا من الخلل في الرؤية والمنهج على المستوى الموضوعي. ثم إن خلط الثوابت الدينية ممثلة في العقيدة وما يرتبط بها من عموم الشريعة وفروعها بما هو قابل للمعايرة والتقويم والنقد المفضية إلى النقض أحيانا كاللغة والأدب والفن والتاريخ والفلسفة.. هو ضرب آخر من التهويم عند رواد الفكر الحداثي العربي، يحدوه مبدأ أساسي مستلهم من الحداثة الغربية وهو سلخ القداسة عن كل ما هو مقدس، وإدخال الثوابت في سيرورة غير متناهية من التغيرات.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

العربية، ونشاط حركة الوضع والتدوين فيها، إلى بدايات عصر الانحطاط وأفول نجم الحضارة العربية الإسلامية، وفي هذا السياق يربط الجابري الانحطاط بقيام الدولة العثمانية، الذي توج مرحلة التراجع، بعد اجتياح التتار لعاصمة الخلافة، ثم سقوط الممالك الأندلسية.

٤- الهوة الفاصلة بين التراث بكل تمظهراته وبين لحظة الوعي بالأنا الممزق، الذي يحتاج إلى أن ينتمي.

وهنا يمكن أن نتساءل، على مستوى المنهج، عن الجدوى من العودة إلى التراث، وهل كل ما هو تراث صالح للبناء عليه؟

عادة ما نجد في مثل هذه القضايا المعرفية ذات الجذور الفلسفية والطابع الجدلي مواقف متباينة:

- فمن نظرة محافظة، تقدس التراث وتتعبد به، بطريقة لا نغالي إذا قلنا عنها إنها شبيه بالتعبد بالوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،
- إلى نظرة إقصائية، ثورية "حداثية"، مفرطة في معاداة كل ما هو تراثي؛ زمانا، وفكرا، وشخصا، وسلوكا، فهو علة التخلف، ومكمن البؤس الذي أصاب الأمة في نخاعها[1].
- وموقف ثالث وسط بين الموقفين، لا شك أنه أكثر إنتاجية، كونه موضوعية بين تطرفين، موقف يقول بإعادة القراءة بهدف الاستيعاب فالغربلة، بغية الاستفادة المثلى من التراث، لأن التعامي عن المنجزين التراثي والمزامن ضرب في المجاهيل، وإرسال للأقاويل في الأباطيل!

غير أن هذا التوسط قد يجر اعتراضا مبطنا مؤداه: ما دام هذا التراث خليطا، يُحتاج

(١) نظير العداء للغة العربية الأدبية المتأنقة والمعيارية، التي يراها بعض من ينتسب إلى الحداثة العربية عائقا دون تلقي الإبداع الغربي المحايث فكرا وممارسة، "لقد أصبح واضحا خلال العشرين سنة الماضية أن مجرد ترجمة الأفكار الحديثة ونقلها بواسطة تعابير عربية جاهزة أو مصنوعة لا يؤمن النقلة الفكرية التي تتم عادة بالترجمة من لغة غربية إلى لغة غربية أخرى. إن الذي يحدث هو أن اللغة اللاحديثة تخضع الفكر الجديد (المترجم قاموسا) إلى نظام معانيها وتراكيبها المهيمنة. كيف إذن "نحدِث" اللغة العربية ونجعلها قادرة على استيعاب الفكر الحديث وترجمته بشكل يمكن فهمه وصياغته صياغة مستقلة... لهذا أقول ليس هناك مهرب لهذا الجيل، إذا أراد أن يفكر بوضوح وأن يعبر عن فكره بعربية تحمل فكرا واضحا، من إتقان الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية" هشام شرابي، هل يمكن التعبير عن الأفكار الحديثة بلغة تقليدية (مقال) ضمن كتاب: الحداثة لمحمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٨، ص١١١. والواقع أن مثل هذه الصيحات تعد أكثر تطرفا من صيحات كثير من المستشرقين أنفسهم، إنها تتناسى عن عمد وسوء تقدير مسلمة معرفية في مجال اللسانيات مفادها أنه لا يمكن أن تسلخ اللغة من محتوياتها الثقافية وأنها الوجهة الناطقة للخلفية الصامتة وهي الثقافة بكل ما تحمله الكلمة من تفاعلات دينية وتاريخية وقيمية وأخلاقية.. إنها نظرة تنطلق من عجز العربية عن المواكبة وكأنه لا يتسع فكر للغتين، فلا تقر إحداهما إلا باقتلاع الأخرى من جذورها أو تطويعها لمقتضيات غريمتها، وهذا محض خبال.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فيه إلى الغربلة، فلماذا هذا الموضوع، وفي هذا المجال الضيق بالذات: (المصطلح اللساني جزء من اللغة الواصفة في العلوم اللسانية ضمن المنظومة المعرفية العربية)، مع ما يحمله الخوض في مجاهيل التراث من خطر المغامرة؛ لأسباب أبرزها الهوة الزمنية وما خلفته من الشعور بالاغتراب، ومن انخراط الفكر الحاضر؛ من منطلق المغلوبية والاستلاب في أحيان كثيرة، في الفكر الغربي الوافد دونما نظر؟

ثم لماذا العودة إلى المصطلح في التراث، وعندنا منه كم لا بأس به، أثمرته جهود الباحثين في اللسانيات العربية وفي المصطلحية، مع تباين ما اجترحوه؛ فمنهم من اقتبس التراث علنا، ومنهم من اختلس منه مواربة، ومنهم من جفا فنقل وترجم؟

ألا يعد الرجوع إلى التراث محاولة نفخ في الرماد، أو روما لبعث الحياة في العظام الرميم، خاصة في ظل تباطؤ وتيرة إنتاجية المفاهيم في النظم المعرفية اللسانية، وما يستتبع ذلك من حاجة للمصطلح، مقارنة بنظيرتها في العلوم البحتة والعلوم التطبيقية المتدفقة كالشلال في كل لحظة؟

إن العودة للتراث، والحاجة إليه، تتجاوز في عمقها دوافعها البراغماتية المعللة، وهي الأخذ والاقتباس بوصفه المادة الخام التي نمتح منها، وسد النقص وتحقيق الاكتفاء العلمي في هذا الجانب أو ذاك من النظم المعرفية بما فيها المصطلح اللساني الراهن، قبل أن نلجأ إلى آليات أخرى للتوليد من داخل اللغة (النحت والاشتقاق)، أو خارجها (الترجمة).

إن التراث، فوق تلك النفعية على قيمتها ووظيفتها، هو الذي يجيب عن إشكالية الوجود (ما محلنا نحن بوصفنا أمة؟)، ويعطي لسؤال الهوية معنى (من نحن فكرا وثقافة وحضارة مقارنة بغيرنا؟ وما وجوه المغايرة في تلك المكونات؟).

فالعودة إليه، والارتفاق به، داع حضاري بكل المقاييس، ولسنا في هذا بدعا مما فعل غيرنا ويفعلون، فأوروبا النهضة استلهمت في انبعاثها تراثها الإغريقي واللاتيني على ما فيه أولا، وكل محاولة لعودة أمة من الأمم لساحة الفعل الحضاري، والإبداع العلمي والفكري، تمر حتما من خلال معبر التاريخ، "إن عملية التجديد لا يمكن أن تتم إلا بالحفر داخل ثقافة (..) الأمة، إلا بالتعامل العقلاني النقدي مع ماضيها وحاضرها"[(١)]. بحكم أن التنقيب في أركيولوجيا المعرفة التراثية، هو وحده الكفيل بضمان الديمومة والاستمرارية، التي من خلالها تتحقق الذات الآنية، بصورة تفاعلية إيجابية تشكل جسرا لاستشراف المستقبل، لكن هذا العبور لن يتم، وإن تم، فلن يكون بشكل آمن من دون الوعي باتجاهين:

---

(١) التراث والحداثة، ص٣٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- أما الأول، فوعي بالراهن وموقع الذات فيه، وهو موقف يتسم بعدم القدرة على الاندماج الحقيقي الكلي؛ بسبب من المغايرة مع مفاعيله الثقافية ومرجعيات خطاباته على مستوى الفكر والاجتماع والسلوك، كل أولئك يقف عائقا وجوديا دون إمكانية الاستنبات، التي وإن كانت، فستظل شكلية ظاهرية، لا تضرب في العمق بجذر، وليس بمقدورها الوصول إلى نقطة تدفق النسغ من الجذور.
- وأما الثاني، فوعي بالتراث في بعديه الكمي والقيمي، وعي بحقيقة شموليته بعامل تعدد مجالات إنجازه، وبعامل قيمة ما أنجز في وقته، وحتى خارج حدوده الزمنية على سبيل المقارنة.

هذان الوعيان سيكون بمقدورهما، إذا أردنا وأعددنا، بعث التراث وغربلته عبر سيرورة لها خاصية النقد والتقويم والمعايرة لكل ما هو تراثي، بما فيه ما أنتج من منظومة اصطلاحية لوصف المفاهيم اللسانية في فروعها، لكن ذلك لن يكون من خارج المنظومة التي أنتجته[1]، ولا بأس بعد ذلك، على التراخي لا على الفور، بالتطعيم بحكم أفضلية المصطلح التراثي متى وجد[2]؛ أي إن المعايرة تتم عبر مسارين:

أولهما داخلي، ويتحدد بقراءة المنتج من ناحيتين أيضا:

أ. من داخل اللغة التي أنتج المصطلح بها ولها، بوصفها حاملة الثقافة والحضارة.

ب. ومن ناحية المنظومة المعرفية العامة التي تضمنته، والخاصة التي ولدته ووظفته.

وثانيهما خارجي، ينعكس في قراءة التراث عموما، والمنجز المصطلحي خصوصا، في ضوء الخطاب اللساني الحديث والمعاصر وجملة المصطلحات التي وظفها في التدليل على مفاهيمه. وهو مسعى عادة ما يعرضه الخطاب العربي الحالي في شكله الطوباوي المتعالي على أنه المثال الذي لا ينتقض، في الوقت الذي هو يحمل بذور فنائه في نفسه، لأن الخطاب اللساني الذي له صفة "الخارجية" ههنا ليس كاملا، بل هو غير متجانس دائما، ومتفاوت في كثير من الأحيان:

ففي ضوء أي خطاب لساني معاصر يُقَوَم التراث اللساني العربي والمصطلحي على وجه الخصوص، والحال الشاهدة أن هذا الخطاب "النموذج" و"الحاكم" على تراثنا خطابات

---

(١) لا كما يدعو أتباع الحداثة الغربية أن يقوم التراث من خارجه، وبغير العين التي أوجدته، وكما يقول بعض الباحثين "أنا لا ألوم الغربي أن يقوم المسائل طبقا لما تقرأه عينه الزرقاء، لكني ألوم العربي أن يقيم المسائل بعين مزرقة" إبراهيم بن عمر السكران، سلطة الثقافة الغالبة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ. ٢٠١٤م، ص٣٦.

(٢) الشاهد البوشيخي: دراسات مصطلحية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص٧١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

شتى، ينسخ بعضها بعضا إن قليلا أو كثيرا، ويسفه بعضها آراء بعض بالحق وبالباطل بدعوى الموضوعية؟

إنه ينبغي أن تجرى عملية غربلة للمنتج الغربي تماما كالتي يخضع لها التراث العربي، حينئذ فقط يمكن أن نطمئن للأخذ والاقتباس بشكل علمي منهجي مؤسس.

إنه إذا تعلق الأمر بالمصطلح، كما هو الحال في موضوع بحثنا، وكيف يتنزل في التراث تأسيسا وفهما وتقويما وانفتاحا على الوافد، فإنه من المهم أن ينظر إلى كل المسائل التي تتصل بالمصطلح من كل ما تشتغل عليه المصطلحية، بوصف كل تلك الاهتمامات في ارتباطها بتراثنا تعبيرا عن الذات في ماضيها الحضاري الذي أنجز ووظف وضبط وقعد، "إنها المسألة المصطلحية الحضارية بالمفهوم الشامل، لا بالمفهوم العلمي الخاص أو الأخص. إنها المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح، وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق، وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين"[(١)].

إذن، يجد اختيارنا قيمته ومسوغه في ظل الارتباط الحاصل بين طرفي الثنائية المعرفية الحضارية (المصطلح اللساني _ التراثي)، التي تتخلق شيئا فشيئا، وتتضح تقاسيمها في السيرورة التاريخية التي ارتضيناها مجالا لمشروع البحث في إطار المشروع العام الذي خطط له (المعجم التاريخي للغة العربية).

ثالثا ـ موجبات المشروع ودواعيه:

تأسيسا على ما سبق، تجدر الإشارة إلى جملة عوامل كلها تدعو بإلحاح لإنجاز بنك مصطلحي، يجمع كل المصطلحات التي استخدمت في إطار منظومة اللسانيات العربية، بكل فروعها منذ بداياتها الأولى، إلى نهاية عصر المتأخرين التي تكاد تتزامن مع أوليات عصر الانحطاط، وما شهده من ردة حضارية يتوجها الغياب عن التأثير الإنساني فكريا وعلميا وثقافيا، ويمكن حصر تلك الموجبات والدواعي في:

١. الحاجة إلى سد النقص الذي نعانيه اليوم، في التدليل على المفاهيم اللسانية الغربية الطارئة علينا؛ في الصوتيات بفروعها والصرف والتركيب والمعجمية والدلالة وغيرها مما له بها وجه تعلق، التي يصادفها الطالب المخالط، والباحث المتمرس، والعالم

---

(١) السابق، ص٧٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الشادي، وقبل ذلك ما يعانيه المبتدئ في محاولة استيعاب المفاهيم التربوية والتعليمة، خاصة في ظل الجفوة المضاعفة مع المصطلحات التراثية ونظيرتها المستنبتة، وكل ذلك يمثل بالنسبة إليه خاصة مراكمة فوضوية، يصعب عليه الخروج منها جميعا بطائل، سواء سلك معها مسلك التوفيق المنتهي بالتلفيق، أو مسلك المعاوضة بالنقض.

٢ـ محورية القضية المصطلحية وأهميتها في علاقتها بمنظومة العلوم؛ فهي عناوين مفاهيمها المنتظمة أيضا، باعتبار "أن مجموعة مصطلحات مجال ما هي منظمة، وأنها ليست عبارة عن وحدات لغوية مرتبة عشوائيا ومن دون أي رابط بينها"[(١)]، وهي بالقدر نفسه البوابات الشرعية للولوج إلى تلك المعارف، وأحد عناوين الانتظام البنيوي فيها، وحري بمن أخطأ الباب ألا يلج، وأن يبقى المعمار المعرفي مجهولا بالنسبة إليه، بكل ما يحمل من خبايا في الزوايا.

فما يؤثر في تلقي المعرفة إنما هو طريقة تقديمها، ووسيلة بذلها، وكيفية عرضها، ولا شك في أن المصطلح، مع ما يعكسه من مفهوم، يعد عاملا مهما في تلك الهيكلية المعرفية، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "ويدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به، شأن الصنائع كلها، فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحدا عند جميعهم، ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين، وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يُتَوَجَه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة"[(٢)]. ومقام المصطلح من منظومة المعرفة التي ينتمي إليها مقام النسغ من النبتة، تراها تموت بجفافه ويقل نموها بقلته أو بطء تدفقه في كيانها، إنه ــ المصطلح ــ الصياغات الصورية لحقائق العلوم، "بل قل هو رياضياته النوعية، وكل ذلك يفضي جدلا إلى اعتبار كل مصطلح في أي علم من العلوم ركنا يرتكز عليه البناء المعرفي فيكون للمصطلح من الوظائف الصورية ما يكون للرمز السيني في المعادلة الرياضية: كلاهما سنم التجريد الذهني"[(٣)].

---

(١) ماري ـ كلود لوم: علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ت ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص١٣١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، ط٧، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص٤٣٠.

(٣) عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٣. ثم إن القضية المصطلحية تتجاوز الاعتقاد بأنها مجرد تسميات توضع لمفاهيم، إلى كونها منظومة فكرية، وضرب من الاشتغالات العقلية، وزوايا نظر للمفاهيم - بالخاصية التنظيمية التي أشرنا إليها - تعكس التركيبة النفسية والفكرية والاجتماعية والحضارية والثقافية والمعرفية للواضع ولبيئة الوضع [1]، لاسيما إذا وضعنا سيرورات الاشتغال في وعائها الزمني على اتساعه، كما يرومه مشروع بحثنا ويسعى إليه، فالتتبع التاريخي للمصطلح في فروع المعرفة اللسانية، في ثباته وتحوله عبر القرون التسعة الأولى لازدهار العلوم العربية، صورةٌ لما يلحق المفاهيم المتداولة في تلك الفروع، باختلاف الأقطار والمدارس، بل وحتى الاتجاهات داخل المدرسة الواحدة، فاختلاف المصطلح باختلاف المفهوم الذي يعد حصيلة لزاوية تصور الظاهرة المدروسة، كاستعمال مصطلح (اسم الفاعل) عند البصريين الدال على الذات المحدثة للفعل أو المتصفة به، الذي يقابله مصطلح الفعل الدائم في "المنظومة المصطلحية الكوفية"، ومرد ذلك الاختلاف إلى اعتبارات المقولة النحوية التي تنتمي إليها الكلمة، فالبصريون سموها اسما صيغ على وزن (فاعل) وله كل مقومات الاسمية، بينما رآه الكوفيون يؤدي في الدلالة الزمنية ما يؤديه الفعل، وبما أنه لم يقيد فإنه يفيد

---

(١) والناظر في حفريات الابستمولوجيا العربية منذ المراحل الأولى يلحظ اختلافا بينا بين البصرة والكوفة، لا على مستوى توليد المصطلح وتوظيفه فحسب، بل على مستوى قاعدة تلك الأبعاد المتفاعلة التي ولدت المفاهيم والمصطلحات معا، فما كان يطبع نشاط البصرة إنما هو الخاصية العقلية، التي كان من آثارها الإيغال في التعليل للحكم النحوي، والتشدد في رواية اللغة السند للعلوم اللسانية، كما توسعوا في القياس وطردوه بناء على شيوع الظاهرة وفشوها في الاستعمال، وقد بنوا منهجا في قبول اللغة وردها يقوم على معياري الزمان، الذي يحدد المرويات المقبولة بنهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وهو زمن صفاء اللغة وبعدها عن التأثر بمخالطة العجم وسكان الحواضر، والمكان الذي يكاد ينحصر في القبائل البدوية في قلب الصحراء الموغلة في البداوة كبوادي الحجاز ونجد وتهامة، أو كما قال أبو عمرو بن العلاء: لا أقول قالت العرب إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط١٦، ص١١٩. ولذلك ردت لغة الكميت رغم كونه معدودا في الشعراء مبرزا، لا لشي إلا لأنه من سكان الحاضرة، كما قال الأصمعي: "الكميت جرمقاني من أهل الموصل ليس بحجة" السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ت محمد أبو الفضل إبراهيم وآخران، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ج٢، ٣٤٠. ومثله في المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ت محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص٢٢٧، ٢٢٨. ولعل النزعة العقلية اكتسبته البصرة من البيئة الثقافية والعلمية التي كانت رائجة، فهي ملتقى الثقافات والأديان والملل والآراء، حيث يميل كل قبيل للانتصار لمذهبه ونحلته بالمقارعة والحجة، أما الكوفة فنشأت عالة على البصرة، فهي لم تؤسس أصولا للنحو خاصة بها، بل أخذت عن البصرة نحوها وخالفتها، لتستقل بمذهب يقوم على السماع أولا قبل القياس ولو شذ. لقد "توسعت في الرواية وفي القياس توسعا جعل البصرة أصح قياسا منها.." شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م، ص١٦٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الاستمرار والديمومة في مقابل الماضي والمستقبل، فهو من هذه الزاوية شبيه بالفعل المضارع إذا لم يقيد بجهة زمنية بما يرتبط به من المحددات، وقد سوغ لهم ذلك المذهب في الاصطلاح وذلك التوجه في المفهوم تجويز الأخفش الأوسط، وهو بصري، لإعماله محلى بالألف واللام، ومجردا منها من غير ما شرط، كما هو عليه رأي جمهور البصريين.

٤. غياب قاموس جامع، يتتبع المصطلحات اللسانية التراثية في مراحل النشأة والتطور والقرار، ويشير إلى من ظهرت عندهم، والمدرسة أو الاتجاه الذي تبناها وروج لها، والاختلافات الواردة تحت مداخلها بتعدد المدارس والاتجاهات والعلماء الأفراد، ثم يقيد المُعَرَفة بتعاريفها، ويعرف غير المعرفة منها؛ بالاحتكام إلى سياقات استعمالها عند أصحابها وغير ذلك من الضوابط التي يهدف المشروع إلى رسمها في النموذج الذي نتمثله، ونريد له أن يتحقق بتضافر الجهود.

٥. أما الموجب الخامس فدوره تقويمي صرف؛ ذلك أن الرصد التاريخي لنشوء المصطلح وتطوره من المحضن، إلى فترة الشيوع والغلبة والقرار داخل المنظومة، من شأنه أن يصحح كثيرا من الأخطاء المعرفية الحاصلة في المنجز التراثي والحديث، في تتبع جذور المصطلح وضعا واستعمالا، وذلك يقتضي الاستقراء الشامل، مع التدقيق في الكتب الناقلة والمنقول عنها (التراثية والحديثة)، مع المقابلة بين النصوص، وهو ما تفي به الخطة المرجوة، فبعض الدارسين"لم ينطلقوا من استقراء كاف ليعقدوا موازنة موضوعية بين مصطلح البصريين ومصطلح الكوفيين ليتبنوا الفرق في أسلوب الدرس، وأيهما أدق تعبيرا وملاءمة وأكثر سيرورة، وأجدى نفعا في الدرس النحوي المعاصر، ولم يكن همهم إلا في فصل مصطلحات البصريين عن مصطلحات الكوفيين فصلا قسريا وسردها في كتبهم.." [(١)] ، وقد ساق سعيد جاسم الزبيدي عينة من المصطلحات غفل بعض الدارسين عن أصلها وبداية استعمالها، أو عن نسبتها إلى واضعها، أو أقروا مقبوليتها وكفايتها في التعبير عن المفهوم من غير مبرر مؤسس، معتمدين على بعض ما شاع في الكتب التراثية من وهم سبق لأصحابها لم يتسن لهم تصحيحه، من ذلك مصطلح "التفسير" الذي وضعه البصريون وتبعهم فيه الكوفيون، واستعملوه في التدليل على أكثر من مفهوم، وجعلوه عنوانا لأكثر من باب (المفعول لأجله، والمفعول

(١) سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية، المصطلح النحوي ـ رواية اللغة، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ص٦١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

معه، والبدل، والتمييز[(١)]، غير أن شوقي ضيف يجعل مصطلح (التفسير) مصطلحا كوفيا خالصا مقابلا للتمييز الذي يفهم من كلامه أنه مصطلح بصري خالص[(٢)].

٦. الإيمان بضرورة الخروج من منطق الآنية في رصد مفردات اللغة عموما، والجهاز المصطلحي خصوصا، الذي يعمد في ظل الكم الهائل إلى التكديس والمراكمة دونما ضابط، كما هو بارز سواء في المعاجم اللغوية العامة، أو المعاجم المصطلحية الخاصة، ولسنا نعني بالآنية الإنجاز المرحلي للعمل المعجمي أو المصطلحي المترابط، المتلاحقة حلقاته لتغدو كالسلسلة، فما يقدم هناك وهنالك من نصوص معجمية (المدونة المعجمية)، إنما هو خليط قد لا يكون متجانسا في كثير من الأحيان، لقد "أصبح النص المعجمي العربي متاهة تتداخل فيه جميع المستويات، والصور والأساليب، فهو عنوان الفوضى، مما يفسر عجزنا عن اعتماد معاجمنا، كما هي، لبناء معجم تاريخي عربي تتلاقى فيه أساليب العربية الثابتة والمتحولة، تؤيده في ذلك معاجم آنية مترابطة"[(٣)]، وقد يكون ذلك مرده إلى طول تاريخ العربية، وضخامة ميراثها اللغوي، مع غياب تجربة رائدة ولو في صورتها الأولى، يمكن أن يبنى عليها، أو تحدد مواطن الخلل فيها ليتجاوز في عمل آخر أكثر شمولا، وأوسع استقراء، وأصوب منهجا؛ جمعا وترتيبا.

رابعاً ـ عقبات على طريق الإنجاز:

١. لعل التحدي الأكبر والأول الذي يواجه المشتغلين على إعداد معجم تاريخي للمصطلحات اللسانية في التراث[(٤)]، يرتد إلى سعة هذا التراث من جهة، وسعة العلوم اللسانية وكثرة ما أنتج فيها من جهة ثانية، والطابع الموسوعي الذي كان يطبع المشتغلين بها من جهة ثالثة، فترى العالم الواحد يتقن أكثر من فن، وهو في انتقالاته التأسيسية التنظيرية والإجرائية التطبيقية يستصحب معه عدته كاملة، مما يحتم

---

(١) نفسه، ص٦٣.

(٢) المدارس النحوية، ص١٦٦، ١٦٧.

(٣) المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة، ص٦٧، ٦٨.

(٤) يقول عبد العلي الودغيري فيما يعترض مشروع المعجم التاريخي من صعوبات، وإن كان أمر المعجم التاريخي المصطلحي أقل صعوبة، "نحن أمام موضوع واسع وعنوان فضفاض يحتاج إلى زيادة تدقيق وتوضيح، ولاسيما أن الأمر يتعلق بمعجم لغة هي وعاء حضارة من أكبر حضارات البشرية تجربة وغنى وثراء وعمقا تاريخيا وامتدادا جغرافيا وغزارة تراث وعلم وثقافة. وهذا وحده يشكل عبئا كبيرا لا يقارن بالأعباء التي يتحملها من ينهض بإنجاز أي قاموس آخر من بقية القواميس المؤرخة للغات ذات الأعمار القصيرة والتجارب المحدودة" نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي، اللسان العربي، ص١٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

التعامل مع هذا التعدد وفق مناظير متعددة أيضا، مع ما يطرحه هذا من صعوبة الفصل التي تعد ضرورة منهجية على الأقل.
زد على هذا أن الذين تناولوا اللغة تناولا علميا لم يكونوا كلهم لغويين، بل منهم الفلاسفة والأطباء والفقهاء والأصوليون.. الذين يصدرون عن ثقافتهم التخصصية الغالبة، كما نراه ماثلا في كتاب رسالة في أسباب الحروف والإشارات والتنبيهات لابن سينا، ورسائل إخوان الصفا، والموسيقى الكبير للفارابي وغير هؤلاء كثير.

٢ . حاجة مثل هذا النوع من القواميس إلى متخصصين في فروع علمية شتى، فبداية ينبغي أن يتشارك فيه اللساني بما يملك من عدة معرفية، ومن تبحر في مجال تخصصه، وإحاطة بمفاهيمه، إلى جانب المشتغلين بالمعجمية وقضاياها، ولا أحد من هؤلاء ولا من أولئك بإمكانه بمفرده أن ينهض بأعباء الإنجاز مهما بلغ، فالمشتغل بقضايا العلم اللغوي بكل مستوياته يتتبع المصطلح في محضنه، ويدل على موضعه، كل بحسب تخصصه الذي يضرب فيه بسهم، يرد ويقبل، ويرجح بما له من إحاطة واستيعاب، لينهض المعجمي، بحكم إطاره النظري، بالبحث في المنجز الاصطلاحي من حيث صورته وهيئته، وطريقة توليده، ودلالته على معناه.. أما القاموسي الذي يمتلك ناصية الممارسة المعجمية، فيسهم في كيفية جمع المنجز وترتيبه وتحديد مداخله وتفريعها بقدر ما تدعو إليه الحاجة، وشروط تعريفه وصوره، بما يتناسب مع الهدف والمستعمل للقاموس، وكل هذا يتأسس على قاعدة يعدها المصطلحي الذي يدلي بدلوه فيما يختص بالمصطلح من حيث هو لغة ثانية، ووضع تال للوضع الأول أو لغة منحوتة من اللغة الأولى لمواجهة الحاجات المعرفية الطارئة [١] ، وكيفية تشكلها في علاقتها بمفاهيمها، وشبكة العلاقات التي ينسجها المصطلح مع غيره من المصطلحات المبنية بصورة واعية مبررة، خالية من خاصية الاعتباطية التي طبعت الوضع الأول.

أي إننا في مثل هذا الإنجاز نكون أمام ترسانة لغوية اصطلاحية ضخمة في الثبات والامتداد، في الآن وفي الزمان، بكل ما أنجزته العلوم العربية معرفيا وما بنته من أدوات التعبير عن مفاهيمها ممثلة في منظومتها الاصطلاحية، وهذا التفاعل بين نسقية العلوم والمعارف من جهة، وبين المعجمية ببعديها من جهة ثانية، وبين المصطلحية من جهة ثالثة، يقتضي التفاعل بين النظري وبين التطبيقي، ويستدعي التعاون بين علماء

(١) يقول عبد السلام المسدي: "ولما كانت العلوم بمثابة الأنسجة العضوية التي تنمو خلاياها نموا رياضيا فإنها أشد المنهات وقعا على اللغة، تستفزها بالمفاهيم فترد الفعل بولادة المصطلحات" مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص٤٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

النظرية (المتخصصين في العلوم سواء كانت لغوية أو معجمية أو مصطلحية)، وبين التطبيقيين والفنيين والممارسين في كل مجال، باعتبار أن قيمة العلوم في التحام النظرية بالتطبيق؛ لأنه ثمرتها ومعقد القيمة فيها. ووجه التحدي فيما ذكرنا من التعدد المتداخل هو ما يقتضيه من عديد الباحثين، وتجرد الكفاءات البحثية للإنجاز وانقطاعها له، وإذا لم توضع خطة شاملة قائمة على التنسيق بين الباحثين جريا على التنسيق بين تخصصاتهم وما يتقنون، فإن العمل سيخرج مطبوعا بمعرفة قطاعية بعينها، أو فردية شخصية ذاتية ناقصة؛ مهما اجتهد صاحبها، "ذلك أن كلا من هؤلاء يجتهد في تحرير المادة المعجمية استنادا إلى معرفته وفهمه لطبيعة المعجم، دون الاعتماد على ضوابط محددة سلفا، الأمر الذي يؤدي إلى تعدد مناهج التحرير المعجمي بتعدد المحررين أنفسهم"[١]. ولا شك في أن هذا سيضيف عبئا جديدا يزيد من فوضى التصنيف المعجمي الحديث في بعده العام، ناهيك عن أن ينهض بأعباء مشروع الأمة الحلم (المعجم التاريخي)، ومنه المعجم الاصطلاحي الخاص.

وقد نبه بعض الباحثين إلى مجازفة أن يوكل عمل القاموس الاصطلاحي إلى فرد أو تخصص بعينه، باعتبار أن ذلك يزيد المعرفة غموضا والمفاهيم التباسا، فبين "المختص بالعلم وهو يعالج موضوع المصطلح في غير خبرة علمية بشؤون اللغة واللغوي وهو يعالج مواضيع العلم من خلال قاموسه الاصطلاحي في غير ارتياض حقيقي بمقولات العلم وخباياه تنزرع إشكالات: عديدة في كمها، متنوعة في أصنافها، تتسع دوائرها على التدريج إلى أن تستحيل مولدا للالتباس الفكري ولمزالق الظن الثقافي، وربما لسوء الفهم الحضاري بالكلية"[٢].

٣. أما التحدي الثالث فذاتي، ينبثق من داخل المنظومة الاصطلاحية نفسها، وما يعتمل فيها من مظاهر نشاز، لا أدل عليه من صفة التعدد العارضة للمصطلحات، ولا نعني هنا التعددية الناشئة فيما بين مصدر الاستعمال الوضعي الأول، وبين حالة القرار الاصطلاحي الطارئة بالنسبة إلى الوضع، بل نقصد التعدد في حالة القرار الاصطلاحي نفسها، ولها مظهران:

أ. تعددية في المصطلح والمفهوم واحد، نحو الدلالة على مفهوم الأثر الإعرابي الحاصل بعامل يوجبه بمصطلحي (الجر) في أحيان كثيرة، و(الخفض) وهو

---

(١) المعتز بالله السعيد: حوسبة المعجم التاريخي للغة العربية، اللسان العربي، ع٧٤، ٢٠١٤م، ص٦٩.

(٢) الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، صص:١٤١، ١٤٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مستعمل بقلة، كما نجده عند المبرد البصري في مقتضبه، والفراء في معانيه، وكدلالة الضمير والمكني على الأسماء التي تغني عن تكرار الاسم وتؤدي دور الربط في الجمل، يقول ابن يعيش: "لا فرق بين المضمر والمكني عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة، فمعناهما واحد وإن اختلفا من جهة اللفظ، وأما البصريون فيقولون المضمرات نوع من المكنيات، فكل مضمر مكني وليس كل مكني مضمر"[(١)]، فالمضمرات عند البصريين استعمال على سبيل التوسعة، وعند الكوفيين على سبيل الحصر والتقييد، ونظير تصريحه شارحا بالترادف بين مصطلحي التمييز والتبيين للاسم المنصوب الرافع للإبهام الملاحظ في المفرد أو الجملة: "اعلم أن التمييز والتفسير والتبيين واحد، والمراد به رفع الإبهام وإزالة اللبس، وذلك نحو أن تخبر بخبر أو تذكر لفظا يحتمل وجوها فيتردد المخاطب فيها، فتنبهه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبيينا للغرض ولذلك سمي تمييزا وتفسيرا"[(٢)]. كما استعمل التفسير للدلالة على المفعول معه، وذلك عند الفراء دون غيره[(٣)]. ومن التعدد الاصطلاحي قولهم عن (لا) في نحو: لا يكتبُ، حرف نفي تارة وجحد تارة أخرى. ومثل هذا كثير في اصطلاحات العلوم اللسانية في العربية.

وقد يكون هذا التعدد للمصطلح بتعدد اعتبارات المفهوم الواحد، مخالفةً لما قر في العلم موضوع التواضع، نحو ما رصده الباحث عوض القوزي من مصطلحات الخليل في الحركات التي خالف بها ما شاع عند النحاة، لأنه اعتد بهيئة الحركة ودرجتها من الناحية الصوتية: مفردة أو منونة، وبموضعها: وسط الكلمة أو آخرها، وبما تكون فيه الحركة: أتكون في الاسم أم تكون في الفعل[(٤)].

ب . تعددية في المفهوم والمصطلح واحد، وهي كثيرة نحو ما ذكره ابن يعيش من تسمية

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج٣، ص٨٤.

(٢) نفسه، ج٢، ص٧٠.

(٣) وقد وقف على هذا الباحث سعيد جاسم الزبيدي في معاني القرآن، قال نقلا عن الفراء في تفسيره للآية الكريمة "يا أيها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المومنين": "يكفيك الله ويكفي من اتبعك، فموضوع الكاف خفض، و(من) في موضع نصب على التفسير كما قال الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا .. فحسبك والضحاك سيف مهند"

من إشكاليات العربية، ص٦٥.

(٤) "فالرفع لما وقع في أعجاز الكلم منونا(زيدٌ)، والضم لما وقع في أعجاز الكلم غير منون نحو (يفعل)، والتوجيه لما وقع في صدر الكلم، نحو عين (عُمر)، والحشو لما وقع في الأوساط، نحو جيم (رجُل)، والنجر لما وقع في أعجاز الأسماء دون الأفعال غير منون مما ينون، مثل اللام من قولك (هذا الرجلُ)" عوض بن حمد القوزي، جهود الخليل بن أحمد في صناعة المصطلح، مقال منشور ضمن أوراق الندوة الدولية (الخليل بن أحمد الفراهيدي) المنعقدة بجامعة آل البيت في ٢٧ . ٢٩ جمادى الآخرة، ١٤٢٧ هـ، ٢٢ . ٢٥ تموز ٢٠٠٦م، منشورات جامعة آل البيت ٢٠٠٧م، م٢، ص٧٥٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الضمير وغيره بالمكني عند البصريين، باعتبار أن مصطلح (الكناية) يعني "إقامة اسم مقام اسم تورية وإيجازا، وقد يكون ذلك بالأسماء الظاهرة نحو فلان والفلان وكيت وكيت وكذا وكذا، ففلان كناية عن أعلام الأناسي والفلان كناية عن أعلام البهائم، وكيت وكيت كناية عن الحديث المدمج، وكذا وكذا كناية عن العدد المبهم"[1].

ج . تعددية باعتبار التناظر الحاصل بين المتداول من المصطلحات اللسانية حديثا وبين المصطلحات اللسانية التراثية، كنحو ما نجده في الحرف والصوت في علم الأصوات، وما تتميز به مصطلحات المبتدأ والخبر من ثبات، في مقابل ما يطبع مصطلح الموضوع والبؤرة من انتقال وتحول، وما يحمله مصطلح الفاعل من عموم يحتكم إلى معيارية شكلية غالبا، في مقابل ما يراد لمصطلح المنفذ من ضبط وخصوصية في المفهوم، لكنها محاولة قد تشكل تضخما اصطلاحيا، أو تورما يحيد به عن طابعه الحميد في مواجهة حالة القرار الاصطلاحية التراثية.

٤- ويتوجه التحدي الرابع إلى صلب اشتغال الآلة المصطلحية نفسها في علاقتها بالواضعين ومراداتهم، وهنا تطرح مسألة على قدر كبير من الأهمية مؤداها: كيف لنا أن نعرف أن كلمة ما من جهاز اللغة في وضعها الأول قد تحولت إلى أداة للتعبير عن مفهوم خاص في مجال من مجالات المعرفة اللسانية العربية؟

أي إننا سنكون في موقع الراصد لهذا التحول في صلب اللغة الخاصة، لنتتبع مظاهر المخاتلة التي يمارسها المصطلح في مواجهة المفهوم، وهو ما قد يعمي على القارئ.

وهنا تزداد المهمة صعوبة في ظل قلة القواميس المصطلحية، وقلة اهتمام المعجمات العامة بالمصطلح إلا نادرا، بحكم المهمة التي ندب لها أصحابها أنفسهم، وعلى تعبير الباحث الشاهد البوشيخي "إذا وصلت إلى فهم ألفاظ التراث اللغوية والاصطلاحية وصلت إلى الصَعود.. والمعاجم اللغوية على كثرتها اهتمت أو كادت لا تهتم إلا بلغة بعض القرون، وهو تراث أعلام ومدارس واتجاهات، وعلوم وفنون وصناعات، ولكل صناعة ألفاظ، ولكل قوم ألفاظ.. والمعاجم الاصطلاحية على قلتها لم تعن أو كادت لا تعنى إلا برأي الجمهور في اصطلاحات العلوم والفنون"[2]، والشيوع لا يعني الصحة دائما، فكم من رأي فرد أو قلة اتضح صوابه بعد فترة من الزمن.

---

(١) شرح ابن يعيش، ج٣، ص٨٤.

(٢) دراسات مصطلحية، ص ١٦٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وعودا على اصطلاحية المصطلح، نقول كيف يمكن لنا أن نحدد بأن هذه الكلمة أو تلك وظفت توظيفا اصطلاحيا في ظل التعدد والتباين والغموض؟ وهنا يمكن الإشارة إلى أهم المعايير الضابطة التي تجعل من المصطلح مثاليا في التعبير عما جعل إزاءه من مفهوم:

أ . علومية المفهوم: أي أن تكون الكلمة معبرة عن مفهوم ينفرد به مجال من مجالات المعرفة العلمية، وإن بقي لها وجه ارتباط بالدلالة اللغوية العامة، وهذا في حالات محددة عند النقل ممثلا في المجاز.

إن خصوصية المصطلح من هذه الزاوية مبنية على الجانب النفعي للاستعمال، فهو مختلف عن كلمات اللغة العامة المشتركة، بل هو شفرة خاصة بين مستعملين مخصوصين، لتحديد مفاهيم خاصة، في مجال خاص، "فالسجلات المصطلحية تستعمل عموما للإحالة إلى التصورات الذهنية المرتبطة بمجال محدد"[(١)].

ب ـ التكرارية في الاستعمال: أي اطراد استعمال الكلمة في هذا المجال العلمي أو ذاك، وتواتر توظيفها في التعبير عن مفهوم محدد في كل النصوص المحصاة، أو في شريحة كبيرة منها، وهذا لا ينفي الاهتمام بالمصطلحات الآحاد التي لم يكتب لها الذيوع، وقد تكون مصطلحات مرشحة، أو مشاريع مصطلحات.

ج . العدول عن حالة الوضع الأول عند النقل عن المعنى الأصلي العام، أو الدلالة العرفية اللامبررة عند الاشتقاق. وإن كان يبقى للمصطلح وجه ارتباط بالدلالة الوضعية الأولى، فإليها ترتد كل الدلالات المتولدة، سواء كانت عامة أو مجازية أو اصطلاحية[(٢)]، إن تحول كلمة ما من المعجم اللغوي العام إلى القاموس الاصطلاحي الخاص، هو انتقال لها من منطق القائمة أو الجدولية، سواء استندت إلى مبدأ التعاوض (داخل الجدول الواحد)، أو التناظر (الكلمة في علاقتها بكلمات أخرى من جداول أخرى مختلفة أو ضدية)، إلى منطق النظام المستند إلى مبدأ القيمة (valeur)، وهو ما يذكرنا بالنظرة البنيوية عند دو سوسير، في موقفه من قيمة العلامة اللغوية وظيفيا، الشبيهة بقيمة أي قطعة على رقعة الشطرنج، سواء اتخذت من خشب، أو حجر، أو زر، أو أي شيء آخر، غير أننا هنا بصدد قيمة من

---

(١) ماريا تيريزا كابري: المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ترجمة محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م، ص٥٧.

(٢) بل لقد جعل علي القاسمي مناسبة دلالة المصطلح اللغوية ودلالته الاصطلاحية أمرا ضروريا لا محيد عنه. ينظر: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص١٠٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

نوع خاص، إنها تعني دخول المصطلح، بما يعبر عنه من مفهوم، طور الشبكة المنتظمة، ذات الارتباطات المتعددة بكافة أفراد الوسم الاصطلاحي، إذ إن مدلول "المصطلح كقيمة . يتحدد . بتحديد موقعه من النظام المفهومي والجدول المصطلحي الذي يندرج فيه، ويؤدي حتما تحول اللفظ من وحدة معجمية إلى وحدة مصطلحية، حتى وإن بقي الدال واحدا، إلى تغير قيمته الدلالية بتغير موقعه في نظام العلامات الدالة" (١) .

د . الخاصية التفسيرية: ونعني بها أن هذا الجعل، بأي طريقة كان، هو جعل مفسر، ومعلل؛ فارتباط كل مصطلح بمفهومه مطبوع بالغائية، على خلاف الأوضاع الأول، التي تعد ضربا من الاعتباطية مهما كانت درجتها. ولعل أهم ما يمكن أن ينهض دفاعا عن التفسيرية هو طابع "ملاءمة" المصطلح للمفهوم الذي يعبر عنه، وكفاءته له.

إنه إذا كان دوسوسير قد تحدث، في إطار اللغة بعدها إرثا مشتركا، عما يمكن اعتباره منتصف المسافة بين الاعتباطية والتعليل، وإن كان ذلك يقع قليلا بالنسبة إلى الحكم العام وهو الاعتباطية المطلقة، فيما يلاحظ في الأعداد المركبة والأسماء المنسوبة والمشتقات عن الأفعال النواة، فإنه يسوغ لنا هنا، والأمر أكثر جدية وصرامة وانضباطا، لأننا في حضرة العلم بما يحمله في تضاعيفه من مفاهيم كثيرا ما تنزع إلى الدقة والوضوح، أن نتحدث عن تعليلية كلية، أو تفسيرية صرفة، لأنه ما من تسمية توضع لمفهوم إلا وهي تحمل في تضاعيفها شيئا من الدلالة عليه بلفظها قبل البحث في علل الوضع، نظير ما ذكره ابن جني في أنواع الدلالات (اللفظية والصناعية والمعنوية) (٢) ، ومدار ما ذكرنا على الصناعية في مجمله، إننا بصدد تحيزات موضوعية معقلنة في صلب اللغة، وإن بدت لغة غير اللغة؛ بسبب من تلك الخصوصية المتجاوزة لفكرة الاعتباط، التي طبعت الفكر اللغوي في نظرته للعلاقة المتمركزة في لب فعل التدليل.

هـ- عدم الاشتراك: أي أن يعبر عن مفهوم واحد بعينه، جريا على الأصل، باعتبار المصطلحات قوائم متشابكة العلاقات مبررة الوجود، وألا يعبر عن مفهومين مختلفين أو أكثر، هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية، ألا يتوارد مصطلحان أو أكثر لمفهوم واحد، إلا أن يكون أحدهما أكثر شيوعا وأكثر تواردا من غيره، فيحتفظ

---

(١) عثمان بن طالب وآخرون: تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٨٩م، ص٧٦.

(٢) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط ت)، ج٣، ص٩٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

حينئذ بالأشيع، ولا بأس من الإشارة إلى الأقل. غير أن حالة الصفاء هذه حالة مثالية يندر توفرها، إذ "لا وجود لمفهوم أحادي المكون، وأن لكل مفهوم مكوناته الأساسية والطارئة من خلال تاريخية المفهوم وحركيته، التي تؤدي إلى تعرضه لعمليات التحريف والتلبيس"[(١)]، مما يؤثر على الوعاء اللفظي الذي يحتويه، والزاوية التي من خلالها ينظر إليه.

٥. قلة الدراسات الجادة التي من شأنها أن تتخذ مدخلا مهما، ومتكأ يستند إليه لمعرفة الأطر النظرية التي كانت تشتغل عليها المنظومة الاصطلاحية العربية طيلة القرون التراثية عموما، وفي العلوم اللسانية على وجه الخصوص؛ لأن إنتاج المصطلح يعد نهاية التفاعل، ونتيجة افتكار نظري يبدع جملة الظروف المعرفية والأدوات الإجرائية التي تقود العمل المصطلحي ككل وتوجهه، فالنظرة الشاملة للعلم، وما يتضمنه من تصنيفية ذهنية لحقوله المفاهيمية، وعلاقة ذلك ببنيات اللغة، تنتج في نهاية المطاف أطرا نظرية تحكم توليد المصطلحات في ظل تلك الشروط، وعليه فإن تصور عمل مصطلحي تطبيقي حقيقي بالاعتماد على الممارسة اللسانية وحدها، كما تعكسه آلية التوليد بمفهومه المبتسر، غير مجد، بل وغير ممكن من باب أولى، وإلا كانت عملية التمفصل اللغوي في مستواه الأدنى ممكنة في غياب جملة الكفايات القاعدية، التي بعضها من طبيعة لسانية، وبعضها الآخر من طبيعة نفسية وثقافية واجتماعية متفاعلة.

من هنا لا يمكن أن نستسيغ ما يذهب إليه بعض الباحثين من أن العلماء العرب استفادوا من نشأة المعاجم العامة والموضوعية "بشكل مفيد في بلورة رؤية مصطلحية عربية أصيلة.. غير أن هذه الرؤية (برأيه) لم ترق إلى مستوى النظرية المصطلحية بالمعنى العلمي الحديث.. وهكذا انتهت هذه المصادر العربية إلى تأليف معجمي محترم تواصل حتى اليوم، في حين ظلت المصطلحية منقوصة الاهتمام حتى في عصرنا هذا.. ويمكن القول إن العرب قديما لم يؤسسوا فكرا مصطلحيا يقوم على التنظير وضبط الأسس المعرفية والفلسفية لعلم المصطلح، بل عرفوا تفكيرا في المصطلح، بسبب الحاجة إليه في عصرهم"[(٢)]، وهذا على نسق ما قيل ويقال سرا وجهرا: إنه لم يكن

---

(١) محمد مصطفوي: إمكانيات التفسير وإشكالياته في البحث عن المعنى، منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٤٧.

(٢) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، بيروت . دار الأمان، الرباط . اختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، صص: ٣٦، ٣٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

للعرب لسانيات، بل قصارى ما كان عندهم تفكير لساني لا غير.

لقد سلك العرب القدماء بفعل الحاجة والعقلية البراغماتية المتوجهة إلى الفعل المعرفي نهجا مزدوجا في التوليد المصطلحي: يتمثل الأول في التركيز على الإنجاز اللساني للمصطلح بشكل واع، وأما الثاني فيتمثل فيما كفله التصريف العربي من الأبعاد النظرية والتطبيقية للتوليد، وجملة المحددات المعيارية التي تحكمه، وكل ذلك بخلفياته الاجتماعية والحضارية، على اعتبار أن الاصطلاح يتم داخل لغة منتمية لا معزولة، وكلا هذين التوجهين يحضران بصورة لافتة في أنهج التوليد المصطلحي كما تشير إليها ماريا تيريزا كابري[١].

٦. كثرة المصطلحات التي تحتاج إلى تعريف، وحاجة المصطلحات المعرفة إلى المراجعة، البالغة أحيانا حد النقض والإبرام من جديد، بسبب أن بعض التعريفات غير دقيقة أو غامضة أو ملتبسة؛ تُدخل بعض خواص المحدودات في بعض، لكونها تعريفات لا تتجاوز خاصية التعريف العام إلى الحد بمفهومه المنطقي المرتكز على خاصيتي الجمع والمنع، أي تجميع كل خواص المحدود، فلا يبقى شيء منها خارجا، ومنع غير خواص المحدود من الدخول فيه، نحو ما نجده في تعريف المجهور والمهموس، والحرف[٢]، في علم الأصوات[٣]، وتعريف الفاعل في النحو الذي يفلت ما اتصف بالفعل دون أن يكون

(١) المصطلحية النظرية والمنهجية التطبيقات، ص٢٧٢.

(٢) كما نجده في تعريف ابن جني للصوت: "اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا" سر صناعة الإعراب، تحقيق فتحي عبد الرحمن حجازي وأحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د ط ت) ج١، ص١٩. وقوله في الحرف بعد أن ساق الدلالة اللغوية: "ومن هنا سميت حروف المعجم حروفا، وذلك أن الحرف حدُ منقَطَع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه" ج١، ص٢٦، والواضح أنه يجعل الصوت هو ذات امتداد النفس عبر مجرى الهواء خلوا من كل صفة أو تقطيع في أي نقطة من نقاط الامتداد، حتى إذا عرض لهذا التصويت الممتد غير المقطع ما يثنيه عن امتداده سمي حرفا، وبحسب طبيعة الاعتراض يكون تصنيف الأصوات (وقد سماها أجراسا للصوت الغفل من كل ما يميزه) إلى مجهورة ومهموسة وشديدة ورخوة.. والذي يؤيد ما نذهب إليه قوله من باب التعريف بضرب المثل "لأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها (أي مواضع التقطيع أو المخارج)، التي هي أسباب تباين أصدائها، ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة.. اختلفت الأصوات.. ونظير ذلك أيضا وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسَل سمعت له صوتا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا سمعت غير الإثنين.." نفسه، ج١، ص٢١.

(٣) جاء في حد سيبويه لهما: "فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

منه [1] ، وتعريف الاستعارة [2] ،وتعريف المجاز في مباحث الدلالة [3] ، وغير هذا كثير جدا، وهو واقع في معظم العلوم اللسانية العربية على اتساعها وكثرة التبويب فيها.

خامسا . الأطر والمحددات :

وهنا ينبغي أن نشير إلى جملة الأطر التي يتنزل فيها المشروع، من كونه فكرة إلى كونه ممارسة، ويتعلق الأمر بثلاثة أنواع من الأطر، كنا أشرنا إلى بعضها ولو إيماء:

١ . الإطار الزماني: وقد تبنينا خيارا موسعا للمصطلح المراد جمعه وتبويبه من منظوره الزمني عند تعرضنا لمصطلح التراث، وعليه فالعينة المعنية بالتصنيف والدراسة المصطلحية هي الجهاز المفاهيمي بما يعبر عنه من مصطلحات منذ أول أثر علمي لساني مكتوب وصل إلينا أو يمكن العثور عليه للغويين والنحاة والصواتيين والبلاغيين الأوائل، إلى غاية نهاية الفترة الذهبية للحضارة العربية الإسلامية وبداية عصور الانحطاط [4] ؛ أي إلى حدود نهاية القرن السابع الهجري على وجه التقريب.

= فتصير فيهما غنة.. وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه.." الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ج٤، ص٤٣٤. فالملاحظ، بعيدا عما قدمه علم الصوت المخبري في العصر الحديث، أنه يجعله مرادفا للشديد الانفجاري وللرخو، فإشباع الاعتماد يعني الإغلاق التام للموضع، بدليل أن معياره الاختباري عند سيبويه استحالة الترديد أثناء النطق بالمجهور إلا أن يسبق بمد أو لين، نحو آاااد، آاااط، وهو قريب من خاصية الشديد التي يذكرها بعد ذلك "ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه.. وذلك أنك لو قلت: ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك" نفسه، ص٤٣٤. وعودا إلى ما قدمه علم الصوت الحديث، فإن ما يميز المجهور من المهموس إنما هو اهتزاز الوترين الصوتيين وعدمه.

(١) كما ورد في حد ابن عقيل في شرحه على الألفية "فأما الفاعل فهو الاسم المسند إليه فعل على طريقة فعل أو شبهه وحكمه الرفع" شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢ (د ت)، ج٢، ص٧٤. قد أفلت في الحد ما سمي فاعلا دون أن يقوم بالفعل، نحو سقط الجدار، فالجدار يصنف في المقولات النحوية على أنه فاعل، مع كونه اتصف بالحدث ولم يقم به. ومثل هذا كثير في العربية.

(٢) ومما جاء في تعريفها قول العسكري: "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض.." الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص٢٦٨. وهذا الحد قد يلتبس بالكناية نحو (فلان نظيف الثوب)، والتورية نحو قول أبي تمام: ورب الشعر عندهم بغيض.. وإن وافى به لهم حبيب. وفي كليهما نقل للعبارة عن دلالتها اللغوية لغرض.

(٣) جاء في تعريف ابن رشيق: "ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه، وهو مصدر جزت مجازا..ومن كلام عبد الله بن مسلم بن قتيبة في المجاز قال لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلا، لأنا نقول: نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة..والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة..وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب" العمدة في محاسن الشعر، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ج٢، ص٢٣٢. فقد حده بأصله اللغوي، وبدوره وحسن موقعه، وكيفية تكونه، وما ذكره من الأمثلة، إنما هي مجازات تنوسي أصلها، وصارت حقيقة عرفية شابهت الحقيقة اللغوية الوضعية، ومن ثم لا تصلح أن يحد بها.

(٤) وعادة ما يؤرخ لهذا بقيام دولة العثمانيين (١٢٩٩م)، التي وإن بسطت نفوذها على قطاع كبير من العالم عسكريا، إلا أن الثقافة العربية في مجالات العلوم اللسانية على وجه الخصوص شهدت في ظلها نكوصا وتراجعا بينا.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٢ . الإطار القطاعي: ونعني به مجال الرصد الموضوعي لنظم المفاهيم ونظم المصطلحات، التي تشكل بنيات متعالقة، يفقد المصطلح قيمته خارجها، ووجوده داخلها متمرد على منطق المراكمة الكمية، بل هو جزء يؤدي دوره بفعالية داخل شبكة العلاقات التي تربطه بنظرائه فيها.

إننا هنا نتوجه إلى نسقيات جدلية من طبيعة مفاهيمية ــ اصطلاحية؛ خاصة داخل حقل اشتغال اللغة بالنظر إليها واصفة وموصوفة في الآن نفسه، أي في إطار العلوم اللسانية المنتجة داخل حضارة معينة برؤية معينة لمفاهيم العلوم الفرعية، ونخص هنا: علم الأصوات بمظهريه المجرد والتشكيلي، والنحو والصرف، ومعجم اللغة وفقهها، والمعجمية، والبلاغة باعتبارها منتهى تفاعل الدلالات، وخلاصة اشتغال علوم اللسان الأخرى.

وفي مجال الرصد القطاعي هذا، يمكننا أن نتحدث عن ثلاثة أضرب من التفريدات، التي لا تعني سوى التوجه إلى جهة مخصوصة لدواع مبررة:

أ . تفريد للتخصص: والمقصود به أن نستهدف في الخطة العملية من الرصد تخصصا بعينه، نجعله شريحة للدراسة والتمحيص نصا ومصطلحا ومفهوما، نحو استهداف علم لساني فرعي محدد، تقرأ مدونته، وتحصى نصوصه، وتجرد مصطلحاته، وتضبط مفاهيمه على هدي من النصوص. وهذا أصل عمل المشروع، وليس فيه من ملامح التفريد سوى عزله عن غيره مما يجاوره في العلوم اللسانية، أما المعالجة التاريخية واشتراك المشتغلين فباقيان على أصلهما.

ب ـــ تفريد للواضع أو المستعمل: والأمر هنا يتحول من العلم إلى الأعلام، من المعرفة المتخصصة الفرعية التي ألمحنا إليها، إلى العَلَم الذي له حضوره في إطاره، وله بصمته النوعية فيما كتب وعالج من قضايا العلم الواحد، وهو الأولى، لكن تداخل العلوم من جهة، والطابع الموسوعي للتكوين المعرفي لهؤلاء الأعلام من جهة ثانية قد يدخلنا في التعديد من باب التفريد.

ج . تفريد للحقبة التاريخية: أي التركيز على فترة بعينها من فترات تاريخ العلوم، وهنا يتحول العمل في إطار التاريخ إلى عملية تأريخ للمعرفة، بما يعكسه التأريخ من نسقية مفهومية مصطلحية في لحظة الوعي الراهن للعلم، كأن نسلك في هذا مسلك الطبقات في النحو، أو المتقدمين والمتأخرين، أو تعالج المنظومة المصطلحية على مدى القرون مقسمة قرنا قرنا، وتنصب الجهود عليها واحدا تلو الآخر.

لكن يمكن أن نتساءل عن جدوى هذه الأنواع من التفريد أو بعضها، وعن مدى إسهامها في الوصول إلى صورة العمل المكتمل: هل هذا الإجراء المنهجي يمثل مقدمات تعين

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

في إنجاز المشروع الكلي، وبأية صفة تكون كذلك؟

إن مخرجات تلك الطريقة يمكن أن ينظر إليها على أنها قواميس اصطلاحية مرحلية ضرورية، خاصة في ظل غياب صورة مثالية أولية تعكس المعيار الذي يؤنس به. كما أن تلك المنهجية تتماشى مع مبدأ معرفي منهجي كثيرا ما يركز عليه في الاكتساب أو الإنتاج، إنه مبدأ تجزيء صعوبات الإجراء الكلي الذي له صفة التركب والدمج والتعقيد، هذا إلى جانب كونه وسيلة للتدريب على الإنجاز، من خلال ضبط المبادئ والإجراءات والممارسات القاموسية والمصطلحية، التي يمكن أن تجنب المشروع في كليته كما تجنب العاملين فيه والقائمين عليه الوقوع في الأخطاء نفسها في المراحل القادمة منه.

الإطار الاستعمالي: أي إلى من نتوجه بهذا المشروع في حال اكتماله، وفي هذا السياق يمكننا الحديثعن المستهدفين به وهم:

أ. القائمون على التربية والتعليم؛ بحكم دور المشروع على الصعيد التربوي، فهو يوفر مادة اصطلاحية خام مؤصلة بنصوصها التي تضمنتها، بمفاهيمها التي يراد للناشئة أن تحذقها في أي مستوى من مستويات اللغة تعلما وتعليما.

ب ـ طلبة الجامعات والمعاهد المتخصصة في تكوين الأطر العلمية المؤهلة، ففي القاموس يجدون ما يشبع نهمهم العلمي، ويلبي رغبتهم في الاستزادة من معرفة الأصول التاريخية للمفهوم والمصطلح في المجال المرغوب، وجملة التغيرات التي طرأت على هذا الشق أو ذاك من النسق الاصطلاحي في تاريخه الطويل، مما تكفله الدراسة التأثيلية التي أشرنا إلى أنها جزء لا غنى عنه من القاموس التاريخي عموما، والمصطلحي على وجه الخصوص، كما يمدهم بتعاريف للمصطلحات تخرجهم مما دأبوا عليه من مفاهيم يصعب ضبطها أو تحديدها.

ج . الباحثون المتخصصون في فروع المعرفة اللسانية، وهم يغرفون يوميا من مفاهيم ومصطلحات اللسانيات الغربية، التي تبدو في كثير منها غريبة عن تراثهم، إما مفهوما وإما مصطلحا، ما رسخ فكرة الفجوة المعرفية بين التراث والمنجز اللساني الغربي الحديث والمعاصر لدى كثير منهم، وولد اغترابا في المنظومة المصطلحية بالاستصحاب، وكرس مقولة الانهزامية والمسبوقية، وأكد في منظورهم ضرورة تجاوز التراث الذي لم يستوعبوه، ونبذوه قبل أن يعرفوه، إلا بعضا مما بقي في أيديهم من مراحل التعليم الأولى، بالنسبة إلى هؤلاء يمثل القاموس التاريخي للمصطلحات اللسانية التراثية عونا على التعرف على التراث من خلال أساسات المعرفة (الجهاز المصطلحي بمنظومته المفاهيمية)، ووسيلةً لمقاربة المفاهيم الوافدة، التي لا تكاد تختلف كثيرا عما في أيدينا من تراثنا سوى في طريقة العرض، إلا ما كان خاصا ومطبوعا بطابع نمط التفكير

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المختلف مما ليس له نظير عندنا، لأن المصطلح عنوان على رحلة حضارة، وتاريخ فكر، وقمة تفاعل المجتمع والثقافة، من جهة كان المفهوم "عملية تأطير لأفكار ترتب العالم على نحو يتلاءم مع مقولات الذهن والوجدان المتجسدين في اللسان.. هنا تلعب الألفاظ والأسماء دورها في تصنيف الأشياء وترتيب الكائنات"[1].

تتحقق تلك المقاربة للمحدث بأدوات التراث إذا ألحق كل مصطلح مع حمولته التاريخية المعرفية، بمقابلاته أو مقارباته الغربية، إنه بالنسبة إلى هؤلاء عودة إلى الذات على بصيرة ووعي، وقفز نحو المثاقفة على أرضية راسخة وقدم ثابتة.

د. المترجمون الذين يشتغلون في مجال نقل العلوم والمعارف اللسانية الغربية إلى العربية، وغير قليل من هؤلاء يحسب أن ذلك ممكن، كأنما عمله لا يعدو استبدال وسم وضع على بضاعة في لغة معينة بوسم آخر من لغة ثانية، والحقيقة أن التسمية هي المحطة النهائية في التراتبية التي تمر بها عملية تصور المفهوم، خاصة ونحن نتحدث عن مجال العلوم الإنسانية، وهو مجال فكري نسبي مظنون بامتياز[2]، وعليه فإن تعريب المصطلح هو آخر المحطات، وأيسرها مؤونة، وأقلها كلفة مقارنة بافتكار المفهوم، واستيعاب خلفياته، وتبين حمولته قبل تشربها والدعوة إليها ! لما للمفهوم في ذاته من خصوصية وخطورة، فهو "أساس الرؤية، والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي: بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية، أو تُرِيكَها على غير ما هي: مصغرة أو مكبرة، محدبة أو مقعرة"[3].

سادساً ـ المنهج. المنهجية:

١. الاختيار:

تجيء كلمة منهج في اللغة وتعني الطريق البين الواضح، والسبيل القويم، يقال "طريق نهج: بين واضح.. وسبيل منهج: كنهج.. والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"[4].

أما اصطلاحا فالمنهج هو جملة الخطوات المتبعة، والإجراءات المطبقة في دراسة

---

(١) إمكانيات التفسير وإشكالياته في البحث عن المعنى، ص٢٤٧. والعبارة مقتبسة من الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية لجيرار جهامي.

(٢) وقد أشار البوشيخي إلى خطورة مصطلحات العلوم الإنسانية الوافدة بقوله: "والمصطلح الوافد في العلوم الإنسانية ظنين حتى تثبت براءته" دراسات مصطلحية، ص٦٥.

(٣) نفسه، ص١٥٩.

(٤) لسان العرب، ج٣، ص٤٤٧، مادة (نهج)

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

موضوع من الموضوعات، لتحقيق هدف محدد، وفق رؤية محددة سلفا، في أي مجال من مجالات المعرفة الإنسانية نظرية كانت أو تطبيقية، وهذا الذي عده بعض الدارسين الإطار العام للمصطلح، أما المنهج بمفهومه الخاص لديه، فهو "طريقة البحث المفصلة المطبقة على كل مصطلح- والملاحظ أن التعريف ينصرف لعلم المصطلح- من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام" [(١)].

إننا سنتجه في تحديدنا لثنائية المنهج ـ المنهجية اتجاها معاكسا، ليكون مفهوم المنهج الذي نرومه في دلالته الخاصة هو المعدود عاما، أما المنهجية بما نريده، فهي الدلالة المعتبرة خاصة عند الباحث البوشيخي، فهو تحديد مبني على المغايرة التي تفرضها طبيعة المقاربة، وخصوصية زاوية النظر التي تبنيناها في معالجة هذه الثنائية.

إن المنهج يتصدى لتنظيم العلاقات الممكنة في شبكة المعرفة، بعد إدراكها والوعي بها أولا، إنه "تدبير نظري لضبط عملية البحث وإدارة شؤونه" [(٢)]، فهو الذي يخرج البحث من منطق المراكمة إلى البناء المعلل، ومن الارتجال إلى التدقيق والتنظيم والتنسيق [(٣)].

يشكل المنهج جوابا اجتهاديا عن إحدى الإشكالات التي تطرحها عملية التعرف في سبيل بناء المعرفة، وهي: ماذا ندرس؟ ولماذا ندرس؟ وكيف ندرس؟

وإذا كانت المعرفة؛ ممثلةً في الموضوع المطروق، تتكفل بالإجابة عن السؤال الأول، فإن سؤال نقطة القرار أو المنتهى المعرفي، تحدده الأهداف والغايات والرؤى التي تضبط السير والبواعث التي تحركه، أما الكيفية - بما تمثله من رحابة الإطار المعرفي في تفاعل الأطر الثلاثة: الذات العارفة، وموضوع المعرفة، وطبيعة الارتباط بين الطرفين ممثلة في شبكة علائقية تتشكل ذهابا وإيابا - فتجيب عنها المنهجية العامة أو الإطار الكلي، الذي تعتمل في حدوده كل العوامل، إنها مسار الاشتغال، وسيرورة التهيؤ والبحث والكشف والمقايسة والتأطير، لتغدو المنهجية أعم اصطلاحية، وأوسع مفهومية.

قد لا يبدو من خلاف بين المصطلحين، ونحن بصدد التناول العلمي للمصطلح، سوى

---

(١) دراسات مصطلحية، ص٣٠.

(٢) إمكانيات التفسير وإشكالياته، ص١١٧. أو هو (الطريقة) أو (الطريق) أو (الإجراء) الذي من خلاله نتمكن من الكشف عن المعرفة، عبر عملية ترتيب العمليات العقلية المعتمدة في الكشف والبرهنة، ومن ثم فهو من طبيعة خارجية، أي ليس هو خيارا بل يفرض على الذات فتتبناه لوجاهته وصلاحيته وتساوقه مع الموضوع وطبيعة الآليات والإجراءات العقلية المناسبة

(٣) ينظر: الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، ص٣٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ما يبدو عليه الثاني من هيئة المصدر الصناعي المختوم بالتاء الدالة على العلومية، على نحو ما نجده في المعجمية، والألسنية، والتداولية وغيرها، لكن الأمر يتجاوز هذا التوجيه الصرفي، السابق إلى الوهم بادئ الرأي، إلى حقيقة اشتغال كل منهما وعلاقته بنظيره.

فإذا كان الأول (المنهج) الأداة التي من خلالها أو بواسطتها يقارب الموضوع المراد بحثه ودراسته، فإن الثاني (المنهجية) دال على الخطة الشاملة أو الاستراتيجية التي تضبط سير البحث من أوله إلى آخره بما فيها المنهج بصفته الأداتية الإجرائية، مضموما إليه عناصر أخرى لها خاصية الأداتية أيضا، أو الظرفية، أو الوعائية، أو المرحلية.

إذن، فالمنهج يمثل حاجة ملحة في أي عمل يراد له أن يحقق نتائج مجدية أولا، كما يراد له ثانيا أن يتجنب كل مظاهر التعثر، سواء كان ذلك في إطار البحث العلمي الصرف، أو في إطار الحرف والصنائع وما جرى مجراها، بما هو (طريقة) أو (طريق) أو (إجراء) من خلاله نتمكن من الكشف عن المعرفة، عبر عملية ترتيب العمليات العقلية المعتمدة في الكشف والبرهنة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية بما هو عليه من الطبيعة الخارجية القسرية أو الحتمية؛ إذ إنه ليس خيارا من الداخل، بل يفرض على الذات من خارجها، فتتبناه لوجاهته، وصلاحيته، وتساوقه مع الموضوع، وطبيعة الآليات والإجراءات العقلية المناسبة.

ومن ثم يتضح أن كل موضوع يراد بحثه هو الكفيل بتحديد منهج المقاربة، والمسؤول عن اختيار الطريقة التي بها يدرس، ومن خلالها يبحث، وعلى أساسها ينقب في جزئياته، وجملة روابطها التي تنتظمها، والعلائق التي تبرر البناء، وتخرجه من المراكمة والفوضى والعشوائية، وإن كانت الذات العارفة هي التي تتصدى للكشف عن تلك العلائق، وتدرك تلك الترابطات. فمن المواضيع ما يقتضي منهجا وصفيا تكوينيا، ومنها ما يقتضي منهجا تاريخيا تطوريا، وبعضها الآخر يحتم منهجا وظيفيا موسعا أو مضيقا بحسب الحاجة، في حين يلجئ نوع آخر من المواضيع إلى اعتماد المقارنة أوالمقابلة..إلخ.

٢. ضرورة المنهج المركب:

أما مشروعنا الذي نقترحه للبحث، فتستوجب طبيعته اعتماد منهج مركب بضوابطه؛ بحكم حاجة المعارف بعضها إلى بعض؛ أي إننا ننتقل من تكلف العزل القسري للمنهج الواحد عن بقية المناهج، ومن الإدخال العشوائي على المنهج ما ليس من طبيعته من غير مبرر، إلى ما يسمى بالمقاربة العبرمناهجية، التي يفرضها الموضوع القائم على التركب المتجانس، المقتضية موكوناته لـ :

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أ ـ **الإحـــصاء:** المعتمد على تتبع العبارة الاصطلاحية (المصطلح المفرد والمركب) في مظانها، إحصاء شاملا، في حدود ما توفر من مادة. وإن كنا نرى أن الإحصاء مضمن في تملي النصوص الشاهدة على رحلة المصطلح ومفهومه، أي إنه ممارسة تتم داخل المنهج التاريخي الذي يستمد منه المشروع العام هويته ووجوده، لا مجرد التسمية.

ب ـ المقارنة: وهي، كما نتصورها:

إما داخلية، تكون بقراءة المصطلح بما يحمله من مفهوم في ضوء التغيرات التي تصيبه في فترة محددة، في أثر واحد أو مجموع آثار، عند عَلَم واحد أو عند أعلام مختلفين، كما تكون المقارنة الداخلية تاريخية، أي على مدى فترات، وسميناها داخلية لأن عملية المقارنة تكون داخل المنظومة المعرفية والاصطلاحية الواحدة (اللسانيات العربية التراثية).

وإما خارجية، وتكون بمقارنة المصطلح، مهما كانت درجة اصطلاحيته[(١)]، بمصطلحات أجنبية متداولة في المنظومة المصطلحية اللسانية العربية الحديثة والمعاصرة، وهذه المقارنة ليست من صميم عمل القاموس التاريخي المصطلحي المرجو، لكنها مكملة لوظيفته، كونها ترتبط بأهداف المشروع من باب طرح البديل الحضاري والمعرفي، وإعادة الاعتبار للمفاهيم والمصطلحات التراثية التي "لم تطلق جزافا"[(٢)]، وتيسير الترجمة والتعريب، وتوحيد المصطلحات وضبط المفاهيم التي كثيرا ما تتعدد بتعدد التصورات، مع اتحاد المصاديق والحقائق المعرفية المعبر عنها.

غير أنه يلاحظ أن إجراء المقارنة هذا قد يكون مندرجا إما في المنهج الوصفي، وإما في

---

(١) وذلك أن درجة الاصطلاحية تنبني على عاملين: أحدهما داخلي ويتعلق بأهلية المصطلح للتعبير عن المفهوم تعبيرا دقيقا، وآخر خارجي قد لا يتعلق كثيرا بالجانب الداخلي، وإنما بتواتر استعماله وحده أو مزاحَما، وترسخ قيمته الاصطلاحية إذا جمع البعدين اللذين يمكنانه من مزاحمة البدائل الاصطلاحية في التعبير عن المفهوم الواحد، وقد حدد الباحث البوشيخي درجات اصطلاحية المصطلح في ثلاثة أنواع: مصطلحات تامة الاصطلاحية، ومصطلحات مرشحة للاصطلاحية التامة، ومصطلحات في مرحلة الاقتراح. ينظر: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٦٦. بينما يجعلها الودغيري ثلاث مراتب أيضا، ولكن باعتبار أصل التولد من جهة، وعلاقة الوضع والاستعمال من جهة ثانية، إذ "يمكن تقسيم الألفاظ التقنية والاصطلاحية إلى ثلاث فئات: الأولى: ذات وجهين، فهي اصطلاحية من وجه وعامة من وجه (مثل: نحو ـ إعراب ـ نصب.. إلخ)، والثانية: لها معنى اصطلاحي وتقني فقط لكنها أصبحت مشهورة متداولة وصارت بمنزلة الألفاظ العامة (مثل: أوكسجين ـ كربون ـ هيدروجين.. إلخ)، فهذه تلحق بالأولى. وهناك الفئة الثالثة وهي الألفاظ المغرقة في الخصوصية.." اللسان العربي، ص٤٦، الهامش ٣٣. فالحالتان الأوليان يقطعان رحلة متعاكسة من الخاص إلى العام ومن العام إلى الخاص مع بقاء أثر الاصطلاحية قائما، لكن دون خلوص الفئة الثالثة للاصطلاحية كلية.

(٢) للتفصيل في هذا الوجه ينظر: المعجمية، مقدمة نظرية ومطبقة، ص١٣٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المنهج التاريخي، بحسب الضرورة.

ج . **الوصف**: فمن حيث إن المشروع يهدف إلى توصيف المفهوم في لحظة ساكنة، وبنية معرفية محددة، فإن المناسب هو المنهج البنيوي الوصفي، الرامي إلى الرصد التكويني للمصطلح بوصفه تسمية، وللمفهوم بوصفه دلالة من طبيعة خاصة (الصبغة المعرفية) ضمن المنظومة المعرفية اللسانية الثابتة، أي بالنظر إلى المصطلح في لحظة إنتاج مفهومي مصطلحي معين، وفي إطار محطة محددة من مراحل تعاقب المنظومة المعرفية اللسانية العربية.

د . **المنهج التطوري أو التاريخي**: أما من حيث إن الغاية ليست الوقوف عند لحظة وضع اصطلاحي بعينها لتخلق المفهوم وتوليد المصطلح الذي يعينه ويدل عليه في سائر فروع المعرفة اللسانية، وإن كانت داخلة في الهدف العام للمشروع، بل إنها وراء كل ذلك تتبع لسيرورة الافتكار المفاهيمي وما يصلح للتدليل عليه اصطلاحيا، بالنظر إلى تلك الغاية المركبة، فإن المنهج المناسب هو المنهج التطوري التعاقبي التاريخي.

لكن ما ينبغي التنبيه إليه أن الوقوف في زمن معين والتملي للحظة خاصة، لا يتم بمعزل عن اللحظات المكونة للسيرورة المعرفية، ومن ثم فلا تناقض ولا فصل بين الإجرائين المنهجيين في إطار منهج الدراسة إلا من باب الفصل المصطنع؛ لبيان طريقة اشتغال الباحث، وتيسير البحث عليه، وتسهيل إمكانية توزيع أعباء العمل على الفرق التي تتصدى لإنجاز المشروع.

٣. الهـــدف:

لا تكاد ضرورة تحديد جملة الأهداف التي يسعى إليها المشروع تقل أهمية عن ضرورة تحديد بواعثه ومحركاته الأولى، فإذا كانت هذه تعلل لقيامه وتبرر لنشأته، فإن تلك تضبط المسار الذي ينبغي أن يتحرك فيه، وتوجه الدفة نحو مآلاته، وترسم أفقا لتوقعاته، وما يترتب عنه من نفع ويجره من فائدة، وإن كان الالتباس واردا في عملية الفصل هذه.

يسعى مشروع القاموس التاريخي للمصطلحات اللسانية التراثية إلى مجموعة من الأهداف، منها العام ومنها الخاص.

أ. **الأهداف العامة**: وهي من طبيعة حضارية، كنا أشرنا إليها قبل هذا الموضع، ممثلة في:

- طرح البديل على مستوى المعرفة اللسانية؛ من خلال بناء نموذج معرفي خارج إطار التبعية.
- تعزيز الثقة بالذات العربية المعاصرة، التي ظلت لعقود تعيش التيه الفكري، وما ترتب

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

عنه من فوضى المعرفة، وتبحث عن ذاتها في مرآة الآخر، المختلف ثقافة وفكرا إن قليلا أو كثيرا.

- وليس أقل من ذلك الوقوف على آليات الاشتغال العقلي العربي في بناء المنظومات المعرفية وأدواتها، ولعل من أهمها الجهاز المصطلحي.

ب. **الأهداف الخاصة**: ويمكن حصرها في:

- التمكين من رصد جملة الظروف التي أحاطت بنشأة المصطلح اللساني التراثي، والوقوف على تأثيراتها في سيرورة العلم وأدواته (المصطلح).
- إصلاح ما اعترى المعرفة اللسانية من اختلالات على مستوى المفاهيم وتسمياتها، وعلى مستوى النقل والنسبة لذلك الجهاز....
- بناء منهجية واضحة وضابطة في العمل المصطلحي، من خلال الاستقراء، والتوصيف، والاستيعاب، والتجاوز، والتفاعل مع المنجز المحدث في فروع اللسانيات الحديثة والمعاصرة على بصيرة من خلال الانتقاد قبل الاعتقاد.
- توفير البدائل ممثلة فيما أصاب المصطلح في رحلته في العلم وفي التاريخ، بفضل ما يقدمه التأثيل في تفاعله مع التاريخ من قاعدة متينة تُعتمد في الانتقاء والترجيح بين البدائل المتجانسة معرفيا وثقافيا (ترجيح داخلي)، والمتجانسة في المعرفة دون الثقافة (ترجيح خارجي).

٤. المدونة وضوابط بنائها:

كنا نظن، ونحن نتأمل فيما يمكن أن يصلح مدونة يطمئن إليها في بناء مادة المعجم المقترح وفق الخطة التي نتصورها، أنه يمكن الاكتفاء والوقوف على المصطلحات في صورة مسارد أو ما يقرب من قوائم المسارد في كتب التعريفات، والحدود، نحو كتاب التعريفات للجرجاني، والحدود النحوية للفاكهي، وكتاب الكليات للكفوي، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، والمصباح المنير للفيومي وغيرها، إلا أنه تبين بعد الفحص والتدقيق، ونحن نتتبع بعض المصطلحات، أن هناك الكثير من المصادر- سواء الأساسية الموضوعة أصلا للمصطلحات اللسانية التراثية، أو المصادر التابعة - تورد المصطلحات اللغوية بفروعها عرضا ولا تتقصدها لذاتها وإنما في سياق المسألة اللغوية، إما مع حدودها أو معراة عنها، وبالتالي فإن المدونة تنفتح ضرورة على كتب النحو وأصوله وشروحها منذ بداية التأليف إلى حدود القرن السابع الهجري كما بينا، المنجزة في إطار المدارس اللغوية بصرية وكوفية وبغدادية ومصرية وأندلسية ومغربية، مع أمهات المعاجم والكتب المصنفة في فقه اللغة

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وفلسفتها، والصوتيات الخالصة (أي التي صنفها علماء اللغة أو المعاجم التي تضمنت مقدمات صوتية مفصلة أو في شكل إشارات في درج الكتاب نحو العين للخليل والجمهرة لابن دريد والصحاح للجوهري ووو ينبغي التحديد) أو الصوتيات الموظفة، ولا نعني بهذا هنا ما يقابل الاصطلاح الغربي المسمى الفونولوجيا وإن صادف الحديث عنها في هذا النوع من المصادر، وإنما نعني تلك المعارف الصوتية بما تزجيه من مفاهيم تعبر عنها مصطلحاتها بشكل مضمن في اهتمام علمي أوسع، يختلف إن قليلا أو كثيرا عن الاهتمام اللغوي الخالص، يوظفها بوصفها معطيات لتفسير مسائل العلم، كما في رسالة في أسباب حدوث الحروف لابن سينا، وكتاب الموسيقى الكبير للفارابي وغير هذا كثير، مما يترك إحصاؤه وتحديده للمختصين في كل علم ممن يقفون على إنجاز المشروع.

مما يعني اتساع المدونة الى حقول معرفية شتى ومصادر مباينة في موضوعها أو أهدافها لموضوع المصطلح اللساني كغاية في ذاته[1]، ذلك الاتساع الموجب لتعدد المعارف، الموجب بدوره لتعدد تخصصات الباحثين المشتغلين على مشروع المعجم الاصطلاحي الذي نريد.

تمثل هذه المدونة مادة خاما يجب جمعها، وتتعين قراءتها، ليتسنى تصيد النصوص التي تضمنت المصطلحات في فروعها المعرفية، وفي أبوابها التصنيفية داخل كل فرع، وبقدر ما تكون المدونة موسعة تكون أكثر تمثيلية، والنتائج المتوصل إليها في تحديد المصطلح والوقوف على مفهومه أكثر صدقية وأبلغ صوابية، "فالشواهد وحدها هي التي لها قيمة الحجة، وإذا ما اعتمد ـ الباحث ـ مدونة مغلقة، والتزم وصفها بالظواهر الواردة فيها، فإن حقيقة الظواهر المرصودة تؤيدها المدونة نفسها. ولهذا النوع من الأعمال مزية التحديد الواضح للمجال المدروس والبيان الأمين لحدود مساهمتها، وتكون هذه المساهمة مهمة بقدر ما تكون المدونة متسعة، هكذا (يوفر البحث)، اعتمادا على مدونات ضخمة أوصافا ذات

(١) ونرى فيما قدمه البوشيخي من مراتب مصادر المدونة ترتيبا منطقيا، لانطلاقه من أخص الخصوص إلى أعم العموم، فما يبدأ به "المعاجم الاصطلاحية الخاصة (كحدود الفاكهي) والعامة (كتعريفات اللجرجاني) هي المصدر الأول للمصطلح العلمي في التراث (وهنا نروم المصطلح اللساني دون غيره)، ثم بعد ذلك تأتي كتب التخصصات (ككتاب سيبويه في النحو وسر الصناعة في الصوتيات والممتع في التصريف لابن عصفور، وفقه اللغة لابن فارس في فلسفة اللغة وفقهها ودلائل الجرجاني في علم المعاني من البلاغة وغيرها)، ثم المعاجم العامة (كالعين والصحاح واللسان)، ثم كتب الثقافة العامة (كالأغاني والكامل ونفح الطيب..) ثم سائر كتب التراث (الأخبار والمغازي والسير والطبقات والتراجم والتاريخ والفلسفة والمنطق وعلم الكلام) للطبيعة المتداخلة لكتب التراث". دراسات مصطلحية، ص١٦٧ وما وضع بين قوسين زيادات للتوضيح من عندنا.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

غنى رائع"[1].

على أنه ينبغي أن نشير في مسألة المدونة أو المادة الخام، أو ما عده ابن منظور الشق الأهم الأول في أي تصنيف معجمي، وسماه الجمع[2]، إلى قضيتين جوهريتين:

أولاهما أن قيمتها وتمثيليتها تتناسب طرديا مع اتساعها واستيعابها ما أمكن من المصادر الممثلة للفترات التاريخية المرصودة، كما يتناسب كل ذلك مع عدد المشتغلين وتعدد مجالات اختصاصهم وجديتهم في القيام بما يضطلعون به من مهمات.

وثانيتهما أنه لن تنفع المنهجية برمتها من جودة إعداد واستعداد للمشروع في ظل ضحالة المدونة وقلة مادتها وضعف تمثيليتها، أو ما عده ابن منظور خاصية رداءة.

وكأي مدونة أخرى، لا يمكن أن تكون المدونة التي يراد بناؤها من مصادر اللسانيات العربية والعلوم المجاورة أو المتقاطعة منسجمة كليا، بل فيها من مظاهر التجاوز والشذوذ المفهومي والمصطلحي ما فيها، يقول مارتان: "كل مدونة تتضمن ظواهر هامشية من تعابير جريئة أو لا جدال في خطئها، ومخترعات ذات صبغة عبثية إن قليلا أو كثيرا، وتتضمن أنواعا من التلاعب بالألفاظ، وتعابير قديمة احتفظ بها احتفاظا مصطنعا.. وعثرات متفاوتة البروز للعيان.. ينبغي ألا نتصور أنه يمكن قبول كل شيء من دون نقد"[3]. ومع كل ذلك تبقى للمدونة المكتوبة قيمتها التي بها تفوق أي نوع آخر.

ونرى أن إعداد المدونة يمر بمراحل ويلتزم بضوابط يمكن حصرها في الآتي بيانه، ولو على سبيل الاختصار والإشارة:

أ . تعدد المشتغلين على إعداد المدونة بتعدد التخصصات المعنية بالرصد المصطلحي.

ب . إحصاء المختصين، في كل مجال، ما أمكنهم من الكتب الأمهات في العلم، ومن الكتب المساعدة مما يجاور أو يحاقل ولو بوجه من وجوه المجاورة أو المحاقلة.

ج . ترتيبها بحسب ظهورها التاريخي، على سبيل الدقة، أو على سبيل التقريب إن تعذر الضبط.

---

(١) روبار مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، صص: ٣٦، ٣٧. النص ورد في سياق الحديث عن اعتماد المنهج الفيلولوجي على حجية المدونة التي تعكس الاستعمال، وعملنا في مشروع القاموس التاريخي من طبيعة فيلولوجية في قسم لا يستهان به، وما هو بين قوسين من تصرفنا بما يخدم الفكرة المقتبس لها.

(٢) قال ابن منظور في مقدمة اللسان: "وإني لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، ومن أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع" مقدمة اللسان، ج١، ص٦.

(٣) مدخل لفهم اللسانيات، ص٣٥. ومظاهر اللاتجانس في المدونة لن تسلم منها لغة من اللغات مهما بلغ اكتمالها ونضجها، وإن تفاوتت فيما بينها في تلك المظاهر، خاصة وأن الأمر فيما يتعلق بالمصطلح قائم على التبرير بأي وجه.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

د. ضبط مصطلحات العلم المعين، وإحصاؤها دونما إغفال.

هـ. تدوين ما أمكن من النصوص بحسب المصطلحات الواردة فيها.

و. إسقاط كل مظاهر التكرار من المدونة تجنبا للتضخم، إلا أن يكون في النص المعدود مكررا وجهُ فائدة، ولا نعني بالتكرار تكرار النص ذاته، بل تكرار توظيف المصطلح بالمفهوم نفسه دون وجه موجب؛ كأن يكون في الاستعمال خصوصية وطرافة، كتوسعة أو تضييق أو طريقة صوغ أو غيرها من أضرب التكرار المعللة. غير أنه في حالة الحذف يجب أن يستبقى النص الذي يتضمن الاستعمال الأقدم، ويكتفى في المحذوف بذكر المُستعمل والمصدر والجزء والصفحة، من باب تيسير الرجوع للتأكد والتوسع والمقارنة، وهو ما يزيد العمل مصداقية وضبطا.

ز. ولا يتعارض الشرط السابق مع شرط آخر، وهو عدم التصرف في النص بالزيادة أو الحذف أو الاختصار، إلا بموجب وبما لا تنمحي معه معالم النص التي من خلالها يتحدد المصطلح ومفهومه.

ح. من المعلوم أننا، ونحن نجمع النصوص الشواهد، سنصادف مصطلحات تساق لها تعاريف بأي طريق كان التعريف، ومصطلحات أخر تدرج إدراجا، غفلا من أي تعريف، وهو ما يقتضي في المنهجية المقترحة أن نقدم العمل على ما تم تعريفه، ليثمن أو يستدرك عليه، ويؤخر ما لم يعرف، على جهة تقديم السهل على الصعب، والبسيط على المركب من المهام. ثم يلتمس للمصطلحات المدرجة تعاريف مستنبطة من طبيعة المفهوم ومن سياقات الاستعمال.

٥. مراحل الدراسة المصطلحية:

يعتبر إعداد المدونة والالتزام بضوابط بنائها فيما يعرف بالجمع، "أطول مرحلة وأشقها وأهمها على الإطلاق، فيها يجب أن تقرأ جميع المصادر المتقدمة، وتستخلص منها جميع التعاريف والشروح، موثقة النسبة إلى أصحابها مؤرخا لهم، موثقة النسبة إلى مصادرها، مضبوطة البيانات، موثقة المتن صحيحة العبارة، منظمة تنظيما يجعل الاستفادة منها فيما يتلو ميسرة"[(١)]، لتأتي بعدها مرحلة دراسة النصوص وتمحيصها من مختلف جوانبها لغويا، ونصيا، ومصطلحيا، ومفهوميا، تمهيدا لبداية مرحلة الوضع، أو الترتيب أو الجانب التطبيقي للمعجمية (القاموسية)، وهنا نرى تبني ما أرساه شيخ المصطلحيين العرب الشاهد البوشيخي في أعماله على مدار أربعة عقود أو يزيد، لجدواه وجديته، ويقوم العمل

(١) دراسات مصطلحية، ص١٣٥. وقد جعل البوشيخي مرحلة ثالثة سماها (المراجعة والتدقيق) تتوسط الجمع والترتيب، ونرى أنها إجراء احترازي يرافق كل المراحل، ولا يستقل بكونه متوسطا بينهما.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

في هذه المرحلة على خمسة دعائم[1]:

بعد الإحصاء المستوعب والجمع المستفيض للنصوص من مظانها، التي يفترض أن تكون عامة وشاملة وتمثيلية بأكبر قدر ممكن، ينتقل في إنجاز القاموس المشروع إلى دراسة كل مصطلح في النصوص التي ورد فيها من الناحيتين[2]:

أ . الوضعية، بتتبع أصل الوضع اللغوي للمصطلح في معاجم اللغة، كيف بدأ، وكيف تطورت دلالته العامة، وما وجوه استعمالاته في السياقات المختلفة، لأن التعرف على الدلالة اللغوية وسيلة مهمة، تقودنا إلى التعرف على المعمار الدلالي الجديد للمصطلح في مجال استخدامه الطارئ، لما بين الأصل القار والفرع الحادث من وجه مناسبة ولو خفيت، كما نجده في مصطلحات لسانية من مثل (نحو)، (الصرف)، (النبر)، (البيت)، (المجاز).. وغيرها.

ب . الاصطلاحية: وذلك بتتبع دلالة المصطلح الخاصة في مجال بعينه، وهنا يجب الرجوع إلى جهود السابقين في مجال المصطلح العلمي في فروع اللسانيات المختلفة، نحو كتب الحدود، والتعريفات، والكليات، التي لا تعدو في حقيقتها إلا أن تكون قواميس اصطلاحية علمية في مجالات العلوم المختلفة، سواء أفردت لفرع بعينه، نحو الحدود في علم النحو لشهاب الدين البجائي الأُبَذي، والحدود النحوية وشرحها للفاكهي. أو عمت عديد العلوم نحو تعريفات الجرجاني، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، وكشاف اصطلاحات العلوم للتهانوي وغيرها.

فبالاستعانة بالدلالة المعجمية الوضعية الصرفة؛ منظورا إليها من جهة علاقتها بالدلالة الاصطلاحية الحادثة، كما تعرضها المعاجم الاصطلاحية، يمكننا تحديد موقف معين من التعريفات المعروضة، إما بالنقض وإعادة التأسيس من جديد بعد بيان معاطبها، وإما بالتصويب وإعادة التوجيه بالضبط والتدقيق، وإما بالتبني والتفويض لها.

كما يسهم ذلك الجمع في بناء تعاريف لما ضمن في النصوص من غير المعرفة، اعتمادا على الدلالة المعجمية في أصل الوضع، مضافا إليها ما يستفاد من سياقات التوظيف ومواطن الإدراج، خاصة إذا تعلق الأمر بالنقل أو المجاز أو الاشتقاق أو النحت، مما يسمى بوسائل نمو اللغة، التي تشكل حلا أمثل لمجابهة تدفق المفاهيم الخاصة، المنتبذة في زاوية خاصة من الدلالة الوضعية العامة، بعدِ المصطلح تواضعا ثانيا، "باللجوء إلى استبطان

---

(١) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، صص: ٢٠، ٢١، وصص: ٣٨، ٣٩ . دراسات مصطلحية، من ص٣٠ إلى ص٣٥.

(٢) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٣٨ . دراسات مصطلحية، ص١٦٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تعود فيه اللغة على نفسها لتفجر بعض ألفاظها بالطاقات الدلالية المتغايرة"[1] ، مغايرة تجنح اللغة من خلالها إلى ضرب من التوافق بين طابع المحافظة الذي يتلاءم مع مقتضيات استقرار **البنى** والقوالب من الأدنى إلى الأعلى (من الصوت إلى التركيب)، وبين دواعي الاستعمال المطبوع بالتغير المستمر الذي قد يبلغ أحيانا، لو أَفْسَحَ له مجال المحافظة، حد نقض بنى اللغة، هذان النوعان من الشد "يأخذ كل واحد من الآخر بما لا يدخل الضيم على دلالات اللغة في وظيفتها الإبلاغية النفعية ولا على مفاهيم المعارف في وظائفها النوعية من حيث هي خطاب علمي"[2] ، على ما بين حركية الاستعمال وبين حاجة المعارف والمفاهيم والمصطلحات إلى نوع من الثبات تقتضيه وظيفة العلم وغايته من تعارض لا يخفى.

ينبغي للمصطلحي في هذه المرحلة من مسيرة البحث عن المصطلح وتحديده، وتبينه وفهمه، وضبطه وتعريفه، وطريقة عرضه وتبويبه في القاموس المصطلحي المشروع، أن يحتكم إلى ضوابط أشرنا إليها فيما تقدم، وهي أن يجتهد في الرجوع إلى كل مصادر المادة محل الدراسة أو التخصص أو الفرع المعرفي المقصود، وإن بدا هذا مطلبا صعبا، وأن يعرض كل المعاني التي ورد بها المصطلح، وهو في كل ذلك يلتزم بالنهج التاريخي المعدود محورا تدور في فلكه كل الجهود، وتنتهي إليه كل الإجراءات والضوابط.

أما المرحلة الثالثة من مسار الدراسة المصطلحية، فهي الدراسة النصية، وتعني "دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت من قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات، وضمائم"[3] ، إذ من خلال النصوص وحدها وما تتضمنه، يمكننا الحكم على اصطلاحية المصطلح، وتبين بنياته المفهومية[4] ، عبر تحديد نسبة وروده وتواتره، والمفهوم أو جملة المفاهيم التي استعمل بها، وهو ما يقودنا للحكم عليه، ووضع تعريف مناسب له، من خلال جمع معطياته المذكورة من تكرار، ومفهوم، وطريقة توليد، وهيئة توظيف[5] ؛ إذ ما من إشكال كبير يعرض، بالنسبة

---

(١) مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص٤٩.

(٢) نفسه، ص٥٠.

(٣) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٣٩ . دراسات مصطلحية، ص١٦٩.

(٤) تقتضي هذه المنهجية أن يتتبع المصطلح في كل النصوص المحصاة، وتورد جميع المفاهيم التي ورد بها المصطلح في كل تلك النصوص، ما تعددت النصوص وتعددت المعاني، ثم من خلال الاستقصاء والدراسة النصية بمقتضياتها يحدد العنوان الأكبر، أو المفهوم الأبرز الذي استعمل به المفهوم.

(٥) فهناك المصطلح الكلمة المعرفة منها وغير المعرفة، والمصطلح المركب مع غيره بهيئة ما من هيئات التركيب، كالتركيب الوصفي، والتركيب الإضافي، وهي ما يسمى أنواع الضمائم التي للمصطلح. مصطلحات النقد العربي لدى =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

للمصطلحات المعرفة بأي وجه كان التعريف، إنما الإشكال فيما لم يعرف أو يشرح، وفي الحالتين، فإن "التكشيف الشامل لمصطلحات أي علم من علوم التراث في جميع التراث (و ليست العلوم اللسانية بدعا في ذلك)، يضعنا وجها لوجه أمام الواقع المصطلحي لذلك العلم: ما الحجم المصطلحي له؟ ما حجم كل مصطلح فيه؟ ما نسبة المشروح من مصطلحاته وغير المشروح؟"[1]، وذلك يمثل بلا شك خلفية صلبة يستند إليها المصطلحي في تناوله لمجمل القضايا المصطلحية التراثية، ومن بينها التتبع التاريخي للمصطلح اللساني، ومن دون الاستيعاب، وفق المنظور المبين، لن نستطيع بناء تصور أمثل للمنظومة المصطلحية في تفاعلها بما تبنيه من علاقات داخلية، وتناغمها مع المفاهيم التي تعبر عنها بما تقتضيه طبيعة العلم، وبما يتساوق مع الخطاب العلمي، الذي تمثل تلك المنظومة في وجهها بالنسبة إليه أداة من أدواته في التعبير عن قضاياه ومواضيعه.

تسلم الدراسة النصية بمقتضياتها إلى مرحلة الدراسة المفهومية، هذا على الصعيد النظري، أما عمليا، على الصعيد الإجرائي فإنهما ملتبستان فيما يشبه العلاقة الوظيفية شبه المشروطة أو الاقتضائية، بحيث يتم من خلال دراسة النصوص الواردة بها المصطلحات، رصدُ المفاهيم التي تعبر عنها، وفق منهجية تحليلية توزيعية من جهة، ومنهجية تحليلية سيمية من جهة ثانية:

- تمكننا الأولى من الوقوف على مفهوم المصطلح أو المصطلحات من خلال توزيعاته في النصوص المحصاة، كما تعيننا أيضا في تبين الفروق المفهومية بين ما يبدو أشكالا لمصطلح واحد من الناحية الصورية، ومن ثم الخروج من الإشكالات التي تثيرها قضية الاشتراك، عن طريق التتبع في المحالِ، والتعويض الذي يسفر عن الفروق[2].
- وتمكننا الثانية، التي هي من طبيعة خارجية، "من استخراج ما تميز به كل وحدة معجمية من عناصر يسمى واحدها سمة (seme)"[3]؛ أي تمييز ما قد يبدو ترادفا أو يوهم بالترادف للوهلة الأولى.

= الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٣٩. مع أن الصورة المثلى الملائمة للطابع العلمي للمعرفة أن يكون المصطلح على صورة الكلمة المفردة جريا على مبدأ الاقتصاد وما يحققه من دقة عملية وضبط معرفي. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص١٤. لأن التعدد في الإحالة ضرب من الفوضى يعيق التواصل العلمي، تستوجب "تبسيط فروق الشكل واختزالها لواحدة فقط" المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ص٢٧١. وهذه، كما قلنا، حالة مثالية لا تتوفر بتواتر مطرد كلي وشامل حتى في العلوم البحتة، بله العلوم الأقل ضبطا كاللغة وما دار في فلكها.

(١) دراسات مصطلحية، ص١٦٧.

(٢) المعجمية، مقدمة نظرية ومطبقة، ص٥٩.

(٣) نفسه، ص٦٢

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لا شك في أن هاتين المنهجيتين تسعفاننا بما من شأنه أن يسد، إلى حد ما، فجوتين تعدان من أبرز الهنات في لغات التخصص ممثلة في التجنيس والترادف [1]، وتظلان تعملان هدما في دقة اللغة المصطلحية الواصفة، وتسريان فيما بين لغات التخصص وبين اللغة العامة من جهة، وبين لغات التخصص نفسها [2]، ويرتد ذلك إلى جملة عوامل:

١. بحكم أن لغة تخصص، بما هي اصطلاح جديد يشتغل داخل اللغة العامة، وإن يكن من درجة أعلى، فهي بهذا الاعتبار تمتح مادتها من مادة اللغة العامة المشتركة.
٢. بحكم أن كل التخصصات تلجأ إلى المخزون العام للغة العامة لبناء منظوماتها الاصطلاحية؛ لتحقق لنفسها درجة ما من الكفاية الوصفية لموضوعاتها، بما تتضمنه من مفاهيم، ومن ثم يظل الاشتراك احتمالا واردا بينها مهما اختلفت طبائعها؛ بسبب من الاشتراك في مصدر الأخذ.
٣. بحكم اعتماد لغات التخصص على ضرب من التحويل للمادة العامة إما بطريق النقل تضييقا وتوسيعا، أو المجاز والنقل أو النحت والتأليف أو الإحياء والبعث.

يعمد المصطلحي في الدراسة المفهومية إلى تجميع الملاحظات المتفرقة، المسجلة أثناء التعاطي مع نصوص المدونة في صورة ممنهجة ومنظمة، تمكن من رصد خصائص ومقومات المصطلحات؛ من مفهوم، وتعريف، وهيئة استعمال. إن مدار العمل على "دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس:

- من تعريف له يحدده..
- وصفات له تخصه، كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.
- وعلاقات تربطه بغيره، كالمرادفات والأضداد..
- وضمائم إليه، تكثر نسله..
- ومشتقات حوله من مادته تحمي ظهره..

---

(١) المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ص٩٥.

(٢) تقول ماريا تيريزا كابري في هذا الشأن: "لغات التخصص تشترك في الغالب في جزء مهم من مواردها، ليس فحسب مع اللغات العامة، بل وأيضا فيما بينها، وحتى لغات التخصص المنجزة في مختلف اللغات العامة تستخرج غالبا من نفس الموارد وتستغل نفس الجذور، ولغات التخصص هي من هذا الواقع أكثر تدويلا أو كونية من اللغات العامة" المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ص١١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها.."[1].

إن هذه الإجراءات تهدف في مجموعها إلى محاولة التعرف على حمولة المصطلح ممثلة في المفهوم، والإمساك بخيوطه، وبناء معماره في سيرورته التاريخية، لكن ما قد يعترينا في كل هذا، وما قد نغفل عنه، هو أن المصطلح على قيمته وعلو كعبه في لغة العلوم، فإنه يظل شكلا وهيئة صورية تعكس نهاية فعالية عقلية هي بناء التصورات، وهنا قد نتساءل: كيف نعالج مسألة المصطلح في مجابهة الحدود الزمانية والمكانية من جهة، وفي مقاومة إكراه صعوبة الإمساك بالمفهوم من جهة أخرى؟ ثم ما حدود المفهوم وما محله في بنيات المعارف في علاقته بالحقيقة؟

إن تغير المصطلح اللساني التراثي، وحتى غير التراثي، هو نتيجة حتمية لتغير زاوية الرؤية التي من خلالها نرصد الحقائق الثابتة، ثباتا نسبيا، لا في ذات الحقيقة المعرفية، بل نتيجة زاوية الرصد، المسؤولة عن بناء تصوراتنا للأشياء والحقائق، فبقدر ما تتغير نظرتنا إليها، والنافذة التي عبرها نطل عليها، تتعدد التصورات التي نبنيها على أساس من التمثل، الآتية مواده الخام ولبن بنائه من بوابات العقل وزوايا النظر المتاحة، إذ ليس في الإمكان أبدع مما كان، فالمفاهيم "لا توجد معزولة في بنيات المعارف، ولكنها هي جزء من مجموعات منظمة تسمى ميادين المعارف (التخصصات). وخصائص تنظيم المفاهيم ـ التي تشكل الميدان وكذا انتماءها إلى مجموعة معينة - هي مشروطة بالكيفية التي فهم بها الفاعلون أشياء الحقيقة"[2].

أي إن قضية المفهوم في علاقته بالمصطلح قضية معقدة، ذات أوجه شتى؛ يتداخل فيها النفسي مع المنطقي والفلسفي مع اللساني المتوج لتلك السيرورة، فهي ليست من صميم الاشتغال اللساني وحده، مع أن تلك العلاقة في العلوم تعد نهائية، لأن قبلها مراحل تسبقها: نتعلم المعارف أو نُعَلّمها، فتبدأ المفاهيم بالتشكل شيئا فشيئا، على أن تشكلها سيكون من زاوية خاصة محددة بحسب ما يتاح لنا إدراكه ورؤيته واستيعابه من الحقائق والأشياء التي نبنيها بطريقتنا بما أتيح، لننتهي في الأخير إلى الوسم المصطلحي الذي يبرر نسبيا بحسب رؤيتنا التي بنت المفهوم، وهو ما يفسر لنا تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد ليس في التراث فحسب، بل حتى في ما أنجزته وتنجزه العقلية اللسانية المعاصرة، وكذلك تعدد دلالات المصطلح الواحد بحسب المفاهيم التي تطبع بطابع الأفراد والمذاهب والاتجاهات والبيئات الاجتماعية والمعرفية والثقافية والحضارية، باعتبار المصطلحات

(١) دراسات مصطلحية، ص١٧١ . مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، صص ٢٠، ٢١.
(٢) المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ص٦٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تعبيراعن وجهات نظر، واجتهادات في الإدراك، ومستوعبات حضارية في النهاية، كما أشرنا في سياق سابق، فالوسم (المبتدأ) له دلالة من زاوية الوظيفة النحوية الشكلية القارة، القائمة على ما يبتدئ به الكلام على سبيل الأصالة الرتبية (التقدم)، أو على سبيل نية الرتبة وإن تأخر، وعلى سبيل نية التعريف وإن نكر، ولأجل هذا قيد التقديم بشروط سماها النحاة مسوغات الابتداء بالنكرة. أما الوسم (المخبر عنه) و(المسند إليه) فعلى سبيل مراعاة البنية الإخبارية المتغيرة، ملحوظا فيه مركزيته في عملية الإبلاغ بشروطها وحاجته إلى ما تتم به الفائدة وتجب للمخاطب، ولكونه إخباريا يشمل البنيتين الاسمية والفعلية، كان الوسم عاما كذلك يجمع المبتدأ إلى الفاعل؛ إذ كلاهما يفترض فيه أن يكون معلوما لدى السامع، ويسند إليه الركن المجهول عنده (الخبر والفعل)، ونظير هذا التعدد بتعدد المفهوم القائم تشكله على زاوية المعايرة، ما نجده في مصطلحات (الفاعل) المبني على الدلالة النحوية، و(المنفذ) القائم على الدلالة الوظيفية، و(المحور) المستند إلى الدلالة التداولية الجامعة له أيضا بالمبتدأ من المنظور نفسه.

وهذه مسألة جوهرية وحساسة ينبغي على من يتصدى لإحصاء المصطلحات اللسانية التراثية في نصوصها، تمهيدا لدراستها وتكشيفها، ابتغاء بناء القاموس الذي نريده، أن يضعها نصب عينيه في كافة المراحل، بداية بجمع مصادر المدونة، وضبط الخطة الأولية للمشروع، وصولا إلى آخر المراحل وأكثرها أهمية، لأنها هي ناتج ما يتقدمها، والشاهد على صوابية العمل، ألا وهي مرحلة العرض المصطلحي[(١)] ، أو الوضع بتعبير ابن منظور، مع ما يتضمنه مصطلح الوضع من مراحل سابقة أو محايثة له بالضرورة والتضمين، هي ما ذكرناه من بعد المرحلة الأولى التي يتوجها الإحصاء.

يقوم الوضع أو عرض نتائج الدراسة المصطلحية على أركان ستة أساسية:

أولها التعريف الذي يجمع بين الدلالة اللغوية للمصطلح، والدلالة الاصطلاحية العامة، كما تعرضها قواميس اللغة والقواميس الاصطلاحية، مطلقة غير مقيدة بالدلالة الواردة في النصوص المجموعة في باب معين داخل حقل معرفي خاص؛ لأنها هي ما ينبغي التنصيص عليه في التعريف من جهة كونها دلالة اصطلاحية خاصة، شريطة أن يعبر عن هذا المفهوم الخاص "بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ، ما أمكن. وشرطه المطابقة للمصطلح، وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرف في الكلام

---

(١) يعرفه بقوله: "الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر علها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره". دراسات مصطلحية، ص١٧٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لانسجم الكلام"[1] ، على أن يكون مستوفيا لكل مكونات المفهوم الجزئية المستفادة من كل النصوص التي ورد بها المصطلح غير المعرف.

أما إذا كنا بصدد مصطلح معرف، فلا بد في ذلك من إيراد التعريف أو كل التعاريف التي أمكن الوصول إليها، مرتبة بحسب أهميتها، مع بيان ما بينها من تقارب أو تباعد، "وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره ومع كل مقال مثال"[2] .

ولا يمكن للتعريف أن يستوفي كل مكونات وخصائص المفهوم دون الاستناد إلى صفات المصطلح[3] ، باعتبارها الركن الثاني، سواء كانت الصفات مصنِفة، تركز على تحديد طبيعته ومكانته ووظيفته داخل الجهاز المصطلحي للعلم أو الفرع اللساني المخصوص، أي إننا بصدد تحديد قيمة للمصطلح، بالنسبة لذاته بما يحمله ويتصف به من كفاية "في تمثيل البنية والأنساق، والتصور، والتطور الذي عرفته مفاهيم كل تخصص، في كل صنف من أصناف العلوم"[4] ، أو كانت مبينة، تعنى ببيان درجة المصطلح في علاقته بالمفهوم اتساعا وضيقا، وفي تعبيره عنه في باب الاصطلاحية قوة وضعفا، أو حالة وروده من اسمية ووصفية وتعريف وتنكير وإضافة وإطلاق. أو كانت الصفات حاكمة على المصطلح له أو عليه، كالنعوت التي نعت بها أو العيوب التي ألحقت به. ولا بد، كما هو جار به العمل في معظم الأركان، من الوقوف "عند كل صفة . نعتا كانت أم عيبا . ونحللها، ثم نبين دلالتها، مع الاستشهاد بالنصوص المناسبة (وفي الاستنتاج) يتم الحديث.. عن الصفات جملة، والموازنة بينها من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة من قبيل: ما هو أجود النعوت؟ وما هو أقبح النعوت؟ وما هو أكثرها استعمالا؟ وما هو أشهرها وأكبرها؟.. وأهم شيء في الاستنتاج هو استنباط ما تضيفه الصفة إلى دلالة المصطلح المدروس، لأن من شأن اقتران المصطلح بصفة ما أن يضيف معنى خاصا زائدا على معنى المصطلح عندما كان مفردا"[5] .

أما الركن الثالث من أركان العرض، الذي يلعب دوره هو الآخر في بناء التعريف أو الحكم عليه، فهو العلاقات التي تعني رصد كل علاقة للمصطلح بغيره ودراستها، سواء كانت

---

(١) دراسات مصطلحية، ص١٧٧.

(٢) السابق، ص١٧٨ .

(٣) للتفصيل ينظر: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٢١ . دراسات مصطلحية، ص١٧٨.

(٤) دراسات مصطلحية، صص٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) محمد أزهري: العرض المصطلحي للمصطلح (مقال)، مجلة دراسات مصطلحية المحكمة، معهد الدراسات المصطلحية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، العدد٥، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦م، صص ٦٩، ٧٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

علاقات ائتلاف كالترادف والتعاطف، أو كانت علاقات تخالف كالتضاد والاختلاف، أو كانت علاقات تداخل وتكامل كالعموم والخصوص، والأصل والفرع، والإطلاق والتقييد. ووجه الإفادة من هذا الركن في التعريف غير خاف، لأن تحديد مفهوم المصطلح وأهميته ودرجته تتوقف على معرفة شبكة العلاقات التي يكونها مع غيره؛ من منطلق العلاقات المفاهيمية ضمن ميادين المعرفة أو داخل التخصصات.

هذا، في الوقت الذي تشكل فيه الضمائم والمشتقات ركنين آخرين من أركان العرض، يمكن جمعهما تحت ركن واحد باعتبارهما يمثلان وسيلتين متكاملتين لتوليد المصطلح:

- فبالضمائم؛ أي ما يضاف أو يضم للمصطلح أو يضم المصطلح إليه، يتمكن المصطلح من النمو والتشعب داخليا، عبر إحداث تفرع مفهومي جديد، بفعل الإضافة في اتجاهها، على أن الأبرز في هذا ضمائم الإضافة وضمائم الوصف[1].
- وبطريق الاشتقاق يتمكن الجهاز المصطلحي من توليد مصطلحات جديدة خارجيا، وطريقة العمل في هذه الحالة، أن ينزل كل مشتق جديد منزلة ما اشتق منه، ومن ثم يتبع فيه ما يتبع في غيره من المراحل والإجراءات كالتعريف وذكر الخصائص والصفات والعلاقات والضمائم والقضايا، وإن كان المصطلح الأصل، المشتق منه أو المعدود أصلا، إن تعلق الأمر بالاشتقاق المفهومي، يظل هو الأهم، وعليه التعويل، وهو المقدم في الدراسة إجرائيا[2].

وما ينبه عليه في هذا المقام، أن الاشتقاق والمواد المتفرعة عنه خارجيا، والضمائم والمفاهيم المتولدة عنها داخليا، يجعلاننا أمام كم قد يقل أو يكثر من المصطلحات، التي تدور على المصطلح، إما مادة ومفهوما كما في الحالة الأولى، أو مفهوما دون المادة المشتركة في الحالة الثانية، وهو ما قد يلبس علينا أثناء الوضع والترتيب من زاوية الفعل والإجراء، ولذلك نرى أن بناء المداخل في القاموس المشروع يجب أن يراعي:

أ . بناء المداخل الأمهات على المصطلح الأهم في الزمرة الواحدة، مهما كان وجه تناسلها، وإدراج المصطلحات الفروع المتأتية من التصريف أو الإضافة تحت المصطلح المفرد، كونه يمثل الأصل الذي تفرعت عنه بقية المصطلحات بالضمائم، كما يقدم المصطلح

---

(١) دراسات مصطلحية، ص١٧٩

(٢) العرض المصطلحي للمصطلح، ص٧٨. والاشتقاق هنا قد يكون لغويا كما في الاشتقاق الصغير ويضم المصادر والأفعال والمشتقات المعهودة في الصرف، وكما في الحقول اللفظية كما بين الإنفاق والنفاق، وقد يكون مفهوميا، كما في الحقوق الدلالية، كما بين القصيدة والشعر. دراسات مصطلحية، ص١٧٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصدري وتلحق به المصطلحات التي في صورة الفعلية أو الوصفية (الفاعلية، المفعولية، الصفة المشبهة، المبالغة..)، إلا أن نعدم ما يُظن أنه الأصل.

ب. تدرج تلك المصطلحات الفروع في هيئة مداخل فرعية أو ثانوية ملحقة بأصولها، من منطلق أسبقية البسيط على المركب، والمصدرية فالاسمية على الحدثية والوصفية، والمفرد على المتعدد، في كلا الوجهين.

ج. إمكانية بناء القاموس بناء موضوعيا ثنائيا:

- موضوعيا بحسب موضوع العلم.
- موضوعيا بحسب أبواب كل علم، على أساس الحقول المفهومية الكبرى، متلوة بالحقول الفرعية المتولدة عنها.

أما آخر المحطات في العرض المصطلحي، فهي دراسة القضايا "المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن، إلا بعد التمكن منها حق التمكن.. ومن أصنافها: الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير"[(١)]، والمقصود بالمصادر، جملة المسائل والقضايا التي تتعلق بالنصوص المشكلة لمدونة المصطلح، كالأحكام التي يخرج بها المصطلحي من خلال نظره في طبيعة مصادر النصوص، كحاجة كثير من المصادر إلى التوثيق والتحقيق؛ لتحقيق النسبة والانتماء في الشخص (اللحظة)، وفي التاريخ، فمن دون تحديد المصدر وضبطه لن نتمكن من معرفة أصل تولد المصطلح، ولا معرفة رحلته قبل أن يستقر في فترة معينة على حالة ووضع معين، أما المظاهر فما يعتور استعمال المصطلح من تطور كميا كان أو كيفيا[(٢)]، أي من جهة حجم استعمال مادة المصطلح مع ثبات دلالته، أو ما يصيب دلالته المعبرة عن المفهوم من تغيرات بالنقل أو التوسيع أو التضييق، وفق ما هو قار في علم الدلالة، مع الجد في الوقوف على أسباب ذلك الاستعمال بين القرار والتحول شكلا ومفهوما، وما ترتب عن ذلك في علاقة المصطلح بمفهومه، وبجهازه المصطلحي الذي ينتمي إليه والمنظومة المعرفية التي تحتويه مع جهازه، وجملة أوجه التأثير والتأثر بين المصطلح المدروس والمصطلحات المجاورة المتآلفة معه والمتخالفة.

---

(١) دراسات مصطلحية، ص١٧٩.

(٢) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٢٢٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

هذه خطة شاملة، ارتأيناها لبناء قاموس تاريخي للمصطلحات اللسانية التراثية، بينا أسبابها وأهدافها ومراحل إنجازها، مع جملة العوارض التي قد تحد من جدية وجدوى العمل، مستفيدين من تجارب غيرنا، تاركين الجوانب التقنية الصرفة، المتعلقة بما يقع خارج الأطر المعرفية للإنجاز، لإيعاب غيرنا فيها، نحو ما فعل عبد العلي الودغيري في خطته لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية، والمعتز بالله السعيد في "حوسبة المعجم التاريخي للغة العربية"، وما قدمه محمد حسن عبد العزيز في "المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج"، وما جاء في بعض من أوراق العمل المقدمة للندوة الدولية للمعجم التاريخي المنعقدة بفاس في ٢٠١٠م، وإن كان كثير من تلك الخطوات التقنية الإجرائية لا يكاد يختلف عن إنجاز المعاجم العامة والموسوعية، كما عرضها أحمد مختار عمر في صناعة المعجم الحديث.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مصادر البحث ومراجعه

- إبراهيم بن عمر السكران، سلطة الثقافة الغالبة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ. ٢٠١٤م.
- إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧
- ابن جني أبو الفتح عثمان:
  أ. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت (د ط ت).
  ب. سر صناعة الإعراب، تحقيق فتحي عبد الرحمن حجازي وأحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د ط ت).
- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، ط٧، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، بيروت ــ دار الأمان، الرباط. اختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
- روبار مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن : العمدة في محاسن الشعر، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية، المصطلح النحوي. رواية اللغة، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
- سيبويه الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ت محمد أبو الفضل إبراهيم وآخران، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- الشاهد البوشيخي:
  أ. دراسات مصطلحية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
  ب ــ مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج ونصوص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- شوقي ضيف:
  أ. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط١٦، ٢٠٠٤م.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ب . المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

- عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- عبد السلام المسدي:

أ . مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

ب . الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

- عبد العلي الودغيري:

أ- دراسات معجمية، نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م .

ب ــ نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية (مقال)، مجلة اللسان العربي، دورية محكمة يصدرها مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد ٧٤، ٢٠١٤م.

- عثمان بن طالب وآخرون: تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٨٩م.
- العسكري (أبو هلال): الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ــ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ابن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢ (د ت).
- علي القاسمي:

أ ــ علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، م١٩٨٧.

ب- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢٠٠٣،١م.

ج-ـ تاريخ المعجم التاريخي، (مداخلة) ضمن ندوة المعجم التاريخي، منشورات (مبدع)فاس، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

- عوض بن حمد القوزي: جهود الخليل بن أحمد في صناعة المصطلحات النحوية، (مداخلة) ضمن أوراق الندوة الدولية: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المنعقدة بجامعة آل البيت في ٢٧ . ٢٩حمادى الآخرة، ١٤٢٧ هـ، ٢٢ . ٢٥ تموز ٢٠٠٦م، منشورات جامعة آل البيت ٢٠٠٧م.
- ماري . كلود لوم: علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ت ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة،

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م

- ماريا تيريزا كابري: المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ترجمة محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
- المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران): الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ت محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- محمد أزهري: العرض المصطلحي للمصطلح (مقال)، مجلة دراسات مصطلحية المحكمة، معهد الدراسات المصطلحية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، العدد٥، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦م
- محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- محمد رشاد الحمزاوي:
  أ. المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة، مركز النشر الجامعي، تونس٢٠٠٤.
  ب. من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٨م.
- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات. المركز الثقافي العربي، بيروت . الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.
- محمد مصطفوي: إمكانيات التفسير وإشكالياته في البحث عن المعنى، منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
- المعتز بالله السعيد: حوسبة المعجم التاريخي للغة العربية (مقال)، مجلة اللسان العربي، دورية علمية محكمة يصدرها مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد٧٤، ٢٠١٤م.
- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت (د ط ت).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مراحل اللغة العربية (وتنوعاتها) ومعجمها التاريخي

د. عبد المنعم السيد أحمد جدامي
أستاذ اللسانيات – كلية دار العلوم – جامعة المنيا

يهدف هذا البحث إلى معرفة أهمية التأريخ للغة العربية ولمراحلها المختلفة وكيفية الاستفادة من تلك المعرفة فى صناعة المعجم التاريخي للعربية، ذلك أنَّ التأريخ لمفردات العربية جزء أصيل من التأريخ للعربية، على أنَّ من سلبيات اللسانيات العربية في وقتنا هذا هو عدم الاهتمام بمجال التأريخ للعربية، والذي أصبح تقريباً حكراً على المستعربين/ المستشرقين.

وسوف يأتي بحثي وفق العناصر التالية:

١- مقدمة حول فكرة المعجم التاريخي.

٢- السياق العلمي لميلاد المعجم التاريخي.

٣- مراحل العربية عند المستعربين المؤرخين لها.

٤- المعجم التاريخي والتنوعات اللغوية العربية.

١- مقدمة حول فكرة المعجم التاريخي:

يشكل المعجم التاريخي صورة شاملة للغة، فيجمع مفرداتها وطرق استعمالها، والمعاني التي حملتها هذه المفردات عبر حياتها التي تأتي حقيقية أو مجازية، ويعرف بكونه "نوعاً من المعاجم، عادة ما يكون أحادي اللغة، يرمى إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ، مبنىً ومعنىً، من خلال تتبع تطورها أو تغيرها منذ أقدم ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا"[(١)]، وهذا يعنى أنَّه يحتوى على الألفاظ المستعملة في اللغة في الماضي أو الحاضر، بحيث يصف مفردات هذه اللغة وصفاً شاملاً ليعطى لها صورة واقعية لما كانت عليه وما هي عليه، كل هذا من خلال مدونات موثقة مؤكدة لهذه الاستعمالات. والفائدة منه عظيمة فهو يؤرخ للمفردات وكل ما يحدث فيها، سواء أكان في هجائها ونطقها أم في دلالاتها، وفي استعمالها (شيوعاً، وندرة، ومكاناً، وزماناً، وموضوعاً، ومستوىً)، منذ ميلادها أو اقتراضها من لغة أخرى حتى

---

(١) د. على القاسمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص٤٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مماتها[١].

ولقيمته هذه يحلو لبعض الباحثين أن يسميه ديواناً يجمع بين دفتيه مفردات اللغة[٢]، وفي الحقيقة هو كذلك، وهناك من يصفه بقوله "ذاكرة كل لفظ من ألفاظ اللغة[٣]"، وهذا حقيقي أيضاً، وهذا ما سنوضحه بعد قليل، إلَّا أنَّنا نؤكد على اختلاف المعجم التاريخي عن المعجم اللغوي في كون المعجم التاريخي موصوف بصفة التاريخية، ومن ثم يعنى بوظيفة تاريخية مهمة بتوضيح أصل المفردات أو ميلادها وتطورها من حيث صياغتها وكذلك دلالتها، ومن ثم يعنى بتغيرها الصوتي وجمع مادتها المعجمية التي تكوّن عائلة اشتقاقية/ إيتمولوجية، و"ينتظر من المعجم التاريخي أن يرسم خريطة تبين توسع الاستعمال وتدرجه، كما تبيِّن علاقة الأشكال الصوتية والصرفية بعضها ببعض في مراحل تطورها[٤]".

فالمفردة عبر مراحل استعمالها تشكل لنفسها سيرة ذاتية، وتشكل مع باقي المفردات صورة لثقافة أهل هذه اللغة. فالثقافة هي إبداعات تاريخية، ومجموع لمحتوى من العلاقات المتبادلة بينها وبين اللغة[٥]، وأنَّ كل لغة تخلق محتوى عالمها، ذلك المفهوم ضمناً، والمُشكلة منه العناصر العامة لفلسفتها[٦]، ومن ثم فإنَّ مفاهيم البشر تستنتج من لغتهم، ومن خصوصية مجتمعهم، وثقافتهم الموروثة وبخاصة من دينهم[٧]، فالكلمات في الأساس رموز لسمات الثقافة المعبرة عنها اللغة، بل إنَّها ملمحها المميز[٨]. ولعل سابير قد وصف الواقع حين قال: "وهم لو تخيلنا أنَّ اللغة مجرد وسيلة ثانوية لحل مشكلات حاصلة من التواصل أو التفكير، فإنَّ العالم الواقعي (Real World) في حقيقة الأمر كمٌ كبيرٌ مبنيٌّ بلغة الجماعة[٩]".

---

(١) السابق الصفحة نفسها.

(٢) د. صالح بلعيد: المعجم التاريخي للغة العربية، ص١٥١.

(٣) د. عز الدين البوشيخي ود. رشيد بلحبيب ود. محمد العبيدي: الإطار التصوري والمنهجي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية ص٢٢.

(٤) د. عبد الرازق بنور: التلازم الدلالي والترسيس ص١٣٧.

(٥) Hoijer, H. ١٩٦٢:P٥٨

(٦) Miller, R ١٩٦٨: p.١٩.

(٧) Firth, J.R, ١٩٦٤: p.٣.

(٨) Nida, E. ٢٠٠٣: P. ٤٢٣.

(٩) Sapir, E. ١٩٤٩: P.١٦٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ومن هذا كله نفهم قيمة المفردات عبر مراحل اللغة، إذ تشكّل صور التفكير المتنوعة في كل مستويات حياة الجماعة اللغوية، وتحمل المضامين المختلفة لمجتمعهم، ومن ثمَّ تكون قيمة المعجم ذلك أنَّ"لكل لغة طريقاً في النظر إلى العالم، يختلف قليلاً أو كثيراً عن الطريق التي تسلكها اللغات الأخرى؛ فلا تختلف الألفاظ بين اللغات وحسب، وإنَّما تختلف المعاني أيضاً، ويختلف تناول الألفاظ لهذه المعاني في آنٍ واحد"[(١)]، ودور المفردات أنَّها ترسم "الصورة التي تقسم بها اللغة العالم، وبها " تنظر إليه. وفي هذه الحالة يفترض أن يكون المعجم مكاناً طبيعياً تنعكس فيه نظرة اللغة –أي نظرة أهلها- إلى هذا العالم،... وأن يكون مكاناً يعكس تصور اللغة، وتطور أهلها معاً"[(٢)].

وهذا كله ما أدركه اللغوي الفرنسي الكبير ألن ري (Rey,A.) حيث ذكر في مقدمة المعجم التاريخي للغة الفرنسية، باعتباره محرر هذا المعجم، :"أنَّ الأهداف والمناهج الأساسية لهذا المؤلف الذي يبحث في رد المراحل إلى مغامرة مزدوجة (Double aventure)، ذلك أن بناء كود/ مدونة اجتماعية مشتركة (Code social Partage) صنعت بكلمات مستمدة من التاريخ المتشعب للغات أوروبا وبأوروبا نفسها. فالعبور والغزوات والسطوة والتفاعل والأمنيات والصدود، بل إنَّ موت وإعادة إحياء المعاني عبر ألفين أو ثلاثة آلاف عام متروك أثره في هذه الصفحات. أمَّا المغامرة الأخرى. وهي في الفرنسية نفسها، فبعد الاندثار الغامض للغة الغالية، والبدايات الأولى المفقودة للهجات الرومانية الأولى للغاليين، منذ ألف عام حيث كانت الفرنسية القديمة والوسيطة أي (من نهاية القرن العاشر الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي)، ثم الفرنسية الكلاسيكية والحديثة، في أوروبا وبداية من القرن السادس عشر خارج أوروبا. ومن ثمَّ فإنَّ تاريخ اللغة يعين عن طريق الشواهد الكبرى: تلكم الموجودة في الأدب، والفكر، والعلم، وفي كل التواصل الاجتماعي.

إنَّ انفتاح اللغة على الثقافة، والأفكار، والمشاعر الجماعية يقود إلى رؤية العلامات اللغوية كأدوات للتعبير والتواصل، ولإظهار الحقيقة، والكذب، والتضليل، والشتم، والإقناع، والخداع، وكل المستويات البلاغية الاجتماعية، لغات القوة والسلطة والمال، ولغات الصرامة في المؤسسات، لغات المعسول واللاذع من الكلام، لغات للراقي والهابط من القول، كل هذا يستدعى كشاهد/ شواهد للتمكن القوى للكلمة. هذه الكلمة التي نعتقد أنَّها للاستعمال، ومن ثمَّ فإنَّ الأصح أنَّها نفسها هي التي تقودنا من خلال الحمل/ الثقل

(١) د. حسن حمزة: المعجم العربي وهوية الأمة، ص٢٣٨.
(٢) السابق، ص٢٣٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(Charge) الـذي وضـعه التـاريخ في الأصـوات والحـروف الكتابيـة. فالكلمـات تراكمـات مـن الطاقة (accumulateurs d'energie)[١]".

وبناء على هذا الإدراك الواعي من قبل البروفيسور (ري) فإنَّ بناء المدونة المعجمية هو بناء مدونة اجتماعية صنعت بكلمات مستمدة من التاريخ المتشعب للغات أوروبا، والتي منها الفرنسية. وهنا قيمة الكلمات كبيرة وفق هذا الفهم العميق للمفردات، و حصيلة التطور الكبير في اللسانيات في الغرب كما أنَّه مدعم بقوله إنَّ تاريخ اللغة يعين عن طريق الشواهد الكبرى: تلكم الموجودة في الأدب، والفكر، والعلم، وفي كل التواصل الاجتماعي، وهذا معناه أنَّ الوثائق القديمة والحديثة بكل التنوعات اللغوية تصبح شواهد لغوية شاهدة على اللغة والتاريخ، والمفردات جزء وأساس في اللغة.

ولمَّا كانت اللغة منفتحة على ثقافة أهل هذه اللغة، فكراً ومشاعر جماعية، فإنَّ هذا يقود –حسب ري- إلى رؤية اللغة كعلامات لغوية مستعملة كأدوات تعبير في التواصل بكل مستوياته البلاغية، ومقاماته الاجتماعية، وهذا كله يؤكد على التمكين القوى للكلمة. هذه الكلمة التي –حسب ري- نعتقد أنها للاستعمال، بينما هي التي تقودنا من خلال ما حملت من دلالات عبر التاريخ، ومن ثم ينتهى إلى أنَّ الكلمات تراكمات من الطاقة، وهذا تنبيه على قيمة كبرى للكلمات، فكرية وتاريخية.

ومن المهم أن ندرك أنَّ دراسة اللغة العربية على أسس تاريخية تمكننا من رؤيتها ككل منـذ نقـوش الجاهليـة حتى الآن، ومـن خـلال نـصوص الـشعر الجـاهلي ونثره، والنـصوص الإسـلامية، والأدب الإسـلامي والأمـوي والعباسـي، وترجمـات العلـوم، والإبـداعات العلميـة والفنية عبر عصور العربية وتصور لنا الحضارة العربية في إطارها التاريخي "فمعجم أي لغة يعكـس التطـور الاجتمـاعي لمتكلميهـا عبر العـصور[٢]"، كمـا يعكـس ثقافـة هـذه اللغـة بكل ملامحها وتنوعاتها، أو كما يقول المعجمي. ر.ر.ك. هارتمان إنَّ "المعاجم تعنى بجوهر الثقافة، فـالمعجم يَقْـصُر عـن تنمـيط مفـردات اللغـة إلَّا داخـل نطـاق الأعـراف الثقافيـة التي يعبر عنها"[٣].

على أنَّ المعـاجم التاريخيـة في أوروبـا لـم تكـن كلهـا بـصورة واحـدة، فحـسب- -Josette Rey- Debove نجد نوعين من المعاجم التاريخية، نوع تبدو فيه السمة التاريخية في المدونة

---

(١) Le Robert: Dictionnaire de la langue Française, Vol: ١, P.XV.

(٢) د. داود حلمي السيد: المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر ص٧٧.

(٣) هارتمان: المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ترجمة د. محمد حلمي هليل ص٩٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ذاتها، وهناك نوع تتبدى فيه السمة التاريخية في المعلومات فقط، النوع الأوّل يشتمل على جميع المفردات، ويفسر بنظرة تاريخية شاملة، وليس متعلقاً بالوظيفة: فكلمات عصور مضت غير مستعملة اليوم تعيش داخل مدونة معاصرة[١]. ومعنى هذا أنَّ هناك توجهين أحدهما يهدف إلى تدوين كل ما استطاع الوصول إليه من الألفاظ مهما كانت وضعيتها قديمة أم حديثة، حية متداولة، أم توقف استعمالها.. والآخر مال نحو الاكتفاء بالتاريخ لما هو حي وحديث متداول وغض الطرف عن الباقي فلا يتطرق إليه إلّا عند الاقتضاء، أي عندما يكون الرجوع إليه ضرورياً للتأريخ للألفاظ الحديثة[٢]".

٢- السياق العلمي لميلاد المعجم التاريخي:

لابدَّ أن ندرك أنَّ ميلاد فكرة المعجم التاريخي جاء في سياق علمي أوروبي، وجاء نتيجة بحوث وأعمال كثيرة قدمت في أوروبا منذ الإنجاز العلمي الذي حققه السير وليم جونز[٣]، فمن خلاله- حسب اللغوي (Laks, L.)- جاء عمل ثوري في الوصول إلى شجرة اللغات الهند- أوروبية، وهذا –حسبه- شكّل تمهيداً للفكر العلمي في القرن التاسع عشر والعشرين، وتأثيره بدأ في مجموعة من الدوائر العلمية صنعت عمقاً، ذلك أنَّه وضع نموذجاً جينولوجياً، يقول يمكن أن نجد لها صدى عند داروين، وهذا الفكر الجينولوجي الطبيعي تحوَّل مشروحاً بتأثير خاص من خلال شلايشر ومولر، ومن هذا البحث في تطور اللغات وباحتكاك مع النظريات العلمية للتطور آنذاك وصفت اللغات في مجال التحليل المقارن والتاريخي للغات الحية والمنقرضة في ديناميكية تطورها، وفي نسبها لعائلتها، استعملت تعبيرات مجازية مثل شجرة النسب للغات[٤]، وتحت تأثير التطورين الداروينيين استعملت تعبيرات مثل اللغة كائن حي، تحيا وتعيش وتموت، وقد وُجِّه نقد لهذه الرؤى المتأثرة بداروين من خلال الأمريكي ويتني والفرنسي بريال[٥].

وتذكر مؤرخة اللسانيات نرليش (Nerlich, B.) أنَّ لغويي القرن التاسع عشر كانوا متأثرين بالنظريات البيولوجية من خلال بعدين هما: تصنيف اللغة، (Language Classification)، وتغير اللغة، فالذين درسوا تصنيف اللغة لا يمكن لهم أن يغفلوا التقدم

---

(١) Rey- Debove, J. ١٩٧٠: P.٣٠.

(٢) د. عبد العلى الودغيري: نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية، ص٤٤.

(٣) حول وليام جونز وإنجازاته العلمية، انظر البحث التالي: Cannon, G.١٩٨٤.

(٤) Laks, B. ٢٠٠٢: P.٢٠.

(٥) Ibid,. P.٢٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العلمي في التصنيف العلمي من العلماء مثل (Linnaeas)و(Jussieu) و(Cuvier)، ثم داروين وهيسكل، كما لا يمكن تجنب التقدم أو الثورة التي أخذت مكانتها في علم البيولوجي في القرن التاسع عشر بعد نشر كتاب داروين أصل الأنواع المنشور في عام ١٨٥٩م[١]، غير أنَّها تشير إلى أنَّ البيولوجيين واللغويين قبل داروين استعملوا مصطلح (Evolution) "تطور" بطريقة فضفاضة وغير دقيقة، وبعد داروين عرفوا استعمالهم لهذا المصطلح بمرجعية إلى داروين، وقد تغير معناه درامياً، فقد كان داروين نفسه مدركاً جداً لغموض هذه الكلمة، وبخاصة مفهوم تطور الكائن الحي، وتكرر استعمال مصطلح (Evolution) بمعنى غامض إلى حد كبير فقد كان لغويو القرن التاسع عشر مهتمين بتغير اللغة، وكانوا تحوليين بالمعنى العملي (Transformationists)، ويمكن أن يتوافقوا مع نظرية داروين التي تقول بأنَّ الأنواع تتطور عن الأنواع الأخرى، فالتطورية أو الداروينية بالمعنى الدقيق للمصطلح كانت قد عرفت عن طريق مبدأ التغير والانتخاب الطبيعي[٢].

إنَّ ثمَّة إقراراً لدى مؤرخي الفكر اللساني مفاده أنَّ كلَّ الداروينين تحوليين، تطوريين وليس كل التحوليين/ التطوريين داروننيين، باختصار فإن تدفق الفكر البيولوجي إلى مجال اللسانيات مقابل التصنيفية والتحويلية صنع ارتباكاً كبيراً[٣].

في هذا المناخ العلمي في أوروبا في القرن التاسع عشر وفي مجال اللسانيات، وعلى الأخص اللسانيات التاريخية والمقارنة، وبأكثر تحديد في معالجة تصنيفات اللغات، والتغير اللغوي، سادت رؤيتان في هذا المناخ العلمي في غرب أوروبا، و يذكر ماريو أليني في بحثه : الداروينية والدرس اللساني أنَّ هذا العلم كنظام علمي جديد وُلد في قرن داروين، وكأوّل نحو مقارن لمجموعةَ لغوية قد تم من خلال جاكوب جريم (١٧٨٥-١٨٦٣م) وأوجست بوت (Pott,a.) (١٨٠٢-١٨٨٧م) مؤسس البحث الإيتمولوجي، وفرانز بوب (Bopp,F) (١٧٩١-١٨٦٧م) وهو واحد من المؤسسين الآباء للسانيات التاريخية والمقارنة، وكذلك شلايشر الذي أكسب اللسانيات عنصراً يسمى بالتغير اللغوي العضوي (Organic Linguistic Change)، وقانون التطور الصوتي، واستعمل المفاهيم الداروينية ومصطلحاتها[٤]. وفي هذا السياق

---

(١) Nerlich, B. ١٩٩٠: P.٥٣.

(٢) Ibid,. p.٥٣.

(٣) Ibid,. P.٥٤.

(٤) Alinei, M, ٢٠٠٥, P.١٢٢..

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العلمي في القرن التاسع عشر طغت فيه أفكار التطوريين مثل لامارك وليال وداروين[١].

ويشير اللغوي روبنز إلى أنَّه من خلال بحث شلايشر: نظرية داروين واللسانيات، اعتبر نفسه عالماً طبيعياً، وتصور أنَّ موضوعه اللغة بوصفها نظاماً من الأنظمة الطبيعية للعالم ويجب أن يعالج بمناهج العلم الطبيعي، وأنَّه تطلع إلى علم الأحياء في بحثه عن نموذج علمي للسانيات التاريخية[٢]، كما يشير روبنز إلى أنَّ هذه الأفكار قد كانت سائدة بالفعل قبل داروين رغم أنَّها كانت قليلة الإتقان، ومن ذلك تشبيه شليجل القواعد المقارنة بعلم التشريح المقارن، فاللغات يجب أن ينظر إليها بوصفها كائنات حية طبيعية تنشأ حسب قوانين محددة، وتسير وفقها في مراحل التطور[٣]، كما يشير (Morpurgo, D.) إلى أنَّ همبولت في سنة ١٨١٢م كان يرى التصنيفات الطبيعية للغات مثل المؤسس من خلال العلوم الطبيعية.

وكان أوجست شلايشر (١٨٢١-١٨٦٨م) باحثاً في البيولوجيا ثم تحوَّل إلى باحث في اللغة، ويقرر هذا الباحث أنَّ اللغة تعامل مثل الكائنات الحقيقية، وأن علم اللغة ينتمي إلى علوم الطبيعة المثبتة ليس بالمنهج فقط، بل من خلال طبيعة الموضوع أيضاً، فنظريته تقوم أساساً على أنَّ اللغة مثلها مثل الكائن العضوي الحي، فاللغات- بحسبه- كائنات حية في ظاهرها بإرادة الإنسان، لكنها طبقاً لقواعد تولد وتكبر وتتطور وتشيخ وتموت[٤].

ويشير دسميه إلى أنَّ شلايشر يستخدم مصطلح (تاريخ Histoire) بمعنى واسع، على اعتبار أنه مرادف لمصطلح (تطور Développement)، وأن اللسانيات تستخدم المنهج التاريخي بتصنيفاته الموجودة في العلوم الطبيعية[٥].

وتجلت الرؤية التطورية المتأثرة بداروين عند الفرنسي دارمستيتر في كتابه

---

(١) Ibid,, P.١٢٢.

أشير إلى أنَّ هذا الفكر أثر أيضاً في عدد من المفكرين العرب في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، وجاءت عندهم تعبيرات مثل اللغة "كائن حي"، تولد وتعيش وتموت، هذا عند جرجي زيدان وجبر ضومط وغيرهما. وحول هذا انظر كتابي: الداروينية اللغوية بين الأصول الأوروبية والتجليات العربية في نهايةالقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

(٢) Robins, R, H. ١٩٩٨: P.٢٠٥.

(٣) Ibid., P.٢٠٥.

(٤) Marpurgo, D.A. ١٩٩:٨ P.٩٢.

(٥) Desmet, P. ١٩٩٦: P.٥١.

في بحث آن نيكولاس (.Nicolas, A): مفهوم التاريخ في اللسانيات الفرنسية في القرن التاسع عشر، تشير إلى أن مصطلح تاريخ استعمل في تلك الفترة بمعنى تطور، وهو نموذج للارتقاء، وأن هذا المصطلح في ذهن الفرنسي أوفلاك (Hovelacque) يتضمن إعادة بناء حقيقية للغة الأم مثل كل اللغات قبل التاريخ. انظر:. Nicolas, A. ١٩٨٨ : P.٥٧-٦٨

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(Lavie des mots) حياة الكلمات، يرى فيه أنَّ الكلمات تولد وتعيش وتموت، كما أنه ناقش المشكلات الخاصة بالمصطلحات الداروينية: الانتخاب الطبيعي والصراع من أجل البقاء[١].

وانتقد هذه الرؤية قطاع كبير من لغوي القرن التاسع عشر فهاجمها عدد منهم، لعلَّ أهمهم الأمريكي (Whitney, D.) (١٨٢٧-١٨٩٤م) من أكثر اللغويين رفضاً لرؤية شلايشر وأتباعه، ورأى اللغة على أنَّها ليس لها حياة خارج الأفعال الشخصية لتعديلها وفقاً لاحتياجاتهم، وليس للغة نمو، فهي –حسبه- جزء من مركب مؤلف نملكه يسمى الثقافة، وهي مظهر من حياة الإنسان الاجتماعية، ويرى اللغة نظاماً مألوفاً مؤسساً من خلال الجماعة اللغوية[٢]. ورؤيته للغة أنَّها عرف اجتماعي عبارة عن مجموعة من العادات أو طرق مألوفة من الأحداث، ووفقاً للبشر في أي مجتمع أو مجموعة من المجتمعات الموصولة بهدف اجتماعي معين، وتعتبر نتيجة لتوافقهم الاجتماعي. فإدراك الهدف والصيغة المضمرة في بلوغها هو حصيلة خبرة المجتمع، فالعرف يمكن أن نقول إنَّه ينمو بطبيعة الإنسان والظروف الإنسانية، إنَّه منتج تاريخي لنشاط مشترك من الأجيال في المجتمع. فكل جيل منهم يشترك في تطوره[٣].

ومن ثم تعلق نرليش على هذا النص بقولها إنَّ رؤيته للغة مفاده أنَّها عرف جذوره في الحدث الاجتماعي، ليست محددة بالأشخاص، وإنَّما من خلال المجتمع الذي يصنع تغير اللغة[٤]. ولعلَّ هذه الرؤية الاجتماعية للغة هي التي جعلت من ويتني في تصور البروفيسور كونراد كويرنر أصلا من أصول اللسانيات الاجتماعية[٥]، ذلك أنَّه يرى اللغة عرفاً مؤسساً من خلال الطبيعة الاجتماعية للإنسان، ومصاغة برضا من خلال الطبيعة الاجتماعية للإنسان، ومن ثمَّ فالأشخاص هم القوة الوحيدة المطلقة في صياغة وتقييد كل كلمة بمعناها، والمجتمع هو الذي يصنع تغير اللغة[٦].

ثم يأتي الفرنسي ميشيل بريال ليعارض المتأثرين بداروين (أمثال شلايشر وماكس مولر

---

(١) Darmesteter, A. ١٨٨٧= ١٩٧٩:P.٨٩.

(٢) Valone, D.A. ١٩٩٦; P.١٣٠.

(٣) Nerlich, B. ١٩٩٠: P.١٠١.

(٤) Ibid. P.١٠١.

(٥) Koerner, K. ٢٠٠٢; P.٢٦٤.

يجعل كويرنر من ويتني ضمن مؤسسي اللسانيات الاجتماعية ثم يليه دي سوسير وماييه ثم مارتينيه ثم فانرايش إلى أن يصل للأمريكي لابوف. وحول ذلك انظر: بحثي: رؤى اللغويين الغربيين لجذور علم اللغة الاجتماعي ص ص ٢٨٨-٢٩١.

(٦) Nerlich, B.١٩٩٠; P.١٠١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

ودارمستيتر وغيرهم)، ويرى اللغة على أنَّها عرف اجتماعي، ويتحدث عن اللغة باعتبارها عملاً اجتماعياً أو منتجاً اجتماعياً مثل القوانين والعادات والتقاليد، ومن ثمَّ فإنَّه يرفض الرؤية التي ترى أنَّ اللغة كائن طبيعي(١)، وكان بريال مدركاً لتأثير العوامل الاجتماعية والتاريخية على معنى الكلمات.

ورغم وجود هذين الاتجاهين في دراسة تصنيف اللغة وتغيرها، اتجاه تطوري متأثر بداروين، وآخر من ممثليه –كما رأينا- ويتني وبريال وغيرهم، إلَّا أنَّ هذين الاتجاهين يدرسون تاريخ اللغة بشكل تطوري، وكما نقلنا سابقاً عن الباحث (Nicolas) الذي يذكر أن مفهوم مصطلح (Histoire)= تاريخ عند اللغويين الفرنسي في القرن التاسع عشر كان بمعنى تطور، ومن ثم كان الدرس اللغوي التاريخي يضم الاتجاهين، ويقرر أهمية التاريخ في اللغة، فبريال كان تحليله للغة قائماً على خلفية تاريخية واضحة، ويرى أنَّ التاريخ وحده هو الذي يمكن أن يعطى الكلمات درجة الدقة التي نحتاجها في الفهم، فالتاريخ عنده مرجع الأشكال الحالية(٢).

إنَّ علم اللغة عنده يمكن أن يكون علماً تاريخياً فقط(٣)، وأنَّ الأهمية الكبرى للدراسة التاريخية و المقارنة –عنده-هي التقدم المستمر للتصنيف الجيني (Genetic Classification) لكل اللغات القائم على المنهج المقارن عند أساتذته، ومن ثم فإنَّ العلاقات التاريخية بين المجتمعات الإنسانية يمكن أن تكون مفهومة أفضل(٤).

هذا الاتجاه نحو التاريخية (Histoiricisme) كما يسميها جورج مونان، أنَّ تصور النحويين الجدد (Neo-grammairiens) للسانيات على أنَّها علم تاريخي(٥)، وكان الألماني هرمان باول (Paul H.) ضمن من تصور أنَّ اللسانيات علم تاريخي ومن ثمَّ يقول: الدراسة العلمية الوحيدة للغة هي المنهج التاريخي، كما أنَّ كل دراسة لغوية علمية لا تكون تاريخية في أهدافها ولا في مناهجها، فهي يمكن تعليلها بتقصير من الباحث أو نقص المصادر التي توفرت له(٦)، وهذا معلل بما ينقله مونان عن بروجمان (Brugmann) القائل إنَّ الهدف

(١) Ibid.، P.٧٢

(٢) Delesalle, S. ١٩٨٧: P.٢٨٨.

(٣) Sutcliffe, Patricia, C. ٢٠٠٠; P.١٥١.

(٤) Ibid., P.١٥١.

(٥) Mounim, G. ١٩٦٧; P.٢٠٩.

(٦) Ibid., P.-٢١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الأساس ومركز الاهتمام في اللسانيات المقارنة في كل مظاهره هو إعادة بناء للغة الأم الهندو-أوروبية[١]، وهذا ما جعل القرن التاسع عشر يصبغ بالتاريخية، وتصبح دراسة اللغة أكثر خصوبة، فقد أصبحت في فرنسا أعمال في النحو التاريخي المقارن للفرنسية والمعجم الإيتمولوجي والنحو المقارن للغات الرومانية، وأجابت كما يقول (Jean, Stefanini)- عن قضايا معروضة من خلال اللسانيات التاريخية منذ نشأتها عن أصل اللغة والعلاقات بين هذه اللغات وبعضها، وعن تاريخها[٢].

ترك هذا كله أثراً في صناعة المعاجم، والمعاجم التاريخية بخاصة، وهذا ما توضحه نرليش من خلال المقدمة التي كتبها الإنجليزي (Murray) محرر معجم إكسفورد للغة الإنجليزية، وهو معجم تاريخي، يذكر فيها أنَّ هدف المعجم هو تحليل "حياة واستعمال الكلمات" حسب المنهج التاريخي الجديد الممتدح من قبل الفيلولوجيين الألمان، كما أنَّ الإيتمولوجي وسيلة لتحليل الروح الإنسانية، أصلها، وطبيعتها ودمج الدلالة في الإيتمولوجي مصمم على اعتباره تاريخاً للكلمات[٣].

هذه الرؤية نجدها عند الفرنسي إيميل لتري (Littré, E.) (١٨٠١-١٨٨١م)[٤]، الذي يرى اللغة على أنَّها لا يمكن أن تكون ثابتة، ذلك أنَّها تتطور في كل زمن تدريجياً لتصنع أفكاراً جديدة يمكن أن يعبر عنها، واللغة عنده تشبه أي عرف اجتماعي آخر متطورة باستمرار، وتذكر نرليش أنَّه غير متأثر بالداروينيين، ولم يستعمل مصطلحاتهم، ومن ثم فهو أقرب إلى ويتني وأفكاره[٥]، وبالرغم من هذا فإنَّنا سوف نجده متأثراً بالرؤية التاريخية العامة التي تأثر بها لغويو القرن التاسع عشر وحتى عند الرافضين لكون اللغة كائن حي، يقول لترى في مقدمة معجمه: معجم اللغة الفرنسية، وهو تاريخي، يقول في مقدمته، يعطى مسمى (تاريخ) لمجموع من التعبيرات المنتمية إلى اللغة القديمة، حيث كانت الكلمة موضحة تماماً وشبيهة بما هو في الاستعمال اليومي[٦]، وأن الكلمات مثل العائلات موضحة بكشف نسبها، وبانحدار دلالتها العائدة من الدلالات الأساسية (Basses significatios). فالتاريخ هو شجرتها

---

(١) Ibid., P.٢٠٩-٢١٠.

(٢) Stemfanin, J. ١٩٧١; P.١١.

(٣) Nerlich, B. ١٩٩٣; P.٢١.

(٤) Nerlich, B. ١٩٩٣; P.٢١

(٥) كان إميل لتري طبيباً وسياسياً، وصحفياً، ومعجمياً، ومفكراً، وهو صاحب معجم للغة الفرنسية طبع في باريس في عام ١٨٧٣م. وحول رؤيته اللغوية انظر: ١٣١-١٢٩. ١٣١-١٢٩.P.١٢٩-١٣١ ; Nerlich, B. ١٩٩٢

(٦) Littré, E. ١٨٧٣; P.XX.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الجينولوجية/ شجرة نسبها (Arbre Genealogique)[١].

فمن وجهة نظري لم يقف تأثير العلوم الطبيعية عند حد معين بل بدا واضحاً في تحليلاتهم اللغوية حتى لو كانوا غير دارونيين، فبالرغم مما تزعمه نرليش من كون لتري شبيه بويتني (بمعنى أنَّه غير متأثر بداروين واللغويين الدارونيين) إلَّا أنَّنا نلاحظ أنَّ المناهج الطبيعية صبغت التحليلات اللغوية في ذلك الوقت، ودليل ذلك ما يقوله لتري في مقدمة معجمه حول مفردات اللغة الفرنسية، يقول إنَّ هناك أصولاً استقرت/ بقيت ولم تتغير منذ القرن الحادي عشر، والثاني عشر، مجموعة تعيش، ووحدات تلفت، وأخرى ولدت وهذا الجمع ما بين الاستمرار والتغير هو الذي ينشئ تاريخ اللغة[٢].

إنَّ الأمر واضح في كون دراسة اللغة وتاريخها شبيه - حسب ما هو واضح من هذا الفهم- بالعلوم الطبيعية، وحدات تولد، وأخرى تعيش، ووحدات تتلف، وكأن الكلمات كائنات حية. ولعل مفهوم شجرة النسب - الذي ذكره لتري في نص سابق نقلناه عنه - يوضح الأثر، وقد كان شلايشر صاحب هذه الفكرة في الدرس اللغوي، حيث يرى شلايشر أن اللغة ذات شجرة وراثية مثل الإنسان، أي أنَّ هناك أصلاً مشتركاً قديماً تولد منه نسل كثير يرتبط بعضه ببعض كفروع الشجرة. وهذه الفكرة ناقشها مؤرخو الفكر اللغوي، وأكدوا أنها فكرة وجدت عند باحثين في العلوم البيولوجية[٣].

ويذكر اللغوي الكبير ألن ري أنَّ مصطلح عائلة (Famille) في الإيتمولوجي يعتبر على كونه صيغة نسبية/ وراثية (Formes apparentées) قائمة كتجريد شائع، وهذا –حسبه- نقل من التعبيرات المجازية البيولوجية: مثل حياة الكلمات، واللغة الأم، الخ، فقد كان اللغويون في نهاية القرن التاسع عشر مثل شلايشر ودارمستيتر ضحايا لهذا المنطق المجازي فعندهم اللغات وصيغها كائنات حية تتغير مثل الإنسان، في الوقت نفسه تتغير بالإنسان، فهناك قوة طبيعية تغير صيغها الفيزيقية وهذا كائن في الأصوات، وهو مجال الإيتمولوجيا[٤].

ويوضح مفهوم "العائلة" في إطار المعجمية، فيقول إنَّ عائلة الكلمات صنف لم يكن مجموعة من الحروف/ الجرافيات (Graphies) المقدمة من خلال تسلسلات صوتية لكلمة واحدة، وإنَّما هو مجموعة من العلامات المميزة في مستوى الدال والمدلول، كما أنَّ ري يرى

---

(١) Ibid., P.XXV.

(٢) Ibid., P.XXVI.

(٣) حول تفاصيل أكثر انظر كتابي: الداروينية اللغوية ص ٣٠-٣٢.

(٤) Rey, A. ١٩٧١; P.٨٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أنَّ الإيتمولوجيا تفترض الرؤية التاريخية من خلال مجموعة الصيغ التي تلحق، لكنه يرى أنَّها تحتوى على عناصر متناقضة، ولا يمكن رد الصيغ إلَّا من خلال ظاهرة الكتابة، ويخلص إلى رؤية دريدا القائلة بأنَّ اللسانيات التاريخية جزء آتٍ من الجراماتولوجي(١).

فممَّا لاشك فيه أنَّ المناخ العلمي الخاص بالدرس اللساني في القرن التاسع عشر كان مفعماً بالتاريخ، بيد أنَّ المناهج الطبيعية أثرت في تلك التحليلات، وكان الباحثون مشغولين بتصنيفات اللغة والتغير اللغوي، فبحثوا عن أصل اللغة، والقرابات اللغوية، ومحاولة إعادة بناء للغة الأم للفصيلة الهندوأوروبية، وكان هذا بصورة تطورية تحويلية سواء أكان من التطوريين المتأثرين بالداروينية أم غير المتأثرين، وجاءت نتيجة لذلك أبحاث حول تاريخ النحو في اللغة الفرنسية، وتاريخ المفردات داخل المعجم التاريخي، فكلا المجالين يهتم بالتأريخ للغة وتطورها، فقد أصبح التاريخ/ التطور اللغوي مشغلة اللغويين، ومن ثم جاء اهتمام اللغويين بالتطور/ التغير اللغوي على مستوى المفردات والتراكيب، فمن خلال هذا المناخ العلمي المفعم بدراسة التطور عُني العلماء بدراسة ورصد التغيرات الدلالية والتركيبية، ومن ثم ولدت فكرة المعجم التاريخي الذي يبحث في أصول الكلمات وميلادها والتغيرات الدلالية التي لحقت بها عبر تاريخها.

فقد كتب الألماني هرمان باول مقالة في عام ١٨٩٤ نشر فيها قناعاته عن الطريقة الأفضل لكتابة معجم، والذي ينظر إليه (أي إلى هذا المقال) على أنه النسخة النظرية لمعجمه الألماني المنشور فى ١٨٩٧م. في هذا المقال –كما تقول نرليش- وضح هرمان باول الخطوط المرشدة لكتابة معجم جيد، هذه الخطوط المرشدة تحولت في النهاية إلى الدفاع عمّا سوف نراه: (١) هدف المعجم. في رؤية باول للمعجم يجب التأكيد على ذكر بداية واختفاء الكلمات، وهذا كان مهماً للمعجم التاريخي، وكذلك يجب أن تعطى تفاصيل عن منطقة استعمال الكلمة، أو ما يسمى في الوقت الحاضر استعمال الكلمات في مستويات (Registres).

(٢) **المصادر**.

المصدر الأول للمعلومات المعجمية عند هرمان باول هو الحدس (intuition)، بينما الوثائق والآثار الباقية تعطى معلومة غير موثقة عن مناسبات معاني الكلمة/ السياق، فحدسنا، -حسب باول- يملك مداخل مباشرة للمعنى المعتاد للكلمة، بينما لا يمكن تجريبها

(١) Ibid., P.٩٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

مع الوثائق التاريخية.

(٣) **التدوين المعجمي للمعنى**. عند هرمان باول هو الطريقة الأفضل في توضيح معاني الكلمات ليس من خلال تعريفات مسار الكلمات الصعبة، أو من خلال المترادفات، وإنما من خلال رؤية كيف أن معاني الكلمات تختلف من موضوع لآخر وأنها تتشابك، ومن هنا نملك تعريفاً للمعنى مؤسساً وصفياً وتركيبياً.

(٤) **التطور التاريخي** لمعنى الكلمة (Historical Development of Word-Meaning). في هذه الحالة كما تقول نرليش- يعود للخلف هرمان باول للتصنيفات المنطقية المبرهنة من خلال كتابه (Prinzipen)، حيث يقول إنَّ إعادة معرفة العلاقات المنطقية ما بين المعاني الخاصة مهمة. ذلك أنَّ المقولات المختلفة للتغير الدلالي مبرهنة ويمكن تطبيقها[١].

فأفكار باول تشبه أفكار ويتني، التي ترى أنَّ هناك شيئين مهمين في التغير الدلالي:

(أ) عنصر جديد يضاف إلى المعنى القديم.

(ب) عناصر معينة اختفت.

ثم يأتي العنصر الخامس، وهو:

(٥) **الكلمات وسياقاتها**: ففي كتابة المعجم-حسبه- حتى لو كان مخططاً للتطورات التاريخية، فإنَّه مهم الانتباه إلى العلاقات المختلفة التي يمكن للكلمة أن تظهر فيها، ولذلك لا يمكن أبداً معالجة الكلمات معزولة عن سياقاتها ثم عرض قائمة لطرق تحليل الكلمات في علاقات مختلفة، هذه القائمة متشابكة/ متعلقة نوعياً مع تحليل بريال في كتابه: بحث في علم الدلالة المنشور في ١٨٩٧م، حيث يحلل الكلمات في التركيب، والتطور الدلالي للواحق، والاشتقاق والترادف واختلاف المعنى...الخ[٢].

هذا التنظير لصنع المعجم كرس جزءاً منه باول لما يفيد المعجم التاريخي، حيث شدَّد في الملاحظة رقم (١)، في هدف المعجم على التأكيد على العناية ببداية الكلمة واختفائها، وهذا مهم، ثم في رقم (٤) ذكر أهمية مراعاة التطور التاريخي لمعنى الكلمة، وهذا كله ما جعل الأستاذة نرليش تقول حقيقي كما في حالة موري محرر المعجم الإنجليزي (التاريخي) ولتري ودارمستيتر وهانزفيلد (المعجميين الفرنسيين) صعنوا معاجم هم قد أخذوا أو حسب

---

(١) Nerlich, B. ١٩٩٢; p.٩٣-٩٤.

(٢) Ibid., p.٩٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تعبير نرليش شحذوها من فكر(باول) الخاص بالقضايا الدلالية[1].

ومن هذا كله أخلص إلى أنَّ القرن الثامن عشر والتاسع عشر كان ذا مناخ علمي أثر في البحث اللغوي وقاده نحو الاتجاه التاريخي أو التطوري، ومن ثم جاءت البحوث اللغوية في إطار البحث عن أصل اللغة وتصنيفها وتغيرها، وأثمر ذلك الكتابة في موضوعات قائمة حول هذه المجالات، بعضها جاء منظراً للقضايا، ثم تلته بحوث تطبيقية، منها صناعة المعجم التاريخي.

ويلخص رؤيتي هذه ما نقله الدكتور عبد العلي الودغيري عن أوجست براشي، يقول في مقدمة معجمه: المعجم الإيتمولوجي للغة الفرنسية Dictionnaire etymologique de la langue Française): "وهذا القاموس الإيتمولوجي هو التتمة الطبيعية لكتابي المسمي: النحو التاريخي الذي نشرته العام الماضي. لقد وضعت في ذلك الكتاب تاريخ الصيغ النحوية للفرنسية، ومن أجل إتمام هذا العمل والوصول إلى رسم الدائرة الكاملة لتاريخ لغتنا كان عليَّ أن أصنع تاريخاً لألفاظها، وهذا موضوع هذا الكتاب. فهذا القاموس الإيتمولوجي هو الذي سوف يكمل ذلك التاريخ[2]".

ويستنتج من هذا الكثير من الأمور، منها الدلالة الواضحة على المناخ العلمي الذي ساد القرن التاسع عشر وقبله في البحث اللغوي، ومفاده الرغبة في التأريخ للغات، ومفرداتها، وفي هذا المناخ جاءت فكرة المعجم التاريخي ضمن البحث اللساني التاريخي، فكرة منظرة ثم تطبيق لهذه الفكرة. الأمر الآخر وهو أنَّ التأريخ للمفردات يأتي مواكباً للتأريخ للتراكيب وتغيراتها فإذا أردنا صنع معجم تاريخي للغة العربية فيجب البحث في علاقة العربية بشقيقاتها من اللغات وكذلك اللغات الأخرى التي احتكت بها العربية عبر مراحلها المختلفة، هذا يفيد في تأصيل الكلمات، ومعرفة جذورها، وتاريخ وجودها في العربية، ويواكب ذلك بحوث تاريخية للعربية وتنوعاتها المختلفة عبر فرق علمية عديدة للبحث فيها ووصفها وصفاً دقيقاً لنخرج من هذا كله بتصور دقيق عن تاريخ العربية معجماً وتركيباً.

وسوف أتناول في الصفحات التالية تصور الباحثين لتاريخ العربية ومراحلها، وتنوعاتها، وسوف نلاحظ عدم وجود اهتمام علمي عند الباحثين العرب بتاريخ العربية، ويظل إلى الآن حكراً على الباحثين المستعربين إلى حد كبير.

---

(1) Ibid,. p.٩٣.

(٢) د. عبد العلي الودغيري: نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية، ص٤٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

٣. مراحل العربية عند المستعربين المؤرخين لها

كما ذكرنا آنفاً أنَّ ميلاد المعجم التاريخي في أوروبا جاء نتيجة اللسانيات التاريخية، الذي عُني –آنذاك- بأصل اللغة وتصنيفها وتغيرها، ونتجت عنه البحوث التي كان موضوعها الأسر اللغوية، والإيتمولوجي، وتاريخ المفردات وتاريخ النحو في اللغات القديمة والحديثة، ومن ثم كان المعجم التاريخي الإنجليزي وكذلك المعاجم الفرنسية التي اهتمت بالإيتمولوجي (وهي كثيرة في القرن التاسع عشر والعشرين) ثمرة لتلك الأعمال. وهذا يقودنا إلى صناعة معجم تاريخي للعربية لن يكون موجودا إلَّا بالاهتمام بالبحث في تاريخ العربية.

على أية حال أحاول أن أعرض لموجز تاريخ العربية من خلال المؤرخين لها، ولابد أن نشير هنا إلى وعورة البحث في هذا المضمار، ولعلَّ ما كتبه المستشرق الإسباني فدريكو كورينتي يكفى للتدليل على ذلك، يقول: إن كثيراً من الباحثين المحنكين فشلوا أو على الأقل لم يقدروا على إيجاد أدلة لمزاعمهم القائمة حول تاريخ اللغة العربية واللغات السامية، وأعترف بكل صدق وإخلاص بشعورنا أنَّنا بحرنا سوياً في القارب نفسه، وفشلنا بانتظام في الهدف نفسه، ويعتقد أنَّ كل من انضم إلى هذا المعترك يستحق أن يلقب بالأحمق، ذلك لاندفاعه نحو مناطق للبحث تراجع عن الخوض فيها كثيرون ممن هم أكثر ذكاءً وبراعة، بسبب عدم توافر أدلة يقينية حول فترة الجاهلية وما قبل التاريخ من عمر اللغات السامية، وهذا –حسبه- يُلقي بظلاله على دراسة اللغات السامية، وقد كان هذا مصدراً للأخطاء وسوء الفهم، وأنَّ أقل فرصة للنجاح في هذا المسعى تستحق كل الجهد والمخاطرة، ويذكر المثل القائل إذا لم تدرك الغاية فعلى الأقل يكفيك شرف المحاولة[١].

ولعلَّ هذا دالاً على الوضع العلمي في هذا المضمار وصعوبته، وهذا ما جعل الباحثين يبتعدون عنه، ويقل وجود باحثين عرب في هذا المجال، وإن جاء فهو أقل عمقاً وفي كتب قليلة جداً[٢]، وقد كتب د. محمد سالم الجرح -رحمه الله- في عام ١٩٧٥م مقالاً بعنوان: التأريخ للعربية، خلص فيه إلى أنَّ مجال التأريخ للغة العربية "قد أهمل إهمالاً يكاد يكون تاماً في القديم، كما اضطربت الدراسات المحدودة التي اتجهت إليه في الحديث، فقصرت عن بلوغ الغاية وتحقيق المراد[٣]".

---

(١) Corriente, F. ٢٠٠٧; P.١٤١.

(٢) حول هذا المضمار انظر بحثي: وصف المستشرق الإسباني إجناسيو فراندو لتاريخ اللغة العربية، بحث قُبل للنشر بمجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة.

(٣) د. محمد سالم الجرح: التأريخ للعربية، ص١٠١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وأظن أنَّ الحال هو هو كما وصف د. الجرح، وإن كان هناك بعض الترجمات العربية لكتب ألفها أصحابها في مجال تاريخ العربية، ترجمها د. حمزة المزيني، ود. سعيد بحيري، وجاءت بعض الدراسات العربية في هذا المجال بعيدة عن التواصل في المجال نفسه مع الكتابات التي كتبها مستشرقون، ومن ثم لم تحقق الغاية المطلوبة.

والحقيقة التي جعلتني أعرض لهذا الأمر هو ما لاحظته من الرؤى التي طرحت عن تاريخ العربية، وذلك في البحوث الخاصة بالمعجم التاريخي سواء في ندوة المغرب أم الدوحة أم في مجمع القاهرة من كونها لم تتواصل مع هذا المجال من البحث، وهذا المجال منوط به المعجم التاريخي، فقد رأينا بعض الباحثين يقسمون العربية إلى مراحل تتوافق وتقسيم دراسة الأدب، بيد أنَّها جاءت غير عميقة في تاريخ العربية ومراحلها وتنوعاتها عبر التاريخ، ودون وجود حجج علمية تؤكد ما يطرح من رؤى، وفي الصفحات التالية أقدم موجزاً لتصور الباحثين لتاريخ اللغة العربية.

يسود في تاريخ العربية اتجاهان، اتجاه قد بدأ منذ زمن عند الألمان، وكان فوك في كتابه العربية الذي ترجمه د. عبد الحليم النجار رحمه الله- من ضمن مؤسسيه الأوائل ثم كان المستشرق جوشوا بلاو (J. Blau) الذي كتب عدداً كبيراً من الدراسات في هذا المضمار ويشايعه تقريباً فرستيج[1]، وملخص رؤية هذا الاتجاه أنَّ بداية العربية تأتي من العربية القديمة، ثم ما قبل العربية الفصحى، ثم الفصحى، ثم العربية الجديدة/ المولدة Neo- Arabic التي تنوعت إلى اللهجات العربية الحديثة والعربية الوسيطة بأشكالها، والشكل التالي يوضح هذا.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العربيـــــــــة القديمـــــــــة	Ancient Arabic[1]
مـــا قبـــل العربيـــة الفـــصحى	Pre- Classical Arabic
العربيـــــــــة الفـــــــــصحى	Classical Arabic

العربية المولدة Neo- Arabic

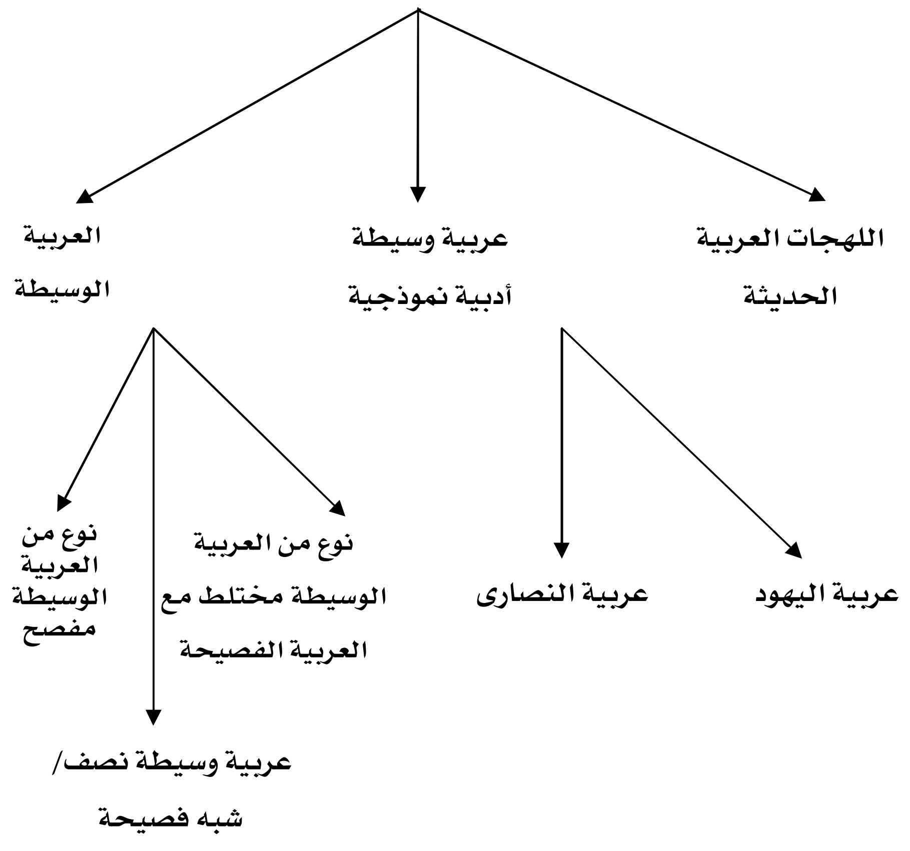

---

(١) Shivtiel, A. ١٩٩١ ; P.١٤٣٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يرى أصحاب هذا الاتجاه عدم وجود ازدواجية لغوية عند العرب في الجاهلية، وأنَّ هناك فرقاً بين نوعين من العربية: القديمة والمولدة، فالقديمة تتصف بالنمط التأليفي (Synthetic)، في حين تميل العربية المولدة إلى النمط التحليلي (Analytic)، والمولدة جاء ظهورها – حسب بلاو- نتيجة تحوّل عام تكوّن مبكراً منذ مئات ومئات السنين في اللغات الأكادية والآرامية التي تطورت إلى مراحل لغوية تتشابه نموذجياً مع العربية المولدة، وكان انعزال العرب في الجاهلية سبباً في احتفاظ لغتهم بالسمات السامية الأم، وهذا معناه أنَّ العربية المولدة نتاج خط تطوري مشابه لما سلكته لغات سامية أخرى من قبل، فهي ولادة طبيعية من العربية القديمة، تعززت بتأثير عوامل خارجية أهمها حركة الفتوحات والخروج من حالة العزلة أو الانعزال التي كان عليها العرب قبل الإسلام(١).

نلاحظ أنَّ هذه الرؤية قريبة مما تصوره العلماء العرب القدماء، كما أنَّها توضح تاريخ العربية بعلاقاتها باللغات السامية، بيد أنَّها تضيف شيئاً مهماً لم يلتفت إليه القدماء وهو ما سموه بالعربية الوسيطة، التي سوف أوضح أمرها فيما بعد.

أمَّا الاتجاه الآخر فيرى تاريخ العربية برؤية أخرى، فالازدواجية اللغوية التي يرى القدماء أنَّها جاءت بعد الإسلام، وهذا مستنبط من ابن خلدون وغيره من القدماء، ويتصورها كذلك بلاو وفرستيج(٢)، يرى أصحاب الاتجاه الثاني أنَّها كانت قبل الإسلام، فالمستشرق الفرنسي بيير لارشيه يرى أنَّ تاريخ الواقع اللغوي العربي تتابع من الازدواجيات اللغوية من أرض إلى أخرى، ففي الجاهلية توجد الازدواجية بين لهجات عربية مع العربية الشعرية المشتركة، وبعد الإسلام بين العربية الفصحى والعربية المشتركة عند جنود الجيش الإسلامي، يراها ازدواجية تالية، ثم في العصر الحديث تأتي الفصحى الحديثة مع اللهجات العربية الحديثة لتمثل ازدواجية أيضاً(٣)، وكان فرجسون قد ذكر أنَّ الازدواجية اللغوية في العالم العربي تبدو موصولة بمراحل بعيدة مثل معرفتنا بالعربية نفسها(٤).

وكان شفتيل أكثر توضيحاً للرؤية الكلية لهذا الاتجاه، فمن خلال مقاله:- متاهة العربية The Maze of Arabic انتقد شفتيل تصورات بلاو- وهو ضمن ممثلي الاتجاه الأوَّل- في عدد من النقاط، وقدم تصوراً لتاريخ العربية، ويرى فيه أنَّ تقسيم بلاو تقسيم سطحي

---

(١) Blau, J. ١٩٨١ ; P.١

(٢) انظر كتابي: الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية ص ٤٣-٥١.

(٣) Larcher, P.٢٠٠١; P.٥٨٩.

(٤) Ferguson, C. ١٩٥٩: P.٣٢٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لا يعكس الأطوار المختلفة للعربية، سواء أكانت متعاقبة أم متزامنة[١]، كما أنَّه يتخذ من مقولة بلاو :إنَّ الحدود التي تفصل بين العربية الكلاسيكية الفصحى وما قبل الكلاسيكية غير واضحة؛ لأنَّ الأعمال التي كتبت في مرحلة ما قبل العربية الكلاسيكية كانت تقرأ بصورة مستمرة ومن ثم تأثر بها الكتاب اللاحقون. ويذكر شفتيل أنَّنا يجب أن نأخذ هذه المقولة بعين الاعتبار، ويذكر أنَّ ما يسميه بلاو عربية ما قبل الكلاسيكية لا يمكن أن يعكس المرحلة المبكرة من تاريخ العربية، لأنَّ هذه اللغة تشير إلى مصادر الأدب الجاهلي بكل ما يحتويه هذا الحصاد من أسلوب بلاغي جميل، وهذا الأسلوب من الأدب لا يمكن أن يستخدم وسيلة اتصال يومية كالوسيلة التي تنتمي إلى العامية[٢].

كما يعترض شفتيل على تصور بلاو للعربية الوسيطة[٣]، فهو عنده مرفوض تماماً، ذلك أنَّه يرى أنَّ بعض الظواهر الفريدة التي تتصل بالعربية الوسيطة يمكن مقارنتها بالسمات الأسلوبية، لذا فاستخدام أشكال نادرة من العربية الكلاسيكية بصورة متكررة من قبل كاتب نص ينتمي إلى العصور الوسيطة ربَّما لا يعكس بالضرورة تجاهله للاستخدام الشائع أو غير الشائع قدر ما يعكس رغبته الشديدة في استخدام أسلوب منسق يقوم على صيغة غير مألوفة وكلمات فريدة، ثم يذكر أنَّنا يمكن أن نتفق مع بلاو في أنَّ التصحيحات الزائفة (Hyper corrections)[٤] نتيجة تجاهل كاتب للنص ورغبته القوية في استخدام عربية فصيحة رفيعة، لكن من ناحية أخرى ربَّما كانت في بعض الحالات أشكالاً موجودة في لهجة وليس تشوهاً لقاعدة من قواعد العربية الفصحى، ويذكر من هذه النماذج (أبوك وأخوك) وغيرها فليس بالضرورة –حسب شفتيل- أن ينظر إلى الحالات الثلاثة جميعها على أنَّها تشويه معتمد لقواعد العربية الفصحى، لكن بوصفها أشكالاً موحدة تم قبولها داخل

---

(١) Shivtiel, A. ١٩٩١;P.١٤٣٥.

(٢) Ibid., P.١٤٣٦.

(٣) العربية الوسيطة (Middle Arabic) مصطلح اختلف مفهومه من مرحلة إلى أخرى، فعند الألماني فلايشر مرحلة ما بين العربية القديمة والعربية الجديدة/الحديثة، وجاءت عند بلاو في بعض بحوثه على أنَّها الحلقة المفقودة بين الفصحى والعربية المولدة، لكن عنده في مرحلة تالية وعند الالماني فيشر ولنتان، أي في الوقت الحاضر- مصطلح يدل على تنوع من العربية يأتي مشكلاً من عناصر من العربية الفصحى وعناصر من العامية. انظر حول هذا بحثي: مفهوم العربية الوسيطة عند المستشرقين الباحثين في تاريخ اللغة العربية.

(٤) هذا المصطلح يدل على ظاهرة من السمات الخاصة بالعربية الوسيطة، ذلك أنَّ الكاتب يحاول التقرب من الفصحى ولكن دون توفيق، فمثلاً يستخدم تراكيب من الفصحى في غيرموضعها الصحيح مثل "فاعملون" و"لم يخافون".

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لهجات عديدة بوصفها قاعدة[1].

ويرى شفتيل أنَّ وضع العربية المعاصرة ربَّما يعكس إلى حد بعيد الموقف الذي كان موجوداً في جميع مراحل العربية السالفة، وعلى أساسه يرى أنَّ العربية المعاصرة لها ثلاثة مستويات، هي: العربية الأدبية Literary Arabic التي تختلف عن غيرها من خلال أسلوبها الرفيع، والتي تستخدم بصورة أساسية في التواصل اليومي المكتوب من خلال الكتاب المعاصرين، وهناك كم كبير من اللهجات التي تستخدم في مناطق مختلفة من الأقطار الناطقة بالعربية للتواصل اليومي الشفهي[2]. كما يذكر أنَّ بعض عناصر هذه اللهجات رحلت إلى الأدب العربي الحديث على الرغم من الاحتجاج الشديد من الحريصين على نقاء اللغة، وأنَّنا نشهد الآن ممارسة متزايدة في استخدام العربية النموذجية المعاصرة (Modern Standard Arabic) التي تتكون من العربية الفصحى، لكنها تبتعد قليلاً عن القواعد الصارمة، وتتسم باستعمالات مستحدثة ناتجة عن تأثيرات أجنبية، فهي –حسب شفتيل- عربية وسيطة، ذلك أنَّ بها بعض التراكيب التي تتعارض مع قواعد الفصحى، ولوجود كلمات من العامية قليلة، وكذلك لوجود بعض التصحيحات الزائفة وبخاصة في الخطابات الرسمية والبيانات الشفهية[3].

ويخلص شفتيل إلى أنَّنا يمكن أن نفترض أنَّ هذه الحالة كانت موجودة في جميع مراحل العربية، هذه الحالة تجمع تنوعات ثلاثة في مراحل العربية كلها، وهي وجود كل من الفصحى، والنموذجية (التي تمثل من وجهة نظره عربية وسيطة) ثم العامية، والشكل التالي يبين الرؤية[4] تماماً.

---

(١) Shivitel, A. ١٩٩٩; P.١٤٣٨.

(٢) Ibid.، P.١٤٣٩.

(٣) Ibid.، P.١٤٣٩.

(٤) قمت بدراسة تحليلية لآراء شفتيل في هذا المضمار في دراستي: اعتراضات المستشرق شفتيل على تقسيم المستشرق يوشع بلاو لتاريخ اللغة العربية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الشكل[١]

المعايير أو الأنواع			المرحلة تقريباً	الطبقات أو الأطوار
العامي/ المحلي: اللهجات العربية القديمة	النموذجية: النقوش والخطوط المختلفة، خاصة المقتبسة من مصادر مختلفة	الفصحى: الأدب الجاهلي	من ٦٠٠ ميلادية	العربية الأم Proto Arabic العربية القديمة Ancient Arabic
العامي/ المحلي: لهجات المناطق تشتمل على لهجات أقليات مقعدة من قبل المسلمين	النموذجية: برديات لعربية النصارى واليهود	الفصحى: القرآن – الحديث- والأدب العربي	تقريباً من ٦٠٠ إلى ١٨٠٠ ميلادية	العربية الوسيطة Medieval Arabic
العامي/ المحلي: اللهجات المحكية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	النموذجية: لغة الأدب العربي الحديث ووسائل الإعلام ونادراً في الحديث الشفوي	الفصحى: في السياق الديني	تقريباً من سنة ١٨٠٠ ميلادية حتى الآن	العربية المعاصرة أو الجديدة Modern or Neo-Arabic

وبعد فهذان اتجاهان أو رؤيتان لتاريخ اللغة العربية مختلفتان، وكلا الاتجاهين يجد مبررات وحججاً تقوده إلى اتجاهه، عرضتهما هنا للتأكيد على أنَّنا يجب أن نجيب على بعض القضايا المطروحة من خلال هؤلاء الباحثين، فإذا كنَّا سنأخذ باتجاه دون الآخر فيأتي هذا وفقاً لبحوث عميقة، وليس اعتباطياً أو أيدولوجياً، فالبحوث العلمية العميقة هي التي تقودنا، كما أنَّ هذه البحوث التاريخية للعربية تقدم لنا مادة/ تنوعاً لغوياً تحت مسمى العربية الوسيطة، فهي ليست مرحلة تاريخية – حسب أغلب الباحثين في هذا المضمار–ومن ثمَّ أين موقعها التنظيري في خُطّة المعجم التاريخي للغة العربية، هل نعتبرها مادة ليست فصيحة، ومن ثم نجاري بعض الآراء الرافضة لكل ما هو غير فصيح؟ أم ماذا؟

(١) Ibid., p. ١٤٤١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

على أية حال تمثل المادة اللغوية المسماة بالعربية الوسيطة أهمية كبرى عند الباحثين في تاريخ اللغة العربية، فجروم لنتان مثلاً يرى أنَّ نصوص العربية الوسيطة ذات أهمية نفيسة للغوي والمؤرخ للغة العربية، ذلك أنَّها تحتفظ بسمات قديمة جداً، فهي -حسبه- تبرهن بالدليل على أنَّها تزامنت مع لهجات، وفي الوقت نفسه هي بوتقة تبرز فيها ظواهر لغوية جديدة، والتي ربَّما تكون قد امتدت إلى اللغة الأدبية كما امتدت إلى العاميات، وأنَّها تساعدنا على تجنب التأويلات الخاطئة للمفردات والأبنية اللغوية في نصوص العربية الفصحى(١)، ويشير فوك إلى أنَّ هذه النصوص التي تمثل العربية الوسيطة موجودة في أدب اليهود والنصارى في العصور الوسطى، ونتج هذا التنوع عن اللغة المستعملة في المجتمعات اليهودية والمسيحية خارج شبه الجزيرة العربية، وهذا التنوع/ اللغة تطور وصار لغة للتواصل في حياة من تجمع من العرب والسكان التي فتحت بلادهم، ومن نتائج اختلافات الظروف المحلية والاجتماعية ومن ثم تميزت لغتهم عن الفصحى في الأصوات والبنية الصرفية وبناء الجملة والتركيب والمفردات(٢). ويرى أنَّ لهذه النصوص أهمية كبرى في تاريخ اللغة العربية، ذلك أنَّها تعين على متابعة تركيب اللغة التحليلية التي سلكت في اللهجات العامية من يومنا هذا حتى مرحلة الأدب العربي المكتوب بأيدي مؤلفين مسلمين، والتي كانت بصيغة لغوية مثالية كما في العربية الفصحى(٣).

ويذكر البرفيسور بلاو أنَّ العربية الوسيطة شاعت بين سكان المدن الأصليين في نهاية القرن الأوّل الهجري، إلَّا أنَّ تحديد تاريخ هذا التطور مسألة غير واضحة، إلَّا أنَّ هناك بردية تشير إلى أنَّ بداية هذا التطور منذ سنة ٨٧هـ، هذه البردية مكتوبة بعربية فصيحة إلَّا أنَّها تحتوى على انحرافات عن الفصحى، وهي مكتوبة باليونانية والعربية، والنص العربي يبين لنا غياب النهايات الإعرابية(٤)، ويقول أيضاً يبدو أنَّ العربية الوسيطة انتشرت من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا داخل مجتمع المدن في فترة قصيرة، ومنذ بداية القرن الثامن الميلادي بدأ زحف العربية الوسيطة حتى وصل إلى الوثائق الرسمية(٥)، وكان بلاو قد ذكر في بحث آخر أهمية العربية الوسيطة في كونها تأتي لفهم تاريخ العربية المولدة/ الجديدة

(١) Lentin, J,.٢٠٠٣;P.٢١٩
(٢) Fuck,J. ١٩٥٥; P.٨٨.
(٣) Ibid., P.٩٦.
(٤) Blau,J. ١٩٨١; P.٤.
(٥) Ibid.، P.٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فإنَّه –حسبه- يمكن تقسيم التاريخ اللغوي للغة العربية إلى مرحلتين: العربية القديمة، وهي مميزة بميل نحو النوع اللغوي التأليفي، والعربية المولدة مميزة بميلها نحو النوع التحليلي[١]، ونصوص العربية الوسيطة مهمة لإعادة بناء بداية العربية المولدة، وإعادة بناء تاريخي مميز ومفهوم للعربية المولدة[٢].

على أية حال فإنَّ العربية الوسيطة ليست تنوعاً خاصة من العربية، ولكنها –حسب فرستيج- اسم لفئة من النصوص التي تحتوى على انحرافات عن العربية الفصحى، أمَّا عندما يكتب اليهود أو المسيحيون بالعربية فإنَّه من المشروع رؤية لغتهم على أنَّها تنوع خاص من اللغة العربية، ذلك أنَّ سمتهم في العربية المكتوبة يبقى خاصاً لمجموعة معينة من لغة ذات معيار جديد[٣]، يذكر فرستيج أنَّ هناك عربية وسيطة (بالمعنى اللغوي وليس التاريخي) حديثة اعتماداً على تعريف العربية الوسيطة الذي يجعلنا نعتبر نصوصاً معاصرة بأسلوب مختلط ضمن ما يسمى بالعربية الوسيطة، وربَّما يرينا هذا الأسلوب من النصوص المعاصرة على كونه فئة خاصة[٤].

لعلَّ ما عرضته من رؤى يحتاج منَّا إلى تمعنٍ وتفحصٍ وتدبرٍ، فنصوص العربية الوسيطة وهي –كما رأينا- من عرض لآراء الباحثين- مهمة تاريخياً:معجماً وتركيباً، ونصوصها موزعة في كتابات عديدة في بيئات اليهود والنصارى العرب، كما لدى مسلمين، وتنتمي لها كتابات كثيرة منها: ألف ليلة وليلة، وسيرة الظاهرة بيبرس، وغيرها، وترجمات كترجمات حنين بن إسحاق وغيره، حيث تأتي عربية هذه النصوص مشكلة من عناصر فصيحة وعناصر عامية، وتصحيحات زائفة، وقد وجد هذا التنوع في الصحافة الحديثة عن قصد لوظائف معينة وجُدت حديثاً. أتساءل بعد ذلك، هذه النصوص هل يعتمد عليها في المعجم التاريخي أم لا؟

إذا ما رفضنا الاعتماد على هذه النصوص سوف نبعد معجمنا عن الواقع اللغوي العربي، وإن "الذي يريد أن يؤرخ لألفاظ العربية الفصيحة سيكون مضطراً إلى إرجاع أغلبها إلى أصولها اللهجية، واستعمالاتها الخاصة.. ثم إنَّ هناك ألفاظاً عربية كثيرة عرفت خلال تطورها حركة من المد والجزر، فانتقلت من الاستعمال المحلي واللهجي إلى الاستعمال

---

(١) Blau, J.٢٠٠٣; P.١١١.

(٢) Ibid,. P.١١٧

(٣) Versteegh, K. ١٩٩٧; P.١٢١

(٤) Ibid,. P.١٢٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الفصيح المشترك، ثم ما لبثت أن عادت بها "دورة الحياة إلى نقطة البداية[1]"، ومن وجهة نظري هذا له ما يبرره علمياً، ذلك أنَّ المعجم التاريخي يجب أن يستوعب جميع المفردات المستعملة، والإقصاء في هذا الأمر مرفوض.

نصوص العربية الوسيطة لابدّ أن تعرف تاريخياً، وهذا من خلال الدراسات اللغوية التاريخية فإنَّ العربية نتيجة الفتوحات واحتكاكها مع لغات أخرى قد حدث تغير في بنيتها وكذلك نتيجة التغير الثقافي والاجتماعي الذي حدث إبّان ذلك، فحدث –حسب بنجامين هاري- تعدد في المستويات اللغوية (Multiglossia)، داخل المجتمع اللغوي العربي، حيث وجد نظام متعدد التنوعات اللغوية ضمن ما يسميه بالمتصل اللغوي (Continuum)حيث يوجد تنوعان لغويان يقفان على طرفي هذا المتصل الذي يتشكّل من تنوعات مختلفة، التنوعان اللغويان : (أ) المستوى الفصيح، الأدبي، والآخر(ج) العامي، وبينهما تنوعات يمثلها التنوع الوسيط (ب)، ومن ثم جاءت بعض الكتابات بهذا التنوع (ب) الذي يجمع سمات من (أ) الفصيح، و(ب) العامي، ومعنى هذا أنَّ التنوع الفصيح (أ) كان جزءاً من الصورة الكلية للغة العربية في العصور الوسطى، ولم يكن العربية الوسيطة، وهذا معناه أنَّ العربية الوسيطة ليست مرحلة تاريخية، وإنّما كانت تنوعاً/ مستوىً لغوياً[2].

ومن ثم نصل مع هاري إلى أنَّه ينبغي علينا استخدام مصطلح عربية وسيطة بمعنى مفاده الإشارة إلى كل وجوه اللغة التي سادت مرحلة العربية الوسيطة، وليس أي تنوع آخر[3]، وهذا ما صنعه د. القاسمي ود. عبد العزيز بوضع مرحلة من العربية في القرون الوسطى (من سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م حتى بداية النهضة العربية الحديثة حوالي سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[4].

إنَّ هذه النصوص العربية التي يطلق عليها المؤرخون للغة العربية عربية وسيطة تمثّل مادة كبيرة، يذكر المستشرق جروم لنتان أنَّها لغة عدد كبير جداً من النصوص منها: ما هو نقوش، ووثائق أرشيفية عامة أو خاصة متماثلة (وهي معظم المخطوطات القديمة على ورق البردي)، ووصف الرحلات، والأحداث التاريخية، والعلمية (مثل الطبية والطبيعية) والمعاهدات والكتب الفقهية والدينية أو الكتابات الفلسفية والصوفية، والآداب الجميلة

---

(١) د. عبد العلى الودغيري: قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي ص٢١٩.

(٢) Hary,B. ١٩٨٩; P.٢١.

(٣) Ibid., P.٢٩.

(٤) د. على القاسمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص٢٤٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

منها ما ينتمي إلى هذه النصوص، فليس الأدب الشعبي فقط بل إنَّ لغة ألف ليلة وليلة أيضاً والعديد من نصوص الأدب التعليمي، ويذكر لنتان منها أعمال عز الدين التنوخي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، ويذكر كذلك كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (٣٥٦هـ/٩٢٧م) والذي – حسبه- عُدلت/ صححت نصوصه من قبل الناشرين، ويمكن –حسب لنتان- نسبته إلى حد ما إلى العربية الوسيطة؛ ذلك أنَّه كتب في العصور الوسطى بعض الأعمال الأدبية بالعربية الوسيطة مع مقدمة وخاتمة بالعربية الفصحى الأدبية[١].

وهذا التصور من قبل لنتان يجعله يقول إنَّ هذا الوصف يقودنا إلى إعادة النظر في الفكرة المكتسبة التي مفادها أنَّ العربية الوسيطة لغة المؤلفين الذين لا يتقنون العربية الفصحى كفاية، كما يلاحظ أنَّ كثيراً من الكتاب ترك لنا أعمالاً مكتوبة بكل من العربية الفصحى الصافية وأعمالاً مكتوبة بالعربية الوسيطة، كما يتصور أنَّ اختيار هؤلاء الكتاب للكتابة بهذا الشكل المسمى لدى الباحثين بالعربية الوسيطة لم يكن اعتباطياً، ويحتمل أنَّه كان لاعتبارات أخرى، منها طبقة جمهور القرّاء الذين يوجهون لهم الكلام[٢]. كما ذكر لنتان أنَّه من المستحيل وصف العربية الوسيطة بكونها الاستعمال الشاذ للغة، بل يراها على النقيض من ذلك فتجد هذا الشكل اللغوي في استعمالات راسخة تماماً كسلاسل أسلوبية بين التنوعات اللغوية، كما أنَّ هذه الأداة اللغوية صيغت وأتقنت من خلال قرون بالتعامل مع الازدواجية اللغوية[٣].

وأظن أنَّ هذا الوضع هو نفسه الذي جعل من المستشرق شفتيل يتصور أنَّ في كل مراحل العربية يوجد تنوعات ثلاثة: الفصحى، والعربية النموذجية، واللهجات، ويتصور شفتيل أنَّ العربية النموذجية (Standard Arabic) تتكون من عناصر عربية فصيحة، ولكنَّها تبتعد قليلاً عن القواعد الصارمة، وتتسم بالاستخدامات المستحدثة الناتجة تأثيرات أجنبية، فهي في واقعنا –حسبه- عربية وسيطة[٤].

وهذا معناه أنَّ العربية امتلكت أشكالاً لغوية متعددة وفقاً للزمان والمكان، وأنَّ العربية الفصحى لم تكن لغة كل النصوص العربية المكتوبة عبر تاريخ العربية، وأنَّ هذه النصوص ليست منسوبة كلها ليهود أو نصارى فقط، وإنَّما هناك كتابات لمسلمين، وقد وجدنا بحوثاً

(١) Lentin, J. ٢٠٠٨; P.٢١٦
(٢) Ibid،. P. ٢١٦-٢١٧.
(٣) Ibid،. P. ٢١٧.
(٤) Shivtiel, A. ١٩٩;.p١٤٣٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

عديدة حول عربية اليهود وعربية النصارى من خلال باحثين كبار أمثال جوشوا بلاو وبنجامين هاري كما أنَّ العربية المكتوبة السائدة في العالم العربي الآن ليست بدرجة واحدة من الفصاحة/ أو ليست بدرجة واحدة من التمكن من قواعد الفصحى.

و لابدَّ هنا من التذكير بأنَّنا نتصور عصوراً للعربية لم نفحص موادها اللغوية فحصاً حقيقياً لنتبين التنوعات اللغوية السائدة فيها، وهذا مستنتج من الباحثين الذين يحاولون التأريخ لها، فيذكر الألماني فيشر أنَّ جميع مفردات النصوص العربية في كل مرحلة زمنية من المراحل التي مرت بها اللغة العربية، ثم رصد التطورات الدلالية التي طرأت على معانيها والتأريخ لها ولاستعمالاتها، وهذا –حسبه- هو ما تفتقر إليه اللغة العربية تماماً[١]، ثم يقول: "إنَّ ما تفتقر إليه العربية فعلاً، هو نقص الدراسات التاريخية والإحصائية التي تعالج تاريخ الاستخدامات النحوية وطرق التعبير اللغوية والظواهر الأسلوبية"[٢].

فصناعة معجم تاريخي للعربية لابدَّ أن يتوافر لدى الهيئة القائمة عليه عدد كبير من الدراسات التاريخية للعربية صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة، وأظن أنَّ الأجدى حالياً هو تعميق البحث في مجال علم اللغة التاريخي في دراسة العربية، كما لابدَّ من الاستفادة من الدراسات الاستشراقية التي قامت على تاريخ العربية والساميات أيضاً، ومن ثم يتبين لنا حقيقة العربية وواقعها في كل مرحلة من مراحلها، ومن هنا أتساءل هل تقسيم عصور العربية كما هو مقترح قائم بالفعل على نتائج بحثية معمقة لمادتها اللغوية في كل عصر؟ وهل استفاد المقترحون من الدراسات التاريخية للعربية، وهل وجد في الهيئة المقترحة من يُعنى بتاريخ العربية من خلال عمله في هذا المضمار؟

على أية حال فقد عرضت آنفاً لتصور الباحثين في تاريخ العربية لتاريخها، وقد وجدنا أنَّهما اتجاهان، وقد وجدنا فروقاً وتباينات في الرؤى، وهذا يؤكد لنا أنَّ تاريخ العربية يحتاج إلى جهد كبير للوصول إلى حل علمي للقضايا المختلف حولها من قبل المؤرخين للعربية، كما وجدنا إشارات إلى تنوعات لغوية مهمة في تاريخ العربية، ذلك أنَّ العربية لم تكن لبيئة واحدة، وليست لجماعات مسلمة فقط، وإنَّما كانت متنوعة ولبيئات مختلفة، وقد تركت كل جماعة منها إنتاجاً لغوياً يؤكد تمايزه الفكري واللغوي.

بيد أنَّ هناك من يؤرخ للعربية الفصحى، وهذا مهم، ذلك أنَّ كثيراً ممن يكتب حول

---

(١) د. ظافر يوسف: رأى المستشرق الألماني فولفد ديتريش فيشر في تطور أساليب الكتابة ومسائل لغوية شتى في حوار مع د.ظافر يوسف ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) السابق: ص ٥١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

المعجم التاريخي يتصور أنَّ المعجم سيكون للفصحى فقط، وهذا ما سوف أرجع إليه ولذا سوف أعرض تصور البروفيسور فولفد ديتريش فيشر لتاريخ الفصحى في السطور التالية.

تاريخ العربية الفصحى:

قسم البرفيسور فولفد ديتريش فيشر العربية الفصحى في مقال أول إلى ثلاث مراحل، هي: فترة ما قبل الكلاسيكية، ونصوصها ترجع إلى الفترة الواقعة قبل عمل النحاة في أواخر القرن الثامن الميلادي –حسب زعمه- ولم تكن قد وقعت نصوص هذه الفترة تحت تأثير معياري للنحو المدرسي.

ومن ثم تقدم لغتها تنوعاً أكبر سواء أكان في بناء الصيغ والنحو أو في المجال الصوتي أيضاً[1]: ويرى أنَّ مؤلفي نصوص هذه الفترة هم بلا شك عرب، وتضم فترة ما قبل الكلاسيكية –حسبه- النصوص التالية: ١- الشعر العربي القديم أي شعر ما قبل الإسلام والشعر الإسلامي المبكر. ٢- القرآن الكريم. ٣- مادة ثقافية للقبائل، أي أمثال ونوادر وحكايات الأبطال وأخبار الحروب (أيام العرب) وروايات مشابهة. ٤- أجزاء من تراث صدر الإسلام (الحديث وأخبار تاريخية)[2].

أمَّا الفترة الكلاسيكية (الفصحى)، فيشير فيشر إلى أنَّ الشعوب التي كانت قد وقعت تحت حكم عربي في دولة الخلفاء قد تبنوا اللغة العربية "منذ البداية على مستويين، مستوى الاتصال اللغوي بين إنسان وآخر، ومستوى استعمال العربية لغة للعبادة والإدارة والأدب. وثمة خطوة مهمة في نفاذ العربية لغة للثقافة هي إدخالها لغة للإدارة بدلاً من اليونانية والفارسية في عهد عبد الملك بن مروان (ت ٦٨٥-٧٠٥هـ) ومع تحويل الرواية اللغوية للقبائل العربية إلى تدوين وتعلم الأدب بطريق التلقين، وكانت بدايات ذلك قبل منتصف القرن الثامن الميلادي، دخلت العربية لغة للثقافة والحضارة في مرحلتها الكلاسيكية، وفي النصف من القرن الثامن الميلادي تغلبت العربية الكلاسيكية (الفصحى) إلى حد بعيد لدرجة أنَّ غير العرب استطاعوا أن ينافسوا العرب بنجاح ليس في مجال النثر فقط، بل في الشعر أيضاً"[3]، وتوصف نصوص الفترة الكلاسيكية من خلال ما حققه

---

(١) فولفد يتريش فيشر: العربية في رواية إسلامية، ضمن مجموعة مقالات ترجمها د. سعيد بحيري في كتاب: دراسات في العربية، ص١٠٩.

(٢) السابق، ص١٠٩-١١٠.

(٣) فولفد يتريش فيشر: العربية في رواية إسلامية، ضمن مجموعة مقالات ترجمها د. سعيد بحيري في كتاب: دراسات في العربية، ص١١٧-١١٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

النحويون من معايير، فلغتها هي النموذج العربي الكلاسيكي الذي قيس عليه باستمرار الأسلوب والاستعمال اللغوي في الأزمنة الأخيرة حسب ما يذكر فيشر[١].

أمَّا الفترة الثالثة التي يسمها بفترة ما بعد الكلاسيكية فيذكر فيشر أنَّه قد "تحقق من خلال وضع النحو والمعجم مكتوباً أن ظلت اللغة مبعدة على التحول الصوتي وأي تغير في المجال الصرفي إلى حد بعيد. ومع أنَّه وضعت القوة المعيارية لنظام النحو الملقن بشكل مدرسي حدوداً. ومع ذلك لم تسلم العربية الكلاسيكية أيضاً من التغيير والتبدل وقبل كل شيء كان المقصود من ذلك تلك المجالات التي لا يسوغ بسهولة وضع معايير لها من خلال نظريات، والتي تند لذلك في الغالب عن اهتمام المعلمين والدارسين ولذا ظهرت في وقت مبكر جداً أوجه عدول عن النماذج الكلاسيكية في النحو والأسلوبية، ولم يسلم بناء الصيغ أيضاً من أشكال التجديد[٢]"، ويرى أنَّ " قسماً كبيراً من الأدب العربي في العصور الوسطى له لغة تحمل قياساً على معايير فترة الكلاسيكية في القرن التاسع الميلادي ملامح "ما بعد الكلاسيكية" بشكل واضح. ولذا فمن الصعوبة بمكان أن تنفصل زمنياً عن فترة ما بعد الكلاسيكية داخل تطور العربية الكلاسيكية. وتوجد أوجه العدول عن النموذج العربي الفصيح في نصوص معينة، في فترة مبكرة فمثلاً أوجه عدول وأشكال تجديد بوجه عام يعد مسألة تطور زمني أكثر من كونها مسألة مستوى أسلوبي"[٣].

ويذكر أيضاً أنَّ الأوضح ممَّا استخدم في النصوص العربية الكلاسيكية لفترة ما بعد الكلاسيكية نفوذ لغة الحديث الراقية في مجموعة نصية لغتها يطلق عليها العربية الوسيطة، ففي العربية الوسيطة تظهر العربية الكلاسيكية مختلطة بعناصر من العربية المولدة/ الحديثة، وتؤثر لغة الحديث في نصوص العربية الوسيطة، ليس في الثروة اللغوية فحسب، كما في الأسلوب والنحو، بل في بناء الصيغ بوجه خاص[٤]. ويرى فيشر أنَّه يمكن فصل العربية الوسيطة عن العربية الكلاسيكية لفترة ما بعد الكلاسيكية، وهذا يتطلب تضييق مصطلح "ما بعد الكلاسيكية"، على لغة النصوص التي تفي إلى حد كبير من الناحية الصرفية بالمعايير الكلاسيكية، ويقتصر العدول عن النموذج العربي- الكلاسيكي بوجه عام على ظواهر النحو والتركيب. ويحتفظ بمصطلح "عربية وسيطة" للغة تلك النصوص التي

---

(١) السابق، ص١٢٠.

(٢) السابق، ص١٢٠.

(٣) السابق، ص١٢١.

(٤) السابق، ص١٢٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يتبين فيها بشكل مطرد أبنية صيغية دارجة[1].

وفي مقال آخر أكثر حداثة لفيشر يقسم مراحل العربية لأربع مراحل، ويزيد مرحلة يسميها (Modern Standard Arabic)= العربية النموذجية الحديثة، وعنها يقول البروفيسور فيشر إنَّها المرحلة الحديثة التي أصبحت فيها العربية الكلاسيكية/الفصحى ليست للغة التعليم في الأقطار العربية فحسب، وإنَّما اللغة الرسمية المكتوبة في كل هذه الأقطار. والعربية النموذجية الحديثة- عنده- هي الاستمرار/ الامتداد المباشر والنسخة الحديثة من العربية الكلاسيكية/ الفصحى، فحركة إحياء الأدب/ النهضة في القرن التاسع عشر الميلادي هدفت إلى تشييد معايير لغوية من خلال امتداد نماذج المرحلة الكلاسيكية، لكن على العموم تتبع العربية النموذجية الحديثة سمات الفصحى في مرحلة ما بعد الفصحى/ الكلاسيكية[2].

نلاحظ أيضاً أنَّ فيشر في مقاله هذا (الأحدث) يستخدم مصطلح (Standard) مع (Classical)، فمثلاً (Pre-Standard Classical Arabic)[3]، ما قبل العربية النموذجية الكلاسيكية، وهذا لم يكن موجوداً في المقال الأوّل الذي ترجمه د. سعيد بحيري وهذا مؤشر لعدم الاستقرار في المصطلحات والمفاهيم عند الباحثين في مجال تاريخ اللغة العربية.

وأتصور أنَّ التقسيم الحديث الذي يرى الفصحى في أربع مراحل له منطقيته العلمية، إلَّا أنَّه من الناحية المعجمية تأتي الفترة التي يسميها فيشر بما قبل الكلاسيكية جامعة لمفردات تجمع ما بين ما قبل الإسلام وبعده، والمفردات العربية التي جاءت مع الإسلام والفتوحات الإسلامية وكل الحياة الجديدة بعد الإسلام حتى القرن الثامن الميلادي كثيرة ومختلفة عن العصر السابق، ولذا أتصور تقسيمها إلى عصرين له ما يبرره من الناحية المعجمية، يقول د. القاسمي: "لا توضع الحدود التاريخية في حياة اللغة بصورة اعتباطية، بل توضع عند التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية واللغوية الكبرى التي تؤثر في ألفاظ اللغة وتراكيبها شكلاً ومضموناً. وقد لوحظ أنَّ لكل عصر معجمه وألفاظه ومجازاته التي يعبر بها عن ثقافته ومفاهيمه وأدواته الحضارية. ولهذا قيل إنَّ معجم اللغة نظام

---

(١) السابق، ص١٢٢.

(٢) Fischer, W. ٢٠٠٦; p.٤٠٤.

(٣) Ibid.، p.٣٩٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مفتوح على حين أنَّ أنظمتها الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية أنظمة شبه مغلقة"[1].

ومن ثم فإنَّ ما صنعه د. محمد حسن عبد العزيز ود. على القاسمي وهو تقسيم معتمد من هيئة المعجم التاريخي مناسب، وفيه يقسم تاريخ العربية إلى العصر الجاهلي، وهو ما قبل الإسلام بقرون عديدة حتى انتشار الإسلام حوالي سنة ١هـ/٦٢٢م، والثاني العصر الإسلامي من ١هـ/٦٢٢م حتى سقوط دولة بني أمية، والثالث: العصر العباسي وهو من بداية دولة بني العباس١٣٢هـ/٧٥٠م حتى سقوط دولة بني أمية، والثالث: العصر العباسي وهو من بداية دولة بني العباس١٣٢هـ/٧٥٠م حتى سقوط بغداد في عام ١٢٥٨/٦٥٦م، والرابع العصر الوسيط: من ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م حتى بداية عصر النهضة العربية الحديثة حوالي سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، والخامس وهو العصر الحديث: من ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م حتى اليوم[2]، لكن يبقى أن نشير إلى أن هذه التقسيمات تحتاج إلى بحوث عميقة و بخاصة العصر الوسيط، ذلك أنَّ هذه الفترة غامضة لنا، والبحوث التي جاءت حولها قليلة، وبخاصة لدينا نحن الباحثين العرب، وقد رأينا ما ذكره فيشر حولها، والتي يسميها ما بعد الكلاسيكية، فقد

---

(١) د. على القاسمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص٢٤٠. ولي تعليق على ما قاله أ.د. القاسمي وتحديداً عندما يقول "ولهذا قيل إنَّ معجم اللغة نظام مفتوح على حين أنَّ أنظمتها الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية أنظمة شبه مغلقة"، وهذا نجده عند اللغوي الفرنسي مايبه الذي يذكر أنَّ أية لغة تُعرف بثلاثة أنظمة، الصوتى، والمورفولوجي والمعجمي، النظام الصوتي والنظام النحوي نظامان مغلقان، ولا يتأقلمان مع الاقتراض، أمَّا الكلمات (النظام المعجمي) فيمكن أن تقترض. انظر Meillet,A., ١٩٨٢: p.٨٤-٨٥. ونجد هذا الفهم عند إدوارد سابير الذي يخالف بواز في هذا الرؤية، فيذكر سابير أن البنية اللغوية المورفولوجية/ الصرفية التركيبية لا يمكن أن تكون أبداً محولة/ مقترضة من لغة لأخرى. انظر الفصل التاسع من كتاب Sapir,E.١٩٦٧: P.١٩٨، والحقيقة أنَّ تلك الرؤية كانت شائعة في البحث اللغوي في الغرب حتى نهاية النصف الأوّل من القرن العشرين، وإن جاءت رؤى شوشارت وبواز وبلومفيلد مخالفة لهذا الرأي انظر تفاصيل ذلك في كتابي: حدود الاقتراض اللغوي ص ٢٦-٤٢. وتأتي مساهمات هوجن وفانرايش وفوجت لترفض تلك الرؤية التي ترجع إلى مايبه وويتني وسابير، ويأتي كتاب سارة طومسون وكوفمان: Contact Language وقد قدما فيه نظرية راسخة في الاقتراض، ويرفضان الآراء التي تزعم أن الاقتراض اللغوي لا يقع على المستوى الصوتي- النحوي، انظر كتابهما Thomason, and Kaufman,t. ١٩٨٨ ; p.٧-٩ وأصبحت هذه الرؤية الجديدة للاقتراض هي السائدة، فنجد برنارد هين Heine, B وكوتفا Kuteva,T في كتابهما: Language Contact and Grammatical Change= احتكاك اللغة والتغير النحوى، يقولان إنَّ الدراسات اللغوية الحديثة ترى أنَّ النظرة إلى الاقتراض اللغوي على أنه يحدث بين اللغات على مستوى المفردات فقط، نظرة غير صحيحة، وأنَّ بعض هذه الدراسات تثبت أنَّ أي جزء من بنية اللغة يمكن أن يحّول من لغة إلى أخرى، بل إنَّهما يذكران أنَّ هدف كتابهما هو إثبات أنَّ الفصائل النحوية والبنى والمعاني النحوية تحوّل من لغة إلى أخرى بانتظام، وأنَّها تتشكل عبر عمليات كلية لتغير البنى النحوية. ويؤكدان زعمهما من خلال مادة لغوية من نطاق واسع من اللغات انظر كتابهما الآنف الذكر P.١.

(٢) انظر د. محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية ص١٧٤-١٧٥ ود. على القاسمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص٢٤٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

جاءت العربية والفصحى فيها مختلفة عن الفترة السابقة لها.

على أية حال فإنَّ هناك مشكلة كبيرة في تقسيم مراحل اللغة العربية، وقد أشار إلى ذلك البروفسيور رئيف جورج خوري- وهو عالم في البرديات، ويعمل بجامعة هايدلبرج بألمانيا- حيث يقول: "أود أن أنهي كلماتي بوصفين لشيخين مختلفين، وطرح السؤال عن كيفية الحسم في ترتيبهما إلى هذه المرحلة أو غيرها"[١]. فالنص المنسوب للأوَّل يقول: "فدخل عليه شيخ كبير السن صحيح البدن ثابت العقل منتبه ذرب اللسان كأنه الجذع". أمَّا الثاني ففي امرأة: "هي مستديرة الوجه زجاء الحاجبين وطفاء الأهداب دعجاء العينين يتألق الذكاء في بريقها، يجلل وجهها الجميل شعر جثل أسحم وتلعب أبداً على شفتيها ابتسامة الخفر"[٢]. الأوّل -حسب د.خوري- لعبيد بن شرية وهو داخل على معاوية، والثاني لسلامة موسى يصف مي زيادة، والثاني حاول في وصف مي"أن يستخدم جواً قديماً فيه كلمات وتراكيب قديمة"[٣].

وقد تناولت في بحث لي عن: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مساهمة في بناء بنك نصوص لدراسة البنية اللغوية للعربية الفصحى الحديثة، تناولت في هذا البحث هذه القضية، فقد وجدنا شعراً قبل مدرسة الإحياء ثم شعراء الإحياء حافظوا على الصياغة الشعرية، وأنَّ معجمهم الشعري يمتد عبر عصور أدبية – تاريخية متعددة ومتنوعة "ومادة هذا المعجم تأخذ امتداد وتنوع تلك العصور. لكنَّها على امتدادها وتنوعها تظل محدودة بحدود رؤية العالم من خلال أشيائه ووقائعه المحسوسة مباشرة، ثم من خلال أفكار الشاعر عنه، وهي في كل الأحوال لا تتجاوز حدود تشخيص العالم وتذكره ووصفه بدلاً من تصوره وتخيله وإعادة خلقه"[٤] وكانت ذائقة هؤلاء الشعراء الإحيائيين قد تفتحت منذ صباهم على لغة الأدب القديم، ثم درجت عليه بعد ذلك، حتى أصبح كلف الشعراء بهذا الأدب جزءاً لا يتجزأ من كلفهم بلغته ذاتها، ومن هنا فلابدَّ أن ينحوا في لغتهم الشعرية نحو مجاراة لغة القدماء ومحاكاتها[٥]. واستشهد هنا بعدد من أبيات في قصيدة الشاعر عماني هو: إبراهيم بن سعيد العبري (١٨٩٦-١٩٧٥م)، عاش جل عمره

---

(١) د. رئيف خوري: ملاحظات حول مصادر دراسة اللغة العربية (الفصحى) القديمة والمتوسطة ص٥٩.

(٢) السابق، ص ٥٩-٦٠.

(٣) السابق، ص٥٩-٦٠.

(٤) انظر د. عدنان العوادي. لغة الشعر الحديث في العراق ص١٧٠

(٥) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د. إبراهيم السامرائي: لغة الشعر بين جيلين ص ٢٧-٢٩

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

في القرن العشرين، وقصيدته هذه يصف فيها "السيارة" يقول[١]:

سارت بنا تقطع البيداء آلات *** فيها عجـــــائب لا تحصى وآيات

تمر كالنجم والأبصار شاخصة *** تجرى بها عجــلاً في الأرض عـجلات

تخالها وهي في البيداء سائرة *** غضنفر وله زأرٌ وصــــــــــولات

سفينة البر تجرى فيه آمنة *** من صولة البحر إن هاجته موجـات

تسير والليل مرخ سدل ظلمته *** والغيث منسكبٌ والريـــح مزجاة

وهذا ما يؤكد ما قاله د. رئيف خوري، وقد وصف د. السعيد بدوي الواقع اللغوي في مصر من خلال كتابه: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ووجد خمسة مستويات: أوّلها فصحى التراث، وثانيها فصحى العصر، وثالثها عامية المثقفين، والرابع عامية المتنورين، ثم الخامس عامية الأميين.

ففصحى التراث بصيغتها القديمة نجدها- حسب د. بدوي - في الخطب الدينية وغيرها. وقد وجدنا كُتّاباً وشعراء كتبوا بعربية تراثية تماماً، وهذا مهم ولابدَّ أن يوضع في الاعتبار عند التأريخ للعربية معجماً وتركيباً.

٤- المعجم التاريخي والتنوعات اللغوية العربية

إنَّ تنوعات العربية متعددة- كما رأينا من عرض تاريخها- ومن ثمَّ يأتي السؤال هل مدونة المعجم التاريخي للغة العربية ينبغي أن تشتمل على كل التنوعات اللغوية العربية؟ وللإجابة على هذا السؤال رأينا رؤى متباينة، ولابدَّ في البداية أن أحدد مفهوم التنوع اللغوي(Variety) فهو بمعنى ضروب الاستعمال اللغوي كافة، فمنها نوعية اللغة واللهجة الاجتماعية واللهجة[٢]. ونجد من الباحثين من يذهب إلى إهمال اللهجات العربية في المعجم التاريخي، فالدكتور على القاسمي يرى أنَّ اقتصار المعجم التاريخي للغة العربية على العربية الفصيحة المشتركة واستبعاده اللهجات العامية "تقتضيه أسباب عملية، وليست لسانية، أهمها أنَّ العربية الفصيحة المشتركة هي التي اضطلعت قديماً وتضطلع، في الحال والاستقبال بحفظ التراث الثقافي للأمة، وبدور وسيلة التفكير العلمي. فبساطة تراكيب اللهجات العامية، لا تساعد على التفكير المنطقي الذي يتطلب بنيات لغوية متطورة ومعقدة أحياناً. والعربية الفصيحة هي كذلك وسيلة التواصل والتفاهم الكاملين بين أبناء الشعوب العربية، وبينهم وبين أبناء المسلمين والمؤسسات الدولية التي تستخدم العربية لغة عالمية

---

(١) معجم البابطين لشعراء العربية فى القرن التاسع عشر والعشرين، مجلد ١، ص٢٥٣.

(٢) انظر: د. رمزي بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية ص٥٢٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

النصوص والمعلومات المتعلقة باللهجات العامية قليلة ويصعب جمعها ودرسها في ظرف زمني مناسب فاللهجات العامية كثيرة وسريعة التناسل والتوالد"[1]. وهذا أيضاً ما نجده عند د. محمد حسن عبد العزيز[2].

على أنَّ هذا الرأي يمثل نقصاً في التأريخ للغة العربية و" ثُلْمة تجعل العمل بعيداً عن الدقة العلمية، ولأجل ذلك ينبغي تتبع تلك اللهجات، وأن يحوى المعجم اللهجات العربية[3]" وهذان الاتجاهان موجودان في صناعة المعاجم التاريخية الأوروبية، فبينما جاء المعجم الإنجليزي (معجم أكسفورد) محتوياً على اللهجات وكل التنوعات اللغوية الإنجليزية، جاءت معاجم أخرى وفي مقدمتها المعاجم الفرنسية مقتصرة في عملية التأريخ على اللغة المشتركة الفصيحة دون اللهجات.

غير أنَّ هناك اتجاهاً ثالثاً نرتضيه، وهو يحاول التوسط بين الاتجاهين السابقين، فينطلق من المستوى الفصيح، وعند تتبع أطوار الكلمات الفصيحة لابدَّ للمؤرخ اللغوي من متابعة مراحل تطورها إلى نهايته بقدر ما تسعفه الوثائق والنصوص وهذا بطبيعة الحال يقتضى عدم التوقف عند مرحلة الاستعمال الفصيح للكلمة أو لمعانيها، بل لابدَّ من الاستمرار في متابعة المراحل المتبقية من التطور والتغيير، سواءُ أكان قد نحا هذا التطور منحىً لهجياً بأن انتقل من الفصيح إلى العامي أم غير ذلك، وهذا أقرب –حسب د. الودغيري إلى واقع اللغة، كما أنَّ دراسة اللهجات العربية كثيراً ما تقدم لنا خدمات جُلَّى تساعدنا على فهم الفصحى[4]، و الواقع اللغوي العربي تتجاوز فيه المستويات اللغوية وتتداخل مما يجعلها متقاربة في سلسلة تواصل لغوي كما وصفها كثير من الباحثين عرب ومستشرقين.

ونجد قضية أخرى تخص المستويات اللغوية في المعجم التاريخي، كان قد بسطها د. جمعان عبد الكريم، ومفادها أنَّ "الاعتماد على لغة الشعر في تتبع التطور التاريخي لدلالات الكلمات العربية من أكبر الأخطاء التي يمكن أن تقع فيها المدونة التأريخية للمعجم التأريخي، ويمكن التغاضي عن لغة الشعر في العصر الجاهلي ولغة الشعر في عصور صدر الإسلام إلى

---

(١) د. على القاسمي: صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص١٧٧-١٧٨، وهذه الرؤية كان قد دافع عنها في كتابه: علم اللغة وصناعة المعجم ص٣٦-٣٧.

(٢) د. محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي، ص١٦٩-١٧٨.

(٣) د. جمعان عبد الكريم تطبيقات استعمال لسانيات المدونات في إصدار المعجم التاريخي ٣١٨-٣١٩.

(٤) د. عبد العلى الودغيري: التأريخ لمعجم اللغة العربية أسئلة وإشكالات ص١٥٧-١٥٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مائة من الهجرة النبوية، ولكن بعد هذا التأريخ حتى العصر الحديث يظل الشعر يتطور دلالياً وفقاً لنظام معين يجعل استمرار الكلمات والصيغ محكوماً بعدة جوانب"[١]، يذكر منها الجانب الشفاهي للصيغ الشعرية، وهذا أثر من دراسة جيمز مونرو الذي رأى أثر الجانب الشفاهي في استمرار الجانب الصياغي في العصر الجاهلي، واتضح أن تلك الصيغ تتكرر عند أغلب الشعراء، وقد استمر أثر الصيغ الشفاهية حتى العصر الحديث[٢]، كما يذكر د. جمعان جانباً ثانياً وهو العوامل الفنية في صياغة الشعر وأثره في استمرار أساليب فنية معينة لمدارس أدبية لها خصائصها، مثل مدرسة البعث والإحياء التي جاءت امتداداً للشعر القديم في الصياغة الشعرية[٣]، كما يضيف عاملاً هو العامل الإبداعي الخاص، وذلك أنَّه "قد يكون لبعض الشعراء فرادة تخير مفرداتهم وحرية في التأثر بالمعجم الشعري العربي منذ بدايته حتى العصر الحاضر فنجد عندهم ألفاظاً لا تحاكي الواقع الاستعمالي للغة، فضلاً عن كونها لا تحاكي التطور الفني للغة الشعر في عصر الشاعر[٤]"، ومن ثم ينتهي إلى زعم مفاده: "إنَّ لغة الشعر لا تمثل الواقع الاستعمالي للغة العربية، ناهيك عن كون أمر الاعتماد عليها في النظرية اللسانية العربية، بما في ذلك المستوى المعجمي قد تعرض لنقد كبير، لأنَّها لا تمثل اللغة الطبيعية حتى في العصر الجاهلي كما يذهب البعض؛ لذا من الأفضل رصد مستوى خاص لدراسة المعجم التأريخي للغة الشعر العربي، ويمكن أن يكون مثل ذلك للغة النثر الفني أيضاً، وتكون هنالك مدونة علمية دقيقة للاستعمال اللغوي تعتمد على المصادر التي تمثل اللغة في استعمالها العادي"[٥].

نلاحظ عدداً من الملاحظات على رؤية د. جمعان، أوّلها: أنَّه يرفض الاعتماد على لغة الشعر في المعجم التاريخي، وبخاصة لغة الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ثم يعلن أنَّ لغة الشعر لا تمثل الواقع الاستعمالي للغة العربية، ويدعو إلى أن تكون هناك مدونة علمية دقيقة للاستعمال اللغوي تعتمد على مصادر تمثل اللغة في استعمالها العادي.

ولي وقفة مع د. جمعان في هذا الأمر، ذلك أنَّ هناك من يرى أنَّ اللغة الأدبية مختلفة عن لغة الاستعمال العادي، وقد حاول د. عبد الحكيم راضي في كتابه: (نظرية اللغة في

---

(١) د. جمعان عبد الكريم: تطبيقات استعمال لسانيات المدونات في إصدار المعجم التاريخي ص ٣١٦.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) السابق ص ٣١٦-٣١٧.

(٤) السابق ص٣١٧.

(٥) السابق ص٣١٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

النقد العربي) أن يؤكد أنَّ التراث العربي أخذ بمفهوم اللغة الأدبية الخاصة، يقول: "وتجد التفرقة بين اللغة العادية واللغة الأدبية على أساس المثالية والانحراف مزيداً من التأكيد في حديثهم عما يمكن تسميته – بشكل عام- بظواهر (النقص والزيادة) في العبارة[1]" ويقول أيضاً: "إنَّ ظاهرة الانحراف عن المثال في كل صورها كانت المحور الذي دارت حوله كل المباحث الأساسية التي تشكل صلب النظرية العربية في اللغة الأدبية"[2].

والحقيقة أنَّ مثل هذه الرؤية للمستوى الأدبي يجعلنا أمام لغتين متمايزين بل إنَّهما في حقيقة الأمر مستويان من مستويات اللغة التي تختلف وفقاً لاختلاف سياقاتها ومقاماتها، لكن لابدَّ من الاعتراف بأنَّ رؤية د. راضي ود.جمعان هي الرؤية التي كانت شائعة عند موكاروفسكى وياكبسون، يقول فاولر: "ومن المحتمل أن تكون مقالة موكارفسكى: "اللغة النموذجية واللغة الشعرية" ١٩٣٢م، ومقالة ياكبسون "اللسانيات والشعرية" ١٩٦٠م، هما أكثر المقالات شيوعاً وتردداً في الأسلوبيات وكلتا المقالتين تحتويان على براهين مركبة وبارعة، ولكنهما- بالتأكيد- فُسرتا على أنَّهما إثبات بأنَّ الأدب- أو الشعر بصفة خاصة- له لغته الخاصة التي تختلف بشكل مطرد عن اللغة (اليومية) (العادية) (العامية) (غير الرسمية). هذا التمييز المزعوم كان هو الشاغل الأساس في عدة بحوث ومناقشات في مؤتمر إنديانا عام ١٩٥٨"[3].

ويرى فاولر أنَّ مصطلح (الخطاب الأدبي) مصطلح غامض، فهو ربما يكون -حسبه- شكلاً من اللغة؛ أي تنويعة، أو سجلاً ذا خصائص شكلية محددة. وربَّما يعنى طريقة في الاتصال؛ أي نسقاً من الأعراف المتواطأ عليها بين المؤلفين والقراء، كما يقول إنَّ المفهوم القائل بأنَّ ما يميز الأدب هو أنَّه لغة متميزة أو أنَّه يستعمل لغة متميزة مفهوم خاطئ، كما يقول "وأنا لا أعتقد أنَّ تودوروف قد قصد إلى ذلك (فعمله الوصفي في جوهره ذو طابع تعددي/ شمولي)، غير أنَّ الاستعمال المتكرر لعبارة (الخطاب الأدبي) في سياق مناقشة جوهر الأدب لا يؤدي إلَّا لهيمنة مغالطة (اللغة الشعرية الخاصة)"[4].

ولعلَّ رؤية روجر فاولر هي الأقرب لما نفهمه في هذا المضمار، فلغة الأدب ليست أكثر من أسلوب أو تنوع من بين عدد من التنوعات اللغوية، له سماته التي تجعله متفرداً داخل

---

(١) د.عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي ص٢٢٥.
(٢) السابق ص٢٧٥.
(٣) روجر فاولر: نحو نظرية لسانية/ اجتماعية للخطاب الأدبي، ترجمة د. محيى الدين محسب ص٤٢٢-٤٢٣.
(٤) السابق ص٤٢٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أية لغة إنسانية، تكون فيه المفردات والتراكيب وفق حالة نظمية خاصة، وتتجلى فيها الكلمات في علاقات مزدوجة، ذلك أنَّ عملية نظم الأدب تتزاوج فيه علاقة الحقيقة بالمجاز من جهة والبناء بالإيقاع من جهة أخرى وهذا ما يعطي سمات خاصة للتنوع اللغوي الأدبي.

فكيف يستثنى لغة الشعر التي بنى القدماء نحوهم ومعجمهم، بل إنَّ تفسير القرآن الكريم اعتمد على لغة الشعر القديم، كما أنَّها بالنسبة لنا هي التي سُجلت وبقيت لنا فكيف نستثنيها، ثم إنَّ هناك تساؤلاً لابد منه، إذا كانت الكلمات تؤدي دوراً دلالياً مختلفاً في لغة الشعر، أليس هذا غنىً لها يضاف إلى دلالاتها الأخرى، ولننظر إلى الإنجليز والفرنسيين وغيرهما كيف كانت مدونات معاجمهم التاريخية، وهل استثنيت لغة الشعر في مدوناتهم؟ فقد وضع موري في مقدمة معجم أكسفورد رسماً تخطيطيا على هيئة بيضاوية بداخله اللغة المتداولة، ويحده من أعلى لغة الأدب ومن أسفل اللغة العامية. وتتصل باللغة المشتركة عن طريق اللغة الفصحى/لغة الأدب، واللغة العلمية، كما يتصل باللغة المتداولة أيضاً ولكن عن طريق اللغة العامية اللهجات المحلية واللغة العامية الفئوية، ولغة التقنية اللغة الفصحى واللغة العلمية[1]. كما أنَّ اللغة كم واحد داخل أي مجتمع لا يتجزأ، وهي داخل المجتمع تشتمل على مستويات مختلفة، لها أدوارها ووظائفها داخل المجتمع، وأنَّ "المستويات الثقافية والأشكال الوظيفية، في لغة ما ليست إحداهما منفصلة عن الأخرى تماماً"[2]. وقد كان موري "ينظر إلى اللغة ككل متكامل، يجب أن يحتوى المعجم بين غلافيه مفرداتها على مستوياتها الثقافية المختلفة وبجميع أشكالها الوظيفية"[3]. كما أنَّ اللغوي الفرنسي ألن ري محرر المعجم التاريخي للغة الفرنسية (روبير) يقول: "فإنَّ تاريخ اللغة يعين عن طريق الشواهد الكبرى: تكلم الموجودة في الأدب، والفكر، والعلم، وفي كل التواصل الاجتماعي[4]"، ولعلَّ مقولته المهمة في هذا السياق هي أنَّ "الكلمات تراكمات من الطاقة[5]"، وهذا يفسر دور الكلمة في الأدب وفي كل الأشكال التواصلية داخل اللغة.

فالتنوع الأدبي ليس منفصلاً عن باقي التنوعات داخل اللغة، وكيف يؤرخ للغة دون تنوعها الأدبي، وهو التنوع الذي يبقى أكثر ويمثل أجمل وأزهى ما في اللغة، وأظن لو أخذنا

---

(١) د. داود حلمي السيد: المعجم الإنجليزي ص١١١.

(٢) السابق ص١١٨.

(٣) السابق ص١٢٠.

(٤) Le Robert: Dictionnaire de la langue francaisse (ed) Rey, A, p.Xv.

(٥) Ibid.. P.XV.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بذلك يبقى المعجم منقوصاً من الناحية اللغوية والثقافية (بالمفهوم الإنثربولوجي للثقافة) والتاريخية.

وهل من الممكن تكون العربية حالة خاصة فيها اللغة الأدبية منفصلة عن اللهجات، ومن ثم فإنَّ الواقع العربي يعيش نظامين لغويين، وقد شغلت هذه القضية الباحثين، ورأى أحدهما وهو بنجامين هاري (Hary, B.) أنَّ البحوث اكتشفت انتظاماً قواعدياً يتبلور في نظام واحد وربَّما يشير ذلك إلى وجود قواعد تركيبية واحدة لكل من المستويات الفصيحة والعامية، كما يذكر أنَّ أغلب الباحثين يميلون إلى الرؤية التي ترى أنَّ أصلاً مشتركاً يجمع كلاً من الفصحى والعامية في العالم العربي[١]. ويذكر أيضاً أنَّه إذا كانت التنوعات الفصيحة والعامية نوعين منفصلين لكان علينا أن نلجأ إلى نظامين نحويين مختلفين، كما أنَّ الطبيعة النظامية للتنوع الأوسط المختلط من عناصر فصيحة وأخرى عامية تسمح لنا أن ننادي بإمكانية وجود نظام نحوي واحد للتنوعات اللغوية المختلفة[٢]. وهذه الرؤية نفسها كان قد وضحها المستشرق ريتشارد شميدت (R. Schmidt,)، حيث قرَّر أنَّ التنوعين (الفصيح والعامي) ليسا منفصلين، ويرى أنَّ هناك أدلة تدعم كون التنوعين ضمن نظام لغوى واحد، وحسب شميدت من الأدلة الدائمة لكونهما بنظام نحوى واحد هو أنَّ البنية العميقة/ التحتية موحدة[٣].

كما أنَّ الواقع اللغوي العربي تبدو مستوياته مترابطة ككل مجتمع لغوي، والفصحى فيها تنوع لغوي له سماته وله وظائفه داخل المجتمع، ويؤدي دوره داخل أي مجتمع عربي وليس للغة ميتة كما يروج بعض الباحثين، فهو مستوى يعيش على ألسن المتكلمين العرب يزيد في أي مجتمع عربي وفقاً لأمور أخرى تتحكم في وجوده ومنها التعليم. ولعل من المفيد هنا أن تطرح رؤية فرستيج في مقال له بعنوان: « Dead or Alive? The status of the standard language ميتة أو حية؟ حالات اللغة الفصحى/ النموذجية» ، ينتهي فيه بقوله: يمكننا الآن أن نستنتج بصرف النظر عن قضية تطبيق المفاهيم البيولوجية على ظاهرة اللغة الإنسانية، تلك المفاهيم التي لا تمدنا بالصورة الدقيقة للحالات الفعلية للغة النموذجية/ الفصحى في التاريخ اللغوي للمجتمعات اللغوية. فاللغة النموذجية ليست ميتة ولا حية لكنها جزء من متصل لغوي كامل (Continuum) وفي المصادر المكتوبة التي لا تعتمد

---

(١) Hary, B. ١٩٩٦; P.٧٨.

(٢) Ibid., P.٨٤.

(٣) Schmidt, R. ١٩٧٤;P.١٨٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

على السياق اللغوي الفعلي لكن لها وظيفة في السياقات اللغوية داخل المجتمع اللغوي، فقيمة المصادر المكتوبة تأتي لكونها دليلاً على المقدرة اللغوية والممارسة في المجتمع اللغوي، سواء أكان هذا يرجع إلى مستويات اللغة نفسها أم للغات مختلفة في مواقف الثنائية اللغوية[1]. ويهمنا من هذا كون اللغة النموذجية تنوعاً ضمن متصل لغوى كامل تتنوع فيه المستويات/ التنوعات اللغوية وفقاً لأمور مقامية، ووظيفية داخل المجتمع اللغوي.

أمَّا ثاني الملاحظات فهو اعتماد د. جمعان على النظرية الشفاهية وتفسيراتها، وهذه النظرية قد طبقت من خلال مونرو وزويتلر، والأخير منهما له تصور عجيب للعربية الفصحى، ذلك أنَّه يقول إنَّه من خلال نظرية (باري) ليس هناك حاجة لأن نستمر لأكثر ممَّا فعلنا في تأكيد صلاحية آراء بارى للتطبيق على اللغة العربية (عربية الشعر والقرآن) بكل خصائصها، وأنَّ هذه العربية لا يمكن الظن أبداً أنَّها كانت تستعمل لغة نموذجية لأية مجموعة لغوية سواء أكان بالشكل الذي تظهر به في الشعر القديم والقرآن أم بالشكل الذي جمعه اللغويون ودوّنوه في فترة متأخرة وقدموه على أنَّه العربية[2]. ويزعم زعماً غريباً حين يقول فقد كانت هذه اللغة إذا صح لنا أن نسميها بهذا الاسم "If such we may call it" عند الشعراء أنفسهم وسامعيهم، لا تزيد عن كونها لازمة عرضية لفن الشعر، والوسيط المميز للأداء الشعري[3].

كلامه واضح أنَّ العربية الفصحى ليست لغة لأحد، وأنَّها ليست أكثر من لازمة عرضية لفن الشعر ووسيط مميز، وأنَّها ليست لغة نموذجية لأية مجموعة لغوية، هذا أحد ما خلص إليه أصحاب هذا الاتجاه، فهل يوافق د. جمعان هذه الرؤية؟ على أية حال فقد انتقدت هذه النظرية وأخفقت إخفاقاً ذريعاً في فهم تفردية القصيدة في الشعر العربي، وأنَّها أطروحة خاطئة تمام الخطأ[4]، ومن ثمَّ لابدَّ من البعد عن تصورات هذه النظرية التي ثبت فشلها في مجال النقد الأدبي، فلم يكن شعرنا شعر ملاحم، وهذه النظرية كانت موجهة إلى الشعر السردي الشفهي، وهذا يختلف عن الشعر الجاهلي الذي لم يكن شعراً سردياً شفهياً[5]. على أنَّه لابد من الإفادة من ملاحظة د. جمعان حينما يشير إلى استمرار أساليب

---

(١) Versteegh, K. ٢٠٠٢; P.٧٤.

(٢) Zwetter, M. ١٩٧٨; P.١٤٨,٣٥٧ وترجمة المزيني ص

(٣) Ibid.، P.١٦٦.

(٤) د. فضل العماري: نظرية الرواية الشفوية للشعر الجاهلي ص٢٩-٣٠.

(٥) د. غادة جميل: الشفاهية والكتابية في الشعر الجاهلي ص٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

فنية معينة وفقاً لمدارس أدبية لها خصائصها الفنية، وهذا يتضح حسب د. جمعان فيما سُمِّيَ بمدرسة البعث والإحياء/ المدرسة الكلاسيكية في العصر الحديث، وفيما نجده من امتدادات هذه المدرسة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث. وهذا صحيح وملاحظة سليمة، لكن الأمر كما تبين ليس مرتبطاً بالشعر الحديث فقط، فالدكتور رئيف خوري- وهذا قد عرضناه آنفاً- حينما أتى بنصين عربيين أحدهما ينسب إلى عبيد بن شرية ومناسبة النص دخول عبيد على معاوية بن أبي سفيان، والنص الثاني ينسب إلى سلامة موسى (أي في العصر الحديث/ القرن العشرين) ورغم ذلك جاء النص الثاني بسمات تراثية، يقول د. رئيف "وعلى الرغم من الفروق، فقد حاول موسى في وصفه الثاني لمي (مي زيادة) أن يستخدم جواً قديماً فيه كلمات وتراكيب قديمة"[(١)].

وكنت قد بحثت مستويات اللغة في الشعر الحديث من خلال معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، خلصت فيه إلى أنَّ الشعر العربي الحديث ومن خلال المادة المقدمة في معجم البابطين، من الناحية اللغوية: معجماً وتركيباً وصوراً شعرية جاء في مستويات مختلفة، منها التراثي، الذي أشار إليه د. جمعان، وهو عند عدد كبير من الشعراء العرب في بلاد مختلفة، وقد نقلت آنفاً جزءاً من قصيدة يصف فيها الشاعر السيارة وهو الذي عاش جل عمره في القرن العشرين، يصف فيها السيارة بمفردات وتراكيب وصور شعرية قديمة، وكأنه من أبناء الجاهلية أو صدر الإسلام، هذا تنوع لغوي، يليه تنوع آخر تمثل لغته التراث مع المعاصرة/ أو فصحى العصر- على حد تعبير د. السعيد بدوى- ونجد هذا عند العقاد وبعض الشعراء، ثم فصحى معاصرة، محافظة على تراكيب الفصحى مع معجم عربي حديث واستخدامات جديدة للمفردات والصورة الشعرية. وهذا نجده عند مدرسة أبولو والرومانسيين جميعاً، وتأتي مدرسة الشعر الحر/ الحديث لتجدد أكثر في البنية المعجمية والتركيبة والصور الشعرية، ويقترب بعضهم إلى لغة الواقع، ثم يأتي تنوع يمزج فيه أصحابه شعرهم الفصيح ببعض من العناصر العامية كالمواويل وغيرها.

وهذا يعنى أنَّ فصحى التراث مازالت ممثلة عند كثير من الشعراء في العصر الحديث، وأيضاً كما تأتي في الخطب الدينية والشعرية، وهذا ما لاحظه د. السعيد بدوى في وصفه لمستويات العربية المعاصرة في مصر، ويرى أنَّها "تكاد تكون الآن وقفاً على رجال الدين من علماء الأزهر، واستخداماتها المنطوقة تكاد تنحصر أيضاً في البرامج الدينية المعدة

---

(١) د. رئيف جورج خوري: ملاحظات عامة حول مصادر دراسة اللغة العربية (الفصحى) القديمة والمتوسطة ص٦٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مسبقاً"[1]، ويقول عنها "يتحقق أكبر قدر ممكن من صفات الفصحى: تأخذ الجملة الفعلية مكان الصدارة في الاستخدام اللغوي بينما تأتي الجملة الاسمية في المقام الثاني"[2].

ومن هنا لابدَّ أن نلتفت إلى هذا كله عند بناء مدونة المعجم التاريخي للغة العربية، وعلى أية حال حاولت من خلال عملي هذا أن أختم مؤكداً على بعض الأشياء المهمة الخاصة بالمعجم التاريخي، ومنها:

- إذا كان د. محمد حسن عبد العزيز يقول إنَّ: "المعجم التاريخي للغة العربية سيحدث ثورة في الدراسات التاريخية واللغوية، وسيكشف للباحثين عن كنوز كانت مدفونة وعن معارف لم تكن متاحة من قبل"[3]. وهذا صحيح، فإنَّنا الآن يجب أن نقول إنَّ صناعة المعجم التاريخي تحتاج إلى ثورة في الدراسات اللسانية التاريخية للعربية، وذلك أنَّه لن يخرج هذا العمل بصورة طيبة إلَّا ببحث علمي لساني تاريخي عميق، وقد رأينا آنفاً أنَّ المعاجم التاريخية للغات جاءت من خلال بحوث واجتهادات علمية في هذا المجال. وأتصور أنَّ البحث يكون من خلال الانفتاح على الدراسات التاريخية للعربية وغيرها من الساميات التي كتبت بأيدي عدد من المستشرقين، وكذلك البحث في تاريخ اللغة العربية وتنوعاتها المختلفة من خلال فرق/ مجموعات علمية بحثية يوزع عليها الأعمال وفق خُطّة متكاملة للبحث، على أنَّه يبقى التحذير من التعصب لأقطار معينة أو للتعصب للأنا.
- يحتاج صانعو المعجم التاريخي إلى وعي بتاريخ لغة المعجم وشقيقاتها واللغات التي احتكت بها حتى يأتي صحيحاً، وفيما يخص اللغات الشقيقات للغة العربية فإن هناك جهوداً معجمية قامت على لغات منها الأكادية والآرامية والعبرية(٤)، والحبشية والسبئية وغيرها قد هيأت الفرصة للنظرية المقارنة و"هي من أهم مستلزمات التأصيل اللغوي التاريخي"(٥)، ومن هنا ينبغي الاستفادة من كل هذه الجهود.
- إذا كنا قد ذكرنا أنَّ الدراسات التاريخية للغة العربية مقصورة على الباحثين الغربيين،

---

(١) د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر ص٨٩.

(٢) السابق ص١٠٣، كما يصفها بسمات صوتية خاصة انظر ص٩٩.

(٣) د. محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج ص٤٢.

(٤) شرعت الأكاديمية العبرية في صناعة المعجم التاريخي للغة العبرية منذ ١٩٥٩م، ومن ثم خطت خطوات كبيرة في هذا المجال، وحول هذا انظر البحث التالي .pp.١٩-٢٦ Yevin, Israel; Le dictionnaire historique de la langue hebrique

(٥) د. إسماعيل عمايرة: في سبيل معجم تاريخي ص٧٥٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فإنَّ الأمر نفسه في الدراسات اللغوية الاجتماعية لتنوعات العربية، أو للواقع اللغوي العربي، حتى أنَّ كثيراً من الباحثين العرب المختصين بهذا المجال يكتبون بحوثهم بلغات أجنبية، ولذا يجب أن ندرك أنَّ هذا المجال مهم في تحديد الجانب الاجتماعي للتنوعات اللغوية ووظائفها، أو بمعنى آخر تحديد المستويات اللغوية العربية وفق ظروفها الاجتماعية وتوظيفاتها داخل المجتمع، هذا مهم في تحديد التنوع وظروفه، ذلك أنَّ المعجم التاريخي يشتمل على كل ما يخدم التفاصيل الخاصة بكل مفردة، واستعمالاتها ودلالاتها الاجتماعية أو الطبقية وتحولاتها إن كان لها تحول طبقي في تاريخ استعمالها.

- يتضح مما سبق أنَّ التحديات العلمية الثلاثة الكبرى لصناعة المعجم التاريخي للعربية، وهي ما رآها د. القاسمي تتمثل في: ١- عدم وجود مدونة لغوية شاملة باللغة العربية. ٢- قلة المعجميين الملمين بالتقنيات المعجمية الحديثة. ٣- ندرة المتخصصين في التأثيل وتاريخ العلوم، واللغات السامية[1]، وأحسب أنَّ التحديات أكثر من ذلك كما وضحت من قبل فليس هناك توافق علمي معتمد داخل الأكاديميات العربية لتاريخ اللغة العربية، وكذلك عدم وجود بحث لساني في كثير من الجامعات العربية يتماشى مع التطور الكبير للسانيات في الجامعات الغربية، كما لا توجد علاقة علمية قوية –في الغالب- بين ما يكتب عن اللغة العربية في الغرب والباحثين العرب.

وآمل في النهاية أن يكون الأمل قادراً على مواجهة هذه التحديات، وأن يستبصر أولو الأمر في الجامعات العربية تلكم النواقص لتلافيها.

(١) د. على القاسمي: إنشاء مدونة المعجم التاريخي ص٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

- د. بدوى، السعيد محمد (١٩٧٣م): مستويات العربية المعاصرة في مصر. دار المعارف بالقاهرة.
- د. بعلبكي، رمزي (١٩٩٠م): معجم المصطلحات اللغوية، إنجليزي- عربي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.
- د. بلعيد، صالح (٢٠٠٨م): المعجم التاريخي للغة العربية، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد (١١٤) لسنة ٢٠٠٨م.
- د. بنور، عبد الرازق (٢٠١٤م): التلازم الدلالي والترسيس. بحث منشور بكتاب نحو معجم تاريخي للغة العربية. الطبعة الأولى للناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.
- د. البوشيخي، عز الدين وآخرون: الإطار التصوري والمنهجي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية. بحث منشور في كتاب: نحو معجم تاريخي للغة العربية، الطبعة الأولى للناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.
- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠١١م): رؤى اللغويين الغربيين لجذور علم اللغة الاجتماعي بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، العدد (٥٨).
- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠١٣م): الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها العربية في الاستشراقية. إصدار كرسي الأستاذ الدكتور: عبد العزيز المانع- جامعة الملك سعود.
- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠١٦م): حدود الاقتراض اللغوي. طبعة دار كنوز المعرفة بالأردن.
- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠١٦م): الداروينية اللغوية بين الأصول الأوروبية والتجليات العربية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. طبعة دار كنوز المعرفة بالأردن.
- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠١٦م): اعتراضات المستشرق شفتيل على تقسيم المستشرق يوشع بلاو لتاريخ اللغة العربية. قيد النشر.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠١٦م): وصف المستشرق الإسباني إحناسيوفراندو لتاريخ اللغة العربية. بحث قُبل للنشر بمجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة.
- د. الجرج، محمد سالم (١٩٧٥م): التأريخ للعربية، أهميته ودراساته ومناهجه. بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد (٣٥) لسنة ١٩٥٧م.
- د. جميل، غادة (٢٠٠٩م): الشفاهية والكتابية في الشعر الجاهلي، دراسة في تأويل النص، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية دار العلوم- جامعة المنيا.
- د. حمزة، حسن (٢٠١٣م): المعجم العربي وهوية الأمة. بحث منشور ضمن كتاب: اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح. الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.
- د. خوري، رئيف جورج (٢٠٠٧م): ملاحظات حول مصادر دراسة اللغة العربية (الفصحى) القديمة والمتوسطة. بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد (١١٠) مايو ٢٠٠٧م.
- د. راضي، عبد الحكيم (١٩٨٠م): نظرية اللغة في النقد العربي. طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- د. السامرائي، إبراهيم (١٩٨٠م): لغة الشعر بين جيلين. طبعة دار الثقافة ببيروت.
- د. السيد، داود حلمي (١٩٧٨م): المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر. طبعة الأولى جامعة الكويت.
- د. عبد العزيز، محمد حسن (٢٠٠٨م): المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج. طبقة دار السلام.
- د. العماري، فضل (١٩٨٧م): نظرية الرواية الشفوية للشعر الجاهلي حتى العصر الأموى في آثار الدارسين. بحث منشور بمجلة كلية الآداب- جامعة الملك سعود مج١٤، ع١.
- د. عبد الكريم، جمعان (٢٠١١م): تطبيقات استعمال لسانيات المدونات في إصدار المعجم التاريخي. بحث منشور بأعمال ندوة: المعجم التاريخي للغة العربية، قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية المجلد الأول، طبعة دار السلام بالقاهرة.
- د. عمايرة، إسماعيل: في سبيل معجم تاريخي محاولة في التأصيل، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق- المجلد (٧٨) ج(٣).
- د. العوادي، عدنان (١٩٨٥م): لغة الشعر في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العالمية الثانية. منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق.

- فاولرن روجر (٢٠١١م): نحو نظرية لسانية/ اجتماعية للخطاب الأدبي، ترجمة د.محيى الدين محسب، ونشر ضمن كتابه: الأسلوبيات الأدبية، إصدار كرسي أ.د/ عبد العزيز المانع- جامعة الملك سعود.
- فيشر، فولفد يتريش (٢٠٠٥م): العربية القديمة في رواية إسلامية، ترجمة د. سعيد بحيري ضمن كتابة: دراسات في العربية، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة.
- د. القاسمي، على (١٩٩١م): علم اللغة وصناعة المعجم. الطبعة الثانية- جامعة الملك سعود.
- د. القاسمي، على (٢٠٠٨م): إنشاء مدونة المعجم التاريخي. بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد (١١٣).
- د. القاسمي، على (٢٠١٤م): صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، طبعة مكتبة لبنان ناشرون.
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. طبعة مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الأدبي، الكويت.
- هارتمان، ر.ر.ك(٢٠٠٤م): المعاجم عبر الثقافات. دراسات في المعجمية. ترجمة د. محمد محمد حلمي هليل. طبعة سلسلة الكتب المترجمة. الكويت.
- د. الودغيري، عبد العلى (٢٠١١م): التأريخ لمعجم اللغة العربية، أسئلة وإشكالات. بحث منشور بأعمال ندوة: المعجم التاريخي للغة العربية، قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. المجلد الأول. طبعة دار السلام بالقاهرة.
- د. الودغيري، عبد العلى (٢٠١٤م): نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية. بحث منشور ضمن كتاب: نحو معجم تاريخي للغة العربية. الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.
- د. يوسف، ظافر (٢٠٠٢م): رأى المستشرق الألمانى فولف ديتريش فيشر في تطور أساليب الكتابة العربية ومسائل لغوية شتى، حوار مع د. ظافر يوسف. حوار منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٧) الجزء (٣) يوليو ٢٠٠٢م.

ثانياً: الأجنبية:

- Alinei, M. ٢٠٠٥: Darwinism. Traditional Linguistics. In Gontier, N. Bendegem, Jean Paul Van. Aerts, Diederik (eds): Evolutionary,

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

Epistemology, Language and Culture. Berlin, Heidelberg, New York, pp.١٢١-١٤٧.

- Blau, J. ١٩٨١: The Emergence and Linguistic Background of Judaeo-Arabic. ٢ Edition. Jersalem.
- Blau, J.٢٠٠٣: The Importance of Middle Arabic for Understanding of the History of Neo-Arabic. In Lentin, J. et Lonnet, A. (eds): Melanges David Cohen. Paris. pp.١١١-١١٧.
- Cannon, G. ١٩٨٤: Sir William Jones, Persian, Sanskrit and the Asiatic Society. In Histoire Epistemologie Langage, T.٦,F.٢.PP.٨٣-٩٤.
- Corriente, F. ٢٠٠٧: On ThePrehistory of the Arabic Language.In Aula Orientalis, ٢٥, pp.١٤١-١٥٣.
- Darmesteter, A.١٩٧٩: La vie des mots, Etudiée dans leurs significations. Paris: édition champ Libre.
- Delesalle, S.١٩٨٧: Vie des mots et science des significations: Arsene Darmesteter et Michel Breal. In DRLAV, ٣٦/٣٧, pp: ٢٦٥-٣١٤.
- Desmet, P.١٩٩٦: La linguistique naturaliste en France (١٨٦٤٧-١٩٢٢). Orbis/supp/ementa, Peeters. Leuven.
- Ferguson, C. ١٩٥٩; Diglossia. In Word, ١٥,PP.٣٢٥-٣٤٠.
- Firth, J. R. ١٩٦٤: Tongues of man. London.
- Fischer, W. ٢٠٠٦: Classical Arabic. In Versteesg, K. (ed): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, Vol: l,pp.٣٩٧-٤٠٥.
- Fuck, J.١٩٩٥: Arabiya, Recherches sur l'histoire de la langue et du style arabe. Traduction Clude Denizeau, Libairie marcel Didier. Paris.
- Hary, B.١٩٨٩: Middle Arabic, Proposals For New Terminology.in Al-Arabiyya, ٢٢,pp.١٩-٣٦
- ———١٩٩٦: The Importance of the Language Continuum in Arabic Multiglossia. In Elgibali, A. (ed):Understanding Arabic, Essays in Contemporary Arabic Linguistics in of El-said Badawi. The American University of Cairo Press.PP.٦٩-٩٠.
- Hiene, B. and Kuteva, T. ٢٠٠٥: Language Contact and Grammatical Change. Cambridge University Press.
- Koerner, K. ٢٠٠٢: William Labov and the Origins of Sociolinguistics in America. In Koerner, K. Toward a History of American Linguistics. Routledge, London and New York.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- Laks, Bernard.٢٠٠٢: Le Comparatisme: de la généalogie a la génétique. In Langages, No: ١٤٦.pp.١٩-٤٥.
- Larcher, P. ٢٠٠١: Moyen arabe et arabe moyen. Arabica, ٤٨ (٤) pp.٥٠٩-٥٧٨.
- Lentin, J. ٢٠٠٣: Varietes d'arabe dans des manuscrits syriens du Roman de Baybars et histoire du texte. In Jean-Claude Garcian (ed): Lectures du Roman de Baybars, Editions Parenthèses. Paris, pp.٩١-١١١.
- ———٢٠٠٨: Middle Arabic. In Versteegh, K. (ed): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol: ٣, pp.٢١٦-٢٢٤.
- Le Robert: Dictionnaire historique de la langue Française. ٢éditions. Paris,١٩٩٧.
- Lettré, E.١٩٧٣: Dictionnaire de la langue Française. Paris: Librairie Hachette.
- Marpurgo, Davies, A. ١٩٩٨: History of Linguistics. Vol: iv: Nineteenth Century Linguistics.Longman: London and New York.
- Meillet, A. ١٩٨٢: Linguistique historique et linguistique generale. Champion. Paris.
- Mounin, G.١٩٦٧: Histoire de la linguistique des origins au XXe siecle. PuF.
- Nerlich, B.١٩٩٠: Change in Language, Whitney, Bréal and Wegener. Routledge: London and New York.
- ———١٩٩٢: Semantics Theories in Europe ١٨٣٠-١٩٣٠. Benjamins, J. publishing Company: Amserdam/PhiladeIphia.
- ———١٩٩٣: Avant-Propos: La semantique historique au XIXe, en Allmagne, en Angleterre, et en France, In HEL, ١٥(١),pp:٥-٣٠.
- Nicolas, A.١٩٩٨: La notion d'histoire dans la linguistique Français du XIXe siecle. In Joly, A. (ed): La linguistique genetique Histoire et theories. Press universitaires de lille lll.pp.٥٧-٦٨.
- Nida, E. ٢٠٠٣: Language and culture: Two similar symbolic systems. In Susan Petrilli(ed): Translation Translation. Rodopi. Amsterdam-NewYork.
- Rey, Alain.١٩٧١: Le dictionnaire etymologique de W. Von Wartburg structures d'une decription diachronique du lexique: in Langue Francaise, No.١٠.pp.:٨٣-١٠٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- Rey-Debove, Josette, ١٩٧٠: Ledomaine du Dictionnaire. In Langages, No:١٩,pp:٣-٣٤.
- Robins, R,H, ١٩٩٨: A Short History of linguistics, ٤th Editions. Longman: London and NewYork.
- Sapir, E. ١٩٤٩: The Status of Linguistics as a Science. In Mandelbaam, D. (ed): Selected Writing of Edward Sapir. Berkely and Los Angles University of California Press, pp.١٦٠-١٦٦.
- ———١٩٢١: Language.New York: Harcourt, Brace.
- Schleicher,A.١٨٦٨: La theorie de Darwin et la science du langage. Traduit du l'Almond par M.de Bommyrol. Paris.
- Schmidt,R.١٩٧٤: Sociostylistic Variation In spoken Egyptian Arabic. Brown University, PH.D Dissertation.
- Shivtiel, A.١٩٩١: The Maze of Arabic. In Kaye, A. (ed): Semitic Studies. Vol: ٢, Otto Harrassowit: Wiesbaden, pp.١٤٣٥-١٤٤.
- Stefanini, Jean, ١٤٧١: Sur la grammaire historique du Francais. In Langue Françoise, No:١٠,pp:٧-٣٠.
- Sutcliffe, Patricia. ٢٠٠٠: Friedrich Max Muller and William Dwight Whitney as Exporters of Nineteenth-Century German Philology: A Sociological Analysis of the Development of Linguistics Theory. Bell and Howell information and Learning Company.
- Thomanson, S. and Kaufman,.T..١٩٨٨: Language Contact. Creolization and Genetic Linguistics. University of California Press.
- Valone, D. A.١٩٩٦: Language, Race and History: The Origin of the Whitney-Muller Debate and Transformation of the Human Science. In Journal of the History of the Behavioral science, Vol:٣٢,pp.١١٩-١٣٤.
- Versteegh, K.١٩٩٧: The Arabic Language. Columbia University press, New York.
- ———٢٠٠٢: Dead or Alive? The Status of the Standard Language. In Adams, J. N. Mark, Adames and Simon, Swain (eds): Bilingualism in Ancient society, Oxford: Oxford University Press.pp.٥٢-٧٤.
- Yevin, Isreal ١٩٩٨ ; Le dictionnaire historique de la langue hébraïque. In Meta, Vol: ٤٣. No:١, pp.١٩-٢٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

لفظ (الأرض) .. دراسة لغوية تاريخية[١]

د. أحمد عارف حجازي

أستاذ اللسانيات – جامعة المنيا

أولا الإطار العام:

يدور هذا البحث حول لفظ (الأرض) من حيث تعريفه و تغير دلالته[٢] منذ العصر الجاهلي الذي يعد أقدم عصر لغوى عربي نعرفه[٣]، ومرورا بعصر صدر الإسلام، فبني أمية، فبني العباس، ثم العصر الحديث. وعلى ذلك فإن لهذا البحث هدفا واحدا هو الكشف عن استعمال كلمة الأرض و تغير دلالتها منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث. من خلال المنهج التاريخي الذي يسير مع الظاهرة اللغوية سيرا رأسيا من عصر لآخر، مبينا ما طرأ عليها من تغيرات، محللا أسبابها.

أما السبب الذي جعلني أتناول هذا الموضوع فهو الكشف عن ذلك الجانب التاريخي في اللغة العربية من خلال هذا اللفظ؛ بخاصة أنه قد سبق ببحوث قليلة جدا؛ لعل منها إسهام الدكتور البدراوى عبد الوهاب زهران بدراسة عن عصر الحروب الصليبية[٤]. و قد جاءت مادة الدراسة ممثلة لبعض عصور اللغة العربية؛ و هي صدر الإسلام و الأموي والعباسي و الحديث. و قد تركت الفترة التاريخية الممتدة فيما بين العصرين العباسي والحديث عمدا؛ و ذلك لركود الاستعمال اللغوي الفصيح فيه، منذ دخول العثمانيين مصر حتى بداية القرن العشرين، ولذلك فإن كثيرا من آداب تلك الفترة كان تقليدا ركيكا، لا

---

(١) نشرت الصيغة الأولى لهذا البحث بمجلة الملتقى الثقافي – مصر: المنيا- سنة ٢٠٠٠.

(٢) استعملت مصطلح التغير، دون مصطلح تطور لأن التطور يوحى بالرقى، وهو ما لا يرتضيه المنهج الوصفى، الذى يقوم عليه المنهج التاريخى. و يرى د. رمضان عبد التواب أن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة التطور لا يعنى تقييم هذا التطور والحكم عليه بالحسن أوالقبح، و أنه لا يعنى عندهم أكثر من مرادف لكلمة التغيير. وممن استعمل مصطلح (التطور) د. ابراهيم السامرائى و برجشتراسر و د. رمضان عبد التواب و د. عبد الصبور شاهين، على حين استعمل د.محمود فهمى حجازى و د. أحمد مختار عمر مصطلح (التغيير). انظر: د.ابراهيم أنيس - دلالة الألفاظ ١٣٤،و د. أحمد مختار عمر ٣٣٥، و د. محمود فهمى حجازى ٢٩٩.

(٣) يعد العصر الجاهلى أقدم فترة لغوية ناضجة، أما فترة النقوش العربية فليست إلا نصوصا قليلة وجدت على بعض المقابر والأحجار و ليست كافية لتمثيل اللغة العربية، لضحالة مادتها ووجود كلمات غير عربية فيها. انظر: د. ابراهيم أنيس - فى اللهجات العربية ٣٥، ود. رمضان عبد التواب - فصول فى فقه العربية ٤٦.

(٤) انظر: د. البدراوى عبد الوهاب ٩، حيث نوه إلى قيمة الدراسات التاريخية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يمثل الاستعمال اللغوي المعبر عنها. و أخذت من كل عصر عينة عشوائية تمثله، ففي العصر الجاهلي اتخذت المعلقات السبع لتمثيله، و في صدر الإسلام اتخذت القرآن الكريم مادة لغوية تمثل العصر الذي خوطب العرب فيه، و في العصر الأموي جاء شعر عمر بن أبالنسب. ليعبر عن استعمال اللغة فيه، ثم جاء شعر العصر الأندلسي ليعبر عن استعمال اللغة في جزء خاضع للسيادة العباسية فتمثله في شعر ابن عبدون، أما في العصر الحديث فقد جاء شعر أمل دنقل؛ لنحاول من خلاله الكشف عن كيفية استعمال الفصحى المعاصرة له. و قد جمع منهج البحث بين الوصف و التاريخ، وصف الظاهرة اللغوية (الأرض) في كل عصر من العصور التاريخية المصطلح عليها بين دارسي التاريخ الإسلامي و الأدب العربي [1]؛ مع الاعتماد على الرصد و الحصر و الإحصاء و النسب. والاستعانة بالجداول كلما أمكن ذلك. و جاء المنهج التاريخي ليقابل بين عصر و آخر، ثم المقابلة بينهما جميعا آخر البحث لتسجيل التغيير الطارئ على استعمال هذا اللفظ و تحليله و محاولة كشف أسبابه. و قد جاءت محاور البحث ممثلة لمراحل المادة الدراسية تاريخيا، بحيث يعالج كل محور فترة زمنية معينة، مع سبقها بمحور معجمي، يعرف اللفظ (الأرض)، و يبين مجالات استعماله.

و كان اعتمادي على مصدر الدراسة الممثلة للفترات الزمنية المشار إليها آنفا، كما استعنت بعدد من المراجع التي تمثلت في معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها، وكتب الأدب والتفاسير؛ إلي جانب ما كتب في علم اللغة الحديث؛ الأجنبي منه والمترجم والعربي.

ثانياً: الأرض معجمياً:

لم تعرف المعاجم العربية القديمة لفظ الأرض، بل ذكرتها، ثم وصفتها وعددت صيغها ومشتقاتها وجموعها ودلالاتها؛ دون ترتيب في إيراد ذلك كله [2]. فقد اكتفي المعجميون العرب بقولهم " معروفة "، إلا ما كان من ابن منظور المصري المتوفى (ت ٧١١هـ)، حيث قال عنها "التي عليها الناس" [3]. ولنا أن نحاول ترتعليه. لات هذا اللفظ وما اشتق منه؛ على النحو التالي:

---

(١) من ذلك ما رآه د. شوقي ضيف فى تأريخه للأدب العربى، وسلسلته الشهيرة بدءا من العصر الجاهلى، فى صدر الإسلام، فالأموى، فالعباسى،... و قد سار على ذلك مؤرخو الأدب العربى جميعا.

(٢) استدرك ذلك كله د. رمضان عبد التواب، فيما سماه عيوب المعاجم العربية. انظر: د. رمضان عبد التواب – فصول فى فقه العربية ٢٥٤ – ٢٥٦.

(٣) ابن منظور ٦١/١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الأرض اسم جنس، من الجذر (أ – ر – ض)، ولهذه الصيغة دلالات متعددة، هي:
  - الكوكب الذي نعيش عليه.
  - أسفل قوائم الدابة.
  - كل ما سفل. "ويمكن عد هذه الدلالة واحدة مع سابقتها ".
  - الزكام.
  - النفضة والرعدة.
- وقد استعملت اللغة من هذه الكلمة مشتقات كثيرة؛ نعرض لها على النحو التالي:

الاسمية:

  - الأرض: تفشي القرحة وفسادها.
  - الأرضة: دودة بيضاء شبه النملة تظهر أيام الربيع، وشحمة الأذن.
  - التأريض: التعرض، التصدي، التثاقل إلى الأرض.
  - التأريض: نية الصوم، رعي كلأ الأرض، تشذيب الكلام وتهذيبه، الإصلاح، التثقيل.

الفعلية:

  - أرض: كثر الخير.
  - أرضه الله: أزكمه.
  - أرضتها: وجدتها.
  - أرضت: صارت الأرض معجبة للعين.
  - أرض: فسد.
  - أرض: خبل وجن، أكلته الأرضة.
  - تأرض: تلبث، تمكن، قام علي الأرض.
  - تأرض له: تضرع، تصدى، تعرض.

الوصفية:

  - الآرض: الأجدر.
  - الأريض: العريض، المتواضع.
  - الإراض: البساط الضخم من الصوف والوبر.
  - المأروض: المزكوم، الخشب أكلته الأرض، المحرك رأسه وجسده بلا عمل.
  - المستأرض: ما له عرق في الأرض.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الإتباع:

- عريض أريض: سمين.

تعبيرات اصطلاحية:

- ابن الأرض: الغريب الذي لا يعرف له أب أو أم، نبات في رؤوس الآكام.
- نبات الأرض:الأنهار الصغيرة.
- سمع الأرض وبصرها: طولها وعرضها.
- علم الأرض، مثل (يبحث في طبقات الأرض وتكوينها؛ويقابله بالإنجليزية (geology) جيولوجي) وهو لفظ دخيل في العربية(١).

صيغ الجمع:

ورد عن العرب سبع صيغ لجمع (الأرض)، هي:

١- أروض "Urud": على وزن فعول. جمع كثرة مثل (بحث/ بحوث، فصل/ فصول).

٢- أرضات "Ardat": على وزن فعلات، جمع سلامة للمفرد (أرضة): الذي لم يستعمل. رغم تأنيث لفظ "الأرض" دون هذه التاء. يقول في ذلك ابن منظور: وكان حق الواحدة أن يقال (أرضة)، ولكنهم لم يقولوا، ثم يمثل بقول عامر بن جوين الطائي:

فلا مزنة و دقت ودقها و لا أرض أبقل إبقالها(٢).

حيث لم يقل الشاعر "أرضة"؛ لأنه ذهب بها إلى الموضع والمكان(٣).

٣- أرضات " Aradat": و هي صيغة كسابقتها إلا أن الراء مفتوحة، وأصلها التسكين بناء على الأصل، يعلل ذلك سيبويه فيقول:" سألت الخليل عن قول العرب: أرض وأرضات، فقال: لما كانت مؤنثة وجمعت بالتاء ثقلت، كما ثقلت طلحات و صفحات "(٤). أي إن سيبويه يرى أن سبب فتح الراء هو تخفيف النطق؛ حيث يتحول المقطع المغلق (أر) إلى مقطعين قصيرين هما (أ+ر) على النحو التالي:

أرضات ------> أرضات

ص ح ص+ ص ح ح ص---> ص ح +ص ح+ص ح ح ص

و تبدو خفة المقطع القصير المفتوح في تكوينه من صوتين أحدهما صائت، أما

---

(١) إبراهيم أنيس و آخرون ١٤/١.

(٢) البيت من المتقارب ،و هو موجود فى: سيبويه ٤٦/٢،و ابن جنى ٤١١/٢، و ابن يعيش ٩٤/٥، و الشطر الثانى فى ابن هشام أوضح المسالك ١٠٨/٢ ، ابن عقيل ٩٢/٢ و ابن عصفور ٣٠٣/١و البغدادى ٤٥/١، ٤٩، ٥٠، ٤٣٧/٧، ٣٤٨/٩٨،١١/٩.

(٣) انظر: ابن منظور ٦١/١.

(٤) سيبويه ٥٩٩/٣، و عنه فى: ابن سيده ٦٧/١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الطويل المغلق بحركة قصيرة فيتكون من ثلاثة أصوات أوسطها صائت[(١)] .

٤- أرْضون "Ardun": وهي صيغة ملحقة بجمع المذكر السالم مثل (سنة و سنون) و الراء ساكنة كما هي في المفرد.

٥- أرَضون "Aradun": هذه الصيغة كسابقتها إلا أن الراء مفتوحة، و ذلك لتخفيف النطق كما في صيغة أرَضات. يقول سيبويه في ذلك: "ومن الناس من يحتج بقولهم (أرضون)؛ فيقول: لما كانت هاء التأنيث مقدرة فيها و محذوفة منها صارت بمنزلة المنقوص الذي يقدر فيه حرف يحذف منه، و حركوا ثانيه لعلتين، يجوز أن يكونوا حملوها على الجمع بالألف و التاء لأنهما جمعان سالمان قد اشتركا في السلامة، و قد لزم فتح الراء في أحدهما لما ذكرناه فكان الآخر مثله. و يجوز أن يكونوا جعلوا التغيير الذي يلزم أوائل ما يجمع بالواو و النون من المنقوصات، كقولك: سنة و سنون وثبة وثبون - في ثاني هذا الحرف- فأغنى عن تغيير أوله... و لم يكسروا أول (أرضين) لأن التغيير قد لزم الحرف الأوسط، كما لزم التغيير الأول في (سنة) في الجمع[(٢)] . و قد علل ابن منظور كذلك هذا الفتح فقال: "ليدخل الكلمة ضرب من التكسر استيحاشا من أن يوفروا لفظ التصحيح؛ ليعلموا أن أرضا مما كان سبيله لو جمع بالتاء أن تفتح راؤه فيقال" أرضات"[(٣)] . نرى مما سبق أن فتح الراء فرع على التسكين؛ لأنه مخالف للأصل، ولذلك اجتهد اللغويون القدماء في تحليل أسبابه؛ مع أنه الأكثر شيوعا. ولذلك أيضا يرى إسماعيل بن حماد الجوهري أنه ربما سكنت الراء[(٤)] ؛ أي إن التسكين أقل شيوعا واستعمالا.

٦- آراض" Arad ": على وزن أفعال.

مثل: بحث < أبحاث و بيت < أبيات.

---

(١) المقطع الصوتى هو كمية من الأصوات التى يمكن البدء بها و الوقوف عليها، و فى تعريفه و اقسامه خلاف بين اللغويين العرب المحدثين. انظر: ((B.٢٧٦،M.A.AL KHULI(١٩٨٢). و د. ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر ١٤٧، و أنطوان ماييه ٤٢٩، ٤٣٠، وجان كانتينو ١٩١، و د. رمضان عبد التواب - التطور اللغوى ٦٢، و فصول فى فقه العربية ١٩٤، و المدخل إلى علم اللغة ١٠١، وعبد الرحمن أيوب ١٣٩ و د. توفيق شاهين ١٠٦، و د. عبد الصبور شاهين- المنهج الصوتى ٣٨.

(٢) سيبويه ٥٩٩/٣ و عنه فى ابن سيده ٦٧/١٠، ٦٨.

(٣) ابن منظور ٦١/١.

(٤) الجوهرى ١٠٦٣/٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٧- أراضى " Aradi": صيغة منقوصة على وزن فعالى[(١)] .

نعوت الأرض:

ورد عن المعجميين العرب بعض نعوت توصف بها الأرض هي: البراز –الجبوب-الجدالة-الجعجاع-الحصير-الساهرة-الصحيف[(٢)] .

ونرى مما سبق أن المعاجم العربية القديمة قد اهتمت باستعمالات لفظ الأرض ومشتقاته، دون أن تركز على أصل وضعه، بل اكتفى بعضها بأنها "التي عليها الناس "، مع أن كل الصيغ المشتقة منها تعود إلى المكانية التي اكتسبتها من أصل وضعها و هو" أسفل ". وجاء المعجم الوسيط لينقل التراكم اللغوي ـ كما هو من المعاجم السابقة عليه - فذكر هذه المشتقات المأخوذة من الجذر (أ- ر –ض) دون أن يجمع بينها، أو يشير إلى أي ارتباط أو علاقة بينها.

ثالثا- الأرض في العصر الجاهلي:

سنتناول هنا لفظ الأرض في العصر الجاهلي من خلال نص أدبي شهير ينتمي إلى ذلك العصر، وهو المعلقات السبع. وجاء اختيارنا لهذه النصوص لأنها تعد أشهر (مجموعة أدبية شعرية /نص لغوى /نصوص لغوية)، ولها أسماء متعددة هي: " المعلقات السبع- السبع الطوال- السبع الطوال الجاهليات- المذهبات- السموط- القصائد المشهورة- السبعيات"[(٣)] . كما أنها تمثل اللغة العربية الفصحى المشتركة آنذاك[(٤)] ، ونحن نظن أن شهرة هذه النصوص اللغوية تغني عن تعريفها بين دارسي علوم اللغة العربية وآدابها. و باستقراء هذه المعلقات لشعرائها ومبدعها "امرئ القيس و الحارث بن حلزة و زهير بن أبى سلمى وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد و لبيد بن ربيعة؛ وجدت أن لفظ الأرض لم يرد إلا

---

(١) كتبت (أراضى) بالياء على الأصل،على حين أنها فى الرفع و الجر محذوفة الياء معوض عنها تنوينا. انظر فى إعراب المنقوص: سيبويه ٤١٤/٣، ٤١٥ و أبو حيان الأندلسى ٣١١/١ و ابن هشام – شرح قطر الندى ٧٧ و البغدادى ٢٤٢/٨.

(٢) انظر فى ذلك العرض المعجمى: سيبويه ٥٩٩/٣ و الزمخشرى ٩ و الجوهرى ١٠٦٣/٣ – ١٠٦٤ و الفيروزأبادى ٨٢٠، ٨٢١ وابن سيده ٦٧/١٠-٧٠ و ابن منظور ٦١/١- ٦٣ و إبراهيم أنيس و آخرين ١٤/١ و أحمد رضا ١٦٣/١.

(٣) يرجع سبب اقتصاري على هذه القصائد إلى أن معظم مؤرخى الأدب العربى القدماء قد اتفقوا على هذا العدد، إلا أبا زيد القرشى الذى عدها عشرا. انظر د. يحيى الجبورى ١٧٣، ١٧٧ – ١٧٩.

(٤) اللغة المشركة هى اللغة التى يستعملها شعب ما على المستويات الرسمية والأدبية، وهى فوق مستوى العامة، و لا تنتمي صفاتها لبيئة محلية ما.انظر د.رمضان عبد التواب – فصول فى فقه العربية ٦٥،٦٨. و قد جاءت لغة المعلقات فصحى مشتركة بين العرب آنذاك، رغم اختلاف قبائل شعرائها، فامرؤ القيس من كندة،و الحارث بن حلزة من بنى يشكر، وزهير من مزينة، و طرفة من بكر بن وائل، وعمرو بن كلثوم من بنى تغلب، و عنترة بن شداد من بني عبس، و لبيد من بنى عامر. انظر: ابن قتيبة ٥٠/١، ٧٦، ١١٧، ١٢٧،١٥٧، ١٧١،١٩٤، و د. شوقى ضيف ٢٣٢، ٢٦٩، ٣٠٠، ٣٣٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ثلاث مرات عند ثلاثة شعراء هم:

١- امرؤ القيس، في قوله:

ضليع إذا استدبرته سد فرجه　　بضاف فويق الأرض ليس بأعزل[(١)].

٢- طرفة بن العبد، في قوله:

و أعلم مخروت من الأنف مارن　　عتيق متى ترجم به الأرض تزدد[(٢)].

٣- عنترة بن شداد، في قوله:

حلت بأرض الزائرين فأصبحت　　عسرا على طلابك ابنة مخرم[(٣)].

يلفت النظر هنا ندرة ورود هذا اللفظ في هذه النصوص اللغوية، واختفاؤه تماما عند الحارث و زهير و عمرو ولبيد، ووروده مرة واحدة عند كل من امرئ القيس وطرفة وعنترة.

جاء لفظ الأرض عند امرئ القيس و طرفة بدلالة واحدة، هي أسفل قوائم الدابة، فالأول وصف حصانه و طول ذيله الضافي الذي يكاد يلامس الأرض. والثاني وصف ناقته التي ملأت عليه معلقته[(٤)]؛ بأن لها أنفا إذا اقتربت من أسفل رجليها الأماميتين زادت سرعة مشيتها. فاللفظ عندهما بذلك محدد الدلالة المكانية بالنسبة للمتكلم وحده؛ الذي يعرف حجم دابته وطول قوائمها وذيلها. على حين أنه غير محدد عند غيرهما، فأينما سار الحصان والناقة كان ما تحتهما أرضا لهما. أما عند عنترة فقد اختلفت الدلالة؛ لتتحدد في أرض قوم محبوبته عبلة، حيث سكنت أرض الأسود الزائرة[(٥)]، فصبغت عليه رؤيتها، فذكر أرضها التي يبث فيها شوقه إليها. و بذلك تتحدد دلالتها بذلك المكان التي سكنت فيه في شبه الجزيرة العربية.

كما جاء هذا اللفظ معرفة في مواضعه الثلاثة، مرتين بمورفيم التعريف (أل)[(٦)] والثالثة بالإضافة.أما التعريف ب (أل) فقد ورد لتعميمها في ذهن الشاعرين امرئ القيس

---

(١) الزوزنى ٤٩، و البيت من طويل.

(٢) المرجع نفسه ٨٠ و البيت من طويل.

(٣) نفسه ١٠٨، و البيت من الكامل.

(٤) يعد وصف الناقة عند طرفة بن العبد أطول وصف و أكثره تفصيلا بين الشعراء العرب جميعا. انظر د. يحيى الجبورى ٣٦٦،٣٦٧.

(٥) صفة الفاعل (زائرة) من الفعل زأر، و ليست من زار كما يفهم من سياق البيت.

(٦) ا ختلف لغويو العرب القدماء فى مورفيم التعريف؛هل هو (ال) أو اللام منها وحدها، انظر فى هذا الخلاف: سيبويه ٣٢٤،٣٢٥/٣ و ابن هشام – شرح قطر الندى ١٥ و ابن عقيل ٤٧٧/١، ١٧٨ و السيوطى – الأشباه والنظائر ٤٧،٤٨/٢ و البغدادى ١٩٨/٧، ٢٠٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وطرفة أنفسهما؛ ذلك لأن كل مكان يمشى فيه الحصان و الناقة هو أرض لهما. أما عند عنترة فقد عرفها بالإضافة التي حددتها بمكان واحد، هو ما ذكرناه آنفا.

وقد احتل هذا اللفظ المواقع الوظيفية التالية:

م	المعلقة	التركيب أو الجملة	الموقع الوظيفي	الحالة
١	امرؤ القيس	فويق الأرض	مضاف إليه	مجرور
٢	طرفة	ترجم به الأرض	نائب فاعل	مرفوع
٣	عنترة	بأرض الزائرين	اسم مجرور(مضاف)	مجرور

من هذا الجدول نرى أنه جاء مرفوعا مرة واحدة و مجرورا مرتين، مرة منهما بعد مورفيم جر(ب)، و الأخرى بعد ظرف مكان "مصغر" و اختفى موقع النصب.

تلك الندرة في استعمال هذا اللفظ ووجود دلالتين اثنتين له و عدم استعمال أي مشتق منه -رغم ما أورده المعجميون من اشتقاقات كثيرة- تدل على عدم اهتمام العرب في تلك الحقبة الزمنية بالأرض رغم ارتباطهم بها كثيرا، في مراعيهم و غزلهم و حروبهم وتنقلاتهم و تجارتهم، ولذلك عاب القرآن الكريم عليهم هذه الغفلة، فخاطبهم بقوله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠ ﴾[(١)].

رابعا: الأرض في صدر الإسلام:

جاء الإسلام العظيم فتعامل مع اللغة العربية السائدة آنذاك على ألسنة المخاطبين بها، وأحدث فيها تغييرات دلالية كثيرة، بحيث يمكن أن نطلق على تلك التغيرات مصطلح "ثورة لغوية"؛ وبخاصة في مجال الألفاظ[(٢)]. و الناظر في لفظ الأرض يرى استعمالات كثيرة له في القرآن الكريم – الذي خاطب العرب آنذاك بما يفهمونه من دلالات الألفاظ المستعملة لديهم – حيث ورد إحدى وستين وأربعمائة (٤٦١) مرة؛ نفصلها فيما يلي:

المكي والمدني:

في السور المكية: (٣١٧) مرة، بنسبة ٦٩%.

---

(١) سورة الغاشية ١٧/٢٠.

(٢) تعد الألفاظ أو الكلمات أكثر مجالات اللغة تغيرا؛ حيث يضيع من الكلمات صوت، أو يزاد فيها صوت أو تتغير صفاته أو ينتقل مخرجه، وقد تتغير دلالة الكلمة كلها. انظر: (Jean Mal Mstrome, (١٩٦٥) ,pp,٧٨,٧٩)،و د.، و (E. H. Sturtevant, (١٩٧٣),pp,٦٨.٦٩))، وعلى وافى ٢٢٩ و د. محمود فهمى حجازى ٣٠١ ، ٣٠٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

في السور المدنية: (١٤٤) مرة، بنسبة ٣١%.

عدد ورود هذا اللفظ في السور المكية سبع عشرة وثلاثمائة مرة (٣١٧) وهو يفوق ضعف وروده في السور المدنية، حيث ورد فيها أربعا وأربعين ومائة مرة (١٤٤). و هذا يرجع إلى أن السور المكية تكلمت كثيرا عن أصول العقيدة والدعوة إليها؛ وهو ما يستلزم معه النظر في الكون الذي لم يعرف العربي منه إلا السماء بنجومها و قمرها و شمسها، والأرض بما عليها. و من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(١)].

كما تكلمت السور المكية عن الأمم السابقة؛ منذ نوح - عليه السلام -حتى ظهور الإسلام، وهو ما يستلزم الحديث عن الأماكن التي عاشوا فيها. من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ... ﴾ [(٢)].

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ ... ﴾ [(٣)].

أما السور المدنية فقد اتجهت إلى التشريع في العبادات والمعاملات، وانتهت مرحلة لفت النظر إلى الكون و الأمم السابقة. ولذلك قل ورود ذكر الأرض فيها؛ بحيث لم يصل إلى نصف عدد مرات وروده في السور المكية (١٤٤: ٣١٧).

الإفراد والتركيب:

جاء هذا اللفظ وحده منفردا اثنتي عشرة ومائة مرة (١١٢)، و من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ.. ﴾ [(٤)] ولعل إفراد لفظ الأرض في هذه المواضع جاء للحض على النظر فيما خلق الإنسان منه، و فيه ارتزاقه ومقومات حياته كلها، على حين جاء مقترنا بالسماء في تسع وأربعين ومائتي مرة (٢٤٩)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ... ﴾ [(٥)]. و في كل هذه المواضع سبقت السموات الأرض في ترتيب الجملة ومكوناتها الظاهرة إلا في ستة عشر موضعا؛ جاءت فيه الأرض قبل السماء/ السموات. و من ذلك قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة الغاشية ١٧/ ٢٠.

(٢) سورة هود ١١/ ٤٤.

(٣) سورة محمد ٤٧/ ١٠.

(٤) سورة البقرة ٢/ ١١.

(٥) سورة فاطر ٤١.

(٦) سورة طه ٢٠/ ٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وإذا كانت القاعدة هي تقديم السماء على الأرض لشيوع ذلك فإن لعكس هذا الترتيب سببا، وهو مراعاة الفواصل القرآنية؛ كما في سورة طه آنفا، و يرجع السبب في اقتران السماء بالأرض إلى محاولة القرآن الكريم لفت الأبصار والأنظار إلى الكون، الذي تعد السماء و الأرض أبرز ما يظهر فيه. فالناس جميعا يرون السماء بشمسها ونجومها و قمرها، والأرض بجبالها و سهولها و بحارها و أنهارها و نباتاتها. كما أن التقابل بينهما واضح في تجاورهما، وهو ما يعرف بتجاور الشيئين في البيئة العربية الصحراوية القديمة آنذاك مع تناقضهما[(١)].

التعريف والتنكير:

غلب التعريف على هذا اللفظ و لم تأت صيغة النكرة منه إلا في ثلاثة مواضع (٣)؛ أحدها موصوف، و هو قوله تعالى: ﴿ ... وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ ... ﴾[(٢)]. أما التعريف فقد ورد في ثمانية وخمسين وأربعمائة موضع (٤٥٨)؛ غلب فيها التعريف بالمورفيم (ال) حيث ورد سبعا وأربعين وأربع مائة مرة (٤٤٧)، و جاء التعريف بالإضافة في أحد عشر موضعا (١١)؛ منها ثلاثة مضافة إلى لفظ الجلالة "الله" عز وجل . و ثمانية إلى ضمير.

فمن المعرف بالمورفيم (ال) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ... ﴾[(٣)].

و من المعرف بالإضافة إلى لفظ الجلالة قوله تعالى: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ ﴾[(٤)].

و من المعرف بالإضافة إلى ضمير قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ... ﴾[(٥)].

ولعل غلبة التعريف ب (ال) ترجع إلى ما سماه نحاة العربية القدماء ب "لام العهد"[(٦)]؛ أي هذه الأرض التي تعرفونها أيها المخاطبون. ونلحظ هنا أن المفسرين لم يلتفتوا إلى هذه الصيغ بين التعريف و التنكير، وكأنهم اكتفوا بما قاله المعجميون العرب حين عرضوا لهذا اللفظ: "التي عليها الناس ".

و نرى هنا قلة الإضافة إلى لفظ الجلالة؛ و ذلك لاعتراف الكافرين من المخاطبين

---

(١) انظر د. عبد الحميد ابراهيم ١/٧٢، و ما بعدها.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣/٢٧.

(٣) سورة البقرة ٢/٢٢.

(٤) سورة الزمر ٣٩/١٠.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣/٢٧.

(٦) رأى لغويو العربية القدماء أن لمورفيم التعريف (ال)أنواعا " دلالات" هى: العهد و الجنس و التعويض و التعريف و الزيادة و المدح و التحسين و الموصولة. انظر سيبويه ١/١٣، ٢، ٣/١٤،١٩٦،١٩٥/٣٢٥ و ابن عقيل ١/١٧٩، ١٨٣ و ابن هشام – شرح قطر الندى ١٥ وأبو حيان ١/٥١٤، ٥١٧ و السيوطى – الأشباه و النظائر ٢/٥٦، ٥٧ والبغدادى ١/٢،٣٥٧١/٢٩٣، ٤/٢٠٦، ٤٤٨، ٦/٧،٧٢/٢٠٢،١٩٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بالقرآن الكريم وقت نزوله أن الأرض أرض الله؛ كما حكى القرآن العظيم عنهم بقوله عز وجل مثلا: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

أما الإضافة إلى الضمير فقد تنوعت إلى ضمير جمع المذكر السالم المخاطب في ثلاثة مواضع، و الجمع الغائب في موضع واحد، مع اختفاء الإضافة إلى غير هذه الضمائر؛ لأن القرآن الكريم تكلم عن أقوام نسبوا المكان الذي يعيشون فيه إلى أنفسهم؛ فقالوا: (أرضنا) فصار هذا المكان (أرضهم)، وخوطبوا به، فقيل لهم: (أرضكم). على حين خاطب الله تعالى عباده فقال لهم: ﴿ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ... ﴾[2].

ولم يقص علينا القرآن الكريم شيئا عن أحد ادعى أن الأرض (أرضه)، أو اثنين ادعيا أن الأرض(أرضهما) كما لم يحك عن نساء ملكن الأرض (أرضهن)؛ لأن القوامة في القرآن للرجال.

دلالة الأرض:

تنوعت دلالة الأرض في كتاب الله تعالى إلى أقسام أربعة؛ هي:

١. دلالة الكرة الأرضية كلها: و ذلك هو الغالب فيه؛ حيث ورد لفظ الأرض بتلك الدلالة عشرين وأربعمائة (٤٢٠) مرة، منها قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[3]. وهي دلالة تعود بنا إلى أصل وضع هذه الكلمة، الذي أشار إليه المعجميون بقولهم: (التي عليها الناس) – كما سبق[4].

٢ ـ دلالة موضع محدد على وجه الكرة الأرضية: و قد ورد تسعا وثلاثين (٣٩) مرة؛ حسب الدلالات التالية:

أ- مكان قبيلة ثمود (شمال غرب المملكة السعودية):

جاء هذا التحديد في معرض الحديث عن تلك القبيلة في أربعة مواضع؛ منها قوله تعالى – خطابا من صالح عليه السلام لقومه: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[5].

ب- مكان قبيلة مدين (جنوب الأردن):

وذلك في ثلاثة مواضع؛ منها قوله عز وجل ـ خطابا من شعيب عليه السلام لقومه:

---

(١) سورة المؤمنون ٨٤/٢٣، ٨٥ وانظر: القرطبي ١٤٦/١٢ وأبو حيان ٤١٧/٦ و ابن جزيّ ٥٥/٣ و الثعالبي ١٠٣/٣.

(٢) سورة العنكبوت ٥٦/٢٩.

(٣) سورة الشمس ٩١/ ٦.

(٤) راجع مبحث المحور المعجمي.

(٥) سورة الأعراف ٧٤/٧ و قد عمم المفسرون دلالة (الأرض) مع أن سياقها يوحي بما عرفه منها شعيب، و ما عاش عليه هو وقومه. انظر: القرطبي ٢٤٨/٧ وا بن جزيّ ٣٨/٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [(١)].

ج. المدينة المنورة:

جاءت تلك الدلالة في موضع واحد؛ في معرض الكلام عن اليهود الذين كانوا يسكنونها؛ في بداية العهد المدني في الإسلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَـٰرَهُمۡ... ﴾ [(٢)].

د. فلسطين:

وردت في ثمانية مواضع؛ منها قوله تعالى ـ خطابا من موسى عليه السلام لقومه: ﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ... ﴾ [(٣)]. وقد تعددت الإشارة إلى هذا المكان لكثرة الحديث عن الأنبياء الذين عاشوا فيه؛ ولذلك وصفه الله تعالى بالتقدس، وفي مواضع أخرى بالبركة [(٤)].

هـ. مصر:

وردت دلالتها في اثنتين وعشرين آية (٢٢) مرة؛ منها قوله تعالى:﴿ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ [(٥)]. وترجع كثرة ورود الأرض بدلالة مصر لوجود بني إسرائيل فيها منذ يوسف إلى موسى عليهما السلام؛ حيث كثر الحديث عن تلك الفترة الزمنية؛ وبخاصة في عهد موسى وما لاقاه من فرعون وملئه ومنهم [(٦)].

و. مكة المكرمة:

جاءت دلالتها في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ... ﴾ [(٧)] حيث يعود ضمير المتكلمين في (أرضنا) على كفار مكة [(٨)].

---

(١) سورة العنكبوت ٣٦/٢٩ ولم يذكر دلالتها القرطبي ٣٤٣/١٣، ولا ابن جزى ١١٦/٣ ولا غيرهم.

(٢) سورة الأحزاب ٢٧/٣٣، وقد اختلف فيها المفسرون كثيرا؛على أنها (مكة المكرمة أو حنين أوبلاد فارس أوبلاد الروم)، وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. انظر: القرطبي ١٦١/١٤ وأبو حيان ٢٢٥/٧، وابن جزى ١٣٦/٣.

(٣) سورة المائدة ٢١/٥، والأكثرون على أنها الشام (فلسطين).انظر:القرطبي ١٢٥/٦، وأبو حيان ٤٥٤/٣ وابن جزى ١٧٣/١ والثعالبي ٤٥٤/١.

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَـٰلَمِينَ ﴾، سورة الأنبياء ٧١/٢١، كذلك اختلفوا فيها، والجمهور على أنها الشام (فلسطين). انظر: القرطبي ٣٠٥/١١، وأبو حيان ٣٢٩/٦، وابن جزى ٣٠/٣ والثعالبي ٥٩/٣.

(٥) سورة الإسراء ١٠٣/١٧.

(٦) لا تكاد تخلو سورة من كتاب الله تعالي من ذكر قصة بني اسرائيل مع موسى - عليه السلام - أو بعض منها، ناهيك عن ذكر مصر وحدها خمس مرات صراحة في القرآن الكريم. انظر: محمد فؤاد عبد الباقي ٦٦٨.

(٧) سورة القصص ٥٧/٢٨.

(٨) انظر: القرطبي ١٣: ٣٠٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

ز. موضع غيبي مجهول المكان وهو الجنة:

جاءت تلك الدلالة في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ... ﴾[(١)]. فالأرض هنا جاءت في معرض حديث المؤمنين عنها بعد دخولهم الجنة[(٢)].

حـ. أسفل الشيء:

ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ... ﴾[(٣)]. أي تباطأتم وكأنكم لا تستطيعون التحرك من أسفل منكم[(٤)].

المواقع الوظيفية:

احتلت الأرض كثيرا من المواقع الوظيفية داخل الجملة في النص القرآني؛ وهى:

المواقع المرفوعة:

جاءت في أربعة وثلاثين (٣٤) موضعا؛ تمثل فيها ما يلي:

أ – المبتدأ: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ... ﴾[(٥)].

ب- اسم كان: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ... ﴾[(٦)].

ج- الفاعل: ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ... ﴾[(٧)].

د- نائب الفاعل: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾[(٨)].

هـ - المنادى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ... ﴾[(٩)].

و- المعطوف علي المرفوع: ﴿ ...لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ.. ﴾[(١٠)].

نلحظ هنا عدم ورود الموقع الوظيفي للخبر المرفوع بنوعيه، خبر المبتدأ و خبر إن وأخواتها؛ و ذلك لأن كلمة الأرض اسم جنس، و لا يخبر باسم الجنس، بل يسند إليه فيبتدأ

---

(١) سورة الزمر ٣٩/ ٧٤.

(٢) انظر: القرطبي ٢٨٧/١٥ وأبو حيان / ٤٤٣ وابن جزي ٣/ ٢٠٠، والثعالبي ٤/ ٦٤.

(٣) سورة التوبة ٩/ ٣٨.

(٤) فهمها المفسرون علي أنها بمعنى التخلف عن القتال والركون إلى الدعة، انظر: القرطبي ٨/ ١٤٠، وابن جزي ٢/ ٦٧.

(٥) سورة الزمر ٣٩/ ١٠.

(٦) سورة النساء ٤/ ٩٧.

(٧) سورة البقرة ٢/ ٦١.

(٨) سورة الزلزلة ٩٩/ ١.

(٩) سورة هود ٤٤.

(١٠) سورة هودالمؤمنون ٧١ ٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

به[1].

المواقع المنصوبة:

جاءت ثلاثة مواضع منها في تسعين (٩٠) موضعا؛ و هذه المواضع هي:

أ- اسم إن: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ... ﴾[2].

ب- المفعول به: ﴿ ... وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ... ﴾[3].

جـ. المعطوف على المنصوب: ﴿ ...خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ... ﴾[4].

نجد هنا فقدان خبر "كان" للسبب نفسه الذي عرضناه في فقدان الخبر المرفوع، كما نلحظ كثرة الآيات التي وردت فيها هذه المواقع الوظيفية المنصوبة؛ بما يقارب ثلاثة أضعاف المواقع المرفوعة (٩٠: ٣٤)؛ مما يؤيد نظرية خفة نطق الفتحة وصعوبة الضمة[5]؛ حيث لفظ الأرض المفرد يعرب بالعلامات الأصلية؛ فيرفع بالضمة و ينصب بالفتحة و يجر بالكسرة.

المواقع المجرورة:

جاءت منها أربعة مواقع في سبع وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٧) موضع، وهذه المواقع هي:

أ- الاسم المجرور بمورفيم الجر: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾[6].

ب- المقسم به: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[7].

جـ. المضاف إليه: ﴿ ... وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ.. ﴾[8].

د. المعطوف على المجرور: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾[9].

نجد هنا كثرة المواضع التي وردت فيها مواقع الجر؛ حيث بلغت نسبتها ٧٣ % (٣٤: ٩٠: ٣٣٧)؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن النص القرآني قد استعمل لفظ الأرض بالحديث عما

---

(١) رأي لغويو العربية القدماء أن الخبر يكون مشتقاً (وصفاً أو فعلاً أو ظرفاً) أو جملة. انظر: الزجاجي ٣٦، وابن عقيل ٢٠١، وابن هشام – شرح شذور الذهب ١٨٣، وابن عصفور ٨٣، والبغدادي ٤٠٧/١.

(٢) سورة الأعراف ١٢٨/٧.

(٣) سورة الكهف ٤٧/١٨.

(٤) سورة الأنعام ١/٦.

(٥) الفتحة (a) حركة متسعة مجهورة أمامية، والضمة (u)حركة ضيقة مجهورة خلفية. انظر: د. إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية ٢٩ وما بعدها ود. رمضان عبد التواب – المدخل إلي علم اللغة ٩٢، ٩٣.

(٦) سورة الشورى ٤٢ / ٣١.

(٧) سورة الشمس ٩١/ ٦.

(٨) سورة الأنعام ٥٩/٦.

(٩) سورة الرحمن ٢٩/٥٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

"عليها " من البشر أو الحيوانات، وما "فيها" من جبال و معادن وأنهار، و ما يخرج "منها " من أنواع النبات. ولذلك جاءت هذه المواقع مسبوقة بالمورفيمات الجارة (على / في / من)، ناهيك عن العطف على المجرور، وهو غالبا ما يكون لفظ السماء مفردا أو جمعا.

مما سبق نرى اتساع استعمال لفظ الأرض في القرآن الكريم بوصفه ممثلا للغة العربية الفصحى التي كانت مستعملة في نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلاديين؛ حيث خوطب العرب آنذاك بما كانوا ينطقون ويفهمون. كما رأينا ورود هذا اللفظ هنا مقارنا بوروده في العصر الجاهلي ممثلا في المعلقات السبع التي لم تستعمله إلا ثلاث مرات؛ على حين ارتفع في القرآن الكريم إلى ٤٦١ مرة.

كما أن دلالته في المعلقات تراوحت بين أسفل الشيء و مكان محدد على سطح الكرة الأرضية. أما في كتاب الله الكريم فقد اتسعت دلالته إلى أربع؛ الاثنتين السابقتين والكرة الأرضية كلها والجنة، ناهيك عن المواقع الوظيفية المتعددة في القرآن الكريم. وكلا العصرين لم يستعملا إلا اللفظ المفرد "أرض". وهذا يبين لنا أن الإسلام العظيم - من خلال النص القرآني - قد أحدث ما يمكن أن نسميه (ثورة لغوية) وبخاصة في مجال دلالة المفردات التي هي أسرع مجال في التغير[(١)] .

خامسا: الأرض في العصر الأموي:

تمثلت عينة الدراسة في هذا العصر في شعر عمر بن أبى ربيعة الذي اشتهر بالغزل الصريح[(٢)] ، ولعل اختيارنا لهذه العينة جاء من الموضوع الشعري العام لقصائد ابن أبى ربيعة؛ ذلك لأن الغزل يرتبط بمحبوبة متغزل فيها من خلال ذكر أرضها وديارها. وباستقراء شعره من خلال ديوانه؛ وجد أن لفظ الأرض قد ورد فيه إحدى وثلاثين (٣١) مرة؛ حسب التفاصيل التالية:

تنوعت دلالة الأرض إلى ثلاثة أقسام هي:

١. الكرة الأرضية: جاءت في اثنيّ عشر بيتا (١٢) بيتا، نختار منها قوله:

و لو سلك الناس في جانب   من الأرض واعتزلت جانبا[(٣)]

٢. مكان محدد: و جاء ذلك في ثمانية عشر (١٨) بيتا و تنوع إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) راجع هامش (٢٥).

(٢) انظر: د: عبد الله التطاوي ٣٧١، ٣٧٢.

(٣) عمر بن أبي ربيعة ٦٦، والبيت من المتقارب.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

. المكان الذي تعيش فيه المحبوبة، ومنه قوله:

و قولها لأختها أمطمئن عمر

بأرضنا فماكث أم حان منه السفر[1]

. المكان الذي يعيش فيه هو، ومنه قوله:

إن تنظروا اليوم الثواء بأرضنا فغد لكم رهن بحسن ثواء[2]

. مكان متوسط بينه وبين من يحب، ومنه قوله:

إحدى بنات عمى دون منزلها أرض بقيعانها القيصوم و الشيح[3]

٣ . أسفل قوائم الدابة:

جاءت هذه الدلالة في موضع واحد، هو قوله:

فقالت فما شئتن قلن لها انزلي فللأرض خير من وقوف على رحل[4]

وقد تنوع هذا اللفظ بين المعرفة والنكرة.

١ ـ ورد التعريف في تسعة عشر(١٩) بيتا؛ موزعا بين التعريف بالمورفيم (ال) والإضافة إلى الضمير المتصل، وذلك على النحو التالي:

أ. جاء بالمورفيم (ال) في أربعة عشر بيتا، منها قوله:

سكن الغور مربعهن حتى رأين الأرض قد جعلت تهيج[5]

ب- جاء مضافا إلى الضمير المتصل في خمسة مواضع؛ تراوحت بين:

. ضمير جمع المذكر السالم المخاطب في بيتين، منهما قوله:

ثم ما نمت بعدكم من منام منذ فارقت أرضكم مطمئنا[6]

. ضمير جمع المتكلمين في بيتين، منهما قوله:

إن تنظروا اليوم الثواء بأرضنا فغد لكم رهن بحسن ثواء[7]

. ضمير المفرد المؤنث الغائب، في بيت واحد هو:

---

(١) نفسه ١٩٦، والبيات من مجزوء الرجز.

(٢) نفسه ١٢، والبيت من الكامل.

(٣) نفسه ٨٦، والبيت من البسيط.

(٤) نفسه ٢٩٣، والبيت من الطويل.

(٥) نفسه ٢٩٣، والبيت من الوافر.

(٦) نفسه ٤٠٦، والبيت من الطويل.

(٧) نفسه ١٢، والبيت من الكامل.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أحب الألى يأتون من نحو أرضها   إلى من الركبان أقربهم عهدا[(١)]

٢ . جاء التنكير في اثنيّ عشر بيتا (١٢)، منها قوله:

سيار أرض لا أنيس بها   فيها شريعته ومبتهله[(٢)]

احتل هذا اللفظ المواقع الوظيفية التالية:

١. المواقع المرفوعة:

وردت في ثلاثة أبيات، وتمثلت في موقعين هما:

. المبتدأ: ورد مرتين، منهما قوله:

إحدى بنات عمي دون منزلها   أرض بقيعانها القيصوم والشيح[(٣)]

. الفاعل: جاء مرة واحدة في قوله:

إذ غاب عنا من نخاف و طاوعت   أرض لنا بلذادة و خلاء[(٤)]

٢. المواقع المنصوبة:

ورد منها المفعول به وحده في خمسة أبيات، منها قوله:

سوف آتى زائرا أرضكم   بيقين – فاعلميه – غير ظن[(٥)]

٣. المواقع المجرورة:

وردت في ثلاثة وعشرين بيتا (٢٣)، وتمثلت في موقعين هما:

. المجرور بمورفيم الجر في ثلاثة عشر بيتا (١٣) منها قوله:

فقلت لها خير اللقاء ببلدة   من الأرض لا يخشى بها الحدثان[(٦)]

- المضاف إليه في عشرة (١٠) أبيات:

وشاقني المنى للقاء هند   وعرض الأرض واسعة سواها[(٧)]

من هذا العرض نرى كثرة ورود المواقع المجرورة؛ مثلما ورد في القرآن الكريم،على حين لم يستعمل الشاعر من المواقع المنصوبة إلا المفعول به وحده في أبيات توسطت بين المواقع

---

(١) نفسه ٩٧، والبيت من الطويل.

(٢) نفسه ٣٢٥، والبيت من السريع.

(٣) نفسه ٨٩، والبيت من البسيط.

(٤) نفسه (١١)، والبيت من الكامل، وفي الأصل (إذا) والصحيح ما أوردناه (إذ)، لأن (إذا) تغيروزن الشطر الأول من الكامل إلي الطويل، مع أن القصيدة كلها من الكامل.

(٥) نفسه ٤١١، والبيت من الرمل.

(٦) نفسه ٣٩٦، والبيت من الطويل.

(٧) نفسه ٤١١، والبيت من الوافر.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

المرفوعة القليلة و المجرورة الكثيرة. و ذلك هو ما وجدناه في القرآن الكريم؛ أي إن الشاعر حافظ على درجة شيوع الاستعمال ـ كما أقره القرآن الكريم ـ ربما دون وعي منه، و لكنها الكفاءة اللغوية التي ترسبت في ذهنه فأبدع من خلالها[1].

نرى كذلك حفاظ الشاعر على الدلالات القرآنية – إن صح التعبير- للفظ (الأرض) التي تنوعت بين الكرة الأرضية وأسفل الشيء ومكان محدد عليها، لكنه أورد دلالة المكان المحدد أكثر من غيرها؛ وذلك لارتباط الأرض بمحبوبته؛ فهي أرضها أو أرض قريبة منها أو أرضه التي يريدها أن تقترب من أرض محبوبته. وفي كل الحالات ارتبطت الأرض عنده بالغزل الصريح– الذي هو الموضوع الرئيس للنص الشعري عنده وكأني به يثبت لنا أن الغزل في المحاسن الجسمية للمرأة يتعلق بالأرض، ولا يسمو فوقها، بل يلامس من يمشي عليها ويعيش فيها ويتنقل منها إليها. أما في حالتي التعريف و التنكير فنجد التعريف أكثر، وهذا هو ما لمسناه في كتاب الله آنفا.

سادسا – الأرض في العصر العباسي:

جاء العصر العباسي ليؤسس قاعدة معرفية في كل علوم اللغة العربية لما شهده من حركة تأليف و ترجمة، وانفتاح على الثقافات والحضارات المعاصرة له، و بخاصة الفارسية واليونانية والسريانية. و من البدهي أن تتأثر اللغة بذلك ـ و بخاصة المنطوقة ـ في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. و سأحاول هنا الكشف عن التغير الدلالي من خلال لفظ الأرض، وقد وقع اختيارنا على ديوان شعر ابن عبدون الأندلسي "ت ٥٢٠هـ" ممثلا لذلك العصر و للبيئة الأندلسية، التي شهدت أنواعا من التغير بفعل ما بها من بيئة اجتماعية وجغرافية مختلفة عن المشرق العربي في بغداد و الحجاز و الشام[2]. و باستقراء الديوان وجدنا أن هذا اللفظ قد تكرر ثماني عشرة (١٨) مرة في ثمانية عشر بيتا؛ حسب التفصيلات التالية:

حمل هذا اللفظ دلالتين هما:

- الكرة الأرضية:

---

(١) الكفاءة اللغوية مصطلح من مصطلحات النظرية التوليدية التحويلية، وتعني مجموعة القواعد اللغوية المنظمة للغة والمترسبة في عقل الفرد، ومن خلالها ينتج الفرد كلامه. انظر: (N. Chomsky; (١٩٧٢); pp. ٤, ٣١, ١١٥)، (N. Chomsky; (١٩٦٩); P. ٩)، (N. Chomsky; (١٩٧٦); PP. ١٨, ٢٤)، (F. Palmer; (١٩٧٥); pp. ١٥٦, ١٥٧)، (R. De Beaugrand; (١٩٩٣); p. ١٥١).

(٢) انظر: د سعيد اسماعيل ٢١، ٢٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وذلك في تسعة أبيات، منها قوله:

فسلني عن ملوك الأرض تسأل   خبيرا فاقض حق الاستماع[١]

مكان محدد:

جاء ذلك في تسعة أبيات أيضا، وله أقسام هي:

أ . أرض الأندلس: ذكرها في ثلاثة أبيات، منها قوله:

و الأرض في حلل قد كاد يحرقها   توقد النور لولا ماؤها الجارير[٢]

ب . أرض المشرق العربي: ذكرها في بيتين، منهما قوله:

يا أيها المتنبي   من أرض وادي الحجارة[٣]

جـ . الأرض التي يقطعها الشاعر سعيا إلى الممدوح: ذكرها في بيتين، منهما قوله:

لمن أينق تأكل الأرض وخدا   تريني العوالى إلى الغرب تحدى[٤]

د- أرض الروم: ذكرها في بيت واحد هو:

وأجعل أرض الروم تجلو تلاعها   عليك زرودا والحي والمطاليا[٥]

هـ- صحراء معروفة للشاعر مجهولة لغيره: و ذلك في بيت واحد هو:

رمت في البحر منك و لم تعرج   على أرض بقيعتها سراب[٦]

تنوعت صيغة هذا اللفظ بين التعريف والتنكير.

التعريف:

جاء في ستة عشر بيتا (١٦) منها أحد عشر ورد معرفا فيها بالمورفيم (ال)، منها قوله:

وقد لفظتني الأرض إلا تنوفة   يحدثني فيها العيان فيكذب[٧]

على حين جاء التعريف بالإضافة في خمسة أبيات، منها قوله:

في مناكب أرض الله مضطرب   إن سامحت بي النوى لخم و مخزوم[٨]

---

(١) ابن عبدون ١٦١، واليبت من الوافر.

(٢) نفسه – ١٥٣، والبيت من البسيط.

(٣) نفسه – ١٣٤، والبيت من المجتثر.

(٤) نفسه -١٢٢ والبيت من المتقارب.

(٥) نفسه – ١٩٣، والبيت من الطويل.

(٦) نفسه – ١٠٧، والبيت من الوافر.

(٧) نفسه – ١٠٥، والبيت من الطويل.

(٨) نفسه -١٧٥ والبيت من البسيط.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

التنكير:

ورد في بيتين اثنين، منهما قوله:

هجرت إليك الأقربين مهاجرا   ولم أرض أرضا كل ساكنها عم[1]

. احتل هذا اللفظ المواقع الوظيفية التالية:

١. الرفع:

جاء فيه المبتدأ والفاعل في أربعة أبيات:

. المبتدأ ورد في بيتين، منهما قوله:

والأرض قد لبست أدراع أبحرها   وجردت فوق أيديها ظبا القدر[2]

. الفاعل: ورد في بيتين، منهما قوله:

أنت الذي باهت الأرض السماء به   ولا لها بك إن باهتك من قبل[3]

٢. النصب:

جاء هذا الموقع متمثلا في المفعول به وحده في سبعة أبيات، منها قوله:

إليه أكلت الأرض بالعيس ثائرا   وقد أكلت منها الذرى والحواميا[4]

٣. الجر:

جاء من المواقع المجرورة اثنان:

. المجرور بمورفيم الجر، وورد في بيتين، منهما قوله:

رمت في البحر منك ولم تعرج   على أرض بقيعتها سراب[5]

. المضاف إليه: وجاء في خمسة أبيات، منها قوله:

سيارة في أقاصي الأرض قاطعة   شقاشقا هدرت في البدو والحضر[6]

إذا كانت أبيات الديوان الذي يمثل العينة المدروسة هنا قد بلغت سبعة وعشرين وأربعمائة بيت فإن ذكر الأرض ورد في ثمانية عشر بيتا، وتلك نسبة قليلة جدا تبلغ ٤،٢ % ويعد ذلك ابتعادا من الشاعر عن ذكر هذا اللفظ إلا في مواقف قليلة جدا؛ تجلت في

---

(١) نفسه – ١٨٥ والبيت من الطويل.

(٢) نفسه ١٥٨، والبيت من البسيط.

(٣) نفسه ١٧٤، والبيت من البسيط.

(٤) نفسه – ١٩٠، والبيت من الطويل.

(٥) نفسه – راجع هامش ٩٥.

(٦) ابن عبدون ١٥٢، والبيت من البسيط.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

سياقات متقاربة، وحقلين دلاليين[1] هما:

التنقل من مكان لآخر بنفسه أم على ظهر الناقة.

بعض المناظر الطبيعية المرتبطة بالبيئة الأندلسية، مثل الليل والحدائق والربيع.

ورغم أن الأرض – بدلالة المكان المحدد – مختلفة في الأندلس عن شبه الجزيرة العربية إلا أن الشاعر لم يكثر من ذكرها، حيث لم يرتبط بها بل ارتبط بما عليها من لهو ولعب مع المحبوبة وتنقل وتمتع بمناظرها الخلابة. ولذلك لم يحافظ عليها العرب، فضاعت منهم بعد أربعة قرون من فتحها عام ٩٢ حتى عام ٤٩٢هـ[2]. ونرى عند ابن عبدون وجود دلالتين اثنتين للأرض، وهما الكرة الأرضية، ومكان محدد عليها؛ مع تساوي عدد مرات إيراد كلتيهما، دون وجود الدلالة الثالثة؛ وهي أسفل قوائم الناقة. وقد غلب التعريف التنكير، حيث جاء الأول في ستة عشر بيتا، والثاني في بيتين اثنين، وهو ما يكاد يتناسب مع ما ذكر في كتاب الله تعالى، ويزيد عما ورد في العصر الأموي عند عمر بن أبي ربيعة. نرى أيضا الاتفاق في ذكر المواقع الوظيفية بين الشاعرين الأموي والعباسي؛ فهي عندهما فاعل ومبتدأ ومفعول به ومجرور بمورفيم الجر ومضاف إليه، وذلك لا يتناسب مع ما ورد في القرآن الكريم الذي أحاط بمواقع وظيفية عديدة لها.

جاء تعبير اصطلاحي واحد في هذه العينة المدروسة، وهو" بين سمع الأرض وبصرها "، في البيت التالي:

وأنفذت في كليب حكمها ورمت مهلهلا بين سمع الأرض والبصر[3]

والتعبير هنا محول عن الأصل المذكور آنفا (بين سمع الأرض وبصرها)، ويرجع سبب التحويل التركيبي في المركب الإضافي (بصرها)إلى الاسم المعرف بالمورفيم (ال) "البصر" إلى ضرورة القافية المطلقة؛ وهى الراء المكسورة. ولم نجد أي تعبير اصطلاحي يتضمن لفظ الأرض، فيما سبق دراسته من عينات في العصور الثلاثة السابقة على هذا العصر. ولم يستعمل الشاعر أي مشتق اسمي أو فعلى أو وصفى للأرض، سواء بالتعريف أم بالتنكير، وهو ما وجدناه في العينات السابقة، وهو ما لم نجده أيضا في العينات اللغوية للعصور السابقة.

---

(١) انظر: د.أحمد عارف حجازي ١٢.

(٢) انظر: د. احمد هيكل ٢٥، ٢٩.

(٣) ابن عبدون ١٤١، والبيت من البسيط.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

سابعا – الأرض في العصر الحديث:

نحاول في هذا المحور أن نستكشف كيفية استعمال الفصحى المعاصرة للفظ الأرض من خلال عينة عشوائية لشاعر عربي مصري معاصر،هو أمل دنقل (١٩٤٠:١٩٨٣م)، و قد اخترت مجموعته الشعرية الكاملة المكونة من سبعة دواوين هي: "مقتل القمر – البكاء بين يدي زرقاء اليمامة- تعليق على ما حدث- العهد الآتي –أقوال جديدة عن حرب البسوس- أوراق الغرفة- قصائد متفرقة". وباستقراء هذه العينة اللغوية تبين لنا أن هذا اللفظ قد ورد إحدى وخمسين (٥١) مرة؛ حسب التفاصيل التالية:

. تعددت دلالة الأرض في شعر أمل دنقل؛ حيث وردت لها دلالات ثلاث هي:

. الكرة الأرضية: و ذلك في واحد وعشرين (٢١) موضعا، منها:

قالت الراهبات: سلام على الأرض[١]

. مكان محدد: ورد ذلك في خمسة و عشرين (٢٥) موضعا؛ حاملا دلالتين اثنتين هما:.

. فلسطين: وردت دلالتها في خمسة عشر(١٥) موضعا، منها:

و الذي اغتالني محض لص   سرق الأرض من بين عيني[٢]

. مصر: جاءت دلالتها في عشرة (١٠) مواضع، منها:

الأرض ما زالت بأذنيها   دم من قرطها المنزوع[٣]

. الاتجاه إلى أسفل: ورد في خمسة (٥) مواضع، منها:

وتسقط حنجرة مخرسة   معها يسقط اسمك يا مصر في الأرض[٤]

. تنوعت صيغة الأرض بين التعريف والتنكير:

. التعريف: جاء في تسعة وأربعين (٤٩) موضعاً موزعاً بين التعريف ب (أل) والإضافة.

. التعريف بالمورفيم (أل): جاء في ثلاثة وأربعين (٤٣)موضعاً، مها قوله:

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرة[٥]

. التعريف بالإضافة: ورد في ستة (٦) مواضع،منها:

الإضافة إلى اسم: في خمسة(٥) مواضع، منها:

---

(١) أمل دنقل، أوراق الغرفة ٨، قصيدة ديسمبر ٣٨٠.

(٢) نفسه – أقوال جديدة عن حرب البسوس، قصيدة لا تصالح ٣٣٥.

(٣) نفسه – البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، قصيدة كلمات سبارتاكوس الأخيرة ١١٧.

(٤) نفسه – العهد الاتي – قصيدة الإصحاح السادس ٢٧٢.

(٥) نفسه – مقتل القمر، قصيدة قلبي والعيون الخضر٦٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف[1]

الإضافة إلى الضمير: في موضع واحد، وهو:

أرضها لا تعرف الموت فيما الـ موت إلا عودة أخري قريبة[2]

. التنكير: ورد في موضعين اثنين، منهما قوله:

هذا قدر المهزوم لا أرض... ولا مال[3]

ـ تعددت المواقع الوظيفية بين الرفع والنصب والجر:

الرفع: جاء في أربعة عشر(١٤) موضعاً؛ تنوعت بين المبتدأ والفاعل واسم كان والمنادي والتابع لمرفوع، على النحو التالي:

. المبتدأ: ورد سبع(٧) مرات منها:

الأرض ملقاة علي الصحراء... ظامئة[4]

. الفاعل: ورد ثلاث مرات منها:

عادت الأرض... لكنه لا يعود[5]

. اسم كان: ورد مرة واحدة في قوله:

فلتكن الأرض لي... ولهم[6]

. المنادي: ورد مرة واحدة في قوله:

يا أرض هل يلد الرجال ؟[7]

. تابع المرفوع: ورد منه البدل وحده في موضعين اثنين، منهما قوله:

هذه الأرض التي ما وعد الله بها[8]

ـ النصب: جاء في تسعة(٩) مواضع؛ تمثل فيها موقعا المفعول به واسم لا النافية للجنس.

. المفعول به: ورد في ثمانية(٨) مواضع، منها قوله:

---

(١) نفسه – قصائد متفرقة، قصيده العراف الأعمى ٤٣٤.

(٢) نفسه – قصائد متفرقه، قصيدة لا ابكيه ٤٢٩ والبيت من الرمل.

(٣) نفسه – تعليق علي ما حدث، قصيده في انتظار السيف ص ١٩٥.

(٤) نفسه – البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، قصيدة كلمات سبارتاكوس الأخيرة ١١٧.

(٥) نفسه – العهد الآتي، قصيدة سفر ألف دال ٢٩٢.

(٦) نفسه – العهد الآتي، قصيدة الإصحاح الثالث ٢٧٢.

(٧) نفسه – البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، قصيدة كلمات سبارتاكوس الأخيرة ص ١٢٠.

(٨) نفسه – العهد الآتي، قصيدة خاتمة ٣١٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

علي ظهر الجواد العربي المترنح....

ينقلون الأرض نحو الناقلات [1]

. اسم لا النافية للجنس: ورد مرة واحدة هي قوله:

هذا قدر المهزوم، لا أرض... ولا مال [2]

ـ الجر: جاء في ثمانية وعشرين (٢٨) موضعاً، تمثل فيها المجرور بمورفيم الجر وبالإضافة.

. المجرور بمورفيم الجر: جاء في عشرين موضعاً، منها:

تفرش أطفالك في الأرض بساطاً [3]

. المجرور بالإضافة: ورد في ثمانية (٨) مواضع، منها:

والظل الخائف يمدد من تحتي   يفصل بين الأرض وبيني [4]

مما سبق يتبين لنا ما يلي:

. استعمال أمل دنقل " الأرض " بالدلالات الثلاث السابقة الواردة في العصور التاريخية المدروسة آنفا، وهي الكرة الأرضية والمكان المحدد والاتجاه إلى أسفل. وقد أورد الدلالة الأولى في مواضع كثيرة، لكنها أقل من دلالة المكان المحدد، على حين جاءت الدلالة الثالثة في المرتبة الأخيرة بالنسبة لهما. أما المكان المحدد فقد تراوح عنده بين مصر وفلسطين، ومرد ذلك أنه كان مهتماً بقضايا وطنه العربي، فقد عايش فترة ضياع فلسطين حيث " أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر" [5]. كما أنه عايش كثيراً من الأحداث التي مرت بها مصر، وبخاصة نكسة ١٩٦٧ م، وموت عبد الناصر ١٩٧٠م، ومصادمات الشرطة مع الطلبة ١٩٧٢ م، وحرب الاستنزاف [6]. ولذلك راح يسترجع التراث الإسلامي وبخاصة دلالة الأرض فيه؛ التي كثيراً ما جاء تحديد دلالتها بمصر في اثنتين وعشرين مرة، ناهيك عن ذكرها صراحة [7]. كما جاءت دلالة القدس وفلسطين مستوحاة من التراث اليهودي والمسيحي؛ وقد انعكس ذلك من خلال تناص عنوان ديوان كامل؛

---

(١) نفسه – أوراق الغرفة ٨، قصيدة بكائية لصقر قريش ٤٠٢.

(٢) راجع هامش سابق.

(٣) أمل دنقل – تعليق علي ما حدث، قصيدة لا وقت للبكاء ٢٥٦.

(٤) نفسه – قصائد متفرقة، قصيدة العراف الأعمي ٤٣٤.

(٥) عبد العزيز المقالح ٦.

(٦) نفسه ٦-١٠-١٦-٢٠-٢٩.

(٧) راجع مبحث رابعاً.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

عنوانه " العهد الآتي "[1]، وعنوانات بعض قصائده: (سفر – الإصحاح). ولذلك أيضاً قل عنده الاهتمام بما يدور في العالم (الكرة الأرضية)؛ حيث انصب اهتمامه على قضايا وطنه في الفترة التي عاشها.

ـ تعدد حالات الأرض بين التعريف والتنكير؛ مع غلبة التعريف يوحي بما هو شائع في الأذهان عن الأرض، التي وصفها المعجميون القدماء مرة بأنها " معروفة ـ التي عليها الناس ". ولذلك غلب التعريف على التنكير، بل إن حالتي التنكير عنده جاءت إحداهما نكرة مقصودة (منادى) وهي ما أخذت حكم المعرفة دلالة وإعرابا[2].

ـ وجود الأرض في كثير من المواقع الوظيفية المرفوعة يدل على اهتمام الشاعر بها، فقد ابتدأ بها كلامه سبع مرات وأتى بها فاعلاً ثلاثاً، وناداها مرة، وأسند إليها "كان" مرة أخرى، وأبدلها مع المبتدأ مرتين. أما وجودها في المواقع المنصوبة فلم يتعد حيز المفعول به – الذي تكرر ثماني مرات - إلا إلى اسم لا النافية للجنس الذي ورد مرة واحدة، وهنا نجد قلة هذه المواقع مقارنة بالرفع. وكلا الرفع والنصب لا يقارن بالجر الذي وصل إلي ثمان وعشرين مرة؛ منها عشرون مرة بالمورفيم المقيد (حرف الجر)، وذلك لأنه كثيراً ما تحدث "عنها وعما فيها وعما عليها ومالها "، فجرها ب (عن – في – على – ل) ناهيك الجر بالإضافة.

ثامناً – رصد التغير اللغوي عبر العصور المذكورة:

تناولنا بالدراسة فيما مضى خمسة عصور تاريخية، ودرسنا فيها لفظ (الأرض)؛ وهذه العصور هي: الجاهلي وصدر الإسلام والأموي والأندلسي العباسي والحديث. وذلك من خلال أربعة محاور هي:

١ـ الصيغ المستعملة من الجذر (أ – ر – ض).

٢ـ دلالة الصيغة الأصلية (أرض).

٣ـ حالة الصيغة بين التعريف والتنكير.

٤ـ المواقع الوظيفية للصيغة.

وسنحلل تلك التغييرات اللغوية؛ من خلال مستوياتها السابقة فيما يأتي:

الصيغ المستعملة:

١ـ رصدنا قله استعمال لفظ (الأرض) في العصر الجاهلي، وكثرة استعماله في صدر

---

(١) ذلك أن كتاب اليهود المقدس هو العهد القديم، والكتاب المقدس عند المسيحيين هو العهد الجديد والعهد القديم أيضا.

(٢) يعامل المنادى النكرة المقصودة معاملة الاسم العلم؛ حيث يبنى على ما يرفع به، انظر: الزجاجي ١٥٢، وابن يعيش – شرح شذور الذهب ١١٠ وشرح قطر الندى ٢٨٢ وابن عصفور ١ / ١٧٥، والبغدادي ٢ / ١٣٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الإسلام لغرض عقدي؛ هو الحض على التفكير في المخلوقات ـ ومنها الأرض، وقل استعماله مرة أخرى في العصرين الأموي والأندلسي، ثم شيوع استعماله في العصر الحديث. كما تبين لنا أن النصوص اللغوية المدروسة كلها لم تستعمل من مشتقات الجذر (أ – ر – ض) إلا واحداً هو:" أرض "؛ رغم أن المعجميين العرب قد أوردوا لهذا الجذر مشتقات عديدة. أربعة اسمية، وثمانية فعلية، وخمسة وصفية. كما وردت منه أربعة تعبيرات اصطلاحية، وسبع صيغ جموع، منها اثنتان جمع تكسير، واثنتان ملحقتان بجمعه المذكر السالم ـ كما ورد عنهم صيغة إتباع واحدة. وهذه المشتقات كلها تبلغ أربعة وعشرين مشتقاً. ويبدو أنها من صنع اللغويين وافتراضاتهم؛ فيما يمكن أن نسميه (الترف الفكري اللغوي). ودليلنا على ذلك أننا بحثنا نصوصا لغوية متفاوتة على مدى زمني طويل لخمسة عصور تاريخية؛ من عام ٢٠٠قبل الإسلام حتى عام ١٤٨٠هجرية (٣٧٠: ١٩٨٣م)؛ وهو تاريخ وفاة الشاعر أمل دنقل الذي يمثل العصر الحديث؛ فيما يزيد على (ست مئة وألف)١٦٠٠عام. ولم نجد إلا لفظاً واحداً مستعملاً. وهو ما يدل على أن الذي ملأ به المعجميون معاجمهم لم يرصد الاستعمال اللغوي الحي على ألسنة متحدثي العربية آنذاك؛ حيث وقفوا بالاستشهاد عند فترة الاحتجاج اللغوي[1] . بل إن المعجم الوسيط قد انساق وراء هذا المعاجم القديمة ، فأورد ما ذكروه دون تحميص؛ بل اختصر بعض الشواهد القديمة. وقد بدأت إحدى صيغ الجمع ـ وهي "الأراضي" ـ تظهر في الفصحى المعاصرة على اختلاف مستوياتها الفصحى والعامية، في مختلف المجالات الحياتية؛ فيقال في مصر. على المستوى الزراعي والعمراني الجغرافي ـ مثلاً: الأراضي الزراعية والأراضي البور والأراضي الصحراوية. ويقال في ممازحة الأصدقاء – على المستوى الاجتماعي ـ سؤالاً عن أحوالهم: فين أراضيك ؟ fen aradik? أي: أين أنت الآن ؟، وعلي المستوى السياسي يقولون: الأراضي المحتلة، ويقصد بها فلسطين. وليس هناك استعمال لأي صيغة أخرى من صيغ الجمع المذكورة في المعاجم آنفا.

٢. شاعت كلمة (الأرض) في المجال السياسي العربي علماً على فلسطين؛ في قولهم: (الأرض مقابل السلام ـ والأرض المحتلة).

٣ـ اشتقت الفصحى المعاصرة من لفظ الأرض صيغة جديدة؛ هي (أرضية) بدلالات متعددة هي:

أ ـ اللون الغالب في لوحة فنية مرسومة أو منحوتة.

---

(١) امتدت فترة الاحتجاج اللغوى عند لغويي العربية القدماء حتى أواخر القرن الثانى الهجرى فى المدن وأواخر القرن الرابع الهجرى فى البوادي، وبذلك وقف تدوين الاستعمال اللغوي عند ذلك التاريخ.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

ب ـ ملخص موضوع ما أو تقديم له.

جـ ـ أعلى سقف طوابق المنازل؛ لمن يدوسها في الطابق الأعلى.

وربما تكون الدلالة الأخيرة هذه مأخوذة من الدلالة القديمة التي تعني أسفل كل شيء، كما يستعمل فلاحو صعيد مصر هذه الكلمة؛ لتدل على ما يقع من قمح أو برسيم أو فول على الأرض أثناء جمع المحصول.

الدلالة المعجمية:

توزعت الدلالة المعجمية للأرض إلى خمس دلالات هي: الكوكب الذي نعيش عليه، وأسفل قوائم الدابة، وكل ما سفل، والزكام والنفضة. ويمكن أن نعد الدلالتين الثانية والثالثة واحدة؛ مع فارق بينهما في التخصيص والتعميم. ومن خلال ما سبقت دراسته وجدنا استعمال اللغة العربية في عصورها المختلفة لدلالتين اثنتين مما سبق، وهما الكوكب الذي نعيش عليه؛ وهو ما عبرنا عنه بالكرة الأرضية، وكل سفل؛ مع وجود دلالة أخرى، هي مكان محدد علي وجه الأرض. وتعد هذه الدلالة تخصيصاً للدلالة الرئيسة العامة، وهي الكرة الأرضية التي اختفت في العصر الجاهلي؛ فيما اخترناه من نصوص لغوية، على حين استمرت الدلالتان الأخريان مع غلبة الدلالة الأولى. نعرض ذلك في هذا الجدول التالي:

الدلالة	العصر الجاهلي		صدر الإسلام		الأموي		العباسي		الحديث	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الكرة الأرضية	.	.	٤٢٠	%٩١،١	١٢	%٣٨,٧	٩	%٥٠	٢١	%٤٠
مكان محدد	١	%٣٣	٣٩	%٨,٥	١٨	%٥٨	٩	%٥٠	٢٥	%٥٠
أسفل الشيء	٢	%٦٧	١	%٠،٢	١	%٣و٣	.	.	%٠،٥	%١٠
موقع غيبي	.	.	١	%٠،٢	.	.	.	.	.	.
الجملة	٣	%١٠٠	٤٦١	%١٠٠	٣١	%١٠٠	١٨	%١٠٠	٥١	%١٠٠

و منه نتبين أنه لم تستمر دلالة طوال هذه العصور غير دلالة التخصيص (مكان محدد)، كما لم توجد دلالة المكان الغيبي إلا في صدر الإسلام وحده ، و هي دلالة ابتدعها القرآن الكريم دلالة على الجنة في الدار الآخرة، ولم تستخدم قبله ولا بعده. أما دلالة الكرة الأرضية فقد بدأها القرآن الكريم أيضا، و استمرت بعده. و أما دلالة الاتجاه لأسفل فقد بدأت منذ العصر الجاهلي ، و اختفت في العصر العباسي الأندلسي وحده ، ثم عادت في العصر الحديث. وهكذا اللغة تحيا كلماتها في عصر ما، و يموت بعضها في عصر آخر، و لا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تظل على وتيرة واحدة أبدا.

الصيغة بين التعريف و التنكير:

استعلمت اللغة العربية في مختلف عصورها لفظ الأرض معرفا ومنكرا؛ مع غلبة التعريف الذي جاء بالمورفيم (أل) على نظيره المعرف بالإضافة. نعرض ذلك في هذا الجدول التالي:

الصيغة	العصر الجاهلي		صدر الإسلام		الأموي		العباسي		الحديث	
	العدد	النسبة٪	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
التعريف بأل	٢	%٦٧	٤٤٧	%٩٧	١٤	٤٥,٢	١١	%٦١	٤٣	٨٤,٢
بالإضافة	١	%٣٣	١١	%٢	٥	%١٦	٥	%٢٨	٦	١١,٨
التنكيــر	.	.	٣	%١	١٢	٣٨,٧	٢	%١١	٢	%٤
الجملــة	٣	%١٠٠	٤٦١	١٠٠	٣١	١٠٠	١٨	%١٠٠	٥١	١٠٠

ومنه نرى استمرار شيوع استعمال صيغة التعريف منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث؛ مع تفاوت في نسب هذا الاستعمال؛ فقد بلغ العصر الجاهلي أقصى نسبة فيه ، حيث بلغت ١٠٠% من نسب الاستعمال آنذاك، على حين جاءت أقل نسبة له في العصر الأموي، وهى ٦١%.

وقد توزع التعريف بين (أل) والإضافة؛ مع غلبه التعريف بالمورفيم (أل). حيث بلغت أقصى نسبة في صدر الإسلام ممثلاً في القرآن الكريم؛ وهي ٩٧ % وجاءت أقل نسبة في العصر الأموي،وهى ٤٥,٢% أي إن اللغة العربية قد حافظت علي استعمال لفظ (الأرض) بصيغة التعريف بدرجة شيوع متقاربة طوال عصورها التاريخية(٢) .

وقل استعمال صيغة التنكير في مختلف عصور اللغة العربية، ففي العصر الجاهلي لا نجد هذه الصيغة في العينة المدروسة. ومن الغريب أن استعمالها في العصر العباسي والحديث ورد مرتين اثنتين في كل منهما، أما ارتفاع نسبة التنكير في العصر الأموي فراجع إلى حالة الغزل والمجون التي كان يحياها قطاع كبير من المجتمع آنذاك؛ فرارا من حالة البطش والقمع الذي انتشر آنذاك، ومنهم الشاعر عمر بن أبي ربيعة، حيث كان لا يعرف أي أرض هو فيها، فراح ينكرها. ومع ذلك فقد جاءت الأرض عنده موصوفة في سبعة مواضع،

(١) درجة الشيوع تعني نسبة ورود لفظ أو تركيب في نص ما في لغة ما. انظر: (M.Alkholi , (١٩٨٢) , P ٩٨).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

والنكرة الموصوفة تقارب المعرفة في دلالتها، ولذلك جوز نحاة العربية القدماء الابتداء بها(١) ، فإذا طرحنا هذه السبعة مواضع جانباً لبقيت عندنا خمسة، ومع ذلك فهي نسبة أكبر مما ورد في أي عصر آخر. ومن البدهي أن تختلف نسبة التنكير من عصر لآخر؛ نظراً لاختلاف العدد الكلي لورود هذا اللفظ في العينات المدروسة.

المواقع الوظيفية:

إذا كانت علامات الاسم هي الجر والتنوين والنداء وأل والإسناد(٢) ، فإن لفظ الأرض قد استعمل هذه العلامات جميعا؛ فالجر واضح في المواقع المجرورة، والنداء والإسناد واضح في المواقع المعرفة، وأل واضح في التعريف، والتنوين وجدناه في التنكير. ونورد هذا الجدول ليبين التفاوت في المواقع الوظيفية في العصور المختلفة:

الموقع	العصر الجاهلي		صدر الإسلام		العصر الأموي		العباسي		الحديث	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الرفع	١	%٣٣	٣٤	%٧,٣	٣	%٩,٧	٤	%٢٢	١٤	%٢٧,٥
النصب	.	.	٩٠	١٩,٥	٥	١٦,٣	٧	%٣٩	٩	١٧,٥
الجر	٢	%٦٧	٣٦٧	٧٣,٢	٢٣	%٧٤	٧	%٣٩	٢٨	%٥٥
الجملة	٣	%١٠٠	٤٦١	%١٠٠	٣١	%١٠٠	١٨	%١٠٠	٥١	%١٠٠

من هذا الجدول نرى ما يلي:

- حافظ هذا اللفظ علي المواقع الوظيفية للرفع منذ الجاهلية حتى الآن؛ مع تفاوت في أعدادها ونسبها من عصر لآخر، وقد جاءت في المرتبة الأخيرة دائماً، إلا في العصر الحديث؛ حيث توسطت عدداً ونسبة بين النصب والجر. فنائب الفاعل لا وجود له إلا في الجاهلية وصدر الإسلام، والمبتدأ والفاعل ظلا موجودين منذ صدر الإسلام حتى الآن،

---

(١) انظر: سيبويه ٣٢٩/١، ٣٣٤، وابن يعيش ١ / ٨٥، وابن عقيل ٢١٨/١ وابن هشام – شرح شذور الذهب ١٨٢ وشرح قطر الندى ١٦١، وابن عصفور ٨٢. والسيوطي ٦٦/٢.

(٢) انظر: سيبويه ٤ / ٢١٢، وابن يعيش ١، ٢٢، وابن عقيل ١ / ١٦-١٨ وابن هشام – شرح شذور الذهب ١٥، وشرح قطر الندى ١٥، والزجاجي ١ والسيوطي ٩/٢، وقد عدها ثلاثاً وثلاثين علامة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أما المنادى واسم كان وتابع المرفوع فقد ظهرت في صدر الإسلام، ثم ظلت مختفية حتى عادت للظهور في العصر الحديث،وهو ما يسمى ظاهرة "الركام اللغوي"[(١)] . وبذلك نرى أن الفصحى في العصر الحديث قد توسعت في إيراد المواقع الوظيفية لهذا اللفظ بدرجة تقترب مما استعمله القرآن الكريم.

- تقلب هذا اللفظ في المواقع الوظيفية للنصب من صدر الإسلام حتى الآن؛ مع التفاوت الواضح في أعدادها ونسبها أيضاً من عصر لآخر. وقد انعدمت هذه المواقع في الجاهلية.
- احتلت مواقع النصب المركز الثاني بين الرفع والجر إلا في العصر الحديث؛ حيث جاءت نسبتها أقل منهما. فالمفعول به بدأ ظهوره منذ صدر الإسلام حتى العصر الحديث، وهو الموقع الوحيد الذي استمر طوال هذه العصور. أما اسم إن وتابع المنصوب فلم يظهرا إلا في صدر الإسلام وحده، وأما اسم لا النافية للجنس فلم يظهر إلا في العصر الحديث.
- وردت مواقع الجر لهذا اللفظ منذ الجاهلية حتى الآن؛ مع اختلاف في أعدادها ونسبها، فقد سجلت هذه المواقع أعلى عدد ونسبة فيها جميعاً. وقد ورد الموقع المجرور بالمورفيم المقيد والمضاف إليه فيها جميعاً وبأعلى عدد ونسبة أيضاً، أما المجرور بالقسم (المقسم به) والتابع للمجرور فلم يردا إلا في صدر الإسلام وحده.

تاسعاً: الخاتمة:

إذا كانت الأرض قد تغيرت مادياً واقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً، فإن هذا البحث أراد أن يجيب عن سؤال هو: هل تغير لفظها لغوياً؟ وكيف حدث هذا التغير؟ وقد أجاب البحث عنه بالإثبات، وبحث عن الكيفية من خلال بعض العصور التاريخية المتتالية للغة العربية؛ منذ الجاهلية حتى العصر الحديث، واتخذ نصوصاً معينة من كل عصر من تلك العصور، وخرج من هذه الجولة بالنتائج التالية:

- أفاض المعجميون العرب – قديماً وحديثاً – في مشتقات الجذر (أ – ر – ض) رغم أن الاستعمال اللغوي الفصيح – على اختلاف عصوره – فيما أوردناه من العينات – قد اتفق على لفظ واحد هو (الأرض) وأهمل كل المشتقات الوصفية والاسمية والفعلية، كما أهمل كل صيغ جمع هذا اللفظ إلا واحدة.
- ظهر جمع هذا اللفظ بصيغة (أراضي) في الوقت الحالي، كما ولد لفظ جديد هو (أرضية) للدلالة على مقدمة موضوع ما، وأسفل الغرف في المنازل، واللون الغالب في لوحة فنية ما.

---

(١) الركام اللغوي هو ظهور ظاهرة لغوية في وقت ما، ثم اختفاؤها فترة من الزمن، ثم عودتها للظهور مرة ثانية، انظر: في تعريفها: د. رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات ٥٨، ٥٩، ٢٦٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- حمل لفظ الأرض ثلاث دلالات – ظلت معه – من عصر لآخر، وهي: الكرة الأرضية، ومكان محدد عليها، والاتجاه إلى أسفل.
- استحوذ لفظ الأرض على كل علامات الاسم؛ التي أوردها لغويو العربية القدماء.
- تناوب هذا اللفظ في كثير من المواقع الوظيفية للاسم في اللغة العربية؛ المرفوعة والمنصوبة والمجرورة.
- ظل الرفع هو أقل المواقع الوظيفية وروداً إلا في العصر الحديث؛حيث توسط بين النصب والجر.
- احتفظت المواقع الوظيفية المجرورة ـ وبخاصة المجرور بالمورفيم المقيد وبالإضافة ـ بمكان الصدارة في العدد والنسبة منذ الجاهلية حتى الآن.
- جاءت صيغة التعريف أكثر من نظريتها المنكرة في كل عينات العصور المدروسة.
- خصصت (الأرض) في العصر الحديث في المجال السياسي العربي بفلسطين وقضيتها مع اليهود
- جاءت معظم صيغ التنكير موصوفة أو نكرة مقصودة في باب النداء، وهو ما يقربها من التعريف
- لم يظهر هذا اللفظ بكثرة في العصر الجاهلي، على حين ركز القرآن الكريم عليه في صدر الإسلام، وذلك لتثبيت أركان العقيدة بالنظر في خلق الله إياها.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

عاشرا: المراجع

العربيـــــة:

- د. إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – الأنجلوالمصرية . القاهرة ط ٦ .١٩٨١
- د.إبراهيم أنيس – دلالة الأصوات – الأنجلوالمصرية- القاهرة ط ٢ ١٩٦٣
- د.إبراهيم أنيس – موسيقي الشعر - الأنجلوالمصرية - القاهرة ط ٥ ١٩٨١
- د. إبراهيم أنيس – في اللهجات العربية – الأنجلوالمصرية القاهرة ط ٦ ١٩٨٤
- د.إبراهيم أنيس وآخرون -- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – القاهرة – د. ت
- د. إبراهيم السامرائي . التطور اللغوي التاريخي _بيروت، د. ت
- ابن جزي الكلبي . التسهيل لعلوم التنزيل – دار الكتاب العربي . بيروت ط ٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان) – الخصائص – ت:محمد علي النجار . دار الهدي . بيروت، ط٢، د. ت
- ابن سيده . المخصص . ت: لجنة إحياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة . بيروت، د. ت
- ابن عبدون . ديوان ابن عبدون (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه . إعداد وتحقيق وتأليف سليم التنير. دار الكتاب العربي . دمشق ط ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ابن عقيل ـ شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ـ ت: محي الدين عبد الحميد ـ دار التراث . القاهرة ط ٢٠ ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- ابن عصفور ـ المقرب ـ ت:أحمد عبد الستار الجواهري وعبد الله الجبوري ـ بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) . الشعر والشعراء. دار الثقافة . بيروت د. ت.
- ابن منظورالمصري . لسان العرب . ت: عبد الله الكبير وآخرين . دار المعارف . القاهرة د. ت
- ابن هشام الأنصارى ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ت: محيى الدين عبد الحميد، بيروت ط١٩٨٠،٦م.
- ابن هشام الأنصارى– شرح شذورالذهب . ت: محيى الدين عبد الحميد . دار الحديث – القاهرة د. ت.
- ابن هشام الأنصارى – شرح قطر الندى وبل الصدى- مكتبة الرياض - السعودية د.ت.
- ابن يعيش (أبو البقاء) - شرح المفصل للزمخشرى- مكتبة المتنبى – بيروت. د.ت.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- أبو حيان الأندلسي - ارتشاف الضرب من لسان العرب - ت: د. مصطفى النماس – مطبعة المدنى - القاهرة ط١ ١٤٠٩هـ /١٩٨٣م.
- أبو حيان الأندلسي – تفسير البحر المحيط - دار الفكر. بيروت ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- احمد رضا ـ متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) مكتبة الحياة ـ بيروت ١٧٣٣هـ /١٩٥٨م.
- د. أحمد عارف حجازي _ الحقول الدلالية فى القراءات القرآنية الصحيحة _مكتبة الآداب _ القاهرة ٢٠٠٦
- د. أحمد مختار عمر. علم الدلالة. دار العروبة. الكويت ط١ ،١٩٨٢م.
- د.أحمد هيكل ـ الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ـ دار المعارف ـ القاهرة ط١٠ ، ١٩٨٦م.
- أمل دنقل ـ المجموعة الكاملة (مقتل القمر – البكاء بين يدى زرقاء اليمامة - تعليق على ما حدث – العهد الآتى – أقوال جديدة عن حرب البسوس – أوراق الغرفة ٨- قصائد متفرقة). دار العودة. بيروت ط٢، ١٩٨٥ م.
- انطوان مايبه. علم اللسان، ضمن كتاب د. محمد مندور: النقد المنهجى عند العرب. دار نهضة مصر. القاهرة د.ت.
- د.البدراوى عبد الوهاب زهران، فى علم اللغة التاريخى، دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة ط٣، ١٩٨٨ م.
- برجشتراسر- التطور النحوى للغة العربية - أخرجه و صححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى – القاهرة ١٩٨٢م.
- البغدادى (عبد القادر) - خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب _ت: عبد السلام هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة ط٤، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- د. تمام حسان، اللغة العربية، معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.
- د. توفيق شاهين، علم اللغة العام، مكتبة وهبة، القاهرة ط٥، ١٩٧٩م.
- الثعالبى، تفسير الثعالبي (جواهر الحسان فى تفسير القرآن) مؤسسة الأعلمى – بيروت: د. ت.
- جان كانتينو، دروس فى علم أصوات العربية.ت: صالح القرمادى، تونس ١٩٦٦م.
- الجوهري، (اسماعيل بن حماد)، تاج اللغة و صحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور-

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

دار العلم للملايين، بيروت. ط٣. ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤م.

- د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي. مظاهره و علله و قوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٣م.
- د. رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات فى اللغة – مكتبة الخانجي- القاهرة– ط١، ١٩٨٢م.
- د. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية،مكتبة الخانجي، القاهرة ط٢،١٩٨٢ م.
- د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة العربية و مناهج البحث اللغوي،مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٢م / ١٤٠٣ هـ
- الزجاجى (ابو القاسم)، الجمل فى النحو، ت: د/على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦ م.
- الزمخشرى (محمود بن عمر)، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.
- الزوزنى، (أبو عبد الله الحسين)، شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف – بيروت د.ت.
- د. سعد اسماعيل شلبى، البيئة الأندلسية و آثارها فى الشعر، عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٨ م.
- السيوطى (جلال الدين)، الأشباه و النظائر فى النحو، ت: د. فايز ترحينى، دار الكتاب العربى- بيروت،ط١،١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- د. شوقى ضيف، العصر الجاهلى،دار المعارف القاهرة، ط١١ د.ت.
- د. عبد الحميد ابراهيم – الوسطية العربية، الكتاب الأول – المذهب – دار المعارف،القاهرة، ط٢، ١٩٨٥ م.
- د. عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة - القاهرة، ط١، ١٩٦٣ م.
- د. عبد الصبور شاهين، فى التطور اللغوى، المطبعة العالمية- القاهرة ط١،١٩٧٥ م.
- د.عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتى للبنية العربية، رؤية جديدة فى الصرف العربى، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة،ط١،١٩٧٧ م.
- د. عبد العزيز المقالح، أمل دنقل، أحاديث و ذكريات، مقدمة الأعمال الكاملة للشاعر أمل دنقل.
- عبد الله التطاوى، القصيدة الأموية، رؤية تحليلية، مكتبة غريب، القاهرة،١٩٨٤.
- د. على عبد الواحد وافى – علم اللغة – دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٩، د.ت.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- عمر بن أبى ربيعة، ديوان عمر بن أبى ربيعة، دار صادر بيروت،د.ت.
- الفيروزأبادى (مجد الدين)- القاموس المحيط، دار الفكر بيروت د.ت.
- القرطبى، (أبو عبد الله)، تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط٣، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م.
- د. محمود فهمى حجازى، علم اللغة العربية، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣م.
- د. يحيى الجبورى، الشعر الجاهلى، خصائصه و فنونه، مؤسسة الرساله، بيروت، ط٤، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية:

- M. A. Alkhuli (١٩٨٢); A dictionary of theoretical linguistics; Libnan; Bayrouth.
- R. De Beaugrand (١٩٩٣); Linguistic theory; New York.
- N. Chomsky; (١٩٦٩); Topics in the theory of Generative Grammar; New York.
- N. Chomsky; (١٩٧٢); Language and Mind; New York.
- N. Chomsky; (١٩٧٦); Aspects of the theory of Syntax; New York.
- B. Malmbreg; (١٩٦٣); Phonetics; New York.
- Jean Malmstromi; (١٩٦٥); Language in Society. New York.
- F. Palmer; (١٩٧٥); Grammar; New York.
- Nicol C.W. Spenece; (١٩٧٦); Essays in linguistics; London.
- E.H. Sturtevant; (١٩٧٣); Linguistic Change; London.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

آليات تكثيف الدلالة الذاتية والتنسيق للإيحاء وأثرها في تكوين شبكة المعجم التراثي الأصيل طريقة مستقبلية لتلقين المعنى والإمساس والإيحاءات اللغوية في دوائر الدماغ الاصطناعي

د. أمين عبد الكريم (ميشال) باربو

أستاذ مميز في جامعة ستراسبورغ (فرنسا)، دكتور فخري في الآداب والعلوم الإنسانية (جامعة الجزائر)

١.١ مصطلحات المقال: إنها مقتبسة من "معجم المصطلحات اللغوية. إنكليزي عربي"(دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠، ٨٠٦ ص). فهنا مثلا، الدلالة الذاتية هي الإشارة إلى المعنى المعترف به عند الناطقين، المضمون الاصطلاحي المنسوب إلى أصوات اللفظ المعني، والإيحاء هو الإثارة إلى قيم دلالية أخرى– فردية أو جماعية. تعبّر عن أفكار وعواطف قد تغيب عن الشعور أو لا تؤثر على القول وإنما هو مسجل في المقدرة اللغوية (ما سماه ابن خلدون في "مقدّمته" الشهيرة: الملَكة). لقد أثبتت أبحاثي حقيقة التنظيم الإيحائي عل المستوى السيميائي العميق من اللغة – أي تحت المستوى السطحي الظاهر المتّفق عليه عمومًا، ألا وهو مستوى الأشكال الصرفية وقواعد النسق وترتيبها المعياري لكلمات الجمل. سأرجع إلى هذا الطابع البنيوي المهمّ الأهمّ، بل الاستثنائي في لغات البشر: كل لفظ عربي يجمع تنظيمه اللفظو-دلالي الدلالة الذاتية والإيحاء، إذ أنّه يحققه في الفكر نوعان من الدوائر الدماغية: (ا) على السطح مراعاةُ القواعد النحوية عند استخدامها لبرمجة الجملة. (ب) في نفس المناسبة، على المستوى العميق، تنشيطُ الدوائر الدماغية غير النحوية، الخاصّة باختيار كلمات الجملة من حيث معايير سيميائية تخصّ الناطق، ثم البرمجة القصيرة الأمد لتحقيق النطق الآتي. انظروا إلى معالجة هذه المواضيع في مؤلّفاتي الأخيرة، على قيد الطبع بمشيئته سبحانه وتعالى: "محيط العلامات العربية". سأُرجع إليه قرّاءَ المقال المهتمين، بفضل عنوانه المختزَل: محيطي (حيث ضمير المتكلّم يميّزها من القاموس المحيط ومن محيط المحيط).

إنّ بعض مصطلحات هذا المقال مستعمَلة بمضمون جديد، وفْق مقتضَيات النظرية

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الحديثة التي استنبطتها منذ عدة عقود -أي شيئًا فشيئًا - من أعماق المعجم الفصيح والتي سمّيتها "النحت الأكبر"، على أساس تداخل مركبات جميع الألفاظ على صعيدَيِ الدالّ والمدلول معًا حتى أنّه صار يميّز النظام المعجمي العربي تمييزا استثنائيا من سائر اللغات الساميّة المجاورة. سأدلّ ههنا على معالم هذه الشبكة المعجمية وكيفية تحليل بنائها الشكلاني الذي يضمّن تكثيف معطَيات الاختبار الوجودي في الإوالة الدماغية، ولو كان الأعرابي أمّيا لا يقرأ ولا يكتب... إنّ تشابك مركّبات الألفاظ والتناسق الزمني بين عناصر الوحدات المعجمية المتعدّدة أضحت ذخيرة لا محدودة من حيث النوع والكم، ذلك الذي أتاح للفصحى أن تكون المهد المبارك لتنزيل كلام الله واختياره تعالى لأفصح الناطقين بها نبيًّا مخلصًا ورسولًا أمينًا، وهو المصطفى المكلَّف بالتبليغ الأسمى –محمَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

١.٢ عراقيل إنشاء المعاجم نواقص التأثيل: في عهد عولمة التشبيك الإلكتروني لكافّة العلاقات والأنشطة الإنسانية، حانت ضرورة التعرّف على نعمة التمتّع بالمَلَكة وحيازة الوسائل الدماغية الطبيعية، المؤدّية إلى مواكبة التقدّمات الهائلة التي نعاينها في عالم الحاسبات. ذلك المشروع أمر أمّة الضاد التي احتفظت أجيالُها بتراثها المعجمي الذي لا مثيل له ولا بديل. إلّا أنّ دوام المعايير النحوية القديمة وعدمُ التحفّظ العلمي عن مخاطر التشبّث بتحليلات القمم اللغوية الذين خلّدوا أفكار مدارس البصرة والكوفة اللفظو- دلالية الخ، وضغطها على آراء فقهاء اللغة، منذ أكثر من ألف سنة- كل هذه العوامل السلبية لا تنفكّ تؤثر على إنشاء المعاجم، فتبقى لا تستوفي شروط التحديث المنشود والاستيعاب المرتجى. ومن عواقب استمرار تعليمات كبار النحاة الأسلاف نواقصُ تأثيل ألفاظ أمّتنا المتخلّف، المنحصرِ بين أسوار اشتقاقية تحرّمه متاريسُها التصنيفية من الانطلاق المتوقّع لاستطلاع مجاهل قَطْع المسافات وكشف مواصلات النظام وملتقَيات الطرق ومفارقِها، ويؤخِّر الغوْصَ المِقدام الناجح في أعماق الخِضَمّ. فيظلّ هذا المدخل الحتمي إلى بنود القواميس على حافّة الإنجازات المعجمية واندفاع المجمعيين، أسيرَ ظلم المعايير النحوية، وحواجزِ الأحكام المسبَقة ومؤثّرات خَفَش الأبصار، وبالإجمال، أمسى حتى الآن ضحيةَ تقديس خطاب النحاة القدماء، وأحيانًا لعنِ المتديّنين ضدّ روّاد التحديث، المتّهَمين بالتجديف على الكتاب الكريم! رغمًا عن أتباع التأثيل الاشتقاقي التقليدي، قدّمت لحضور ندوة فاس ٢٠١٠ نقد تأثيل الزغردة والزغاريد التقليدي... بزَغَد الجمال (كذا، وبدون تبرير إقحام الراء وعدم الانتباه إلى زَغْد الظرف أو زَرْد العنق،لم يلاحظوا قطعة ثلاثية ضمن هيكل الجذر الرباعي [-غرد-]، ومن

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

ثم تواجُد الإشارة والإيحاء في تلك الألفاظ الأصيلة، ويشهد بِناؤها السيميائي بعبقرية الناطقين القدماء وبظرافة ثقافتهم الشفهية). فسمحت لنفسي أن أنصَح مؤلّفي المعجم التاريخي المقبل بالتحذّر العلمي الصحيح من حذْو النهج المألوف الذي يُهمل مداخل تأسيس الهيكل الصامتي السيميائي ومخارجه اللفظو- دلالية منذ عهد استقلال العربية من رصيد المعجم الساميّ المشترك، وتضخّم المعجم العربي الأصيل، وتكوين خصائص نظامها المتناسق من دون الاستسلام التامّ المشِلّ لأوامر القواعد النحوية. قمت في وصية محيطي بتصويب تحليلات خاطئة من هذا القبيل، ويؤسفني أن تبقى متوفّرة. إنّ النقد الذاتي قبل إتمام المبادرات الحميدة أفضل وأصلح من "القعودع العزى ركبه" - كما يقال في اللهجات الشامية... الحاصل أنّ زعم السلسلة السببية الوحيدة (كلمة-أصل ← الكلمة المدروسة، بغضّ النظر عن السلاسل التوليدية الأخرى) يفضي بنا إليه إمّا رأيٌ خاطئ أو وهْمٌ مضلِّل أو رفضُ النقد الذاتي والعنادُ الفكري. من يلقط خيطا من خيوط الشبكة ويتمسّك بالحبل من طرفيه، متجاهلا تضفير العُقَد التوليدية المعنية، ناسيًا النصائح والتحذيرات، لا يدرك حقيقة النظام المعجمي ولا يرى منه إلّا أشباحًا جامدة أو أطيافًا لا يفهم حركاتِها ضبابُ التخيّلات...

١.٣ العلاقات الثنائية: انطلاقًا من الخمسينات، وأنا شابّ عاكف على تعلّم الفصحى ولغة دمشق الدارجة بأساليبها الشعبية وحتى المصقولة، ولهجاتِ الجزائر الأمازيغية المحكيّة في جبال القبائل وعند طوارق الصحراء الكبرى، بدأت أنتبه إلى تكاثر التعاقبات المعجمية، فصمّمت على تدوين ملاحظاتي في جذاذات استفدت منها لتعليمي في الجامعة وعند إدخالها في أسس استطلاعي لكافّة وحدات المعجم الفصيح منذ ربع قرن وأكثر. وقد تمكّنت بعون العليم من جمع أكثرَ من ١٥٠.٠٠٠ علاقة ثنائية (ذات دلالة أو دلالات) بين صوامت الألفاظ -إمّا متّصلة كتلك التي تصل بين\الكاف\و\الميم\ في كَمَى أو بَكُمَ، أو منفصلة كتلك التي تربطهما على بعد في كَتَمَ أو كُظِمَ، والمدلولُ المشترك في هذه الأمثلة هو السكوت، انطباق الشفتين، والامتناع عن الإدلاء أو الجواب، مع توسيع المفهوم وتعميمه إلى الإخفاء المقصود أم لا، الناجم عن عدم الإخبار... ملاحظة : أنوّه بأهمّية انخفاض صوت الإنسان نحو الهمس ثم الصمت، وما يوافقه حوله في مملكة الحيوان، نظرًا إلى انتظام عدد كبير جدا من"الجذور" (أي الترتيبات الصامتية الحاملة لمعانٍ تقاسمها المشتقاتُ الصرفية) داخل حقل دلالي متنوّع. وقد عرضت المسألة بالتفصيل في محاضرتي الختامية عند ندوة فاس ٢٠١٠. بصدد همس√، را. محيطي (ص٣٩٣ رقم٢ و٣ حتى ص٣٩٤). سأفصّل عرض كلّ ما

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يخصّ العلاقة الثنائية في أوانه (را. في الأسفل)، وهي عماد بناء المعنى - لا الحرف المنفرد ولا مجموع حروف اللفظ بأسرها. فيجدر بي هنا أن ألحّ على الإفراط السائد في جعل المقابلة / التقابل أساسًا للدلالة منذ انتشار المفاهيم البنيوية (لاسيما المنهجية الفونولوجية)، فإفراط تركيز الأنظار على ما يسمّى العلاقة الجدولية والتقابل الجدولي ومحور التزامن على حساب العلاقة التتابعية ومحور التتابع.

١.٤ مبدأ نسبي وثابتته الزمنية: في انتظار البيان المفصَّل للموضوع، والإلمام العقلاني بالمادّة المعجمية، ونقضِ المواقف الرسمية من هذه الوقائع كلّما اقتضت الحالة دحضَ تحليلات تقليدية سابقة، وفحصِ تناسُقها على ضوء مكتسَبات النظرية الناشئة، أنبري الآن إلى تقديم المبدأ المعرفي الأساسي، المنبثق من استطلاعات لا تُحْصى في أعماق محيط اللغة: مبدأ الترابطية العامّة بين الوحدات المعجمية، وكذلك بين عناصرها الصوتية والدلالية، الناجمة عن خصائص طبيعة المعجم الشبكية. منها تفاعُل الأصوات كالإدغام والتناسُق الصامتي والصائتي (الأمثلة معروفة، من بينها تغيّراتُ\التاء\ المدْخلة في وزن "افتعل" (حسب السياق الصامتي: د، ذ، ط...). أمّا مضمار المعاني فهو أكثر تعقيدًا وبالأكثر مجالُ تفاعل العلامات بعضها ببعض. سنعثر على شواهد شتّى خلال استدلالات هذا البيان. لأي مذهب نسبي عامل ثابت، حائل دون فوضوية الأحداث والانحرافات التحوّلية. وهذه الثابتة الهامّة جدّا هي اتجاه الزمن وعدم معكوسية مروره. فما كان مقبولًا في الفيزياء الكلاسيكية وتأمُّلات العلماء في مسير المتحرّكات (مثلًا عكس الهبوط إلى الصعود، وأسطورة الحركة الدائمة إثر دفعة ابتدائية). ثم جاءت براهين الحركية الحرارية تفرض على العقل الإنساني الاعترافَ بعواقب مرور الزمن على تطوّر الكائنات - خاصّةً الأحياء (من جراء استهلاك عناصر البيئة، والحاجة الدائمة إليها لتوليد الطاقة، وميل أية حركة إلى التوقّف من تلقاء نفسها الخ واستحالة معكوسية الأشياء... لقد اضطررت إلى إدماج مراعاة سهم الزمن في فحص الوقائع اللغوية - لا سيّما في تدقيق أطوار تشكيل الكلمات وتطوير أشكالها مع ظروف تحوّلات السياق وتقلّبات الدهر. ذلك الذي نسمّيه "علم اللغة الزماني" و"علم اللغة التاريخي" (أو"اللسانيات التاريخية).

١.٥ الحاجة إلى إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية: من غير شكّ، إنجازه ضرورةٌ ماسّة في جميع الأصعدة، تتعدّى حدودَ اللسانيات بأضيق المعنى. وقد ألححت دومًا على خطورة العماد الإنساني أوّلًا، والثقافي بالأحرى في تاريخ معاجم اللغات الكبرى، أي تلك التي تُنعِشها أرفعُ القيم الإنسانية، وتغذّي الأرواحَ والألباب - فضلًا عن مقتضيات

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

التخاطب، وتُلبّي المرغوباتِ والمقاصدَ والمثلَ العليا إلى حدّ قد أحسّ به شعوبٌ ومجتمعاتٌ عريقة، حينما عايش أفرادُها سائرَ الناطقين بها، فأخذوا يفضّلونها على لغتهم الأصلية. فانتشرت شيئًا فشيئًا، وازدهرت على مستويات وأبعاد متجدّدة تجعلها مؤهَّلة لاستحقاق منعوتها: لغة كبرى. ألا وهو أمرُ لغة العرب، لغتُنا الفصحى العزيزة، تلك التي مارسها وخلّد خصائصَها الاستثنائية ابنُ جني (وهو نَجْل والدٍ روميّ بيزنطي). هي التي فضّلها العلّامة الخوارزمي البيروني على لغة أمه الفارسية لتحرير مؤلَّفاته، وابنُ ميمون القرطبي في عهد صلاح الدين الأيّوبي، وهو من كبار فلاسفة اليهود وصاحبُ مؤلّفات قيّمة باللغة الفصحى... سوف أدلّ القرّاء الأفاضل على مزاياها الفذّة، بفضل منهجية غير مألوفة وتجديدِ عدّة مفاهيم وأدوات التحليل غير نحوية (لا تنحصر معالجة المادّة المعجمية في التصنيفات الصرفية واستعراضِ القواعد النَمَطية)، واقتباس معايير العلوم الدقيقة حتى ننتهج خطة جادة (بقدر مستطاع العبد الفقير، بين يدي العليم الذي فضّلها على العِبرية والآرامية لتبليغ كتابه الكريم). ستفضي بنا هذه الطريقة المجدّدة إلى كشف مراحل تشكيل معجمنا الفصيح قبل عصر التنزيل. وعلى شرط إدراكنا المتعمّق لقوانين هذا التشكيل، لن نلبث أن نقيم تمثيلا شكلانيا يستوعب حقائقَ النظام المعجمي الأصيل. وهكذا سوف ندرّب الدماغَ الاصطناعي على تفهُّم آليات بناء المعنى المعجمي في دوائر الدماغ البشري العصبونية.

١.٦ مسلّمات أم مبادئ: تستند النظريّات الشكلانية إلى اتّخاذ مسلّمات أوّلية معقولة توجّه وتسدّد وتحدّد النظرَ العقلي طوال إمعانه إلى عُرْضة الدراسة: من المنطلَق حتى المنتهى (المؤقت). قد يبدو لأوّل وهلة أنّ المسلّمة من أشباه المبدأ. غير أنّ الأخير قد يراعيه ويخضع له الدارسُ أو لا، بينما تفرض المسلّمة أوامرَها، وحتى عواقبَ المطاوَعة لها، فلا مفرَّ منها. بالحاصل، يُتاح لنا استنتاجُ حقائقَ عقليةٍ مؤكَّدة نُقرّبها، على شرط أن نُثبتها عن طريق الاستدلال، وأن نعتبرها صحيحة ضمن الإطار النظري المذكور. سمَّوْها التيوريمات، ويُتاح لنا أيضًا استنباطُ حقيقة جديدة (لازمة ج لوازم) ناتجة ممّا ينطوي عليه التيوريم. هذا كلّه معروف في العلوم الدقيقة (كمثل الرياضيات)، إلّا أنّ تطبيقَه الجادّ يحُلّ معضلاتِ المضمار المعجمي. سأستغلّه فيما بعد، بقصد تصويب أخطاء يرتكبها التحليلُ السائد - منذ أوائل النشاط النحوي العجيب حتى يومنا هذا - بصدد أسس المعجم كالجذور ومشتقّاتها وتطوّر معانيها بمرور الزمان واختلاف الأجيال (را. مثلا تيوريمات وحدوية التسمية، فيما بعد).

١.٧ المسلّمات الثلاث: هي المنطلَق العقلاني لنظرية "النحت الأكبر". لا تحتاج إلى البرهنة ويكفي أن تكون معقولةً، إلّا أنّني قدّمت البراهين المبينة في "محيطي"من أجل إقناع

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العُصاة وأسْرى المذاهب التقليدية المتطوّعين.

- المسلّمة الأولى ليست للحروف الجذرية دلالةٌ بحَدّ ذاتها (ص١٣١-١٣٣). ناهيكم من ذكر الأعداد برهانا. إذا أحصينا الصوامت في بيت من أبيات القصائد ببحرها الطويل أو البسيط أو الكامل، ولو افترضنا أنّ لكلّ حرف جذري من حروفه دلالةً، لوجدنا ما يلي: معدَّل يتراوح بين ١٥ و٢٠ صامتًا مختلفًا. لو كان الافتراض صحيحًا لكان البيت الكلاسيكي يشتمل ما يقرُب... ثُلثَي الدلالات العربية (إذ أنَّ عدد صوامت اللغة يُعدّ ٢٨ صامتًا، مع \الواو\و\الياء\). وليس هذا معقولًا. كما ليس مقبولًا الزعمُ الوارد في العديد من الكتب العلمية والجامعية والمدرسية، ذلك الذي يخلِّد عقيدةَ الدلالة الحرفية: على سبيل المِثال، الفاء للفراق والتقسيم، الغين للغياب والخفاء، الراء للترديد والتكرير... لا أقول: "وهلمّ جرّا" لاستحالة الإقرار بمثل ذلك مع كافّة حروف الهجاء\صواتم اللغة. الأمثلة المضادّة لتلك الدلالة المزعومة لا تحصى: ماذا بـ\الفاء\ في"فحل" أو"لفّ" أو "فم"؟ ماذا بـ\الغين\ في "لغة" أو"دغدغ"؟ ماذا بـ\الراء\ في "ركِب" أو "غرفة"؟ لو تمَسَّكنا بأشباه ذلك المنهج، لمرَّرنا علمَ التأثيل من باب المزاح إلى عيادة علاج الهَذَر...

- المسلّمة الثانية تعتمد الدلالة المفهومية على التبايُنات الثنائية المتتابعة والمتناسقة بين الصوامت الجذرية على التبايُنات الثنائية المتتابعة والمتناسقة بين الصوامت الجذرية (ص١٣٣). إن القول بأن الصامت الجذري المنفرد خِلْوٌ من الدلالة بمعناها الألسني الحديث. قد يوحي إلى بعض الانطباعات والأحاسيس والصور الخيالية، ومنبعُها في الدماغ هو تفاعُل رنّة الصامت بأصداء السياق الصوتي، مثلما تبقى النوتة المعزولة من النوتات المصاحِبة خاليةً من دورها النَغَمي، محرومةً من سلسبيل النغمة ومن الإيقاع المنتظَر المثير... إنّ الدلالة اللسانية تحتاج إلى مشاركة الصوامت في إحضار ما يسمَّى "المعنى المعجمي" وإحداثِ العلاقة بين البال والشيء المشار إليه بواسطة الأصوات، وها هي ذي الدلالة، ومجالُها داخلَ الدماغ. أمّا العلاقة بين مدلول اللفظ والشيء المسمَّى في العالم الخارجي الذي نعيش فيه، فهي المرجعية، فلنميّز بينها وبين الدلالة. لا ريب أنّ الرأي الخاطئَ منذ أفلاطون: أنّ محاكاة أصوات الطبيعة هي منبع الكلام البشري، له مسؤولية في عدم التعمُّق في آليات صياغة الألفاظ والاكتفاءِ الذي لا يليق تبريرُه بفكرة المحاكاة. هذا مفرّ مؤسف من القيام بواجب البحث والتحليل. ألم يكتب زميلٌ لبناني بفرنسا (وهو معجمي معروف) أنّ الحشرجة لفظ يحاكي أصوات المرء المنازع، وأنّ تحليله مستحيل (كذا. را. نتائج عكوف العبد الفقير على تلبية ما تُطالب به المعجمياتُ حقًّا، والوفاءُ بعبقرية تكوين المعجم

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الفصيح منذ القِدَم، وهنا اندماجُ الحشرجة في أحشاء حقل التنفّس، المرتبط بحقل معجمي يشمل أكثر من ١٠٠٠ جذر، وحيث تتشابك معاني القبض والشدّ (على ه)، وتضييق مجاري السوائل والغازات (خنق√: إنّ الخِناق أحد أسماء الحلق والحنجرة (كناية). را. ترابط الزغاريد وزغد√، وهنا شَرْج صُرّة النقود من باب الكناية، الخ). بصدد المحاكاة أخيرًا، مجرّدُ اختلاف الأجناس الحيوانية المشار إليها بواسطة كلمة واحدة، وكذلك اختلافُ الأصوات المستغَلّة لنفس الجنس بين لغة وأخرى، كلُّها شهادات مُقنِعة بإفراط التعليل الجاري (على الأقلّ). قد تُضلِّل التحليلَ بإبعاد النظر عن توارُد عوامل التكوين اللغوية بحَصْر المعنى.

- المسلّمة الثالثة يجب على أي فونيم "جذري" – ينتمي إلى إحدى التبايُنات الثنائية ذات دلالة مشهودة على الأقلّ - أن يبرهن المحلّل على (ا) طبيعة الصامت، ثم (ب) موقعه في الكلمة، ثم (ح) وظيفته الدلالية في بناء مدلولها. را. في الأسفل مَثَل أ. فارس الشدياق (القرن التاسع عشر) ونظرية إرجاع الثلاثيات إلى تنويع الصامت الثالث ("لام" اللفظ الثلاثي) لتنويع المعنى- من دون جواب سليم على الأسئلة المطروحة ههنا. في رأيي، هذه المتطلُّباتُ المسبَقة أعتبرها سليمةً ومشروعةً، والإعراضُ عن التساؤُلات المطلوبة كثيرا مّا يُضلِّل المؤثِّلين على سبيل المثال. يرتكب نفسَ الأخطاء بعضُ أصحاب المقارَنة بين اللغات الساميّة. من أسباب ضلالهم اللغوي قلّةُ الشواهد، وسطحيةُ المعلومات المستغَلَّة، ثم إمعانُ أنظارهم في كلمات معزولة عن "نسيج" النظام المعجمي واعتبارُ مضمونها منحصرًا بين حدود \فائها\ و\لامها\، ثم القفزُ العاجل إلى الاستنتاجات الواهية. من الأوهام المعتادة عقيدةُ التقارب الأصيل بل التشابه الصميم بين العربية والعبرية، وتجاهلُ الروابط الوثيقة بين العربية والحبشية والسريانية، الخ... من جهة أخرى. ندّدت منذ عقدَيْن بأخطار جاذبية اللجوء إلى الاستعارة من اللغات الساميّة إثر عجز أصحاب نظريات لا تفي بوصف الحقائق، وهي غير مؤهّلة لتذليل مَصاعب التحليل الأمين. فقد دللت على ذلك بصدد المستشرق الفرنسي ج. بوهاس: بعد أن فهم عجْزَ نظريته عن تحليل قنت√، التجأ إلى إمكانية حلّ المشكلة بمعطيات المقارنة المذكورة، عِوَضًا عن الاعتراف بنواقص مذهبه ولزوم إصلاحه المبدئي (را. ص١٨٧- ١٨٦). قد ينفعكم استدلالي من مجرّد تطبيق منهجيتي التي تبرهن على أصالة قنت√، وانتمائه المؤكّد إلى حقل الانحناء (حقيقةً ومجازا)، دون أي ابتكارٍ أو ابتداعٍ أو إعراضٍ عن العوامل المشهودة للترابط السيميائي، وإنما بمُراعاة كلّ ما نعرفه من ثقافة العرب القدماء وانتباهِهم إلى آليات الجوامد والأحياء، وهيئاتِ أجسام الحيوان وأجساد

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

البشر. وكذلك استنادا إلى معالم الخضوع والطاعة والإسلام والاستسلام، الخ، المندمجة في فحوى المشتقّات المعنية (م. باربو، توليد الأشكال المعجمية [الثنائي...]، ستراسبورغ ٢٠٠٣، ص٥٨-٥٩، مع الرسم البياني لتواجُد سلاسل ألفاظ عديدة، مترابطة على مستويَي الدالّ والمدلول).

١.٨ إعادة تحليل المكرَّر: حيث أنّ الصامت الجذري لا يكفي لإحداث الدلالة، وأنّ هذه معتمدة على تواجد صامتَيْن أو أكثر. أثبت البحثُ أنّ تواجُد صامتَيْن متبايِنَيْن هو الشرط الضروري والكافي لذلك الإحداث. هل يكون تكرير صامت معيَّن ذا دلالة أم لا ؟ الجواب: لا. قد يبدو للبعض أنّ وجود الجذور "المضاعفة" (فعع) يدحَض هذا الإقرارَ. الجواب المضادّ: في صيغة (فعع) ليست (ع١← ع٢) ذات دلالة مفهومية، وإنما (ف١←ع١) و\أو (ف١←ع٢). سنرى فيما بعد أهمّ خصائص [فعع] الشكلانية (را. ١.٢١، ١.١٢، ١[مع جدول]، §٣.٧). أمّا المكرّر (فعفع) فلا يدحَض إقراري هو الآخر: ليس هذا البناء إلّا ناتجا من تكرير التبايُن المذكور أعلاه : (ف١←ع١) ثم (ف٢←ع٢). أضيف إلى هذا التمثيل الشكلاني إقراري بضرورة تحديث التفكيك الخليلي السائد: فع + فع. وقد نشرت في الأمر منذ ١٩٩٧-١٩٩٨ (مجلة لقمان، جامعة طهران) حتى ٢٠١٦ (محيطي، قيد الطبع) مقالات ومداخلات شتّى أطوّر فيها التفكيك الآتي:

ف١←ع١ ثم ف١←ع٢ ثمع١← ف٢ ثم ف٢← ع٢

تمثّل القطعة الملوّنة العلاقة المتّصلة بين ع١ و ف٢. فلنعترف باندماجها إلى القطع الثلاث، فتستحقّ تسمية القطعة الوسطية لأنّها في وسط البناء العلائقي، العديد من جوانب النظام المعجمي تتّضح على ضوء التبايُن بين فع وعف ثلاث مرات ضمن حدود صيغة فعفع وأخواتِها كمثل فعلعل الخ... أهمّية دور هذا البناء في نشوء النظام أثناء تطوُّره الشفهي القديم مجالُ استطلاعات واكتشافات متعدّدة تتجدّد سنة بعد سنة بعون العليم منذ ١٩٩٧. فخصّصت عشراتِ الصفحات من وصيّتي العلمية لاستعراض مداخل القضية العلمية النظرية وتدقيقِ مخارجها العملية التطبيقية، وتقييمً عواقبها على صعيدَيِ الدالّ والمدلول.

١.٩ معضلة الإخلال بترتيب الصوامت على محور الزمن: من بين حلول المشاكل التحليلية مُعْضِلةُ أنواع الإخلال بترتيب الصوامت الجذرية - أو بالأحرى ظاهرةُ هذا الزعمِ التقليدي عند النحاة، وحتى الألسنيين والمعجميين شرقا وغربا... في أنظارهم، وجودُ ثلاثيات يختلف فيها تتابعُ صوامت "الجذر" المثلة، بيد أنّ دلالتها واحدة، (أو متشابهة على الأقلّ) في

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مختلف الألفاظ، يفضي بهم إلى القول بأصالة أحد تلك الجذور وبقلب الباقي (في غياب حجّة تاريخية). وأشهر المواقف الرسمية في تاريخ هذا التحليل هو إقرار الخليل بن أحمد الفراهيدي باحتمال ستّة تقاليب في بناء الألفاظ الثلاثية. بناء على بساطة هذا التقسيم الحسابية، لا ينفكّ أغلبُ العلماء يؤمنون بصحّة هذا التحليل. بالحق، إنهم مقتنعون بالمحسوسات البديهية: إذا قرأناها تُرى حروفُ الخطّ بالعين المجرَّدة، وإذا أصغينا إلى صوامت [فعفع]، تتتابع الأصواتُ المعنية في مسامعنا. ممّا يلاحَظ أنّ هذه البديهة تُبقينا حَيارى: (١) فلنستغرب نظامًا مبنيًّا على صوامت جذرية يتقلّب ترتيبُها على محور الزمن، بينما تكون أصوات الزوائد المتداخلة بينها، المكلَّفة بالقيم النحوية (= المورفيمات) خاضعةً لترتيب آخر لايتقلّب، إذ أنّ الحفاظ على الوزن يحرمه، وتجميدُ تتابعها يُثبت تواجُدَ المقابلات النحوية الأساسية: فاعِل ≠ فِعال مثلا. هناك تناقضٌ آلي بين حركية أداء القيم النحوية المتوجّهة إلى الأمام، المتشابك داخل تسلسل الصوامت الجذرية حتما، وبين حركية أداء المعاني المفهومية عن سَيَران قد لا يراعي هذا الاتجاه الزمني المسمّى بـ"سهم الزمن"... كأنّ أسنان هذا "التعشيق الصوتي" يتقدَّم بعضُها بينما تُتاح للبعض الآخر من "الأسنان" قابليةُ الانعكاس... لقد أثبت علمُ الحركية الحرارية أنّ الكائنات -وفي المرتبة الأولى الأحياء- خاضعةٌ لقوانينها في هذه الدنيا – وحيث أنّ الزمن يطوِّر الكائنات تطويرا مستمرًّا يمنعها من القهقرى، أيْ من التراجع إلى ما مضى، فلا ينفعنا عزلُ الشيء المدروس من علاقاته الصميمة بالأخرى فإذًا تركيز تحليلنا عليه ككلٍّ لا يتفكّك. إذن، من غيّ الاستدلال السائد أن نستشهد بالسمع والبصر فحسب، للإدلاء بأحكام علمية لا تأخذ جميعَ مركّبات الشيء المدروس وجميعَ علاقاتها بالأخرَيات. ومن خصائص النشاط الدماغي الذي يُحدث الكلامَ البشري ويؤثّر على تطوُّره الدائم عبر العصور والأزمنة، حقيقة تواجُدِ طبقات مختلفة من التصرُّف بالمعطَيات الفكرية، فلا بدّ لنا من اعتبار تواجُدها وتفاعلاتها في العقل. سنرى أنّ هذا المنهج كثيرا مّا يغيّر إشكالية المعجميات، ويفضي بنا مرارًا إلى آفاق نظريةٍ أعرضَ بكثير ممّا توقّفت عنده خواطرُ العباقرة من الأجيال الفائتة؛ (٢) وفعلاً، من المؤكّد أنّ أساس التأمُّلات السائدة في هذا الموضوع مادّتُها المعجمية ضئيلةٌ جدًّا، إذ غالبا مّا تقتصر غايةُ الاستشهاد بها على مقارَنة... كلمتَيْن (يلحّ محيطي على عواقب شتّى ناتجة من هذه الطريقة الناقصة المضلِّلة). سمّيتها مزاوجة الكلمات الشاهدة. إنّ التوسيع المنشود لمجال عمليات التحليل المعجمي يتطلّب الغَوْص في أحشاء الحقول المعنية، لا تعثُّر الخطى في أخدودَين موازيَين فقط. سوف نتأكّد من صواب احتجاجي على الأحكام الناجمة عن سطحية منهج

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يقلّل من شأن لغتنا، ولا يفي بإجلال عظمتها؛ (٣) الدلالة المشتركة -الترادف- واقعٌ موضوعي عادة ما يظهر، إلّا أنّ الألسنيّين لا يتّفقون على تحديده، بل ينكره بعضُهم. سنرى أنّ وصف "النحت الأكبر" للعلاقات اللفظو-دلالية القائمة بين الألفاظ وتمثيلَها بالرسوم البيانية يؤدّيان إلى الختام التالي: طالما اختلفت العلاقات بين ألفاظ معيَّنة، لا يصِحُّ القول بأنّها مترادفة؛ (٤) لا ننسى قابلية بعض الصوامت ك\الراء\ و\اللام\والعين للانزلاق عند تماسّها في الكلمة،كما يجري في [رِغْم]/[عَرْم]/[مُرْعة] (=سمن)، أو في [لَعَطَ]/[عَلَطَ] (= وسم عنق الدابّة بميسم حديد حارّ]، مع علامة تحتية -لط- للدلالة على العنق، أو -لد- في [لَديد، مُتَلَدد] و[عِلْوَدّ]. لكلّ من هذه الأشكال المنوَّعة دوائرُ علائقية مختلفة تُثبِت أنّ النظام لا يتصرّف بألفاظها كأنّها مترادفة، وإنما كانت كلُّها خاضعةً لنفس قانون تركيب "المشتقات" الجذرية. سوف نتطرّق إلى تعميم هذا القطاع من نهج تذليل مصاعب التحليل. ليعرفِ القرّاء الأفاضل أنّ توسيع مجال المعطيات المدروسة هو المدخل المفروض إلى التعمُّق المنشود في مجاهل تلك الدوائر العلائقية.

١.١٠ البرهان على زعم الإخلال: أتّخذ الآن من ألوف الأدلّة البيّنة على صواب المنهجية مثلَيْن فحسب (لاقتصاد الوقت الجائز): (١) ننطلّق من الرابطة الصوتية بين [حَمِدَ] بإزاء [احْتَدَمَ] (= غَضِبَ). المركّب الجذري الأوّل جديرٌ بتدقيق موقعه الطوبولوجي الصحيح: حيث أنّ مدلوله منفردٌ في جدول "مشتقات" حمد√، فهو ينتمي إلى حقل الغضب، لا إلى حقل العزّة. لقد درست حقله الواسع المتناسِق: ٣٣٣ جذرا متشابكًا... حتى أنّني صمّمت نموذجا خشبيا يمثّل كُلًّا من مخارج الأصوات الجذرية (بالكُرى) وعلاقاتِها المتشابكةَ (بالقضبان) على غرار النماذج المادّية بثلاثة أبعاد، المصمَّمة في كِلتا الفيزياء والكيمياء خصوصًا، لتمثيل العلاقات بين الذرّات أو الأيونات. الصورة والتعليقات والرسوم البيانية المستخرَجة معروضةٌ في مُلحَق محيطي (ص٣٨٠-٣٨٢).كم من ساعات التأمُّل والافتراض والاستنباط حول النموذج العلائقي أتاحت للعبد الفقير فرصةَ العثور على شتّى المعلومات النافعة، إمّا في إطار الغضب (أي على المستوى المحلّي) أو في ميدان تطوير "النحت الأكبر". ممّا أتى به إنجازُ هذا التصميم موقعُ [ال١د١م١د٢مة] (= الغضب) المنعزلُ في جدول دمدم√، والكاملُ الاندماج في حقل الغضب. ههنا على القرّاء أن ينتبهوا إلى أهمَية القطعة الوسطية (م١ د٢). إنّها الأساس المركزي للارتباط بـ[حَ م١ِ د٢َ]، بينما تكمُن العلاقاتُ الثلاث (ح١د١، ح٢د٢،ح١...د٢) مرتبطة بـ[احْتَدَمَ]. وهٰكذا نبرهن على عدم التقليب/المعكوسية، وبالعكس على مراعاة سهم الزمن عند جميع القطع الثنائية المتناسقة. وقد حصلنا على

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

ذلك بواسطة تعريض حدود أنظارنا في القطاع المعني من طوبولوجيا النظام المعجمي. ألا تتّضح الآن خطورةُ اللجوء الدائم إلى ما يتعدَّى حدودَ الشيء المدروس لأجل كشف الأساس العلائقي لبناء المعنى على المستوى السيميائي العميق (غير النحوي)... أضيف مثلاً آخر للاستدلال الحالي لأقدّم تفاصيل التحليل. اخترت في حقل الغضب أفعالاً تتشابك صوامتُها، بينما تلتقي فيها الرعشة والدموع (عند الغضبان). ههنا لائحتها القصيرة: [رَمَعَ] (لارتعاش مناخير المرء الغضبان) و[تَرَمّعَ](لهيجان الغضبان وارتعاشه) بإزاء [تَمَرّعَ] (كمِثل الفعل الأوّل). من أين هذه القيمُ الدلالية: الإشارة إلى الارتعاش والهيجان- الإيحاء إلى سبب هذه الحركات: الغضب؟ من أين هذا الجَيَشانُ النفساني؟ من أجل إيضاح تشابُك العلاقات الثنائية غير المسموعة، وتجنُّبِ التأكيدات التخمينية، نُدخل فِعْلًا مكررًا (كما فعلنا سابقا)، ونستدعيه ليُثبت حقيقةَ دَوْره في القضية وتواطُؤَه المتلبّس مع الأفعال السابقة ذكرُها: [م١ َر١ ْم٢ َر٢ َ] (= غَضِبَ) و[ت َم١ َر١ ْم٢ َر٢ َ] (= ارتعش، اضطرب، هاج). يعتمد تداخُل الدلالات من جهة والعمادُ الصوتي الموافق، على استغلال تواجُد قطعتَيْن يختلف فيهما الترتيب الصوتي (وهذا من خصائص صيغةِ المكرر الذي يراعي اتجاهَ سهم الزمن، أيْ بلا قلب أو تقليب، ولا انقلاب أو قهقرى) : -مر- (ثلاث مرّات) بإزاء القطعة الوسطية (مرّةً واحدة): -رم-... وفعلًا، مشاركة مرمر√ في تقاسُم القيمتَيْن الدلاليتَيْن (الغضب والارتعاش) ألقت الضوء على أنّ التقليب [...] مجرَّدُ ظاهرةٍ محسوسة فقط، "شبحية"، لا حقيقةٌ بُنيوية.

ملاحظة مبدئية: إنّ مقصود هذا الاستدلال هو البرهان على عدم الإخلال بترتيب /الراء/ و/الميم/ في هذا السياق اللفظو- دلالي، فإذن، غياب قلبهما (را. أوّل جدول فقعة ١.١٢§) لا يعني هذا التركيزُ البرهاني أنّني أعرضت عن فَحْص سائر القطع الثنائية المتواجدة في تلك الأفعال: -مع- مثلًا، الذي يلعب دورا في الإشارة إلى سَيَلان الدموع، ارتباطًا بـ[ماع، رمع، رمعل، هرمع، همع... وهلمّ جرا]). وهكذا بلغنا حقيقةً بُنيويةً تخصّ المعجم العربي: تشابك القطع الثنائية على صعيدي الدالّ والمدلول (كما تتداخُل مركّبات الإشارة المباشِرة ودلائل الإيحاء في صميم الألفاظ تداخُلٌ قد نظّمت علاماتِه التحتية عواملُ سيميائيةٌ على المستوى العميق).

١.١١ دحض الزوائد المعجمية: لقد وضعت مبدأ الأسئلة المسبقة الثلاثة فرضًا لا مفرَّ منه كلّما أخذ التحليلُ يتطرّق إلى صامت من صوامت الألفاظ المعنية، فيُساءَل المحلِّل عن (ا) طبيعة الصامت، ثم (ب) موقعه في الكلمة، ثم (ح) وظيفتِه الدلالية في بناء مدلولها لا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بحَدّ ذاته، وإنما بموجب ارتباطاته بسائر صوامت الكلمة والسياقات المعنية. وإلّا فلا قيمة برهانية مقنعة للزعم التالي. وهذا تلميحٌ يفضي إلى نظريات معجمية جارية - ولا أقول سائدة - تُفتِّت مركِّباتِ الكلمات العربية تفتيتًا ناقصًا لا يجلب الأجوبةَ المطلوبة على أسئلتي المُسْبَقة.مِثل تأثيل الثلاثي عند أحمد فارس الشدياق اللبناني ("سر الليال في القلب والإبدال") بعَزْل \لام\ الكلمة في الجذور المضاعفة (فعع) عن \فاء\ها و\عين\ها. في أمر غمم√ مثلاً، كان يُقرِّ بفكّ تماثُل \الميمَيْن\وتوليدِ سلسلة جذور ثلاثية مِثل [غمد، غمر، غمض، الخ]دون إجابة مُرْضِية على الأسئلة المذكورة. كذلك مستشرق فرنسي - وهو من أتباع المدرسة التوليدية-التحويلية الأمريكية - (جورج بوهاس) يركِّز تكوين الثلاثي على صامتَيْن (= الأثلة étymon) + إضافة زائدة متغيّرة حسب الألفاظ (يسمّيها crément). في صدد الأثلات الثنائية، يُقرّ بقابلية انقلابها، فجمع لائحة ١٣٥ أثلة من قبيل رم / مر يحتجّ لإثباتها بمقابلة [وَرِمَ] (= أغضب فلانًا) مقابل [مَرْمَرَ] (= غَضِبَ).. بناءً على تلك المقابلة المشبَّهة وأربعة أزواج أخرى، يزعم أنّ أثلته (ميم + راء) قابلة للانقلاب، بحجّة تعادُل دلالي بين الفِعلَيْنْ المذكورَيْن. أكتفي هنا بذكر حجّة مضادّة واحدة تدحَض هذا الزعم. إنّ مدلولات اللفظَيْن مختلفة: تنتمي صلة الورم بالغضب إلى سلسلة ألفاظ مترابطة بمجاز (انتفاخ الغضبان) كما في [أكعت، اسمعدّ، اسمخدّ، اسمعطّ، اشمعطّ، اضفادّ، اضماكّ، حيفس، الخ]، بغضّ النظر عن تشبيه الإغضاب بملء الظرف كما في [زفت، زمج، زمك، زمر، شحن، نزق، وهلمّا جرّا]. ثم بصدد [مَرْمَرَ]، يربط مدلولَه الغضبَ بالاضطراب والارتعاش والاهتزاز إثر التفاعُل مع مَرْمَر وتَمَرْمَرَ. كما يربطه بالدموع إثر تفاعُله مع [مَرَعَ] و[تَمَرَّعَ]. فإنّ إهمال شبكات الروابط اللفظو- دلالية وتجاهلُها أو عدمُ إدراك دَوْرها الأساسي في تكوين العلامات العربية الأصيلة (را. محيطيص ٣٩٥-٤٨١: في أطوائها ١٢١ مادّة مخصَّصة لمجادلة ما يُقرّبه ج. بوهاس). فإنّ تلك الأخطاء والنواقص المنهجية بأسرها منبعُ تحريف كلمة الضاد واستخفافُ قيمة معجمه الثقافية في العصر الحديث، ومن ثمّ إلصاقُ تُهمات التخلّف الفكري والغنى الباطل ("لا غناء فيها" كما يتشدّق به القيل والقال) على كنوز لغتنا الفصحى العزيزة... على كلّ، ههنا يفضّل المستشرق أحكامَ نظريته ومقاصدَها على طاقات الوقائع المعجمية وشدّةِ أواسرها السيميائية العريقة. يُستخلص أنّ قدْر الإجابة على أسئلتي المسبَقة هو المعيار الأدقّ والحكمُ الأنصف في غمار المناقشات الحائلة بين أصحاب النظريات اللسانية. بالحاصل: لما نظَّرنا بين ألفاظ متعاقبة، واتّضح لنا أنّ ثمتَ اشتراكًا لفظيًا أو دلاليًا، فاعتبرنا أنّه تقاسُم سيمة أو سيمات إمّا صوتية

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

أو دلالية (أو الإثنَيْن)، لا يعني ذلك إثباتَ التماثل الصوتي ولا التعادُل الدلالي المزعوم إلّا في ظروف محدودة جدًّا، قصيرة المدى إطلاقا، لا تصلُح للتعميم النظري.

١.١٢ مراحل تحليل دقيق: حان وقت تلخيص المقارنة بين التحليل التقليدي (الكلاسيكي والحديث)، ومحضَر المراحل التي تقطعها منهجيةُ "النحت الأكبر" في إنجاز تحليلها الشكلي/المشكْلَن (formal analysis).

التحليل التقليدي (كلاسيكيون ومحدثون)

المواقع الجذرية :	1	2	3
تفكيك مركبات الثلاثي :	ر	م	ع
	م	ر	ع
النظر العمودي :	↓	↓	↓

التركيز على التقابل العمودي وعزل القطعتين الثنائيتين
عن كل من ارتباطاتهما بالصامت الجذري الباقي

إزاء ذلك المنهج التحليلي السائد حتى اليوم، ها هو ذا محضَر التحليل الناجم عن استعراض المستوى السيميائي العميق للمعجم الفصيح، واستنتاجِ عدد يفوق ١٥٠.٠٠٠ من العلاقات الثنائية اللفظو- دلالية (ع.ث.) في أحشاء "كنز الضاد":

محضر مراحل التحليل في نظرية "النحت الأكبر" وتطبيقها على الأمثلة السابقة

مسار إحداث النطق في هذا المجموع المعجمي [⟶] xyx'y'a : را. البند السادس في الأسفل)

المسار النطقي (المرتب على محور الــزمن)				
شفوي (م$_1$) ←	أسلي لثوي (ر$_1$) ←	شفوي (م$_2$) ←	أسلي لثوي (ر$_2$) ←	بلعومي (ع$_1$)
1	2	3	4	5
المراتب الطوبولوجية (ترقيم مؤقت)				

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

١.- تعدّي حدود اللفظين، وتوسيع مجال الدراسة. ٢.-استطلاع السياقات المعنية واستعراض الألفاظ القابلة للارتباط اللفظو- دلالي بالألفاظ المدروسة. ٣.-استكشاف كيفية اندماج القيم المترابطة (ارتعاش واهتزاز وغضب) في فحوى اللفظين (ارتعاش الغضبان). ٤.- اتّخاذ الترابطات اللفظو- دلالية القائمة بين حقل الغضب وحقل الارتعاش وحقل البكاء بعين الاعتبار. را. أيضًا نفس الشيء في [تَمَزَّعَ] مقابل [زَمِع] (محيطي ص ١١٦). ٥.- إثبات المراتب الطوبولوجية للمركّبات المتناسقة في المجموع البنيوي المدروس (على المستوى السيميائي العميق) - ومن بينها الحدَّان الابتدائي والانتهائي، الخاصّتان بكلّ من الألفاظ المترابطة. را. وظائف حدَّيِ القطعة الثنائية في عمليات الترتيب الآلي لحوسبة المعجم السيميائي المبنيّ على مكتسَبات "النحت الأكبر". ٦.- تحديد الصيغة الجبرية (المؤقتة) الموافقة للمَسار النُطقي المعني: هنا [⟵] xyx'y'a (حيث رمز "a" ليس حرفًا زائدًا، وإنما هو متغيرة جبرية تمثِّل مركّبًا صامتيًا مرتَّبًا في المسار النُطقي المعني. ٧.- استنباط دور المكرَّرات في توليد بنى المجموع المعجمي- ولاسيما استغلال القطعة الوسطية لتكوين الترابُط السيميائي، القائم بين رَمَعَ وتَرَمّعَ ومَرَعَ بفضل ارتباطها بـمرمر واستغلالِ قطعته الوسطية رم مثلاً. سوف أقوم بتقديم هذا الدور الأساسي في تكوين المعجم الفصيح الشفهي، انطلاقا من عصر الرصيد الساميّ المشترك، وقد يكون من أهمّ مكتسَبات "النحت الأكبر" لكثرة عواقبها التنظيمية وتنوّعها في ميادين شتّى. ٨.- إثبات تعدّد التركيبات "الجذرية"، الناتج من تعدّد المسارات النُطقية الاحتمالية في الحقول المعجمية. وذلك نتيجةً لبنية المكرّر، ولاسيَّما لخصائص قطعته الوسطية واستغلال التباين اللفظو- دلالي بينها وبين القِطع الثنائية الأخرى عند إحداث الارتباطات السيميائية. إنّ الأمثلة بل الأدلّة والبيّنات لا تُحْصى (را. تنوُّع وقوع الشيء في أطواء محيطي).

١.١٣ حركية الدورات الثنائية: أتابع وصف كيفيّات الحركية الدورية (إلى الأمام دائما) وعدم الانقلابية (التي سبق عرضُها على أساس الترابطات بين ظواهر القلب ودور المكرّرات المعنية- را. تحليل [حمِد] مقابل [احْتَدَم] بفضل ارتباطها بدمدمة (§١.١٠)، ثم [رَمَعَ وتَرَمّعَ] مقابل [مَرَعَ] بفضل ارتباطها بمرمر (§١.١٠). علي أن أفصّل ما هو المرجع العضوي الذي يسهّل إدراك الأشياء والأحداث (١) كيف تتتابع صوامتُ الوحدات المعجمية على محور الزمن؛ (٢) تترابَط هذه الصوامتُ في حقل معيَّن. غير أنني مضطرّ إلى تعليل اختياري أساسًا معقولًا لتمثيل رموز الصوامت بشكل الإحداثيات الجبرية. فقصدي وهدفي، بل مثالي الأعلى هو تدريب الحاسوب على التصرُّف بتعقيدات المعجم الفصيح المعالجَة بروح الجبر، إذ لا

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

شكّ أنّ هذا المذهب أقرب ما يمكن إلى لغتنا المتقدّمة منذ عصر الأمّية منه إلى اللغات الأوربية مثلًا. هذا اعتمدتُه بعد تأكُّدي من استحالة تلقين الحاسوب مداخلَ المعاني المعجمية ومخارجَها عن طريق "الخطاب الأكاديمي"، فيبقى حتى اليوم عبدًا إلكترونيًا مُطيعًا للأوامر الخارزمية(algorithms)، فبموجبها (في مضمار "الحوسبة اللغوية") يحوّل البياناتِ إلى رموز آسكي التي لا تؤدّي المعنى المعجمي، إذ أنها مصمَّمة حسب الترتيب الأبجدي الخالي من قيمة دلالية. كمثل الصوامت/الحروف المنفردة، كمثل الزوائد المعجمية وما يحلّ محلّ تلك الزوائد في نظرية ج. بوهاس: (« créments » أو extenseurs): حرفا العِلّة \الواو\ و\الياء\ في الجذور "الموصولة" و"الجوفاء" و"الناقصة").

بالعكس، عند تحقيق فروض المسلّمة الثالثة، يشتمل وصفُ أيّ صامت جذري على تحديد وظيفته في التتابعات الثنائية (التي يحتلّ فيها حدَّ الانتهاء ([EXTR[emity) بالنسبة إلى صوامتَ سابقة، وحدَّ الابتداء ([ORIG[in) بالنسبة إلى صوامتَ تالية. بصفة عامّة، يتمتَّع الصامت الجذري بكِلتا الوظيفتَيْن. هذه الازدواجية إحدى خصائص نسبية الترابطية العامّة، وتساهم في تكوين ما نسمّيه التواؤُم الكوني. تُذكّرني هذه الازدواجية الجوهرية تفسيري اللغوي لعبارة قرآنية: "[وسَبِّحُوهُ] بُكْرَةً وأصيلًا" (الأحزاب، ٤٢)، حلّلتها في محيطي (ص ٢٥٤-٢٥٦). ألححت على أنّ كلًّا من الشَفَقَيْن– في آن واحد – ذو طابع الانتهاء (نسبةً لما سلف) وذو طابع الابتداء (نسبةً لما يلي: (ا) الفجر بعد الليل وقبل النهار - (ب) الأصيل بعد النهار وقبل الليل. هذا هو تواصُل أطوار الزمن بين الشَفَقَيْن، حسب تناوُب الضوء والظلام في هذه الدنيا. كذلك ازدواجية حدَّيِ كلّ تبايُن ثنائي وتسلسلُ الصامتَيْن (المتّصل كمِثل المنفصل) على محور الزمن وتشابُكُ هذه التتابُعات الصوتية، كلُّ ذلك يضمَن استمرارَ النظام واستخدامَه اليومي وتبليغَ آليّته من جيل إلى جيل حتى عصرنا هذا.

١.١٤ طريقتان في جدولة الألفاظ: يجب الآن تبيين الأسباب التي أجبرتني على رفض الترتيب السائد في جدولة الألفاظ المدروسة حسب تتابُع صوامتها الجذرية (ف/ع/ل): تركيمها العمودي على ما يسمّى المِحوَر الجدْوَلي (paradigmatic axis). من سيّئات هذا المنهج إدخالُ تغايرات "عمودية" فوضوية تغمِّض حقيقةَ العلاقات التزامنية بين هذه الصوامت. فليتفضّل القرّاء بإمعان أنظارهم في الجدول التالي حتى يتأكّدوا من فوضى العلاقات التزامنية بين هذه الصوامت. ثم ليُمعنوا أنظارَهم في جدول الخزق (فقرة١.١٧) حتى يتأكّدوا من صحّة قولي. اتّخذت حقل النقب، منطقة الخزق مثلًا وجيزًا لتفصيل مبادئ التحليلات العادية في هذا الصدد (على اليمين)، وما صمّمته لإصلاح الترتيب، وها هي ذي إفاداتها

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المعجمية (على اليسار. إنّ عدد الأفعال المعروضة أربعة عشر، إلّا أنّ أبحاثي برهنت على انفتاح الحقول وتمكينها النظامي من تعدّي حدود الألفاظ: فضلًا عن توضيحات الفقرات السابقة، سيدلّ على ذلك الاتِّساع العلائقي الجدولي، ثم تفسيره النظري. إنّ القسم اليساري مبنيّ على مسار نطقي محلّي يمثّله تسلسلُ الأحرف اللاتينية (على السطر الثاني من الجدول). إنّه مرجع عضوي لصوامت هذه الأفعال. سنرى تسلسل صوامت المرجع العامّ فيما بعد.

إذا استعرضنا كلًّا من عواميد القائمة (\فاء\ الكلمات، ثم \عينها\، ثم \لامها\)، اتّضح لنا أنّ معيار الترتيب مضلِّلٌ تمامًا، فيُلهِم المحلِّلين ابتكارَ لائحة طويلة من إبدالات لا وجودَ لها في هذه المنطقة من المعجم: ل\ب - ل\خ -ل\ض - ل\ف- ل\وفي عمود "فاء الكلمات"... الخ. كفانا جمعُ هذه الأفعال على أساس تقاسُم سيمة "الخزق" +الانتهاج الخاطئ المشار إليه سابقًا. قد يصحّ هنا تشبيهُ المعيار المذكور بعملية ضبط طول السطور المطبوعة (من اليمين في طباعة الخطّ العربي أو عند طبعه بالراقنة).

١.١٥ ترتيب أعضاء النطق وتصنيف الأصوات: حيث أنّ النظرية تستفيد من فضائل معالجتي الجبرية (التي يفهمها الدماغ الاصطناعي بعكس "الخطاب الأكاديمي")، طوّرت التصرّفَ بالصوامت (الجذرية أو النحوية) إلى اعتبارها عناصرَ أصناف صوتية تتّسم بستّة مخارج تحدّدها المعايير الفونولوجية - إثر نتائج أبحاثي في المعجم -من الشفاه إلى الحنجرة. أشير إليها بستّة رموز جبرية. أحرفها لاتينية للتمييز البصري بينها وبين حروف العلامات العربية (كلمات كاملة أو قِطَع مفصولة من خطّ المنطوقات لأجل معيَّن). خاصّةً وإنّ التحديد الطوبولوجي لصوامت المعجم يحتاج إلى تدقيق كلّ من الرموز بإشارات إضافية إلى مرتبة الصامت الطوبولوجية في النظام. هذه الإشارات من نوع "علامة الحذف" في الخطّ اللاتيني :′\″\‴الخ. في السطر الثاني من الجدول التالي (فقعة ١.١٧) مثلًا: A ثم A′ [ثم A″... A‴...] الخ. قد يكون هذا التشفير البسيط أوضحَ من ش...شْ... ش"... شْ"، أو سَلْسَبيل" مثلاً. وإلّا فليس في العلامات الحاسوبية إشارات المرْتبة الثانية، الثالثة الخ... تُضاف إلى الحرف العربي، وهي سهلة القراءة. إنّ الرموز الستّة كما يلي (من اليسار إلى اليمين): حرف L لصنف الشفويات (ب\ف\م\و) - حرف D للأسنانيات (ت\ث\د\ذ\ض\ط\ظ) - حرف A للصفيريات (ز\س\ش[بسبب صلتها الوثقى بالسين في اللغات الساميّة]\ص) - حرف [illegible] للذولقيات (ر\ل\ن) - حرف V للطبقيات (ج [بسبب إبدالاتها العديدة بالقاف والكاف]\ق\ك\ي[كذلك بالجيم]) - حرف P للخلفيات (خ [كذلك بالحاء]\غ [كذلك

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بالعين]\ح\ع = صنف واحد بسبب تقاسُم الإبدال السائد). هذا هو المسار النطقي للإنسان ولا تختلف على وجه الأرض إلّا آليات تنشيط أعضائها لاستغلال طاقاتها التعبيرية. تتفاوت فضائل اللغات في هذا الإطار القبتاريخي. وقد مضت ملاحظتي بصدد إدخال الدلالة في كلّ مراحل التلفّظ بالضاد - وحتى في الغير مسموع. مثل ما قيل عن الآونة الساكتة في موسيقى (موزارت) بأنّها فترات موسيقية كذلك...

١.١٦ إعادة النظر في الإبدال: لقد أثبتت أبحاثي في المعجم الفصيح أنّ الإبدال الصحيح ليس تبديلَ حرف من حروف كلمة معيَّنة بحرف آخر مسموع أو مقروء في كلمة مرادفة (بلا إجابة صريحة مقنِعة على الأسئلة الثلاث المطروحة أعلاه). فرغمًا عن التدوينات الدقيقة المؤلَّفة في ماضي علوم اللغة. قد كرّست عامًا وأكثر لدرس كتاب الإبدال لأبي الطيّب اللغوي (المتوفّ سنة ه٣٥١)، واستفدت من مطالعته الجادّة إفاداتٍ لا بأس بها، غير أنّ طبيعة الإبدال ليست تبديلَ حرف بحرف داخل كلمتَيْن [شبه] مترادفتَيْن، ولا مُدّة وقوعه في الكلمة، مقتصرة على لفظه وانتهى. إنما هو الرابطة البنيوية القائمة على محور السينيات(الأفقية) بين قطعة ثنائية وأخرى، بين تبايُن صامتين وآخر في إطار صنف إبدالي معيَّن- بغضّ النظر عن ارتباط(ات) كِلتاهما بصامت أو صوامت بحَدّ وظيفة كلّ منهما إمّا كمنتهى تباين(ات) [EXTR] بينه وصامت\صوامت خارج الإبدال المعني، أو\و كمبتدأ تباين(ات) [ORIG]. نلمُس هنا وثوق الترابطية العامة ونسبيةَ دعائم بناء هيكل النظام المعجمي، ومن ثمّ مكانةَ هذا الطابع الشبكي الاستثنائي العريق الذي رقّ الضاد منذ القِدَم إلى أَوْج لغات الثقافة والعلم في هذه الدنيا. لا أخفي عليكم حَدْسا - ربما هو توهُّم: إنّ العبد الفقير ميّال أكثر وأكثر إلى استقبال فكرة تلك الهيمنة اللسانية من أسباب اختيارها واصطفاء أفصح الناطقين بها عند انتهاء عصر الجاهلية بأمر الغيب سبحانه وتعالى : ألا وهو تبليغ ختم النبوّة. والله أعلم. إذا كان هذا الافتراض صحيحًا، أضحى تقدير الفصحى فريضةً دينية، وحفظُها واجبًا مقدَّسًا...

وإن لم يكن الإيجازُ هنا جائزًا، رأيت أفضلية تفصيل التعمّق في استعراض المادّة المعجمية، إذ ما انفكّ هذا البناءُ الأصيل- وهو أغنى من التصنيفات الصرفية وأوامر القواعد النحوية وأقوى من كلّها قدرةً على وراثة كنوز العروبة من جيل الحكمة إلى جيل العنفوان والإنجاز، وعلى استمرار تبليغ القِيَم الإنسانية الراقية من خلال ضباب الشكوك وطحالب التساؤُل وأباطيل المطامع الزاهية والأمجاد العابرة- يُلهم القلوبَ الصافية روحَ الاندفاع والابتداع، وحتى مثال التفاني لصالح الآخرين.

١.١٧ جدولة طريقتَيِ التحليل: نبتدئ متطلّعين إلى تحديث طرائق التحليل التقليدي. إنّ زُهاء لا يُحْصى من الترابطات اللفظو- دلالية قد نال شرحًا عقليًا مفهومًا على أساس

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الوقائع الإبدالية في إطار الأصناف المذكورة أعلاه. لن يُعرَض هنا للأسف إلّا بعضُ الشواهد والأمثلة: غيْض من فيْض! تدلّنا على خطورة دور الإبدالات في بناء المعنى المعجمي. من لطفه تعالى أن استمرارُ العماد الصوتي وتشبيكِ عناصره في جميع أجزاء المعجم يؤمِّن إدخالَ معطيات ملموسة ستُسجَّل في دوائر الدماغ الاصطناعي، فتبقى قيدَ تصرّف الحساب الالكتروني القادر على تفهُّم تشبيكات صِيَغها الجبرية.

اسمحوا لي بإلفات أنظاركم إلى السطور الأخيرة (٩،١٠،١١...). نلحَظ هناك تتابُع ثلاث كلمات متلاصقة بل متداخلة، بواسطة تقاسُم قطعة ثنائية بشكل خاصّ: تنتهي بها الكلمة الأولى، وتبتدأ بها الكلمة الثانية. ليس هذا التسلسل نادرًا في النظام. أعتبره الآن ترابطًا لفظو- دلاليًا ناجمًا عن تكاثر التبادلات الخطابية (عند السَمَر مثلا، أو بصفة أعمّ، في كلّ المناسبات الجماعية). أضفت لشواهدي تعقيبًا يشير إلى إمكان توسيع مجال الدرس، وحالًا نكشف أنّ الناطقين بالضاد "سبقونا على الأبواب"، وقد ربطوا سلسلتَيِ الخزق وزقّ أفراخ الطيور بواسطة تراكز لفظو- دلالي يراعي القواعدَ الصرفية من جهة، والمقاصدَ السيميائية وتوجيهاتِها معًا. قد لاقيت العديد من هذا القبيل: عرضت تسلسل أسماء تحويل القشدة إلى زبدة (محيطي ص ١٠٢-١٠٥) وعمّمت حديثي ملحًّا على الصلة بقضية ذاكرة وأدوات التذكير عند القدماء الأمّيين، فتطوير الترابطات المسلسلة في لغتهم الراقية.

رقم	الشاهد	المواقع الجذرية: فاء	عين	لام	تغيير التمثيل	المسار النطقي (تتابع عمليات تنشيط المخارج \ تتابع الأصناف الإبدالية): λ	L	D	P	A	V	...	A'
1	لبخ	ل	ب	خ	◄=	ل	ب	←	خ			→ 5 أصناف ←	
2	لبع***	ل	ب	ع	◄=	ل	ب	←	ع				
3	لخص	ل	خ	ص	◄=	ل	←	←	خ	ص			
4	بخز	ب	خ	ز	◄=		ب	←	خ	ز			
5	بخس	ب	خ	س	◄=	←	ب	←	خ	س			
6	بخص	ب	خ	ص	◄=		ب	←	خ	ص			
7	بخق	ب	خ	ق	◄=		ب	←	خ	←	ق		
8	وخز	و	خ	ز	◄=		و	←	خ	ز			
9	فضخ	ف	ض	خ	◄=		ف	ض	خ			تداخل خطي ←	
10	ضخز	ض	خ	ز	◄=		←	ض	خ	ز		←	
11	خزق	خ	ز	ق	◄=			←	خ	ز	ق		←
12	خزز	خ	ز	ز	◄=				خ	ز		→ 5 أصناف ←	ز

*** : دارجة | التغايرات العمودية إزاء التجانس العمودي للأصناف الإبدالية = ◄ استشفاف دينامية طوبولوجيا الألفاظ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

١.١٨ العلامات التحتية: من فوائد منهجية التحليل في "النحت الأكبر" تمثيلُ بناء الألفاظ برموز جبرية وجدولة المركّبات الصوتية حسب الإحداثيات المعروفة + محور ثالث لترتيب الخصائص الإبدالية (التصاقب العامّ). ذلك كله يوضِح لنا الشبكات المعجمية اللفظو- دلالية، ومن ثمّ الإنجازَ التدريجي لطوبولوجيا النظام المعجمي بأسره بفصل الأبعاد الثلاثة. يتّضح هنا أيضًا أنّ الحقول غيُر منغلقة عن سائر الحقول، كما تتعدّى القِيَمُ الدلالية حدَّيِ الكلمة: قد تتفاعل بقِيَم كلمات مجاورة. لو أضفت سطورًا في أسفل هذا الرسم البياني تمُثّل مواصلةَ تلاصُق التتابعُيات الثنائية: -خز- و-زق- نحو مسار جديد لنَفَس الناطق، لكان مثول [ز$_{١}$ ق$_{١}$ ز$_{٢}$ ق$_{٢}$] و[ز$_{١}$ ق$_{١}$ ق$_{٢}$] لدى حُكمنا شهادة مقنعة بارتباط تشبيهي يبن الخزق وانزكاب منقار الطيور في حلق الأفراخ الجائعة. (را. الأفعال الناتجة : زقف، زقم، لقف، لقم، هقم الخ)، ثم بـضيق الفتحات (أزق، خنق، زنق الخ) وأضحى الارتباط بالثقب والنقب والقوب الخ... بيّنة واضحة لتناسق الألفاظ على صعيدَيِ الدالّ والمدلول، ولمنافع طرح أسئلتي المسبَقة الثلاثة (وفقًا للمسلّمة الثالثة). قد أضحت كافّة الصوامت (سوى المورفيمات بطبيعة الحال) عناصرَ فعّالة للعلاقات الثنائية الحاملة المعانيَ كما يقال، فإنها "علامات تحتية" (infra-signs)، لا مجرّد "زوائد معجمية" – وهو لقب لا طائل له ولا جدوى. سنرجع إلى نفوذ هذه الحقيقة البنيوية على التهميش الخاطئ المستمرّ الذي يقدّس البناء الثلاثي ويُبعد النحاةَ عن التعرّف على وَحْدَوية التسمية، التي تهدينا إليها تيوريمات مستنبَطة من المسلّمات ٢ و٣). كما يُستخلَص من إحصائي (١٥٠.٠٠٠ ع. ث. على الأقلّ). إنّ عموميةَ هذا البناء النظامي (المصاقبة) تعد تبريرًا لتسمية نظريتَي بـ"النحت الأكبر". والجديرُ بالانتباه أنّ التكثيف السائد في لغتنا لقح الدلالة حتى في الفواصل الصوتية بين الصوامت المنطوقة بواسطة العلاقات الثنائية (المتّصلة والمنفصلة). ومن يبن دلائل هذا التضمين المعنوي دلالة العلاقات المنفصلة المتصاعد عددها تصاعُدًا دليليًا(exponential) مع تزايد صوامت المَسار المعياري الخاصّ بالحقل المعنيّ. لذلك أشرت إليه بإقحام التلميح إلى فاصل ٥ أصناف إبدالية (قد ينشّطها الناطق) يبن صامتين مبنيّتين على نفس الصنف: هنا ز$_{١}$ ثم ز$_{٢}$. وبما هو الأمر في المكرّر، سنتطرّق إليه فيما بعد. أما عدد العلاقات المنفصلة الاحتمالي فنحصل عليه بمعادلة $((N-1)x(N-2)):2$ حيث N= عدد صوامت المسار. لذلك مثلا، نجد علاقة منفصلة واحدة في الثلاثي ($\overleftarrow{x...}$...z) وN= ٣. فنتيجة تطبيق المعادلة: نصف (٢-٣) x (١-٣) = ١. إنّ مَسار حقل العودة اللاإرادية إلى المخيّم أمثِّله كما

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يلي: PLV▯DA (٦ أصناف)، فعدد العلاقات المنفصلة هو: نصف (٢-٦) x (١-٦) = ١٠. فلنتصوَّر المقدرة التوليدية الاحتمالية للنظام الفصيح! را. المقدار الحسابي لإمكانيات التحديث الاصطلاحي المشروع (باستغلال الرصيد المهمَل من الاحتمالات الأصيلة) في جدول٥٩ (محيطي ص ٢٦٨).

١.١٩ المرجع العام وتكراريته: ترقُّبا للإلمام بكافّة المعلومات البنيوية الضرورية لإنجاز الوصف الطوبولوجي الكامل للنظام المعجمي، الأفضل أن نجعل L D A ▯ V P مرجعا عامّا لهذه المعطَيات المسجَّلة، بادرتُ منذ سنوات إلى التفتيش على بُنى انتظام الوحدات المعجمية في المستوى السيميائي قد تصلح للإشارة وللإيحاء بصفة تؤهّلها للمعالجة الجبرية. وشيئًا فشيئًا كشفت أنّ ما يسمّى المكرّر مبنيّ على مبادئَ خاصّة يهدينا فهمُها إلى اكتشاف خصائصَ جديرة بتمام انتباهنا. أذكِّر القرّاء الأفاضل أنّ المكرّر مشهود في كافّة اللغات الساميّة، وألحّ على أنّ لغتنا أغنى بكثير من الأخريات (ا) بصورة عامّة؛ (ب) في صدد المكرّر. قد مضت (را. فقرة ١.٨وملاحظاتي حول تفكيكه إلى أربع قطع ثنائية، كما يُقرّ به الخليل والخليليون). إنّ إغربها بل أهمّها هي التي سمَّيتُها القطعة الوسطية. اتّضح لي الطابعُ الدوري تحت تسمية تشير مباشَرةً إلى تكرير القطعتَيْن التقليدي، وقد مضى التمثيل الآتي: فع + فع. فإذا قرّرتُ جدولة جميع التباينات الثنائية وفقًا لتسلسل الأصناف الإبدالية، سرعانَ ما تبيّن للعبد الفقير أنّ كتابة صامتَيْن مماثلتَيْن في خانات الجدْول تقتضي (١) مرورَ النفَس بمخرج الصامت الأوّل فتلفُّظَه[ثم انتقالَه إلى مخرج الصامت الثاني وتلفُّظَه، ثم عودتَه إلى منطلق التحقيق التبايُن الثاني]؛ (٢) إعادةَ مرور النفَس بمنطلَق المسار المعياري كرّةً أخرى والمرور الجديد بمخرج الصامت الأوّل فتلفّظه [ثم إعادةَ مرور النفَس بمخرج الصامت الثاني فتلفّظه]. إنّ وصف عمليات النطق المتتالية لا يخلو من إطناب لا محالة منه. فأفضّل اطّلاعَ القرّاء على جدول التبايُنات الاحتمالية الثلاثين (٥x٦) الذي استفاد فضائلَ مختلفة - بعضُها رياضية. لقد اكتشفتُها خلال العقدَيْن المنصرفَيْن بمثابرة التأمُّل في خانات الجدْول. لا يسعني استيعابُ الخصائص ومنافعِ استغلالها، فها أنا ذا مضطَرّا إلى عرض رسوم بيانية وجداول كلُّها نماذج بسيطة لمنهجيتي التحليلية. لا أتوقّع القرّاء أن يقضوا وقتَهم النفيس في مثل تلك الأعمال الشاقّة. إنما أتمنّى لهم توفيق مجهوداتهم الثقافية واجتيازهم مجاهل محيط لغتنا العزيزة.

١.٢٠ التكرارية: الجدول التالي مصمَّم لعرض ترسيس التشابك التكراري على المستوى العميق بين نماذج المكرَّر الثلاثين. معالجة الموضوع جبرية. رتّبت رموز الأصناف الإبدالية

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الستّة على المحورين الجبريين المعروفين. نقرأ سينات الأصناف على المحور الزمن الأفقي، وتُطلعنا متابعة القراءة على تكرارية\ترداية (recursiveness) انتظام المكرَّر: وفقًا لترسيس العمليات الدماغية في عصر الأمّية السائدة وفي غياب ثم ندرة ممارسة الخطّ العربي الناشئ، ومن ثم هيمنة لكلام العامّة، أي الاستخدام الشفهي للأدوات اللغوية، كان ترديد التباينات الدالّة وسيلة بديهية أثرت على تكوين النظام المعجمي المتطوّر. ففي رأيي، مَيْل اللغة الراقية إلى تكثيف العلامات وتشبيك العلاقات بين مركّباتها (على صعيدي الدالّ والمدلول) ولّد تكرار التباينات الثنائية على المحور الزمني. من دلائل صواب موقفي هذا، تواجُد المكرّر في "عائلة" اللغات الساميّة بأسرها. كما تبيّنت هنا تكرارية (□←□←□←[...]) انتقال تسديد وتنشيط المخارج ما بين الشفاه والحنجرة، استعدادًا للأمر المبرمَج بالنطق. ويبدو أنّ المَلَكة (التي تعمَل انتقالَ النَفَس في الفم والحلق والمسيطِرة على المسار النطقي ككُلّ) تُكرِّر نَهْجَه وتأمر بتسديد النَفَس على مخرج الصامت الأوّل، ثم تُعيد نفْسَ العمليات لنطق الصامت التالي،كما تجوِّل الراقنة زالقَ جهاز الطبع حتى نهاية السطر، وحالًا تُعيده إلى مستهلّ السطر التالي. وإن لم تجر هكذا الأوامرُ في الدماغ، فإنّ إتباع نمذجة الأوامر (modelling) يفضي بنا إلى تطبيقات نظرية وعملية متعدّدة لا يسعني حجمُ المقال أن أتبسَّط في عرضها، فأقدّم أعذاري للقرّاء.

١.٢١ علاقة المكرر والمضاعف: من فوائد إصلاح معالجة المكرّر تبيينُ الصلةِ البنيوية بينه وبين المضاعَف. فاستنادًا إلى المرجع العام، يمكننا تمثيلُها قبل الجدول التالي. إنّ الثابتة الزمنية (را. المسلَّمة الأولى) تفرض دوامَ فاصل خمس مراتب (أيْ خمسة مخارج قد يمرّ بها النفس) بين نطق الصامت الأوّل ونطق هذا الصامت كَرّةً أخرى. أخذتُ مَثَل تناسُق ثلاثة أفعال يتّضح فيها الفاصلُ الخماسي. بصدد هذا الفاصل وكثافةِ استغلاله (وأحيانًا إشباعِه بـ"إقحام" صوامتَ منتميةٍ إلى قِطَع ثنائية ذات دلالة، افترضتُ أكثر من مرّة أنه يشبه الفواصل الساكتة ضمن النَغْم عند الموسيقار العبقري النمساوي (موزارت) في استخبار مسرحيته الغنائية "دون خوان"، وهي "تهدي السامعين إلى أعماق ضمير البطل"... الخلاصة أنّما يعادل تلك الفواصلَ قد يكمُن في العلاقات غير المسموعة بين الألفاظ العربية الفصيحة...

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مراتب الصوامت	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18
المرجع العام	L	D	A	λ	V	P	L'	D'	A'	λ'	V'	P'	L"	D"	A"	λ"	V"	P"
الترميز الجبري					x	y					x'	y'					x''	y''
ج خ ج خ $(xyx'y')$					*	*					*	*						
فاصل x'-x					ح 1			← خمس مراتب →			ح 2							
فاصل y'-y						ح 1			← خمس مراتب →			ح 2						
خ ج خ ج $(yx'y'x'')$					←	*					*	*					*	
فاصل y'-y						ح 1			← خمس مراتب →			ح 2						
فاصل x''-x'											ح 1			← خمس مراتب →			ح 2	
خ ج ج (xyy')					*	*						*						
فاصل y'-y						ح 1			← خمس مراتب →			ح 2						

Δ

[ح١أوح٢= حدّا صامتَيْن]

ههنا بسْط الصيغ الجبرية للتتابعات الثنائية في كلّ من الدورات الثنائية الثلاثين. على القراء الأكارم أن يتفضلوا بإفادات هذا البسط، فيقتنعوا بأنّ تفكيك مركّبات [فعفع] وتمييز علاقاتها الثنائية منهجٌ صائب يسهّل تفهيمَ الآلية الدورية، الكامنة على المستوى العميق في اللغات الساميّة، قبل التبسُّط في خصائصها البنيوية الدائمة، من بينها المساهمة في تطوير المعجم الساميّ القديم خلال الجاهلية (أيْ في عصر الأمّية السائدة)، وتنويع تشابكات عناصرها اللفظو- دلالية دون الإخلال بترتيبها (را. استدلالاتي الخاصَّة بهذه المسألة التاريخية). الأرجح أنّ تناسُب الأرقام عكسًا (المنوَّه به في المنطقة الوسطية) ما بين الوظيفتَيْن قد يضلِّل التحليلاتِ التقليدية، المستندة إلى سذاجة شهادة المسامع وقراءة تسلسل الصوامت على الخطّ.

المرتبة	1	2	3	4
الصيغة الجبرية	x	y	x'	y'
وظيفة ORIG	0	1	2	3
الصوامت الجذرية	ف1	ع1	ف2	ع2
وظيفة EXTR	3	2	1	0

بسط الصيغ الجبرية

ORIG (ف1) (= 3) :	ف1 ← ع1 • ف1 ← ف2 • ف1 ← ع2
ORIG (ع1) (= 2) :	ع1 ← ف2 • ع1 ← ع2
ORIG (ف2) (= 1) :	ف2 ← ع2
EXTR (ع1) (= 1) :	ف1 ← ع1
EXTR (ف2) (= 2) :	ف1 ← ف2 • ع1 ← ف2
EXTR (ع2) (= 3) :	ف1 ← ع2 • ع1 ← ع2 • ف2 ← ع2

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بصدد منافع المؤشّرات الجبرية للبحث الآلي عن المسارات النطقية مثلًا، را. فقعة ٤.١.
حان وقت جمع كافّة الدورات (=التباينات الثنائية) المتشابكة في النظام المعجمي.

	البنية الجبرية النظرية لتشابك الدورات الثنائية التكراري (6x 5) نموذجية المكرر (على أساس الأصناف الإبدالية الستة)																				
	المرجع العضوي	...	تكرار γ						تكرار β						تكرار α						
	مراتب الصوامت	...	18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
	المسار النطقي	...	P"	V"	λ"	A"	D"	L"	P'	V'	λ'	A'	D'	L'	P	V	λ	A	D	L
A	1α	...					D"	L"					D'	L'					D	L
	2α	...				A"		L"				A'		L'				A		L
	3α	...			λ"			L"			λ'			L'			λ			L
	4α	...		V"				L"		V'				L'		V				L
	5α	...	P"					L"	P'					L'	P					L
B	6α	...				A"	D"					A'	D'					A	D	
	7α	...			λ"		D"				λ'		D'				λ		D	
	8α	...		V"			D"			V'			D'			V			D	
	9α	...	P"				D"		P'				D'		P				D	
	10β	...					D"	L"					D'	L'					D	
C	11α	...			λ"	A"					λ'	A'					λ	A		
	12α	...		V"		A"				V'		A'				V		A		
	13α	...	P"			A"			P'			A'			P			A		
	14β	...				A"		L"				A'		L'				A		
	15β	...				A"	D"					A'	D'					A		
D	16α	...		V"	λ"					V'	λ'					V	λ			
	17α	...	P"		λ"				P'		λ'				P		λ			
	18β	...			λ"			L"			λ'			L'			λ			
	19β	...			λ"		D"				λ'		D'				λ			
	20β	...			λ"	A"					λ'	A'					λ			
E	21α	...	P"	V"					P'	V'					P	V				
	22β	...		V"				L"		V'				L'		V				
	23β	...		V"			D"			V'			D'			V				
	24β	...		V"		A"				V'		A'				V				
	25β	...		V"	λ"					V'	λ'					V				
F	26β	...	P"					L"	P'					L'	P					
	27β	...	P"				D"		P'				D'		P					
	28β	...	P"			A"			P'			A'			P					
	29β	...	P"		λ"				P'		λ'				P					
	30β	...	P"	V"					P'	V'					P					

١.٢٢ نقض الرأي السائد في إمكان انقلاب المكرّر: قد دللت (في الفقرتَيْن المذكوتَيْن) على أسباب هذا الضلال من بينها منهجيةُ مزاوجة الكلمات المترادفة الشاهدة وإدمان مقابلتهما، بغضّ النظر عن السياقات المعنية. وكرّةً أخرى، يستند استدلالي إلى حركية المكرَّر في مجادلة الرأي السائد ودحْض حججه. علاوةً على ذلك، لم يعُدِ الاستدلال يستدعي إحدى المكرّرات (مرمر ودمدمة) - وخصوصًا تواجُدَ [-ف١←ع١- و-ع١←ف٢-] في صيغة فَعْفَعَ. أتاح

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

لي الجدولُ أعلاه فرصةَ تعميم استدلالي وبرهاني بفضل شهادة جماعية تستوجب إصدارَ حُكم نافذ حيثيّاته: نظرًا إلى تكرار أوضاع بناء المكرّر، وعليه توليد ازدواجية التلفّظ بصِيَغها الصامتية، نعلن القَدْح في إيراد المستنَدات والحجج المبرَزة لمصلحة القلب والتقليب والانقلابية\المعكوسية (را. ١٢١ استدلالًا مضادًّا في محيطيص ٣٩٥-٤٨١).

١.٢٣ حجّة توقيت النطق: يُقرّ الرأي السائد بأنّ عفعف مقلوب مقابل فعفع وأنّه خاضع لحركة عكسية واضحة. أقول بالعكس إنّ هذا الزعم ناتج (١) من عدم اعتبار الحركية الوحيدة الفعّالة، التي تدفع دائما عملياتِ النطق إلى الأمام، إذ تراعي الثابتة الزمنية (را. أعلاه المبدأ النسبي القائل بالترابطية العامّة)؛ (٢) من اكتفاء النحاة والألسنيين من عزل الصيغتَيْن بين حدَّيِ التقابل "العمودي". فردًّا على ذلك، انتقيتُ من بين المستنَدات المضادّة رسمًا بيانيًا رموزه الجبرية المعروفة بالخطّ اللاتيني، وحيث تركّز الاستدلال على كِلا المحورَيْن. يتّضح لدينا (بصريًا وعقليًا) أنّ حركية العمليات النطقية واحدة، والباقي غيّ الأبصار و\أو المسامع. ليس هنا إخلال بترتيب صوامت المكرّر، وإنما بتوقيت نطقها: ما انقلب تتابعُ الصوامت الأربعة، وإنما انزلق من مرحلة t_n إلى مرحلة t_{n+1} حسب الظروف.

توقيت الأوامر بتنشيط مخارج المكرَّر

حركية الاتجاه الزمني (سهم الزمن) : ← ← ← ← (من الماضي إلى المستقبل)

مراحل التلفظ :	t_0	t_1	t_2	t_3	t_4	t_5	t_6	t_7	...
فعفع ...	ف1	ع1	ف2	ع2	ف3	ع3	ف4	ع4	...
عفعف...	←	ع1	ف2	ع2	ف3	ع3	ف4	ع4	...
فعفع ...	←	←	ف2	ع2	ف3	ع3	ف4	ع4	...
عفعف...	←	←	←	ع2	ف3	ع3	ف4	ع4	...
↓	←	←	←	←	←	...	...	...	...

Δ Δ ج ج

t_n= وقت الأمر-Δ= ازدواجية صيغتيْ فعفع وعفعف - ج = المجانسة الصوتية يبن لفظين (homophony)

قد انتبه إليه العلّامة المصري ج. السيوطي (قبل خمسة قرون) في المزهر. عِوَضَ تعليلات الآخرين بقلب[...] الصوامت، فسّره بتأخير الإدراك السمعي حينما كان السامع (أو المخاطَب) بعيدا عن منطلَق الصوت البشري: عند ترديد الهتف أو النداء. تواردت أفكارُنا في القضية... ألا نلاحظ أنّ [هلّل تهليلًا: ه ل ل] مبنيّ على [ألله : -ل ه-]ʼمن دون قلب أو

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

معكوسية الصامتَيْن؟ كما نتذكّر أنّ حلقات المهلّلين يكرّرون الاسم الأعظم. ذلك إثباتًا لكلّ ما سبق...كثيرا مّا يقع نفس التأخير في الأفعال المبنية على دفع الدوابّ والمواشي إلى الأمام أو استحْثاثها بالعياط المكرَّر. وإذ ذاك يجدر اعتبار تأخير نَبْر مقطع اللفظ المنفرد إلى المقطع التالي (accentual shift) عند ترديده، فتغيُّر التنبير يسبّب التقطيع الخاطئ تحليلُه.

١.٢٤ ازدواجية المكرّر: نظرًا لأحوال تبادل الإخبار واختلاف الأزمان والأمكِنة، قد نتصوّر عدّة أسباب للوقائع المذكورة. مقصود جدولي يؤيّد افتراض السيوطي بتعميمه السائغ، ولا يستبعد شيئًا إلّا أضاليلَ التشويش والإخلال بتناسُق النظام المعجمي، وتمزيقَ الطراز الفصيح، والإساءاتِ الطائشةَ إلى عجائب التشبيكات الزخرفية التي نسجتها ونقشتها ملكةُ الأجيال المنصرفة. ههنا لائحة نماذج الازدواجية: ترقيمها يفضي بالمحلِّل إلى آفاق طوبولوجيا النظام المعجمي. سوف يساعدنا في تدريب الحاسوب على تفهُّم الشبكة العلائقية (القراءة من اليمين إلى اليسار - را. الجدولَيْن في منتهى فقرة ١.٢١).

٩α■٢٣Δβ ٨α■١٩Δβ ٧α■١٥Δβ ٦α■٢٦Δβ ٥α■٢٢Δβ ٤α■١٨Δβ ٣α■١٤Δβ٢α■١٠Δβ١α
١٦α■٦Δγ ١٥β■٢Δγ ١٤β■٢٨Δβ١٣α■٢٤Δβ١٢α■٢٠Δβ١١α■١Δγ ١٠β■٢٧Δβ
٢٣β■٤Δγ ٢٢β■٣٠Δβ ٢١α■ ١١Δγ ٢٠β■٧Δγ ١٩β■٣Δγ ١٨β■٢٩Δβ ١٧α■٢٥Δβ
■٢١Δγ ٣٠β■١٧Δγ ٢٩β■١٣Δγ ٢٨β■٩Δγ ٢٧β■٥Δγ ٢٦β■١٦Δγ ٢٥β■١٢Δγ ٢٤β■٨Δγ

١.٢٥ جوانب رياضية لمسير التنقيب المعجمي في "كنز اللغة": لو أتيح لي عرض تمثيل علاقات ؟ بين دورات ؟ ودورات ؟ (وهي ثلاثون) على جدول كبير خاناته ملوّنة -كما عرضتها في محيطي ص٣٠٤-٣٠٥، لكانت القراءة أسهلَ، والاستنتاجُ من انتظام الوقائع الرياضية ومن اطّراد تصاعد الأرقام (متوالية الأوّل حسابية [١...٢...٣... حتى ٣٠]، بينما تكون متوالية الثاني هندسية [١٠... ١٤...١٨...٢٢...٢٦ الخ] أنفعَ. على كلّ، إنّ هدف هذا التصميم الرياضي هو هداية الدماغ الالكتروني إلى فهم الآليات اللغوية الجارية في قعر المعجم الفصيح، تلك التي نظّمت بناءه شيئًا فشيئًا استعدادًا لمواجهة تحدّي الحضارات المجاورة حينذاك. تكثيف الموضوع في عدّة صفحات ومجرَّد التلميح الإرشادي إلى روعة مسير لغتنا المباركة تجربة جريئة على عاتق العبد الفقير، وأدعو العليم أن يستجيب لآمال الصالحين، ويُنعمَ على المخلصين بعَزْم الاجتهاد العلمي، ويباركَ مساعيهم المتواضعة، وهو ربّنا الكريم، وليّ التوفيق.

٢.١ تطبيق "النحت الأكبر" على دراسة معجم الحيوان. الشرشق أو الوطواط نموذجًا: حيث أنّني حالًا عاجز عن الإلمام المنشود بألوف الشواهد التي اعتمَد عليها إنجازُ "النحت

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

الأكبر"، وبقصد إطلاع القرّاء الأفاضل على ارتقاء البناء التكراري العريق، فلنتطرّق إلى أمر المكرّر الثلاثي عن طريق التعرّف على مدى اندماج تجارب العرب القدماء في بناء معجمهم البديهي على أسس متينة تشهد بجدّيتهم في تلقّي الخِبْرة وإتقان ترميزها وتسجيلها الدماغي، وجودتهم بما استلموه. لقد تعلّمنا من تراثنا الفصيح كيف انصهر سِحْرُ الإيحاءات بدقّة التسمية في ذاكرتهم الأسطورية وملَكَتهم الخطابية العجيبة. من خصائص المعجم الفنّي الأصيل أنه لا يقتصر على مجرّد الإشارة، وإنما يستوعب ترابطاتُ اسمه وصفًا تفصيليًا لتضاعيفه الخارجية، وانطباعاتِه من البيئة، وتصرّفِه (إن كان حيًّا) أو ما اخترت لكم كمَثَل جنس حيواني جدير بدرس دقيق - لا الإبل ولا الخيل ولا الأسد كالمعتاد، تلك التي يندهش المعجميون الأجانب من توفّر أسمائها وصفاتها المسجَّلة: كان من الأفْيَد إعادةُ النظر فيها على ضوء نظريتي، غير أنّ ذلك قد يستغرق مكانًا وزمنًا زيادةً عن المعقول. "خيرها بغيرها"، كما يقال...

اضطُرِرت إلى الاختيار بين الطير الأخطب (الشرشق) والخفافيش. وإذ درست شؤونَ الأوّل في محيطي (ص٨٤-٨٦، ٩٣-٩٩)، فضلت تدشين التطبيق بالوطاويط. (ا) إنها أكثر الضَرْعيات تنوّعًا، والجنس الطائر الوحيد من بين الثَدْيِيّات. الحقّ أنّها غير مستحَبّة لعدّة أسباب، رغمًا عن منافعها، ويتخوّف منها أو يشمئزّ منها الكثيرُ في العالم. (ب) إنما هي أكثرُ الثدييات تعددًا على وجه الأرض... قد اهتمّ بها العرب منذ الجاهلية، فخصّصوا لوصفها ألفاظا متعدِّدة (إمساسا؟!). يجدر بنا فحصُها: را. محيطي (ص ٥٧-٦٠). توافَر المكرَّر والمُضاعَف في معجم أنشطة الحيوانات الليلية (والإمساس هنا مؤكَّد بسبب مطابقة ترديد الصوامت وتشديدِها على كِلتا الإشارة والإيحاء... هناك إمساس أكيد اهتممت به في محيطي. مثلًا: زلزل√ بتواجُد-زل- (حركية أفقية: الانزلاق) و-لز- (حركية عمودية: تراصّ الأنقاض). أو: الشَرْشَق [شرقرق الخ] (الطير الأخطب – ص ٩٣-٩٨)... وحقًّا توفُّر ظاهرة الإمساس في ميدان الحيوانات لا يُدهِشنا لجميع الأسباب.

٢.٢ التحرّي اللساني في المعجم كتلبية دعوة الجوار: تحدّثت عن جمع معطيات متنوّعة، خاصّة بالكائنات المشار إليها ضمن الشبكة العلائقية الكامنة في "صَدَفات الدُرّ" كما أنشد الشاعر المصري البصير حافظ إبراهيم (فجعلته رائدًا لواجهة وصيتي العلمية محيطي). لقد حان سؤالها، لا استجوابُ الغوّاصَ الفقير. وحينئذ تبادَر إلى ذهني مشهد مُقلِق: تجمّعُ خفافيش حائمة في الظلام أثناء السَّمَر... من خلال خيوط ستار مجدْ ولنرفعه من طَرْف الزائر الدخيل، تلمَح العينُ شفافيةَ ظلالٍ مهلْهَلة وراءها لآلئُ نجوم الليل المقمِر.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

جئنا متعلّمين، فنخوض الظلماتِ المسكونة، ونستشفّ عالمَ الأسرار العَجْماء... توقَّعنا أصداءَ سهرة عادية، فإذن العزفَ والإنشادَ والمناجاة. نستبعدها ونحن مُنصتون إلى صمت الخلاء. لم نعرف بعدُ قيمةَ الأوان وضيفُنا غائب. إلّا أنه فتح لنا فرصة التقرُّب من الخيام، وخيرُ الضيافة ها هو ذا التسليم في الأوّل ثمّ التقديم وأخيرًا التقاسُم.

٢.٣ المتطلّبات الشكلية لتدوين معطيات "كنز الضاد": فليعرف القرّاء أنّ التوافُق المنبثق من شمْل الصوامت المعيَّنة مع أخواتها الفونولوجية ليست تصادُفية، وإنما تنجُم عن الحفاظ على التواصُلات الطبيعية التي فتّتها التقاليد، وقد مضى نقضُها. وما يُستنتَج من انتظام داخلي غير مدين لترتيب بسيط مِعيارُه صوتي\أصواتي(phonetic) بجدولة عواميد تقتدي بألف باء تاء ثاء الخ، ولا بأيّ امتثال هجائي لأبْجَدْ هَوَز [...]، المقتبَس من اللغة العبرية المكتوبة، ولا برغبة مفاجئة عشوائية في فرض التجنيسعلى الأصوات، وإنما هو الاستنباط المثابر على أساس عدد لا يحُصى من التحليلات المعجمية. لا أزال ملحًّا على أنّ صوامت تلك العواميد ليست منعزلة، وأنّها-في أغلب الأحوال- حدَّ الانتهاء (EXTR) بالنسبة إلى صوامتَ سابقة، وحدَّ الابتداء (ORIG) بالنسبة إلى صوامت أخرى، وأنها إذن عناصر الأصناف الإبدالية المترابطة. هكذا يكون كلّ صامت مسجَّلًا\مجدْوَلًا بحيازة هاتَيْن الوظيفتَيْن. أو بعبارة أخرى، لا يُسجَّل\يُجَدْوَل في مشروعي المعجمي (حوسبة "كنز الضاد") إلّا شرطَ إثبات العلاقتَيْن المذكورتَيْن سَلَفًا. وهكذا بدأ التحديد الطوبلوجي المطلوب لتفهيم الحاسوب طبيعة المعنى المعجمي، والفضل للعليم.

تظهر صورة المعجم الشكلية حسب "النحت الأكبر" مخالِفة للتي انتشرت في الدراسات المعجمية منذ أوائل علم النحو العربي. كانت مبادئ التحليل التقليدي السائد مثل هيمنة الثلاثي إلى حدّ تهميش الرباعي واعتبار الصامت الزائد على ثلاثة حرفًا إضافيًا لا أكثر، ولذلك على هامش إشكالية المعنى. الصلة الوثقى بين المعجميات وآراء النحاة واضحة: إنّ علم الصرف (أو "علم تركيب الكلمة" كما يحدّده معجم رمزي م. بعلبكي ص ٣١٨، قائلا: "يقع في قسمين: علم الصرف التصريفي، وعلم الصرف الاشتقاقي") تمكّن من منهجية صناعة المعجَم (lexicography) وعلم المفردات (كذا) (lexicology)". تفرض هيمنة المعايير النحوية (واضحة في التسمية الثانية) انتهاجَ طرق تحليلية معترضة سبيلَ تحديث هذا العلم، حيث أنّه مصبوغ بصبغة الأصالة، وأمرّ مرَّ الكرام بتسرُّب المذاهب الدينية في ما يُقرّ به المحْدَثون وحتى المصْلِحون. فتقديس نصوص الأسلاف لا يزال حائلا دون تطوّر المعجميات مهما كانت البراهين المضادّة، ومهما قيل عن إخفاق الوصف التقليدي لعدد من القضايا الأساسية مثل التأثيل الاشتقاقي (را. أعلاه)، وحلّ المشاكل باللجوء إلى الزوائد

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المعجمية والإعراض الدائم عن معالجة جدّية للرباعي، وزعْم الإخلال بترتيب حروف الثلاثي (التقاليب الستّة الخليلية)، ونواقص إبدال الحروف الخ. تمنعني خطورة هذه الإشكالية من التعمّق الضروري، فأقترح للقرّاء أن يُقلِعوا يوما مّا من رصيف البصرة على شطّ العرب نحو آفاق محيطي، مثل سندباد البحري وجَوّالي الأساطير، مُبْحرين شرقًا أو غربًا... من واجبي الاقتصارُ على بعض جوانب نظريتي، فتفضّلوا بالنظر والتأمُّل في جدول مختصر لروّاد الهواء المعتَّم حول الخيام...

٢.٤ ترابطية الدورات الثنائية والثلاثية (حقل الحيوانات الليلية نموذجًا): يفصّل الجدول التالي مراحلَ تشبيك الدورات\التباينات الثنائية في إطار حقل الخفافيش. نرى أنّ التكرارية (recursiveness) تؤمّن إدماجَ مركّبات الوحدات المعجمية في عواميد الرسوم البيانية (را. جدول ٦، محيطي ص ٦٠). إنّ مقصودي هو إلفاتُ الأنظار إلى جزء مهمّ من حقل الخفافيش لكثرة تعليماته. نلمس فيه نفاذ تقاسُم قطعة ثنائية على الإيقاع الثلاثي في محاكاة الأصوات الخافتة (الخَواف، الفَطافِط الخ) والحركات التي تحُدثها كالتحليق (الحَوَتان، الحَوَمان، الدَوْماء، الهَفَوان الخ) – هذا الذي كان مسموعا عند السمر والسهر حول نيران المخيَّمات. أوْحى طيرانُ الخفافيش المستديرُ المتحلّق كأنها خفشاء متلمّسة في العتمة إلى ما يشبهه في حلقات الطيور. فندرك حينئذ تواجُدَ هذه الألفاظ المحيطة بمعجم الضَرْعيات. ومن المهمّ الأهمّ في إطار هذا المقال أنّ تكاثُر هذه الترابطات اللفظو- دلالية ناجم عن تقاسُم قطعة ثنائية. وكالمعتاد، يتضمّن الحقل وحدات معجمية يبدو لنا لأوّل وهلة أنّها لا تنتمي إليه، إلّا أنّ سيميائيات الناطقين قد ربطتها بسائر الألفاظ المعنية. هذا هو شأن الطَفْطَفة (دورة ⍰١٠) "قطعة لحم رَهِلة"، ولا شكّ في ذهني أنّها توحي إلينا رأسًا بجثّة عصفور أو زُبانة أو... خفّاش أخذناها بين يدينا دافئةً مرتعشةً... ولا أستغرب ارتباطها الشكلي الحاصل بينها وكلمة فَطافِط (⍰١كمثل وطواط) "أصوات جسم يتنقّل". ولّد هذا الارتباطُ الإبدالي (ط \ ت) على صعيد الدال، إذ أنّ الفتافِت دالّة على "همسات متبادلة" أيْ "المناجاة" أو "الوسوسة". أمّا توليد الترابط الدلالي فهو نتيجة العوامل السيميائية. في هذا الصدد، نلحَظ ارتباط طَفْطَفة بحقل الموت (طفس، طفز، فطس الخ) وحقل الدَعْس (فطط، فطأ، فطس، وطس الخ)... وهنا توصّلنا إلى مُعالجة هذه الكلمات كعلامات: أيْ على الصعيد اللفظو- دلالي.

لنتذكّر أن اندماجَ وحدة معجمية في حقل معيّن لا يعني زعم الترادف أو التعادل الدلالي: حدّدتُ مفهومَ الحقل، وهو مجموع منتظِم من ألفاظ يربطها وينسقّها تقاسُم قيمة دلالية أو عدّةِ قِيَم على صعيدي الدال والمدلول. وطبعًا هذا ملموس في أمثلة متعدّدة، ويدلّنا على الطابع السيميائي لهذه التقريبات، فتستعمِلها للإشارة إلى حلقات الخفافيش في

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ظلمات الليال. وكذلك في صدد عجيجها الخافت وتجمّعاتها الهائلة. لقد ألممت بمئة جذر مختلف استعرضت في مشتقّاتها أنواعَ التجمّع- البشري والحيواني (والاثنين أحيانًا)، وتجنّبت إدماج معظمها في هذا الجدول حذرا من الإخلال بتجانس الشواهد. في غياب البراهين المطلوبة، لم أضِف ضفف وضفضف إلى جدولي، ولو كانت صوامتهما تُقاسِم مخارجَ المسار المذكور، وحتى صيغتي المكرّر والمضاعَف.

٣.١ البناء الدوري- من الثنائي إلى الثلاثي: أوصلنا إدماجُ دورة ثنائية (binary cycle) كمثل وطوط (□١) أو طفطف (□١٠) في مركّبات بُنية ثلاثية (ternarycompound) - هنا خُفد (و) د (P′L′D′PLD...) مثلًا - إلى مسألة مهمّة جدًّا: عمليات تشبيك الدورات الثنائية. اتضح لي أن هذه العمليات تولّد الكثير من الثلاثيات. إن تمثيلها الجبري الآتي يدلّ على فاعليتها، إذ أنّها متناسقة تمامًا مع الآليات التوليدية المعروضة هنا.

القراءة : من اليمين إلى اليسار ←

	1	2	3	4	5	6	7	8	9
دورة 1	x	y		x'	y'		x''	y''	
دورة 2	x		z	x'		z'	x''		z''
دورة 3		y	z		y'	z'		y''	z''
المسار التكراري	x	y	z	x'	y'	z'	x''	y''	z''
مراتب الصوامت	**1**	**2**	**3**	**4**	**5**	**6**	**7**	**8**	**9**
ثلاثة أنواع من التشبيك التوليدي (P1 yx ● zy - P 2 zx ● zy - P3 yx ● yz) عن طريق تزويج دورتين من الدورات الاحتماليات الثلاث									

يكفينا إمعان أنظارنا لنتأكّد من تنويع الطرق التعاملية (combinatorial methods) نحو توليد الوحدات الثلاثية مهما كان بناء الكلمات الثنائية المكرّرة، الخاطرة على بال الناطقين القدماء، كلّما أتاهم إلهام الملكة اللغوية بابتداع عبارات جديدة لإخبار مؤثّر على المخاطَبين (وهذا التعليل اللغوي الاجتماعي يفضي بنا إلى أسرار البلاغة). إحصاء الدوافع النفسية المساهِمة في تطوير اللغات- وبالخصوص في تكاثر الاصطلاحات الشعبية الطارئة، وارتقاء المعجم عندما ترتقي الحضارة بحثًا عن تلبية حاجات المجتمع، ومواكبة التقدّمات الثقافية عبر تاريخ الشرق الأدنى والمغارب والأندلس، ومجابهات الطلبات الداخلية وتحدّيات المآثر الأجنبية وهلمّ جرًا... الأمر واضح لمن يتعقّلون، فيقتنعون من نصيب لغتنا الاستثنائي منذ الجاهلية حيث نشأت من المهد الحضاري الساميّ المتطوّر، ومنذ التنزيل المبارك وضحى الإسلام وإشراق قيمه النبيلة على العالم.

٣.٢ إلغاء الزوائد في تكوين التثليث: فاعمدتُ شيئًا يسهّل تفهُّمَ هذه الآلية االرياضية، إذ تمتاز بتركيز ثلاثة طرق توليدية متكافئة بل متكاملة إلى هدف واحد: تثليث التباينات

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الثنائية من دون الزوائد المعجمية التي يردّدها أتباعُ النحاة الأسلاف، المهتمّون لا بإحياء اللغة وإنما بتخليد ما قالوه ألفَ سنة قبل انتشار اللسانيات الحديثة. لا يزال المعجميون منطبِعين بروح القواعد النحوية السائدة. يبسّط العرضُ الجدولي العمودي أطوارَ التوليد ولا يترك القرّاء يتساءلون عن حقيقة هذه العمليات: هل تتحقّق في دماغ الناطقين أو على بال العبد الفقير؟ قد يُطرَح السؤال عن صواب ترتيب الأنواع الثلاثة. لا يليق طرحُ السؤال، إزاء تأكيد الأنواع المترابطة، والبرهان على مراحل الطرق إلى نفس النتيجة الثلاثية التي تكشف لنا أركانَ النظام المعجمي. كما يقال: "الحال يُغني عن السؤال"...فلنتأمّلْ في تطبيق الجدول الجبري التالي. إنّه تمثيل جبري مختصر لعمليات دماغية ترابطية تركِّز توليدَ الثلاثي على استخدام الوسائل التعبيرية المنظَّمة - ألا تقول العرب: "جود من الموجود"...لا بمجرَّد حساب عدد حروف الكلمات وحصول شيئ "زائد". أمّا عنوان مُلحَقات أبواب المقاييس الخاصّة بالرباعي [الخماسي، الخ] فإلهامُه النظري واضح تمامًا: "باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف." أما حانت ساعة مجيء الجبر على بالنا بمثابة الحساب الحرفي؟

ثلاثة أنواع توليد ثلاثيات عن مزاوجة دورتَيْن ثنائيتَيْن

x-y + x...z

$y'' x''$	$y' x'$	$y \quad x$	**P1**
$z'' \quad x''$	$z' \quad x'$	$z \quad x$	
$z'' y'' x''$	$z' y' x'$	$z \; y \; x$	√3

x...z + y-z

$z'' \quad x''$	$z' \quad x'$	$z \quad x$	**P2**
$z'' y'' x''$	$z' y'$	$z \; y$	
$z'' \; y \; x''$	$z' y' x'$	$z \; y \; x$	√3

x-y + y-z

$y'' x''$	$y' x'$	$y \quad x$	**P3**
$z'' y''$	$z' y'$	$z \; y$	
$z'' y'' x''$	$z' y' x'$	$z \; y \; x$	√3

لقد استعرضت في نهاية محيطي نتائجَ تطبيق عملية المزاوجة علي مجموعات الدورات الثنائية الثلاثين (□+□) مع اندماج عملية أخري لا يمكنني تفسيرها الآن، فتمكنت من توليد

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

مئات الجذور الثلاثية بموجب برمجة خارزمية أقنعتني بأنها قادرة علي تطويرات حاسوبية واعدة. والله أعلم.

٣.٣ من فضائل تعدّي حدود الكلمة حلّ تكراري لإحراج مسألة الأقدمية: مثلما اتّضح لنا تراكُز العلاقات والترابطات والعوامل السيميائية على توليد [كلمة كذا بمعنى كذا] يتّسم رسمُ هذا التكوين (على صعيدَيِ الدالّ و المدلول) بشكل نجمة مُشِعّة - رسمًا يتعدّى حدود هذه الكلمة، فيقدَح في صواب شهادات التأثيل الاشتقاقي السائد: أصل معيّن← [كلمة معيَّنة بمعنى معيَّن]،فيدحَض العديدَ ممّا يصفون. كذلك تمنعنا تكرارية بناء المكرّر من الإدلاء بأجوبة عاجلة عن غير رويّة على التساؤلات المشروعة عن أقدمية دورةكذا بالنسبة إلى دورة كذا بالنسبة إلى"العكس بالعكس". إنّ ازدواجية تكوين الاثنتَيْن على المحور الزمني (رمزُها) تُلهِمني الآن مناسبةَ الاطّلاع على رسم بياني يمثّل الحلّ التكراري لمعضلة الأقدمية. يترتّب التوليد على توقيت الأمر بإحداثه. اتّخذتُ مَثَل قهقه هقهق.

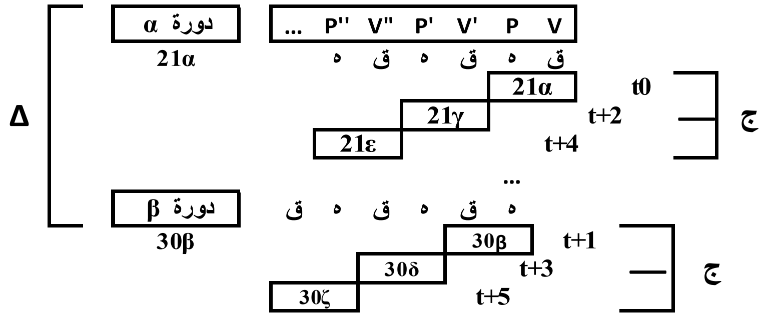

٣.٤ تعليمات معجم القرب: أمّا توليد الثلاثي عن طريق تشبيك الدورات، فيترتّب الثلاثي المنتوج على المسار النطقي المبرمَج قبل لفظه. تعقيبا على صعوبة بل استحالة الإجابة عن مسألة الأقدمية في معظم الأحوال، يهمني الانتباهُ إلى ازدواجية المكرّر. استعرتُ من حقل القَرَب (أحيل إليه القرّاء مرارًا، إذ أنّه يروي لنا بألفاظه المثيرة قصّةَ الأعراب الرحّالة في ليالي الصحارى، رجاءَ الوصول إلى المورد قبل بياض.كلّما نافس قَومٌ قَومًا في قَطْع المسافات نحو الآبار والمراعي، كانت القِرابة مهمّةً (صيغتُها [فِعالة] تدلّ على عيشة أهل الوَبَر) معذّبة بركْب الأهوال والمخاطر أثناء السُرى. ما أغنى ثراءَ معجم القرب، وما أفصحَ تعبيرَه عن تجارب البدو المتكرّرة، وهو "يساري النجومَ" مجازفًا بحياته من أجل الماء والعشب... حتى أنّني نقّبت هذا الحقل تنقيبًا واستخرجت منه تِبْرَه الكامِنَ المغمورَ، لا يجوز لي هنا رفعُ الستار عن عجائبه الفنّية (را. محيطي ص ٣٣٧-٣٥٣)، ولا شكّ في رأيي أنه "ملتقى القيم" (السرعة، الظلام، التسابق، استهلاك القوى، وكلّ ما إليه). نوعا مّا أرى أنّ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

كثافة الصيغ التكرارية فيها إمساس إيقاعي (شعوري أم لا ؟) موافقٌ لترديد حركات الركوض طوال سَرَيان الإبل والرجال في العتمة، وكأنها صدىً لغوي لخَنْق أنفاسهم، قد تُصاحبهم هَساهِسُ الخَوافي وهَدَهَدُهم في مجاهل المضايق الجبلية أو أغوار البراري (را. محيطي ص٢٨٨-٢٩٠، ٣٦٠-٣٦٢). ما بتصادُف عزيف الجنون في تلك الليالي وصفة هَسْهاس لعجلة المشي\القرب، أو لمن يقضي طول الليل في مهمّة كالأعرابي الطالق مثلًا...سيتطرّق تبسْيطُ الجدولَيْن القادمَين إلى تنوُّع الارتباطات اللفظو- دلالية وصلتِه بتعدُّد المعاني\الدلالات (polysemia). إنّه منبثق من التشابكات السيميائية واستيعابها يُعَدُّ من أجدِّ التزامات "النحت الأكبر" ومن أنفع مكتسَباته لإدخال بناء المعنى المعجمي في دوائر الدماغ الاصطناعي. والجدول الآتي سيلعب دوره في الأوان.

٣.٥ كثافة البناء الدوري وإسهامها في تاريخ انتظام المعجم الفصيح. حقل القرب نموذجًا:

طوبولوجيا المكرر في حقل القرب

	تكرار α						تكرار β						تكرار γ						...
المراتب :	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	...
المرجع :	L	D	A	λ	V	P	L'	D'	A'	λ'	V'	P'	L''	D''	A''	λ''	V''	P''	الدورات
1	L	D					L'	D'											1α
2	L		A				L'		A'										2α
3		D			V			D'			V'								8α
4		D				P		D'				P'							9α
5		D					L'	D'					L''						10bβ
6			A				L'		A'				L''						14β
7				λ					A'	λ'					A''				20bβ
8					V	P					V'	P'							21α
9					V			D'			V'			D''					23β
10					V				A'		V'				A''				24β
11						P	L'					P'	L''						26β
12						P		D'				P'		D''					27β
13						P					A'	P'			A''				28β
14						P			V'			P'					V''		30β

Δ Δ Δ Δ

تلك الدورات المشار إليها (١٤) تستغلُّها ٤٢ جذرًا تكرارية: ٢٧ [فعفع \عفعف]، ثمّ ١٥ فعع (والباقي ٥٢) من مجموع ٩٩. قيسوا على هذا الإحصاء وعلى توزيع الأرقام: ٤٢ بإزاء ٥٢...لن أتبسّط في البيان، وقد سبق الإقرار بأهمّية هذه البنى التكريرية (١) في مستوى النظام المعجمي العامّ؛ (٢) في صدد القَرَب (وما إليه، بطبيعة الحال). فضّلت الإدلاء بملاحظات لفظو- دلالية في أمر علامات حيث استخدم الناطقون صامتَيْن فحسب: هنا\الباء\و\الصاد\ (أيْ صامت شَفَوي ثمّ صامت صَفيري). وحتى أقدّم لكم محلَّ هذه العلامات من سائر ألفاظ الحقل، أبتدئ بعرض جدول يمثّل جزءًا ضئيلًا من الكلّ. لقد قصّرت مجالَ الدراسة على أهمّ القيم الدلالية المترابطة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

بلا ريب، الاكتفاء بشواهد قليلة لم يعد يُرضي ذكاءَ الباحثين في العالم الحديث، فأرجو القرّاء الأفاضل أنّ يتأكّدوا من حقيقة الوقائع المذكورة وصواب الاستدلالات بفضل مطالعة محيطي يومًا (وهو قيد الطبع بعَوْن الله). أجل، كاد بسْطُ البناء الشبكي بكافّة عناصره المعنية أن يُمْسي مستحيلًا... فلنتذكّر أسبابَ مجاز "المحيط" و... البيت الأندلسي الشهير: "من يركب البحر لا يخشى من الغَرَقِ"...

المهمّ الأهمّ في الجدول التالي هو البرهان على تكثيف آلية الدلالة والإيحاء معا، لا بواسطة فونيمات ذات دلالة بحدّ ذاتها كما يزعم الكثير حتى الآن (را. المسلَّمة الأولى) – وإنْ وجب الاعترافُ بوجود طاقة تعبيرية في عدّة مناسبات الخطاب وسياقات معيَّنة، أيْ من جراء لَصْقها بصامت آخر، وتكوين "علامة" بأدقّ المعنى. هذا هو الأمر بصدد \الباء\ في جدولنا : لا دلالة لها إلّا في قطعة - بص- أو -صب- في بضعة كلمات معدودة. وأهمّ عامل لإحداث هذه "التعبيرية" هي طاقة الصِيَغ التكرارية (فعفع، فعفاع، فعّ، فعلعل، الخ)... وإن ذِكْرَ قائمة ١١ صفة على وزن فعفاع وفحواها (العجلة وإصرار الأعرابي على إجهاد نفسه في السري نحو المورد) شاهدةٌ معجمية كافية لإقناع الأذهان. مهما كان اهتمامُ التقليديين متمسّكًا بتسميع دروس الأسلاف المبجَّلين.

إذا استعرضنا خانات الجدول سطرًا بعد سطر، إيْ إذا عزلنا لفظًا عن سائر الألفاظ ودرسنا مدلوله أو مدلولاتِه على حِدة، الأرجح أنّنا لن نلبث أن نطرَح على بساط البحث معضلة تعدّد المعاني\الدلالات. وسنبقى متردِّدين بل يائسين أمام تلك المتاهة التفسيرية. لذلك من الأجدى الانتفاعُ بإفادات الجداول (دون أن نتجاهل محدوديَّتَها). إنّ اعتبارَ الوحدات المعجمية من حيث ترابط مضامينُها أرى فيه وَضَحَ الطريق إلى فهم تنظيم المعنى على المستوى السيميائي العميق. سأشرح (بعد الجدول الآتي) جدوى الاطّلاععلى العلاقات بين الصُبَّة وتَصَبْصَبَ (في إطار حقل العُتْمة لا أكثر)، إلا أن أهمّ أمر تجاوُر \الباء\ و\الصاد\ ههنا هي العلاقة الصميمة بين [بَصْبَصة الإبل القوارب] و[تَصَبْصُب الليل] (أيْ مُضِيُّه المقلِق). الأرجح أن فكرة هذه العلاقة هُدْهِدَت إلى خواطر القرّاء عن دِرايتهم بهذه المغامرة وتعرُّفِهم على تحليل صاحب المقال. غير أنّ هناك معيارًا لاشعوريًا لدى الناطقين وأداةً تذكيريةً (عقليةوشكلية، أيْ في متناوَل الحاسِبات): ازدواجية [بصبص√□صبصب√] (LAL'A'□AL'A'L"=) أيْ □٢□□١٤ (را. منتهى ١.٢٤§). أنوّه بأن هذا القِوام الشكلي مندمجٌ تمامًا في مجموع الدورات الثنائية الثلاثين (را. جدول منتهى فقعة ١.٢١)، وأنّ هذه البُنية التكرارية عزّزت الملكة العربية وتساهم في كِلا توليد اللغة وتلقِّيها. على كلّ ذلك يعتمد التفاهم اللساني حسب نظرية "النحت الأكبر".

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المسار التكراري :	P	L	A	P'	L'	A'	P''	L''	A'	رقم الدورات المشـهودة	
القيام الدلالية											
سرعة ـ خفة	ء	ب	ص	ء	ب	ص	ء	ب	ص		
سرعة ـ خفة ، عجلة	ه	ب	ص	ه	ب	ص	ه	ب	ص		
سرعة ـ قطرب ، يراعة	ح	ب		ح	ب					26β	1
				ح	ب	ح		ب			
لمع ، ترقرق ـ ترصد (عيون بالمرصاد)	ه		ص	ه		ص				28β	2
				ه		ص	ه		ص		
عجلة ـ ليل ـ همس ـ جنون	ه		س	ه		س				28β	3
				ه		س	ه		س		
عجلة (ليلية)	ح		ص	ح		ص				28β	4
				ح		ص	ح		ص		
سرعة	ح		ص			ص					
				ح		ص			ص		
عجلة (ليلية)	خ		ش		ف						
				خ		ش		ف			
خفة ـ سريعة (الركض)		و	ش		و	ش				2α	5
					و	ش		و	ش		
سريعة (الركض ـ ناقة)			ش		و	ش					
						ش		و	ش		
سرعة			ز		ف	ز		ف		14β	6
سرعة ـ تحثيث الخطى ، إسراع			ز		ف			ف			
			ز	ه	ف	ز	ه	ف			
سرعة ـ عنف		ب	ز		ب	ز				2α	7
					ب	ز		ب	ز		
عجلة ـ مثابرة		ب	س		ب	س				2α	8
					ب	س		ب	س		
سرعة (الركض)		ب	س			س					
					ب	س			س		
لمع ، ترقرق ـ خفة ـ سريع ـ ليل		ب	ص		ب	ص				2α	9
					ب	ص		ب	ص		
عجلة ـ تعب		ب			و	ص					
					ب			و	ص		
انقضى تقريبا (ليل)			ص		ب	ص		ب		14β	10
بقية العتمة (قبل الصبح)			ص		ب			ب			
فجر (قبل الصباح)			ص		ب		ح				
s'effacer, disparaître (ombre)		Ḥ''	Ṣ'	M'	Ḥ'	Ṣ	M				

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

٣.٦ في عدة جوانب حقل السرعة: لا يمكنني الآن شرح جميع الأمثلة، ولو الجذور التكرارية. نلاحظ عدّة ألفاظ تنتمي إلى حقل السرعة (را. أعلاه) - بسبب منافسة البدو وضرورة الوصول إلى البئر والمرعى قبل الآخرين. وانتبهنا إلى الأضواء الليلية (من بينها وجود الحُباحِب [أي القُطْرُب، الملقَّب "بَصْبوص الفعْاله" في جبل لبنان، كأنّه يصاحب العمّالَ عند الصبح المعتَّم]. قد اهتممت بأمر تَصَبْصَبَ بمعنى انقضاء العتمة قبل الفجر (كأنّه يتردّد متباطئًا - جاء على بالي وقتئذ الشطرُ الأوّل من قافيّة ابن شرف القيرواني: "مَطَلَ الليلُ بوَعْدِ الفَلَق"). أجَلْ، فرصةٌ سانحة للصلة اللفظو- دلالية بين تَصَبْصَبَ وصُبّة– "لبقية العتمة قبل الصُبْح" (صبَّ بمعنى"كبَّ") من جهة، وإمكان الإيحاء إلى مياه البئر والعين المنصبّة عند المورد... هذه دلائل بيّنة على أهمّية مفاهيم "النحت الأكبر" لتحديد أساس الشعرية. وهنا مثلًا تشخيص اشتراك ١١ صفة واسمين كلّها على وزن فَعْفاع في وصف عجلة البدوي القارب الهَسْهاس طوال الليالي (كما أنشد لبيد - أو النابغة الجعدي ؟ : "عَسَلانُ الذِئْبِ أمْسَى قاربًا"...").

يُعْنى الجدول التالي بتوليد عدّة ألفاظ - إمّا ثلاثية أو مكرَّرة- بفضل تشبيك دورتَيْن مكرَّرتَيْن. مثلان نرى فيهما اندماجَ معجم القرب في حقل السرعة (منطقة العجلة). بصدد هقط [...]، برها نُقاطع على عدم القلب\التقليب\الانقلابية لتأثيل هذه البُنى الثلاثة : كلّها خاضعة لقانون واحد يراعي سهم الزمن.

نماذج أنواع تشبيك الدورات المتناسقة وطاقات النظام التوليدية من دون تثليث بالزوائد – القراءة من اليمين إلى اليسار

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

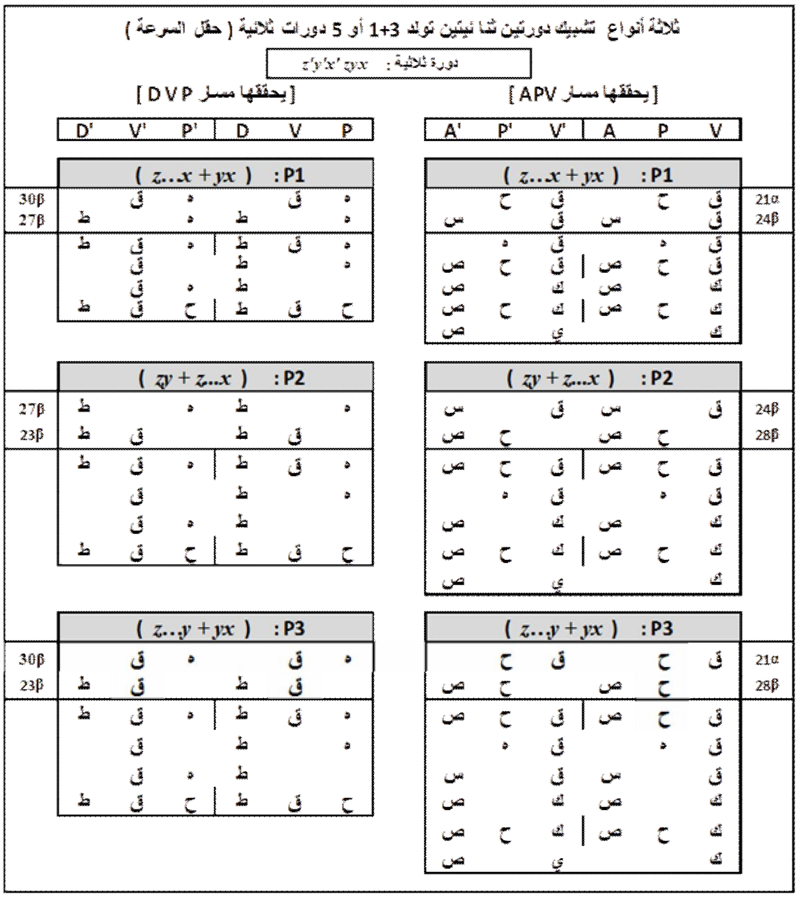

. را. في محيطي (ص ٣٣٧-٣٤٥) أبحاثي في هذا التوفُّر المعجمي، ولا سيّما أمر ثَخْثاح بإزاء حَثْحاث [...] الذي أهمل درسَه بل شوّه حقيقتَه بعضُ المستشرقين). والجدير بالذكر أنّ فحْوى تلك الصفات والأسماء كثيرا مّا تشير (أو توحي) إلى مشقّات القرابة وعزيمة القاربِين بل صَمْصَمتِهم. علاوةً على ما كان يعانيه المرء حينذاك، لم تتغافل اللغة عن إكهاد المطايا وإرهاقها: كدْس الدوابّ واستعجالها أوشك بهم أن تقضي عليها، وكانت الحقْحقة قاتلة قبل المورد أو بعده إلّا أنّ شِدّة الإجهاد موجودة في هقهق(ة) أيضًا رغمًا عن افتراض ضعف \الهاء\ بإزاء \الحاء\. ياليتني قدّمت جميعَ الجداول التحليلية الخاصّة بـ القَرَب: تنازُع الأعراب على البقاء.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

... المهمّ هنا أن يقتنع القرّاء بالترابط الصميم بين الوحدات المعجمية وتناسقها الكامل مهما قيل عن غناها العتيق وتثاقُل أخصام العروبة والإسلام عن الاعتراف بمزاياها الاستثنائية. لذلك أُلحّ على تمثيل [تَحْتاح] الطوبولوجي كمركز تماثلات عجيبة في حقل السرعة (١٢ كلمة متناظرة يراعي كلّ منها سهمَ الزمن - على جدول٨٠، محيطي ص ٣٤٠-٣٤٢).

٣.٧ تيوريم وحدوية التسمية: عليّ الآن تقديمُ رسوم بيانية تبرهن على تيوريم وحدوية التسمية (را.١.٥§). استنبطته من المسلّمتين الثانية والثالثة :

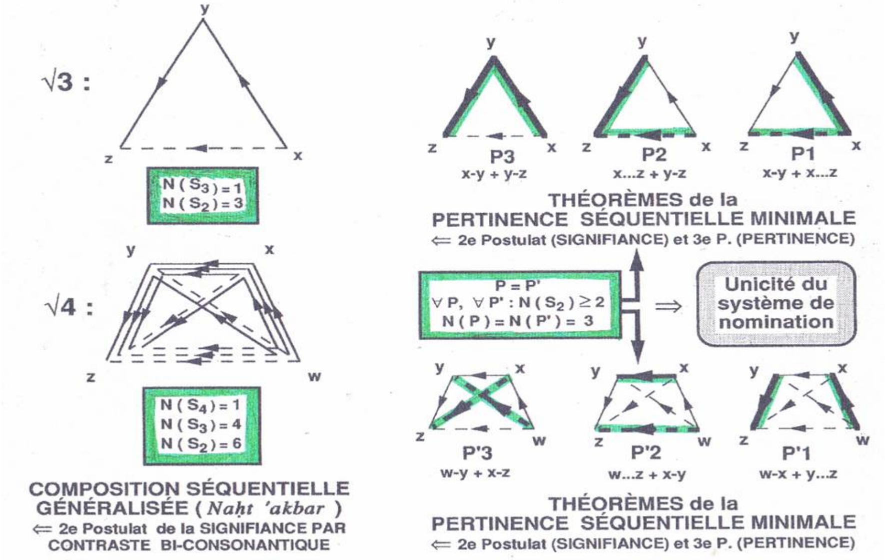

بما أنني لم أستطع إعادة نسخ الرسوم وتعريب التعليقات، وأنّ الأشكال الهندسية واضحة، كان من الأفضل إدخالها رأسًا في هذه الصفحات، وأن أنصَح القرّاء الأفاضل - فيما يخصّ الثلاثي - بالاطّلاع على استدلال الأنواع الثلاثة من توليده عن طريق (P٢\P١\P٣- ٣.٦§): إنّ الجداول المعنية تدلّ على نفس الوقائع التركيبية دلالةً بَصَريةً وبنفس الرموز الجبرية. التعليم الجديد هو أنّ الثلاثي والرباعي خاضعان لقانون واحد. وهذا يدحَض العديدَ ممّا يقال ضد تحليلي. وقد كثّرت الأدلّة في محيطي. ثم الأمثلة المجدْوَلة المعروضة في هذا المقال تشهَد بأنّ المعجم الفصيح يتصرّف بالاثنَيْن على سويّة دون التهميش الرباعي الاعتيادي. وإنْكثافة البنى التكرارية (فعفع ⃞ عفعف، فعع...) في حقول متعدّدة تدلّنا على تنويع أشكال الجذور: را. مثل "طوبولجيا المكرّر في حقل القَرَب (أعلاه).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٣.٨ مجاز النسيج اللغوي: خلصنا إلى التأكّد من أنّ العمليات الأساسية الجارية في قرون "الشفاهة" (orality) وتنظيمِ التباينات اللفظو- دلالية كانت: التكرار و التشبيك. أيْنَما أمعنّا النظر في الوحدات اللغوية، وجدناهما تنسّق المعجمَ تنسيقًا، وتنسُج تنظيمَه نَسْجًا رائعًا في منتهى الإتقان، فقد وُفّق بكافّة الوسائل المتيسّرة: التعبيرية والتخاطبية، وتمكّن حقًّا من ملاحَمة الإشارة والإيحاء. فإذا اتّبعنا تشبيه المعجم بالنسيج المزخْرَف، يصحّ القول بأنّ شبكة العلاقات الثنائية هي عبارة عن "حابل": السداة العمودية الممدودة على مِنوال الضاد (وخاصّةً الدورات الثنائية الثلاثين، ولحمتُه ("نابل") هي حياكة الصوامت والصوائت المتشابكة على محور السينات الأفقي. ناهيكم من خبر إضافة محور ثالث إلى الإحداثيات العادية، من أجل تدوين مُشَكْلَن\مُصَوْرَن (formalized) لخصائص الألفاظ (الفونولوجية مثلًا، المسجَّلة على الإحداثية الثالثة، بينما تتسلسل أرقامُ الأصناف الإبدالية على محور السينات– (را. محيطي ص ٣٥٦-٣٥٧). لا رَيْب أنّ تصميم المحور الثالث خطوةٌ جديدة صَوْب إتمام الترقيم الطوبولوجي المنشود، المرتقَب بحول الله ولي التوفيق، المصمَّم لإدخال المعنى المعجمي في دوائر الدماغ الإلكتروني وتفهيمِه إيّاها. على أن أذكر أنّ الشبكات الإلكترونية ذات ثلاثة أبعاد، لا اثنَيْن فقط!

٣.٩ إعادة النظر في حقل سيميائي: الكمين نموذجا: إنّ تجديد طرائق الوصف المعجمي العربي مبادَرةٌ مشروعة حيث أنّ العبد الفقير لم يستوردْها من المخابر الأمريكية كالمستشرقين الأوربيين، وإنما استنبطها من تأمّلاته في متن اللغة طوال العقود الماضية. أن تكون مُنْتِجةً لا أشكّ فيه، فأشكر المنعمَ العليم. وبقصد ترفيه أذهان القرّاء الصابرين، سأختم الآن مساهمتي المتواضعة في تذليل الإشكالية الحالية برواية استطلاعاتي في حقل الكمين قبل أكثر من عشر سنين وأنا أدرّس المعجميات العربية في جامعة ستراسبورغ تدريسًا يستند إلى مئات الرسوم البيانية والجداول أعرضها على الشاشة، خطرتْ ببالي فجأة معضلةُ تأثيل كلمة رباعية بدأت تتسلّط عليّ ولم أرتح عدة أيّام حتى رحم العليم على عبده الفقير فهُدْهِدَت إلى الراحل الضائع في وادي سقيف تضاعيفُ الكلمة الحلوى بشكلها الغريب. اقتربت منيّ مبتسمة، وتراءت ظلالُها الهفهافة، فأسفرت عن أسرارها الخجلة وازْهرّت محاسنُها في الضُحى... وقد مرّ الزمنُ على لقائنا وحتى اليوم، وإنّما عرفت أسمَها، لم أنس بناتِ شفاه الملاك البشير. مهما طال الغيابُ على فراقنا المكتوب، فإني مقتنع بكشف الأقنعة في العالم الأخير. جئت هنا للتبليغ اللساني، فها هي نهاية المطال. انطلقت قرابتنا نحو مؤرِد التأثيل من ملامحها المحجوبة وراء القصب الخالد، وهي كالمعتاد لا تلتفّ بلُبْس

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

هيكلها الصوتي الذي يتلمّسه المحلِّل التقليدي من خلال قصبة مِنظاره، وإنما هي مشعّة بفضل هالتها غير الملموسة، المنبثقة من الشبكات العلائقية المتراكزة عليها والمعرِضة عن اعتبار ما يحيط بها. لئلا تنسوا أنّ البناء التشبيكي مؤهَّل لوظائف لا تُحْصى، ولا نتصوّر في عصرنا هذا مقدراتِها المستقبلية. كما يقال في مملكة الناطقين بالضاد: "من تأنّى نال ما تمنَّى". إنّ أماني أهلها وتطلّعاتِهم التقدّمية، هي حقًّا نَو الُفوائد مشروع طموح أراه في متناوَل الأمّة. فمن طرفي أَتمنّى أن يحسَّ به المؤمنون ويستفيدوا من نِعَم لغتهم المباركة.

فلنبتدئ من مبدأ التحليلات في منهجية "النحت الأكبر": أخذ الهالة العلائقية بعين الاعتبار. ما سمّيته "توسيع مجال الدراسة". هذا هو المدخل الأفضل إلى العثور الموفَّق على عناصر تشابُكاتِها غير الملموسة. يتضمّن مقصودُ طريقتي في هذا الصدد الإلمامَ المتأنّي بأطوار الأحداث المعنية. من أجل تبيين ظواهرَ مجهولةٍ من خفايا النظام، اخترت الفعل الرباعي الذي ذكرتُ أعلاه هناءَ لقائه : اضْرَهَزّ (إلى). حدّده الفيروزبادي بجملة ثلاث كلمات: "دبّ إليه مستترًا". لا أخفي عليكم أنّني بقيت حائرًا مدّةً طويلة. فاتحت زميلًا (من ضيْعة بحمدون المشرفة على منحدرات بيروت)، وكمثلي اعترفَ بجهله. لسوء الحظّ أردف قائلا إنّني أضيع وقتي في تفاتيش بدون جدوى، وأضاف متمسخرًا : "ستلاقي نفس المشكل مع فِعْل كذا "...لم ألبث بعد أيّام أنّه صنع هذا الفعلَ قصدا... ما استسلمتُ لسوء النيّة واجتهدت حتى يوم لقائي الذي رَوَيْته سابقًا. منذ إخفاق "استِلْغائي" الجامعي، لم أزل أدعو العليم أن لا يضلّلني، فيسهّل لي زيارة مغاوِر محيط الفصحى الملأى بكنوز العصور المغمورة، حيث نستمع إلى أصداء منسيّة قد حان اليوم التقاطُها. لنطلَعْ الآن طلوعًا خطيرًا عائدين إلى سطح المحيط، وهذه العودة البطيئة يعارضها عراقيلُ الشرّ والعذل والتقصير في شأن الإصلاحيين الأبرِياء والتكذيبات الوقحة وهلمّ جرّا... أحلاها مُرّ فنعوذ بالله أحكم الحاكمين.

مراحل الكمين الخمس

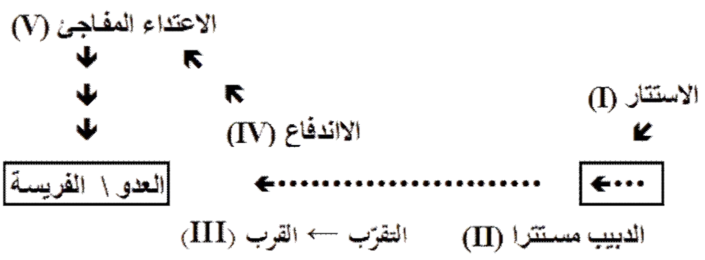

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

قسمت أحداث الكمين في خمس مراحل، وإن كان صاحب القاموس المحيط اكتفى بثلاث كلمات. اضطررت إلى هذا التخميس نظرًا لمقتضيات الارتباطات اللفظو- دلالية المرتَّبة في خانات الجداول التالية. يغنيني معظمُ تلك الخانات عن الإلحاح على تنوُّعها وغناها السيميائي. أندم حتى اليوم بل أحتشم من أنّني ما انتهت زمنًا طويلًا إلى القِيَم الدلالية السبع، تلك التي يُقاسِمها اضرهزّ مع أغلبية الجذور المجموعة. لا شكّ في رأيي أنّنا مُنْصِتون إلى شواهد لا يقدَّر ثمنُها الحضاري (بكلّ ما يشتمله هذا المفهوم)، إذ "اكتنزت الواقعَ". هذه العبارة مقتبَسة من العالم الفرنسي كلود ليفي- شتراوس، الذي اشتهر في القرن الماضي بتطبيق المذهب البُنيوي على وصف الجنس الإنساني (فردًا واجتماعًا).

إنّ جدولة المعطَيات المترابطة تمثِّل إحدى مراحل الدراسة المعجمية الشَّكْلية، وأعتبرها هامّةً جدًّا لأنّها تضبط العديدَ من معايير حقيقة المادّة، فلا تتورّط في بعض نواقص الخطاب الأكاديمي. وهي وحدَها قادرة على عَرْض تزامُني لتفاعل المعطَيات، فتساعِدنا في طرح الأسئلة وتقديم الافتراضات. ذلك على شرط أن يراعي أتباعُ المنهجية المبادئَ والمسلَّماتِ والتيوريمات. صمّمت رسومًا بيانية وجداولَ أخرى من نفس القبيل. را. استخدام منهجيي المشكلنة في منشوراتي.

لو اتّبعت التحليلَ العاديّ، لكنت قسمت اضْرَهَزّ في قسمين:-ضر-+ -هز(ز)-. إلّا أنّه يفوتنا حينئذ معظمُ المركَّبات. فلنميّز بين القطع\التباينات الثنائية الستّ: ضر، ضه، ضز، ره، رز، هز. وحالًا يُرفع الستار عن تكاثر الجذور والجُذَيْرات (إن صحّ هذا مجاز) المتساهمةِ في تحديد الكلمة الطوبولوجي. ها هي ذي مرتَّبة كما يلزم. سيُطلعنا استعراضُ الجداول الستة على تواجُد الترابطات في جميع الخانات، أيْ لكلّ من التباينات الست تقاسُم إحدى القِيَم السبع (باستثناء ٢\٣: D...A = - ضز-).

١- ضر-

الصيغة الجبرية	التباين الثنائي	1 →	إخفاء	← 3	4	5	6	7	
		ستر	ربض، تكبب	حبس، دفن	زحف	اقتراب، قرب	خروج، اندفاع	انقضاض	المجموع
$w \leftarrow x$	λ←D	ترس .جدر .ختل. دحل. درأدرع. درق دري .مدغمر ذرأ ذرع .ضرأ .ضرع .ستر .طبر .طمر .كرز . نرز.	دحل .دغل .ضأل . ضغط.	ترج .جدر .دخل درج. درع .درمج .دغر .دغل. دفن .ضمر .ضنأ .ضن ب .طمر .كرز	ضرع.	ختل درج درك .دلف .د نف .دنو .ضرر .ضرح. ضرع طور .غضر.	ختلع .دخل درأ دره دغ ل .ضرو .طرأ. كلع .نعر [دهر .دعكر]	ختل .درأ .دغل .دهكر. ضرأ .ضرج .ضرح .ض رو .هدكر .كدر .دعكر .طرق.	75

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

٢- ضه-

الصيغة	التباين	1 →	إخفاء	← 3	4	5	6	7	
الجبرية	الثنائي	ستر	ربض، تكبب	حبس، دفن	زحف	اقتراب، قرب	خروج، اندفاع	انقضاض	المجموع
$y\leftarrow\ldots\leftarrow w$	P←...←D	دبأ.دحل.دهمس دع سق.مدعمس دغدغ. دغمر. مدغمس.ضبأ.ضرأ. ضعو.ضغب.	دحل.دغل.ضأل. ضغط.	دحح.دخس.دخل.د غر.دغش.دغل. ضبأ.ضنأ.طهس.	ضرع.	درأ.ضرح.ضرع.قدع. همز.	ختلع.دخس.دخل دره. دعو.دغل.دهم.ضبأ. طرأ.طلع.نجه.ندأ.نعر. [دهر، دعكر]	ختع دره.دعسق.دغر .دغش.دغص.دغل.د هكم.دهمس. [دعكر، نعي]	60

٣- ضز-

الصيغة	التباين	1 →	إخفاء	← 3	4	5	6	7	
الجبرية	الثنائي	ستر	ربض، تكبب	حبس، دفن	زحف	اقتراب، قرب	خروج، اندفاع	انقضاض	المجموع
$z\leftarrow\ldots\leftarrow w$	A←...←D	ترس.حدس.دبس.دخ مس.دسس. دسو.دعسق.مدعمس. مدغمس.دمس.دهسم .دهمس.		دخس.دسس.دغش. دمس.طهس.	ضرهز.	نصو.همز.	ديص.ندص.همز.	دعسق.دغش.دغص. دهمس.	30

٤- ره-

الصيغة	التباين	1 →	إخفاء	← 3	4	5	6	7	
الجبرية	الثنائي	ستر	ربض، تكبب	حبس، دفن	زحف	اقتراب، قرب	خروج، اندفاع	انقضاض	المجموع
$y\leftarrow x$	P← λ	درأ.ذرأ.ذرع.ضرأ. رحرح.مرهمس.	رعز.عرز.كرز.اك لأز. اكلهز.كنز.كنس .	ضنأ.	برعص. رحو.رعش. رعص. ضرع.	بلع.رهق.رهو.لحق. لهو.نهز.	ختلع.دره.طرأ.طلع.نجه ندأ.نعر.	درأ.دره. [نعي]	37

٥- رز-

الصيغة	التباين	1 →	إخفاء	← 3	4	5	6	7	
الجبرية	الثنائي	ستر	ربض، تكبب	حبس، دفن	زحف	اقتراب، قرب	خروج، اندفاع	انقضاض	المجموع
$z\leftarrow\ldots\leftarrow x$	A←...←λ	ترس.عرز.كرز.كنز. كندس لوذ.نرز.	رعز.عرز.اكلأز. اكلهز.كرز.كنس .	رزز.رسس.عرزل.غرز. غرس.كرز.كنز.كنس. [لوذ].	برعص. رعش. رعص.	رزف.نصو.همز.	ندص.	[لوص، لصص]	34

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

٦- هز-

الصيغة الجبرية	التباين الثنائي	1 →	إخفاء	← 3	4	5	6	7	
		ستر	ربض، تكبب	حبس، دفن	زحف	اقتراب، قرب	خروج، اندفاع	انقضاض	المجموع
$z \leftarrow y$	A←P	حدس. دهمس. دعسق. مدعمس. مدغمس. دمس. دهسم. دهمس. مرهمس. عرز. عشش. عمس.	حفز. رعز. عرز. عشش. اكلأز. اكلهز.	خزن. دخس. دغش. طهس. عزل. غرز. غرس.	برعص. بغرص. رعش. رعص.	همز.	دخس.	جهز. دغش. دغص. وهز	38
عدد وقوع التباين :		73	26	45	20	34	39	37	274

ملاحظة: تشير أرقام السطر إلى عدد ارتباطات العمود المعني. الرقم على يسار كلّ صفّ (من ١ إلى ٦). لم يسمح لي حجم الخانات أن أسجّل فيها أرقام الأفعال المشتقّة، وفضّلت أن أحذفها إطلاقا على تسجيلها هنا وهناك... را. جدول ٣٣ الكامل في محيطي ص ١٦٥، ثم صورته المكبَّرة في الملحق ص ٣٩٠. أشرت إلى أضرهز في منتصف في الصفّ الثالث (D... A)، وهو محسوب في جميع خانات العواميد رقم١، ٤ و٥). إنّ كثافة الرباعيات تُثبت (مرّةً جديدة) خطأ تهميشها في التقاليد النحوية والمعجمية: وإن سجّلها أصحابُ المعاجم الكبرى،لم يُقرّوا بوحدوية التسمية (را. التيوريمات في نهاية فقرات ١.١٥،١.٥، ١.١٨، ٣.٧ و٣.٨).وأخيرًا لئلا نستغربْ غياب قيمة الرصد، رغمًا عن انتمائها إلى حقل الكمين بطبيعة الحال، إلّا أنني لم أعثر على ألفاظ تقاسم صامتين من هيكل ضرهز وشيئًا من مضمون هذا الفعل. ربما اقتصرت القيم المجدْولة على حركية الإنسان وعبارة "دبّ إلى" تدعم قولي، بينما أرى الرصد مائلا إلى الإمساك عن التحرك. إنّ الخِلاف السيميائي بين هذين التصرُّفين أحلّ في معجم الكمين عبارة عمّا يسمّى في الفيزياء "القُطْبية"(polarity). يبدو لي أنّ حقله السيميائي منقسم في منطقتين: الأولى (التي عرضتها) بتفصيل مراحل الاستتار والاقتراب زحفا والانقضاض المفاجئ على العدوّ\الفريسة، والقطعة الثنائية الأساسية هي - در\ضر - المتكرِّرة طوال المراحل (سأرجع إلى هذه النقطة الهامّة) والثانية المركزة على الاستتار والوقوف للرصد فقط. وانتظمت الألفاظ حول قطعة -كم- (كمّ، تكمّأ، كِمْع، كمن، كمهل، كمى...)، المرتبطة ارتباطا وثيقا بـ-كن-\-جن- بنفس الدلالة على الإخفاء، وهذا معروف ومشهود حتى العصر المعاصر.. لذلك كانت الأوّلية لدرس اضرهزّ والترابطات المتجاورة.

أمام استحالة التعمُّق الضروري في تلك الشبكة السيميائية، اعتزمت إلفات الأنظار إلى واقع لغوي قد يختفي عنها وراء الإشارات والإيحاءات المتدفّقة علينا: استمرار وقوع- در [ذر]\ضر- في كلّ مرحلة من مراحل الكمين (را. المعطيات الجذرية الموزّعة في خانات الجزء الأول λ D ← وحتى في العمود السابع "الانقضاض"). أكتفي بذكر تواجُدها في الجزء الأول :

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

(عمود ١) تدرّأ\ ادّرأ، درع، تدرّق، دري \ تدارى، ذرع \ استذرع، ضرأ، ضرع \ ضرّع \ تضرّع - (عمود ٣) جدر، درج، درع، ادرنمج \ ادرمجّ، دغر\ اندغر، ضمر - (عمود ٤) ضرع \ ضرّع \ تضرّع - (عمود ٥) درأ، اندرأ \ ادّرأ، ادّرج \ درك \ أدرك \ تدارك \ اندرك \ استدرك، أضرّ، ضارح، ضرع \ ضرّع \ تضرّع، غضر - (عمود ٦) درأ \ اندرأ \ ادّرأ، دره، استضرى، [دهر، ادعنكر] - (عمود ٧) درأ \ اندرأ \ ادّرأ، دره، تدهكر، تضرّأ، انضرج، استضرى، تدهكر، انكدر، [ادعنكر].

ملاحظة: لم أذكر بعض الترابطات الإبدالية مثل – ضن - أو – طر-\ – طل- الخ، كما أهملت بعض العلاقات المنفصلة (طمر، دفن، الخ). أعتذر عن غياب المعاني بتعذّر الإطالة وتكديس لآلئ الغوّاص على شاطئ الخليج. قلت: المعاني. "أُذكرْ غائبا يقتربْ"... وفعلًا استمرارُ وجود تتابُع أسنانية + ذلقية في مختلف المراحل المشار إليها أمرٌ يستدعي العناية، بل هناك مسألةٌ تستجوبنا. ما هي دلالتها؟ هل تتطوّر مع تغيُّر الظروف؟ وقد أميل إلى ازدواج الوظيفة الدلالية (التسمية + التنبيه) عند الحقول المعجمية المتّسمة بمنتهى التجانُس الذرائعي (pragmatic homogeneity) : كلّما ارتبطت تسميات أشياءَ و\أو أحداثٍ متواصلة، كأنّ هذه القطعة تُخبر السامع \ المستمع \ المخاطَب بجَرَيان الشيء الموصوف \ بحال المتكمّن. إن كان افتراضي صائبًا، لا شكَّ في حَدْس أهل الضاد وجوابهم العبقري لتحدّيات الأمّية والتجائهم إلى وسائل تذكيرية تُلائم خصائصَ لغتهم الراقية. يعزّز افتراضي هذا إلحاحي (را. أعلاه) على هيمنة البُنى التكرارية في المعجم الفصيح، وبتدخُّل الدورات الثنائية في توليد الكثير من الثلاثيات (بمجرَّد عملية دماغية تلقائية: المزاوجة) في قرون تضخُّم معجم الأعراب الشفهي، واستغلالِ نعمة الملكة لترقية مستواهم الثقافي وإعدادِهم اللاشعوري لاستقبال تعليمات كلام الله المنزَّل من صوت رسوله المبارك - عليه الصلاة والسلام.

٣.١٠ في العودة (الإرادية أولا) إلى المنطلَق: إثباتًا لما أقول في أمر الحقول المعجمية، وانتظامِ الترابطات اللفظو- دلالية بين ألفاظها (فضلًا عن قيود النحو التنميطية، وفي تنسيق مركّباتها على صعيدَيِ الدالّ والمدلول (ومراعاة سهم الزمن)، أضيف الآن مَثَل العودة \ الرجوع. هذا المفهوم ذو خطورة حيوية: من ارتحل لقضاء مهمّة لا تُبعِده عن أهله وجِواره طويلًا يتوقّع رجوعًا من دون مشاكل بعد القيام بمهمّته. إنّ لغتنا غنية بأسماء الطرق وظروف المواصلات وطوارئها. من بين العلامات المعنية ما يخصّ الرحيلَ... والعَوْدة. درست الموضوع ودرّست نتائج أبحاثي أثناء سنوات وظيفتي الجامعية في ستراسبورغ. وقد تعمّقت أعمالي مثلاً في انتظام معجم شيّق مرتبط بالمفهوم المذكور: عودة الناقة إلى المخيَّم

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

رغمًا عن راكبها. كرّست الفصحى ثلاثة أفعالٍ مترابطة صوامتُها الجذرية: عجر، عكر، عكرد، بنفس الحرف (بِ) للراكب. حسب التحليل السائد، إبدال\الجيم\ و\الكاف\، ثمّ زيادة دال ملحقة، دون تعليل الإبدال والزيادة. فحصتُها كالمعتاد (ا) ضمن حقل الرجوع، فوجدته منقسمًا في قسمَيْن على الأقلّ، وقد ترابطت حول كلمة عكرد ألفاظٌ عديدة تعبّر عن مراحلَ متتالية منذ الانطلاق من المخيَّم حتى عودتهما إليه بعد إخفاق تطويع الدابّة، وراكبُها "كارِه" (كما يقول عنه صاحب القاموس).

ولا ريب أنّ القرّاء الأفاضل يحسّون الآن بـتجاوُر ألفاظ الحقل وفقًا لتلك المراحل، وأنّ الفصحى سجّلتْها بقِيَمها المرتَّبة. ثمّ (ب) قمت بتمثيلها المشكلن بفضل استخبارها على ضوء "النحت الأكبر". وسّعتْ المنهجية مجالَ الدراسة إلى القِيَم السبع، الموافقة لمراحل هذه المغامرة البدوية. لن أستطيع الخَوْض في منعطفات الموضوع، فألّخص هنا عرضَها المبسَّط في محيطي (ص١٦٦-١٦٨).

(١) الاستعداد والانصراف – (٢) قصد هدف الذهاب بالدابّة للقيام بمهمّة مّا – (٣) بدء انحرافات الدابّة عن الطريق القاصد – (٤) محاولات تطويع الدابّة وإرغامها على انتهاج الطريق واستحثاثها – (٥) الخصام بينهما وفوز الدابّة – (٦) العودة إلى المنطلَق – (٧) منتهى الرحلة : إخفاق الراكب ومنع القيام بالمهمّة. [إمكانية تزامن مراحل٣ إلى ٥ أو تداخلها].

يعلّمنا هذا الإحصاءأنّ توزيع القِيَم في خانات الجدول ليس متساويًا: لو كانت أعدادها متوازنة، لقلّت فوائدُ مطالعتها. بالعكس، يهمّنا تفوُّقُ الانحراف عن الطريق على العودة إلى المخيّم (١٠٠مقابل ٥٥). أظن أنّ هذا الفاصل الحسابي ناتج من تنوُّع معاني الانحراف وتغيير فحواها على حسب الظروف. فإنّ الانحراف من الطريق يكون خطيرا في الصحراء حيث المسافر الضائع قد يموت عطشًا، أو في الجبال حيث قد يتورّط في الهاوية... وقد درستُ ذلك في كِلتا الصراط الجاهلي والصراط القرآني (را. مقالي صراط ١٩٩٤-١٩٩٧)، أيْ "الطريق المستقيم"، باستثناء صراط الجحيم. أليس أفظع صورةٍ للضلال من تساقط الملاعين من الصراط على الجحيم عند يوم الدين...؟ أمّا تغيير الاتجاه والإعراضُ عن طريق الضلال فهو التخلُّص الإيجابي من أخطار السبيل وانتهاجُ المؤمن صَوْبَ المعاذ المرتقَب. وقد لقيتْ دراستي التحليلية للفظة الصراط الوصف المفصَّل لتلك القيمةَ الروحية أيضًا.

اضطُررت إلى إضافة القيمة السابعة ألتي يشعر بها العائد إلى المنطلَق بعد أن مُني بالإخفاق التامّ، وخَيْبته المرّة رغمًا عن أنفه، وقد طوّعه أخيرًا عصيانُ دابّة "التي لا تنقاد" (كمِثل "دَغْلَجة" القاموس)... من دلائل مجهوداته الفاشلة نتيجة من نتائج إحصائي المؤقّت: ٧٧ ترابُطًا جذريًا لكلّ منهما. هل عثرنا هنا على تعادُل عزائم الخَصْمين (الراكب والرَكوبة)..؟ الظاهر أنّ هذا يخصّ محيطَ اللغة وأحشاءَه التي لا توصَف، بينما أميل إلى الإقرار بـ...

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تصادُف الأرقام؟ ما كلُّ برّاقٍ ذَهَبٌ!

٣.١١ أرقـام تعرّفنـا إلى أركان انتظام البنـاء الـسيميائي العميـق: بـصدد الإحـصاءات والأعـداد، وخلافًا لما سلف، أعتبر أنّ الزائد أو الناقص بالنسبة إلى المعدَّل دليل كثيرا مّا ينبغي أن يوثَق به أثناء البحث عن أشياء نستشفّ وجودَها بل تأثيرَها في الملموسات على قيد الدرس. يشهَد العبد الفقير أنّ هذا الموقف من الإشكاليات المعلَّقة أو التساؤلات من دون أجوبة قد ألهمني بضعةَ تقدّمات نظرية وتطبيقية مُقنِعة منافعُها. مثلًا آلية ترقيم المسارات ستساعد الحاسوب في استطلاعاتها. هنا مُجْمَل يُقرأ من اليمين إلى اليسار:

ترقيم صوامت المسار وعدد التباينات الثنائية

(مثل حقل "عودة الدابة براكبها إلى المخيم")

مرتبة المخرج	1	2	3	4	5	6	
المسار النطقي	P	L	V	λ	D	A	المجموع
EXTR	0	1	2	3	4	5	15
ORIG	5	4	3	2	1	0	15

٤.١ تأمُّلات ختامية في منافع المعالجة الجبرية للقضايا المعجمية: فلنُضِف إلى الجدول السابق هذا الذي يُطلعنا على ترابطية القيم المرقَّمة، إذ يمكّن الحاسوبَ من استخدام الأرقام لأجل بناء مسارات نطقية جديدة وتدقيق المسارات المكشوفة. تحديد رموز المتغيّرات الجبرية: N= عدد صوامت قيد الدرس -(N-١(=′N= عدد التباينات الثنائية الاحتمالية =R مرتبة الصامت في المسار\ م. الصنف الإبدالي الذي ينتمي إليه الصامت - ORIGوEXTR =مبتدأ ومنتهى التباينات الثنائية (أي ح١: حدّها الأوّل، ثمح٢: حدّها الثاني): عدد التباينات الاحتمالية الموافق لمرتبة معيَّنة.

ترابطية المتغيّرات الجبرية الخمس وحساب قيمتها لأجل بناء المسارات النطقية

$$
\begin{aligned}
N &= ORIG + R\\
N' &= ORIG + EXTR\\
R &= N - ORIG\\
R &= EXTR + 1\\
ORIG &= N - R\\
ORIG &= N' - EXTR\\
EXTR &= N' - (N - R)\\
EXTR &= N' - (ORIG)\\
EXTR &= R - 1
\end{aligned}
$$

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

٤.٢ عراقيل الإنجازات المستعجلة: ستُسلَّم هذه المعادَلات للدماغ الاصطناعي حتى يتصرّف بترابطاتها في سبيل تحديد المسارات وإصلاح المسارات المكشوفة. فحيث نراه عاجزًا عن تذليل معضلات المعجم الدائمة في عصرنا هذا، من بينها الخطابُ الأكاديمي: وصف الكلمات وتصنيفها في لوائح صرفية ترتّب أشكالَها التصريفية، ومعالجتُها داخل حدود الثلاثي، وتخليدُ أوهام الإخلال الجائز بترتيب الصوامت على محور الزمن، الخ... أشياء شبه مقدَّسة أشعر أنّها نوعا مّا "لُكْنة قرائية"(dyslexia) قد يُصاب بها التلقّي السائد للنصّ التراثي اللامحدود الذي أنشأته عبقريةُ الأعراب الشفهية، والذي نظّمته وسجّلته في ذاكرة الأمّة:"الملَكة" الخلدونية الخالدة.

٤.٣ الفصحى كجهاز بينيّ في مسير الحاسبات العربية: أضحى الدماغ الاصطناعي أقوى أدوات الإنسان الذكي، وهو مصمَّم على أسس رياضية يمكننا إخضاعُها لطاقات لغة طبيعية فذّة إذا أهَّلناها تأهيلًا حديثًا مستنبَطًا من كِيانها الاستثنائي لإقامة الحوار المنشود بينها والحاسوب. إذا جعلنا الفصحى تحلّ محلَّ الجهاز البيني (interface)، وهو الأفضل نظرا إلى انتظام حقولها المعجمية، ومساهمة العوامل السيميائية والجبرية أيضًا في تكوين محيط المعجم (lexical morphogenesis)، والملاءَمة الصميمة بين الفصحى وتفسيرها المشكلن، وبالخصوص مُواظبة الاعتبار الجادّ بالدور التأسيسي الذي لعبه التباين الثنائي وتكراره المنظَّم عند مراحل تكوين النظام المعجمي خلال الجاهلية (را.كُتَيْبي Morphogénèse séquentielle،ستراسبورغ ٢٠٠٣) الخ. وقد استنتجت من أبحاثي لزومَ إدخال الأعداد الترتيبية في الحاسوب ما دامت فيها دلالة، بعكس الأرقام الخالية منها بحدّ ذاتها. هل يحتاج العلم بأدقّ المعنى إلى استمرار توهُّمات تأثيل الأشياء بدَوْر الحروف العبرية وقيمتها الحسابية في خلق الكون...؟ ألن يُمْحَى سِحْرُ الأساطير المتداوَلة في "أسرار" كلام البشر... أو "شفرةُ النصوص السماوية" واكتشافُ إسماء الأعلام والأحداث التاريخية - حتى المعاصِرة – في خفايا آيات التوراة مثلًا ؟

٤.٤ الانتفاع من الإحصاءات المعجمية والاحتساب بمخاطرها (مثل حقل العكردة): نجد في الجدول التالي فوارقَ حسابيةً تفتح أعْين المحلِّلين على حقائقَ لسانيةٍ ترفض درسَها التقاليدُ. علينا وجوبُ الاحتساب بما يعنيه التفاوُتُ الإحصائي وعدمُ التكافؤ في توزُّع الكم والكيف أيضًا. لا أزال مقتنعا من أنّ الاختلافاتِ ومَيْلَ التكميم أكثرَ من مرّة إلى نتائجَ غير متوقَّعةٍ، فيها فوائدُ معرفية وإرشاداتٌ منهجية أكيدة. بَيْدَ ما نسهَر على الاحتياطات اللازمة. ههنا مثلًا ألحّ على ما يعلّمنا تفوُّقُ الانحراف الحسابي (عمود EC). من طبيعة هذه المغامرة

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الفردية (١) أنّها ما كانت نادرة: لولا ذلك، لكانت اللغة لم تخصِّص ثلاثة أفعال – وإن كانت مرتبطةً ارتباطًا وثيقًا (عجر، عكر، عكرد)، - لنفس المحتوى (أو السيناريو!): عودة الدابّة براكبها إلى المخيَّم رَغْمَ إرادته؛ (٢) أنّ الجذور المرتبطة بصوامت المسار متّسِمةٌ بتقاسُم سيمةٍ واحدة (على الأقلّ)، لا بجميع القِيَم الدلالية الخاصّة بالأفعال الثلاثة. فيترتّب على ذلك لزومُ التحذُّر من الاستنتاجات الحسابية العاجلة. أعتبر هنا أنّ هذا التفوُّق (١٠٠) حاصل السياقات المعنوية (وحتى الأخلاقية) لمختلَف الانحرافات. ينطبق هذا التحذير على جميع الإحصاءات اللسانية: من طبيعة المعنى - ولو المعجمي - أن يصعُب بحثُه ووصفُه وتحديدُه الخ. لذلك أيضًا ينبغي الحذر من التأثيلات التقليدية حيث تتوافر الاستشهادات بالمعاني الحرفية وتفضيل المعايير النحوية على المعطَيات الدلالية؛ (٣) ضرورة معرفة تباعُد الصلات الدلالية (بين الترابطات) وارتخاؤها التدريجي، اللذان يتصاعدان كلّما يبتعد نظر المحلِّل عن منطلَق الدرس الجاري، حتى ابتداء... الانحراف!

إحصاء توزيع القيم الدلالية في حقل العكردة
(نسبة إلى القطع الثنائية المعنية : 15)

	S2	DEP	VOL	EC	EFF	CONF	RET	EMP	المجموع
1	P L	8	0	6	7	1	8	10	40
2	P V	9	2	15	9	8	7	15	63
3	P λ	6	1	17	7	8	6	9	53
4	P D	7	4	13	10	4	9	7	50
5	P A	1	1	7	8	2	0	6	24
6	L V	2	0	6	4	1	4	7	24
7	L λ	2	0	6	1	0	6	2	17
8	L D	1	1	7	3	0	5	2	18
9	L A	0	0	1	2	0	0	5	8
10	V λ	3	0	3	3	3	5	6	23
11	V D	3	1	3	7	1	3	1	18
12	V A	0	1	3	5	2	0	3	13
13	λ D	1	0	9	4	5	2	3	25
14	λ A	0	1	3	3	0	0	0	6
15	D A	1	1	1	4	0	0	1	7
				↓	↓		↓	↓	402
وقوع القيم		20	45	100	77	35	55	77	402

DEF : الانصراف - VOL : القصد - EC : الانحراف - EFF : المنع
CONF : محاولات التطويع - RET : الخصام - EMP : العودة

٤.٥ حول الصَوْغ الجبري (مسار العكردة نموذجًا): بناء على معطَيات المعجم المعني، صمّمت صيغة المسار النطقي: (←) A D λV L P. ليس بوسعي عرضُ البحث عن ترتيب

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

الصوامت المعنية. فسّرت طرائقَ الاستدلال في محيطي. على سبيل المِثال، إقحام مخرج (L) بين (P) و(V) يفضي بنا إلى توليد عوك√: "عوكي البيتَ!"= إرجعي إليه - توبيخ الزوج إزاء إدمان حُرمته على زيارة الجيران). وكذلك ترتيب (L) قبل مرتبة (D). ألحُّ على أنّ D...L P (←) مسار يمثّل تمثيلا جبريا (لا بمحالة الزيادة...) توليدَ عكرد√ و...عود√، وحتى عِلوَدّة λ D P...(←) (للحصان العاصي الذي لا يمشي بدون كَساء أردافه - را. مرحلة ٥) الخ. أمّا منتهى المسار النطقي (A) فيعلّل توليدَ عدّة أفعال تعبّر عن دفع الدوابّ إلى الأمام: عدس\ هدس A، D...P (←)كردس، A D λ(←) كدس، AD...V(←)- الخ. إنّ مفهوم المسار النطقي لا يبدو لي مجرّدَ صيغةٍ جبرية اصطناعية، وإنّما هي أداةٌ تذكيرية لاشعورية تُساهم في تكثيف العلامات على مستوى الدالّ. فقد لاقينا ذلك – ولو افتراضًا - في حقل الكمين، بصدد تكرير قطعة أسنانية + ذلقية.

على كلّ مَنْ يرغَب في تذكُّر هذه الصيغة الجبرية يمكنه تعويضُ رموزها بصوامت ألفاظ يعرفها وتحريكُها لتسهيل التلفُّظ : أَقترح (←)عَوْكَ رْدَ سَ... فلننتبه إلى فوائد صِيَغ تتعدَّى حدَّي الكلمة المنفردة. ألا يُعادل هذا الهيكل الصامتي الاحتمالي ما حدّدته على صعيد المدلول : لا محدودية المضامين (را. ختام المقال). لا شكّ في ذهني أنّ مصطلح "مدلول" يوحي إلى معنى الكلمة المنفردة، بَيْد أنّ الحقول المعجمية تدلّنا بكلّ وضوح على أنّ الدلالة لا تنحصر ضمن حدود الكلمة.بما أنّها مبنية على علاقات مركّبات الكلمة (=قِطَعها الثنائية) بمركّبات كلماتٍ أخرى مرتبطةٍ بها، يُقام بناءُ المعنى في الدماغ على غِرار استغلاله للمعالم "التطريزية الفَوْقِطْعية"(prosodic features)(supra-segmental فيما يتعلَّق بالصعيد الصوتي. من هذا السياق العلائقي استمدّت لغتنا الفصحى خصائصَها (الاستثنائية رغم القيل والقال عند المستشرقين)، من بينها طاقتُها التعبيرية العظمى المترسّخة في الشبكات السيميائية العريقة.بفضل تواجُد الإشارة والإيحاء معًا. كفانا أن نتطلّع على الرسم البياني المخصَّص لتمثيل كلمة عربية - مهما كانت -حتى تتَّضح على أبصارنا بُنيةُ تحديدها الطوبولوجي المشِعّ. أيْ موقعُها الفذّ (ما قلت"المنفرد"...) في النظام المعجمي. هُويّتُها الفريدة مترتّبة على تواجُد مزاياها المتلألئة في ذُرْوة "ملتقى القِيَم" الحضارية. أرى فيه سِرّ شعرية اللغة - لا في شبكة الصِيَغ الصرفية كما يُقال دائمًا، وإنما في شبكة أعظم بكثير وأنعم وابرق وألمع، وقد حاك لحُمتَها القَصَبية تناسُلُ الأجيال وتنوّعُ التجارِب الفردية والتبادلات الاجتماعية. فغِنى التراث اللساني العربي مدينٌ لكلّها بأضوائه القُزَحية.ليست لغتنا قُماشًا لثياب العمل أو الأزياء العادية. إنّها ديباجة مطرَّزة خيوطُها حريرية، غزلتها بناتُ الشفاه

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العربية...هذا هو ما أمر به القَدَر، وهو الحافظ على بهائها الثقافي والروحي أيضًا رَغْمَ غُبار الزمن وضربات الأعداء. وليس عبدُه الفقير إلّا أحدَ خَدَمة لغة الضاد المخلصين: لغةِ الكتاب المنزَّل، ولغةِ الطوبى الخالدة. فاسمحوا لي بتقديم هديّتي العلمية المتواضعة ختامًا لهذا المقال، والله بكلّ شيء أعلم.

بسّطتُ في الجدول الأخير مفاهيمَ "النحت الأكبر"، المؤشَّرة على عمودَيْن متناظرَيْن. يُهمّنا العمودُ اليميني، إذ أنّه يختصر أحوال الترتيب الزمني (بل التزامني) في أعماق النظام المعجمي، وينسّقها تنسيقًا يتبيّن في كلّ سطر من سطور الجدول. طوال العقود الستّة المنصرفة،أَخْلَيْتُ الأولَوِية للوقائع، وكلّفتُ نفسي بتطوير النظرية كلّما اتّضح أنّها عاجزة (في تلك الحالة) عن استيعاب جميع الجوانب الخاصّة بنقطة قيد الدرس، أو حينما فاجأني تناقضٌ لا يُقبل بين تحليلي والواقع. لقد اضْطَرَّني هذا الالتزام العلمي إلى انتهاج طرق متفارقة عند مفترَقات الدراسة في أوّل الأمر، ثمّ إلى تنقيب الموضوعات طردًا وعكسًا، والبحثِ الصريح عن الحُكْم الأنصف في القضية المعلَّقة. وبعَوْن العليم، ما انفكّ سَهْري على مُراجعةأوصافي وعدّة استنباطات عاجلة. وإذا لاقيت ما يبدو لي ضلالًاأو نقصًا على ضوء تجربتي منذ ستّة عقود، وإنشاءِ نظريتي النسبية منذ ربع قرن، تجنّبتُ - بقدر الإمكان – المبالغة في تقييم الآراء المضادّة، والاستخفاف بالأعمال الناقصة. لا يعود يهمّني الآن شيء إلّا أن يبقى اجتهادي مفيدًا لصالح أمّة عانت الأَمرَّيْن من قِبَل أخصامها وأعدائها منذ القرن التاسع عشر.

إنّ بعض المعاملات والمقترحات والنصائح ليست موجَّهة إلى التطبيق المدرسي وحتى الجامعي أحيانًا، إذ أنّ فهمها أوّلًا يقتضي طولَ التفكير في مداخلها الواقعية ومخارجها النظرية، وثانيًا لأنّ المؤلِّف حنّكه الدهرُ، فأمسى بالخِبرة حاذرًا من ثُقْل التقاليد النحوية على تلقّي الوقائع اللسانية، ومقاطعة التجديد من طرف أولياء الأمر في إتاحة الفُرَص لإشهار الأبحاث المستقبلية وإعانة الجهود النزيهة. بئسما يقمَع الابتداعَ المرتقَب في عهد تبادُل المكتسَبات العلمية: رجعية التشبُّث بالظواهر المضلِّلة. أ. عبد الكريم باربو

والله القادر الحكيم وليّ التوفيق.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

التنظيم العلائقي لألفاظ المعجم الفصيح
على المستوى السيميائي العميق (نظرية النحت الأكبر)

النسق العلائقي		الزمن
مبدأ الترابطية العامة	↔	الثابتة الزمنية
▼		▼

المسلمات ثلاث

مسلمة 1 : عدم دلالة شيء بحد ذاته

مسلمة 2 : إحداث الدلالة المفهومية

مسلمة 3 : تحديد الوظيفة التمييزية للصامت الجذري

▼		▼
توليد الألفاظ بالتتابعات الثنائية	↔	الاتجاه الزمني ("مراعاة سهم الزمن")
▼		▼
ترابطات التتبعات الثنائية	[الصوامت]	وظيفتا مركبتي التتابعات الثنائية : الابتداء \ الانتهاء
▼	↔	▼
تكوين البناء الشبكي الناجم عن تعميم ترابط التتبعات	[العلامات] [التحتية]	التنسيق الزمني
▼	↔	▼
التشبيك التكراري	[التركيبات الجذرية]	التناسق الزمني

▼

◄ **قوانين التركيب المعيارية لمسارات الحقول السيميائية** ►

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العتاد اللساني الحاسوبي لرقمنة المعجم التاريخي للغة العربية[1]

د. عمر مهديوي
جامعة مولاي إسماعيل، المغرب

تقديم:

تعد حوسبة اللغة العربية، اليوم، المدخل السليم والرئيس للولوج إلى مجتمع المعرفة من بابه الواسع، وأي تخاذل أو تراجع عن هذا الخيار الإستراتيجي من شأنه أن يقذف بنا- نحن العرب- إلى خارج التاريخ الرقمي المعاصر، أو يلقي بنا على أرصفة الطريق السيارة للمعلومات. إن مسؤولية العرب تجاه المشروع اللغوي الهندسي العربي تبدو مهمة صعبة في الوقت الراهن، وتحتاج فقط إلى إرادة سياسية جريئة، تعي جيدا بأهمية المعالجة الآلية للغة العربية في بناء مجتمع معرفة من جهة، ومن جهة أخرى، تدعم مبادرات الأفراد والمؤسسات الرامية إلى رقمنة النظام اللغوي العربي في سائر مستوياته.

لقد بدأت عملية الربط بين اللغة العربية والحاسوب في السبعينيات من القرن المنصرم، مما فتح المجال لمعالجة قضايا لغوية تهم الحرف والكلمة والجملة، وفيما بعد النص، وأنجزت خلال محطات حوسبة النظام اللغوي العربي تطبيقات آلية من قبيل المدقق الإملائي والنحوي، الترجمة الآلية، والمحلل الصرفي والنحوي، والتعرف الآلي على النصوص، وكل ما يتصل بالتحليل والتوليد الآليين. وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لما أنجز لحد الآن، فإن البحث اللساني الحاسوبي العربي ما تزال تنتظره محطات أخرى، لامناص من العبور عبرها، إن أردنا تقليص الفجوة الرقمية بين لغتنا العربية واللغات الأجنبية المتقدمة تقانيا ومعرفيا، وفي مقدمة هذه المحطات محطة الجيل الرابع للغويات الحديثة أي محطة الهندسة اللغوية المعاصرة.

وإذا حاولنا تقييم ما أنجز من أعمال عربية في مجال اللغويات الحاسوبية، يمكن القول إن الحصيلة غنية كما ونوعا، رغم ما ينتاب بعض الأعمال اللسانية الحاسوبية العربية من نقص في الاحترافية، وغموض في الرؤية، وانعدام التكامل بين النظري والتطبيق، ولعل أسباب هذا الوضع كثيرة، سبق لنا وأن تطرقنا إليها في أبحاث سابقة[2].

---

(١) ألقي ملخص هذا البحث في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية بدبي سنة ٢٠١٥م.

(٢) ينظر مهديوي عمر، ٢٠١٥م.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وإسهاما منا في التعريف بالتطبيقات المعلوماتية وتأثيرها على اللغة العربية، سنحاول في هذه الدراسة توضيح أهمية تقنية المعلومات في بناء المعاجم الإلكترونية العربية عامة، والمعجم التاريخي خاصة، من خلال توصيف الأدوات اللسانية والحاسوبية التي نعتبرها شرطا من شروط المعالجة الآلية للغة العربية.

ولهذا فقد حان الأوان لكي يتحول مشروع المعجم التاريخي العربي إلى واقع لغوي بعد ما كان حلما. ونأمل كثيرا في مبادرة الدوحة أن تسير بهذا الصرح العلمي نحو شط الأمان، لأن أي تراجع في الإنجاز أو التنفيذ من شأنه أن يوسع من جدار الفجوة المعجمية بيننا والآخر، وبالتالي سيزيد من تأزيم وضع لغة الضاد في خريطة اللغات العالمية.

إن بناء معطيات هذا المعجم إذن، لابد أن يستند من جهة إلى أحدث النظريات اللسانية والمعجمية، وإلى النظريات المعلوماتية التي تعنى أساسا بالأتمتة وقواعد المعطيات، وقواعد المعارف، وتخزين المعلومات واسترجاعها من جهة أخرى.

التأطير العام للدراسة:

ننطلق في معالجة اللغة العربية حاسوبيا من ثلاثة أمور أساسية هي:

- أولا: بناء قاعدة معطيات للمفردات العربية بنوعيها البسيط والمركب، لأنها عماد أي عمل يندرج في إطار المعالجة الآلية للغة العربية، وهذا سَمْتُ اللغويات الرقمية التي تجمع بين النظري والتطبيق؛
- ثانيا: ضرورة الاستناد إلى نظرية لسانية محددة وواضحة المعالم، تمكن من توصيف مفردات اللغة المدروسة؛

وهذان الأمران (أي الأول والثاني) يجنبان وضع القواعد اعتماداً على الظن أو الوهم، مما سيكون له الأثر الواضح في عرقلة التطبيق الآلي، كما يجنبان مزالق وضع قواعد جزئية في البرنامج المولد للمعطيات اللغوية؛

- وثالثا: إجبارية الجمع بين الخبرة اللسانية والخبرة الحاسوبية في معالجة المعطيات والمعلومات، فما أكثر الأعمال اللسانية الحاسوبية العربية التي لم تؤسس أصلا على أساس التعاون المثمر والفعال بين الموارد اللسانية والموارد المعلوماتية، مما أضعف من مصداقيتها، أو حدَّ من جدواها.

وعليه، فإن المقاربات المنهجية والتصورية في معالجة الظواهر المعجمية في اللغات الطبيعية كثيرة ومتعددة، بتعدد الأساليب العقلانية المنبثقة عن تطور أساليب الهندسة الإلكترونية وتشعبها. ولهذا سنركز، في هذه الدراسة، على مقاربة نظرية المعجم-نحو(lexique-Grammaire)، في بناء المعاجم الآلية العربية، وسنسوق بعض التجارب

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الرائدة عالمياً في المعالجة الآلية للغات الطبيعية عامة، ومعالجة المعاجم الإلكترونية خاصة، ومنها:

- المعاجم الإلكترونية المفهومية المرتكزة على قواعد المعرفة؛
- مقاربة المعجم التفسيري التأليفي المؤطرة بنظرية المعنى-نص (Theorie Sens-Texte) لصاحبها إيغور ملتشوك (Igor Mel'čuk) وزملائه أندري كلاس وألكسندر زولكوفسكي (A Clas, A.Polguère .A.Zholkovsky)[١] الذين سعوا إلى معالجة المعجم بأساليب منهجية عقلانية. إذ ذهبوا جميعهم إلى اعتماد تصور متكامل وشمولي في معالجة قضايا معجمية ومعجماتية.

أما المقاربة التي نتبنى،نحن، هنا في معالجة اللغة العربية حاسوبيا عامة، وفي بناء المعاجم الرقمية، فتستمد أصولها المعرفية من اللغة العقلانية والأدوات المعلوماتية المتطورة التي تتغذى من معين النظرية التأليفية، التي أرسى دعائمها موريس كروس وماكس شلبرشتاين[٢] وهي تستخدم أساسا لمعالجة المداخل المعجمية العربية بأصنافها المختلفة، وذلك بإتباع منظومة من المعاجم المترابطة فيما بينها، والتي تترتب كما يلي:

أولا- المعجم الآلي للجذور ؛

ثانيا- المعجم الآلي للمفردات البسيطة؛

ثالثا- المعجم الآلي للمفردات البسيطة المعربة؛

رابعا-المعجم الآلي للمفردات المركبة والتعبيرات المتلازمة[٣] ،

---

(١) يشرف على هذه المقاربة مجموعة رواد نظرية المعنى –النص، والتي أسست لغاية معالجة قاموس المعجم التفسيري التأليفي من طرف إيغور ميلتشوك الواسع الاطلاع بخبايا ظواهر اللغات الطبيعية، بحيث قام بجرد حوالي ستة وخمسين وظيفة معجمية معيار وعادية، تغطي العلاقات الجدولية بين العُجْمات (lexies) كالترادف والاشتقاق والتضاد، وبين العلاقات المركبية كأفعال العماد و التوسيم والتفعيل وكذلك على مستوى لغات كثيرة، وقد أسس لهذا الغرض محترفاً لسانياً لنظرية المعنى – النص "Observatoire de linguistique Sens-Texte (OLST)"، والتي أطرت المقاربة المعجمية التي نحن بصدد التعريف بها وبمفاهيمها وتطبيقاتها الآلية. وللمزيد ينظر محاضرة ملتشوك بالكوليج دو فرانس:

vers une linguistique sens-texte, collège de France , chaire -

و إيغور ملتشوك وأندري كلاس وألان بولغير في:

.Introduction à la lexicologie explicative et combinatoire ,١٩٩٥, éd Duculot:-

(٢))Max. Silberztein, (١٩٩٣-٢

(٣) عولجت هذه المركبات بصفة معمقة في لغات طبيعية عديدة مع مجموعة من الدارسين أهمهم :

-Silberzrein.M١٩٩٣.Gross.M١٩٨٨. ;La Porte.E١٩٨٨.Labelle.J١٩٨٨.

وصاحب نظرية المقاربة المشهورة معنى- نص أيغور ميلتشوك Igor MELCUK فيما يسمى بقاموس =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

خامسا- وأخيراً المعجم الآلي للمفردات المركبة المعربة.

وقبل أن نشرع في بسط القول في هذه التجربة نرى ضرورة التذكير بالأدوات المعلوماتية واللسانية التي ارتكزت عليها هذه المقاربة، ولنبدأ أولا بتحديد مجالات استفادة المعجميات من علوم الحاسب وتقنياته، وثانيا، ننطلق إلى التعريف بمفهوم المعجم الإلكتروني وأصنافه وشروط بنائه.

مجالات استفادة المعجميات من علوم الحاسوب وتقنياته:

أصبح من المؤكد اليوم، أن المعلوميات والهندسة الالكترونية تعتبران علما دقيقا أكثر تجريبية من العلوم التجريبية ذاتها، وعليهما يتوقف التقدم العلمي والتطور المعرفي والسوسيو ثقافي للأمم والشعوب. لهذا أضحى تطوير كل ظواهر الطبيعة بما فيها اللغات وجعلها من أولويات الأنظمة الرمزية الأساسية التي تستلهم التطبيقات الإلكترونية وخاصة منها علوم الحاسوب. "كما أصبح من بديهيات الأمور أيضا، أن يكون المتنفس الطبيعي لكل النظريات والمناهج اللسانية هو ما تحققه المعلوميات من تقدم في صياغة البرامج القادرة على تقييس دماغ الإنسان، لكونها قادرة على صياغة قوانين صورية تقوم بدور مزدوج: وصف النظام اللغوي في سائر مستوياته باستعمال لغة عقلانية تنتمي إلى الهندسة المعلوماتية من جهة، وجعل اللغة قادرة على توليد سائر بنيات اللغة الطبيعية وفق قوانين الاستعمال العادي لها من جهة أخرى"[١].

يقوم الحاسوب بدور رئيس في معالجة اللغات الطبيعية عامة، وفي بناء المعاجم بشكل خاص سواء أكانت حاسوبية أم محوسبة، وتزداد أهميته (أي الحاسوب) بشكل أكبر، عندما يتعلق الأمر بحفظ مراحل التطور التاريخي لمعاني المفردات. فاستخدام الحاسب الآلي في الصناعة المعجمية، يمكننا من حفظ معلومات شاملة عن كل كلمة، بل مقاطع من النصوص التي كانت تستخدم فيها في حقب زمنية مختلفة. وإذا ما تمكنا من استخدام هذه التقنية في بناء معجم تاريخي للغة العربية؛ فإنه سيكون بإمكاننا تتبع مراحل تغيير معاني المفردات العربية عبر مراحل تاريخية مختلفة، ومعرفة مدى تردد كل مفردة، وتغير الدلالات في النطق. وسيوفر لنا كل هذا معلومات دقيقة عن التغيرات التي تطرأ على كل جذر

= المتلازمات (قاموس التعابير السياقية) في معجم (DiCo) وفق أساليب الفحص والإتمام والاستنباط المنطقي المستندة إلى قيم معرفية ودلالية للمداخل المعجمية.

(١) الحناش.م، مشروع نظرية حاسوب – لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني مج ٢، ١٩٩٠، ص٤٠٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

واشتقاقاته، وما إلى ذلك. وبعبارة أخرى، يمكننا من حفظ سجل شامل للغة للعربية[1].

وتأتي المعاجم الالكترونية، في هذا المضمار، في مقدمة الأوعية الرقمية التي تمدنا بالمعلومات الدقيقة عن الأجزاء اللغوية، ذلك أن الهندسة المعلوماتية تمكن من سبر أغوارها وفق ما توفره المعالجة الإلكترونية للغة الطبيعية من إمكانات، ولاسيما حينما نبتغي إنشاء قاعدة معطيات معجمية محوسبة للبسيط والمركب من المداخل.

ونظرا للفوائد الجمة التي تتيحها الأوعية الرقمية على مستويي حفظ المعلومات واسترجاعها، فإن الاقتصار اليوم، على المعاجم الورقية التقليدية في تخزين الكم الهائل من مفردات لغة معينة لم يعد الآن ممكنا، لأن تقنيات التخزين ومعالجة المعلومات التي توفرها الآلة الذكية تختلف هيكليا عما سبق، بحيث تمكن من بناء معاجم آلية للغات الطبيعية وفق ضوابط لسانية وحاسوبية صارمة، تصبح قابلة للاستجابة لمطالب اللسانيات الحاسوبية وتطبيقاتها العملية من قبيل الترجمة الآلية والتدقيق الإملائي والنحوي وتعليم اللغة وتعلمها والمحلل النحوي والتكشيف الآلي واستخراج المعلومات واسترجاعها ونظم الخبرة وغيرها مما يتصل بالتحليل والتوليد الآليين. وبعبارة أخرى كل ما يعتري عملية تقييس الكفاية المعجمية ككل على الآلة، بالإضافة إلى ما تطرحه من قضايا عصبية-عرفانية محضة.

المعجم الإلكتروني، تعريف وتحديد:

يبدو أن تعدد التصورات والنظريات والمرجعيات العلمية، وكذا الأساليب والتقنيات، نتجت عنه رؤى ومواقف تجاه المعاجم الرقمية، باعتبارها مكونًا أساسيًا من مكونات المعالجة الحاسوبية للغات الطبيعية. ومن هنا سيصبح الحديث عن كيفية البناء بعد التصور والإدراك، لأن كل هذه الممارسات تجيب، بطرق مختلفة، عن النقلة النوعية التقييسية: من الطبيعي إلى الاصطناعي، مما يؤسس لحوامل جديدة تُيسِّر الولوج والتحليل والبحث عن الدلالات والمعاني الممكنة للمداخل المفرداتية، وأيضاً الانطلاق من المفاهيم للحصول على الكلمات التي تعبر عنها، فتزداد حاجيات المستخدم لبيانات المعجم، والتي تختلف من مستخدم إلى آخر. وهذا ما أفرز أنواعاً عديدةً من المعاجم، تجيب عن مختلف

---

(١) ينظر سعد بن هادي القحطاني، تحليل اللغة العربية بوساطة الحاسوب، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص.٢٤٦ (بتصرف)

http://www.majma.org.jo/G٠٥/٠٥/٠٤/٠٦٨_files/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨١%D٩%٨٧%D٨%B١%D٨%B٣.htm

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

هذه الاستعمالات[1] ومنها: المعاجم الأحادية، والثنائية، والمتعددة اللغات، ومعاجم المترادفات والموسوعات، وبنوك المصطلحات وغيرها كثير.

فما المقصود بالمعجم الإلكتروني إذن؟

إن المقصود بالمعجم الإلكتروني الذي يبدو غامضاً إلى حد كبير -لدى جمهور عريض-، هو ما يحيل تارة إلى المكون المعجمي في نظام لغوي طبيعي مهيأ للمعالجة وفق آليتي التحليل والتوليد، وتارة أخرى، كل ما يروم ضبط الموارد المعجمية الأساسية التي تساعد الإنسان على إنتاج اللغة وإنجازها (بما يُسمَّى بالقراءة المعاونة بالحاسوب)، ومع ذلك فهما يؤديان الوظيفة نفسها، ويصلحان لكلا المستخدمين أبشراً كانوا أم آلات[2].

لقد ظهر مفهوم المعجم الإلكتروني في القرن التاسع، ليتيح الفرصة لبناء مفرداته على الآلات الذكية (الحواسيب والألواح الإلكترونية والهواتف الذكية)، ومن ثمة الرقائق الإلكترونية المختلفة الأشكال، بحيث أصبح في الإمكان الحصول على أية مفردة بكل يُسر، بل وتوظيفها في تطبيقات متطورة، وأكثر تعقيداً كمعالجة النصوص اللغوية والتدقيق الإملائي والمحلل النحوي والترجمة الآلية وغيرها. ومن وجهة نظر منهجية، يمكن النظر إلى المعجم الإلكتروني من زاويتين هما:

- زاوية اللغويات الحاسوبية؛
- وزاوية المعجميات الحاسوبية، التي تهتم بكيفية صناعة المعاجم المحوسبة والإلكترونية، وتحديد مبادئهما وآليات اشتغالهما.

ورغم المجهودات المبذولة في الصناعة المعجمية التقليدية، فإنها تبقى محدودة من حيث حجمها (monotâches)، ومن حيث إمكانية الولوج إليها، لأنها تنحصر في طُرق الترتيب المعهودة والمألوفة (monocritères)[3]. لهذا السبب، وبفضل ما توفره الهندسة الإلكترونية،

(1) Michael Zock – John Carroll, revue TAL n° ٤٤, ٢٠٠٣ p.٧

(2) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3) تبنى المعاجم التقليدية لغايات تعليمية وثقافية واقتصادية وغيرها، بأحجام محدودة، وهي عادة ما تخضع مداخلها للتحليل، كما أن الولوج إليها يعتمد منهجية معينة في ترتيب المداخل كالترتيب الألفبائي والصوتي والأبجدي، علاوة على محدودية الأجوبة التي توفرها أثناء البحث.لأن نصوصها المعجمية عادة ما تكون عبارة عن مسارد محصورة في زمن وضعها. لكن كل هذا كان عادياً جداً، لأنها الحوامل الوحيدة للتخزين التي كانت متوفرة هي الورق فقط. أما في الوقت الحالي، فقد وفرت الهندسة المعلومياتية العناء في تخزين المعلومات واسترجاعها بأساليب خلفية وأمامية سهلة المنال على المستعملين بمختلف مستوياتهم ومشاربهم الثقافية والعلمية، حيث أصبحت مداخل المعاجم الرقمية تتوفر على شروحات مستفيضة تدخل في الحسبان جميع التطبيقات مثل الترجمة والمعلومات الدلالية (تعريف المداخل) والقواعد النحوية والمعارف الموسوعية والتاريخية، إن لم نقل، الأنطولوجية العامة المرتبطة بتلك المداخل.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أصبحت المعاجم الحالية أكثر غنىً من ذي قبل، من حيث المعلومات والمعارف، وأكثر تشعُّباً لإمكانية الانفتاح على النص المترابط (hypertexte) أثناء البحث الذي يعتمد معايير متعددة (multicritère) تستجيب لرغبات المستخدم. مما يمنح إمكانية الإبحار الكبيرة والمستفيضة (بنقرة أو لمسة واحدة فقط)[(١)]، عن طريق روابطَ مشفَّرةٍ داخل نظام المعجم، والموضوعة بشكلٍ محسوبٍ ومقرونٍ دلالياً بحسب ما تقتضيه الحقول والمفاهيم. لذلك فإن إعداد قاعدة بياناتها اللغوية يكون عن طريق أسلوب التشفير، الذي يطبق على جميع المستويات اللسانية كالأصوات والصرف والتركيب، إضافةً إلى بناء معاجم رقمية للدلالة، على الأقل، في مستواها الصوري الذي يحدد العلاقات المنطقية[(٢)] بين مختلف مكونات المتواليات اللسانية المقبولة في وجهيها الحقيقي والمجازي. كما تقوم تقنية التخزين الاستقرائي على بناء المعاجم الإلكترونية للغات الطبيعية وفق قوانين الاستعمال اللغوي العادي، وبما تعرفه من تقاطعات معجمية مع لغات أخرى مجاورة، مع إبراز خصائصها الصورية في جميع المستويات اللسانية التي صنفتها النظريات اللسانيات المعاصرة.

نماذج من المعاجم الرقمية:

إن المشتغل في إطار الصناعة المعجمية المعاصرة، سواء أتعلق الأمر بوضع معاجم ورقية أو معاجم إلكترونية، سيجد نفسه أمام مناهج متشعبة، وبأهداف وإستراتيجيات متشابهة ومشتركة في مراقبة المعطيات اللغوية وتحليلها وتمثيلها. وإذا كان جهد الإنجاز والإلحاحية متطابقين بين أنواع المعاجم وأصنافها، فإن اللغة والمعجم هما الموضوع الأساس بالنسبة لها. لذا فإن الحد الفاصل بينها هو أن المعجم اليدوي يمكن تحويله إلى معجمٍ مُحوْسَبٍ وفق إجراءاتٍ تكنولوجيةٍ لا يمكن تجاوزها، باستثناء ما يمكن استغلاله من مدونة معجمية، قد تصبح مصدراً لقواعد المعطيات النصية[(٣)] وما عدا ذلك، لن يصبح المعجم مبنيا على متون نصية إلكترونية، لأن ذلك عمل يندرج في صميم المعجميات الحاسوبية المحضة.

---

(١) المرجع نفسه، ص.٨.

(٢) لهذه العلاقات دور في تصنيف المفاهيم وترتيبها والتصورات والدلالات والمعاني التي تجمع فئة دون غيرها في النص المعجمي، لذلك تأتي المعاجم الإلكترونية بأشكالها المختلفة في الترتيب المدخلي والموضوعاتي والعرض بالمجالات والتخصصات وتردد المواد المعجمية والوضع في عين الاعتبار المستوى اللغوي المطلوب...(المرجع نفسه والصفحة نفسها).

(٣) مهديوي ع، المعجم الإلكتروني:قراءة في بعض التجارب الغربية والعربية، مجلة الدراسات المعجمية، ٧و٨ يناير ٢٠٠٩،صص ٢٩١-٢٩٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وفي هذا الإطار فقد ذهب فيلب أمييل (P.Amiel)[1] إلى أن المعجم الإلكتروني ليس مُعْجَماً لنصوصٍ واصفةٍ للغة، بل إن العمل المعجمي، في الحالة الإلكترونية، هو وضع دلالةِ الوحدات المعجمية، وترتيبها وشرحها وتسنينها في لغة اصطناعية ملائمة لمستعملي المعجم، مما أفرز ثلاثة أجيال متتالية من المعاجم الإلكترونية هي على النحو الآتي:

- معاجم إلكترونية ذات قواعد معطيات نصية مفهرسة؛
- معاجم إلكترونية ذات قواعد بيانات مُعْجماتية مُبنْيَنَة (تعريف، وشواهد..)؛
- ومعاجم إلكترونية ذات قواعد معلومات معجماتية ولسانية، بحيث يصبح الولوج إلى أي مكون أو نص معجمي مُمْكناً (كحالة مشروعي Eurolex, Hachette). ونلاحظ بالنسبة للحالة الأخيرة، أن الاهتمام يتزايد بالنسبة للبنية الصغرى للمعجم (Microstructure)، حيث تمثلها العلاقات الشجرية المتداخلة بين المواد الرئيسية للمعجم، فللأفعال التالية: "قاء" و"لقي" و"خرم"، بنية شجرية تتضمن جميع أقسام الكلم المرتبطة بها، والبنيات اللغوية بدرجاتها التمجيزية التي تنتمي إليها دلالياً، بحيث نجد في نصها علاوة على التراكيب البسيطة التعبيرات المركبة و المتلازمة مثل:

"قاءَ زيدٌ نفسَه"

"لقيت هند حتفها"

"خرمته الخوارم".

تدل هذه البنيات اللغوية جميعها على حالة الموت، وأما أسلوب تمثيل معلوماتها المعجمية، فقد يكون بالطريقة الشجرية،كما قد يكون بالطريقة الأقواسية المعروفة.

المعجم الرقمي العربي:البنية والنظام:

سنتناول في هذا المبحث المعاجم الإلكترونية العربية "(Dictionnaires Electroniques de La Langue Arabe) التي بنيناها قياسا على المعاجم الآلية الفرنسية، مذكرين بتطور بنية المدخل المعجمي الحاسوبي باعتماد الأدوات العقلانية والرياضية مثل تقنيات أوتومات الأوضاع النهائية والمحولات والرسوم وشبكة الانتقال المعززة... لعل هذا أنجع سبيل إلى توصيف نظام المعجم الحاسوبي العربي المنشود، في ظل الدور الذي يهدف أساساً إلى تقييس الكفاية المعجمية الطبيعية على الحاسوب، وذلك هو ما تجيب عنه بيئات التطوير

---

(١) يعمل فليب أمييل مديراً بشركة أنتلكسيس (Intellexis) بفرنسا، وللمزيد من المعلومات، ينظر مقالته المنشورة في الموقع الرئيس للشركة:
« Vers les dictionnaires électroniques » Philippe.Amiel ٢٠٠٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

اللغوية المفتوحة المصادر والمتاحة على الشابكة.

كما سنتطرق إلى المراحل الأساسية التي يمر منها بناء المعجم الحاسوبي في اللغات الطبيعية عامة، واللغة العربية على وجه الخصوص، أي دراسة المكونات والعناصر الداخلية التي يتألف منها المعجم الإلكتروني العربي، والبنينة الهيكلية لمنظومته بدءا بمعجم الجذور، وانتهاء بمعجم المفردات بنوعيها البسيط والمركب.

إن الإشكال الرئيسي الذي يطرح نفسه بحدة هو المتعلق بكيفية بناء قاعدة المعطيات المعجمية للمتواليات اللغوية بنوعيها البسيط والمركب خدمة للمعاجم الرقمية العربية عامة، والمعجم التاريخي الآلي للغة العربية، وذلك تلبية لمطالب منظومة اللغة العربية في الزمن الرقمي أولا، وثانيا، تحقيقا للتطبيقات الحاسوبية العربية كالترجمة الآلية والتعلم عن بعد والتوثيق، وغيرها، وما تتطلبه من رصد دائم لحالة الاستجابة اللغوية والهندسية على حد سواء.

المعاجم الإلكترونية المبنية بنظام "ديلا" (DELA):

ينتمي نظام المعاجم الإلكترونية "ديلا""DELA"[1] إلى أنظمة المعاجم الآلية التابعة لمختبر المعالجة الآلية والتوثيق اللساني(LADL). إنه نظام لساني حاسوبي يجمع بين قوالب الوصف في نظام اللغات المعالجة وبرامج معالجة المعطيات، والهدف الرئيسي منه هو معالجة النصوص، وتحقيق التواصل باللغة الطبيعية مع الآلة التي تستطيع استيعاب النماذج المصورنة بدقة متناهية، وبتلاحم وانسجام تامين في الوصف والمعالجة.

وللاستجابة لهذه المطالب، فقد ظهرت المعاجم الإلكترونية باعتبارها قواعد معطيات مشفرة ومُبَنْيَنَة، حيث الوحدات اللغوية مصنفة تصنيفاً صورياً، والخاصيات اللسانية للغة موصوفة وصفاً دقيقاً، مما يجعلها صالحة للبرمجة الآلية.

وبما أن الآلة الذكية في حاجة إلى معاجم حاسوبية أو محوسبة لإثراء دورها في تقديم المعلومات بالسرعة الفائقة، فإن هذه المعاجم ذاتها، تبقى غير مُكَيّفة ومُلائِمة، بالشكل التام، مع التقنيات المعلوماتية المتطورة من جهة، وغير متوازية ومكتملة من حيث المحتوى من جهة أخرى.

---

(١) يعتبر مخبر المعالجة الآلية والتوثيق اللساني (LADL) بجامعة باريس ٣ ومخبر (LASILDI) بجامعة فرانش كومتي من المراكز البحثية العلمية الرائدة في فرنسا على مستوى المعالجة الآلية للغات الطبيعية، إذ تمكنت من بلورة معاجم إلكترونية للغة الفرنسية اعتماداً على نظرية المعجم- نحو(Lexique Grammaire).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تجربة معاجم "ديلا" (DELA) في بناء المداخل باستخدام أدوات اللغة العقلانية:

أظهرت الأتمتة بأنواعها المختلفة قدرتها على المعالجة الحاسوبية للبنيات والمتواليات اللسانية، ذلك لأنها تمنح القدرة على تمثيل مدمج للمعاجم الآلية، كما أنها تعد عماد خوارزميات المعالجة الآلية للغات الطبيعية: التحليل الفونولوجي والتعرف على الكلام الطبيعي والتمثيل التركيبي للنصوص وغيرها.

إن الأدوات المعلوماتية العقلانية [١] الموظفة في معالجة المفردات البسيطة والمركبة هي في الأساس عبارة أوتومات الأوضاع النهائية (automates à états finis)، ومحولات الأوضاع النهائية (transducteurs à états finis)، وهي تقوم بدور عمليات الوسم المعجمي والتعرف على الوحدات في مرحلة التحليل. على أن السمة الأساسية لهذا النوع من الأدوات العقلانية هي المرونة اللازمة، والسرعة الفائقة، واليسر في تنفيذ مراحلها الإجرائية، ابتداءً من وصف الوحدات المدمجة والمقروءة إلى الشكل الإجرائي الوصفي الذي يتيح المعالجة الناجعة للمتواليات المعجمية.

إن زمن المعالجة غالباً ما يكون زمناً خطيّاً، في حالة ما إذا ما قورن بحجم النص، كما يكون في الآن نفسه مستقلا عن حجم الأوتومات بما يحتويه من أنحاء محلية أو نحويات إلكترونية مناسبة. وأثناء هذه العمليات، يمكن اختيار بعض الأدوات الأخرى المناسبة كأوتومات التحليل المعجمي. مع العلم أن هذه الأدوات المعلوماتية تبقى مبدئياً، قابلة للاستغلال وللتعديل خارج الإجراءات التي يختارها المعالج أثناء المعالجة. فيما لا تستعمل أدوات التعلم الإحصائي دائماً إلا من داخل الشبكة العُصَابيَة والمعرفية، أو بالأحرى، وفق نظام إحصائي للتعلم محدث لهذه الأدوات.

يرتكز التحليل النصي على التعرف على المتواليات النصية التي تتألف من عدد نهائي من الوحدات الدنيا [٢] ابتداء من الطباعة الخطية التي نجدها على مستوى الوحدات الدنيا التي تتشكل من حروف. وعلى المستوى الإملائي، يعتبر النص مؤلفا من أشكال بسيطة نهائية. وأما بالنسبة للمستوى المورفولوجي، فإن الأشكال البسيطة هي نفسها عبارة عن مورفيمات (لواصق)، وهي نهائية أيضاً. وأما من حيث المستوى التركيبي والدلالي، فإن الوحدات الدنيا هي الكلمات و هي بنيات قابلة للتفكيك. ومهما يكن من مستوى التحليل

---

(١) من الأدوات المعلوماتية العقلانية نذكر: أوتومات الأوضاع النهائية وخاصية كلين و الأوتومات والغموض والرسم الحلقي وغير الحلقي وشبكة الانتقال المعززة والمحولات التي ينحصر دورها في أمن اللبس.

(٢) M.Silberztein(١٩٩٣), p. ٦

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المعجمي، فإن الوحدات الدنيا هي رموز نهائية، وأن مجموعة الرموز هي مفردات، وأن سلسلة الرموز هي متوالية، وأن مجموع المتواليات هي لغة بمفهوم لغات كلين Kleene[1]. هذا فيما يخص العبارات العقلانية، وأما في ما يتعلق بالأوتومات النهائي فهو أيضاً عبارة عقلانية تستخدم للتمثيل، وتميز فيها فيما بين عقدتين: عقدة واحدة أولية (دخل)، وأخرى نهائية (خرج)، حيث نرمز للعقدة التي تملأ بالعناصر الصورية بـ:

(<E >)

ولكن العقدة النهائية تبقى غير موسومة، لأنها تمثل الخرج النهائي للأوتومات.

نشير هنا إلى أن هذه التقنية المتطورة، التي عالجت بنجاعة الأشكال الصورية للغات الطبيعية، قد استخدمت في بيئات معلوماتية مثل إنتكس (INTEX) ونوج (NooJ)[2]، فأعطت نتائج جيدة على مستوى بناء المعجم الإلكتروني للغات بشرية عديدة مثل الفرنسية والانجليزية والبلغارية والايطالية والاسبانية والعربية وغيرها. وبغيتنا هنا أن نجعل منها الأسلوب المتقدم إلى جانب التقنيات الذكية لأنظمة الذكاء الاصطناعي، وبخاصة أنظمة قواعد المعرفة، في معالجة المعاجم العربية وحوسبتها بوجه عام، والمعجم التاريخي بشكل خاص، لأنه لا يمكن أن نتحدث عن مشروع معجم تاريخي للعربية ما لم نؤسس لمعاجم رقمية عربية متخصصة باعتبارها القاعدة الصلبة التي ستبنى عليها قواعد المعطيات التاريخية، وأي تجاوز لهذا المطلب الهام من شأنه أن يعطل بناء هذا الصرح العلمي أو يقود به إلى حصيلة لن تكون بأحسن حال مما سبقها من تجارب عربية فاشلة. لذلك، نرى من وجهة نظرنا، أن من شروط نجاح هذا العمل الإسلامي العربي البدء ببناء معاجم تاريخية متخصصة في مرحلة أولى، ثم الانتقال في مرحلة ثانية إلى بناء قواعد معطيات المعجم التاريخي الشامل للغة العربية، وذلك وفق أدوات لسانية ومعجمية ومعلوماتية، وأي تغييب أو تجاهل لهذه الأدوات من شأنه أن يجعل النتائج المحصلة ضعيفة من حيث الفعالية.

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) يعتبر نظام إنتكس (INTEX) ونوج (NooJ) بيئتين معلوميتين أنشئتا للتطوير اللغوي، ومن أهدافهما صورنة تطبيقات المعجم –التركيبي للغات الطبيعية، ووصفها من أجل معالجتها آليا، اعتمادا على قاعدة بيانات لسانية موسعة تستجيب لكل البرامج المعالجة، وكما هو مسطر في أعمال المختبرات المذكورة، هذا علاوة على الوظائف الشكلية الأخرى المندمجة في مختلف مكونات النظام هو من صميم أهداف بناء المعاجم الإلكترونية (DELA)، وللمزيد من المعلومات ينظر مثلا:

Blandine Courtois, M. Silberztein ,les dictionnaires électroniques DELAS et - DELAC. In Linguistica CommunicatioV١.N°١.١٩٨٩.٤١-٤٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ويمكن أن نذكر بكيفية عمل تلك الأدوات التي تحدثنا عنها سابقا، على النحو الآتي:

أ- تقنية محولات الأوضاع النهائية: ترتكز بصفة أساسية على المتواليات اللغوية، وعلى تمثيلها الذي يجب أن يخضع لدالة جبرية رياضية، تستطيع بقدرتها العالية وصف أي لغة طبيعية كانت، كما أن لها القدرة على تطوير تطبيقات المعالجة حسب الأنحاء المحلية المناسبة لكل متوالية. وهكذا فقد ظهرت إمكانية عالية لربط الجمل بالتمثيلات الميتالسانية لبناء نظام للترجمة الآلية مثلا، وهذا يشتغل بتناسق مع تقنية الرسوم (graphes)؛

ب- تستغل تقنية الرسوم الرياضية للتمثيل المعطياتي المؤسسة على مبدأ المحولات[(١)]، والتي اعتمدت في بيئتي التطوير اللغوية (إنتكس)و(نوج) باعتبارها عدة أدواتية، بحيث يستطيع الناشر الإلكتروني لهذه الأنظمة، أن يغير أو يبدل في عناصر السلسلة الواصفة والمتمثلة في عقد الرسوم التي تعمل بصفة عامة في السلسلة المعنية. وقد استخدمت هذه الطريقة في نظام الترجمة الآلية في بناء معماريته على أساس مجموعة من الأوتومات الموجهة لتمثيل معلومات المقولات التركيبية والدلالية الكامنة في الجملة (المتوالية اللسانية) عن طريق تلك المحولات، ويمكن توضيح ذلك من خلال ثلاثة قوالب خوارزمية على الشكل التالي[(٢)].

فكل مرحلة من هذه المراحل تزود بخوارزمية خاصة تقوم بإجراءات معينة، فإن أردنا أن نترجم بنية لغوية من لغة إلى أخرى، فما علينا إلا أن نمر بهذه القوالب كما يظهر

---

(١) تستخدم هذه التقنية لتمثيل خوارزميات الناشر الآلي الذي يمثل كذلك بالرسم (graphe)، وكل عملية تمثيلية ميتا لسانية تمر عبر قوالب التعرف والتحويل (transduction) والتوليد. وتعمل أنظمة الترجمة الآلية بهذا الأسلوب بحيث إذا أردت الترجمة من اللغة ١ إلى اللغة ٢ مثلا لا بد لك من عبور خوارزميات التمثيل التي ذكرناها.

(٢) حاول كل من بلانكو وروي (١٩٩٩) بناء نظام للترجمة الآلية يوظف المعاجم الإلكترونية للبلوغ إلى تمثيلات ميتا لغوية قبلية للجملة المعالجة للترجمة الآلية عبر المحولات التي توظف في التعرف على المتوالية اللسانية ذات البعد المعجمي، وقد ذهب بيير أندري بوفي إلى حد اعتبار أن إطار نظرية "المعجم –نحو" ومنهجية نظرية "معنى – نص" متشابهان من حيث كونهما معجميتان في تناولهما لإجراءات التحويل التركيبي والمعجمي للوحدات الاسمية والفعلية. للمزيد ينظر مثلا :

Pierre-Andre Buvet, représentations métalinguistiques de phrases à partir de transducteurs, http://promethee.philo.ulg.ac.be/RISSHpdf/annee٢٠٠٠/Articles/PBuvet.pdf

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

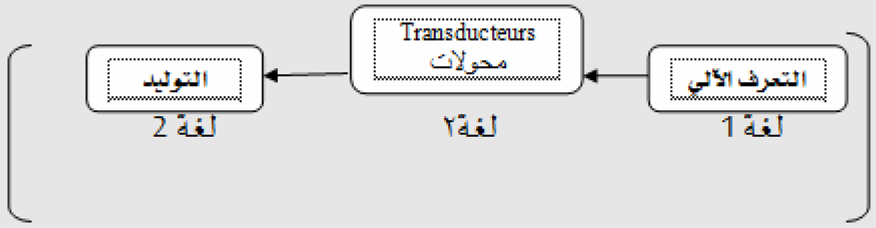

الشكل رقم١: خوارزميات التحويل

من خلال الخطاطة التالية:

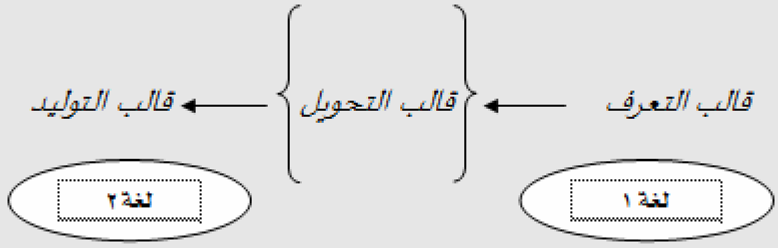

الشكل رقم ٢: يوضح خوارزمية التحويل من لغة إلى أخرى

ج- تقنية أوتومات الأوضاع النهائية:

أوتومات الأوضاع النهائية هو عبارة عقلانية تستخدم للتمثيل، وتميز فيما بين عقدتين واحدة أولية (دخل)، وأخرى نهائية (خرج)، ويرمز للعقدة التي تملأ بالعناصر الصورية بـ(< E >) بينما تبقى العقدة النهائية غير موسومة، لأنها تمثل الخرج النهائي للأوتومات. ولما كان هذا النوع من الأوتومات ينتمي لفصيلة العبارات العقلانية فإنه، بشكل من الأشكال، يقوم بوظيفة المحولات ذات الأوضاع النهائية في مختلف العمليات[(١)]، أي تلك التي لا تنتج أية معلومات غير تلك المعلومات الثنائية المتعلقة بـ:

أ- المتواليات المعروفة؛

ب- المتواليات غير المعروفة.

---

(١) تعتبر العبارات العقلانية وسيلة سريعة لإدخال الأوتومات البسيط في النظام المعلوماتي، من دون اعتماد الرسم، حيث تكون المتواليات الصورية المبحوث عنها قصد المعالجة تستلزم دائما متواليات أخرى هي عبارة عن مفردات، بفضل السرعة المميزة لهذه العبارات أمكن إدخال هذه المفردات بشكل مباشر، وفي حالة تعقد الأمر نستعيض عن ذلك بالرسوم.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تطبق هذه التقنيات على المفردات اللغوية البسيطة والمركبة، بمعالجة المتواليات وحوسبتها، وذلك باستخراجها من النص المعالج وتحديدها بدقة، قصد التعرف على أشكالها ومكوناتها وعناصرها.كما يتم بها اختبار كيفية استخدام الأوتومات النهائي في معالجة المتوليات والبنيات اللسانية وتحليلهما بتطبيق خوارزميات الأنحاء المحلية المناسبة لهذه المتواليات المفرداتية.

وإذا كانت الأوتوماتات كالعبارات العقلانية تصلح لتمثيل مجموعة من المتواليات اللغوية، فإنها تتعرف على المتواليات اللسانية بسهولة. فإن أردنا أن نفحص مدى تعرف أوتومات معين على متوالية معينة، فإننا نقوم بتطبيق الخوارزمية التالية (١) :

ننطلق من العقدة الأساسية للأوتومات، ونتبع الممرات التي تعبرها العقد، حيث تتطابق قراءة الرموز بها مع الجذاذيات. وإذا بلغنا العقدة النهائية بقراءة جميع المتواليات اللسانية، فإننا نؤكد أن المتوالية معروفة، أما إذا لم نستطع الوصول إلى العقدة النهائية، أو أننا نصل بدون أن نكون قد قرأنا المتوالية،سنستنتج أنها غير معروفة، ولنتأمل الجملة التالية : أعطى زيد الكتاب لعمرٍ

التي يمكن تمثيلها بواسطة الأوتومات التالي :

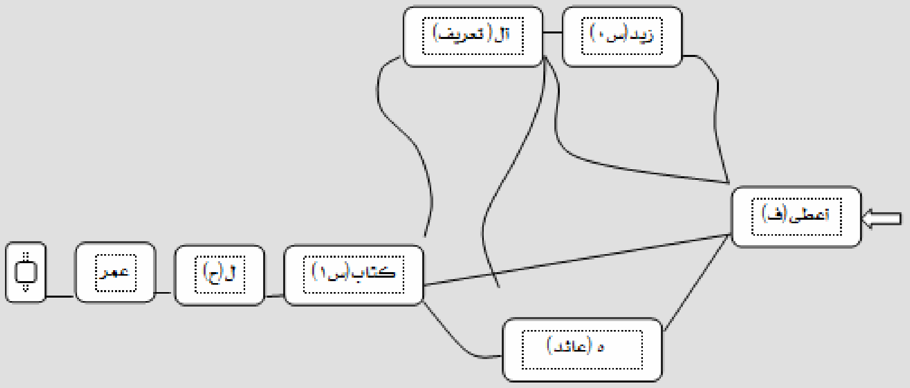

الشكل٣ رسم يمثل نموذج الأوتومات"أعطى زيد الكتاب لعمر"

---

(١) Max. Silberztein (١٩٩٣).p.٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

فإن أردنا قراءة المتوالية التالية:

"أعطاها الكتاب"

فسوف لن نحصل على التطابق بين الممر الذي سنصل به إلى العقدة الموسومة بالضمير "ها"، لأن القراءة تبلغُ مداها مباشرةً عند تعرُفها على المتوالية "أعطاه كتاباً"، وبالتالي فإن الأوتومات لن يتمكن من التعرف على المتوالية "أعطاها كتاباً، ذلك لأنها غير مطابقة تماماً في الرسم. ومع ذلك يمكن منح نوع من الحرية للأوتومات من خلال إعطاء العقد وسماً مركباً مؤلفاً من متواليات من الرموز غير متصلة فيما بينها، وهذا ما يفضي إلى بناء ممرات أخرى مما يجعله خفيفاً، فيتم كتابة رسومات مختلفة توازي أوتومات الأوضاع النهائية المفترض.

المعاجم الإلكترونية للغة العربية، من البسيط إلى المركب:

إن بناء معجم إلكتروني عربي مُبَنْين يقتضي، أولا وقبل كل شيء، إعداد قاعدة معطيات لغوية ذات منظومة متناسقة تضم طبقةً مُتراصَّة من قواعد معطيات معرفية خاصة بكل مستوى من المستويات اللغوية في العربية، كالجذور والمفردات البسيطة والمفردات البسيطة المعربة والمفردات المركبة والمتلازمة.

التحليل المعجمي– التركيبي وبناء المعجم الرقمي للغة العربية:

مما لا شك فيه أن التطبيقات المتطورة للتكنولوجيا المتقدمة قد أبانت عن جدارتها في معالجة النصوص واللغات الطبيعية باعتبارها أنظمة رمزية معقدة، تستدعي مناهج مرنة وحدسية وأساليب عقلانية، نجد هذا مُتاحاً عبر مجموعة من التقنيات الحاسوبية التي طبقت في النشر الإلكتروني والإخراج الآلي والتدقيق الإملائي والتصحيح الآلي والطبع وغيرها. إن هذه التقنيات اللغوية المتطورة ما هي في واقع الأمر إلا معطيات أساسية وهامة بالنسبة للمعلومات، مما سيمكن المتخصصين- لا محالة- من تطوير أنظمة التوثيق والمعالجة الآليين للغات عديدة في سائر مستوياتها اللسانية.

إن التحليل الآلي للنصوص يشبه في عمله، إلى حد بعيد، تقنية الضغط وتسنين النصوص والمعالجة الإحصائية وتجميع المعلومات وغيرها، ومن ضمن العمليات الأولية في معالجة النصوص المتعلقة بتقطيع ملفات المعطيات النصية، بمعنى آخر، التعرف على الوحدات الأساسية للنص وتصنيفها، إلى متواليات ووحدات مفردة ومركبة، وهذه المراحل تسمى بالتحليل المعجمي. فإن أردنا تحليل النص الآتي: "كثف الثوار ضرباتهم"، فإننا نطلب أول الأمر من المحلل المعجمي التعرف على المكونات الثلاثة للجملة وهي : "كثف" و "الثوار"

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

و"ضرباتهم "؛

إن عملية التعرف هنا قد تبدو مبهمة وملتبسة في أول الأمر، مما يجعلنا نهتدي إلى الوظيفتين التركيبية والدلالية، نظرا لأن دورهما فعال في فرز الوحدات المعجمية المعالجة. ولهذا، فإن البرنامج الآلي للتحليل المعجمي، لا يمكنه في البداية أن يتعرف ويحدد بدقة تصريف الفعل"كشف" مثلا أهو في الماضي أم في الصيغة المنتهية، فنطلب من المحلل المعجمي أن يقدم لنا مجموع الإمكانيات المعجمية المتوفرة لديه لحل هذه المسألة بمساعدة المحلل التركيبي أو الدلالي إن أمكن لبسط سياق كل كلمة على حدة.

إن المشاكل المطروحة هنا، هي من قبيل ما يواجهه المحلل المعجمي عند تطبيقاته المعلوماتية من مشاكل لغوية، ولاسيما فيما يتعلق بنظام تجميع المعلومات. فهذه القضايا عولجت كثيراً، وقد أمكن مقاربتها بنظرية أكثر عمقا ألا وهي نظرية الأوتومات بأشكالها المختلفة، لأنها تعالج العلاقات النحوية المحلية للمتوالية اللسانية أو ما يصطلح على تسميته في الأدبيات اللسانية الحاسوبية بالنحويات الإلكترونية.

انطلاقاً مما ذكر، يظهر أن اعتماد الأدوات المعلوماتية واللسانية نفسها عند تطبيق المحلل المعجمي لنصوص لغة ما يعتبر مسألة عادية، بيد أن التعرف على المفردات وخاصة منها المركبة، يعتبر من العوائق المثيرة للجدل أثناء بناء معجم آلي للغة معينة.

وضع المفردة في المعجم العربي الرقمي:

تتألف قاعدة المعطيات من جميع مفردات اللغة العربية في مختلف أشكالها التصريفية والصرفية: الاسم في جميع أوجه ظهوره الممكنة في الاستعمال اللغوي العربي، والفعل مصرف في جميع الأزمنة، وكذا الظروف والصفات، الخ. وبما أن هذا الوصف يتعامل مع برامج تهدف إلى التحليل الآلي، فقد استدعى ذلك إعطاء معنى محدد للمفردة، التي تعرف على أنها متوالية من الحروف التي تتضمنها الأبجدية العربية محاطة ببياض بينها وبين ما يقابلها وما بعدها.وهذا التعريف يشمل الأسماء والأفعال والظروف والصفات والأدوات وغيرها، مع استثناء تلك المفردات التي خضعت للتركيبات الإضمارية مثل "أعطيتكه". كما يخرج من هذا التعريف أيضا الوحدات الاسمية المركبة والمتلازمة منها نحو:

أسداساً في أخماس و بصيص أمل.

فهذه المتواليات تشكل معطيات معجم المفردات المركبة، كما تشكل أساس المعجم-نحو المخصص للتعبيرات المتلازمة. وبما أن هذا المعجم معجم مفردات، فإن هذه الجزيئات ستلج المعجم مستقلة عن تراكيبها. فمثلا (وبمدرستهم) سوف تضبط (و) في المعجم برقم

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

معين يكون كمرجع لها في البرنامج المعلوماتي (ح،.رقم) وكذلك الباء. وأما بالنسبة لـ(هم) فسوف تظهر مرقمة بالشكل(ض،.رقم)، (مدرسة،.رقم) وهكذا.

تقنية بناء المادة المعجمية في المعجم الرقمي العربي:

تعتمد تقنية بناء المعجم الآلي العربي-على غرار المعجم الآلي الفرنسي-على ثلاثة مستويات متكاملة هي[١]: مستوى الجذور ومستوى المفردات البسيطة، والتي تتفرع بدورها إلى المفردات البسيطة المعربة. أما المستوى الثالث فيتأسس على قاعدة معطيات تجمع المفردات المركبة والمتلازمة، والتي تتفرع بدورها إلى مفردات مركبة تشمل العادي منها والمتلازم ومفردات مركبة معربة[٢].

إجرائياً يتم تقسيم قاعدة المعطيات إلى جميع أجزاء الكلم في اللغة العربية، كما يتم التعامل معها على شكل مداخل معجمية مستقلةً تماماً عن إطاراتها التركيبية، مخزنةً في قاعدة المعطيات المعجمية على أساس نحوي وصرفي كما هو واضح في الجدول التالي[٣]:

المرجع الصرفي	المرجع النحوي	نوع المعجم
الرقم الخاص بالصنف التصريفي	الرمز الخاص بكل مدخل(ف، س، ص، ظ، ح)	معجم المفردات البسيطة

الشكل "٤ ": جدول ترقيم المداخل البسيطة وتصنيفها الصرفي والنحوي

إن إنشاء قاعدة المعطيات الخاصة بالمفردات البسيطة سيكون بالتقنية المذكورة، على أساس أن يثبت الرمز المحيل على الصنف النحوي أولا، ثم يتبع مباشرة بفاصلة بعدها نقطة تسبق الرقم المحيل على الصنف التصريفي كما في المثال ف،.١ ثانياً. وبهذا سيصبح من السهل على البرنامج القيام بعملية البحث التي ستمكن من تكوين معاجم مختلفة

(١) Blandine Courtois et Max Silberztien , Les dictionnaires Electroniques DELAS et DELAC , in Lingüística Comunicatio , Vol.١ N°.٢.١٩٨٩.PP.٦٤-٨٠.

(٢) تتأسس تقنية بناء هذا المعجم على القيم الصرفية والتركيبية والإعرابية التي تساعد البرنامج المعلومياتي على التعرف مباشرة على المفردة في السياق، واعتمادا على بيانات إحصائية مصنفة وموصوفة يتم إسناد رقم معين للبنيات المصنفة مورفو-تركيبيا، علاوة على المعلومات الإضافية التي تساعد بنسبة لا تقل عن عشرة بالمائة لاجتناب هامش الخطأ لدى المعجمي وهو ما يعرف ب" reconnaître les données génératrices de bruit" للمزيد انظر المرجع السابق، ص.٦٤.

(٣) لبناء المعجم الرقمي للمفردات العربية، اقترح محمد الحناش تقنية تجمع بين الجانب التركيبي والمعجمي وذلك بتوظيف قائمة الرموز المسطرة في جدول خاص بذلك، انظر المعجم الآلي للغة العربية، بناء قواعد البيانات، مجلة التواصل اللساني، م.٤،ع.١، مارس ١٩٩٢م. ص.٨٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

حسب ما يُطلب منها. غير أن هذا الأسلوب سيصبح عاجزاً في حالة بعض المفردات المركبة، وبالتالي يقتضي الأمر النظر إليها من الجانب التركيبي-المعجمي، بتوظيف قائمة الرموز المسطرة في الجدول الخاص بذلك، وقد اختار الباحث محمد الحناش إتباع طريقة التسنين التالية[(١)] :

المدخل المعجمي: المفردة المركبة	
متن الاسم المركب	البنية الصورية لكل صنف للاسم المركب
الجزء الأول مصرّف دون الجزء الثاني	البنية الصورية

شكل "٥": جدول تسنين المداخل المركبة وتصنيفها الصرفي والنحوي

حيث أن الصنف التصريفي هو الطريقة التي يصرف بها اللفظ البسيط سواء كان فعلا أو اسماً في اللغة العربية.

ويتبين من هذه المعالجة، أن عملية التصريف تكاد تقبل أن تُؤطّر في أصناف متجانسة، يشمل كل صنف منها عدداً من المداخل التي تم تقسيمها بناءً على بنيات حرة، وأخرى ثابتة كامنة في الكفاية المعجمية العربية، ومثال ذلك:

- س ص : مرض عضال؛
- ص س: بصيص أمل؛
- س س : حيص بيص؛
- س ح س : أخماساً في أسداس.

يتضح ممّا سبق أن قاعدة المعطيات الخاصة بالمعاجم الرقمية تتألف من نوعين من المعطيات[(٢)] :

أ- نوع يتأسس على مداخل منعزلة خارج السياق التركيبي، وهو مصنف بناء على قواعد صرفية ومعجمية خاصة، وتكون مادته المعاجم التالية: (DEAMSF, DEAMS, DEAR).

ب- ونوع آخر يتأسس على قواعد تركيبية- معجمية، ويتعلق الأمر بالمعاجم التالية: (DEAMC،DEAMSC). أما المعجم- نحو الخاص ببنيات اللغة العربية، فيتأسس من

(١) الحناش ،م، نظرية حاسوب لسانية لبناء معاجم الآلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني، مج٢،ع٢، ١٩٩٠. ص.٧٥.

(٢) Blandine Courtois et Max Silberztien , Les dictionnaires électroniques DELAS et DELAC in Lingüística Comunicatio , Vol.١ N°.٢.١٩٨٩.PP.٦٤-٨٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

قاعدة معطيات تتألف من التراكيب العربية بنوعيها: العادي والمركب.

من جملة المشاكل التي تعترض المعالجة الآلية للغات الطبيعية عامة، وبناء المعاجم الإلكترونية خاصة: إشكالية إلتباس بعض المتواليات المركبة (أو حتى البسيطة في بعض الأحيان) التي يصعب التعرف عليها في النص المعجمي المعالج. ولحل هذا الأمر تُعتمد طريقة التشفير (codage) لتسهل عملية ترتيب المداخل، وهي إسناد رمز لكل صنف عند بناء قاعدة المعطيات في سائر مستويات المتواليات المعجمية كما يبين ذلك الجدول التالي[1] :

اسم	س:	فعل	ف:
ظرف	ظ:	صفة	ص:
ضمير	ض:	حرف	ح:
مخاطب	ك:	تعريف	تع:
مخاطبة	خة:	مخاطبة	خ:
غائبة	غة:	غائب	غ:
اسم مفعول	مف:	اسم فاعل	فا:
ماضي	م:	مضارع	ظا:
مجهول	جه:	أمر	أ:
جمع	ج:	مفرد	ر:
مصدر	مص:	مثنى	ث:
المعجم الآلي العربي للجذور	DEAR	اسم متلازم	مت:
المعجم الآلي العربي للمفردات البسيطة المعربة	DEAMSF	المعجم الآلي العربي للمفردات البسيطة	DEAMS
المعجم الآلي العربي للمفردات المركبة المعربة	DEAMCF	المعجم الآلي العربي للمفردات المركبة	DEAMC

شكل ٦ جدول إسناد رمز لكل صنف عند بناء قاعدة البيانات المعجمية

(١) محمد الحناش، المعاجم الآلية للغة العربية، بناء قاعدة المعطيات، مجلة التواصل اللساني، المجلد ٤. ع ١. ١٩٩٢. ص. ٨٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أ- **معجم الجذور** (DEAR):

يعتبر معجم الجذور[1] أساس بنية المعاجم الآلية العربية، فهو الذي يخضع لتعددية التوليد، ولكل مستعمل أو مهمل في اللغة، فانطلاقاً من جذر واحد، يمكن القيام بمجموعة من الاحتمالات الاشتقاقية. ومهما يكن من أمر، فإن معجم الجذور هو معجم صوري يمثل رافداً معلوماتياً أكثر منه رافداً عملياً[2]، لأن التوليد يتم انطلاقاً من الجذر، وليس العكس، وهذا لا يعني أبداً، أنه المحدد للبنيات اللسانية وللمدخل المعجمي، بل إن المادة المعجمية هي التي تدل المتلقي على الجذر كما يؤكد المعجمي أبو العزم في العديد من المحطات[3]، ويقترح محمد الحناش التعامل معه في بناء المعجم بالطريقة التالية[4] مثلا: جذر (ض.ر.ب):

<ف=٠+>،<مص=٠+>،<فا=١+>،<فو=٢+>،<س=٠+>، الخ

حيث أن:

(+ = الحروف الزائدة عن الجذر؛

- = الحروف الناقصة في الجذر؛

٠ = ليست هناك زيادة في حروف الجذر.

١ = أو أي عدد يفيد عدد الحروف الزائدة عن الجذور لتوليد الصيغة المشار إليها بالحرف قبل علامة (=)، وعندما يتعلق الأمر بنقص في عدد حروف الجذر يشار إليها بالرمز (ن) التي معناها نقصان).

إن الصعوبة الوحيدة التي تواجه المعجمي أثناء بنائه لهذا المعجم- في هذه المرحلة- هي كيفية تشفير الأدوات والحروف التي لا تعرف جذوراً مطردة أو عادية كما هو الحال مع بقية أقسام الكلم، لهذا يُلْتَجَأُ إلى معاملتها بشكلها الاستعمالي لا بصورتها الأصلية غير الموجودة أصلا.

---

(١) المرجع نفسه، ص.٨٧.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) للإشارة هنا، إلى أن عبد الغني أبو العزم نظر إلى الجذر برؤية لاخطية، ذلك لاختلاف المادة المعجمية للتعبيرات المتلازمة والمركبة لأنها هي التي تدل على الجذر، مما يعني أن هناك حلقة دائرية خواريزمية تتم على مستوى الاكتساب المعرفي في الكفاية المعجمية الطبيعية. وهذا ما ستتمكن في اعتقادنا التقنيات الجديدة المتمثلة في الأدوات العقلانية التي نطبقها وننمذجها في المعجم العربي من حل مجموعة من مشاكل التوليد الآلي للمتواليات اللسانية.

(٤) المرجع السابق، ص.٨٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ب- **معجم المفردات البسيطة (DEAMS):**

لقد خصصت معظم المعاجم العربية الورقية في تصنيف جميع مداخل اللغة العربية البسيطة فنظرت إليها من وجهة نظر نحوية صرفة، حيث أنها تميز بين الأفعال اللازمة والأفعال المتعدية، أو التي تتعدى بحرف أو بدونه، كما صنفتها إلى أفعال عادية، وأفعال قلوب وأفعال ناقصة.

أما التصنيف الذي أعتمد[1] في بناء هذا المعجم، فإنه يقوم على أقسام الكلم، والتي تراعي الخصوصية النحوية للمدخل المعجمي(المفردة)، وربطها بالمستوى المورفولوجي المناسب لها (الصيغة والاشتقاق) على النمط التالي:

ف: الفعل في الزمن الماضي للمفرد الغائب المذكر؛

س: للمفرد المذكر المؤنث؛

ص: الصفة وسائر المشتقات بجميع أنواعها؛

ظ: للظروف بجميع أنواعها؛

ح: للحروف والأدوات بجميع أنواعها.

يعتبر المصدر مفردة بسيطة، لذلك يستحسن إدراج رمزه ضمن معجم المفردات البسيطة المعربة، لتبقى بذلك مكونات خمس يتأسس عليها نظام أقسام الكلم للغة العربية وهي:

أ- تسنين الفعل: يعتبر الفعل[2] من أصعب المقولات ضبطاً في النص المعجمي نظراً لتشعب علائقه بسائر أقسام الكلم وخاصة منها المصدر وسائر أنواع الصفة، وبالتالي فقد تم تقسيم الأفعال إلى مجموعات تصريفية يتمثل فيها أقصى حد ممكن من

---

(١) قامت الباحثة بلاندين كورتواز بمعية ماكس سلبرشتاين عند بنائها للمعجم الآلي للمفردات البسيطة في اللغة الفرنسية بتصنيف المقولات النحوية اعتماداً على تغيراتها التصريفية بغرض التعرف عليها وتوليدها آلياً وهي: الاسم والفعل والظروف والصفات..وهكذا يمكن أن يتولد من اسم مفرد مثلا كثير من الأشكال المعربة حسب النوع والعدد والجنس، وسار الحناش على المنوال نفسه باعتماده تصنيفاً يراعي كل خصوصية للمقولات النحوية في نظام اللغة العربية، سواء كانت فعلا أم اسماً أم حرفاً وربطها بالتغيرات التصريفية الممكنة في النص المعجمي.

(٢) للفعل أدوار توزيعية في العمليات التركيبية وقد أكدت هذه الفرضية نظرية المعجم- نحو، كما أن له أبنية وصيغ صرفية تراوح مكانها بين الصحة والاعتلال،علماً بأن الصيغة المنتهية (infinitive) غير موجودة في اللغة العربية على غرار اللغات الإلحاقية مثلا، مما يجعلها مقولة نحوية صعبة التناول في الوصف والتفسير، وهذا ما انطلق منه النحاة سواء منهم المتقدمين أو المتأخرين، انظر على سبيل المثال لا الحصر، سيبويه في الكتاب، ج.١. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت ١٩٨٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الاطراد في الانتماء إلى الصنف المناسب. وهذه الأصناف تحدد من خلال الحركات التي يأخذها الفعل في المضارع، وحسب الصحة والاعتلال، وحسب الزيادة أو عدمها، وهذه كلها تنتظم كما يلي[1] :

(١) الثلاثي (الثلاثي الصحيح): فَعَل: (ف [رقم]) فعل ← يفعَل

(ف [رقم]) فعل ← يفعِل

(٢) الرباعي (الرباعي الصحيح): فعلل:(ف [رقم]) فعلل← يفعلل

(٣) الخماسي: تفاعل:(ف[رقم]) تفاعل ← يتفاعل

(٤) أنواع أخرى: (ف [رقم]) كل فعد جامد لا يصرف، مثل: بئس ونعم.

ب- الأسماء البسيطة[2] : إذا كانت الأفعال تستجيب للترقيم المطرد اعتماداً على نظام الصيغ التصريفية، فإن ذلك سيتعذر مع الأسماء التي لا تعرف أي انتظام تصريفي يمكن اعتماده في إقامة تصنيف معجمي من نفس القبيل. ولهذا تتبع طرق أخرى لتصنيفها، وهي كما يلي:

الصنف١: ويشمل سائر الأسماء التي جاءت في المذكر فقط، مثل: رجل (مذكر) ولكن: رجلة (مؤنث)

الصنف٢: ويشمل الأسماء التي لها مؤنث فقط، مثل: امرأة (مؤنث) لكن: امرأ (مذكر)

الصنف٣: ويشمل ماله مذكر ومؤنث بشكل مطرد بالتاء المربوطة، مثل: معلم، معلمة

الصنف٤: ويشمل كل ما ليس له جمع من لفظه ولا من غير لفظه، مثل: هواء، حب

الصنف٥: ويشمل كل ما ليس له مفرد من لفظه، مثل: جيش

الصنف٦: ويشمل الضمائر المتصل منها والمنفصل وأسماء الإشارة واسم الموصول وأدوات التعريف وكل ما له علاقة بالاسم البسيط.

ج- الصفات والمصادر: مراعاة للتلاؤم التوزيعي الحاصل في تصنيف الأسماء البسيطة والصفات والمصادر وخاصة التطابق، تمَّ التصنيف بالطريقة التالية وهي:

الصنف١: وهو مخصص للصفات الخاصة بالمذكر، مثل: عضال، في مرض عضال، والتي ليس لها مؤنث من لفظها.

---

(١) نفس المرجع المذكور، ص.٨٩.

(٢) إذا كانت اللغة الفرنسية أو لغة أخرى إلحاقية تصنف بعض أقسام الكلم ضمن قاعدة بيانات الأسماء كالصيغة المنتهية للفعل، فإنه في اللغة العربية لا تدرج هذه الصيغة مباشرة مع الاسم بل مع أصناف أخرى، وهذا ما يتطلب الدقة في التصنيف.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الصنف٢: فقد تم تخصيصه للصفات التي ليس لها مذكر من لفظها، مثل: حامل، للمرأة الحامل

الصنف٣: فقد تم تخصيصه للصفات التي يشترك فيها المذكر والمؤنث، مثل: جميل ← جميلة

الصنف٤: فقد تم تخصيصه للصفات المستعملة في بعض التخصصات العلمية، مثل: أحمر قان.

د- الظروف: من المفروض أن يهتم المعجم الآلي بالظروف[١] بشكل مستقل عن بقية أقسام الكلم في نظام اللغة العربية، فهي تشكل مداخل مستقلة عن الصفات والأسماء والأفعال، هذا بالرغم من قلة عددها مقارنة مع أقسام الكلم الأخرى.

هـ- الحروف والأدوات: لقد تم تخصيص هذا الصنف من المداخل والأدوات في اللغة العربية، ويعنى بها حروف الجر والأدوات التي تقوم بدور الربط بين الكلمات دون أن تكون هي نفسها ذات دلالة مرجعية، وهذه المداخل تدرجها كتب النحو تحت باب الحروف أو حروف المعاني.

ج- معجم المفردات البسيطة المعربة (DEAMSF):

إن أهم استعمالات المعاجم الرقمية يتمثل في تقديم معلومات عن المفردات التي يتألف منها نص ما، وذلك بهدف معالجتها آلياً. فبالإضافة إلى مهمة التعرف على أقسام الكلم يجب إعطاء معلومات أساسية مرفقة بكل مفردة معربة[٢]. فبالنسبة للأفعال: تحدد طريقة تصريفها ونسبتها إلى الضمائر ومختلف المورفيمات المتعلقة بالجنس والعدد والزمن، أما بالنسبة للأسماء: فتحدد طريقة تصغيرها ونسبتها وعلامتها الإعرابية الممكنة مع كل واحد منها، الخ. وبذلك سوف يتم إرفاق كل نوع من المداخل المعجمية التي يتضمنها معجم المفردات البسيطة بهذه المعلومات. وبعبارة أخرى، فإن كل شكل من أشكال هذا المعجم يجب أن تعطى عنه جميع الاحتمالات التصريفية والصرفية التي يوجد عليها في اللغة

---

(١) تدخل الظروف في باب المعجم الآلي للمفردات المركبة، مع أن بعضها يخضع للتحويلات التي تجرى على الظروف المركبة وخاصة في عملية التوسيم، وقد أعد ماكس سلبرشتاين جداول المعجم التركيبي خاص بها بحيث يمكن أن نسمها بقيم الإيجاب والسلب حسب المتغيرات التي تطرأ عليها نحو: صباح مساء التي يمكن أن نعرفها : الصباح والمساء، لغة أجنبية : لغات أجنبية. للمزيد حول تأسيم الظروف والإحالة والحذف والتعويض، ينظر: M.Silberztein ,(١٩٩٣) p.١٠٦-

(٢) انظر محمد زايد، دراسة في المعاجم الفرنسية الحاسوبية، الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، أبريل ٢٠٠٨.. ص ص.١-٢٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العربية، وهذا ما يشكل موضوع القسم الأخير من قاعدة المعطيات والتي يطلق عليها: معجم المفردات البسيطة المعربة، على النمط التالي:

الشكل أ =: جذر ب، صرف ج

حيث يقصد بالشكل المدخل المعجمي(المفردة البسيطة) وبالجذر الصيغة التي يظهر بها في نفس المعجم، وبالصرف مختلف الأوجه التصريفية والصرفية التي تَلْحَقُ المدخل البسيط، وهو ما يقصد به الإعراب في هذا المعجم. ونحن إذ نبتغي هنا إعطاء فكرة عن معجم المفردات البسيطة بأشكالها المعربة، لأننا نفترض تماماً بأن بناء معجم المفردات المركبة يستند في جزء هام من بياناته على المتواليات البسيطة التي قد تكون عنصراً من مكوناته.

د- المعجم العربي الالكتروني للمفردات المركبة والمتلازمة (DEAMCF):

لا يمكن للبرامج المعدة للتعامل مع المعجم الإلكتروني أن تتعرف على جميع مكونات النص المكتوب ما لم يتضمن هذا المعجم جميع أنواع الوحدات الاسمية المركبة والمتلازمة في اللغة العربية، نحو: علامة المرور- أحد عشر- جواز السفر....وهي مداخل غير قابلة للتجزئة، لأنها تشكل في أغلبها مداخل متلازمة وبالتالي تتطلب وصفاً صرفياً وآلياً من نوع خاص. فالأمر يدعو إلى الجمع بين نوعين من الوصف: الاهتمام أولا بالوضع المورفولوجي للعناصر التي يتألف منها الاسم المركب، ثم ثانياً وصف وضعها الجديد في التأليفية التي أنشأها منه نظام العربية. خاصة وأن الاسم المركب يجمع في الغالب بين فصيلتين من الأسماء الموجودة في معجم المفردات البسيطة: بين الاسم والصفة، أو بين الاسم والحرف، أو بين الاسم والظرف، الخ. هذا الجمع يعني أن الاسم المركب يتألف من فصيلة صرفية أيضاً، وهو ما يتطلب معالجة خاصة. أصبح معها لازماً وضع معاجم تعتمد نظاماً متراصاً ومُبَنْيَناً من التراكيب الثابتة والصمّاء التي تقف في وجه كل تأليف أو تحويل لإحدى عناصرها، مما يطرح مشكلة لا تقل أهمية عما سبق، والأمر يتعلق أساسا بعملية الترتيب في المعجم، لأن المتواليات المركبة هي متواليات لسانية تتألف من أكثر من عنصر اسمي بسيط كما يحتوي على أكثر من بياض واحد. فدماغ الإنسان مزود على المستوى الصوري، بقدرات لسانية معقدة ترتكز من حيث الإنجاز على مبدأ التوزيع التكاملي بين العناصر الاسمية والحرفية والفعلية، ويتميز الثاني باستحالة التأليف، وبالتعتيم الدلالي، وبعدم الاستجابة للقوانين المنظمة للشكل الأول.واعتمادنا على منهجية "المعجم- نحو" تأتي من زاوية أساسية وهي إعادة النظر في مفهوم المفردة التي قد تتضمن أكثر من متوالية لسانية متضمنة لأكثر من

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

منطقتين فارغتين،لكنها غير دالة على أكثر من مفردة واحدة، ولأن اضطراب مفهوم المفردة جعل المعجميين العرب لا يكترثون بوضع المعجم الخاص بالمفردات المركبة والتعبيرات المتلازمة، رغم كثرتها وإنتاجية بنياتها في نظام العربية، لنتأمل المثال التالي:

يضرب س. (أخماساً)١ في (أسداس) ٢

تتأسس المفردة /المتوالية: (أخماساً في أسداس) على أكثر من بياضين، ويمكن لأي برنامج توليد للمفردات اللغوية أن يدخل في الاعتبار أكثر من بياضين، بينما تبقى البياضات الأخرى بدون أي دور توليدي في عملية التعرف عليها[1]. ذلك لأن هذا النوع من المركبات الاسمية لا يقبل التجزيء إلى مكونات صغرى دالة تنفرد كل واحدة منها ببياضها في الاستعمال العادي للغة العربية، بل ولا تسمح حتى باستبدالها بمتوالية لسانية بسيطة معادلة لها دلالياً، فهذا النوع من المركبات الاسمية يبقى هكذا منطقة سوداء معتمة لا يمكن النفاذ إليها إلا بالإحصاء والتصنيف حتى تقدم إلى المعجم الآلي بشكل يسمح له بتوظيفها في العمليات التي ننتظر منه أن ينجزها. غير أن هذا لا يجب أن يفهم منه أن كل التعبيرات المتلازمة قائمة على المتواليات الاسمية المركبة، فهناك العديد منها تقوم على عناصر اسمية بسيطة، نحو:

ضرب س. (السكة)[2]

وقع س. (في الفخ)

شد س. (الرحال)١ (إلى مظ) ٢

فالمفردة المركبة إذن، هي متوالية لسانية اسمية مؤلفة من أكثر من مدخل معجمي بسيط. من مداخل معجم المفردات البسيطة، وهي تتألف تارة من عنصر مشتق وآخر جامد، وتارة من عنصرين جامدين. إن المفردة المركبة تارة لا تستجيب للتغيرات الصرفية أو حتى التوليد بظاهرة التوسيم مثل[3] :

<س س>: = شذر مذر

<س س>: = حيص بيص

---

(١) للتعرف الآلي على المدخل المعجمي،لابد من بناء خوارزميات دقيقة بمساعدة أتوماتات الأوضاع النهائية وتقنيات أخرى للتمثيل يشتغل ضمن نظام المعجم الرقمي.

(٢) محمد الحناش، المعاجم الآلية للغة العربية: بناء قاعدة المعطيات، مجلة التواصل اللساني، م.٤، ع.١، س.٩٢، ص ص.١٠٠-١٠١.

(٣) Elhannach M, lexique grammaire de l' arabe :classe des verbes qualitatifs,(suite) in Linguistica communicatio,V.١,N.٢.١٩٨٩.pp.٣١-٤١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يصعب مع هذه الأمثلة تحليل هذه المركبات تحليلا مورفو- تركيبياً، بل وحتى تلك المبنية على المصدر أو اسم الفاعل حيث يصعب كذلك العودة بها إلى البنية الأصلية، وذلك مثل : مقود السيارة

هناك فقدان للعلاقة الدلالية بين هذه المركبات، وما قد يكون أصلا لها.ذلك ما سنسلط عليه الضوء حينما سنتطرق إلى التعرف الآلي على المفردات المركبة والتعبيرات المتلازمة في الفقرات اللاحقة.

هذا ولقد عولجت هذه التراكيب بصفة معمقة في اللغة الفرنسية(١) وكذا بعض المحاولات في اللغة العربية(٢) .وقد خلص هؤلاء إلى أن هذه التراكيب تتصف بدرجة معينة من التلازم والتضام حيث منها المتلازمة جزئياً، ومنها المتلازمة كليّاً. ولما كانت المتلازمة كلياً، تتميز بعتمة منطقتها الثابتة، إذ غالباً ما يصعب ربطها بجملة، وفي هذه الحالة ستصبح مدخلا مستقلا بنفسها رغم وجود بياضات أو عناصر مشتقة أو جامدة، منطقتها ترفض أي استبدال كان، لأن عناصرها صامدة في وجه أي تغيير تركيبي.

هذا وتتميز المفردة المركبة بوقوعها في الغالب في موقع المفعول، وهي بذلك تبتعد عن منطقة التطابق مع الفعل. ولقد ذهب محمد الحناش في هذا الإطار(٣) إلى إدراج الأسماء المركبة الحملية المستقلة في هذا الباب والتي لا تعرف أصلا جملياً مثل : أثار زيد حفيظة عمر.

إن التعبير المتلازم لا يترك عنصراً يندمج في مكوناته مثلا :

أخماساً في أسداس، لكن *أخماساً × في أسداس

خلافا للمتلازمة جزئياً مثل:علامة المرور، العلامة الخاصة بالمرور

نمثل لذلك بأوتومات الأوضاع النهائية التالي:

---

(١) مع مجموعة من الدارسين أهمهم: ماكس سيلبرتشين (١٩٩٣) موريس غروس (١٩٨٨) ولابيل.ج (١٩٨٨) وإيريك لابورط (١٩٨٨) و الباحثة الايطالية كونتينا.م (١٩٨٥)
(LA PORTE.E (١٩٨٨), LABELLE.J ١٩٨٨. M.GROSS (١٩٨٨), M. SILBERZTEIN(١٩٩٣.).والباحثة الإيطالية (CONENNA.M ١٩٨٥).

(٢) أحمد أبو سعد (١٩٨٧) والحناش (١٩٩٢) و (١٩٩٣) و (٢٠٠٢).

(٣) El Hannach,M. lexique grammaire de l'arabe :classe des verbes qualitatifs, in Linguistica (ommunicatio,V.١,N.١١٩٨٩.pp.٩-١٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

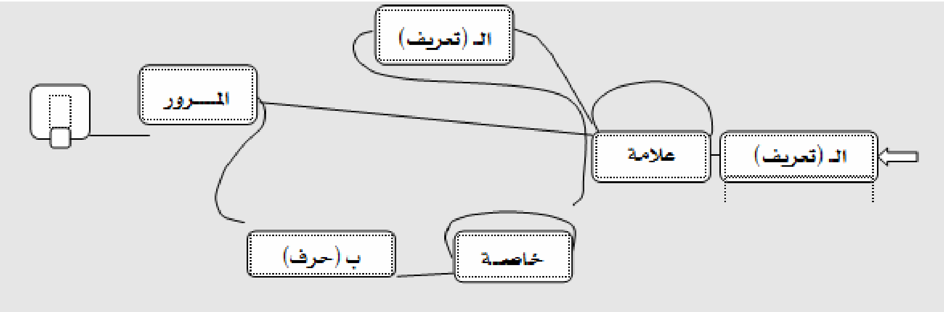

شكل ٧ رسم يمثل تثنية وجمع بعض أصناف المفردات المركبة

نخلص مما تقدم أن هذه المركبات غير متجانسة في تكوينها وفصيلتها التركيبية، لهذا وجب التعامل معها بتصنيفها ووصفها ثم معالجتها وفق طرق خاصة، فالمعجم يجب أيضاً أن يشمل كل هذه الأنواع من المركبات بدون استثناء.

وإذا ما قمنا بدراسة هذه التعبيرات وفق إطار المعجم- نحو، وخاصة تقنيات التصنيف والتعرف على مناطقها المعتمة (بحيث لا تختلط بمعجم المأثورات والأمثال)، فإننا سنجدها تضمن الأسماء المتلازمة مع الفعل: أسماء بسيطة وأخرى مركبة منها:الاسم والضمير في (قضت لطيفة نحبها)، الاسم المتجانس في (وجها لوجه)، الاسم المتخالف في (ذهاباً وإياباً)، المركب الإضافي في (رد الاعتبار)، مركب حرفي في (بمنأى عن كذا) ومتلازم صفة في (أصاب عمر مرض عضال) [(١)].

إن هذا يتطلب وصفاً صرفياً آلياً من نوع خاص، لأنها بنيات تختلف عن باقي المفردات البسيطة، لذلك فإن استدعاء مفاهيم وأدوات إجرائية جديدة، تعالج البنية الصرفية للعناصر التي يتألف منها المركب، وقد تكون من المفروض موجودة في معجم المفردات البسيطة والمعربة(انظر معجم DELAS) [(٢)]، غير أنها تختلف من حيث كونها تجمع بين المعجم والتركيب رغم أن الجانب الصرفي سيصبح لاحقاً في وضع ثانوي بعد التركيب.

هذا وإن غنى المتن المعجمي العربي ووجود الزخم الهائل من هذه التعبيرات التي أغنته بشكل واضح هي غالباً مداخل مولدة عبر الترجمة والمثاقفة، إذ نجد ألفاظ مركبة قد

---

(١) محمد الحناش، نظرية حاسوب لسانية لبناء معاجم الآلية للغة العربية (محاولة في التأصيل)، سلسلة خاصة عن استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، سلسلة ندوات،المجلد الأول، مجلة التواصل اللساني. س١٩٩٢، ص.٧١.

(٢) Max. SILBERZTEIN. ١٩٩٣

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

انتقلت إلى العربية انطلاقاً من لغات أجنبية عديدة ومنها المصطلحات العلمية، بسبب المتطلبات التكنولوجية والعلمية والثقافية [(١)]، إضافة إلى المركبات الأصيلة في العربية المؤلفة من صفة واسم، حرف واسم، اسم وصفة، حرف واسم وحرف، اسم وحرف واسم، اسم واسم، وأشكال أخرى.كل ذلك يشكل قاعدة معطيات معجمية ضخمة يجب أن نستفيد منها في بناء المعجم الحاسوبي العربي أولا، والمعجم التاريخي للغة العربية ثانيا.

وصفياً، يظهر إلى حدود الآن أن هذا النوع من البنيات اللسانية، باستثناء بعض المجهودات القليلة، لم يلق اهتماماً رغم إنتاجيته الكبيرة في قدرة المتكلم اللغوية والمعجمية بخاصة. وتحتاج هذه البنيات آلياً، إلى بناء قواعد بيانات خاصة بها [(٢)]. وهذا ما يستدعي مزيداً من المعالجة المعلوماتية بهدف تزويد التطبيقات الحاسوبية المتعددة للترجمة وتعليم اللغات والنشر والتدقيق الإملائي وذلك ببناء معجم يستجيب للتقنيات والأساليب المتبعة في المعاجم الأجنبية من هذا الحجم،(انظر مثلا التعبيرات المتلازمة في المعجم الرقمي للغة الفرنسية (DELAC) إذ نجد حوالي ٢٠٠٠٠ تعبير متلازم في قاعدة بيانات اللغة الفرنسية) [(٣)].

ولما كانت هذه التعبيرات خاضعة في جميع اللغات الطبيعية لنفس عمليات التصنيف بحسب رؤية "المعجم-نحو"، وطريقة الأجروميات التي اقترحها م. الحناش [(٤)]، باقتراح قواعد خاصة للمعالجة المعجمية والنحوية المستفادة من المحللات التركيبية والصرافية والدلالية تراعي خصوصية ونحو كل صنف أولا، وثانياً التعامل معها بطريقة الأوتومات وأنواعه ولاسيما أوتومات الإدماج التي تسمح بعض عقدها،حسب أنواع المركبات، إما بإدماج عنصر ما بين مكوناته أو تصريف أحد من عناصره كأن نثني ونجمع رأس التعبير التالي: القدرتين والقدرات على التوالي في: القدرة الشرائية. فأوتومات الأوضاع النهائية يستطيع تمثيل هذه التراكيب آلياً وفي مراحل إنتاجية معجمية (حالات إعرابية محلية) مختلفة لها تحتاج إلى خوارزميات متميزة كما في الأوتومات الممثل بالرسم التالي :

---

(١) عزالدين البوشيخي،خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية، مجلة اللسان العربي، عدد،١٩٩٨،٤٦، ص.١٤.

(٢) محمد الحناش في قاعدة البيانات الخاصة بالتعابير المسكوكة والمركبة (١٩٩٢) و نظام للترجمة المتعددة اللغات الذي أنتجته شركة (CIMOS) للمزيد يرجى الاطلاع على الموقع الالكتروني للشركة: (www.cimos.com).

(٣) Max. SILBERZTEIN (١٩٩٣)

(٤) الحناش.م، برنامج لساني حاسوبي للتعرف الآلي على التعابير المسكوكة في اللغة العربية مجلة التواصل اللساني، مج ٣، ١٩٩٦. ص ص.٨٦-٨٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

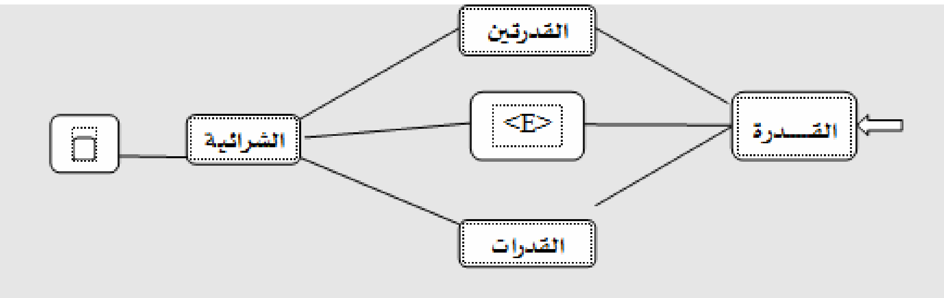

شكل ٨ رسم يمثل تثنية وجمع بعض أصناف المفردات المركبة

المعجم التاريخي الآلي للغة العربية وتطبيقاته:

إن بناء معجم تاريخي للغة العربية حلم قديم، طالما راود العرب في المشرق والمغرب، وقد ترجم هذا الحلم إلى أرض الواقع في بداية الثلاثينيات لما قام المستشرق الألماني أوغست فيشر (١٨٦٥- ١٩٤٩) بعرض الفكرة على مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي تبنى المشروع، ووضعه ضمن مواده الأولية، وقد شرع فيشر في هذا العمل الضخم، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية، ثم وفاته سنة ١٩٤٩ وقفا للحيلولة دون السير فيه قدما، وكادت الرياح تعصف بموت الفكرة في مهدها الأول بموت صاحبها، فتوقف العمل في المعجم لسنوات طوال، إلى أن عاد إلى الظهور من جديد بفعل تدخل أصحاب النوايا الحسنة والمكرمات[(١)]، وراح اللغويون يجتمعون فرادى وزرافات من أجل بلورة النقاش العلمي من أجل الفكرة، وقد عقدت ندوات ولقاءات علمية[(٢)] تسعى جاهدة إلى إزاحة الغبار عما بناه فيشر، وتطويره وتنقيحه والإضافة إليه، والاستفادة من التجارب المعجمية الأجنبية، ومن العلوم الحديثة وبالأخص تقنية الحوسبة المعجمية.

إن البدء في هذا المشروع المعجمي العربي الكبير كان متعثرا في البداية، بفعل العوامل

(١) سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي الذي تفضل برعاية مؤسسة المعجم التاريخي العربية،والإنفاق عليها من ماله الخاص.

(٢) نذكر من هذه الندوات ما يلي:

- ندوة المعجم العربي التاريخي:قضاياه ووسائل إنجازه، تونس،١٤-١٧ نوفمبر١٩٨٩، التي نشرت في مجلة المعجمية، العددان ٥ و٦، ١٩٩٠.
- ندوة اتحاد المجامع العربية حول المعجم التاريخي للغة العربية المنعقدة، الشارقة،١٧-١٩ ديسمبر ٢٠٠٦.،
- ومؤتمر المعجم التاريخي، قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية، بفاس، ٨-١٠ أبريل ٢٠١٠ المغرب، وقد نشرت أشغاله في كتاب عن دار السلام، القاهرة، ٢٠١١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

السابقة، ناهيك عن عوامل أخرى وفي مقدمتها العامل المادي، إذ كثيرا ما برر البعض فشل النهوض بالمشروع إلى غياب موارد مادية قارة تغطي نفقاته من بدايته إلى نهايته، وانعدام مؤسسة تتولى السهر والإشراف عليه. وها هي الدوحة، اليوم، تطلق من جديد مشروع المعجم التاريخي للغة العربية[(١)] الذي توج بإنشاء مؤسسة علمية تتولى الإشراف على عمليتي الانجاز والتنفيذ.

يعود المعجم اللغوي التاريخي من حيث الأصول إلى مفهوم لساني معجمي دقيق هو المعجم اللغوي العام الذي يؤرخ لألفاظ اللغة ومعانيها، ويوضح ما طرأ على تلك الألفاظ من التحول والتغير والتطور في أشكالها، وفي مضامينها الدلالية عبر العصور، وفي مختلف الأمكنة التي استعملت فيها اللغة المؤرخ لها في المعجم. وهو من حيث التاريخ وليد العصر الحديث وخاصة اللسانيات المعاصرة ابتداء من القرن التاسع عشر[(٢)].

وعلى هذا الأساس يحدد المعجم التاريخي "بأنه معجم متخصص بشكل أوسع في تاريخ ألفاظ اللغة ومعانيها منذ ولادتها، ومتتبع لدلالاتها في كل عصر، استمرارها أو اختفاؤها، ولا ينبغي أن نفهم من تاريخ الكلمة أنه مجرد بحث في الأصل أو الميلاد، إذ المقصود بتاريخ الكلمة التطور والتجديد، وفي كل مرحلة يتجدد معنى مفردة من المفردات، فإن ذلك يعني ميلاد جديد لها، حيث تسعى وتعمل على التشبث بالبقاء، وتوليد المعاني الجديدة، وقد تندثر زمنا وتعود لتحيا، شأنها شأن النوع البشري، منها ما يصمد، ومنها ما يلحقه الضعف ولو مع استمراره في الحياة"[(٣)].

دور قاعدة المعطيات المعجمية في بناء المعجم التاريخي للغة العربية:

إن بناء معجم آلي شامل ومتكامل للغة العربية يرتكز على وصف المتواليات اللسانية بسيطها ومركبها، مع ربط هذا الوصف بالمستويات الصرفية والتركيبية والدلالية، وانتهاء بتحويل المعطيات اللغوية المبنينة إلى ملفات ومعلومات مرقمنة. وهذا التحويل، لا يمكن أن يتم بالشكل اللائق، وعلى الوجه المطلوب ما لم تتضافر الجهود بين اللغويين والحاسوبيين، على اعتبار التكامل القائم بين الطرفين، فاللغوي أو اللساني يتمكن من نظريات اللغة

---

(١) http://www.dohainstitute.org/dohadictionary

(٢) محمد رشاد الحمزاوي، تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية: المبادرات الرائدة،.وقائع ندوة المعجم العربي التاريخي:قضاياه ووسائل إنجازه، تونس،١٤-١٧ نوفمبر ١٩٨٩،مجلة المعجمية،ع٥-٦/١٩٨٩-١٩٩٠م،ص:١٦.

(٣) أبو العزم عبد الغني، المعجم اللغوي التاريخي: منهجه ومصادره، مؤسسة الغني، ط١، ٢٠٠٦،ص:١٠-١١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

قديمها وحديثها، مما يسمح له بجمع المعطيات اللغوية ووصفها وتصنيفها وفق خوارزميات لسانية، فيما الحاسوبي هو مهندس يعرف جيدا لغات البرمجة ويتقن الحوسبة الآلية.

وقد تقدم في فقرة سابقة أن بناء أي عمل تطبيقي للغة العربية لابد أن يستحضر ثلاثة أمور من بينها ضرورة بناء قاعدة المعطيات. وعليه، فرقمنة المعجم التاريخي تتطلب بناء قاعدة معطيات معجمية وفق تصور لساني صوري (خوارزمي) وواضح المعالم، قادر على التعرف على المفردات العربية بنوعيها البسيط والمركب، وأي تغييب لهذا العنصر الهام من شأنه أن يؤدي إلى نتائج جزئية غير قادرة على توصيف مفردات العربية في سائر الحقب والعصور.

يعتبر المعجم التاريخي الإلكتروني إذن بمثابة قاعدة معطيات معجمية قابلة للاستخدام الوظيفي كمحرك بحث بالنسبة لبرامج اللغويات على الشابكة، كما يعد أيضا أداة معلوماتية متطورة وتفاعلية، إذ يفيد في تحقيق تطبيقات آلية متنوعة كما سنبين ذلك في الفقرات الآتية.

تميز المعجميات الحاسوبية المعاصرة بين أصناف من قواعد التخزين الآلي للمعلومات والمعطيات: بنك المعطيات، بنك النصوص أو الذخيرة اللغوية، و قاعدة المعطيات النصية، وفيما يلي شرح مختصر لهذه الأصناف:

بنك المعطيات المعجمية: هو عبارة عن قاعدة معطيات مبنية على أساس الأدوات والتقنيات اللسانية والمعلوماتية، وهي قابلة للتطبيق بسهولة على العمل المعجمي، وتتميز باستفادتها من تقنية المعلومات[(١)]: ذلك أن إدخال المعلومات النحوية (فعل، اسم، نوع، جنس،..) أو المعلومات الصرفية (متصرف، غير متصرف، جامد ومشتق،..) أو الدلالية (ترادف، اشتراك، تضاد) وغيرها (شكلية أو صورية: طريقة النطق، إملاء، إيقاع) إلى المعاجم بمختلف أنواعه (المعجم الأحادي، الثنائي، متعدد اللغة، الموسوعي، العام، المتخصص) لابد أن يعتمد على إجراءات الحاسوب، نظرا لما يتيحه من إمكانات هائلة فيما يتصل ببنوك المعطيات، كما تتسم أيضا ببنيتها العلاقية أو الترابطية، مما يسمح بتمثيل المعلومات بشكل أوضح وأدق. وعلى هذا الأساس، تعد بنوك المعطيات المعجمية بنوكا نصية مختصة موجهة لخدمة التحليلات المعجمية، وهي كما يظهر من تسميتها تعنى بالعتاد الحاسوبي الذي يستجيب لمطالب الملفوظات بنوعيها المكتوب والمسجل ذات الخصائص

---

(١) René Moreau et Isabelle Warnesson ;Ordinateur et lexicographie ,Lexique ٢,Presses Universitaires de Lille ,p.١٢٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

خارج لسانية التي تؤشر وتحدد ضوابط الإنتاج، والغايات، والنقل، ومختلف التأليفات الممكن قيامها بين هذه العناصر برمتها. وهكذا، إن مجموع النصوص الموجهة للمعالجة الآلية تتطلب تهيئة وإعدادا خاصا قبل مساءلتها بواسطة البرامج الآلية.

بنك النصوص:قاعدة معطيات نصية تمثل تجميعا لأكبر عدد من النصوص المتضمنة لجميع أصناف الأشكال والصيغ والوثائق المكتوبة أو المنسوخة والمضبوطة وفق المعايير التي تحقق مطالب الجماعة المستعملة[(١)].

إن بنوك النصوص تختص بالنصوص العلمية والتقنية والمنهجية، ونأخذ مثالا لذلك أرشيفات ووثائق جامعة أكسفورد المخزنة في بنوك نصية، وبنك النصوص الفرنسية لمعهد اللغة الفرنسية القديمة والحديثة والمعاصرة.

إن وظائف بنوك النصوص لا تنحصر فقط في المهام والأغراض التقليدية للمكتبات، وإنما ترتبط بمهام أخرى لها صلة بالتشغيل الحاسوبي في حالة تخزين النصوص على الآلة.

قاعدة المعطيات النصية: تعتبر مكونا مهما وأساسيا من مكونات المعالجة الآلية للغات الطبيعية، ولاسيما بالنسبة للحوسبة المعجمية، إنها تستجيب لمطالب العتاد الحاسوبي.

إن بناء قاعدة معطيات معجمية للمعجم التاريخي للغة العربية تتطلب القيام بعمليات مسح واسعة للفترة الزمنية المراد التعامل مع نصوصها، ومثل هذا العمل لا يخلو من فوائد جمة، نحصرها فيما يلي[(٢)]:

أ- اتخاذه نقطة بدء لبناء معجم تاريخي، باعتبار أن العصر الحديث يمثل فترة أو عَصْرًا مستقلا؛

ب- ظهور فائدته بالنسبة لعامة المثقفين الذين يتعاملون مع اللغة العربية المعاصرة الحية، والذين سيجدون طلباتهم فيه بسهولة؛

ج- إمكانية إنجازه في فترة زمنية قصيرة؛

د- إمكانية أن يستخلص منه عدد من المعاجم الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، مختلفة الترتيب والأغراض.

التطبيقات الحاسوبية للمعجم التاريخي للغة العربية:

تعتبر اللغويات الحسابية عامة، والمعجميات الحاسوبية خاصة الميدان الذي يتطلب تعاونا مثمرا وفعالا بين علماء اللغويات وعلماء الحاسوبيات، لأنه بدون هذا التعاون المثمر

---

(١) Bernard Quemada Ibid,p١٠٨.

(٢) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ١، عالم الكتب، ص.٨٧

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

سيكون العمل ناقصا، وغير مكتمل، فكلا الطرفين يحتاج إلى علم الآخر وخبراته. ولعل فشل الكثير من الأعمال اللغوية العربية الآلية اليوم نابع من غياب التنسيق بين اللغويين والحاسوبيين، أضف إلى ذلك تكرار تلك الأعمال واجترارها، وقد تم الانتباه مؤخرا إلى خطورة هذا الوضع، إذ رفعت دعوات لخلق مراكز تعاون بحثي تضم الطرفين معا من أجل الرقي بالبحث اللساني الحاسوبي والهندسي العربي وتنميته، أثمرت خلال الأعوام الأخيرة أنظمة حاسوبية للغة العربية من قبيل نظام الاشتقاق والتصريف في اللغة العربية، وبرنامج الخليل للتحليل الصرفي الصادرين عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[١].

ومن مجالات الالتقاء بين اللغوي والحاسوبي صناعة المعاجم الإلكترونية والقواميس المحوسبة المتخصصة منها أو العامة التي تتطلب عملا مشتركا،لأن المعجم هو الذي يحوي تراث الأمة من الضياع، ويصون تكامل المعارف[٢]،كما أنه اللبنة الأساس لكثير من التطبيقات اللغوية الآلية[٣]: الفهم الآلي(Automatic Language understanding) والتحليل والتوليد الصرفيان(Morphological analysis and generation) والتحليل والتوليد التركيبيان (Syntactic analysis and generation) الترجمة الآلية (Automatic translation التكشيف الآلي وأنظمة استخراج/ استرجاع المعلومات (Automatic indexing and Information retrieval Systems) والمشكل الآلي (Automatic Vowelization) و(Spelling checking) وضغط النصوص (Text compression)، والتربية والتعليم (Education and Enseingement)، والتشفير(Encryption)، والتعرف الآلي على الخصائص اللغوية (Characters recognition)، وتوليف الكلام وتوليده (Speech synthesis and generation).

هكذا تعد المعاجم الآلية العربية، اللبنة الأولى لمختلف التطبيقات اللسانية الحاسوبية كالبحث عن المعلومات، والنشر الإلكتروني والتلخيص الآلي، والترجمة الآلية المسعفة والمعاونة بالحاسوب، التي تعتمد كثيراً في جميع المراحل والعمليات على تدخل المترجم لإعادة تحرير النص، مستعيناً بمعاني المفردات التي يترجمها له الحاسوب، دون أن

---

(١) للاطلاع على النظامين ينظر موقع الألكسو:
http://www.alecso.org/site/٢٠١٦-٠٤-٠٦-٠٨-٠٢-٥٨.html
http://www.alecso.org/site/pdf/٢٠١٦٠٤٠٦٠٩٠٨.pdf

(٢) مهديوي، المعجم العربي في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ضمن الندوة العالمية الأولى عن الحاسب واللغة العربية، الرياض. ٢٠٠٧.

(٣) Mahmoud Mostafa Mohamed, The Development of A Computer-based Arabic Lexicon,M.Sc.Theisis,Helwan University,Jan,٢٠٠٤,p:٣

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يتدخل بشكل كبير في ترجمة تلك التراكيب. ثم أن هذا النوع من الترجمة يكون غير قادرٍ على ترجمة المعاني المجازية للمفردات التي تكتسبها في السياق، فهي تقتصر في الغالب على ترجمة المعاني المعجمية للمفردات خارج سياقها التركيبي.

كل هذه التطبيقات تعتمد المعاجم الإلكترونية التي تحتاج الخبرة نفسَها في التصور والبناء. فلا يمكن مثلا أن نتصور وجودَ مُدققٍ إملائيٍّ لا يقوم على الخوارزميات اللسانية في المستويين الصوتي والصرفي.كما لا يمكن أن نتصور مترجماً آلياً لا يقوم على خوارزميات التعرّف على المتواليات اللسانية بسيطها ومركبها (المسكوك والمتلازم).

وعليه، إن عملية رقمنة المعجم التاريخي للغة العربية هي في الصميم حوسبة للموارد المعجمية التي تحتاجها المستجدات التقنية في الحوسبة من جهة، ومن جهة أخرى يجعل كل معجم آلي على مرمى حجر من هذه الموارد، حتى تضم السمات اللغوية الممكنة في المعجم وعلى جميع المستويات، وهذا بدوره سيؤدى إلى أمن لبس المداخل موضوع مشاكل الحوسبة اللغوية بشكل عام، تدعيما لمعجم عربي بسمات وخصائص ودلالات بشرية لاستخدامها في تطبيقات جديدة إثراء للمعجم التاريخي العربي بالعلاقات والمفاهيم.ومن شأن هذه العملية أن تفتح الأفق أمام تطبيقات حاسوبية متنوعة:

١- إمكانية تحليل النصوص وإعرابها وتشكيلها آليا؛
٢- وتصحيح الأخطاء الصرفية و النحوية والإملائية و الدلالية؛
٣- الارتقاء بالأساليب التعليمية للغة العربية، وعرضها بشكل مفيد جذاب للمتعلمين، وذلك بجعلها تحلل النصوص الأدبية وتحفظ سماتها؛ مما يمكن فيما بعد، من توليد نصوص بالصياغة والأداء وإعداد ملخصات لأهم النقاط فيها، واستعادة المعلومات عن طريق المحادثة باللغة الطبيعية مع الآلة، ومع شابكة المعلومات؛
٤- الترجمة الآلية من اللغة العربية وإلى جميع اللغات، والاستفادة منها في خدمة قضايا الترجمة و التعريب في ظل الزمن المرقمن؛
٥- الحصر الدقيق لخصائص العلاقة بين اللغة العربية واللغات المتقدمة تقانيا ومعرفيا؛
٦- تطوير نماذج لغوية حاسوبية لفهم الأداء الشامل لمنظومة اللغة العربية؛
٧- تطبيق أساليب الذكاء الاصطناعي وتقنياته في معالجة اللغة العربية غير المشكولة؛
٨- إنجاز استخدامات خاصة في مجال اللغويات الحاسوبية؛
٩- المعالجة المعجمية من خلال :

- تصميم الحقول الدلالية؛

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

- تصميم معجم العلاقات الدلالية بين المفردات(المترادفات، المشترك اللفظي والتضاد)؛
- تحديد حقول السمات التوزيعية للكلمات؛

خواتم الكلام:

لقد حاولنا بسط القول، قدر الإمكان، في نماذج من المعاجم الرقمية التي تلائم بنية نظام لغة الضاد، مما يفرض أكثر من أي وقت مضى السعي إلى بناء المعاجم الإلكترونية العربية على غرار معاجم اللغات المتقدمة تقانيا ومعرفيا، قصد تقليص الفجوة الرقمية بين المعاجم العربية والمعاجم الأجنبية.كما بسطنا القول في المعاجم الرقمية المبنية بنظام ديلا (DELA) المستخدمة في مقاربة البنيات البسيطة والمركبة والمتلازمة للغة العربية التي يتم استخراجها من النصوص المعجمية ببناء قواعد بياناتها بفضل التطبيقات الآلية لبيئة التطوير اللغوية المفتوحة المصدر (إنتكس ونوج..)، وعلى فحص بعض النماذج التطبيقية بتقنية الأوتومات ومقاربتها بنظام التحليل والتوليد الآليين للمعالجة الإلكترونية للنصوص الطبيعية.

وفي الأخير أوضحنا أهمية قواعد المعطيات في بناء المعاجم الرقمية العربية عامة، وفي بناء معطيات المعجم التاريخي العربي المنشود، لأن إنجاز هذه المعلمة العلمية الكبرى من شأنه أن يسهم في الحفاظ على التراث العربي من الضياع، وبالتالي سيمكن ذلك من تقديم خدمات جلى لجيل الحاضر وللأجيال القادمة، سيما وأن المعالجة الحاسوبية للمعاجم تتيح تنفيذ تطبيقات مختلفة تهم البحث العلمي والتعليم الرقمي والترجمة الآلية وغيرها.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المصادر والمراجع

أولا – باللغة العربية:

- أبو العزم عبد الغني، المعجم اللغوي التاريخي: منهجه ومصادره،مؤسسة الغني، الطبعة الأولى،٢٠٠٦.
- أبو العزم.ع،الحاسوب والصناعة المعجماتية، مجلة اللسان العربي،عدد شعبان ١٤١٩ه/ديسمبر ١٩٩٨.
- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث عالم الكتب، ط١٩٩٨،١.
- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ٢٠٠٣.
- اتحاد المجامع العربية، ندوة المعجم التاريخي للغة العربية، الشارقة ١٧-١٩ ديسمبر، ٢٠٠٦.
- الحمزاوي رشاد محمد، تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية: المبادرات الرائدة، وقائع ندوة المعجم العربي التاريخي:قضاياه ووسائل إنجازه،تونس،١٤-١٧ نوفمبر ١٩٨٩، مجلة المعجمية، ع٥-٦/١٩٨٩-١٩٩٠م.
- الحناش محمد، المعاجم الإلكترونية للغة العربية، http://www.alerfan.com/images/documents/Dictionnaire%٢٠electronique%٢٠de%٢٠lArabe.pdf
- الحناش محمد، نظرية حاسوب لسانية لبناء معاجم الآلية للغة العربية (محاولة في التأصيل)، مجلة التواصل اللساني، المجلد الثاني، ع.٢. ١٩٩٠.
- الحناش محمد، المعاجم الآلية للغة العربية، بناء قاعدة المعطيات، مجلة التواصل اللساني، مج٤.ع ١.١٩٩٢.
- الحناش محمد، برنامج لساني حاسوبي للتعرف الآلي على التعابير المسكوكة في اللغة العربية، مجلة التواصل اللساني، مجلد ٣، ١٩٩٦.
- الجمعاوي أنور، المعجم الإلكتروني العربي المختص: قراءة في نماذج مختارة، بحث مقدم في المؤتمر العربي الخامس للترجمة: الحاسوب والترجمة نحو تطوير بنية تحتية للترجمة، فاس المغرب، ماي ٢٠١٤.
- القحطاني سعد بن هادي، تحليل اللغة العربية بوساطة الحاسوب، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني http://www.majma.org.jo

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- البوشيخي عز الدين، خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية، مجلة اللسان العربي، عدد ١٩٩٨، ٤٦.
- مهديوي عمر، المعجم العربي في ضوء اللسانيات الحاسوبية، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى عن الحاسب واللغة العربية، ١٠-١٤ الرياض، ٢٠٠٧.
- مهديوي.ع، المعجم الإلكتروني: قراءة في بعض التجارب العربية والغربية، مجلة الدراسات المعجمية، عدد٧و٨، يناير ٢٠٠٩.
- مهديوي.ع، الترجمة الآلية والهندسة اللغوية، المفهوم والوظيفة، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٤. http://www.aot.org.lb/Home/print.php?id=١١٥
- مهديوي عمر وغازي عز الدين، المعجم الحاسوبي العربي: البنية والنظام، غير منشور
- مهديوي. ع وغازي. ع، مشروع رقمنة المعاجم العربية: معجم الغني الزاهر نموذجا، غير منشور.
- محمد زايد، دراسة في المعاجم الفرنسية الحاسوبية، الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، أبريل ٢٠٠٨.
- عز الدين غازي ولهلال محمد، معمارية المعجم العربي الإلكتروني: رؤية جديدة لمعجم آلي مبنين، مجلة الدراسات المعجمية، عدد٧-٨، يناير٢٠٠٩.

ثانيا- مواقع على الشابكة:

- شركة صخر http://www.sakhr.com/index.php/en/
- موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، http://www.dohainstitute.org/portal
- موقع مؤسسة المعجم التاريخي http://www.dohainstitute.org/dohadictionary
- شركة سيموس www.cimos.com
- موقع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

http://www.alecso.org/site/٢٠١٦-٠٤-٠٦-٠٨-٠٢-٥٨.html

http://www.alecso.org/site/pdf/٢٠١٦٠٤٠٦٠٩٠٨.pdf

ثالثا- باللغات الأجنبية:

- -Andre Buvet Pierre ; Représentations métalinguistiques de phrases à partir de transducteurs http://promethee.philo.ulg. ac.be/RISSHpdf/annee٢٠٠٠/Articles/PBuvet.pdf

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

- Courtois Blandine et Silberztien Max, Les dictionnaires Electroniques DELAS et DELAC , in Lingüística Comunicatio , Vol.١ N°.٢,١٩٨٩.
- .El Hannache. M; Lexique grammaire de l'arabe :classe des verbes qualitatifs, in Linguistica communicatio,V.١,N.١١٩٨٩.
- El Hannache.Mohammed. Lexique grammaire de l' arabe :classe des verbes qualitatifs,(suite) in Linguistica communicatio,V.١,N.٢-
- Quemada, Bernard Bases de données informatisées et dictionnaires , Lexique٢, Presses Universitaires de LILLE ١٩٨
- .Mel'cuk Igor A André Clas-Alain Polguère,Introduction à la lexicologie expliquative et combinatoire ;Editions Ducolot ;١٩٩٥
- Moreau -René et Isabelle Warnesson , Ordinateur et lexicographie, Lexique٢,, Presses Universitaires de LILLE;١٩٨٣.
- -Mahmoud Mostafa Mohamed, the Development of A Computer-based Arabic Lexicon, M.Sc.Theisis, Helwan University, Jan, ٢٠٠٤.
- Silberztein Max, Dictionnaires Electroniques et Analyse Automatique de textes; le système Intex; Masson.١٩٩٣
- Zock Michael – John Carroll, revue TAL n° ٤٤, ٢٠٠٣ p.٧

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

المعاجم العربية في ضوء تكنولوجيا المعلومات الجديدة وإمكانيات استثمار البرامج الآلية في بناء قاموس تاريخي للغة العربية(١)

الدكتور حسن درير

جامعة القاضي عياض، مراكش

الملخـــص:

سأحاول في هذه الورقة الحديث عن المعاجم العربية في جانبها الإليكتروني ولاسيما ما تعلق بتلك المعاجم العربية التي أعدت خصيصا لما يسمى ببرامج البحث المعجمي أو ما أسميه جوامع المعاجم الاليكترونية (عارضات المعاجم) مثل Babylon و Dict Golden. وسأحاول في نفس الوقت تقييمها وعرض أهم المشاكل التي تعترض العمل المعجمي في اللغة العربية ولا سيما في مجال تحويل معجم عربي كلاسيكي إلى معجم إليكتروني حديث بكل معنى الكلمة من خلال تجربة خاصة في هذا المضمار مع مجموعة من المعاجم العربية وعلى رأسها "لسان العرب" ومعاجم أخرى ثنائية اللغة، وسنبحث في إمكانيات تطبيق البرامج الآلية لحوسبة المعجم التاريخي للغة العربية بالاستفادة من مستجدات اللسانيات الحاسوبية في هذا المضمار.

ولا نقصد بتحويل المعجم العربي الكلاسيكي إلى معجم إليكتروني حديث مجرد تحويله من نسخة ورقية إلى نسخة إليكترونية بل تطويعه بالكامل بحيث يتيسر البحث عن أي مادة معجمية أو أي مادة فرعية أو أي كلمة عرفها المعجم دون العودة إلى المادة المعجمية الأساسية. وهذا ما يستوجب إعادة ترتيب مواد المعجم على أساس ألفبائي محض دون المرور عبر الأسر الاشتقاقية. ولنمثل لذلك بالمثال التالي: للبحث عن كلمة "استغفر" في معجم عربي كلاسيكي، ينبغي العودة أولا للجذر الثلاثي "غفر"، ومن ثم البحث داخل الجذر الثلاثي عن كلمة "استغفر". والبحث رهين بطول أو قصر المادة. ولهذه الطريقة سلبيات عديدة من جملتها هدر الوقت في قراءة تعريفات ومواد ليست موضوع البحث، وأحيانا

(١) أود في بداية هذا المقال أن أشكر الدكتور خالد اليعبودي على تفضله بمراجعة هذا المقال. وأشير ثانيا إلى أن هذا المقال قدم في صورة أولية بتاريخ ٢٣ مايو ٢٠١٤ ضمن ندوة دولية حول مقدمات المعاجم العربية: قضايا المنهج (الغايات والأهداف).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

تواجه المرء صعوبة تجريد كلمة ما والعودة بها إلى الأصول الثلاثية. ثم إن هذه الطريقة في إعداد وتطويع معجم عربي كلاسيكي لجامع من جوامع المعاجم طريقة جزئية أو لنقل شكلية لا تستفيد من الطاقات الهائلة التي توفرها تكنولوجيا المعلومات الجديدة ولاسيما ما تعلق منها بتوفير معنى كل كلمة ولو كانت داخل نص بمجرد النقر عليها، أو حتى الإشارة إليها بالزر الأيمن للفأرة.

سنحاول في هذه الورقة إذن عرض بعض جوامع المعاجم الاليكترونية، واستعراض بعض المعاجم الالكترونية في اللغة العربية استنادا إلى ما تضمنته جوامع المعاجم الالكترونية (عارضات المعاجم) مثل:lingoes, babylon, everest, Golden Dict وغيرها، واستكشاف العوائق والصعوبات التي تعترض تطويع معجم عربي كلاسيكي تطويعا تاما لإحدى جوامع المعاجم. وسوف نقترح سبلا لتخطي تلك الصعوبات من خلال تجربة خاصة مع"لسان العرب" آملين أن يتم تطوير هذه الاقتراحات حتى يمكن مستقبلا تطوير طريقة تسمح بالتطويع الآلي الكلي أو الجزئي لنقل مشروع الأمة من معجم تاريخي رتب أساسا للبحث من خلال الجذور الثلاثية أو الرباعية إلى قاموس تاريخي يسمح بالبحث عن أية كلمة داخل المعجم دون المرور عبر الجذور الاشتقاقية.

مقدمــة:

يأخذ الإدمان أشكالا متعددة. ومن حسن حظي أن إدماني كان على المعاجم. فقبل الثورة المعلوماتية مع الانترنت والمعاجم الالكترونية كنت أقتني كل معجم أصادفه حتى ولو لم أكن في حاجة إليه. ومع انتشار التقنيات الجديدة للمعلومات تيسر السبيل للحصول على المزيد من المعاجم دون أدنى عناء مادي أو تكلفة باهظة.

ويحق للقارئ - مع هذه الثورة المعلوماتية المضطردة- أن يتوقع طفرة في التأليف المعجمي عند العرب وقد كانوا سباقين في الميدان ولاسيما بعد أن تيسرت سبله. لكن الحقيقة أنه بالرغم من التراث الزاخر للعربية من المعاجم التراثية، وبالرغم من سبق العربية في مجال التأليف المعجمي - إذ يعود أول معجم معروف في العربية للقرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي بينما يعود أول معجم معروف في الانجليزية للقرن الثامن عشر وفي الفرنسية للقرن السابع عشر- فإن نصيبها من المعاجم الحديثة لايزال دون ما لغيرها من اللغات الحية، ناهيكم عن افتقاد اللغة العربية لقاموس تاريخي ورقي، ويتلاشى هذا النصيب في مجال المعاجم الالكترونية بشتى أصنافها. فكيف يمكن الاستفادة من تلك المعاجم العربية الكلاسيكية من خلال تطويعها لأجل استعمالها مع عارضات المعاجم

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الاليكترونية بصورة تضمن الجمع بين يسر البحث الذي تضمنه تكنولوجيا المعلومات الجديدة من جهة، ودقة المعلومة اللغوية التي يوفرها معجم عربي كلاسيكي من جهة أخرى في انتظار صدور معاجم عربية معاصرة تجمع بين المزيتين، وفي انتظار القاموس التاريخي الشامل المنشود؟

مزايا المشروع:

للمعجم الاليكتروني مزايا لا تنكر مقارنة مع نظيره الورقي. ففي عصر يتسم بالسرعة والبساطة المتوخاة في طلب وتوفير المعلومة، يمكن البحث عن أية كلمة في معجم اليكتروني بنقرة على أي كلمة مكتوبة في أي نص أو حتى خارج النص. بينما يحتاج البحث في معجم ورقي إلى مجموعة من العمليات قد يكون أولها تحديد موقع الكلمة من المعجم، ولاسيما إن تعددت أجزاؤه -كما هو الحال في كل معجم جدير بحمل اسمه-. كذلك يحتاج المعجم الورقي إلى مساحة كبيرة للتخزين على رفوف المكتبات ولاسيما إن تعددت أجزاؤه. أما نظيره الالكتروني فيمكن تخزينه على جهاز تخزين ثابت أو محمول من نوع "USB flash drive" أو قرص مدمج، ويقل ثمن تكلفته بصورة هامة جدا ويتيسر سبل الحفاظ عليه وتخزينه.

وغالبا ما تلجأ المعاجم الاليكترونية إلى الترتيب الأبجدي المحض لمواد المعجم حتى تتسنى الاستفادة المثلى من التسهيلات التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات الجديدة.

ومن مزايا الترتيب الألفبائي المحض لمواد معجم ما أنه يسمح بتعداد الكلمات التي شملها التعريف، وبالتالي القطع جزما بعددها. فهذه مسألة تكون واضحة في كل معجم غربي. وغالبا ما يصرح المؤلف أو الناشر بعدد المداخل التي شملها التعريف. لكن مسألة التغطية اللغوية في أي معجم كلاسيكي رتب حسب الجذور الثلاثية أو الرباعية لا تكون إلا تخمينا إذ يصعب تعداد عدد المداخل الكلية التي تناولها المؤلف بالتعريف. فما من سبيل لكشف عدد المداخل المعرفة في أي معجم عربي كلاسيكي. فمعجم " لسان العرب"، مثلا، من المعاجم الأشمل في اللغة العربية، ومن المعاجم الكلاسيكية التي توخت الاستقصاء والترتيب. والشائع كذلك أن مواده اللغوية بلغت ٨٠٠٠٠ (٩٢٩٦ جذرا) وأن مواد " تاج العروس" بلغت ١٢٠٠٠٠ (١١٩٧٨جذرا). لكنه ما من سبيل لإثبات أي من المعجمين هو الأشمل مادة في اللغة العربية بصورة قطعية إلا بإعادة ترتيب هذين المعجمين كل على حدة وفق ترتيب ألفبائي محض. فمن شأن هذا المشروع وحده أن يثبت بشكل قطعي عدد المداخل المعرفة في كل معجم، وأن يجعله ملائما تماما لطابع القواميس الاليكترونية ولروح العصر كذلك، علما أن بُناة "القاموس التاريخي للغة العربية" ملزمون بتحديد عدد مداخله

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وطبيعة التعريفات المخصصة لهذه المداخل، وعدد الشواهد التي تمّ استثمارها في مجموع القاموس وبكل مدخل من مداخله، وهذا ما سنوضحه في هذا العرض. فلنبدأ إذن من البداية.

ما المقصود من مصطلح:"جوامع المعاجم"؟

جوامع المعاجم:

تتميز جوامع المعاجم بإمكانية البحث في العديد من المعاجم في آن واحد. وتتوفر حاليا العديد من البرامج التي تسمح بذلك من بينها lingoes, babylon, everest, Golden Dict وغيرها كثير. بعض من هذه البرامج ذو طابع تجاري مؤدى عنه مثل Babylon، وبعضها مفتوح المصدر، أي أنه ليس مجانيا فقط، بل قابل أيضا للتطوير الشخصي open source. فإلى وقت قريب استعملت برنامج lingoes الذي يمكن تنزيله من موقع: www.lingoes.net. وقد بلغ عدد المعاجم التي تم التعامل معها أكثر من ٣٠ معجما انجليزيا و٥ معاجم فرنسية و٦ معاجم ثانية اللغة ومعجما عربيا واحدا هو: "لسان العرب" من بين المئات من المعاجم التي يوفرها هذا البرنامج مجانا. ويمكن البحث عن أي كلمة في جميع هذه المعاجم وغيرها بنقرة واحدة. ولنفترض أننا نبحث عن معنى كلمة translation، فإن النتيجة قد تكون مشابهة للصورة التالية:

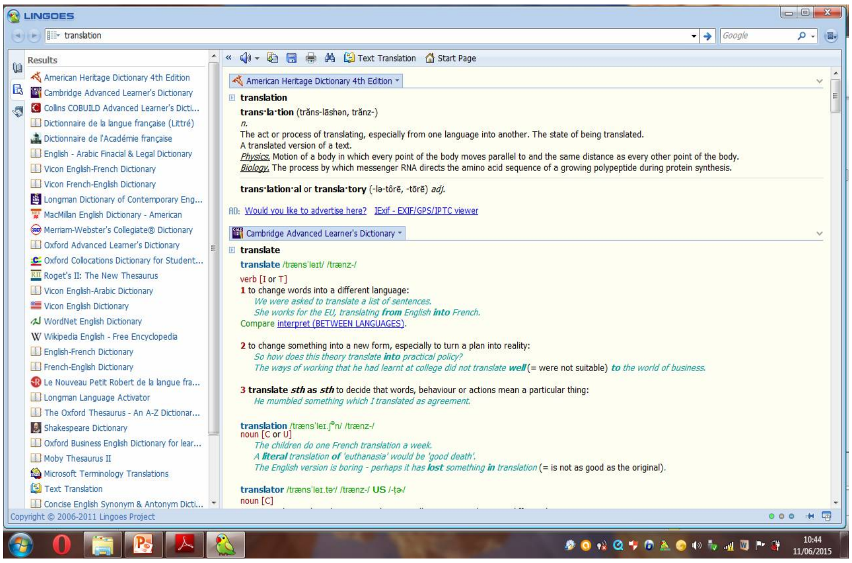

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

ومع إمكاناته الهائلة في البحث وخصائص أخرى من بينها إمكانية ترجمة نص ما، فإن برنامج lingoes لا يخلو من عيوب أهمها:

- لا يقبل lingoes إلا المعاجم بصيغة LD٢ التي يمكن تنزيلها من الموقع نفسه.
- ما من سبيل لتحويل معجم ما إلى صيغة يتعرف عليها برنامج lingoes إلا عن طريق المرور عبر واضع البرنامج نفسه، مع ما يتبع ذلك من عوائق.

وlingoes هذا هو نسخة غير مؤدى عنها وهو شبيه ب babylon. وربما كان المترجمون أكثر إطلاعا على هذا الأخير. فبرنامج babylon أشهر برنامج يبحث في المعاجم، وهو أكثرها تضمنا للمعاجم لكنه برنامج مؤدى عنه. وعلاوة على ذلك فهو لا يقبل إلا المعاجم بصيغة bgl أوbdc وشاشة عرضه شبيهة إلى حد كبير ببرنامجlingoes كما في الصورة التالية:

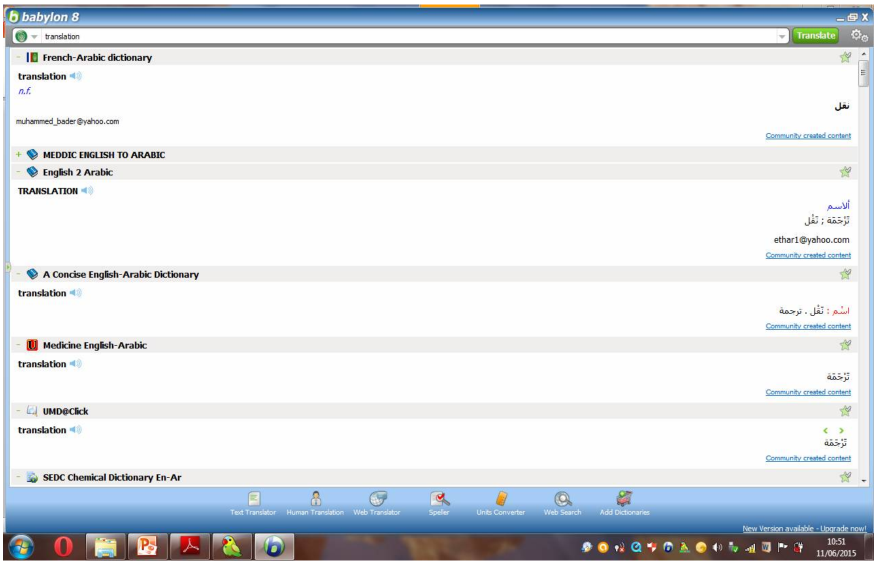

وهناك جوامع معاجم أخرى مثل برنامج Babiloo المجاني والمفتوح المصدر والذي يشتغل على برامج تشغيل متعددة مثل Windows, Linux, MacOS, Nokia S٦٠. بل وتتوفر منه نسخة محمولة. وهو يقبل المعاجم المعدة بصيغتي: (dct) Sdictionary وStarDict.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

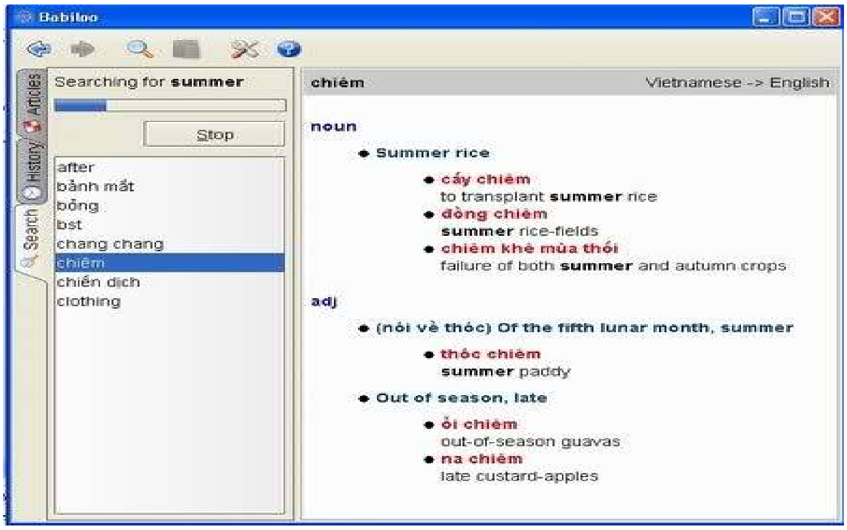

ونجد نفس الخصائص أو ما شابهها في برنامج StarDict مع مزيتين إضافيتين:

- توفر العديد من المعاجم المعدة بصيغة StarDict،وهي صيغة مضغوطة تتضمن ملفات: dz, idx و ifo.
- توفر محوّل للمعاجم يضمن تحويل أي نص معد بشكل معجم إلى الصيغة المقبولة من طرف عارض المعاجم هذا، ويدعى StarDict Editor.

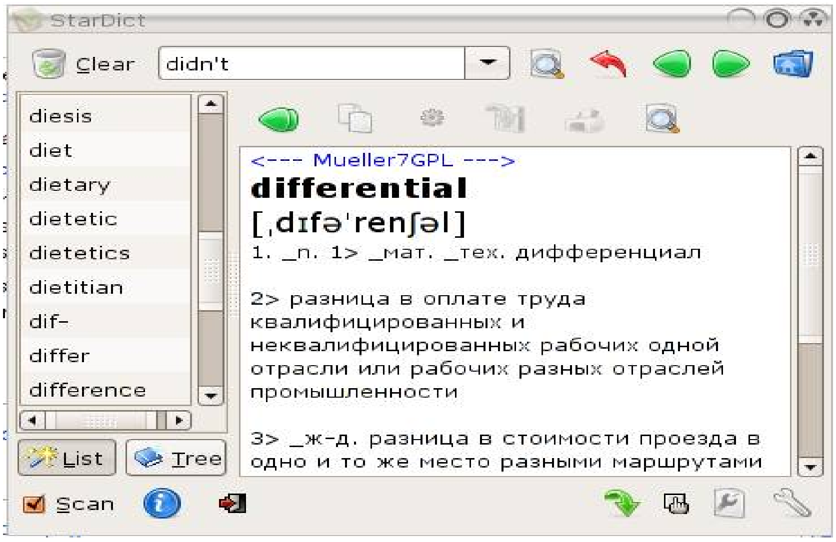

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

لكـن المختـصين ينـصحون حاليـا ببرنـامج (http://goldendict.org)GoldenDict للأسباب التي سنأتي على ذكرها.

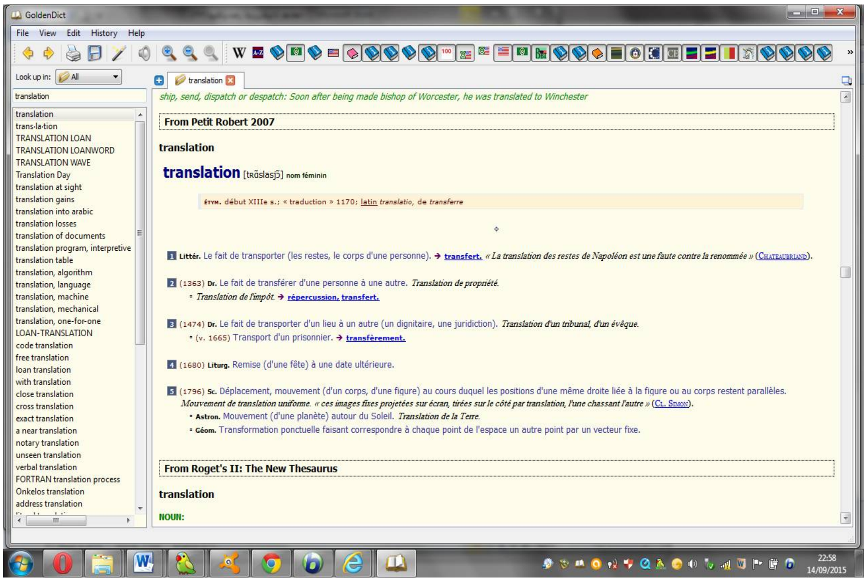

نصيب العربية من المعاجم المعدة لجوامع المعاجم:

باستثناء بعض المعاجم الثنائية اللغة (عربية-انجليزية أو عربية-فرنسية) لا يوجد حسب علمي -إلى حدود تاريخ كتابة هذا البحث- من المعاجم العربية الكلاسيكية أو الحديثة المعدة لبرامج جوامع المعاجم إلا ستة وهي على التوالي: معجم "لسان العرب" لابن منظور (٦٣٠-٧١١ هـ)، وهو معد بامتداد (ld٢.) لبرنامج lingoes. ومعجم "مختار الصحاح" للرازي (ت. ٦٦٦ هـ)،وهو معد بامتداد (bdc.) لفائدة برنامجBabylon، ومعجم آخر يعرفه الشابكون باسم: Arabic Modern Dictionary for Babylon أعد بصيغة bgl. وهو في الحقيقة عمل يجمع أربعة معاجم عربية:

- "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
- و"معجم اللغة العربية المعاصرة"لأحمد مختارعمر
- و"معجم الغني" لعبد الغني أبو العزم
- و"القاموس المحيط" للفيروزأبادي(٧٢٩-٨١٧ هـ).

بمعنى أنه يضمّ معجمين صُنِّفا بطريقة تقليدية (الأول والرابع)، ومعجمين تتوافر فيهما الصيغ التقليدية والإليكترونية (الثاني والثالث).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياَ أو تداولها تجارياَ)

وفي جميع هذه الحالات فإن الإعداد جزئي وليس كاملا، بمعنى أنه ينبغي للبحث عن أي كلمة الرجوع للجذر الثلاثي أو الرباعي. فللبحث عن كلمة 'استغفار' مثلا ينبغي البحث أولا عن الجذر 'غفر' ثم البحث ضمن المادة المعجمية عن كلمة 'استغفار'عن طريق قراءة المدخل بالكامل كما هو الشأن مع GoldenDict أو عن طريق تشغيل البحث الفرعي أو الداخلي ضمن المدخل الرئيسي عن طريق النقر على الزر الأيمن للفأرة مع lingoes. وهذه مزية يوفرها lingoes ولا يوفرها GoldenDict إلا في نسخته الأخيرة. بل وأكثر من ذلك، فللبحث عن مادة لغوية ما في جامع المعاجم GoldenDict ينبغي البحث عن صيغة الكلمة بالضبط والشكل تماما كما هي مثبتة ضمن المادة الرئيسية للمعجم. وهناك عيب آخر لا يسلم منه كلا البرنامجين وهو أن المادة اللغوية في العديد من المعاجم قد يعتريها نقص كبير في المادة اللغوية مثل غياب مدخل 'قبل' في "لسان العرب" المعد اليكترونيا [(١)].

وحتى تتضح الصورة أكثر، لابد لي من الإشارة هنا إلى أن هذا البحث يتحدث أساسا عن برامج البحث المعجمي، أو ما أسميته بجوامع المعاجم، أو عارضات المعاجم. وهي برامج تنزل على الحاسوب الشخصي، ويتم تزويدها إما بمعاجم معدة مسبقا، أو بمعاجم من إعداد المعجمي أو المترجم أو المستعمل للغة بصفة عامة حسب رغبته واجتهاده. وفي الحقيقة فهذا البحث يسعى لمساعدة مستعمل اللغة على إعداد قاموسه الخاص ليتلاءم مع مثل هذه البرامج، وبالتالي، فما أقصده بجوامع المعاجم هو غير تلك المواقع على الشابكة التي تسعى لتيسير البحث في المعاجم. فهناك فروق جوهرية بين الاثنين. فالاستفادة من هذه المواقع تظل مرهونة بالاتصال بالشابكة. وعلاوة على ذلك فهي لا تسمح بتنزيل تلك القواميس الأساسية على الحاسوب الشخصي ولا تسمح كذلك بإضافة أخرى من إعداد المترجم باستثناء إذا ما قبل المشرفون على تلك المواقع باستضافتها. ومن المؤكد أن فوائد القاموس التاريخي للغة العربية المنشود في صيغة إليكترونية قابلة للتحميل والتثبيت بالحواسيب الشخصية أجلى وأهم من صيغه التي تتطلب الربط الشابكي.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى وجود ثلاث مواقع ممتازة على الشابكة توفر خدمات للباحث في المعاجم العربية. وهي كتالي:

- **أولا:** موقع يعرف ب "قاموس المعاني"، وهو موقع يسمح بالبحث في المعاجم العربية الأحادية اللغة (ومن بينها معجم الأعشاب، والمعجم الوسيط، ومعجم الغني، ومعجم

---

(١) لا تتضمن النسخة المعدة لبرنامج lingoes من لسان العرب سوى ٩٢٩٦ مادة (أسرة) اشتقاقية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

اللغة العربية المعاصرة، ومعجم مختار الصحاح، ومعجم المصطلحات الفقهية، ومعجم معاني الأسماء، ومعجم الرائد، ومعجم الأصوات، ومعجم كلمات القرآن للشيخ محمد حسنين مخلوف)، وبعض المعاجم العربية الثنائية اللغة.موقعه الشابكي هو: http://www.almaany.com/.

- **ثانيا**: موقع يعرف ب"الباحث العربي". يحتوي على أكثر من ٣١.٠٠٠ مادة وأكثر من ٤.٠٠٠.٠٠٠ كلمة مجمعة من أهم المعاجم اللغوية المتوفرة في العالم العربي، وهي حصرا: "لسان العرب"، و"مقاييس اللغة"، و"الصّحّاح في اللغة"، و"القاموس المحيط"، و"العباب الزاخر". موقعه على الشابكة هو:http://www.baheth.info/
- **ثالثا**: هناك موقع ثالث يشمل مجموعة من المعاجم العربية تعكس على وجه الخصوص اللغة العربية المعاصرة، (و) كذلك بعض المراجع النحوية والبلاغية الهامة، وهي حصرا: "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، و"معجم الغني" لعبد الغني أبو العزم، و"معجم الرائد" لجبران مسعود، و"المعجم الوسيط" لإبراهيم مصطفى وآخرين، و"المحيط في اللغة" للصاحب بن عباد، و"تاج العروس" لمرتضى الزّبيدي، و"لسان العرب" لابن منظور، و"مختار الصحاح" للرازي، و"المغرب في ترتيب المعرب" للمطرزي، و"معجم لغة الفقهاء" لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق، و"معجم الأصوات" لمهند منذر الحاج ياسين، و"كلمات القرآن: تفسير وبيان" لحسنين محمد مخلوف، و"معجم الصواب اللغوي" لأحمد مختار عمر، و"معجم الفروق اللغوية" لأبي هلال العسكري، و"قواعد اللغة العربية المبسطة" لعبد اللطيف السعيد). وموقعه على الشابكة هو: http://www.arabdict.com/.

وهذه كلها مواقع جيدة تجمع مدونات معاجم متعددة، وبعضها يكمل البعض الآخر إلى حد ما. لكن هذا البحث يعنى ببرامج البحث المعجمي التي لا تحتاج إلى ربط بالشابكة، والتي تسمح بإضافة معاجم شخصية أو معدة شخصيا، وهي البرامج التي نأمل أن تتطور لتسع بنيات القاموس التاريخي للغة العربية.

من أجل ملاءمة المعاجم العربية مع تكنولوجيا المعلومات الجديدة:

الأكيد أن المعجم العربي الذي ينطلق من الجذور ويرتبها طبقا لترتيب أو لآخر - كما هو الحال في جل المعاجم العربية- لا يقدم خدمة للبحث الاليكتروني. وتتلاشى الفوائد المشهودة للترتيب الجذري - التي تتمثل في تجميع شمل العائلة اللفظية في مدخل واحد مما يجعل التعريفات أقصر وأيسر على الفهم- أمام الصعوبات التي يطرحها هذا الترتيب في

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

سياق الثروة المعلوماتية وخارجها. وفي طليعة هذه الصعوبات نجد أن كثيراً من المتعلمين لا يستطيعون استخلاص الجذر من الكلمة التي يبحثون عن معناها في المعجم، بل حتى المتخصصون قد لا يجمعون على جذر كلمة ما. فإن علمت مثلا أن جذر كلمة (مُناخ) هو (ن و خ)، فهل تعلم أن كلمة (ميناء) مثلا يدرجها "المعجم الوسيط" تحت الجذر (م ن أ) ويضعها معجم "لسان العرب" و"معجم اللغة العربية المعاصرة" و"المعجم العربي الأساسي" الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٩ تحت الجذر (ون ي)؟ ثم إن كثيراً من الكلمات المعرّبة لا جذر لها، فنضطر إلى إدراجها في المعجم ألفبائياً، مثل (ديموقراطي) و (برجوازي) و (رادار) الخ.

وإجمالا يمكن القول إن هذه الطريقة في ترتيب المعاجم لا تتماشى مع تكنولوجيا المعلومات الجديدة التي تتوخى تبسيط البحث لأقصى درجة. لذلك ينبغي القيام بتطويع المعجم العربي الكلاسيكي حتى يصبح ملائما بالكامل مع برامج البحث في المعاجم. وبهذا الصدد قررنا البدء ب"لسان العرب" نظرا لاعتبارات متعددة تتمثل في مكانته وشموله. فكان علينا لزاما القيام بالعمليات التالية:

١. تقييم برامج البحث في المعاجم واختيار الأنسب:

وكان الانتقاء على أساس:

- أن يكون البرنامج مجانيا يوفر المعلومة لأهداف علمية محضة غير تجارية.
- أن يكون قابلا للتشغيل على أنظمة تشغيل متعددة مثل:windows وlinux وmac وandroid، بمعنى أن يكون:.multiplatform
- أن يدعم لغات متعددة (multilingual) ومن بينها بطبيعة الحال العربية.
- أن يقبل أكبر عدد من القواميس وحتى تلك التي أعدت بصيغ مختلفة دون الحاجة إلى إعادة ملاءمتها مع برامج بحث معجمية جديدة.
- أن يكون من البرمجيات المفتوحة المصدر القابلة للتطوير وغير الخاضعة لحقوق الملكية الفكرية (open source). حتى تتلخص النفقات في اقتناء العتاد والمجهود الفكري.

إضافة إلى ما سبق، فإن توفر البرنامج على خدمة لتحويل المعاجم من صيغة word أو صيغة أي معالج نصوص عادي إلى صيغة يتعرف عليها البرنامج سيعتبر إضافة مميزة. فمن خلال مقارنة شاملة بين برامج بحث معجمية مختلفة وقع الاختيار على برنامج GoldenDict الذي توفرت فيه جميع الشروط ما عدا الشرط الأخير.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وأخيرا لأجل تحويل المعجم من صيغة word أو أي معالج نصوص آخر إلى صيغة يتعرف عليها البرنامج وقع الاختيار على StarDict Editor بدل Babylon Glossary Builder لسهولة التعامل مع صيغة StarDict Editor نسبيا. وقد وقعت المقارنة فقط بين هذين البرنامجين في حين أن اختيارات أخرى متعددة مطروحة لكنها تتعدى معرفتنا التقنية المحدودة.

٢. إعداد المعجم:

وقع الاختيار على "لسان العرب" كأول معجم يخضع للتجربة لأنه يحظى بقبول شريحة واسعة من الدارسين العرب، ولأنه من المعاجم العربية الأكثر شمولا للمادة اللغوية (بعد "تاج العروس من جواهر القاموس"). إضافة إلى ذلك، فهو يمثل مرحلة من تاريخ اللغة العربية نضج فيها البحث المعجمي قبل سبعمائة عام. والهدف في المدى المتوسط هو توسيع هذا المشروع ليشمل معاجم أخرى. وقد مرت عملية ملاءمة معجم "لسان العرب" لبرنامج GoldenDict عبر مراحل متعددة نلخصها فيما يلي:

المرحلة الأولى:

جمع مادة "لسان العرب" بالكامل بعد استبعاد الأمور التحريرية editorial matters مثل المقدمة وما شابه ذلك. فتوفر لدينا ٩٢٩٥ مادة أساسية هي عبارة عن جذور. فتم إعدادها بشكل يسمح ل: GoldenDict أو بالأحرى EditorStarDict بالتعرف عليها من خلال البحث عن الأصول الثلاثية أو الرباعية بعد استبعاد المداخل المكررة والفصل بين المدخل والتعريف ب: علامة جدولة tab.

المرحلة الثانية:

تحديد المواد الثانوية ضمن الأسرة الاشتقاقية الواحدة، وإعدادها كمداخل أساسية، وبتعبير آخر إعادة ترتيب مداخل المعجم بطريقة تسمح بالبحث عن كل كلمة خضعت للتعريف. ولأجل هذا الغرض قمنا بالتغييرات التالية:

- حذف حرف الواو بين الكلمات المعرفة داخل الأسرة الاشتقاقية الثلاثية أو الرباعية الجذر (أي المداخل الثانوية في المعجم). وكذلك تم حذف "ويقال أيضا"، "وقد"، و"أيضا" التي استعملت في الربط بين المداخل الفرعية داخل المادة المعجمية الرئيسية.
- ذكر مرجع المادة بعد التعريف وليس قبله.
- ذكر العبارات الاصطلاحية التي شملها التعريف كمداخل مستقلة مع ذكر الكلمة المفتاح ضمن العبارة كمدخل واستبدالها ضمن العبارة بالعارضة.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- استبدال التعابير الواردة في الإحالة إلى الاقتباسات كما في عبارة : " قوله عز وجل" التي استبدلت ب: (قرآن كريم) بين قوسين، و عبارة: "قال (ص)" التي استبدلت ب (حديث شريف) تُثبت بعد الاقتباس.
- تكرار التعريف (في حال تخصيص المدخل).
- إعادة ترتيب المادة الفرعية والتعريف عند الضرورة، أي إعادة ترتيب بعض التعريفات أو الإيضاحات أو الزيادات لتكون ألصق بالمدخل الذي تعرفه.
- إضافة إيضاحات المعد للمعجم بين معقوفتين كما في [في النسخة الأصلية لترتيب المعجم]
- وضع ما كان غير ضروري بين قوسين كما في: الخلق (في كلام العرب).
- ملاءمة علامات التنقيط وتوحيدها (من مثل: النقط والفواصل).
- تكرار ما ورد ضمن مدخل سابق مما قد لا يتم الكلام إلا به عند تفريع المداخل.
- إيراد الألفاظ التي وردت مع كلمات أخرى ضمن مداخل مستقلة. مثلا: الخالق والخلاق عرفتا معا فوجب تعريف الخلاق أيضا بالإحالة على الخالق.

المرحلة الثالثة:

إعادة ترتيب المواد الرئيسية والفرعية-الجديدة آليا، بحيث يخضع الترتيب لاعتبارات ألفبائية محضة.

المرحلة الرابعة:

تهيئ المادة المعجمية التي شملها التعديل لملاءمة شروط الجودة التي يفرضها البرنامج. فتم على سبيل المثال إقصاء المواد المكررة، وتم تمييز المداخل التي تحيل على معان متشابهة بعلامات ترقيم.

المرحلة الخامسة:

ضبط الإحالات المتشابكة Cross-referencing، مع إمكانية الإخضاع لبرنامج مكنز (Thesaurus) مستقبلا.

المرحلة السادسة (اختيارية من حيث الزمن):

تتسم هذه المرحلة الاختيارية بتحيين محتوى المعجم، أي ملاءمته الدلالية والذرائعية مع مقتضيات العصر، وذلك بـ :

- حذف الشواهد التي أصبحت خارج السياق العربي حاليا ما عدا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- حذف ما اشتق من اللفظ من أسماء القبائل والأشخاص والأماكن (جبل، واد، الخ) وغيرها، التي لم تعد مستعملة أو لم تعد بذات طائل.
- إضافة المولد حديثا من المصطلحات والألفاظ الحضارية.

المرحلة السابعة:

في هذه المرحلة النهائية يتم إخضاع المادة المعجمية برمتها لمحول المعاجم الآلي: StarDict Editor. وبعد هذه العمليات كلها أصبح البحث عن أي مادة من "لسان العرب" تمت معالجتها يرد بطريقة بسيطة جدا ضمن جامع المعاجم: GoldenDict. فما عاد الباحث أو القارئ يحتاج للرجوع إلى الأصل الثلاثي أو الرباعي للكلمة موضع البحث. وتم تطبيق نفس المنهجية الموضحة أعلاه المتعلقة بالملاءمة الكاملة للسان العرب مع برنامج البحث المعجمي GoldenDictعلى مداخل متعددة من المعجم المذكور لضمان أكبر قدر من الاتساق بحيث تكون العملية قابلة للتطبيق على لسان العرب بالكامل وغيره من المعاجم بما فيها القاموس التاريخي للغة العربية المنشود.

وعلى سبيل المثال، فقد تم استخلاص ٩٥ مدخلا فرعيا من مادة (عقل) في "لسان العرب"، ٦ منها أعلام لأشخاص أو أماكن. وبهذا يكون عدد المداخل اللغوية المحضة المستخلصة من مادة 'عقل' في "لسان العرب" هو ٨٩ مدخلا بما في ذلك الكلمات المفردة والتعابير المسكوكة. (انظر الملحق ١).

وعلى سبيل المقارنة، فقد تم إخضاع مادة (عقل) في " تاج العروس من جواهر القاموس" لنفس العملية (أنظر الملحق ٢) فتم استخلاص ١١٣ مدخلا بما في ذلك الكلمات المفردة والتعابير المسكوكة والأعلام. وإذا ما أقصينا ٢١ مادة، هي أسماء أعلام مشتقة من مادة (عقل) في" تاج العروس"، تبقى لدينا ٩٢ مادة، ليفوق بذلك " تاج العروس" "لسان العرب" من حيث الحجم الإجمالي للمداخل الفرعية، ولكن بصورة غير ذي دلالة كبيرة فيما يتعلق بالمادة اللغوية المحضة.

أما بالنسبة ل "القاموس المحيط" المعروف بتركيز مادته وزهده الكبير في الاستشهاد فإن المداخل الثانوية من مادة (عقل) بلغت ٥١ مادة بما في ذلك الكلمات المفردة والتعابير المسكوكة و٧ أعلام شملها التعريف.

وبرغم تشابه المادة التي تمت تغطيتها في المعاجم المذكورة، فإن هناك فروق لا تنكر. وقد يكون "لسان العرب"-من خلال الأمثلة التي شملها البحث- الأجدر بأن يولى عناية المعجمي المعاصر لشمول مادته من ناحية، وحسّ ابن منظور المعجمي، مما هو غير متوفر

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بنفس الصورة عند الزبيدي مثلا صاحب "تاج العروس"، الذي يعرف مادة (عقل) بصورة هي أقرب إلى المدخل الموسوعي.

خاتمـــة:

بصورة عامة، من شأن هذا المشروع أن يضبط بصورة قطعية عدد المداخل المعرّفة في "لسان العرب" وغيره من المعاجم، وأن يجعل من "لسان العرب" معجما عربيا معاصرا بكل المعايير، وأن يخدم مستعمل اللغة العربية وييسر سبل تعلمها، وأن يكون سندا لدى الترجمة الآلية من العربية وإليها، وأن يعطي زخما للأبحاث الصرفية والمصطلحية، بإمكانية إثبات: أي الصيغ الاشتقاقية هي الأكثر إنتاجية في اللغة العربية عن طريق البحث العشوائي wildcard search ومن ناحية أخرى، من شأن هذا المعجم بما احتواه من شواهد (في صورة أحاديث وآيات وروايات وأشعار) أن يكون لبنة في سياق بناء المعاجم العربية التي يترقبها كل مهتم باللغة العربية: "المعجم الشامل"، و"القاموس التاريخي للغة العربية"، و"المعجم العربي لألفاظ الحضارة".

ومن المؤكد أن متطلبات العصر الراهن تستوجب العمل على توفير الصيغ الورقية والإليكترونية لهاته المشاريع في آن واحد، لا سيما: "القاموس التاريخي للغة العربية"، بالنظر إلى الطفرة المعلوماتية التي يشهدها العالم، بل توفير النسخ الإليكترونية قبل النسخ الورقية بسبب الأعباء المادية التي ستُصرف في عمليات الطباعة، وهو نهج يخالف نهج بناء معجم أكسفورد للغة الانجليزية (Oxford Classical Dictionary) الذي وفر الصيغة المطبوعة (سنة ١٩٤٩) قبل الصيغة الإليكترونية في وقت لم تكن التقنيات المعلوماتية تشهد كل هذا التطور.

وبالله التوفيق.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الملحق ١: مادة عقل في لسان العرب

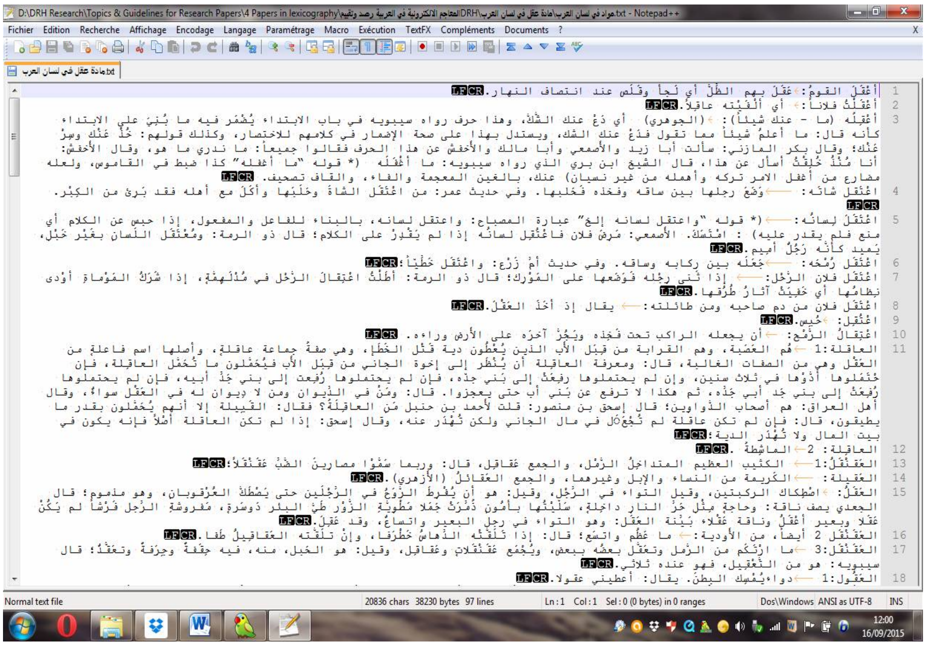

أعْقَلَ القومُ: عَقَلَ بهم الظِّلُّ أي لَجأ وقَلَص عند انتصاف النهار.
أعْقَلْتُ فلاناً: أي ألْفَيْتُه عاقِلاً.
أعْقِلُه (ما - عنك شيئاً): (الجوهري) أي دَعْ عنك الشَّكَّ، وهذا حرف رواه سيبويه في باب الابتداء يُضْمَر فيه ما بُنِيَ على الابتداء كأنه قال: ما أعلمُ شيئاً مما تقول فدَعْ عنك الشك، ويستدل بهذا على صحة الإضمار في كلامهم للاختصار، وكذلك قولهم: خُذْ عَنْكَ وسِرْ عَنْكَ؛ وقال بكر المازني: سألت أبا زيد والأصمعي وأبا مالك والأخفش عن هذا الحرف فقالوا جميعاً: ما ندري ما هو، وقال الأخفش: أنا مُنْذُ خُلِقْتُ أسأل عن هذا، قال الشيخ ابن بري الذي رواه سيبويه: ما أغْفَلَه (* قوله "ما أغفله" كذا ضبط في القاموس، ولعله مضارع من أغفل الامر تركه وأهمله من غير نسيان) عنك، بالغين المعجمة والفاء، والقاف تصحيف.
اعْتَقل شاتَه: وَضَعَ رجلها بين ساقه وفخذه فَحَلَبها. وفي حديث عمر: من اعْتَقَل الشاةَ وحَلَبَها وأكَلَ مع أهله فقد بَرِئ من الكِبْر.
اعْتَقَلَ لِسانُه: (* قوله "واعتقل لسانه إلخ" عبارة المصباح: واعتقل لسانه، بالبناء للفاعل والمفعول، إذا حبس عن الكلام أي منع فلم يقدر عليه) : امْتَسَكَ. الأصمعي: مَرِضَ فلان فاعْتُقِل لسانُه إذا لم يَقْدِرْ على الكلام؛ قال ذو الرمة: ومُعْتَقَل اللِّسانِ بغَيْر خَبْل، يَميد كأنَّه رَجُلٌ أمِيم.
اعْتَقَل رُمْحَه: جَعَلَه بين ركابه وساقه. وفي حديث أمْ زَرْع: واعْتَقَل خَطِّياً؛
اعْتَقَل فلان الرَّحْل: إذا ثَنى رِجْله فَوَضَعها على المَوْرِك؛ قال ذو الرمة: أطَلْتُ اعْتِقالَ الرَّحْل في مُدْلَهِمَّةٍ، إذا شَرَكُ المَوْماةِ أوْدى نِظامُها أي خَفِيَتْ آثارُ طُرُقِها.
اعْتَقَل فلان من دم صاحبه ومن طائلته: يقال إذ أخَذَ العَقْلَ.
اعْتُقِل: حُبِس.
اعْتِقالُ الرُّمْح: أن يجعله الراكب تحت فَخِذه ويَجُرّ آخره على الأرض وراءه.
العاقلة: 1 هُم العَصَبة، وهم القرابة من قِبَل الأب الذين يُعْطُون دية قَتْل الخَطَإ، وهي صفةُ جماعة عاقلةٍ، وأصلها اسم فاعلةٍ من العَقْل وهي من الصفات الغالبة، قال: ومعرفة العاقِلة أن يُنْظَر إلى إخوة الجاني من قِبَل الأب فيُحَمَّلون ما تُحَمَّل العاقِلة، فإن حَتَمَلوها أدَّوْها في ثلاث سنين، وإن لم يحتملوها رفِعَتْ إلى بَني جدّه، فإن لم يحتملوها رُفِعت إلى بني جَدّ أبيه، فإن لم يحتملوها رُفِعَتْ إلى بني جَد أبي جَدّه، ثم هكذا لا ترفع عن بَني أب حتى يعجزوا. قال: ومَنْ في الدِّيوان ومن لا دِيوان له في العَقْل سواءٌ، وقال أهل العراق: هم أصحاب الدَّواوين؛ قال إسحق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل مَن العاقِلَةُ؟ فقال: القَبِيلة إلا أنهم يُحَمَّلون بقدر ما يطيقون، قال: فإن لم تكن عاقلة لم تُجْعَل في مال الجاني ولكن تُهْدَر عنه، وقال إسحق: إذا لم تكن العاقلة أصْلاً فإنه يكون في بيت المال ولا تُهْدَر الدية؛
العاقِلة: 2 الماشِطةُ.
العَقَنْقَلُ: 1 الكثيب العظيم المتداخِلُ الرَّمْل، والجمع عَقاقِل، قال: وربما سَمَّوْا مصارِينَ الضَّبّ عَقَنْقَلاً؛
العَقِيلة: الكَرِيمة من النساء والإبل وغيرهما، والجمع العَقائلُ (الأزهري).
العَقَلُ: اصْطِكاك الركبتين، وقيل التواء في الرِّجْل، وقيل: هو أن يُفْرِطَ الرَّوَحُ في الرِّجْلَين حتى يَصْطَكَّ العُرْقوبانِ، وهو مذموم؛ قال الجعدي يصف ناقة: وحاجةٍ مِثْل حَرِّ النار داخِلةٍ، سَلَّيْتُها بأمُونٍ ذُمِّرَتْ جَمَلا مَطْوِيَّةِ الزَّوْر طَيَّ البِئر دَوسَرةٍ، مَفروشةِ الرِّجل فَرْشاً لم يَكُنْ عَقَلا وبعير أعْقَلُ وناقة عَقْلاء بَيِّنة العَقَل: وهو التواء في رجل البعير واتساعٌ، وقد عَقِلَ.
العَقَنْقَل 2 أيضاً، من الأودية: ما عَظُم واتسَعَ؛ قال: إذا تَلَقَّتْه الذَّهاسُ خَطَّرَفا، وإنْ تَلَقَّتْه العَقاقِيلُ طَفا.
العَقَنْقَل: 3 ما ارْتَكَم من الرَّمل وتَعَقَّل بعضُه ببعض، ويُجْمَع عَقَنْقَلاتٍ وعَقاقِل، وقيل: هو الحَبل، منه، فيه حِقَفَةٌ وجِرَفَةٌ وتَعَقُّدٌ؛ قال سيبويه: هو من التَّعْقِيل، فهو عنده ثلاثي.
العَقُول: 1 دواءٌ يُمْسِك البطنَ. يقال: أعطيني عقولا.

الملحق ٢: مادة عقل في تاج العروس

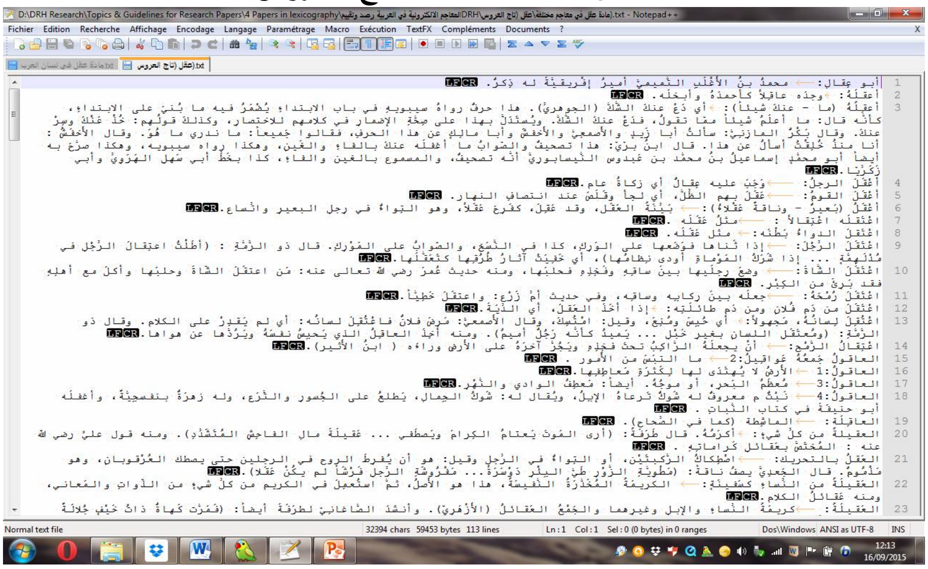

أبو عِقال: محمدُ بنُ الأغْلَبِ التَّميميّ أميرُ إفْريقيَّة له ذِكرٌ.
أعقَلَهُ: وجدَه عاقِلاً كأحمدَهُ وأبخَلَه.
أعقِلْهُ (ما - عنك شيئاً): أي دَعْ عنكَ الشَّكَّ (الجوهريّ). هذا حرفٌ رواهُ سيبويه في باب الابتداءِ يُضْمَرُ فيه ما بُنِيَ على الابتداء، كأنّه قال: ما أعلَمُ شيئاً ممّا تقولُ، فدَعْ عنكَ الشَّكّ. ويُستدَلُّ بهذا على صِحّةِ الإضمار في كلامهم للاختصار، وكذلك قولُهم: خُذْ عَنْكَ وسِرْ عنكَ. وقال بَكْرٌ المازنيّ: سألتُ أبا زَيدٍ والأصمعيّ وأبا مالِكٍ والأخفشَ عن هذا الحرفِ، فقالوا جَميعاً: ما ندري ما هُوَ. وقال الأخفشُ: أنا منذُ خُلِقْتُ أسألُ عن هذا. قال ابنُ بَرّيّ: هذا تصحيفٌ والصّوابُ ما أغفلَه عنكَ بالفاءِ والغَين، وهكذا رواهُ سيبويه، وهكذا صرّحَ به أيضاً أبو محمّدٍ إسماعيلُ بنُ محمّد بن عَبدوس النَّيسابوريّ أنّه تصحيفٌ، والمسموع بالغين والفاء، كذا بخَطِّ أبي سَهل الهَرَويّ وأبي زَكَرِيّا.
أعْقَلَ الرجلُ: وَجَبَ عليه عِقالٌ أي زكاةُ عام.
أعْقَلَ القومُ: عَقَلَ بهم الظِّلُّ، أي لجأ وقَلَصَ عند انتصافِ النهار.
أعْقَلُ (بَعيرٌ - وناقةٌ عَقْلاءُ): بَيِّنَةُ العَقَل، وقد عَقِلَ، كفَرِحَ عَقَلاً، وهو التِواءٌ في رجل البعير واتّساع.
اعْتَقَلَه اعْتِقالاً: مثلُ عَقَلَه.
اعْتَقَلَ الدواءُ بَطْنَه: مثل عَقَلَه.
اعْتَقَلَ الرَّجُلَ: إذا ثَناها فوَضَعها على الوَرِك، كذا في النُّسَخ، والصّوابُ على المَوْرِك. قال ذو الرُّمّةِ: (أطَلْتُ اعتِقالَ الرَّحْلِ في مُدْلَهِمَّةٍ ... إذا شَرَكُ المَوْماةِ أودى نِظامُها)، أي خَفِيَتْ آثارُ طُرُقِها كتَعَقَّلَها.
اعْتَقَلَ الشّاةَ: وضعَ رِجلَيها بينَ ساقِهِ وفَخِذِهِ فحلبَها، ومنه حديثُ عُمرَ رضي الله تعالى عنه: مَن اعتقَلَ الشّاةَ وحلبَها وأكلَ مع أهلِهِ فقد بَرِئَ من الكِبْر.
اعْتَقَلَ رُمْحَهُ: جعلَه بينَ رِكابِه وساقِه، وفي حديث أمّ زَرْع: واعتقَلَ خَطِّيّاً.
اعْتَقَلَ من دَمِ فُلانٍ ومن دَمِ طائلَتِه: إذا أخَذَ العَقْلَ، أي الدِّيَة.
اعْتُقِلَ لِسانُهُ، مَجهولاً: أي حُبِسَ ومُنِعَ، وقيل: امْتُسِكَ، وقال الأصمعيّ: مَرِضَ فلانٌ فاعْتُقِلَ لسانُه: أي لم يَقدِرْ على الكلام. وقال ذو الرُّمّةِ: (ومُعتَقَلُ اللِّسانِ بغير خَبْلٍ ... يَميدُ كأنّه رَجُلٌ أميمُ). ومنه أخذ العاقِلُ الذي يَحبِسُ نفسَهُ ويَرُدُّها عن هواها.
اعْتِقالُ الرُّمْحِ: أنْ يجعلَهُ الرّاكِبُ تحتَ فخِذِه ويَجُرَّ آخرَهُ على الأرض وراءه (ابنُ الأثير).
العاقولُ جَمعُهُ عَواقيلُ: 2 ما التبَسَ من الأمور.
العاقولُ: 1 الأرضُ لا يُهتَدى لها لِكَثْرَةِ مَعاطِفِها.
العاقولُ: 3 مُعظَمُ البَحرِ، أو موجُهُ. أيضاً: مَعطِفُ الوادي والنَّهْر.
العاقولُ: 4 نَبْتٌ م معروفٌ له شَوكٌ تَرعاهُ الإبِلُ، ويُقال له: شَوكُ الجِمال، يَطلعُ على الجُسور والتُّرَع، وله زَهرةٌ بنفسجيّةٌ، وأغفلَه أبو حنيفةَ في كتاب النَّبات.
العاقِلَة: الماشِطة (كما في الصِّحاح).
العقيلةُ من كلِّ شيءٍ: أكرَمُهُ. قال طَرَفَةُ: (أرى الموتَ يَعتامُ الكِرامَ ويَصطفي ... عَقيلةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ). ومنه قول عليّ رضي الله عنه: المُختَصُّ بعَقائلِ كَراماتِه.
العَقَلُ بالتحريك: اصْطِكاكُ الرُّكبَتَيْن، أو التِواءٌ في الرِّجلِ وقيل: هو أن يُفرِطَ الرَّوحُ في الرجلين حتى يصطك العُرْقوبانِ، وهو مَذْمومٌ. قال الجَعديّ يصفُ ناقةً: (مَطْويَّةِ الزَّوْرِ طَيَّ البِئْرِ دَوْسَرَةٍ ... مَفْروشَةِ الرِّجلِ فَرْشاً لم يَكُنْ عَقَلا).
العَقيلةُ من النِّساءِ كسَفينَةٍ: الكَريمَةُ المُخَدَّرَةُ النَّفيسَةُ، هذا هو الأصلُ، ثمّ استُعمِلَ في الكريمِ من كلِّ شيءٍ من الذَّواتِ والمَعاني، ومنه عَقائلُ الكلام.
العَقيلَةُ: كريمةُ النِّساءِ والإبلِ وغيرِهما والجَمْعُ العَقائلُ (الأزْهريّ). وأنشدَ الصّاغانيّ لطَرَفَةَ أيضاً: (فَمَرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

مصادر ومراجع البحث

- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي(١١٤٥-١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت
- القاموس المحيط- الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب بن محمد ٧٢٩ هـ ٨١٧) -مطبعة دار المأمون- القاهرة،الطبعة الرابعة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨م.
- لسان العرب- ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور، ت. ٦٣٠ هـ ٧١١)- دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨ م.
- مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت. ٦٦٦ هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا. الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- معجم الغني - عبد الغني أبو العزم. موقع الشاملة http://www.shamela.ws
- معجم اللغة العربية المعاصرة - أحمد مختار عمر (ت. ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، مطبعة مصر، ١٣٨٠ هـ- ١٩٦٠م.
- الرائد معجم لغوي عصري - جبران مسعود. دار العلم للملايين، ١٩٩٢، ط ٧.
- المحيط في اللغة -الصاحب إسماعيل بن عباد (ت. ٣٨٥ هـ). تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. عالم الكتب،١٩٩٤.
- http://www.almaany.com/
- http://www.baheth.info/
- http://www.arabdict.com/
- http://goldendict.org

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

القضايا اللغوية النظرية والتطبيقية لمشروع بناء المعجم التاريخي للغة العربية من خلال كتاب: "نحو معجم تاريخي للغة العربية" لمجموعة مؤلفين

قراءة وتعليق: د. خالد اليعبودي
جامعة محمد الخامس، الرباط- المغرب

ملخص:
ننشد في هذا المقال تقديم قراءة نقدية لإصدار المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية: "نحو معجم تاريخي للغة العربية"، نعرض من خلاله الدواعي العلمية والقومية والحضارية التي دعت المركز إلى تبني مشروع بناء معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، ونكشف عن منهجية لجنة بُناة المشروع، ونعمد إلى استقراء أبعاد استثمار آليات الترسيس والتلازم الدلالي، وتحديد صيغ الجذاذة الورقية والآلية، وسبُل تدوين الشواهد والأمثلة بمتنها، ودور التقنيات المعلوماتية في صياغة برامج آلية تحرص على التأصيل، كما سنحاول التعليق على بعض تصورات المشاركين في هذا التأليف، مع تقييم البرامج الحاسوبية المقترحة للوقوف على مدى كفايتها في تقديم خصائص مداخل المعجم الذي سيُسهم تصنيفه في تدارك فجوة بثقافتنا العربية الإسلامية.

نظرة مجملة عن تقديم الكتاب[(١)] :

نحو تحقيق مشروع الأمة:

تحت عنوان : "ربّ همّة أحيت أمة" تطرق مدير "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الدكتور "عزمي بشارة" لسياق إحداث مشروع الدوحة المتصل ببناء معجم تاريخي للغة العربية، وذكر شغفه بفكرة المشروع وتحمس الشيخ "تميم بن حمد آل ثاني" ولي عهد قطر لتمويل جميع مراحل بنائه، لا سيما أن من ثمار إنجازه على الوجه الأكمل:

- الإسهام في فهم العربية بشكل أدق من خلال تتبّع مراحل تطور الألفاظ بمختلف العصور.

---

(١) نشير قبل الخوض في عمليات القراءة والتقييم أننا سنراعي بحول الله الترتيب الذي وردت عليه مقالات الكتاب المدروس.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الإسهام في توفير جملة من المعاجم الفرعية، كمعجم ألفاظ الحضارة، والمعاجم الاصطلاحية واللغوية التعليمية ومعاجم العربية المعاصرة.
- توفير دراسات وأبحاث عن تراث الأمة تستثمر معطيات المعجم التاريخي.
- وضع برامج حاسوبية تسهم في معالجة اللغة العربية معالجة آلية.

يشير الدكتور بشارة إلى أن محتويات الكتاب - الذي نعتزم تقديم قراءة لمضامينه- مستخلصة من أعمال ندوة نظمها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بتاريخ ١٠-١١/ نونبر من سنة ٢٠١٢ في موضوع المعجم التاريخي وهي ندوة الخبراء الأولى أعقبها الاجتماع الثاني لندوة الخبراء يومي ٦ و٧ يناير ٢٠١٣ لتحديد مواد المعجم وعناصر الجذاذة المحوسبة وطرق تعريف المداخل، تدارس من خلالها المجتمعون أوجه التنسيق بين خبراء اللغة وخبراء الحاسوب للشروع في إنجاز المشروع. وانعقد الاجتماع الثالث لهؤلاء الخبراء يوم ١٠ مارس ٢٠١٣ لاستكمال وضع خطوات تنفيذ المشروع من حيث مراحل التنفيذ وهيكلة الفرق المكلفة بالإنجاز، ومعاينة بعض النماذج التطبيقية لتدارسها.

ويخبرنا مدير المركز العربي زمن تحرير هذه الديباجة بتاريخ ١ ماي ٢٠١٣ بأن الإعداد قائم لاجتماع الجلسة الأولى للمجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية وهو الاجتماع الذي أعلن رسمياً عن انطلاق تنفيذ هذا المشروع.

الفصل الأول: الإطار التصوري والمنهجي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية

للباحثين: عز الدين البوشيخي، رشيد بلحبيب، محمد العبيدي

توخى المدير التنفيذي لبناء مشروع المعجم التاريخي برفقة مساعديه في هذا المقال الاستهلالي عرض الهيكل العام للمعجم المنشود، والكشف عن المنهجية المرسومة في عملية البناء.

يصرّح الكتّاب أنهم قدّموا هذا التصور بعد تقييمهم للتجارب الأجنبية والعربية سواء منها الناجحة أو المتعثرة التي لم تسفر إلى حدّ الآن عن إنجاز هذا المشروع، وبعد اطلاعهم على خلاصات الدراسات والأبحاث التي شارك بها أصحابها في مؤتمرات خُصّصت لمدارسة قضايا المعجم التاريخي.

من بين التجارب العربية التي أحالوا إليها:

- محاولة المستشرق الألماني "فيشر"
- محاولة المجمع القاهري

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

- محاولة اتحاد المجامع اللغوية
- محاولة جمعية المعجمية التونسية
- محاولة معهد الدراسات المصطلحية بمدينة فاس المغربية

كما أحالوا إلى أبحاث:

- مؤتمر تونس (١٩٨٩) "المعجم العربي التاريخي" برعاية جمعية المعجمية العربية بتونس.
- مؤتمر فاس (٢٠١٠) "المعجم التاريخي للغة العربية، قضاياه النظرية والتطبيقية"، برعاية معهد الدراسات المصطلحية.

دون إغفال إصدارات أخرى في هذا الميدان، منها:

- كتاب محمد حسن عبد العزيز (٢٠٠٨)، المعجم التاريخي للغة العربية، وثائق ونماذج.
- أطروحة عبد العزيز بن الحميد الحميد (٢٠١٢)، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، دراسة وتقويم.

قبل الشروع في عرض منهجية الفريق في بناء هذا المشروع كان من اللازم لأصحاب هذا المقال أن يشيروا إلى الدواعي التي تجعل من بناء هذا العمل الضخم مشروعا قوميا يرتبط بالنهضة والتنمية. ذلك أن كل أمة (بما فيها الأمة العربية) بحاجة ماسّة إلى تسجيل ذاكرتها عبر اللغة، ومن خلال رصد تاريخ ولادة الألفاظ والمصطلحات وأزمنة استعمالها وتدوين مختلف التغيرات البنيوية والدلالية التي تلحقها.

ومن مفارقات الثقافة العربية أن التراث المعجمي للغة العربية زاخر بالنتاجات الكثيرة والمتنوعة منذ أقدم العصور (ابتداء من الخليل الفراهيدي ومرورا بابن منظور والفيروزآبادي وابن سيده) غير أن هذه اللغة لا زالت تطالب حُماتها بتدوين ما ينقصها، ألا هو المعجم التاريخي الذي تتبين الحاجة الماسة إليه من خلال ثلاث أنماط من الموجبات:

- **موجبات علمية**: تستلزم تتبع مختلف التطورات الدلالية التي مسّت الألفاظ العربية لاستيعاب تراثنا العلمي الاستيعاب الأمثل باستحضار السياق التاريخي لكل استعمال.
- **موجبات قومية**: تتمثل في إسهام هذا المشروع في حماية التراث وتعزيز الهوية العربية بحماية هوية اللغة العربية.
- **موجبات حضارية**: إذ يُمكِّن هذا المشروع من إعادة الاعتبار للعربية لتحتل موقع الندية مع باقي اللغات التي تتوفر على معجمها التاريخي (أو معاجمها التاريخية)، مع إمكانية وصل الماضي بالحاضر.

من هنا يتبين أنّ بناء هذا المشروع شرط لازب من شروط التنمية المجتمعية بأقطارنا العربية، وقد اختصر المؤلفون الدواعي التي تدعو إلى الإسراع بتحقيق هذا المشروع في ثلاثة دواع:

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الداعي الأول: تحقيق مصالحة الأمة مع ماضيها بتوفير شروط فهمه الفهم الصحيح.
- الداعي الثاني: إمكانية تناسُل عدد كبير من المتون الفرعية عن المعجم التاريخي، كالمعجم التاريخي للألفاظ الحضارية (بما يضمه من تسميات الحرف والصناعات)، والمعجم الشامل للعربية المعاصرة إضافة إلى توفير معاجم تعليمية متنوعة بتنوّع الجمهور المتلقي ومستواه التعليمي.
- الداعي الثالث: إمكانية إنجاز بحوث أكاديمية تسهم في تثمين التراث وتمييز صالحه من طالحه، كما أنّ عملية بناء مدونة المعجم (أو مدونات المعجم) ستحتم الباحثين على استثمار التقنيات المعلوماتية وإعداد البرامج الحاسوبية الصالحة للمعالجة الآلية لهاته اللغة معالجة نحوية، صرفية، دلالية، ناهيكم عن البرامج المخصصة للترجمة الآلية.

يتأكّد للقارئ أنّ الباحثين عاقدون العزم على تحقيق مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، لكن، أيّ صيغة للمعجم بالتحديد؟ ذلك أن هناك أنواع متعددة من المعاجم التاريخية:

مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية:

يشكل تحديد مفهوم المعجم التاريخي مؤشرا على نوعيته، بالنظر إلى تعدد أنماط المعاجم التاريخية من حيث كمّ المادة المعالجَة وكيفيات معالجتها.

يُعرّف أصحاب مشروع الدوحة مفهوم المعجم التاريخي بأنه "معجم يرصد دلالة ألفاظ اللغة العربية في حياتها، إنه المعجم الذي يتضمن "ذاكرة" كل لفظ من ألفاظ اللغة العربية، فهي تُسجّل بحسب المتاح من المعلومات: تاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحوّلاته الدلالية، ومكان ظهوره ومستعمليه في تطوّراته ما أمكن ذلك، مع توثيق تلك الذاكرة بالنصوص التي تشهد على صحة المعلومات الواردة فيها"[(١)].

نستخلص من هذا التعريف أن المعجم التاريخي المنشود في مشروع الدوحة هو الذي يرصد الدلالات الأولى للألفاظ ويشير إلى أي تغيّر قد يطرأ عليها بمختلف العصور والأمكنة مع ضرورة التوثيق النصي لكل استعمال لغوي.

ينبّه المؤلفون إلى ضرورة التمييز بين المعجم التاريخي والمعجم الموسوعي، يتميز الأخير بإمكانية إدراج أقصى ما يُمكن من معلومات نحوية وصرفية وبلاغية وصوتية بالتقيّد بالبُعد التعاقبي، وهو نوع لا ينشده أصحاب مشروع الدوحة، كما يشير الباحثون أيضا إلى

---

(١) عز الدين البوشيخي، رشيد بلحبيب، محمد العبيدي، الإطار التصوري والمنهجي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ضمن كتاب: "نحو معجم تاريخي للغة العربية" لمجموعة مؤلفين، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ص:٢٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

معلومة هامة في سياق تحديد المفاهيم، تتعلق بمنهجية تدوين مداخل هذا الصرح المعجمي، إذ يحبّذون تخصيص مدخل واحد للفظ إذا عُرف بمعنى واحد بشتى العصور وفي جميع السياقات، بينما يلزم تخصيص مداخل متعددة لذات اللفظ في حال تغير دلالته من زمان إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى.

خُصص المحور الرابع من المقال للتأكيد على أهمية عنصر التحيين (والمراجعة)، فالمعجم التاريخي للغة العربية معجم مفتوح لكل ما يظهر من جديد لم يُرصد من قبل في مرحلة من التصنيف على أثر اكتشاف مخطوط جديد أو بعد تحقيقه، أو بسبب ظهور صلات بين العربية وأخواتها الساميات، أو نتيجة حدوث تطوّرات مسّتْ الألفاظ المداخل بمرور الزمن.

تحتل النصوص أهمية بالغة في المعجم التاريخي، فقد اندثر زمن بناء المعاجم المُستمدة من مواد المعاجم المنجزة، بل لا مناصّ من استخلاص مواد المعجم (مداخله وتعريفاته وسياقاته) من نصوص اللغة، من هنا تتبيّن أهمية المدوّنة.

وقد خصص الباحثون المحور الخامس من المقال لتحديد نوع المدوّنة المتوخاة في تحقيق مشروع الدوحة، فهي "مدوّنة لغوية شاملة تتضمن النصوص العربية الفصيحة الورقية والإلكترونية منذ أقدم نص إلى نهاية عام ٢٠٠٠" [١]. تستفيد من متون المعاجم العامة والخاصة المتوفرة ومن مضامين الأطروحات والرسائل الجامعية ومن مُدّخرات مشاريع المؤسسات (كجهود: جمعية المعجمية التونسية، ومعهد الدراسات المصطلحية) ومن مشاريع الأفراد (كجهود المستشرق الألماني "فيشر") في أفق تطويرها بما يُستجدّ في الساحة الثقافية.

اعتنى المؤلفون في الركن السادس من المقال بصياغة نموذج الجذاذة التي يقترحونها، بالتأكيد على أنها لن تضمّ سوى المعلومات الأساسية من قبيل: جذر المدخل المعجمي ومقولته وهيئته الصوتية وتعريفه وشاهده وتوثيقه (بتحديد تاريخ استعماله والإشارة إلى مستعمله أو إلى المصدر التي استُمِدّت منها المادة) سواء تعلق الأمر بمدخل معجمي ينتمي إلى اللغة العامة أو إلى اللغات الخاصة (اصطلاح)، غير أن معالجة المصطلح تتميز عن معالجة اللفظ العام باستحضار المجال المعرفي للاصطلاح والوعي بنوعية التعريف الاصطلاحي.

وانتقل الباحثون في المحور السابع إلى عرض منهجية العمل التي سيستندون إليها في

---

(١) نفس المرجع، ص: ٢٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

بناء مشروع الدوحة، وتنبني على خمس دعائم أساسية:

١- إعداد بيبليوغرافيا شاملة
٢- بناء المدونة الشاملة
٣- استخلاص المدونة النصية
٤- تهيئة المدونة النصية للمعالجة
٥- معالجة المداخل المعجمية والمصطلحية.

حتما إنها دعائم لا يمكن مباشرتها من دون الاستعانة بالتقنيات المعلوماتية التي تتطلب إنجاز برامج حاسوبية ملائمة لطبيعة المشروع، وتصميم الجذاذة الآلية، وتوفير مرصد آلي يعدّ ذخيرة لتجميع الأعمال.

إن الخوض في هذه الدعائم الخمس ستتم مباشرته بتقسيم العمل إلى خمس مراحل أيضا:

١- مرحلة القرون السبعة الأولى (من القرن الخامس قبل الهجرة إلى القرن الثاني للهجرة)
٢- مرحلة القرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن الثالث للهجرة إلى نهاية القرن الخامس للهجرة)
٣- مرحلة القرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن السادس للهجرة إلى نهاية القرن الثامن للهجرة)
٤- مرحلة القرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن التاسع للهجرة إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة)
٥- المرحلة الأخيرة (من بداية القرن الثاني عشر للهجرة إلى حدود عام ١٤٢١ للهجرة الموافق لنهاية القرن العشرين)

سيترتّب عن العمل وفق هذا التقسيم الزمني خمسة معاجم تاريخية فرعية:

أ- المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الثاني للهجرة
ب- المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الخامس للهجرة
ج- المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الثامن للهجرة
د- المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الحادي عشر
هـ- المعجم التاريخي للغة العربية إلى متمّ عام ١٤٢١ هجرية.

يمكن اعتبار هذه المعاجم متونا أجنّة للمعجم الشامل: المعجم التاريخي للغة العربية الذي يتطلب – في نظر الهيئة- خمسة عشر سنة من العمل المتواصل لتحقيقه على أرض الواقع.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

تنبيهات:

في ختام هذا المقال الذي يرسم الخطة العامة لمشروع الدوحة ينتهي الباحثون إلى وضع جملة من الملحوظات:

- أنْ لا يكون تأخر العرب في إنجاز مشروع المعجم التاريخي مدعاة إلى التسرّع مخافة إنتاج نتاج لا يرقى إلى مكانة اللغة العربية ضمن باقي اللغات العالمية.
- أنّ اختيار هذا المنهج المرسوم بهذا المقال لا ينفي وجود مناهج أخرى لا مجال للحكم بعدم صلاحيتها.
- أنّ إنجاز هذا المعجم لا يسدّ الطريق أمام أيّ جهة تنوي خوض غمار هذه التجربة، فهناك الكثير من اللغات تتوفر على أكثر من معجم تاريخي.
- أنّ العمل التشارُكي مفيد للغاية بالتعاقد مع مؤسسات علمية متخصصة وبالانفتاح على جميع الباحثين المتخصصين.

تعليقات:

نستخلص من تتبع مضامين هذا التصور المنهجي لبناء المعجم التاريخي للغة العربية جملة من الملاحظات:

- لم يبرز واضعو الإطار التصوري والمنهجي لمشروع المعجم التاريخي مواقفهم من التجارب السابقة، ومدى استثمارهم لبعض ما اتضح جدواه في تجارب الأمم المتقدمة، وما هو غير صالح للاستثمار من هذه التجارب إما لتعارضه مع مبادئ الصناعة المعجمية أو لاختلاف أهداف كل فريق وتباينهم في تصور بنية المعجم التاريخي. قد يكون ضيق المقام سبب هذا الإغفال، غير أننا نرجح أن السبب الرئيسي في عدم تخصيص فقرات لتقييم التجارب السابقة: كون غالبية هذه الأطراف مدعوّة بدورها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بوضع نتاجاتها رهن إشارة معجم الدوحة.
- لقد تبيّن اختيار أصحاب مشروع الدوحة من خلال تحديدهم لمفهوم "المعجم التاريخي" حينما استبعدوا المعجم التاريخي الموسوعي الذي يشمل كل ما يرتبط بالمدخل المعجمي في مستوياته اللسانية المتعددة.
- صحيح أن اختيار بناة مشروع الدوحة لا يخلو من صواب لأنه يُسهم في تقنين حجم البنيات الصغرى للمعجم (المخصصة للتعريف والاستشهاد) غير أنه كان بالإمكان تحديد مجمل أنواع المعاجم التاريخية في التعريف، مع تخصيص النوع الذي ينشدونه، وفتح المجال لبقية الباحثين بالأقطار العربية والغربية إذا رغبوا في تصنيف الأشكال الأخرى

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

للمعجم (ومنها طبعا: المعجم التاريخي الموسوعي).

- لا يجب أن يُستشفّ من إقرار بناة المعجم بمبدإ التحيين (والمُراجعة) ضعفا في مشروع المعجم، وإقرارا بقصور في رسم ملامح المشروع المنشود، ذلك أن عنصر التحيين غدا في الصناعة المعجمية الحديثة ركنا أساسيا من أركان تصنيف المتون المعجمية والقاموسية، لا سيما أن اللغة العربية تختلف كثيرا عن اللغات الأخرى التي تمكنت من بناء معاجمها التاريخية بسبب غنى مفردات العربية وامتداد فترات حياتها التي تبلغ ثمانية عشر قرنا مع ما نتج عن ذلك من غزارة المصادر التي يُستلزم معالجتها وضياع الكثير منها أو تدهوره، أو قرصنته وانتقاله إلى رفوف المكتبات الغربية.

الفصل الثاني: نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية للدكتور عبد العلي الودغيري

يستهل الباحث مقاله بالتنبيه إلى وجود أنواع متعددة من القواميس التاريخية يختلف بعضها عن بعض. وقد استعرض الكاتب حصيلة التجربة الفرنسية في إنجاز هذه الأنواع ليبرهن على هذا الاختلاف.

فمن القواميس الفرنسية التي تندرج ضمن القاموس التاريخي:

- هناك كتاب "جيل ميناج" (Gilles Ménage) (١٦٥٠): "أصول اللغة الفرنسية" (Les origines de la langue Française)، وهو التأليف الذي حمل عنوانا جديدا في طبعته الثانية (١٦٩٤) "القاموس الإيتيمولوجي أو أصول اللغة الفرنسية" (Dictionnaire étymologique ou les origines de la langue française).
- وهناك قاموس "لاكورن دي سانت" (Lacorne de sainte) (١٧٨١) "القاموس الإيتيمولوجي النقدي والتاريخي" (Dictionnaire étymologique, critique, historique (Palaye "القاموس التاريخي للفرنسية القديمة" (Dictionnaire historique de l'ancien Français)، الذي لم يطبع إلا سنة ١٨٧٦.
- وقاموس "فرانسوا نويل وج. كاربونتيي" (١٨٣٩) (François Joseph Michel noël & M. Carpentier, anecdotique et littéraire pour servir à l'histoire de la langue française ; ٢ vol, Paris Le Normant, ١٨٣٩).
- وقاموس الأكاديمية الفرنسية، يحمل اسم: "القاموس التاريخي للغة الفرنسية" (Dictionnaire historique de la langue française)، وهو منقوص، إذ وقف إلى حدّ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لفظة "Azyme"، صدرت منه أربعة أجزاء ما بين ١٨٦٥-١٨٩٤.

- وقاموس "إميل ليطري" (١٨٦٣-١٨٧٢): "القاموس الايتيمولوجي الجديد للغة الفرنسية" (Nouveau dictionnaire étymologique de la langue française)[١].
- وقاموس "هاتسفيلد دارمستيتر" (١٨٩٠-١٩٠٠): "القاموس العام للغة الفرنسية" (Dictionnaire général de la langue Française).
- وقاموس "أوسكار بلوخ" (١٩٣٢): "القاموس الايتيمولوجي للغة الفرنسية" (Dictionnaire étymologique de la langue française)، قام بمراجعته السويسري "والتر فون".
- وقاموس روبير التاريخي (١٩٩٢): "القاموس التاريخي للغة الفرنسية" (Dictionnaire historique de la langue française).
- وقاموس "ذخيرة اللغة الفرنسية" (١٩٩٤) (Trésor de la langue Française).

من المؤكد أن الدكتور الودغيري عرض التجربة الفرنسية الحافلة بالإنجازات في مجال تصنيف القواميس التاريخية ليبرهن على توفر بعض الأمم على أكثر من معجم تاريخي، وليؤكد ثانيا أن ثمة عوامل متعددة تسهم في تنوّع هذه القواميس، منها:

١- تحديد أهداف القاموس التاريخي بتحديد فئة القراء ومستوياتهم المعرفية لمعرفة حجم التصنيف ونوعية المعلومات المدرجة به.

٢- تحديد المقصود ب"التأريخ"، هل يكتفي باستخلاص الألفاظ من النصوص في مختلف الأزمنة؟ أم يتجاوزه إلى تحديد تاريخ الاستعمال، وما صلات "التأريخ" ب"الإيتيمولوجيا"؟

٣- تحديد طبيعة المادة المعجمية (نوعها، كميتها، مصدرها، عصرها، مستويات استعمالها)، وفي هذا الصدد يميز الباحث الودغيري بين مفهوم "القاموس اللغوي التاريخي" (الذي يندرج ضمن القواميس اللغوية العامة مع إضافة التأريخ لظهور الكلمات والاستعمالات) ومفهوم "القاموس التاريخي اللغوي" (الذي يتوجه إلى الباحثين المتخصصين بالتركيز على البحث في نشأة الكلمات ومراحل حياتها وما اشتق منها في اللغة العامة وفي جميع الحقول المعرفية).

٤- تحديد طبيعة المعلومات المدرجة بالمادة المعجمية، أي الاختيار بين القاموس الشامل المُستوعِب (الذي يرصد كل ألفاظ اللغة في مختلف استعمالاتها ومستوياتها بكل

---

(١) يشير "ليطري" إلى استفادة الانجليز من خطة عمله في تحرير مواد هذا القاموس.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الأزمنة والأمكنة) والقاموس الانتقائي الاصطفائي (الذي يكتفي برصد قائمة محدودة من الألفاظ)، وبين القاموس الذي يجمع بين العربية القديمة والحديثة والقاموس الذي يكتفي بتدوين الحي المستعمل من الألفاظ. والمفاضلة بين القاموس الذي يؤرخ للعربية المكتوبة دون غيرها والقاموس الذي يدوّن الألفاظ المكتوبة وغير المكتوبة وبين القاموس الذي يهتم بالفصيح واللهجي والعامي والقاموس الذي يقتصر على تدوين الفصيح، والموازنة بين القاموس الذي يدرج الألفاظ العامة وأسماء الأعلام والمصطلحات التقنية والعلمية والفنية والقاموس الذي يكتفي بالألفاظ العامة.

وقد سبق أن أشرنا في مقالنا الموسوم ب"مكانة المصطلح في المعجم التاريخي" (والمنشور ضمن هذا التأليف) أن الأجدى للمعجم التاريخي للغة العربية أن يدوّن المصطلحات الشائعة الاستعمال وإسناد مهمة تدوين المصطلحات المتخصصة لمصنفي المعاجم الاصطلاحية في مختلف العلوم والفنون والتقنيات.

٥- كيفية صياغة مواد القاموس وطرق تعريفها وترتيبها بالاختيار بين الشروع برصد الألفاظ التي ظهرت منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا أو العكس وبين ترتيب للمواد يستند إلى أساس اشتقاقي أو ألفبائي أو تاريخي أو أصلي أو فرعي.

إن الإجابة عن كل هاته الأسئلة هي التي تمكّن من تحديد مواصفات القاموس التاريخي، كما أن اختلاف الإجابات علة الاختلاف في تحديد المقصود بمفهوم "القاموس التاريخي".

شرع الدكتور الودغيري - بعد هذه التوضيحات المرتبطة بتحديد مفهوم "القاموس التاريخي" وعرض التجربة الفرنسية- في عرض نموذج مختصر عن مواصفات تصوره لخطة إنجاز القاموس التاريخي العربي، بالتركيز على تحديد أهدافه ووصف مدوّنته المعجمية ومصادرها وسبل الإنجاز والمراجعة، وعرض نوع المعلومات الواجب إدراجها بكل مدخل من مداخل القاموس وصيغ ترتيبها.

فبخصوص الأهداف: يتمثل الهدف العام من بناء القاموس التاريخي العربي في التأريخ للغة العرب عبر عصورها المختلفة، كما أن من الأهداف الفرعية: تزويد الأكاديميين بمعطيات عن استعمالات الألفاظ العربية ومجمل التطورات التي لحقتها، وإنجاز كتاب يحتل موقعا وسطا في جانبه الموسوعي نظرا لطابع الاستعجال الذي يفرض على اللغويين تحقيق هذا المشروع نتيجة الفراغ الحاصل في هذا المجال، وأن يجمع المشروع بين الطابعين التزامني والتعاقبي في وصف الوحدات اللغوية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وبخصوص مدونة القاموس يقترح الباحث أن تشمل كل ألفاظ العربية الفصيحة المشتركة إضافة إلى اللهجات القديمة والمفصّحة التي دونتها القواميس العامة والمولدات القديمة والحديثة الأصيلة والدخيلة والمعربة المهجورة والمتداولة التي استحدثتها المجامع اللغوية وكبار كُتاب العربية مع استبعاد أسماء الأعلام البشرية والجغرافية (ما عدا المنقولة) والاصطلاحات العلمية والتقنية الموغلة في التخصص.

يتمّ جمع مواد المدونة من مصادر منقوشة ومخطوطة ومطبوعة ورقمية تحدّد بعناية ويمكن توسيع قائمة المصادر في مرحلة لاحقة مع ضرورة تمحيص المصادر الرقمية للتحقق من خلوها من أخطاء وتحريفات.

يدعو الباحث في مرحلة الإنجاز والمراجعة إلى ضرورة بناء "برامج حوسبية" مخصصة لهذا الغرض من لدن تقنيين ومراجعة لغويين ومصطلحيين وإلى تخزين نصوص المدونة المرتبة ألفبائيا في وعاء رقمي آمن أو مصرف مركزي، ولا يجد الباحث الودغيري مانعا من الجمع بين نظام العمل الآلي ونظام الجذاذات اليدوية المصوغة على أنموذج موحد.

ويبرز المعجمي المغربي أهمية إشراك شركاء من المؤسسات المختصة أو الأفراد المهتمين بهذا الموضوع، ويعتبر النصوص المتوفرة بمعجم ألفاظ القرآن الكريم ومعجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف وألفاظ الفقه الإسلامي والشعر العربي بمختلف عصوره وأمهات القواميس القديمة والحديثة ومصطلحات العلوم والفنون النواةَ الأساسية لمدونة القاموس التاريخي القابلة للتطوير.

ومن المعلومات التي يستسيغ الباحث الودغيري إدراجها بالمداخل: معلومات صوتية وصرفية واشتقاقية وتأثيلية ودلالية بحسب السياقات ومجالات الاستعمال، وينبّه الباحث إلى أهمية التأريخ لكل معنى بصياغة تعريفات مركزة للمداخل.

أما الترتيب فيحبّذ الكاتب مراعاة ترتيب المداخل الكبرى (الجذور) ترتيبا اشتقاقيا ثم ألفبائيا، وبحسب هيئتها إذا كان اللفظ دخيلا. كما يدعو الباحث بُناة هذا المشروع إلى استعمال نظام الإحالة ومراعاة الترتيب المنطقي والتاريخي.

يقدم الدكتور الودغيري جملة من المقترحات في الختام أهمها:

- إنشاء مجلة علمية محكّمة متخصصة في صيغة رقمية وورقية تهتم بالبحوث النظرية والتطبيقية المرتبطة ببناء القاموس التاريخي.
- التشجيع على نشر الدراسات والبحوث التي تندرج في نطاق المشروع.
- بناء موسوعة إلكترونية تفاعلية لما لها من فائدة في توفير بعض مواد القاموس المنشود.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- الاستعانة بجهود الأفراد في تحقيق المخطوطات وبجهود المؤسسات لدعم الجوانب المادية والتقنية للمشروع مع إمكانية إنشاء وقفية يُسهم الجميع في دعمها (دولا وجمعيات وأفرادا) لدعم المشروع.

ملاحظات عامة:

- يشير "ليتري" (Littré) إلى أن أول من دعا إلى استخلاص الاستشهادات من نصوص كبار الكُتاب هو الكاتب الفرنسي "فولتير" (Voltaire)[(١)]. وبذلك يتبين أن اهتمام المعجميين بالنصوص في بناء مواد المعجم يرجع لزمن بعيد بينما لا زلنا نعاين مستهل القرن الواحد والعشرين من يستبعد النصوص في تحرير مواد المعجم العربي مقتصرا على جهود سابقيه من المعجميين، مع أن أسلافنا من اللغويين دونوا اللغة من أفواه العرب المعتدّ بفصاحتهم.
- ما يميز مقال الدكتور الودغيري عن بقية المقالات المنشورة بالكتاب احتفاظه بالمصطلحات التي أقرّها بأعماله السابقة[(٢)] بتمييزه بين "المعجم" و"القاموس" على أساس تضمّن المفهوم الثاني لركن التعريف، ويستند الكاتب في ترسيخ هذه التسمية على كتاب الفيروزآبادي الذي نعته ب"القاموس المحيط"، وهي تسمية مجازية إذ تدلّ اللفظة في الأصل على البحر العميق القعر.

وبما أن الرحلة متواصلة بين الحقيقة والمجاز، فقد آثر الودغيري تحويل هذه اللفظة من استعمالها المجازي لتلج عالم الاستعمال الاصطلاحي الذي يجري على ألسنة المعجميين والقاموسيين مجرى بقية المصطلحات، وكان الدافع إلى هذا التمييز إيجاد مقابلات للمصطلحات الأجنبية في المجال المعجمي التي تميز بين "Lexique" و"Dictionnaire" على الأساس المشار إليه أعلاه (أساس التعريف).

الفصل الثالث: منهج "أوغست فيشر في المعجم التاريخي"
للدكتور عبد العزيز بن حميد الحميد

يعتبر كاتب هذا المقال أن معجم "فيشر" (١٨٦٥-١٩٤٩) (أو الجزء المنجز منه) من أفضل الإنجازات التي أثَّرت في الدراسات المعجمية العربية، وعلى الرغم من أهمية هذا الإنجاز فقد عرض المستشرق الألماني مشروعه على أكثر من جهة (بازل ١٩٠٧، كوبنهاغن ١٩٠٨، أثينا ١٩١٢) قبل أن يتبنى المجمع القاهري المشروع ويحتضنه، وقد ساعد "فيشر"

---

(١) Comment j'ai fait mon Dictionnaire, Post f, de Jaque Cellard, Picquier, Poche, ٢٢ ; ١٩٩٥.

(٢) ومنها كتابه: قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

في جمع مواد مشروعه بعض المستشرقين، من أمثال: "هاينريش ليبرفت فلايشر"، "هاينريش توربيكه"، "فريتس كرنكو"، "بوهاس بيدرسن".

يعتبر الباحث السعودي أن تميّز منهج المستشرق الألماني في العمل المعجمي هو ما دفع المجمع القاهري إلى احتضان مشروعه، إذ يقوم تصور "فيشر" على نقد المعاجم العربية ومعاجم المستشرقين القائمة على جمع المواد من المعاجم العربية السابقة، بينما يدعو "فيشر" إلى الاعتماد في عمليات الجمع على النصوص، وممّن آزره في هذه الدعوة المستشرق الفرنسي "لوي ماسينيون" (Louis Massignon) والمصري "حسن حسني عبد الوهاب"[1].

وأشار صاحب المقال إلى اختلاف الدارسين في تحديد المؤثرات التي أثرت في "فيشر"، فمن الدارسين من يردّها إلى أصل بريطاني، بالتحديد معجم أكسفورد التاريخي[2]، وهناك من الدارسين من يردّ هذا التأثير إلى مصادر أخرى، بالتحديد أعمال المستشرقين "توربكيه" و"هيرديكين"[3].

المنجز من معجم "فيشر":

توفي المستشرق الألماني بألمانيا بعد كوارث الحرب العالمية الثانية، ولم يتمكن بسبب ظروف الحرب من إتمام تحريره للمعجم التاريخي، فما أنجز من هذا المعجم لا يتجاوز المواد التي تستهل بحرف الهمزة إلى حدود المدخل "أبد"[4]، غير أنّ المستشرق الألماني قدّم أنموذجا آخر من نماذج مشروعه بجلسات المجمع القاهري، ويشمل المواد التي استطاع استخلاصها لمدخل "أخذ" وتقع في ستمائة جذاذة[5].

---

(١) انظر محمد رشاد الحمزاوي (١٩٨٨)، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومجمعا، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص: ٥٠٧.

(٢) إنه رأي "إبراهيم مدكور" (١٩٦٤)، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (١٩٣٢-١٩٦٢)، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. ورأي المرحوم "أحمد مختار عمر" (١٩٨٢)، البحث اللغوي عند العرب، الطبعة الرابعة، القاهرة، عالم الكتب، ص: ٢٧٣.

(٣) الحمزاوي (١٩٨٨)، نفس المرجع السابق، ص ص: ٩٨-٥٠٩-٥١٠.

(٤) أوغست فيشر (١٩٦٧)، المعجم اللغوي التاريخي، القاهرة، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

(٥) انظر للاستزادة: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، محاضر الجلسات، الانعقاد الثالث، الجلسة الثامنة، (١-١١-٢٥/١٣٥٤-١-١٩٣٦) (ص ص: ١٠٨-١١٥).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

منهج "فيشر" في صناعة المعجم:

يتميز المستشرق "فيشر" عن بقية معاصريه من المستشرقين واللغويين العرب بتصوّره الخاص عن الصناعة القاموسية، ومما يميز منهجه استناده إلى أربعة أسس رئيسية:

- يقوم الأساس الأول على مادة المعجم، حيث اعتبر "فيشر" أن المعجم المنشود يجب أن يتوفر على كل كلمة وجدت في اللغة ابتداءً من نقش النمارة (أي القرن الرابع قبل الميلاد) إلى حدود القرن الثالث الهجري، نستخلص من هذا التحديد أن المستشرق يهتم بتدوين الفصيح من العربية دون المولد والعامي بما أنه حصر عملية استخلاص المصادر في "منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من الكمال"[1].

وقد أحصى الباحث السعودي المصادر التي استند إليها المستشرق الألماني فوجد أنها تبلغ مئتين واثنين وتسعين مصدرا[2]. كما لاحظ الباحث التونسي الدكتور الحمزاوي رشاد أن "فيشر" استفاد كثيرا من المصادر المجموعة التي حققها ونشرها المستشرقون، غير أنه جمع الأساسية منها والثانوية في زمرة واحدة[3].

- يختص الأساس الثاني من تصور "فيشر" ب"المدخل"، حيث ميز بين الكلمات العربية والكلمات الأعجمية، فأدرج ضمن مداخل الكلمة العربية: المادة الأصلية مجردة من الزوائد، تليها مشتقات تلك المادة، بينما أدرج الكلمة الأعجمية على هيئتها، لا سيما "الدخيل" الذي لم يتصرّف فيه العرب.
- ينظر الأساس الثالث في "الترتيب"، إذ ميّز المستشرق الألماني بين ترتيبين: ترتيب خارجي للمداخل يراعي الأحرف الأولى فالثانية فالثالثة، ثم ترتيب داخلي للمشتقات بإعطاء الأولوية للفعل المجرّد فالمزيد بحرف فحرفين فثلاثة أحرف، تليها مرتبة الأسماء المجردة فالمزيدة.
- يقوم الأساس الرابع على ركن "الشرح"، إذ يلجأ المعجمي إلى ضبط كلمات المعجم بمنتهى الدقة، ثم يستشهد لكل استعمال بشاهد موثّق، سواء كان شعريا أم نثريا يذكر تاريخه ويميز فيه بين العربي الأصيل والمعرب والدخيل ويعرّف بالاصطلاحات بذكر ما يكافئها في

---

(١) أوغست فيشر (١٩٦٧)، نفس المرجع، ص ص: ٢٥-٢٦.

(٢) عبد العزيز بن حميد الحميد (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ٨٤.

(٣) محمد رشاد الحمزاوي (١٩٨٩-١٩٩٠)، تاريخ المعجم التاريخي العربي (متع) في نطاق العربية: المبادرات الرائدة، مجلة المعجمية، العددان: ٥-٦، ص: ٢٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العصر الحديث.

ويركّز "فيشر" في تناول المدخل المعجمي بالشرح والتحليل على سبع ركائز:

أ- الركيزة التاريخية، برصد تطور دلالات الألفاظ والمصطلحات

ب- الركيزة الاشتقاقية بذكر أصل الكلمة ونسبها وضبطها صوتيا

ت- الركيزة التصريفية، تتناول صيغ المدخل بالتمييز فيها بين ما صيغ بصيغ قياسية وما صيغ بصيغ سماعية.

ث- الركيزة التعبيرية، بتقديم المعاني العامة على المعاني الخاصة والمعاني الحسية على المعاني العقلية والحقيقية على المجازية.

ج- الركيزة النحوية، بالنظر في الحالات النحوية للمداخل، من حيث التعدي واللزوم في الأفعال، ومن حيث الاستعمال المطلق الجائز والاستعمال المقيّد في الأسماء.

ح- الركيزة البيانية، بالتنبّه إلى قضايا بلاغية كصيغ الإتباع والمزاوجة وصيغ المشاكلة وصيغ التوكيد والتضاد (الطباق).

خ- الركيزة الأسلوبية، بتحديد الاستعمالات العامة والخاصة.

يستخلص الباحث السعودي بعد بسط منهجية "فيشر" في صناعة القاموس التاريخي أن هذا الأخير بحكم أعجميته لم يتمكّن من تحديد الصلات القائمة بين المعاني الحقيقية والمجازية، كما يحكم بمبالغته في التفريق بينهما. ويوصي الكاتب بعد عرض مزايا منهج المستشرق (المتمثلة في تجربته الكبيرة في تناول قضايا المعجم واستناده إلى النصوص الأصلية) ومثالبه (المتجلية في خلطه أحيانا بين الصيغ وتعديده للمعنى الواحد) ب:

- ضرورة الاستفادة من نظرة "فيشر" الخاصة بمعالجة الألفاظ لا سيما ما ارتبط بالركائز السبعة.
- أهمية وضع منهج دقيق لكل مراحل إنجاز المعجم التاريخي قبل الشروع في عمليات البناء.
- العناية بدراسات المستشرقين واللجوء إلى تحليلها ونقدها.

ملاحظات:

- من المؤكد أن دراسة الباحث السعودي المتخصص والخبير في قضايا المعجم تتسم بالشمولية، وكان من الأجدى لو تمكن الباحث بفضل هذه الخبرة من تطبيق تصوّر "فيشر" للصناعة المعجمية على مدخل من المداخل العربية غير تلك المداخل التي قدمها

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المستشرق الألماني كنماذج، وبذلك يمكن للقارئ معاينة مدى نجاعة منهج "فيشر" في صناعة القاموس التاريخي، ومدى إمكانية تطبيق الركائز السبعة المشار إليها أعلاه.

- يلاحظ القارئ لمقال "عبد العزيز بن الحميد الحميد" أنه أهمل في بعض المواضع الإحالة بدقة إلى المراجع والمصادر (نقتصر في هذا المقال على الإشارة إلى هامش رقم ١٠ من الصفحة ٨٠)، والراجح أن مردّ هذا الإغفال أن بحثه مقتطف من الأطروحة التي تقدم بها لنيل الدكتوراه دون أن يحرص الباحث على إعادة تنسيق الإحالات في الجزء المقتطف.
- تفرّد الباحث في استعمال بعض المصطلحات، مثال ذلك مصطلح "جزازة"، ويتساءل المرء عن دوافع هذا التفرّد في استبدال مصطلح "جذاذة" الذي اتفق على استعماله العام والخاص، مع أن الأصل الدلالي لكلمة "جزازة" مشتق مما يتبقى من صوف أثناء عملية الجزّ أي القصّ[١].
- لقد فات الباحث عبد العزيز بن الحميد الإشارة في عرضه لمجهودات فيشر وما تم إنجازه من مواد في عمله إلى أن طريقة عمل هذا المستشرق وأهدافه لا تمثل منهجية لتصنيف المعجم التاريخي للغة العربية، وإنما تمثل منهجية لوضع معجم تاريخي يمثل حقبة زمنية محددة (من الجاهلية إلى العصر العباسي)، وقد سبق للدكتور القاسمي أن تنبّه إلى هذا الأمر في تقييمه للتجارب العربية المتصلة ببناء المعجم التاريخي للغة العربية[٢].

الفصل الرابع: التلازم الدلالي والترسيس للباحث عبد الرزاق بنور

يخصص الباحث التونسي الدكتور عبد الرزاق بنور مقاله للتأكيد على الفروق القائمة بين المعجم الوصفي الآني والمعجم التاريخي التبريري والمعجم التأصيلي (التأثيلي)، ويقترح آليات نظرية وإجرائية لتصميم شبكة من الترابطات القائمة بين معاني المدخل الواحد ومداخل معجمية متعددة.

---

(١) انظر في ذلك: قاموس المعاني على الرابط: http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

(٢) تراجع قراءتنا لهذا الإصدار: أسس المعجمية والصناعة المعجمية العربية والغربية من خلال كتاب الدكتور علي القاسمي: "صناعة المعجم التاريخي للغة العربية"، ضمن أعمال الجزء الرابع من سلسلة "المعجمية العربية: قضايا وآفاق"، إعداد وتنسيق: الدكتور منتصر أمين عبد الرحيم، والدكتور خالد اليعبودي.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يستهل الباحث البحث بوضع مجموعة من الفرضيات، أهمها:

- لا يجوز اعتبار الجذر – وهو الوحدة المعجمية الدنيا في الساميات بما فيها العربية- كيانا مستقلا بذاته دلاليا وتصريفيا. إنما يعد وحدة مجرّدة، يستدل الكاتب على صحة هذا المعطى بالقول: لو كان الجذر أصلا ل "أصبح مشروع المعجم التأصيلي العربي الذي ننادي به منذ زمن طويل غير ذي معنى، لأن الأصل لا يحتاج إلى تأصيل"[(١)].
- تتحدد الفروق بين المعجم التاريخي والمعجم التأصيلي والمعجم اللغوي في كون الأول يختص بعرض نتائج البحوث التأصيلية المرصودة بالنوع الثاني من المعاجم، ويمثل بالضرورة مراحل تطور اللفظة وتبريرها، لذلك كان حجمه أهم كثيرا من أحجام معاجم النوعين الثاني والثالث.
- إهمال المستشرق الألماني فيشر في موضوع ترتيب المداخل الإشارة إلى ضرورة وضع المعنى المحايد قبل المعنى المحظور، ومجانبته الصواب في تقرير ضرورة ترتيب المعاني من العام إلى الخاص. يعلل الكاتب وجود هذا الخطأ في تصور "فيشر" وغيره من المعجميين في اعتبار الجميع أن المعنى العام مرتبط بالكلمة والمعنى الخاص متعلق بالمصطلح، بينما يرى الدكتور "بنور" أن العكس هو الصحيح بالنظر إلى أسبقية المصطلح للكلمة[(٢)]، بدليل أن اللغة العربية مرت في نظره بمرحلة هولستية (HOLISTIC) حيث يضطر المرء إلى ترجمة معنى لفظ باللجوء إلى نصّ كامل[(٣)].
- الترتيب الزماني لمعاني مداخل المعجم التاريخي أمر ضروري غير أنه غير كاف إذا لم يُرفق بتفسير لكيفيات انتقال معاني المدخل من مجال إلى مجال أو ارتباط مداخل متعددة بصلات دلالية.

شرع الباحث بعد تقديم هذه الفرضيات في عرض آلياته النظرية والمنهجية التي سيستثمرها في رصد الشبكات الدلالية القائمة بين الألفاظ وتقوم أساسا على التلازم الدلالي والترسيس كما تتكون من مفهومين إجرائيين هما: "الجذمور" و"الشبه العائلي". وتتمثل غايات الباحث في تفادي ما عاينه من "شبه الفوضى في ترتيب المعاني حيث يُذكر ما

---

(١) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، التلازم الدلالي والترسيس، في كتاب: نحو معجم تاريخي، ص ١١٤.

(٢) يحيل الباحث إلى تطرقه لهذا الموضوع بمداخلة شارك بها ضمن وقائع ندوة "علم المصطلح"، دار المعلمين العليا بتونس- نوفمبر ٢٠١٠ تحمل عنوان "أسبقية المصطلح على الكلمة".

(٣) كما هو الحال في تفسير لفظة "مظع" بما يلي: "مظعتُ الخشبة إذا قطعتها رطبة ثم وضعت بلحائها في الشمس حتى تشرّب ماءها ويُترك لحاؤها عليها لئلا تتصدّع وتتشقق". عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ١١٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

يبدو أنه المعنى الأشهر أو الأقرب إلى الاستعمال اليومي في تاريخ الجمع ثم تلقى بالمعاني الأخرى تباعا ويحصل أن تذكر المعاني أكثر من مرة فتلفّ وتدور"[(١)] ، كما هو الحال في المعجم الوسيط، (مادة "وقر" على سبيل التمثيل). ولا يفوت الباحث أن يذكّر بجهود اللغوي ابن فارس في "المقاييس"، فهو "اللغوي الوحيد الذي حاول تنظيم الدلالات في مجموعات تربط بينها قواسم مشتركة تقترب كثيرا مما نسميه اليوم الحقول الدلالية"[(٢)] . ومع ذلك فقد فات صاحب المقاييس الكثير من الأمور في موضوع "الترسيس" أشار إليها الباحث التونسي في بحثه هذا كعدم الربط بين معنى "الوقير" ومعنى "القطيع"[(٣)] .

يرى الباحث أن هذه الآليات النظرية والمنهجية كفيلة ب"التفطن إلى العلاقات التي بُني بموجبها المعجم العربي في تطوره"[(٤)] ، وبتوفير "آليات تفسير المشترك الدلالي وتعدّد المعاني في العربية"[(٥)] . مما يستلزم تجنب تعدد المداخل المعجمية إلا باعتبارها أشكالا مستعملة تحيل إلى المدخل الأصلي، ذلك أن تعدد المداخل يوهم بوقوع الاشتراك اللفظي لا الاشتراك الدلالي (:الترادف)[(٦)] .

لكن ما المقصود من هاته المصطلحات التي يستخدمها الباحث بنزعة تفرّدية؟

في سبيل تحديد المفاهيم:

يصرّح الدكتور بنور أن مراده من توظيف مصطلح "الترسيس" (Reconstruction): "إعادة بناء الأشكال المفترضة أو الحلقات الناقصة في التسلسل التطوري"[(٧)] بالاستناد إلى "القوانين الصوتية أو القواعد المستنتجة من قياس الشبه والتواتر والاطراد"[(٨)] .

---

(١) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، المرجع السابق، ص: ١٢١.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع، ص: ١٢٣.

(٤) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع السابق، ص: ١٢٤.

(٥) نفس المرجع. ويعتبر الباحث أن تعدد معاني المادة الواحدة غير وارد زمن الوضع وإنما هو حادث بفعل التوسع في الاستعمال (نفس الإحالة السابقة).

(٦) الدكتور عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع السابق، ص: ١٢٩.

(٧) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ١٢٠.

(٨) نفس المرجع السابق. يشير الباحث أيضا إلى أن الدارس عبد الحق فاضل سبق له أن استعمل هذا المصطلح بمعنى "التأثيل" والرجوع إلى الأسّ البدائي، ويذكر الباحث التونسي أيضا عدم لجوئه إلى مصطلح "الجندرة" للإحالة على مفهوم "الترسيس" مع أنه يفي بالغرض، لدلالته على معنى إعادة إمرار القلم على ما درَس من الخط وإعادة إظهار الوشي، وقد استبعد الكاتب هذا الاصطلاح لأن الأدبيات النقدية الحديثة أكسبته شحنات دلالية مغايرة. عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: هامش:*.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

يقسم الدارس عمليات "الترسيس" إلى نوعين:

- هناك الترسيس الداخلي، وهو ترسيس ترتيبي من منطلقات متعددة: زمانية (باعتبار أقدمية واقعية أو مفترضة)، أو منطقية (تصل السبب بالنتيجة)، أو تصريفية (تجمع البسيط بالمركب). لا يعدو أن يكون الترسيس الداخلي إعادة ترتيب لمعطيات موجودة واضحة في تعالق بعضها ببعض، كما هو الحال في معاني المدخل "وقر".
- وهناك الترسيس الخارجي القائم على إعادة تشكيل الحلقات المفقودة على المستويات الصوتية والتصريفية والدلالية.

غالبا ما ينعدم توفر كل المعطيات في الترسيس الخارجي، بحيث تبدو الصلات بين دلالات المدخل المعجمي غير واضحة، إنها حالات تتطلب "إعادة بناء ما غاب من العلاقات أو إبراز سبل الربط بين المعطيات الحاضرة"[(١)]، لذلك يعتبر الكاتب أن النوع الأخير من الترسيس الأكثر تعقيدا لاستناده إلى معطيات خارجية كالاطلاع على مواد اللغات السامية من شقيقات العربية.

في سياق التحديد المفهومي ينبه الباحث التونسي إلى عدم الخلط بين "الترسيس" القائم على إيجاد الصلات الدلالية بين معاني اللفظ أو بين معاني الألفاظ بعدما اندثرت وامّحت بفعل الزمن وبين "التأصيل الشعبي" (Folk Etymology/ Etymologie populaire) أو "التأثيل الواهم" القائم على التخمينات البعيدة التي لا يوثقها الواقع اللغوي، وقد سبق لنا دراسة هذا الباب من قبل حينما أحلنا إلى تعليلات اللغويين العرب القدامى فيما يتعلق بإيجاد علل التسميات، كالربط بين "الخيل" و"الخيلاء"، و"الجرّ" و"الجرجير"[(٢)]، ما حثّ الباحث التونسي على الدعوة للتسلح بالضوابط المنهجية تفاديا للوقوع في هذه الاشتقاقات البعيدة التي شبهها بالوقوع في الرمال المتحركة[(٣)]. أما فيما يرتبط بمفهوم "التلازم الدلالي"، فلا نجد تعريفا له في مقال الباحث، كل ما هنالك هو ذكر لمقابله الأجنبي (Parallélisme sémantique)[(٤)]، والراجح عندي أن المفهوم يفيد: الصلات الدلالية المرتبطة بين

---

(١) نفس المرجع السابق، ص: ١٢٨.

(٢) انظر: خالد اليعبودي (١٩٩٥)، محاولة فهم جديدة للاشتقاق والصرف العربيين، رسالة لنيل دكتوراه السلك الثالث، مرقونة بكلية الآداب ظهر المهراز، فاس، الجزء الأول، مبحث: الاشتقاق الشعبي.

(٣) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع السابق، ص: ١٢٢.

(٤) يشير الباحث إلى أن هذا المفهوم تعريب للمقابل الأجنبي "Parallélisme sémantique"/ "Sémantic Parallelism"، وقد استخدمه اللساني الفرنسي "شانتران" (Chantraine Pierre) ووظفه في سياقه الدلالي الباحث الفرنسي "ميشال ماصون" =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

استخدامات متعددة للفظ، أو بين ألفاظ متعددة.

من نماذج التلازم الدلالي في العربية:

يعود الباحث التونسي لرفع الغموض عن مفهوم "التلازم الدلالي"، فيعتبره قائما في حالة ورود بعض المعاني متتابعة بتواتر واطراد في الكثير من المداخل المعجمية، بحيث يقتضي وجود معنى "أ" وجود معنى "ب"، يقدم مثالا لذلك بورود معنيَيْ "السمن" و"الامتلاء" متتابعين في الألفاظ التالي: "رعَبَ" (ومشتقاتها) و"دلخ" (ومشتقاتها) و"وزأ" (ومشتقاتها) و"جحدل" (ومشتقاتها) و"حلم" (ومشتقاتها) و"حظب"(ومشتقاتها) و"دأظ" (ومشتقاتها)[(١)]. وبوجود قاسم مشترك يجمع مداخل: "ذهب"، "فضة"، "تبر" يتمثل في: معاني "الذهاب" و"الهلاك" و"المعدن النفيس"[(٢)].

ويوظف الباحث مفهوم "جذمور"[(٣)] بديلا لمفهوم "الجذر" الذي يعدّ وحدة مجرّدة لا

= (Masson Michel) في كتابه: "Matériaux pour L'étude des parallélismes sémantiques, Paris, Presses de la sorbonne nouvelle, ١٩٩٩"، ويرى الباحث التونسي أن مصطلح "التوازي الدلالي" يفيض بدلالات لا توجد بالمصطلح الأجنبي "Parallélisme"، لذلك لا يحبّذ استعماله.

(١) نفس المرجع، ص: ١٢٨.

(٢) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع السابق، ص:١٤٢.

(٣) تتوضح العلاقة بجلاء بين مفهومي "الجذر" و"الجذمور" بمعاينة بعض التعريفات التي أسندت للفظ الثاني بالمعاجم العربية التراثية، من ذلك:

معنى جذمر في" تاج العروس": الجُذْمُورُ بالضَّمِّ : أَصْلُ الشَّيْءِ أَو أَوَّله وجِدْثانه أَو هو القِطْعَة مِن أَصْلِ السَّعَفة تَبْقَى في الجِذْعِ إِذا قُطِعَتْ أَي السَّعَفة تَبْقَى في الجِذْعِ إِذا قُطِعَتْ أَي السَّعَفة كالجِذْمار بالكسر وكذلك إذا قُطِعتِ النَّبْعَةُ فبَقِيَتْ منها قِطْعَةٌ ومثله اليَدُ إذا قُطِعَتْ إلا أقلَّهَا.

وفي التَّهذيب : وما بقِيَ من يَدِ الأَقْطع عند رَأْسِ الزَّنْدَيْن جُذْمُورٌ. يقال : ضَرَبَه بجُذْمُوره وبقِطْعَته قال عبدُ الله بن سَبْرَة يَرْثِي يَدَه: فإِنْ يَكنْ أَطْرَبُونُ الرُّومِ قَطَّعها... فإنّ فيها بحَمْدِ الله مُنْتفَعا بَنَانَتان وجُذْمُورٌ أُقِيمُ بها... صَدْرَ القَنَاةِ إذا ما صارِخٌ فَزِعَا. وعن ابن الأَعْرَابِيّ : الجُذْمُورُ : بَقِيَّةُ كلِّ شيْءٍ مَقطوعٍ ومنه : جُذْمُورُ الكِبَاسَةِ. ورَجُلٌ جُذَامِرٌ كعُلابط : قطّاعٌ للعَهْد والرَّحِم قال تأَبّط شراً: فإنْ تَصْرِميني أو تُسِيئِي جَنَابَتِي... فإِنّي لَصَرَّامُ المُهِينِ جُذَامِرُ. يقال : أخذَه أي الشَّيْءِ بجُذْمُوره وبجَذاميره أي بجَمِيعه وقيل : أخَذَه بجُذْمُوره أي بجِدْثانِه. وقال الفرّاءُ : خُذْه بجِذْمِيرِه وجِذْمارِه وجُذْمُورِه.

معنى جذمر في لسان العرب الجِذْمارُ والجُذْمُورُ أَصل الشيء وقيل هو إذا قُطعت السَّعَفَةُ فبقيت منها قطعة من أَصل السعَفة في الجِذْعِ بزيادة الميم وكذلك إذا قطعت النَّبْعَةُ فبقيت منها قطعة ومثله اليد إذا قطعت إلاَّ أَقَلَّها التهذيب وما بقي من يد الأَقطع عند رأْس الزَّنْدَيْنِ جُذْمُورٌ يقال ضربه بجُذْموره وبقطعته قال عبدالله بن سَبْرَةَ يرثي يده فإِن يكن أَطربُونُ الرُّومِ قَطَّعَها فإِنَّ فيها بحمدِ الله مُنْتَفَعا بَنَانَتانِ وجُذْمُورٌ أُقِيمُ بها صَدْرَ القَنَاةِ إذا ما صارِخٌ فَزِعا ويروى إذا ما آنَسُوا فَزَعا ابن الأَعرابي الجُذْمُورُ بقية كل شيء مقطوع ومنه جُذْمُورُ الكِباسَةِ ورجل جُذامِرٌ قَطَّاعٌ للعهد والرَّحِم قال تأَبَّطَ شَرّاً فإِن تَصْرِمِيني أَو تُسِيئِي جَنابَتِي فإِنِّي لَصَرَّامُ المُهِينِ جُذامِرُ وأَخذ الشيءَ بِجُذْمُورِه وبجَذامِيرِه أَي بجميعه وقيل أَخذه بِجُذْمُوره أَي بِجِدْثانِهِ الفراء =

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

وجود لها بالواقع اللغوي، ويعتبر المفهوم الأول مؤسسا لمفهوم الشبكة الدلالية والصوتية يتيح تشكيل ملامح التعالق الجوهري بين مواد المعجم، ويمهّد لتوظيف مفهوم محايث له: هو مفهوم "الشبه العائلي".

كما يُعرّف الكاتب مفهوم "الشبه العائلي" بكونه تناظرا بالجملة وتناظرا بالتفصيل، أي أنه تناظر متداخل ومتقاطع يرد في شبكة معقدة تتوفر على سمات تتأرجح بين الحضور والغياب، وهو مفهوم يتعالق أيضا بمفهومي "العائلة الكلمية" (أسرة الكلمات) و"الحقل الدلالي"، لكنه يتباين عنهما من حيث عدم وجود قاسم مشترك في "الشبه العائلي" بين أعضاء المجموعة كافة، وإنما تتوافر قواسم مشتركة بين ثنائيات وثلاثيات من عناصر المجموعة تترابط فيما بينها في مستوياتها الصوتية والدلالية دون أن تنتظم في خيط واحد متصل [(١)].

إنها مفاهيم يوظفها الباحث في سلسلة من الإجراءات والمقارنات من خلال معاينة طريقة معالجة المستشرق الألماني "فيشر" لمادة "أبد"، وذلك لاختبار مدى صلاحية هاته الآليات في الكشف عن التلازم الدلالي القائم بين وحدات المعجم العربي.

يستخلص الدكتور بنور على أثر مراجعته لمضامين مادة "أبد" بالجزء المنشور من عمل "فيشر" جملة من الأمور، نذكرها فيما يلي:

- إن مصنف المعجم التاريخي غير ملزم بإبراز صلات معاني مدخل عربي بمعانيه في اللغات السامية ما عدا إذا تعلق الأمر بحالة الاشتراك اللفظي في غالبية اللغات السامية.
- تعدّ محاولة فيشر عملا تمهيديا غير تام بالنظر إلى اكتفائه بالعودة إلى المظان السامية دون حرص على الربط بين المواد ربطا يبرز التدرّج التعاقبي في الاستعمال.
- يفيد الترسيس في الكشف عن أشكال من التناوب القائم بين صوامت المداخل العربية (وشقيقاتها السامية) كتعاقب الهمزة والهاء والسين في "هلك"، "ألك"، "سلك" [(٢)]. وهو تعاقب سبق لبعض المستشرقين اكتشافه (نايبرغ (Nyberg) (١٩٢٠)).
- مكّنت آلية التلازم الدلالي من تفادي إدراج التأثيلات الشعبية، كما برهنت على وجود

= خذه بجِذْمِيرِه وجِذْمارِه وجُذْمُورِه وأَنشد لَعَلَّكَ إِنْ أَرْدَدْتَ منها حَلِيَّةً بِجُذْمُورِ ما أَبْقَى لك السَّيْفُ تَغْضَبُ معنى جذمر في الصحاح في اللغة الجُذْمورُ والجِذْمارُ: قِطعة من أصل السعفة تَبقى في الجِذع إذا قُطعت. وأَخَذْتُ الشيء بِجَذاميرِه، إذا أخذتَه كلَّهُ. انظر المزيد من التعريفات على الرابط التالي: http://www.maajim.com/dictionary

(١) عبد الرزاق بنور (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص:١٣٥.

(٢) نفس المرجع، ص:١٤٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أربعة معان لمادة "أبد" سبق ل "فيشر" أن أثبتها: "الذهاب" و"القفر" في العربية و"الضلال" و"الهلاك" في بقية اللغات السامية، إضافة إلى معنيين آخرين يردان بنسب أقل هما "الوحوش" و"التوحّش" [1].

خلاصــات:

ينتهي الباحث بعد عرض عدة مواد لغوية إلى خلاصة مفادها أن وظيفة المعجم التاريخي هي بالأساس ضبط حالات التطور الدلالي للكلمات وعرضها، وإلى أنّ أشدّ العقبات التي تواجه مصنفي هذا المعجم: حالات الاشتراك اللفظي والدلالي (المشترك اللفظي والمترادف)، وهي حالات تتزايد بتزايد استعمالات المادة الواحدة (كما هو الأمر في مادة "حمم" التي تضمّ أزيد من خمسين استعمالا) وهو ما يدفع الباحث إلى ترسيس التطور الذي يمثل آلية تعوض عن نقص الشواهد وتمكّن من إثبات تدرّج تولّد المعاني باعتبار أسبقية بعضها للبعض الآخر، وتتيح ضبط أوجه الصلات الدلالية والمنطقية والسياقية التي تربط كل معنى بآخر.

ملاحظـــات:

- لا شك أن الباحث عبد الرزاق بنور بذل الكثير من الجهد للبرهنة على أهمية الترسيس والتلازم الدلالي كآليتين ناجعتين في الكشف عن الارتباطات القائمة بين الألفاظ العربية وبينها ونظيراتها من الساميات، وقد استفاد كثيرا من نتائج أبحاث علماء الساميات ومن متون معجمية تراثية، كما وظف نتائج البحث اللساني المقارن، واستثمر الشروحات المتوفرة عن عدّة موادّ لغوية غير مادة "أبد" التي قام "فيشر" بعرضها على أنظار مجمعيي المجمع القاهري، وبذلك يتجاوز الباحث جهود أبحاث أخرى (مثل بحث الفصل الثالث) اقتصرت على تكرار مضامين تحليلات المستشرق الألماني.
- لا يخلو بحث الدكتور عبد الرزاق بنور من تفرّد اصطلاحي، ذلك أنه اضطرّ إلى وضع اصطلاحات غير مألوفة لدى اللغويين العرب بمن فيهم: المختصون في الدرس اللساني، كمصطلحات: "الترسيس"، و"التلازم الدلالي"، و"الجذمور"، و"الشبه العائلي"، تظل غريبة على الرصيد الاصطلاحي للبحث اللساني العربي، ولولا اللجوء إلى تحديدها وتقديم مكافئاتها الأجنبية لما تمكّن المتلقي من الكشف عن أبعادها المفهومية.

---

(١) نفس المرجع، ص ص: ١٥٣-١٥٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

- وقد تجاوزت نزعة التفرّد المستوى الاصطلاحي لتمسّ زاوية تسمية التصانيف، ذلك أن الباحث يحيل على تصنيف المستشرق الألماني "أوغست فيشر" تارة بالانجليزية (بالمتن وبقائمة المصادر والمراجع)[(١)]، وتارة أخرى بالعربية (بمتن البحث) بعنوان مخالف للعنوان الذي صدر به في طبعته القاهرية[(٢)]، في إشارة واضحة إلى رفضه للترجمة القاهرية (علما أن المستشرق الألماني لم يتطرق لزاوية التسمية في تقديمه المسهب لمؤلفه هذا بحسب الطبعة التي أنجزها المجمع المصري بالقاهرة).

الفصل الخامس:
المدخل المعجمي وتصميم الجذاذة
للباحث بسام بركة

يُعدّ الباحث اللبناني "بسام بركة" من الباحثين المختصين في المعاجم اللسانية ومصطلحاتها، فلا غرو أن نعاينه في هذا المقال حريصا على توظيف نتائج البحث اللساني في موضوع الصناعة المعجمية، فقد خصص مقاله هذا للنظر في طبيعة المدخل المعجمي وتصميم الجذاذة المناسبين للمعجم التاريخي للغة العربية، بيْد أنه يلتقي مع الباحث عبد العلي الودغيري في وعيه بتعدّد أنماط المعاجم التاريخية.

قدّم الباحث اللبناني جملة من العناصر الثنائية التي تقضي بتنوّع الأنماط المعجمية، من هاته الثنائيات:

تزامني – تعاقبي:

هناك لسانيتان: تزامنية وتعاقبية، تدرس الأولى الظاهرة اللغوية في زمن محدد، وترصد الثانية تطورها من زمن إلى آخر، ويعتبر الباحث "بسام بركة" أن المعجم التاريخي يستلزم الجمع بين الخاصيتين معا: "وصف المفردة في عمليها الآني في كل مرحلة من مراحل تاريخ استعمالات المفردة العربية، ثم (..) وصف المفردة بالمقارنة بين هذه المراحل الواحدة تلو الأخرى"[(٣)].

---

(١) A. Fischer, and United Arab Republic, Academy of Arabic Language ; Etymological Historical Arabic Lexicon (Cairo : General Organisation of Government Priting offices, ١٩٦٧.

(٢) "المعجم التأصيلي التاريخي للغة العربية"، انظر: ص:١١٣ من بحث الدكتور عبد الرزاق بنور.

(٣) بسام بركة (٢٠١٤)، نحو معجم تاريخي، ص:١٧٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

لغوي – موسوعي:

يتميز المعجم اللغوي بكونه يفسّر المدخل بتعريف يخصّص معناه ويحدّ من شموليته بتحديد سماته الدلالية التي تميزه عن بقية المداخل، ويركز المعجم الموسوعي على العناصر المعرفية المرتبطة بالمدخل باستحضار أبعاده الثقافية سواء في المعرفة العامة أو في المعارف المتخصصة.

يستخلص الباحث من هذا التفريق أن المعجم التاريخي المنشود يعدّ معجما لغويا بحتا، وليس معجما موسوعيا، ومن الدلائل التي يقدمها للتأكيد على صحة هذا الحكم:

- أن المعجم التاريخي لا يُستلزم فيه تقديم المعلومات عن الشيء المعرّف، وإنما الاقتصار على السمات المميزة.
- أن المعجم التاريخي لا يُستلزم فيه تقديم الصور والرسومات التوضيحية.
- أن المعجم التاريخي ليس معجما للأفكار والمفاهيم والعقائد.

لغة واحدة – لغتان أو أكثر:

يميز الباحث بين المعاجم الأحادية اللغة والمعاجم الثنائية اللغة والمعاجم المتعددة اللغات، ويرى أن المعجم التاريخي أحادي اللغة، غير أنه يختلف من مصنِّف إلى آخر، أو من فريق إلى آخر بحسب كمية المعلومات المرفقة عن علاقة المداخل بنظائرها في لغات أخرى من نفس العائلة (كعلاقة الكلمة العربية بنظيراتها من الساميات)، أو بلغات أجنبية من أسر أخرى إذا كان اللفظ مُعرّبا أو دخيلا.

عام – متخصّص:

انطلاقا من التفريق بين المعجم العام (الذي يقدم مداخل اللغة بعيدا عن إدراج مصطلحات التخصصات الدقيقة) والمعجم الخاص (الذي يدوّن منظومة المصطلحات المنتمية إلى تخصص معرفي محدد أو إلى تخصصات معينة) يعتبر الباحث اللبناني المعجم التاريخي معجما عاما (لأنه لا يهمل أيّ كلمة وأيّ استعمال) ومعجما خاصا في بعض مواضعه حين يقتضي الأمر تدوين بعض المصطلحات الشائعة لكن دون الإسهاب في عرض تفاصيلها المفهومية.

وصفي – معياري:

إن دارس اللغة مخيّر بين منهجين: منهج وصفي (موضوعي) يُكتفى فيه بوصف المادة ومنهج معياري يتجاوز نطاق الوصف ليصدر أحكاما على الاستعمالات اللغوية، وقد يَسُنّ

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

معايير تُحتذى، وينتهي الدارس إلى أن المعجم التاريخي يجب أن يكون "وصفيا بامتياز لا معياريا"[1]، إذ المطلوب: وصف المداخل دون تقويم أو تفضيل استعمال على استعمال آخر.

المحوران النظمي والاستبدالي:

يخصّ المحور الأول علاقة المفارقة، ويوازي المحور الثاني التضادّ، ويرى الدكتور بسام بركة أن معالجة مدخل المعجم التاريخي نتاج تضافر هاتين العلاقتين: بتقديم مجموعة كلمات ترتبط بالمدخل وعرض كلمات أخرى تتصل بذات المدخل من خلال الترادف والطباق والجناس واستحضار الكلمات/المداخل التي تولدت في زمن سابق.

- **منهج الترتيب:**

يوثر كاتب المقال أن يلجأ بُناة المعجم التاريخي إلى الترتيب الألفبائي لجذر المدخل المعجمي، وينتهي إلى خلاصة هامة تبرز مدى وعيه بمواصفات تصنيف المعاجم باستثمار التقنيات المعلوماتية قائلا: "مسألة ترتيب المواد في المعجم وطرائق توزيعها لا يطرح أي مشكلة نظرا إلى أنّ كل مراحل تكوين هذا المعجم (من تأسيس المدوّنة حتى استعمال موادّه على يد القارئ العادي أو المتخصص مرورا بالتخزين والبحث والترتيب والجمع) ستعتمد جوهريا على آخر ما توصلت إليه الحاسوبيات من تقنيات وأدوات وتطبيقات رقمية، وإذا كان استعمال المعجم الورقي يكون خطيا ومسطحا، فإن المعجم الإلكتروني يتيح البحث في مختلف الاتجاهات وانطلاقا من أي بند من بنوده أو أيّ مادة من مواده"[2].

- **البُعد الدلالي بالمعجم التاريخي:**

تناول الباحث اللبناني موضوع التحديد الدلالي للمدخل المعجمي، وكيفية عرض معانيه، فقدّم الأطر التي رأى جدارتها بالاعتبار، منها:

- اعتبار السياق أو الجملة التي وردت بها الكلمة.
- اعتبار المستعمل أو صاحب السياق.
- اعتبار الظرف الزماني لاستعمال الكلمة داخل السياق.
- اعتبار الظرف المكاني (الجغرافي) لهذا الاستعمال في أفق تحديد الفروقات الدلالية بالنظر إلى التنوع الجغرافي.

- **سبُل عرض الأمثلة والشواهد:**

أوضح الكاتب أهمية المثال والشاهد بالمعجم التاريخي، وقدّم بعض المعايير التي تساعد

---

(١) بسام بركة (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ١٨٠.
(٢) نفس المرجع السابق، ص: ١٨٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

في التمييز بين المفهومين، ذلك أن الهدف من استحضار الشاهد: الإثبات والاحتجاج، في حين يُلجأ للمثال بغرض الشرح والتمثيل، وبيّن الباحث انتماء هذين العنصرين لمقولتي العام والخاص، فالشاهد خاص والمثال عام، وبالتالي ف:"كل ما يصلح شاهدا يصلح مثالا من دون العكس"[١]. كما أن الشاهد في المألوف العام يُستخرج من المدوّنة خلافا للمثال الذي غالبا ما يُخترع من لدن مصنف المعجم، وينتقد الكاتب هذا المعيار الأخير داعيا إلى استخلاص المثال من المدوّنة.

- **جذاذة المعجم التاريخي:**

يُعرِّف الباحث اللبناني "الجذاذة" فيعتبرها: "بطاقة تتضمّن عناوين محددة سلفا يهدف واضعها إلى أن يقدم تحت كل عنوان منها معلومات دقيقة (...) ويمثل كل عنوان منها بابا خاصا من جوانب المعرفة"[٢]. يُضمّن الباحث جذاذة المعجم التاريخي جملة من المعلومات، هي:

- معلومات صرفية واشتقاقية ونحوية (طبيعة الاسم: متصرّف – غير متصرّف / مجرّد – مزيد / مذكّر – مؤنث) (طبيعة الفعل: تام – ناقص / متعدّ- لازم/ مجرّد – مزيد/ معلوم – مجهول).
- معلومات إحصائية: تخصّ نسب استعمال وتواتر المفردات والمتلازمات
- معلومات دلالية: يتم ضمنها ترتيب المداخل بحسب معانيها الأقدم فالأحدث، الحسية فالعقلية، الحقيقية فالمجازية أو الاصطلاحية، ورصد حالات الجناس والترادف والتضادّ، ومستويات الاستعمال: أدبي، عام، عامي، مبتذل.
- معلومات زمنية: بتحديد زمن ظهور اللفظة واستعمالها، بمعنى محدد (سنة، عقد، قرن).
- معلومات مكانية: بتحديد مكان استعمال اللفظة والفروق بين منطقة وأخرى.
- معلومات سياقية: بحصر المحيط النظمي للألفاظ بورودها في متلازمات وبأمثلة وبشواهد.

- **دور المعلوميات:**

ينبّه الدكتور "بسام بركة" إلى فوائد التقنيات الحاسوبية في تحرير الجذاذة، ذلك أنها تتيح تقديم المعلومات في شكل روابط يؤدي كل منها إلى الأخرى، وتسمح للمستعمل تصفح

---

(١) بسام بركة (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ١٨٦.
(٢) نفس المرجع، ص ص: ١٨٨-١٨٩.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الجذاذات وفق الترتيب الذي يعنيه.

- **نموذج جذاذة المعجم التاريخي:**

يقدم الباحث - بحكم اختصاصه وتجربته في تصنيفه معجم لساني (ثنائي اللغة) وإنجازه للعديد من الأبحاث المعجمية - هيكلة ثرية لنموذج الجذاذة التي يتوخى أن تُعتمد بالمعجم التاريخي، تتضمن معلومات أساسية بما يسميه ما وراء الجذاذة:

رقم الجذاذة	اسم واضع الجذاذة	تاريخ وضعها	تاريخ تعديلها	تصميم الجذاذة وتعبئتها	مصدر أو مصادر مضامينها	إلخ

تنقسم المعلومات الواجب إدراجها بالجذاذة إلى مستويات عدة يختزلها الباحث في النموذج التالي:

المفردة رقم: (...)

المستوى السياقي

تاريخ الاستعمال الأول، مكانه، صيغته، أصله، معناه الأول نسبة تواتره

المستوى اللغوي الذاتي

المفردة في اللغة (صرف، اشتقاق، نحو)

المفردة في الخطاب
(المعنى ١ العام: المتلازم المثال، الشاهد)
(المعنى ٢ العام: المتلازم المثال، الشاهد)

ملاحظات:

- كان من الأجدى أن يميز الباحث اللبناني بسام بركة (وهو المتضلع في قضايا المعجم) بين ثلاثة أنواع من المتون المعجمية: المعجم اللغوي والمعجم الموسوعي والموسوعة، وأن يشير إلى أن المعجم الموسوعي يقع في موقع وسط بين المعجم اللغوي الذي يقتصر على التعريف المركز للمدخل في نطاقه اللغوي والموسوعة التي تستحضر كل المعارف المتصلة بالشيء أو بالمفهوم المعرّف لينتهي إلى أن المعجم التاريخي للغة العربية يندرج ضمن النوع الثاني، فهو ليس معجما لغويا مركزا، وليس موسوعة مسهبة في التفصيلات التي مكان لها بالنوعين الآخرين (المعجم اللغوي العام، المعجم التاريخي).

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الفصل السادس:
مدوّنة المعجم التاريخي للغة العربية
للباحث حسن حمزة

استهلّ الباحث اللبناني الدكتور "حسن حمزة" الخبير في قضايا المعجمية والمصطلحية مقاله بالعودة إلى نصّ للمستشرق "رينهارت دوزي" (Reinhart Dozy) (١٨٢٠-١٨٨٣) حرّره منذ أزيد من قرن ونصف أثار فيه مسألتين هامتين: الأولى أن الزمن لم يحُن بعد لتحرير المعجم التاريخي للغة العربية، والثانية أن سبُل تحقيق هذا الهدف تتمّ باعتماد ثلاث مراحل:

- كتابة حواشٍ معجمية ومسارد لغوية تعدّ استدراكات على المنجز التراثي في مجال المعجم.
- جمع ألفاظ مجال بعينه (من خلال تصنيف الألفاظ بحسب الموضوعات).
- الاقتصار على تدوين لغة عصر بعينه أو مصدر بعينه[(١)].

وكأنما أراد الباحث اللبناني أن يثبت صحّة تكهّنات المستشرق الهولندي بإشارته إلى عجز مجمع اللغة العربية عن إنجاز هذا الهدف السامي والذي توخى تحقيقه منذ ثلاثينات القرن الماضي، ليؤكد على أنّ مشروع الدوحة بعدّ خطوة لتحقيق نبوءة "دوزي".

قدّم الباحث - بعد التأكيد على أهمية المدوّنة وتنوّعها بتنوّع أصناف المعاجم التاريخية- جملة من الشروط التي يرى لزوم توفرها في المدونة المنشودة، منها:

أ- أصالة المدوّنة: بمعنى أن تكون نصوص المدونة موجودة قبل المدونة، ويدعو الباحث إلى عدم إدراج النصوص المترجمة بالمدونة، وبأن لا يؤخذ من النص المترجم إلا ما كُتبت له الحياة من ألفاظه، كما يدعو إلى إهمال متون المعاجم المنجزة وعدم إدراجها بالمدونة لأن "واضعي المعاجم لا يسجلون عموما ما هو موجود قائم بالفعل في الاستعمال"[(٢)]. غير أن الكاتب يعي جيدا أن المعاجم ليست في مرتبة واحدة، ويرى إمكانية تضمن بعضها لمداخل وشواهد يمكن استثمارها في بناء المدوّنة المنشودة، ويمثل لذلك بوجود لفظة "الجبر" بمعناها العلمي في الرياضيات في معجم "تاج

(١) Reinhart Pieter Anne Dozy Supplément aux dictionnaires arabes, Brill, Leyde, ١٨٨١ ; Librairie du Liban, Beyrouth, ١٩٩١.

(٢) حسن حمزة (٢٠١٤)، مدوّنة المعجم التاريخي للغة العربية، في: نحو معجم تاريخي للغة العربية، ص: ٢٠٣.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

العروس" للزبيدي دون غيره.

ب- الشمول والحوسبة: يحيل الكاتب إلى مجهود المستشرق "دوزي" الذي استطاع تضمين مدونته اليدوية أزيد من أربعمائة مصدر في زمن لم تتواجد فيه التقنيات الحاسوبية، ويرى ضرورة بناء مدوّنة موسوعية محوْسبة مُدقّقة من لدن لغويين.

ت- الوسم: لا فائدة من مدوّنة لا تسجّل طبيعة النصوص التي تشملها، أهي مستخلصة من كتاب، أو صحيفة، أو مجلة، أو إعلان، أو رسالة، أو منشور أو وصية، مع ذكر تاريخ إنتاجها ومؤلفها (أو مؤلفيها) ومكان نشرها، ونوعها، ومجالها (مع أن العديد من الألفاظ والمصطلحات متداخلة المجالات.

ث- صحة التمثيل: لا يمكن لمدوّنة أن تشمل كل النصوص المكتوبة والشفوية، غير أنّ نصوصها ملزمة بأن تعكس تمثيلا حقيقيا للواقع المراد وصفه، كتمثيل المستويات اللغوية المتعددة أو تمثيل الفوارق الجغرافية بين منطقة وأخرى.

تلك كانت بعض الأصول العامة التي يرى الباحث لزوم توفرها في المدوّنة، ثم شرع في عرض الأصول الخاصة لبناء مدوّنة المعجم التاريخي، أجدرها بالذكر:

- أن تمثل المدوّنة قطيعة مع المنجز من المعاجم العربية.
- أن يتحدّد زمن التدوين من أول ظهوره إلى تاريخ الإنجاز.
- وقد تتحدد البداية وتبقى المدونة مفتوحة لكل ما يُستجدّ لاحقا.
- أن يتضمّن المعجم التاريخي قدرا لا يُستهان به من المصطلحات العلمية الشائعة في الحياة العامة والمتداولة بين المثقفين.
- يُفضّل عدم تبنّي موقف معياري في بناء المدوّنة أي عدم محاولة تفصيح العامي، وبذلك فالدكتور حسن حمزة –في سياق تحليله لمنجز مجمع اللغة العربية الأردني "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" – يحبّذ أن تشمل المدونة الفصيح والعامي والأعجمي.
- -ضرورة مراعاة وجود فوارق دقيقة بين فصحيات الأقطار العربية، ومن تمّ لزم تمثيل هذا التنوّع والاختلاف في المدونة كما يُستحسن تسجيل كل المستويات اللغوية (سواء أكانت رفيعة أم مبتذلة).

ويستشهد الكاتب على ذلك بنص لابن قتيبة ورد بكتابه "عيون الأخبار" حين قال: "إنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين. وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاحٌ بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنّك الخشوع أو التخاشُع على أن تصعِّر خدّك وتُعرض بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثّم، وإنما المأثم في

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

شتم الأعراض، وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيْب"[1].

ملاحظات:

يمثل نص ابن قتيبة الذي أعاد بعثه الباحث اللبناني "حسن حمزة" أهمية بالغة، ذلك أن الكثير من المعاجم الحديثة حررها لغويون وجدوا حرجا كبيرا في إدراج ألفاظ وتسميات تنتمي إلى مستوى "المبتذل"، والواقع أن ألفاظا من هذا النوع تعدّ جزءا لا يتجزأ من الرصيد اللغوي الحي.

ندرج ضمن هاته المعاجم التي أغفلت هذا المستوى – إضافة إلى معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن الذي اعتبره الكاتب أنموذجا لهذا التهميش- "المعجم الوسيط" بمختلف طبعاته ذلك أننا لاحظنا – خلال انشغالنا برصد المصطلحات العلمية والفنية والتقنية والأدبية بهذا المعجم – أنه يكاد يخلو من الألفاظ الدالة على العورات، والأعضاء التناسلية للمخلوقات بمن فيها الإنسان.

الفصل السابع:

المدوّنة اللغوية: دراسة مسحية

ل: الخليل عودة خليل أبو عودة

يتناول الباحث "عودة أبو خليل" بهذا المقال معاني لفظة "مدوّنة"، ويعرض خصائص المدونة اللغوية وأنواعها، ويقدم أشهر المدونات العربية والأجنبية، ويستهلّ البحث بالإشارة إلى حداثة هذا المصطلح في مجال الدراسات اللسانية، ويجزم أن "دلالته ومفهومه غريبان عن جمهرة المختصين بالدراسات اللغوية، بل إن بعضهم ممن له باع طويل في هذا المجال، وممن كانت دراستهم جلها في تطور وجهات النظر في النظريات اللسانية والدراسات اللغوية أبدى رأيه من دون تردّد بأنه لم يسمع بهذا المصطلح من قبل"[2]. يعمد المؤلف نتيجة هذا الجهل أو التجاهل إلى عرض معاني لفظة "مدونة" وهو عرض شامل يمكن أن يُستثمر في تحرير مدخل "مدونة" بمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

---

(١) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) (توفي سنة ٢٧٦)، (١٩٢٥)، كتاب عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، تصوير دار الكتاب العربي. الجزء الأول، المقدمة، ص ص: ٤-٥.

(٢) عودة أبو خليل (٢٠١٤)، المدوّنة اللغوية: دراسة مسحية، ضمن كتاب : نحو معجم تاريخي، ص: ٢٤٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

فمن المعاني التي رصدها لهذه اللفظة ومشتقاتها:

- الديوان: مجتمع الصحف، الكتاب[١].
- الديوان: نتاج شاعر[٢].
- مدوّنة: لم ترد هذه اللفظة بالمعاجم العربية التراثية.

من معانيها بالمعاجم الحديثة:

- مجموعة أحكام قانونية أو فقهية[٣].
- المدوّنة المدنية: مصنف يضم قواعد القانون المدني[٤].
- المدونة: "بيانات لغوية غير منظمة جُمعت خلال عمل ميداني أو نصوص مكتوبة" يستثمرها الدارسون لاستخلاص الملامح الوظيفية أو الكتابية أو النحوية أو المعجمية للغة من اللغات[٥].

ولا ينشز تعريف "دافيد كريستال" (David Crystal) عن هذا التعريف[٦]. والمدوّنة أيضا: "مجموعة المواد اللغوية المدوّنة، إما بالكتابة العادية أو بالكتابة الصوتية بغرض الدراسة والتحليل التي تشكل بنية لغة بعينها"[٧]. كما يقدم المؤلف تعريفه الخاص لهذا المفهوم، فيحدّه بأنه يدلّ على "مجموعة نصوص تمثل اللغة في عصر من عصورها أو في مجال موضوعي من مجالات استعمالها أو في منطقة جغرافية معينة أو في مستوى من مستوياتها أو في جميع عصورها ومجالاتها ومناطقها ومستوياتها"[٨].

يتتبّع الكاتب أصول مصطلح "مدوّنة" وبدايات استعماله في صدر الإسلام والعصر الأموي، ويشير إلى أن العصر العباسي كان عصر التدوين بالأساس، حيث نشأت مدونات المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب والحماسات ومسانيد الأحاديث النبوية

---

(١) تاج العروس، ج ٣٥، ص: ٣٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المعجم العربي الأساسي، مادة "دوَّنَ".

(٤) المعجم الكبير، مادة "دوَّنَ".

(٥) Hartman & Stork, Dictionary of language and Linguistics (London Applied Science Publishers ١٩٧٢, p :٥٥.

(٦) انظر ص: ٢٤٩ من مقال عودة أبو خليل.

(٧) رمزي بعلبكي (١٩٩٠)، معجم المصطلحات اللغوية: إنكليزي- عربي مع ١٦ مسردا عربيا، بيروت، دار العلم للملايين، ص: ١٢٨.

(٨) يحيل الكاتب إلى الموقع الذي اقتبس منه هذا التعريف: http://www.wata.cc/forums/shotheread.php?

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الشريفة. وفي موضوع اختلاف الدارسين في طبيعة المدوّنة، هل تمثل كل اللغة؟ أم تبرز جانبا محددا منها فقط؟ يصرّح الكاتب بأن لا موجب لهذا الخلاف، إذ تتميز كل مدونة عن أخرى تبعا للهدف الذي ينشده مصنفها أو مصنفوها. وينوّه الباحث بجهود علماء الحديث ومصنفي الطبقات في ميز السند وتحقيق المتون في عمليات تخريجهم للأحاديث النبوية الشريفة وروايتها وتمحيصهم للأشعار بالتحقق في مدى نسبتها إلى قائليها.

- **خصائص المدونة:**

قدّم الكاتب جملة من خصائص المدوّنة اللغوية استخلصها من دراسة الباحث محمد اسماعيل صالح[(١)] (٢٠٠٨) أهمها:

- الواقعية والتمثيل الحقيقي للغة.
- الشمول من حيث المصادر والاستعمالات والأساليب والأجناس والتخصصات.
- إمكانية التحليل الإحصائي في التعرف على شيوع الكلمات والمصطلحات والأوزان والمصاحبات اللفظية والسياقات.
- إمكانية إخضاعها للتحليلات الصوتية والنحوية والتركيبية.

انتقل الباحث بعد عرض هذه التوضيحات إلى عرض نماذج من المدونات اللغوية العربية والغربية، فمن أشهر المدونات اللغوية العربية: مدوّنة "صخر (١٩٨٢)[(٢)]"، المدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية[(٣)]، مدونة خليج "٢٠٠٤"[(٤)]، مدونة وطن "٢٠٠٤"[(٥)]، مدوّنة العربية المعاصرة "٢٠٠٤"[(٦)]، مدوّنة العربية الفصحى[(٧)]، مدونة المعجم التاريخي للغة العربية[(٨)]. ويذكر الباحث من أبرز المدونات الأجنبية: مدوّنة "براون" (١٩٧٠) (Brown Corpus)، مدوّنة "لانكستر أوسلو برجن" (Lancaster-Oslo-Bergen

---

(١) محمود إسماعيل صالح (٢٠٠٨)، الجانب اللغوي للمعجم الحاسوبي للغة العربية، ورقة قدمت إلى الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية، الرباط: ٥-٧/٥/٢٠٠٨، منشور على الرابط:
http :www.globalarabnetwork.com/science.a=it/٢٧٨٤-٢٠١١-٠٤-٠٤-١٤-١٩-٠٧

(٢) صممتها شركة صخر ضمن مجموعة العالمية للإلكترونيات.

(٣) تنشد تدوين ٧٠٠ مليون كلمة.

(٤) تستهدف جمع نصوص آلاف المقالات من جريدة أخبار الخليج.

(٥) تضمّ ٢٠٠٠٠ مقالة مستخلصة من متون جريدة الوطن العمانية.

(٦) مدونة قامت بتصنيفها الباحثة لطيفة السليطي.

(٧) مدونة صنفها الباحث المصري المعتز بالله السعيد مستمدّة من لغة الصحافة.

(٨) من تصنيف الباحث المعتز بالله السعيد، تشمل ١١٦ مليون كلمة مستخلصة من متون تنتمي إلى عصور الجاهلية وصولا إلى عصرنا الحاضر.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

Corpus)، مدوّنة كانيدين هانسيردس (Canadian Hansards Corpus)، مدونة "أكسفورد (Oxford Corpus)، مدونة "كامبريدج العالمية" (Cambridge Corpus)، مدونة "كنكود للغة المنطوقة" (Cancode Spoken English)، المدونة الانكليزية العالمية (The British National Corpus)، البنك الانجليزي للغات المكتوبة والمنطوقة، BNC.

يتضح من هذه القائمة تنوع مصادر بناء المدونة: روايات، مجلات، رسائل، بريد، برامج الإذاعة والتلفزيون، المحادثات اليومية على الشابكة، بل تضم أيضا: تسجيلات جلسات البرلمان كما هو الحال في ِ"Canadian Hansards Corpus".

ويقدم الكاتب – بفضل خبرته في تصفح مواقع الشابكة واستثمار مضامينها- جملة من مواقع الصحف بإمكانها أن تمثل موردا لكل من يعتزم بناء مدونة عربية.

تعليقات:

- لا شكّ أن تصريح الباحث بأن جمهرة من المتخصصين في الدرس اللساني يجهل دلالة مصطلح "المدوّنة" يحتاج إلى توثيق، ولو استخدم لفظة "بعض" بدل لفظة "جمهرة" لكان أنسب وأقرب إلى الواقع، لا سيما أنه لا يأتي على ذكر أي أحد ممن يمثلون الجمهرة، وقد ينطبق حكمه هذا على المعجميين التقليديين أما المعجميون الذين اطلعوا على مستجد الدرس اللساني الحديث فقلما يتجاهلون أو يجهلون هذا المفهوم.
- مما يُلاحظ أيضا أن لا أحد من المشاركين في هذا التأليف ممن بحث في المدونة تطرق إلى البعد الاصطلاحي لهذا المفهوم المرتبط بالصفحة الخاصة للمدوّن على الشابكة، أي ما يقابل اللفظة الأجنبية : "Le Blog" مع أن هذا المعنى غدا سائرا على الألسن كما يتأكد من خلال تصفح المنشور بمواقع الشابكة.
- يُستحسن بالباحث اللجوء إلى توثيق الروابط التي تحيل إلى مواقع الشابكة بذكر تواريخ التصفح بالنظر إلى أن الكثير مما اقترحه الباحث لا يفضي إلى الصفحة المنشودة.

الفصل الثامن:

المدونات العربية المحوْسبة: دراسة مسحية

ل: الباحث عبد المجيد بن حمادو

يبرز الكاتب في هذا المقال على غرار المقال السابق أهمية المدونة في بناء المعاجم عامة والمعجم التاريخي للغة العربية بصفة خاصة، كما يعرض أنماط المدوّنات العربية مفتوحة المصدر والتجارية، ويبين إمكانيات استثمارها في سياق التنبيه إلى ضرورة عدم اقتصار

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مصنف المعجم التاريخي على مدوّنة واحدة، وإنما يلزم استثمار مدونات متعددة والأخذ من كل مدونة مواطن قوتها تبعا لمواصفاتها ونوع المعايير المتبعة في تصنيفها (امتداد الحقبة الزمنية، نوع المصادر والمجالات، غنى التمثيل والتوسيم لكل حقبة من الحقب). ويقدم الكاتب مقترحات تخصّ النهج الأمثل للاستفادة من المدوّنات المتوافرة لبناء المعجم التاريخي المنشود.

أشار الكاتب في مقدمة مقاله إلى المقاربة الجديدة التي أصبحت سائدة في التصنيف المعجمي، وهي المندرجة ضمن ما يُسمى "لسانيات المدوّنة" (Corpus Linguistics)، وتقوم أساسا على استخلاص المادة المعجمية من النصوص المكتوبة في العديد من مجالات العلوم والفنون والآداب، ولا أدلّ على نجاعة هذه المقاربة أنها معتمدة في بناء أشهر المعاجم التاريخية في اللغات الطبيعية، أخص بالذكر معجم أكسفورد[١].

تدرس لسانيات المدونة اللغة من خلال أمثلة مستمدّة من واقع الاستعمال، برز هذا الاتجاه الحديث في الدرس اللساني بداية تسعينات القرن الماضي حيث تبينت أهميته في دراسة اللغة في مجالات الصوتيات والصواتة واكتساب المعارف، ورصد التباين اللغوي بين مناطق مختلفة، وفي تتبّع حالات التطور اللغوي في حقبة محددة، كما تجلت أهمية لسانيات المدونة في بناء نماذج حاسوبية تهيكل مقولات أصناف الكلم وتفرّعاتها وفي روز مدى صلاحيتها.

يُعرِّف الكاتب "المدوّنة" بأنها "مجموعة ضخمة من النصوص اللغوية (منطوقة ومكتوبة)"[٢]، تُصنّف "بحسب معايير محددة قصد استغلالها في إعداد دراسات لغوية مختلفة"[٣].

يتجلى الفرق بين المدوّنة التقليدية والمدوّنة المُحوسبة في كون النمط الثاني يقوم على تحويل النصوص الورقية إلى صيغة رقمية وتخزينها في صيغة قاعدة بيانات تيسيرا لعمليات معالجتها باستثمار برامج حاسوبية مُعدّة لهذا الغرض.

---

(١) Atkins Sue B & Michaël Rundell (٢٠٠٨), The Oxford guide to pratical Lexicography (Oxford New York, Oxford University Press).

(٢) عبد المجيد بن حمادو (٢٠١٤)، المدونات العربية المحوْسبة: دراسة مسحية، ضمن كتاب، نحو معجم تاريخي، ص:٢٨٦.

(٣) نفس المرجع السابق.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

في هذا الصدد ينوه الكاتب بالبرنامج الحاسوبي "نوج" (NOJ)[1] مفتوح المصدر، نظرا لإتاحته اختيار لغة من بين عدة لغات، كما يتيح للمدوّن أيضا اختيار صفحة تخزين النصوص (PDF,DOC,HTML,RTF) وتظهر فوائد هذا البرنامج في إتاحة الفرصة للتحيين متى لزم الأمر. ويعتبر الكاتب أن أهمية النتائج المستخلصة من دراسة المدونة تتوقف على جملة من العناصر أهمها:

- انتقاء العينات من النصوص ومدى تمثلها للغة من حيث المجال والفترة الزمنية والبيئة.
- مدى حجم المدوّنة وأثره على دقة نتائج التحاليل، ويرى في هذا الإطار أنّ مدونة بحجم مليون كلمة (كمدونة براون) كافية لهذا الغرض.
- مدى توحيد شفرات الحروف لقراءة نصوص مختلفة واستثمارها.
- مدى تحديد الوحدات بنصوص المدونة ومدى اعتبارها لأنواع الكلم والجمل داخل النصوص، أم اقتصارها على رصّ الفقرات.
- مدى ثراء أنظمتها الترميزية الدالة على معلومات تخصّ مصدرية النصوص، وتاريخ البناء، والمؤلف، ومكان الإصدار، وطبيعة التخصّص، ومواصفات أقسام الكلم، وخصائصها الصرفية وطبيعة الترجمة.

فنتيجة للتباين في توافر هذه العناصر بالمدونة تتباين المدوّنات وتتنوع، كما تتنوع بسبب:

- مدى توفرها للمتلقي مجانا أو بمقابل.
- درجات ترميزها، وأهدافها، ومجالاتها، وصيغ تحريرها، ومستويات فصاحتها، وتنوعها اللغوي، والأزمنة التي ترصدها.

يسجل الباحث عدم اهتمام حركة التصنيف المعجمي العربي بالمدوّنات على الرغم من انتشار عملية استثمار المدونات في بناء المعاجم والقواميس الغربية، وعلى الرغم كذلك من توفر مدونات عربية وبرامج حاسوبية مفتوحة المصدر، ثم يرصد نمطين من أنماط العلاقات القائمة بين المدونة والمعجم:

يتجلى النمط الأول في استفادة المدونة من المعاجم، ويتحدد النمط الثاني في استفادة المعجم من المدونة، وقد ظهرت ثمار النمط الثاني في الكثير من الأعمال المعجمية، من هذه الثمار: إغناء مداخل المعجم بمعلومات دلالية مستقاة من الاستعمال، وإمكانية تحديد درجات تواتر هذه المداخل ومدى شيوع أوزانها وتحديد الفروق الدلالية الدقيقة بين

---

(١) Max Silberztein (٢٠٠٥) ; Nooj, A linguistic Annotation system For corpus processing, Vancouver.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المترادفات وتوثيق مواضع ورودها بالنصوص إضافة إلى إمكانية تحديث بنيات المعجم.

- **نماذج من المدونات العربية:**

يرصد الباحث المدوّنات العربية المنجزة خلال العقدين الأخيرين، فيقسمها إلى قسمين:

قسم المدونات المفتوحة المصدر: بمعنى إمكانية الولوج إليها من قبل المتصفح واستثمار معطياتها لأغراض علمية أو تعليمية. من بينها:

- المدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وهي متنوعة المجالات والمصادر، تضمّ ما يقارب ٧٠٠ مليون كلمة مستخلصة من مصادر تمتدّ من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، غير أن الباحث يرى أن أدواتها التحليلية محدودة، وهي قيد التطوير، ذلك أنها لا زالت تقف عند النص كوحدة ترميز.
- المدوّنة العربية العالمية (ICA International Corpus of arabic)، قامت مكتبة الإسكندرية بتجميع موادها منذ سنة ٢٠٠٦، وهي تضمّ زهاء ١٠٠ مليون كلمة فصيحة، متنوعة المصادر والمجالات، يعتمد نظامها الترميزي على النص، يتبنى مصنفو هاته المدوّنة نظام "باكولتر" (Bukwalter) للتحليل الصرفي، مما جعل المدونة تتوفر على أدوات بحث دقيقة عن الكلمات والتعابير.
- المدوّنة العربية مفتوحة المصدر: استقى صاحب المدونة (الدكتور المعتز بالله السعيد) مضامينها من ثلاثة مصادر أساسية: موقع "بي بي سي العربي"(BBC Arabic) (يشمل ٤٧٦٣ مستندا من مختلف المجالات، وموقع "سي أن أن" (CNN) (يشمل ٥٠٧٠ مستندا نصيا في مجالات شتى)، ومواقع متنوعة لصحف ومجلات عربية (تضم ٢٢٤٢٩ مستندا في العديد من المجالات). تتميز هذه المدونة بتوفرها على برامج المعالجة الآلية، مثل برنامج كشاف السياق العربي المفتوح المصدر.
- مدونة العربية الحديثة (CCA corpus of Contemporary arabic): يُعدّ هذا العمل نتاج جهد الدكتورة لطيفة السليطي بجامعة "ليدز" (Leeds)، أنجزته سنة ٢٠٠٤، تضمّ المدونة ٨٤٢٦٨٤ كلمة مجموعة بـ٤١٥ نصا، استخلصتها المدوِّنة من مواقع الشابكة، وهي متنوعة المجالات، جعلت نظامها الترميزي يتأسس على النص كوحدة مستقلة، ويتضمّن معلومات عن: مكان الإصدار، عنوان النص، مؤلفه، تاريخ تأليفه، مصدره، مجاله. تمّ تخزين مواد المدونة بصيغة "إكس أم آل" (XML) وبتشفير "UTF-٨".
- مدونة المعجم التاريخي للغة العربية: أدرج الدكتور المعتز بالله السعيد بهذه المدونة ١١٦ مليون كلمة، تشمل حقبا متعددة ابتداء من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث من

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

مناطق مختلفة، وهي متنوعة المجالات ومستخلصة من مخطوطات وأمهات الكتب. غير أن هذا العمل لا يتوفر على برنامج حاسوبي لتحليل المواد ومعالجتها، ويستند على "النص" كوحدة ترميزية بما يشمل من معلومات ك: العنوان وتاريخ التأليف والمؤلف وعدد المفردات.

- مدونة الوطن والخليج: تمّ تجميع موادّ هذه المدونة لصاحبها مراد عباس من جريدتي "الوطن" و"الخليج"، تشمل زهاء ٣ ملايين كلمة، وهي متنوعة المجالات، غير أنها لا تتوفر على برامج حاسوبية لمعالجة وحدات معالجة آلية.

قسم المدوّنات التجارية: يعتبر صاحب المقال أن هذا النوع الثاني من المدونات (غير المجانية) تتميز عن تلك المفتوحة المصدر بدقتها النسبية، وثراء معلوماتها وتوفرها على برامج حاسوبية تتيح استغلالها كالكشاف السياقي والإحصاء والبحث عن النصوص، من أبرز هذه المدونات:

- المدونة العربية (LCD ARABIC Treebank)، أعدها الباحث محمود المعموري ومن معه سنة ٢٠١٠، تضمّ زهاء ٣٤٠ ألف كلمة فصيحة مستخلصة من المقالات المنشورة بجريدة النهار اللبنانية وهي متنوعة المجالات، تضم برامج حاسوبية كالمحلل الصرفي الذي يرصد طبيعة الكلم ومقولاته وترجمته إلى الإنجليزية.
- مدونة صحيفة الحياة اللبنانية (W٠٠٣٠ ELRA): تمّ إعدادها بجامعة "إسكس" (ببريطانيا) تضمّ ما يقارب ١٨٦ مليون كلمة مأخوذة من المنشور بصحيفة الحياة، المدونة متاحة على أقراص مضغوطة.
- مدونة "نملار" (Nemlar): تضمّ ٥٠٠٠٠٠ كلمة عربية فصيحة، متنوعة المجالات والمصادر أعدّتها شبكة موارد اللغة الأوروبية والمتوسطة ما بين ١٩٩٠ و٢٠٠٥ في أربع صيغ كنصوص خام، وكنصوص مشكولة، وكنصوص مرفقة بترميز الهيئات الصرفية لمواردها، وكترميز يرصد أجزاء الخطاب، وهي متاحة بأقراص مضغوطة.

قام الباحث عبد المجيد بن حمادو بعد عرض هذه المدونات بتقسيم مضامينها في أفق الاستفادة من موادها في مشروع بناء المعجم التاريخي، فاستخلص:

- أنّ معظمها – ما عدا مدونة مدينة الملك عبد العزيز ومدوّنة المعتز بالله- مستمدّة من نصوص حديثة.
- أن معظمها مستخلص من صفحات الشابكة، بحيث لا تشمل مخطوطات التراث العربي والمصنفات والمقالات والرسائل الأدبية والعلمية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- أنّ معظمها - باستثناء المدوّنات التجارية- ضعيف في مستوى الأنظمة الترميزية، ذلك أن المدونات المفتوحة المصدر ضخمة مقارنة بالمدونات التجارية.
- أن غالبيتها لا تعالج المواد ببرامج حاسوبية لتحليل النصوص وإحصاء معطياتها آليا، والبعض من هاته المدوّنات يتوفر على برامج لا زالت في مرحلة التطوير والاختيار.
- لكل مدونة من المدونات السالفة الذكر إيجابيات وسلبيات، ما يؤكد عدم صلاحية الاستناد إلى مدونة واحدة في بناء المعجم التاريخي للغة العربية. نتيجة ما سبق يقترح الباحث مجموعة من الأفكار بغرض تحقيق استفادة مثلى من المدوّنات العربية، من قبيل:
- اختيار نماذج نصية تمثل حقبا زمنية متعددة من المدونات لا يتعدى حجمها مليون كلمة لكل حقبة.
- إثراء هذه النماذج بنصوص غير متوفرة بالمدونات السابقة.
- إخضاع النماذج المختارة لصيغة موحدة من صيغ الأشكال النصية.
- تبنّي برنامج حاسوبي بإمكانه توفير أدوات متطورة لمعالجة النصوص لغويا وإحصائيا كبرنامج "نوج" أو "غايت".
- الاستناد إلى المقاييس العالمية في هيكلة المعجم، من قبيل تلك التي صاغتها منظمة "إيزو" (ISO) والمخصصة لمستوى المداخل (التي تتميز بتكامليتها وقابليتها للتطوير).

ملاحظات:

- لا شكّ أن مقترح الباحث – الخاص بالاستفادة من المدونات العربية المفتوحة المصدر وذات الأغراض النفعية- هام للغاية لأنه سيوفر الكثير من الجهد لبناة المعجم التاريخي المطالبين بتحيين النماذج النصية المستخلصة من هذه المدونات.
- تعدّ دراسة الباحث دراسة مستقصية لأنواع المدونات العربية المتوفرة، غير أنه أحال في معظم الأحيان إلى روابطها الشابكية التي لم تعد فاعلة، ولا ندري هل استقى الباحث هاته الروابط من مصادر أخرى دون روزها للتحقق من فعاليتها؟ أم أنها كانت فاعلة وقت كتابته للمقال، ثم أُلغِيت بفعل التقادم؟

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الفصل التاسع:

"نحو إطار عام لمدّونة لغوية للمعجم التاريخي للغة العربية

ل: الباحث عبد المحسن بن عبيد الثبيتي

يتناول الباحث "الثبيتي" في هذا البحث موضوع محورية المدونة في التصنيف المعجمي، ويقدم تعريفات متعددة لهذا المفهوم، ويذكر بعض متطلبات بناء المدونة وتصميمها ومواصفاتها والأدوات والتقنيات اللازمة لمعالجة موادها.

يبدي الباحث بمستهل البحث دهشته من عدم اكتراث الدراسات والأبحاث اللغوية العربية بموضوع المدونة، فباستثناء جهود قلة من الباحثين من أمثال الدكتور الودغيري عبد العلي(1) والدكتور ابن مراد ابراهيم(2) فإن قضايا المدوّنة لم تحظ بما يلزم من عناية. ويعتبر أن كثرة المدونات باللغات الغربية دليل على أهميتها في عمليات بناء المعاجم ودراسة اللغة.

- **تعريف مفهوم المدونة:**

يقدم الكاتب تعريفات متعددة لهذا المفهوم، بدءا بحدود الغربيين، من أمثال "سو أتكن" وآخرين (Sue Atkins et autres) (١٩٩٢)، و"جون سنكلير" (J.Sinclair) (٢٠٠٥) وانتهاء بتعريفات الدارسين العرب، إذ يرى "أتكن" أن المدونة: "نصوص إلكترونية جُمعت لغرض معين بناء على معايير واضحة"(3). ويعتبرها "سانكلير" أنها : "مجموعة من نصوص اللغة في صورة إلكترونية تُجمع اعتمادا على معايير خارجية، لتمثل قدر المستطاع اللغة أو أحد صورها لتكون مصدرا للأبحاث اللغوية"(4). تَرَجَّحَ إذن أن المدونة تُستخدم لأغراض متعددة عدا بناء المعاجم، ما دفع كاتب المقال إلى تعريفها على النحو الآتي: "المدونة اللغوية نصوص إلكترونية جُمعت لغرض معين بناء على معايير خارجية واضحة لتكون ممثلة لمجال

---

(١) عبد العلي الودغيري (٢٠١٠)، التأريخ لمعجم اللغة العربية، أسئلة وإشكالات، مجلة التاريخ العربي، عدد: ٥١.

(٢) إبراهيم بن مراد (٢٠٠١)، قضية المصادر في جمع مادة المعجم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. السنة ٧٨، عدد ٣.

(٣) Sue Atkins & Jeremy Clear and Nicholas Osther(١٩٩٢);Corpus Design.Criteria Literary and linguistic Computing, Vol ٧, n° ١- pp : ١-١٦.

(٤) Sinclair (٢٠٠٥), Corpus and Text-Basic Principles. in : Martin-Wynne, (ed.): Developing Linguistic Corpora: A Guide to Good Pratice. AHDS, Oxford.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الدراسة"[1]. يشير التعريف السابق إلى صيغة المدونة (: إلكترونية)، وإلى قابليتها للمعالجة (بإقصاء ما لا يقبل المعالجة الآلية كالصور أو الملفات المنسوخة PDF)، ويحدد أغراض بناء المدونة (وتتمثل في: بناء نظام تواصلي أو دراسة اللغة وحوسبتها). وينبّه الباحث إلى ضرورة تفادي التصور الذي يؤكد على ضرورة تمثيل المدونة للغة تمثيلا شاملا، فـ"المدونة اللغوية لا تمثل اللغة، بل تمثل نفسها فحسب"[2]، وبالتالي فنتائج التحليل تتباين بتبايُن أحجام المدونات وصيغها.

يحيل الكاتب إلى تصنيف "سانكلير" (٢٠٠٥) للمدونة في خمسة أنماط رئيسية:

أ- المدونات المرجعية: تقدم معلومات مفصّلة تبرز التنوع اللغوي، مثال ذلك بناء مدونة للصحافة العربية تدوّن مضامين الصحافة بكل البلدان العربية.

ب- المدونات الراصدة: تتميز عن سابقتها بمعطى التحيين، إذ ترصد كل جديد طارئ.

ت- المدونات المقارنة: تضم نصوصا من لغات متعددة، أو بلغة واحدة، غير أنها تقابل بين مجال وآخر داخل البلد الواحد أو بين بلدان عربية متعددة.

ث- المدونات المتوازية: تدوّن مجموعة من النصوص مع ما يوازيها دلاليا من لغات أخرى.

ج- المدونات المتخصصة: وهي قطاعية تدوّن المصطلحات وتعريفاتها في مجالات متعددة.

يُستحسن عدم إغفال نوعين آخرين من المدوّنات أضافتهما الباحثة "سوزان هنستون" (٢٠٠٢) (Susan Hunston)[3]:

- المدونات التاريخية: تجمع نصوص حقب متعددة.
- مدونات المتعلمين: ترصد نصوصا موجهة للتلامذة وطلاب المعاهد.

يلجأ الباحث الثبيتي - قبل الشروع في تقديم تصميمه الخاص لطبيعة المدونة العربية الصالحة لبناء معجم تاريخي- إلى التعريف بمفهوم "المعجم التاريخي"، فيورد جملة من التعريفات تُنسب لأشهر الباحثين في هذا الموضوع، منها:

---

(١) الثبيتي (٢٠١٤)، إطار عام لمدوّنة لغوية للمعجم التاريخي للغة العربية، ضمن كتاب: نحو معجم تاريخي، ص: ٢٩٧.

(٢) نفس المرجع.

(٣) Susan Hunston (٢٠٠٢), Corpora in Applied Linguistics. Cambridge Applied Linguistics Series (١٦). Cambridge University Press.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- تعريف علي القاسمي (٢٠٠٦) بأنه "نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور مسجّل لها حتى يومنا هذا" مع الاستشهاد لكل مدخل بعدد من الشواهد[(١)].
- تعريف "إحسان النص" (٢٠٠٧) هو: "المعجم اللغوي العام الشامل الذي يجمع أشتات الوحدات المعجمية العربية (...) ويؤرخ لظهورها في الاستعمال وما طرأ على دلالتها من التطور بحسب ما توفره النصوص المكتوبة"[(٢)].
- تعريف محمد حسن عبد العزيز (٢٠٠٨)، هو: "ديوان يضمّ بين دفتيه مفرداتها وأساليبها: مبانيها ومعانيها، ما استخدم منها وما أميت أو هجر، ما حدث لها من تغير عبر الأزمان والأصقاع"[(٣)].

يستخلص الكاتب من مجمل هذه التعريفات تعريفا يعتبره جامعا مانعا:

- تعريف الثبيتي (٢٠١٤): "المعجم التاريخي للغة العربية هو التوثيق الجغرافي والتاريخي لمباني ومعاني الألفاظ العربية طوال فترة استخدامها مدعما بالشواهد"[(٤)]. ويعتبره أيضا: "السيرة الذاتية للألفاظ"[(٥)].

مقترح "الثبيتي" الخاص بتصميم مدونة المعجم التاريخي للغة العربية:

تضمّ المدونة التي يقترحها الباحث جملة من المعلومات، هي:

- الغرض من بناء المدوّنة: يتمثل في المبادرة إلى تصنيف معجم تاريخي للغة العربية يوثق زمنيا ومكانيا مباني الألفاظ ومعانيها باستحضار الشواهد.
- معايير الجمع: تدوين ألفي مليون كلمة عربية فصيحة مستخلصة من النصوص المكتوبة من العصر الجاهلي إلى العصر الراهن تمثل مناطق عربية مختلفة من خلال تسعة مصادر: مخطوطات محققة وكتب وصحف ومجلات ودوريات علمية ورسائل جامعية ومنشورات رسمية ومواقع الشابكة بتقسيم المادة إلى مجالات متخصصة.

---

(١) علي القاسمي (٢٠٠٦)، المعجم التاريخي للغة العربية، هل نستطيع أن ننجزه بعد مائة عام. (عرب ٤٨: موقع إلكتروني http ://www.arab٤٨.com/ ? mod=articles &ID=٣٦٢١٢).

(٢) إحسان النص (٢٠٠٧)، مشروع المعجم التاريخي للغة العربية: مسيرة وتاريخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، السنة ٨٢، العدد ١.

(٣) محمد حسن عبد العزيز (٢٠٠٨)، المعجم التاريخي للغة العربية، نماذج ووثائق. الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة.

(٤) الثبيتي (٢٠١٤)، نفس المرجع السابق، ص ص: ٣٠١-٣٠٢.

(٥) نفس المرجع.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- استناد تعريف النص على ذكر العناصر الآتية: عنوان النص، اسم المؤلف، جنسيته، مصدر النص، مجاله، تاريخ صدوره ومكانه.
- التقسيم الزمني: يرى الباحث أن هذا الموضوع أثار الكثير من الجدل بين أهل الاختصاص، وقد اقترحت لجنة المعجم التاريخي بالقاهرة تحقيبا خماسيا: ١-العصر الجاهلي، ٢-العصر الإسلامي، ٣- العصر العباسي، ٤-العصر الوسيط، ٥-العصر الحديث.

يعتبر الباحث - وهو المتخصص في بناء المدونات- أن الأجدى تفريع هذه الحقب "إلى فترات أقصر، طول كل فترة منها مئة عام تبدأ من عام ٦٠٠ ميلادية"[١]، وتقسيم القرنين "التاسع عشر والعشرين إلى أربع فترات، طول كل فترة منها ٥٠ عاما"[٢]، ذلك أن هذه المرحلة شهدت حراكا ثقافيا وسياسيا جليا.

يلجأ الباحث إلى تقسيم مادة محتوى المدونة تقسيما يراعي مدى غزارة المحتوى، كما يتبين من الجدول التالي[٣]:

الفترة الزمنية	الأوعية	عدد الكلمات
من عصر ما قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الثامن عشر تقسّم إلى فترات طول كل منها مئة عام	المخطوطات المحققة	٥٠٠ مليون
القرن التاسع عشر	الكتب، الصحف، المجلات	١٠٠ مليون
القرن العشرون	الكتب، الصحف، المجلات، الرسائل الجامعية، الدوريات المحكمة، الإصدارات الرسمية	٤٠٠ مليون
القرن الحادي والعشرون	الكتب، الصحف، المجلات، الرسائل الجامعية، الدوريات المحكّمة، الإصدارات الرسمية، الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي	١٠٠٠ مليون

(١) الثبيتي (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ٣٠٩.
(٢) نفس الإحالة السابقة.
(٣) نفس المرجع: ص: ٣١٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

▪ **وظائف التقنيات المعلوماتية:**

تقوم التقنيات الحاسوبية بدور جوهري في بناء المدونة، فبفضلها يمكن:

أ- رصد تكرار المفردات وتوزيعها الإحصائي بحسب الأزمنة والأمكنة والمجالات.

ب- وضع مفاتيح متعددة للبحث عن اللفظ والمتلازمات اللفظية.

ج- تمكين الجمهور من الاطلاع على مضامين المدونة في صفحات الشابكة.

يعتبر الباحث أن هذه الأهداف المشار إليه أعلاه ممكنة التحقق في وقت قصير، بينما يلزم وقت أطول لترميز عناصر المدونة ترميزا نحويا ومعالجتها آليا من مستويات متعددة.

ملاحظات:

لا تخفى على المتخصص أهمية مقترحات الباحث، وهي تترجم تمرّسه في بناء المدوّنات، غير أننا نلاحظ مع ذلك:

- أن الكثير من التصاميم المخصصة لقواعد البيانات غير موضحة وبالتالي فهي تفقد وظيفتها الترميزية بهذا البحث.
- جدوى الاستناد إلى التاريخ الهجري، فلا يُعقل بناء معجم يؤرخ للحضارة العربية بإهمال التاريخ الهجري، واستبداله بالتاريخ الميلادي (انظر الجدول ٣-٩)[(١)].
- استخدام مصطلحات لغوية غير معرّفة وغير متداولة بين الأوساط اللسانية، من ذلك مصطلح: "الساق"، فقد استعمل الباحث ألفاظا معرّفة، مثل: الجذر والجذع، بينما يحار المرء في مدلول مصطلح "الساق" بالمجال اللساني حين يرد لدى الباحث مجردا من التعريف[(٢)].

الفصل العاشر:

نحو آلية لتطوير المدوّنات لتوليد جذاذات المعاجم العربية

ل: الباحث حامد السَّحلي

تكمن أهمية هذا المقال في كون صاحبه يعالج إشكالية عويصة من الإشكاليات التي تعترض عمليات بناء المدوّنات اللغوية وتصميم الجذاذة المُحوْسبة. يتعلق الأمر بترميز نصوص المدونة وعناصرها بالحروف اللاتينية.

يقدم الباحث في سبيل حلّ هذا الإشكال بالقسم الأول من بحثه تصورا يدرج من

---

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٣١٠.

(٢) نفس الإحالة السابقة، ص: ٣١٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

خلاله الدلالات الإعرابية والتاريخية بترميز الكلمة العربية، كما يقوم في مرحلة ثانية بجرد للآليات والتراميز الوسيطة التي بإمكانها الانتقال من النص في صيغته البسيطة إلى مدوّنات تستخدم الترميزات المشار إليها، كما يقدم في مرحلة ثالثة تصورا يوضح من خلاله كيفية استخلاص عناصر الجذاذة المعجمية من المدونة (أو من المدوّنات) المرمّزة.

حرص الباحث في الخطوة الأولى على ترميز الكلمة العربية كوحدة (لا كمجموعة حروف) واعتبار بنيتها الاشتقاقية وميزانها الصرفي، وتسجيل العلاقات الدلالية القائمة بين المفردات (مثل تلك المتضمّنة بالاشتقاق الأكبر) مع ذكر تموقعها داخل الجملة والنص. يمثل الباحث لهذا الترميز في الشكل التالي:

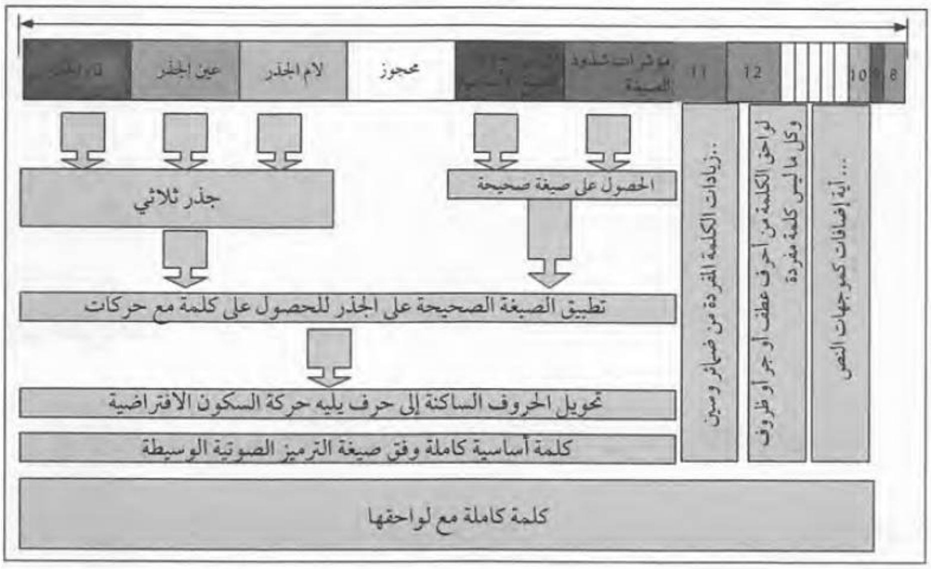

وقد استند الكاتب في هذا الترميز (القائم على ٦٤ "بت") إلى أسلوب تفكيك المتغيرات إلى متغيرات بسيطة ثنائية تتضمن مؤشرات دالة على نوع الجذور وطبيعة الصيغ القياسية والشاذة والتصرّف والاقتباس والحالة الإعرابية وتاريخ الاستعمال.

يقدم الباحث في الخطوة الثانية - الخاصة بالانتقال من النصوص البسيطة إلى الترميز المعنوي والتراميز الوسيطة – تراميز بطول ٦٤ "بت" بكلمات عربية، ويقترح نقل الكلمات إلى صيغة وسيطة حرفية – تفاديا لتعدد احتمالات الجذور والأوزان- قائمة على قيود أصواتية، مع التنبيه إلى ضرورة تصحيح النصوص من طرف لغويين وخبراء حاسوبيين بتتبّع النماذج التي يولدها البرنامج الحاسوبي.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

لا يتأتى توليد الجذاذة المعجمية من المدونة في نظر الباحث إلا بعد تحقيق عدة إجراءات منها: الانتهاء من التصنيف الأولي للقيود الأصواتية وتفكيك متغيراتها إلى متغيرات ثنائية.

تضمّ الجذاذة المعجمية خانة للمدخل (عبارة عن جذر) وخانة لأسماء المعاجم أو المدوّنات المصادر وخانة ثالثة للتعريفات على النمط الآتي:

سبح:	**القاموس المحيط**	سبح بالنهر وفيه، كمنع، سبحا وسباحة، بالكسر: عام، وهو سابح وسبوح من سبحاء، وسباح من سباحين.
	لسان العرب	السبح والسباحة: العوم. سبح بالنهر وفيه: يسبح سبحا وسباحة، ورجل سابح وسبوح من قوم سبحاء، وسباح من قوم سباحين؛ وأما ابن الأعرابي: فجعل السبحاء جمع سابح.
	مقاييس اللغة	السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والآخر: جنس من السعي. فالأول السبحة، وهي الصلاة ويختص بذلك ما كان نفلا غير فرض.

يدعو الباحث في هذا الصدد إلى عدم إهمال الجانب التأثيلي باعتبار علاقات العربية بشقيقاتها من اللغات السامية، ويرى أن أهم متطلبات النمذجة الدلالية:

- اعتبار أنواع الفعل الثلاثي في العربية وحركة عين المضارع
- عدم جدوى الميزان في استيعاب الجذور الرباعية والخماسية
- عدم إغفال الاشتقاق الأكبر ومعاني تراكيب الحروف والصيغ السماعية.

يكشف الباحث في الختام إلى مخاطر فصل العربية الفصيحة (Classical Arabic) عن العربية الحديثة (Contemporary Arabic)، وهو فصل نهجه القائمون على مشروع جامعة الملك سعود كما نهجه بُناة المعجم التاريخي للغة العبرية، ذلك أن من شأن هذا النهج أن يحول العربية إلى دارجة مجردة من الإعراب، ويدعو إلى تضافر جهود اللغويين والحاسوبيين للاستفادة من التقنيات الحاسوبية في الترميز للعربية برموز عربية خدمة للغة الفصحى "كيْ لا تبقى على هامش التطبيقات العالمية"[(١)].

(١) حامد السحلي (٢٠١٤)، نحو آلية لتطوير المدوّنات لتوليد جذاذات المعاجم العربية، ضمن كتاب: نحو معجم تاريخي، ص: ٣٣٠.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

ملاحظـــــة:

يُستفاد من الملاحظة التي أبداها كاتب المقال بخصوص المجازفة الناتجة عن فصل العربية الفصحى المعيارية عن العربية المعاصرة أهمية موضوع: تحديد أنواع العربية ومستوياتها المنشودة في بناء المعجم التاريخي للغة العربية. ذلك أن مشروع المعجم التاريخي للغة العربية إنما يهتم بالعربية المعيارية المراعية لأنساق صوتية وصرفية وتركيبية محددة والقابلة للتوليد والتطور بناء على قيود سلامة التكوين المشار إليها.

الفصل الحادي عشر:

تقنيات الإفادة من المدوّنات المحوْسبة في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية للدكتور المعتز بالله السعيد

يُعرِّف الدكتور المعتز بالله مفهوم "المعجم التاريخي" بأنه "معجم لغوي عام، يستمدّ مادته من التراث الإنساني المكتوب المدوّن عبر العصور والأمكنة في مختلف العلوم والفنون والآداب، ويضمّ مفردات اللغة، ويبيّن معانيها ومشتقاتها وأساليبها، ويُعنى بتأصيلها وتاريخ استعمالها أو إهمالها ودراسة تطور مبانيها ومعانيها عبر المراحل الزمنية المتعاقبة للغة"[(١)].

يذكر المؤلف التجارب السابقة في بناء معجم تاريخي للغة العربية:

- كمحاولة المستشرق الألماني "أوغست فيشر" (A, Fischer) (١٩٠٧).
- ومحاولة الجمعية الألمانية للاستشراق (١٩٥٧).
- ومحاولة جمعية المعجمية العربية في تونس (١٩٩٠).
- ومحاولة هيئة المعجم التاريخي في القاهرة (٢٠٠٤).

ويعتبر أن هذه المحاولات توقفت جميعها بسبب عدم توفر "مدونة لغوية ملائمة لطبيعة العربية وتاريخها المديد من ناحية وعدم النظر إلى اتساع المدى الجغرافي للعربية[(٢)]". وبسبب "عدم الإفادة من تجارب الأمم الأخرى" لاسيما تجربة معجم اللغة الألمانية (١٨٣٨-١٩٦١)، وتجربة معجم اللغة الهولندية (١٨٤٩-١٩٩٨) وتجربة معجم أكسفورد الانجليزي (١٨٥٩-١٩٢٨)، وتجربة معجم الأكاديمية السويدية (١٨٨٤-٢٠١٧)[(٣)].

---

(١) المعتز بالله السعيد (٢٠١٤)، تقنيات الإفادة من المدوّنات المحوْسبة في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، ضمن كتاب: نحو معجم تاريخي، ص: ٣٣٧.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) تعد سنة ٢٠١٧ الحد الزمني الذي وضعه بناة المعجم السويدي للانتهاء من تحرير مواده.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- **منهج بناء المدونة:**

يحصر الباحث علل فشل التجارب السابقة الرامية إلى بناء معجم تاريخي للغة العربية في افتقارها إلى "مدوّنة لغوية مُمَثِلة للعربية عبر تاريخها" [١]، ما دفعه إلى اقتراح أربع خطوات لبناء مدوّنة تفي بالغرض.

أ- الخطوة الأولى: تقوم على جمع النصوص العربية عبر عصورها في مختلف بيئاتها بالاستناد إلى منهج من المناهج الثلاثة الآتية:

- منهج قائم على الاستبيان، وهو منهج يصلح في بناء مدونات الدراسات التجريبية ومدونات المجتمعات الإقليمية ومدوّنات اللهجات المعاصرة والمدونات المخصصة لأغراض تعليمية.
- منهج قائم على الحصر الشامل، ويعتبره الباحث هدفا طوباويا لا يمكن تحقيقه بالنظر إلى غنى تراث العربية الذي يمتد لعشرين قرنا.
- منهج قائم على العينات الإحصائية (سواء كانت عشوائية أو منتظمة) وهو المنهج الذي يتبناه الباحث ويوصي باستعماله.

ب- الخطوة الثانية: تقوم على تصنيف النصوص وفقا لما يلي:

- التصنيف التاريخي: بتقسيم عصور العربية إلى خمسة: جاهلي وإسلامي وعباسي ووسيط وحديث.
- التصنيف الجغرافي: بتقسيم العالم العربي إلى سبعة مناطق: شبه الجزيرة العربية، بلاد ما بين النهرين، أرض وادي النيل، بلاد الشام، شبه جزيرة الأندلس، منطقة المغرب العربي وصقلية، منطقة فارس وما وراء النهر (فارس، بخارى، سمرقند، خوارزم إلى حدود الهند).
- التصنيف الموضوعي باعتبار خمسة عشر حقلا: الشعر، القرآن، الحديث، ترجمات الكتاب المقدّس، النثر الأدبي، علوم العربية وآدابها، اصطلاحات العلوم، التاريخ والأنساب، الطبقات والتراجم، الجغرافيا، والرحلات والبلدان، القوانين والأحكام، الملل والعقائد، الموسوعات والمعجمات، الصحافة.

ج- الخطوة الثالثة: تخصّ تحرير النصوص وفق ثلاث وسائل: وسيلة التحرير الآلي عن طريق الماسح الضوئي والقارئ الآلي، وسيلة التحرير اليدوي، وسيلة استثمار المواد

---

(١) المعتز بالله السعيد، (٢٠١٤)، نفس المرجع، ص: ٣٣٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الرقمية المتوفرة بصيغ "PDF , HTML, DOC, RTF, TXT".

د- الخطوة الرابعة: تقوم على ترميز النصوص المدوّنة بخصائص شكلية من خلال التشفير بصيغة "UTF-٨"، أو من خلال التوصيف باعتماد لغة الترميز "XML"، وينتصر الباحث للنهج الأخير لأنه لا يحتل مساحة تخزينية واسعة.

▪ **أدوات المعالجة الآلية للمدونة المحوسبة:**

تتمثل في الاستناد إلى خمسة مستويات من التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي والدلالي، ويقترح الباحث إخضاع موادّ المدوّنة لنوعين من المعالجة:

▪ معالجة على مستوى المبنى باستخدام آلية فهرسة النصوص (Text Indexing Analysis)، وآلية التحليل التركيبي (Syntactic Analysis)، وآلية التحليل الصرفي (Morphological Analysis).

▪ معالجة على مستوى المعنى، باستخدام شبكة للكلمات العربية (Arabic Word Net) وآلية التحليل الدلالي (Semantic Analysis).

تتضح أشكال الاستثمار من خلال الخطاطة التالية[(١)]:

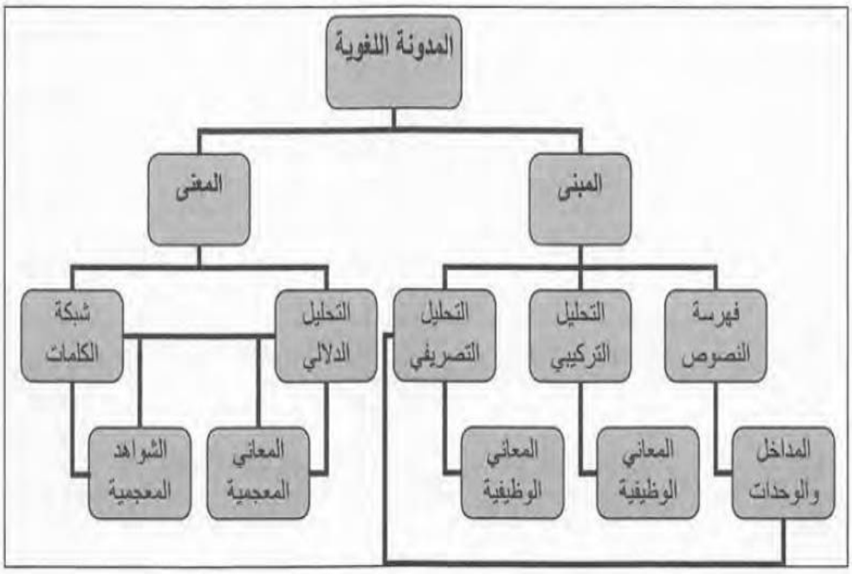

تستند آلية فهرسة النصوص على التحليل الصرفي، إذ تقوم الفهرسات الآلية بتحليل

---

(١) المعتز بالله السعيد، المرجع السابق، ص:٣٤٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

النصوص إلى فقرات وجمل وكلمات وفروعها، وتعمد إلى حصر سياقاتها ومختلف تأليفاتها باستثمار تقنيات الفهرسة الجذعية والألفبائية[١]. وقد صُمِّمت العديد من البرامج لهذا الغرض، منها: "المفهرس الآلي"(AConcorde)، و"المفهرس الآلي" (Concapp)، و"Concordance".

يتم اللجوء إلى المحلل الصرفي لاسترداد جذور المفردات ولتقديم توصيف صرفي لها، ولتوليد المشتقات من الجذور باعتماد ثلاث عمليات: التجذير (: تحليل كلمات إلى جذور) والتجذيع (تحليل كلمات إلى جذوع) والتفريع تتشكل من وحدات معجمية دنيا، بإمكان هاته البرامج معالجة الكلمات المشكولة كليا، والمشكولة جزئيا، وغير المشكولة، كما يتوضّح من الخطاطتين التاليتين[٢]:

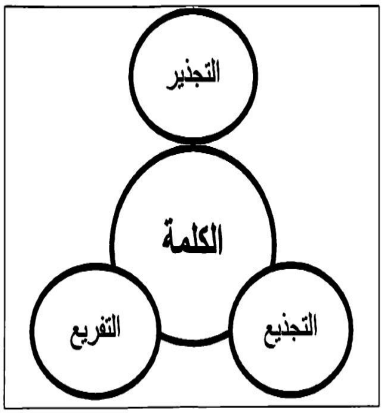

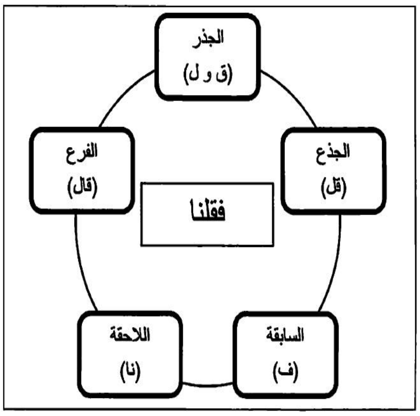

كما صُمِّمت برامج حاسوبية متعددة للمحلل الصرفي أهمها: "آلية التحليل الصرفي" (Morphological Analyser)، و"المحلل الصرفي" (AraMorph) و "AraFlex"، و"نظام التحليل" (Mada+Tokan)، و"نظام الخلل" (Al khalil Morpho.Sys).

تتمثل وظيفة آلية التحليل التركيبي في تعيين المعاني الوظيفية للوحدات المعجمية من خلال تعيين أقسام الكلام (تحديد الاسم من حيث الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وتحديد الفعل من حيث الزمن: ماض، مضارع طلبي، والنوع: متعدّ ولازم، والتمييز في الأدوات بين أدوات الاستفهام والتعجب وحروف العطف والجر، ومن خلال إعراب أقسام الكلام (إعرابُ الاسم على الرفع والنصب والخفض، وبناؤه على الضم والفتح

---

(١) المعتز بالله السعيد (٢٠١٤)، نفس المرجع السابق، ص: ٣٤٦.

(٢) المعتز بالله السعيد، المرجع السابق، ص: ٣٥٠-٣٥١.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والكسر والسكون، وإعراب الفعل على الرفع والنصب والجزم وبناؤه على الضم والفتح والكسر والسكون، وبناء الأداة على الضم والفتح والكسر والسكون).

ويتصور الباحث المعتز بالله شبكة الكلمات العربية في صيغة "قاعدة بيانات معجمية تُحللُ فيها نصوص اللغة إلى أجزاء الكلام.. في مجموعات من المترادفات الإدراكية تترابط بشبكة من العلاقات الدلالية"(١). وتتجلى فائدة آلية شبكة الكلمات أنها تُمكّن من التمييز بين دلالات مختلفة لأقسام الكلم المتفقة في الشكل كما يتضح في الخطاطة التالية(٢):

م	الكلمة	المثال	الدلالة	POS
١	من	(وظلّلنا عليكمُ الغمامَ وأنزلنا عليكمُ المنَّ والسلوى)	طل يتزل من السماء	N
٢	من	(يا أيّها الذين آمنوا لا تبطِلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى)	التفاخر بالإنعام	N
٣	من	(ألمْ ترَ أنّ اللهَ يسجدُ له منْ في السماواتِ ومنْ في الأرضِ)	اسم موصول	N
٤	من	(قالوا يا ويْلنا مَنْ بَعَثنا مِنْ مرْقَدِنا)	اسم استفهام	N
٥	من	(ونريدُ أنْ نمُنَّ على الذين اسْتُضعِفوا في الأرض)	أنعم	V
٦	من	(يَمُنّونَ عليكَ أنْ أسلمُوا قلْ لا تمَنّوا عليَّ إسلامكمْ)	تفاخر بالإنعام	V
٧	من	(فتلقَّى آدمُ مِنْ ربّهِ كلماتٍ فتابَ عليه)	حرف جر	P

ويعتبر الباحث آلية التحليل الدلالي إحدى تطبيقات الذكاء الاصطناعي المتقدمة، الغرض من استحضارها: إدراك مفردات اللغة في جملة من المصاحبات اللفظية (المتلازمات).

- **خصائص مدونة "متع":**

يقترح الباحث مُدوّنة مُحوسبة أعدّها لنيل شهادة الدكتوراه معدّة للمعجم التاريخي للغة العربية تتميز بالمواصفات التالية:

---

(١) نفس المرجع السابق، ص:٣٥٧-٣٥٨.

(٢) نفس المرجع، ص:٣٥٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- تعكس عصور العربية ما بين ٤٨٠ قبل الهجرة إلى سنة ١٤٣١ هجرية.
- تقوم على عيّنات مستخلصة من مصنفات عربية في مختلف التخصصات ومن مناطق عربية متعددة غير أنها تقتصر على حقبتين: الأولى: تبدأ من القرن الخامس قبل الهجرة حتى نهاية القرن الثاني الهجري، والثانية: من مستهل القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، وتشمل ما لا يقل عن مليون كلمة لكل قرن:

تمّ تقسيم المدونة تاريخيا إلى خمسة عصور وسبعة مناطق، وخمسة عشر حقلا تمت الإشارة إليها أعلاه:

وقد شملت مجموع ١١٦ مليون و٤١٤٣٦٤ كلمة، وشملت ٨٦٩ وثيقة بنسب متفاوتة على العصور:

- العصر الجاهلي: ١٦١.٥٠٢ كلمة بنسبة ٠,١٤%.
- العصر الإسلامي: ٦٥٠.٨١٩ كلمة بنسبة ٠,٥٦%.
- العصر العباسي: ٥٥.١٥٠.٦٨٧ كلمة بنسبة ٤٧,٣٧%
- العصر الوسيط: ٤٠.١٣٢.٢١١ كلمة بنسبة ٣٤,٤٧%
- العصر الحديث: ٢٠.٣١٩.١٤٥ كلمة بنسبة ١٧,٤٥%.

ملاحظـــــات:

- لم يذكر الباحث في سياق تعداد المشاريع التي توخّت بناء المعجم التاريخي محاولة معهد الدراسات المصطلحية بمدينة فاس المغربية (١٩٩٦)، وهو المعهد الذي صاغ تصميما للمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة، وشرع في جمع موادّه من مظان كثيرة. فهل يعود هذا الإغفال إلى عدم اطلاع الباحث المصري على جهود فريق العمل بمعهد الدراسات المصطلحية في هذا المضمار؟ أم أن الباحث متتبّع لكل المشاريع العربية في مجال تصنيف المعجم التاريخي، وأنه يستبعد مشروع المعهد السالف الذكر لأنه يقتصر على تسجيل مصطلحات العلوم والفنون دون الاهتمام برصيد اللغة العامة؟ أم لأن مشروع المعهد المذكور لم ير النور بعد، ولا زال في طور الإنجاز؟
- حكم الباحث على جميع المشاريع العربية العاملة في مجال بناء المعجم التاريخي بالفشل نظرا لتوقفها، بينما يتأكّد أن بعض الجهات لم تعلن عن التوقف، كمحاولة جمعية المعجمية التونسية ومحاولة المجمع القاهري وجهود معهد الدراسات المصطلحية التي تحولت الكثير من مشاريعه إلى مؤسسة مبدع بفاس المغربية.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

- تعدّ المدونة التي صنفها الباحث المصري استنادا إلى عينات من النصوص مدوّنة صالحة للاستثمار في بناء المعجم التاريخي، غير أن نسبة مفردات عصرها الحديث (المتمثلة في ١٧,٧٥ في المائة) تعدّ نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بمجموع مفردات العصر الوسيط (التي تشكل نسبة ٣٤,٤٤ في المائة) بسبب تطور العلوم والتقنيات بل والآداب أيضا، وتزايد الإقبال على التأليف والنشر.
- وردت ترميزات التوصيفات الحاسوبية ثنائية اللغة أو بالأحرى تجمع بين الحروف العربية والحروف اللاتينية، وهو أمر يعكس بجلاء عدم قدرة المصممين العرب على تأصيل البرامج الحاسوبية بالعمل على تبْيئتِها لتتخلص من صيغتها الأعجمية.

تعليق عـــام:

نطالع بهذا المقال تسميات متعددة لمسمى واحد، مثال ذلك تداول المفردات التالية الدالة على موضوع واحد: "إنترنت"، "شابكة"، مواقع الويب".

الفصل الثاني عشر:
التصميم الحاسوبي للجذاذة والمدوّنة والمرصد
للباحثين: عبد الحق لخواجة، عز الدين مزروعي، محمد رقاس، محمد ولد عبد الله ولد بباه

يعرض الباحثون - قبل الشروع في الكشف عن تصميمهم الحاسوبي للجذاذة والمدونة والمرصد – التجربتين الانجليزية والفرنسية في بناء معجم أكسفورد الانجليزي وذخيرة اللغة الفرنسية المحوسبة.

١- **معجم أكسفورد الانجليزي** (Oxford English Dictionnary):

متوفر بثلاث صيغ: نسخة تامة على الشابكة[(١)]، نسخة مسجلة على قرص مدمج، نسخة ورقية.

طرق البحث في معجم أكسفورد المتوفر على الشابكة وبالقرص المضغوط:

يعاين المتصفح بالصفحة الأولى من المعجم طريقتين من طرق البحث:

- طريقة البحث السريع: تتيح معلومات عن الكلمة المقترحة مرتبة، تضمّ: المدخل، فئته النحوية، وطريقة التلفظ به وفق النمط البريطاني والأمريكي (استخدام الألفبائية

(١) http // :www.oed.com

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الصوتية العالمية)، وتنوعاته الهجائية، وتأثيله بذكر أصله، وتعريفه (أو تعريفاته) مع عرض الشواهد المتصلة به بطريقة تعاقبية.

- طريقة البحث المتقدم: يتيح حصر موضع الكلمة المقترحة ضمن نصوص المعجم كلها، وسواء كانت مدخلا أو جزءا من تعريف كلمة أخرى أو متضمّنة بشاهد. تتيح هذه الطريقة للمتصفح البحث من خلال وسائل متعددة:
  - البحث ضمن الشواهد أو ضمن التعريفات.
  - البحث ضمن قسم من أقسام الكلام (اسم فعل ظرف).
  - اللجوء إلى الروابط المنطقية، ك "And"، و"Or"، و"Not" للبحث عن مصطلحين في آن واحد.
  - حصر المجال بتحديد انتماء الكلمة إلى علم من العلوم أو في فن من الفنون.
  - تشمل النسخة الورقية عشرين مجلدا (مع ثلاثة مجلدات إضافية تمّ تحريرها بين ١٩٩٣ و١٩٩٧)[١].

٢- **ذخيرة اللغة الفرنسية** (Trésor de la langue française):

متاحة للجمهور في ثلاث صيغ: صيغة متاحة على الشابكة[٢]، صيغة مسجلة في قرص ممغنط تشمل النسخة الورقية، ثم الصيغة الورقية[٣].

يستخلص الباحثون أن المعجم الفرنسي لم يستفد من عمليات التحيين منذ ١٩٩٤ بدليل انحصار شواهده بهذا التاريخ، كما يُستفاد من معاينة مضامين الذخيرة أنها تتضمّن ثلاثة أنماط من البحث:

- نمط البحث السريع: يوفّر دلالات الكلمة المقترحة كتابيا أو صوتيا، ويقوم البرنامج الحاسوبي باقتراح الكلمات الصحيحة الأقرب إلى تلك المقترحة، كما يقدم صيغتها غير المصرّفة إذا تمّ إدخالها من قبل المتصفّح مصرّفة.
- نمط البحث بمساعدة البرنامج: يتيح هذا النمط الكلمات الفرنسية ذات الأصل الأجنبي بتحديد خانة "لغة مقترضة" (Langue empruntée)، ويتيح الكلمات ضمن مجالات

---

(١) Simpson John & Edmund Weiner (Eds.) ١٩٩٧: Oxford English Dictionnary. Additions Serie, ٣ vols, Clarendon Press - New york, Oxford University Press ١٩٩٣-١٩٩٧.

(٢) على الرابط: http://atilf.atilf.fr

(٣) عبد الحق لخواجة، عز الدين مزروعي، محمد رقاس، محمد ولد عبد الله ولد بباه، التصميم الحاسوبي للجذاذة والمدوّنة والمرصد، ضمن كتاب: نحو معجم تاريخي، ٣٧٦-٣٧٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

وفروع معرفية محددة، كما يوفر جميع النصوص التي تحوي الكلمة المقترحة.

- نمط البحث بطريقة متقدمة: يضيف هذا النمط إلى ما سبق معلومات مرتبة على شاكلة: المدخل وفئته النحوية، التعريف (أو التعريفات) بمراعاة درجات شيوع الاستعمال، الشواهد معروضة تعاقبيا ومنسوبة إلى أصحابها، كما يتيح معرفة طريقة نطق المدخل وتأثيله ودرجات تواتره.

ينتقل الباحثون بعد عرض هاتين التجربتين الثريتين في تصنيف المعجم التاريخي إلى الكشف عن نموذجهم الخاص للتصميم الحاسوبي للمعجم التاريخي للغة العربية، بالتأكيد بداية إلى اختلاف مستخدمي المعجم التاريخي باختلاف الخدمات المتوفرة لكل منهم:

- فهناك المستخدم العادي الذي يستفسر عن المدخل من خلال البحث بالكلمة أو الجذر أو بحسب المجال الدلالي أو ببحث متقدم (بالتقصي عن أصل الكلمة ونوعها)، وبإمكانه الاستفادة من خدمات أخرى في حالة تسجيله ببرنامج المعجم، وتحرير مذكرة تخصه تسجل ما تصفحه سابقا.
- وهناك المعجمي الذي يستطيع إضافة إلى ما سبق اقتراح مداخل جديدة وتعديل مضامين المداخل والحكم على دقة المُدرج بالمعجم.
- وهناك مسيّر المعجم الذي يستطيع إضافة إلى تمكنه من الخدمات المتوفرة للمستخدم العالي والمعجمي: التحكّم بحسابات المستخدمين وعرض إحصاءات وتقارير تخصّ استخدامات المعجم. تتضح حالات الاستعمال هاته في الخطاطة التالية[(١)]:

(١) عبد الحق لخواجة، عز الدين مزروعي، وآخرون، نفس المرجع، ص: ٣٨٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

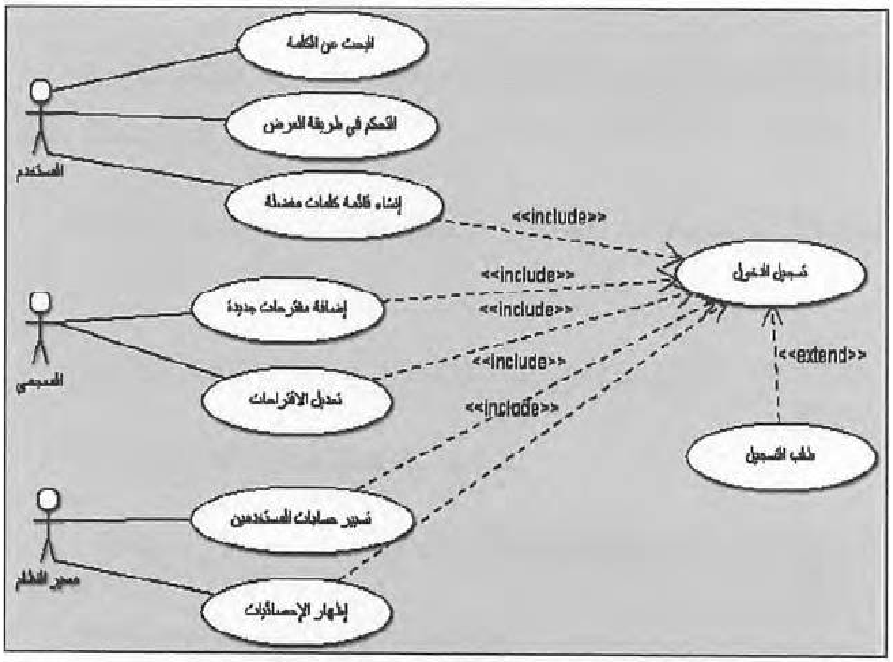

يؤكد الباحثون توفر صيغ متعددة من البحث بالمعجم التاريخي المُحوْسب، فهناك البحث بواسطة الجذر، والبحث بواسطة الكلمة، والبحث المتقدم بواسطة تحديد المجال والحقبة، ويستندون في تمثيل حالات الاستعمال إلى لغة العرض الموحدة (UML) التي تتيح تصميما يتوفر على محلل آلي للمعلومات الصرفية والنحوية وآخر للمعلومات الدلالية.

انتقل الباحثون بعد عرض محطات هذا التصميم إلى الكشف عن مواصفات قاعدة بيانات المعجم التاريخي للغة العربية باستثمار مفهوم الكينونات (Entities) تضم مفاتيح للكلمة والجذر والوزن والفرع والنوع والشاهد والمعنى والمصدر، فحدّدوا أنماط العلاقات القائمة بينها، ثم قدّموا ببحثهم هذا نموذجا أوليا للمعجم التاريخي للغة العربية يضم الصفحة الرئيسية[١] :

---

(١) عبد الحق خواجة وآخرون، نفس المرجع السابق، ص:٣٩٢.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

والبحث المتقدم[1] :

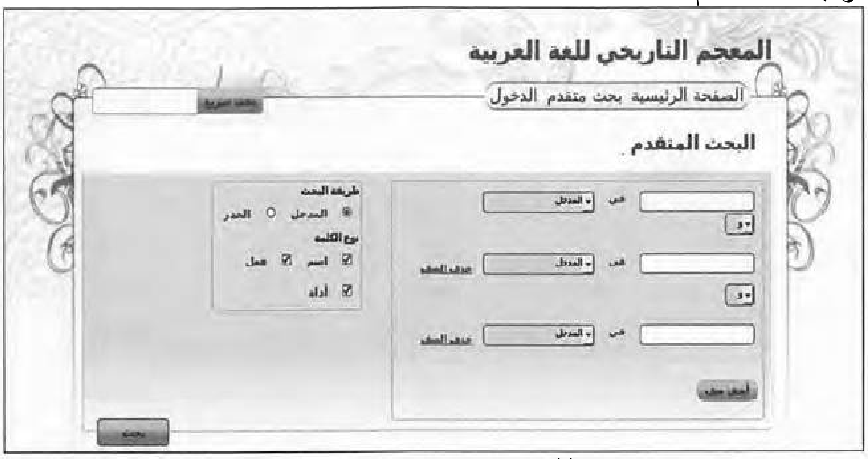

وعرض نتائج البحث الأولية[2] :

---

(١) نفس المرجع السابق، ص:٣٩٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص:٣٩٤.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

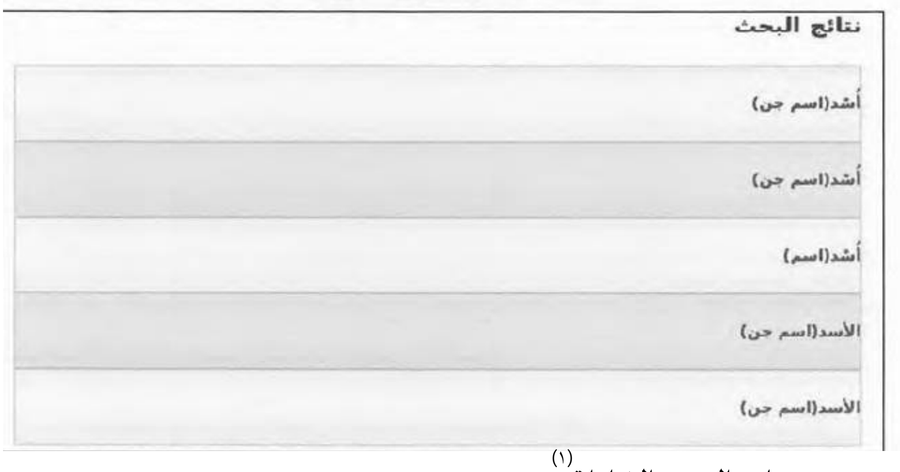

وعرض نتائج البحث الشاملة[١] :

بإضافة مقترح من لدن المعجمي[٢] .

---

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع، ص :٣٩٥.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أو بإضافة دلالات جديدة[1] :

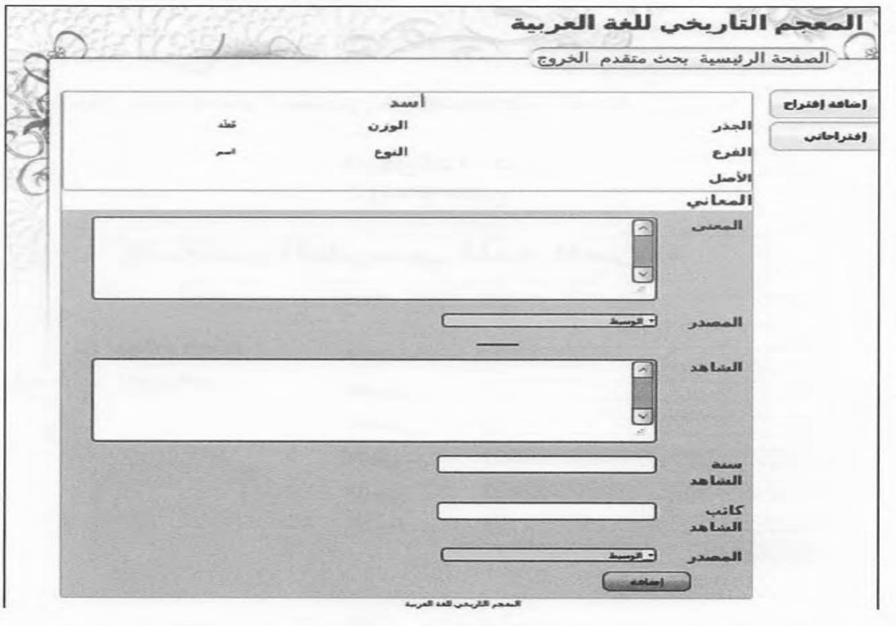

---

(١) نفس المرجع، ص:٣٩٦.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

أو بإضافة شاهد[1] :

وفي موضوع توفير النسخة المضغوطة على قرص من المعجم التاريخي يقترح الباحثون تطوير برنامج تُستخدم فيه لغة "جافا" ونظام "SQLite" لإدارة قواعد البيانات يتيح الاشتغال على أجهزة "الآي فون" (IPHONE) و"الآي باد" (IPAD) والأجهزة ذات نظام "أندرويد" (Android).

ملاحظات:

بذل الباحثون جهدا لا يُستهان به في عرض مزايا التجربتين الانجليزية والفرنسية في بناء المعجمين التاريخيين الانجليزي والفرنسي، كما اجتهدوا في تصميم أنموذج حاسوبي للجذاذة والمدونة، ووفّروا خطاطات ذات ترميز استطاع التخلص من الوصاية الأجنبية باستبعاد الحروف اللاتينية. غير أن صور الخطاطات وردت صغيرة الحجم (كما يتبين من النماذج المعروضة أعلاه) مما جعل المتلقي يجد صعوبة في الكشف عن مضامينها وفك شفراتها.

(١) نفس المرجع، ص:٣٩٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

الفصل الثالث عشر:
البرامج الحاسوبية المستخدمة في بناء المدونات المعجمية وتدبيرها دراسة تقويمية
للباحثين: عز الدين مزروعي، عبد الحق لخواجة محمد ولد عبد الله بباه، محمد رقاس

خصص الباحثون مقالهم الثاني لتقييم البرامج الحاسوبية الموضوعة لمعالجة اللغة العربية معالجة آلية واستثمار المدونات اللغوية، وقد لاحظوا في هذا السياق أنّ البحث في مجال المعالجة الآلية للغات الطبيعية عرف تطورا خلال العقود الأخيرة ببعض اللغات الغربية (كاللغة الانجليزية) بينما لا زال هذا الموضوع يعرف تأخراً في نطاق اللغة العربية.

قسم الباحثون نصوص مدونة المعجم التاريخي المنشود إلى ثلاثة أنماط:

- نصوص رقمية تراثية ومعاصرة: ترد بصيغ متعددة: صيغ الوثيقة النصية (امتداد "DOC"، امتداد "TXT"، امتداد "RTF")، صيغ الوثيقة المتنقلة (امتداد "PDF")، صيغة صفحات الشابكة (امتداد "HTML").
- نصوص ورقية مستمدّة من مخطوطات وكتب مطبوعة يلجأ بناة المدونة إلى رقمنتها عبر التحرير اليدوي أو التحرير الآلي بالمسح الضوئي (Scanner) أو بالتعرف الضوئي على الحروف.
- مقاطع صوتية: تراث شفوي مسجل، أفلام، نشرات أخبار تتحول إلى نصوص رقمية باعتماد تقنية التعرف الآلي على الكلام.

ومن البرامج المخصصة لهذا الغرض هناك: القارئ الآلي "تيسيراكت" (Tesseract OCR)، والقارئ الآلي لشركة صخر [1].

العوائــق:

- يلاحظ الباحثون من خلال تحليل نماذج نصية فاعلية التعرّف الضوئي على الحروف اللاتينية ومحدودية نجاعة برامج التعرف الآلي إلى الحروف العربية.
- تتطلب عمليات تطبيق البرامج الآلية المخصصة لتشكيل النصوص العربية تدخل

---

(١) http://www.sakhr.com

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الخبير اللغوي ما يضخّم تكلفة التدقيق الآلي، ومن هذه البرامج برنامج الخليل للتشكيل الآلي، برنامج مِشكال للتشكيل الآلي، المُشكّل الآلي لشركة صخر.

- تقتصر البرامج الآلية للتدقيق اللغوي (مثل المدقق الآلي "هانسبيل" والمدقق الآلي لشركة "كولتيك") على تدقيق الكلمات منعزلة عن السياق ما يدعو إلى تدخل الخبراء.
- نسبية دقة البرامج الآلية للتحليل الصرفي لكلمات المدوّنة (كبرنامج الخليل الصرفي الآلي، وبرنامج "ArabMorph"، وبرنامج "Arabic Stemmer")، وتتجلى هاته النسبية في مدى إدراج التشكيل في عمليات التحليل واستخراج الجذور.
- اطراد حجم اللبس بتطبيق البرامج الآلية للتحليل النحوي لكلمات المدونة بارتفاع عدد وحدات العبارات (من هذه البرامج: برنامج الخليل الآلي لوسم الكلام، وبرنامج "أميرَى" (Amira)، وبرنامج "ستانفورد لوسم أجزاء الكلام").
- الحاجة إلى مزيد تدقيق البرامج الآلية المخصصة لفهرسة النصوص وهي موضوعة لتفكيك الكلمات إلى وحدات معجمية دنيا، ك: الجذع والفرع والجذر وإعادة تدوينها في قاعدة بيانات بمراعاة مدى شيوع الكلمات والسياقات الواردة بها. (من نماذج هاته البرامج: مفهرس الخليل الآلي، والمفهرس الآلي "AConCorde"، والمفهرس الآلي "Concordance").

ملاحظات:

- تقوم البرامج الحاسوبية بدور هام في معالجة موادّ المدونة تشكيلا وتفكيكا وتدقيقا وترميزا (صرفيا ونحويا) وفهرسة، غير أن العمل الآلي لم يستغن لحدّ اليوم عن عمليات التمحيص من لدن خبراء لغويين.
- يدعو الباحثون في ختام هذا المقال إلى تصميم برامج حاسوبية مخصصة للتحليل الدلالي تتحدد وظائفها في تحديد معاني وحدات المدونة بصفة آلية بالنظر إلى سياقاتها، ويعتبرون أن "الأبحاث في هذا المجال ما زالت في بدايتها بالنسبة إلى اللغة العربية"[(١)].

استنتاجات عامة:

يلاحظ أنّ موضوع "تحيين" المنجز من المعجم التاريخي المنشود لم يحظ بالعناية اللازمة من لدن المشاركين في هذا التصنيف، وذلك على الرغم من أهمية هذه المرحلة ضمن مسلسل المراحل التي سيجتازها مشروع بناء المعجم، نقدم فيما يأتي نبذة عن أهمية

---

(١) عز الدين مزروعي، عبد الحق لخواجة، محمد ولد عبد الله بباه، محمد رقاس (٢٠١٤)، ص: ٤٢٨.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقيا أو تداولها تجاريا)

هذه الخطوة في كل عمل معجمي.

في نجاعة التحيين المستمر:

اللغة أداة التواصل والتعبير عما يجول في الأذهان ووسيلة لتسمية ما يُستحدث في شؤون الحياة وخواطر الوجدان، وهي متجددة كما أن الفكر يتطور باستمرار، وتتجلى أهمية التحيين في ظهور مواد لغوية جديدة أو استعمالات حديثة لألفاظ سبق تدوينها بدلالات أوَل غير تلك التي اكتسبتها في تداولها الحديث، وفي اختفاء دلالات أخَر من سوق الاستعمال، تلزم بناة المعجم التاريخي برصدها في النسخة المحينة من المشروع، كما تتجلى ضرورة التحيين في اكتشاف مصادر قديمة (مخطوطات) يمكن استثمارها في إثراء المداخل المدونة أو إضافة مداخل جديدة، مع إمكانية الاستفادة أيضا من ظهور صياغة متميزة ودقيقة لتعريف مصطلحات أو مفاهيم علمية وتقنية أو ألفاظ حضارية.

وممّا يؤكد ضرورة تحيين المعجم: الصلة التفاعلية الوطيدة بين المعجم والمجتمع، بدوام حركة هجرة الكلمات والتعابير دخولا وخروجا إلى اللغات الطبيعية الحية ومن ضمنها اللغة العربية المتداولة على نطاق واسع بعد الانجليزية والصينية والاسبانية، وقد تحولت وظيفة المعجم بمرور الزمن من مستوى تصوير الواقع المعجمي ونقل رصيده الحضاري إلى مستوى تنظيم ممارساتنا العلمية وزرع حب المعارف في نفوسنا والحرص على نشرها..

نشير في هذا الصدد إلى أنّ التطور حركة دائمة لا تتوقف في وقت لتستأنف عملية التغيير في وقت لاحق إنما هي مستمرة في كل وقت وحين.

جليٌّ إذن أنّ التغير اللغوي يرتبط بالتحولات التي تُعايَن بالشؤون المادية والروحية لمستعملي اللغة، وهو تغير لا يعرف توانيا في فترة من الفترات، إنما هو مستمر بدون انقطاع، مع أن استمراريته لا تمسّ الثوابت من قبيل الأنساق الصوتية والصرفية والنحوية، المتوارثة أبا عن جدّ، مع أنّ هذه الأنساق تخضع لسنة التطور في مستوياتها الوصفية نتيجة لتغير النماذج والمناهج المتصلة بتحديدها.

إن الإيمان بشرعية التطور في اللغة لا يقصي القواعد من نسق اللغة لا سيما ما اتصل منها بالجانب النحوي وبجانب تآلف الأصوات وتنافرها وبجانب قوالب الصوغ الصرفي وقواعد الاشتقاق، بمعنى أن الصلة بين الدال والمدلول هي أبعد ما تكون عن المسكوكية، بل هي قابلة للتغير بتغير الظرف الزمني أو البيئي.

على سبيل الختم:

نقدم فيما يأتي جملة من الملاحظات التي تبدّت لنا في سياق قراءة هذا الإصدار:

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

- لا ضير من العمل على ضمان "التحريك" (الشكل بالحركات) بالمعجم (أو القاموس)، ليغدوَ معجما (أو قاموسا) "مُحرّكا" (وهو اصطلاح المرحوم الدكتور عبد الهادي التازي بجلسات المجمع القاهري[1]، وقد آثر استعمال هذا الاصطلاح بدل مصطلح "المشكول" "لأن الحركة أوقع من الشكل")، ومن المفيد أن يشمل التحريك مداخل المعجم وشروحاته على السواء.
- لقد سبقت الإشارة في معرض قراءة مضامين الكتاب الذي بين أيدينا إلى أهمية تعريب البرامج الحاسوبية التي تتخذ اللغة العربية متنا للدراسة،إنه فرض عين لا فرض كفاية، وقد راودت هذه الفكرة من قبل ذهن الدكتور "علي القاسمي" بالنظر إلى خطورة الاستمرار في استعمال رموز أجنبية في برامج تدعي أنها عربية حين اقترح تشكيل لجنة من العلماء لتعريب البرامج الحاسوبية على غرار لجن تعريب المصطلحات العلمية والفنية والتقنية بمختلف تخصصاتها[2]، وهو مقترح لا يخلو من وجاهة لا سيما وقد عاينّا أن الحروف اللاتينية لا تزال طاغية بمحتويات البرامج الحاسوبية التي صُمِّمت لتشريح البنى النحوية والصوتية والصرفية للعربية (كما سبقت الإشارة إلى ذلك).

---

(١) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد: ١٠٢، ص: ٢٠٤.

(٢) انظر: علي القاسمي (٢٠٠٤)، تنمية اللغة حاسوبيا في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد: ١٠٢، ص: ٢٤٧.

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

فهرس المحتويات

الموضـــــوع		الصفحة
كلمة المركز		٥
المقدمـة		٧
اسم الباحث	عنوان البحث	
الدُّكتور مُحمَّد حِلمي هليّل	«التَّنوع اللُّغوي الزَّمانيّ: حول الإعداد للمعجم العربيّ التَّاريخيّ»	٢٣
الدُّكتور أَحمد العلويّ	«المعجـم التَّـاريخيّ للُّغـة العربيّـة وشروط قيامه»	٤٩
الدُّكتور عبد الرَّحمن بودرع	«المعجم التَّاريخي واستثمار المصادر»	٦٩
الدُّكتور عبد العلي الودغيريّ	«التَّأريخ المعجميّ والتَّطوُّر اللُّغويّ»	٩٣
الدُّكتور عبد الرَّحمن السُّليمان	«في ضـرورة توظيـف علـم التَّأثيل في تأليف المعجم التَّاريخي للُّغة العربيّة»	١٢٣
الدُّكتور علي القاسميّ	«معالجـة قـوانين التَّغيُّر اللُّغـويّ في المعجم التَّاريخيّ»	١٥٩
الدُّكتور منتصر أَمين عبد الرَّحيم	«الإنحـاء ومكانـة التَّغيُّـر اللُّغـويّ في المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة»	١٩٧
الدُّكتور خالد اليعبوديّ	«مكانـة المـصطلح بـالمعجم التَّـاريخيّ للُّغة العربيّة، ودور المدوَّنة في انتقاء المصطلحات وتعريفها»	٢٣٩
الدُّكتور نواريّ سعوديّ أَبو زيد	«نحـو قـاموس تـاريخيّ للمـصطلحات اللِّسانيّة العربيّة التُّراثيّة»	٢٨٥

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا)

الموضـــوع		الصفحة
اسم الباحث	عنوان البحث	
الدُّكتور عبد المنعم السَّيد جدامي	«مراحـل اللُّغـة العربيّـة وتنوعاتهـا والمعجم التَّاريخيّ»	٣٣٧
الدُّكتور أَحمد عارف حجازيّ	«لفظ الأَرض، دراسة لُغويّة تاريخيّة»	٣٨٥
الدُّكتور أَمين عبد الكريم (ميشال) باربو	«آليّـات تكثيـف الدِّلالـة الذَّاتيّـة والتَّنـسيق للإيحـاء وأَثرهـا في تكوين شبكة المعجم التُّراثيّ الأَصيل، طريقة مـستقبليّة لتلقـين المعنى والإمـساس والإيحـاءات اللُّغوية في دوائر الـدِّماغ الاصطناعيّ»	٤٢١
الدُّكتور عمر مهديويّ	«العتـاد اللِّـسانيّ الحاسـوبيّ لرقمنـة المعجم التَّاريخي للُّغة العربيّة»	٤٧١
الدُّكتور حسن درير	«المعاجم العربيّة في ضوء تكنولوجيا المعلومـات الجديـدة، إمكانيّـات استثمار البرامج الآليّة في بناء قاموس تاريخيّ للُّغة العربيّة»	٥٠٩
الدُّكتور خَالد اليعبوديّ	«القـضايا اللُّغويّـة النَّظريّـة والتَّطبيقيّـة لمـشروع بنـاء المعجـم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة من خلال كتاب "نحو معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة"»	٥٢٥
فهرس المحتويات		٥٨٨

(هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً)

المعجم التاريخي للغة العربية

رؤى وملامح

◆

د.أحمد العلوي
د.عبد العلي الودغيري
د.أحمد عارف حجازي
د.عبد المنعم السيد جدامي
د.أمين عبد الكريم باريو
د.علي القاسمي
د.حسن درير
د.عمر مهديوي
د.خالد اليعبودي
د.محمد حلمي هليل
د.عبد الرحمن بودرع
د.منتصر أمين عبد الرحيم
د.عبد الرحمن السليمان
د.نواري سعودي أبو زيد

إعداد وتنسيق : د.منتصر أمين عبد الرحيم
د.خالد اليعبودي

مباحث لغوية ٢٥

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for The Arabic Language

w w w . k a i c a . o r g . s a

مجموعة باحثين

المعجم التاريخي للغة العربية رؤى وملامح

المعجم التاريخي للغة العربية

رؤى وملامح

مباحث لغوية ٢٥

إذا كان التَّصنيف المعجميّ عريقًا نشأ بنشوء الحضارات الإنسانيّة فإنَّ الدِّراسة النَّظريّة لقضايا المعجميّة والقاموسيّة حديثة النَّشأة على غرار ما هو واقع في التَّرجمة والمصطلحيَّة والتَّواصل، فمازالت الحاجة ماسَّة إلى مزيد من الاهتمام بقضايا معجميّة عديدة وإلى تقييس المنهجيّات الواجب العمل بمبادئها في مثل هذا التَّصنيف. ولا شك في أَنَّ تطوُّر الدِّراسات اللِّسانيّة الحديثة وازدهار الصِّناعة المعجميّة في العقود الأَخيرة قد أَسهم في الإِحساس بهذه الفجوة المُعاينة في الثَّقافة العربيّة الإِسلاميّة، إِذ يشكِّل النُّزوع نحو تصنيف المعجم التَّاريخيّ بلُغات العالم المتقدم شكلًا من أَشكال الرُّقي الحضاريّ وترجمةً لتطوُّر المعجميّة بضوابطها العلميّة وتقدُّم إِجراءاتها المنهجيّة والتّقنية؛ ومن ثمَّ فإِنَّ الحرص على تنمية اللُّغة العربيّة المهددة في كيانها بشعارات العولمة والأُنموذج الثَّقافيّ الأَوحد رهين برقيّ معاجمها وقواميسها لتبزّ نظيراتها الأَجنبيّة في مستوى الشُّموليّة ودقة التَّصنيف جمعًا ووضعًا وتقييسًا.

لا شك في أَنَّ اكتمال بناء المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة ستكون له آثار قيمة على واقع العربيّة ومستقبل علومها المختلفة وعلى مكانتها بين اللُّغات، ولكنَّ هذا البناء يتوقف -من وجهة نظرنا- على قدرة أَهل الاختصاص على تقديم إِجابة وافية ومقاربة دقيقة بشأن التَّساؤلات المتعلقة بالموضوعات والرُّؤى الَّتي تتحدّد على أَساسها بعض ملامح الصُّورة المناسبة لذلك البناء، إِنَّ المسألة تتعلق هنا بمدى المناسبة بين الخصوصيّة والرُّؤية؛ بين خصوصيّة العربيّة وتاريخها الممتد وتلك الرُّؤى الَّتي تبرز هذه الخصوصيّة وتبرهن تمثيلاتها المعجميّة ضمن الدِّيوان الجديد، ونزعم أَنَّ كتابنا هذا بما يتضمنه من رؤى ومراجعات واقتراحات يعدُّ استئنافًا للنظر في عدة قضايا مهمة في بعدها التَّنظيريّ والتَّطبيقيّ في تحقيق جانبٍ من جوانب تلك المناسبة.

د.منتصر أمين عبد الرحيم
د.خالد اليعبودي

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for The Arabic Language

ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

9 786039 084709

المعجم التاريخي.indd 1
9/8/2016 10:25:23 AM